الجمهـوريّة التونســيّة

وزارة التّعـلـيـم العالـــي
جامعة الآداب والفنون
والعلوم الإنسانيّــــة

كلية العلوم الإنسانيّـــة
والإجتماعية بتـــونس
قسم التّـــاريخ





اليمـن في العـهد الأيوبـي

دراسة في التاريخ السّياسي والإقتصادي والحضاري

(569 - 628هـ / 1174 - 1230م)

بحث معدّ لنيل شهادة :

الـدكتـوراه

- الجزء الأوّل -

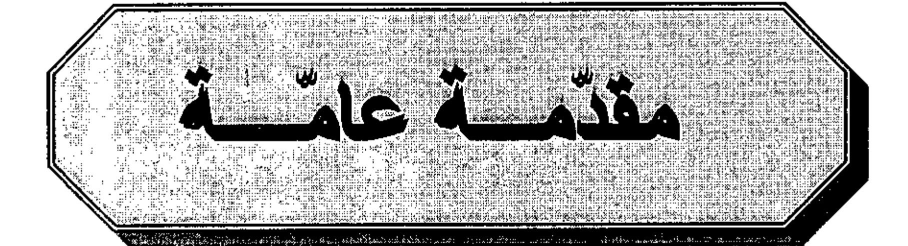
إعـــداد :
جمـــال عبـدولـي

تـحـت إشراف :
الأستـاذ . د. راضـي دغفوس

السّنة الجامعيّـــة 1999 - 2000

الإهــــــداء

إلى والــــدي عربـــون محبة وإمـتـنــــان


مقدّمة عامّة

* تـــوطـــئـــة:

اليمن بلد عربي إرتبط إسمه بأنصع فترات التّاريخ العربي والإسلامي على حدّ السّواء. ففي الجاهليّة شهدت أرضه أقدم الحضارات العربيّة وفي طليعتها حضارات معين وسبأ وحمير، ومازالت أنحاء كثيرة من "العربيّة السّعيدة" حتّى اليوم تعجّ بالآثار والمنشآت العظيمة، التي تشهد على ما كان لهذا البلد العريق من نشاط حضاري واسع ومتنوّع خلال تلك العصور السّحيقة.

ولمّا جاء الإسلام وقامت الدّولة الإسلاميّة خدم اليمن ورجالاته الدّين والدّولة الجديدين، ثمّ لم تلبث أن أصبحت هذه الرّقعة من بلاد العرب جزءا لا يتجزّأ من كيان الدّولة العربيّة الإسلاميّة وعلى درجة عالية من الأهميّة في حسابات حكّامها ورجالاتها، وذلك رغم بقائها خارج دائرة مناطق الثّقل السّياسي المركزيّة في العالم الإسلامي خلافا لمنطقة الحجاز والشّام والعراق ومصر التي حظيت جميعها وفي أزمنة مختلفة بأن تكون مراكز ثقل سياسي فاعلة في تاريخ الدّولة الإسلاميّة.

غير أنّ المتأمّل في ما كتب حول تاريخ اليمن في العصر الإسلامي من بحوث ودراسات حديثة يلاحظ حاجة المكتبة التّاريخيّة المتزايدة لمجهودات بحثيّة أكاديميّة وافية تغطّي بالدّراسة فترات هامّة عديدة من تاريخ هذا البلد ظلّ بعضها مجهولا والبعض الآخر منها لم يقع تناوله بالبحث والدّرس بصورة شافية وكافية. وفي هذا الإطار جاءت دراستنا حول اليمن في العهد الأيّوبي، تحت إشراف أستاذنا الفاضل الدّكتور راضي دغفوس وبتوجيه منه، كمحاولة جدّية لرفع النّقاب عن طور من الأطوار المهمّة والمتميّزة في تاريخ هذا البلد ظلّ إلى حدّ السّاعة مغمورا في كثير من ملامحه ولم يحظ بعد بما يليق به من دراسات وبحوث مركّزة ووافية.

أولا: أهمية الموضوع ودواعي إختياره:

إذا كانت بلاد اليمن بما تمثّله من عمق تاريخي وثقل حضاري كبيرين حريّة بأن تظلّ على الدّوام محطّ إهتمام الباحثين في الحقل التّاريخي، فإنّ هذه الأحقّية ما تلبث أن تتحوّل إلى مطلب ملحّ ومتأكّد إذا تعلّق الأمر بفترة من الفترات الهامّة والبارزة في تاريخ هذا البلد شأن العهد الأيّوبي الذي رشّحته أهمّيته وأهّلته فرادته وخصوصيّته ليمثّل الإطار الزّماني، الذي تتنزّل فيه هذه الدّراسة وذلك لما كانت شهدته بلاد اليمن خلال ذلك العصر من تحوّلات سياسيّة وإقتصاديّة وحضاريّة جمّة كانت بمثابة المنعرج الحاسم في تاريخ هذه المنطقة من بلاد العرب وأساسا لتطوّرات جسيمة سيعكس معانيها بأكثرجلاء التّاريخ اللاّحق.

وقد قامت منذ نهاية القرن الماضي دراسات عديدة عن العهد الأيّوبي في بلاد اليمن جاءت في أغلبها في شكل مقالات وبحوث مقتضبة سلطّ فيها أصحابها الضّوء على التّاريخ السّياسي دون سواه ، وذلك بإستثناء محـــاولات كلّ من " مايلز " Miles و " بالوق " Balog التّي إهتمّت بموضوع العملة والنّقود ، في حين أغفلت بقيّة الجوانب الإقتصاديّة والحضاريّة، لتظلّ صورة ذلك العصر في الأذهان مبتورة وغير مكتملة . كما أنّ أغلب تلك الدّراسات رغم جدّيتها هي في حاجة إلى مراجعة لكونها لم تحظ بما يكفيها من مصادر أصليّة ظلّ بعضها إلى وقت قريب غير معروف والبعض الآخر منها لا يزال شتاتا في مختلف أنحاء العالم لم تطله جهود النّاشرين إلى حدّ السّاعة .

ولسنا هنا في مقام تقييم شامل للبحوث والدّراسات التي تناولت بلاد اليمن في العهد الأيّوبي وإنّما أردنا فقط الإشارة إلى ندرة الدّراسات المعمّقة والوافية حول هذا الموضوع وإلى ضرورة المساهمة في الإحاطة بهذه المرحلة المتميّزة من تاريخ بلاد اليمن ، وذلك عبر دراسة شموليّة ووافية تأخذ في الإعتبار مختلف مظاهر التطوّر التي شهدها هذا الإقليم في ظلّ حكم الأسرة الأيوبيّة سواء كان ذلك على المستوى السّياسي أو الإقتصادي أو الحضاري .

ولعلّ ما زاد همّتنا شحذا على تكملة هذا النّقص في تاريخ بلاد اليمن هو ما لاقيناه من تشجيع متواصل من لدن أستاذنا الفاضل الدّكتور راضي دغفوس ذي الإهتمامات اليمنيّة البارزة ، فقد وجّهنا إلى هذا المبحث وشجّعنا على طرقه بحماسه المعهود وإهتمامه المتزايد بتاريخ بلاد العرب الجنوبيّة ، فشدّ من أزرنا ويسّر لنا سبل السّفر إلى البلاد النّمساويّة أين تمكّنّا من الإطّلاع على جملة من المصادر النّادرة والدّراسات القيّمة التي لها صلة وثيقة بموضوع هذا البحث .

ثانيـــا : إشكالية الموضوع :

مثلما أشرنا إلى ذلك آنفا ، فإنّ من أبرز دواعي إقدامنا على هذه الدّراسة حول اليمن في العهد الأيّوبي هو خصوصيّة هذه المرحلة وأهميّتها كمنعرج حاسم في تاريخ هذه المنطقة من بلاد العرب الجنوبيّة ، بعد فترة ليست بالقصيرة من التشتّت السّياسي والمذهبي والرّكود الإقتصادي والحضاري .

فمع الأيّوبيين ستقطع بلاد اليمن تدريجيّا مع طور الإنقسام السّياسي والإختلاف المذهبي ، الذي كانت قد آلت إليه منذ أن تأكّد خروجها عن حضيرة الخلافة العبّاسيّة مع بداية القرن الثّالث للهجرة / التّاسع للميلاد وتحوّلها منذ ذلك الحين إلى مسرح للنّزاع والتّطاحن بين العديد من الكيانات السّياسيّة والدّينيّة المستقلّة ، التي كانت مطامحها في الغالب متعارضة مع فكرة النّظام السّياسي المركزي ومتنافية مع مبدأ الدّولة الموحّدة .

لكنّه إذا كان للدّولة الأيّوبيّة السّبق والفضل في عودة هذا الجزء المهمّش من بلاد العرب إلى خارطة العالم الإسلامي السنّي وإستيعابه من جديد لمفهوم الدّولة المركزيّة ، ممّا سيجعله قادرا على إستعادة وزنه الإستراتيجي في كيان الدّولة الإسلاميّة ، فإنّ هذه المهمّة لن تكون بالأمر الهيّن ولا بالعمل اليسير نظرا لما كان عليه الواقع السّياسي اليمني خلال تلك المرحلة من تاريخه من صعوبة وتعقيد كبيرين إضافة إلى مواطن الضّعف والهشاشة العديدة التي ظهر عليها الحكم الأيّوبي بهذا البلد طوال أغلب مراحله .

كما أنّ التّجربة السّياسيّة الأيّوبيّة رغم أهميّتها لن تؤدّي إلى تحقيق سلم شاملة ودائمة ببلاد اليمن ، ليظلّ الوضع السّياسي بهذا الإقليم يعيش حالة توتّر وإضطراب مستمّرين ، لاسيما بعد أن تأكّد عجز الدّولة الجديدة عن إقصاء الحركة الزّيديّة أبرز القوى المناوئة للحكم الأيّوبي طوال ذلك العهد .

وفي المقابل فإنّ آثار الحضور الأيّوبي ببلاد اليمن ستبدو بأكثر جلاء على المستوى الإقتصادي ، حيث ستشكّل هذه المرحلة بداية إنتعاشة إقتصاديّة جديدة وشاملة بعد فترة طويلة من التّراجع والرّكود كان عرفها هذا البلد منذ أن غدا مفتقرا لأدنى شروط الأمن والإستقرار السّياسيين . هذه الإنتعاشة التي تحقّقت بدفع من الأيّوبيين وظلّت مستجيبة إلى حدّ بعيد لأهدافهم ومطامحهم ، التي كانت من أوكد مشاغلها تعمير البلاد والإنتفاع بخيراتها ومواردها .

وبالتّوازي مع ذلك التطوّر السّياسي والإقتصادي الذي عرفته بلاد اليمن في ظلّ حكم بني أيّوب، سيشهد هذا الإقليم تحوّلات حضاريّة جسيمة ومتعدّدة إنعكست آثارها بوضوح على البنى الإجتماعيّة والثّقافيّة وتركت بصمات جليّة على الوجه العمراني لهذا البلد .

لأجل كلّ ذلك ، كان لا بدّ من ضرورة تحسّس هذه المرحلة التّاريخيّة المتميّزة بمختلف أبعادها عن قرب ورصد التّجربة الأيّوبيّة ببلاد اليمن في أوسع مستوياتها حتّى يتسنّى لنا إيلائها المنزلة التي تستحقّ في المسيرة التّاريخيّة والحضاريّة لهذا البلد . ذلك أنّ النّظرة القطاعيّة الضيّقة من شأنها أن تحدّ من أفق نتائج البحث وتحول دون الخروج بصورة مكتملة ووافية تعكس حقيقة الموقف التّاريخي والحضاري لهذه المنطقة من بلاد العرب طوال تلك المرحلة المتميّزة من تاريخها . وذلك ما جعلناه في مقدّمة إهتمامنا في هذه الدّراسة ، كما يعكس ذلك المنهج الذي توخّيناه لهذا الغرض .

ثالثا : منهج الدّراسة :

لقد سلكنا في هذه الدّراسة منهجا حاولنا من خلاله تركيز الإهتمام على فكرة محوريّة تتمثّل في إبراز دور الأيّوبيين في كلّ ما عرفته بلاد اليمن في ظلّ حكمهم من تطوّرات وتحوّلات سياسيّة وإقتصاديّة وحضاريّة مع التّأكيد على مظاهر التّواصل الموروثة عن الأزمنة السّابقة، ذلك أنّ الفصل الصّارم في هذا المضمار من شأنه أنّ يضيّق زاوية النّظر ويحدّ من أفق البحث . لذلك سمحنا لأنفسنا إستنادا لهذه الإعتبارات وحرصا على إبراز ظاهرة التطوّر التي شهدها العهد الذّي هو موضع إهتمامنا في هذه الدّراسة أن نولي إلتفاتة إلى ما سبقه من أزمنة .

وخدمة لهذا الغرض قسّمنا بحثنا هذا إلى ثلاثة أبواب رئيسيّة تناولنا في الباب الأوّل منها الأوضاع والتطوّرات السّياسيّة التي سبقت التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن ومهدّت له ، فسلّطنا الأضواء في الفصل الأوّل منه على حالة الإنقسام السّياسي والإختلاف المذهبي التي كانت سائدة ببلاد اليمن قبل مجيء الأيّوبيين، مبرزين في هذا المنحى أهميّة هذه الأوضاع كإحدى الأسباب الموضوعيّة التي دفعت بأسرة صلاح الدّين إلى التطلّع تجاه هذه المنطقة من بلاد العرب . في حين كان إهتمامنا قد تركّز في الفصل الثّاني من هذا الباب على التطوّرات والظّروف ، التي رشّحت الأيّوبيين للبروز بمنطقة الشّرق الإسلامي عامّة ، حاصرين الإهتمام في كلّ ذلك حول قضيّة أساسيّة هي قضيّة الأهداف والغايات التي كان يرمي إليها الأيّوبيون من خلال إستيلائهم على بلاد اليمن. وقد بيّنّا في هذا السّياق أهميّة الأهداف الإستراتيجيّة و الغايات الإقتصاديّة كدوافع رئيسيّة تحكّمت في الخطوة التوسّعيّة التي أتتها الدّولة الأيّوبيّة في إتّجاه البلاد اليمنيّة ذات الموقع الإستراتيجي المتميّز والطّاقات الإقتصاديّة الضّخمة .

أمّا الباب الثّاني والأساسي من هذا البحث فقد تعرّضنا فيه إلى مختلف الأطوار السّياسيّة التي عاشتها بلاد اليمن تحت الحكم الأيّوبي وقد أشرنا في هذا الإطار إلى مرور الدّولة الأيّوبيّة ببلاد اليمن بثلاثة أطوار سياسيّة متباينة تعرّضنا إليها بالشّرح والتّحليل على إمتداد ثلاثة فصول ، حيث تعرّضنا في الفصل الأوّل منها إلى مرحلة تركيز قواعد الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن ، مبيّنين في هذا السّياق الجهود الهامّة التي بذلتها أسرة صلاح الدّين على إمتداد عقدين من الزّمن من أجل توطيد نفوذها بهذا البلد . أمّا الفصل الثّاني من هذا الباب فقد كان الإهتمام فيه منحصرا حول حالة الإختلال والإضطراب ، التي ما لبث أن عرفها الحكم الأيّوبي بهذه النّاحية من بلاد العرب بعد فترة تأسيس دامت أمدا طويلا وتكلّفت جهودا كبيرة ، وقد شرحنا أسباب هذا الإختلال بمظاهر الضّعف التي تخلّلت أجهزة الحكم والسّياسة الأيّوبيّة المتصلّبة التي إصطدمت بمراكز قوى لها وزنها كانت تأبى من جهتها الإنصياع والخضوع لمشيئة سلطة أجنبيّة دخيلة على البلاد . في حين كان الفصل الثّالث والأخير من هذا الباب قد أفرد للحديث عن طور التّراجع الذّي آل إليه نفوذ الأيّوبيين ببلاد اليمن، والذي كان قد كلّل بزوال ملك هذه الأسرة على يد مماليكها من بني رسول ، الذين أحكموا من جهتهم إستغلال الوضع لصالحهم ، ليتمكّنوا في الأخير من الإستقلال بالبلاد وبسط سلطانهم عليها خارج دائرة النّفوذ الأيّوبي .

في حين كان الباب الثّالث والأخير من هذا البحث قد خصّص لدراسة مظاهر التطوّر الإقتصادي والحضاري التي عاشتها بلاد اليمن في ظلّ الحكم الأيّوبي ، حيث أفردنا الفصل الأوّل منه إلى دراسة الحياة الإقتصاديّة بمختلف جوانبها، فبيّنّا الدّور البارز الذي كانت تلعبه تجارة عدن المزدهرة في تنشيط القاعدة الإقتصاديّة بهذا الإقليم . كما تعرّضنا في الأثناء بالشّرح لمختلف الأنشطة والتّنظيمات الإقتصاديّة الحضريّة الأخرى من صنائع وحرف وعملة ومكاييل وموازين ، وقد أشرنا في هذا الإطار إلى ما شهدته هذه الميادين الإقتصاديّة الحيويّة

من تطوّر ملحوظ بفضل جهود الأيّوبيين التّنظيميّة . لننهي هذا الفصل بالحديث عن النّشاط الفلاحي بإعتباره يعدّ من الرّكائز الأساسيّة، التي كانت تقوم عليها البنية الإقتصاديّة ببلاد اليمن طوال ذلك العهد .

أمّا الفصل الثّاني والأخير من هذا الباب فقد جعلنا منه نافذة لإلقاء إطلالة على أبرز مظاهر التطوّر الحضاري ، التي عاشتها بلاد اليمن خلال هذه المرحلة المتميّزة من تاريخها . فسلّطنا الأضواء على الحياة الإجتماعيّة من حيث بنية المجتمع وأشكال السّلوك الإجتماعي السّائدة . كما تعرّضنا في الأثناء بالدّراسة إلى مختلف مناحي الحياة الثّقافيّة ، فأشرنا إلى إزدهار الحركة العلميّة والفكريّة بهذا البلد بتشجيع من الأيّوبيين . لننهي هذه الدّراسة بالحديث عمّا شهدته الظّاهرة العمرانيّة ببلاد اليمن زمن الحكم الأيّوبي من نهضة وتطوّر جليّين ، حيث حصرنا الإهتمام في هذا الإطار على الجهود التي أتاها رجال الدّولة الأيّوبيّة في هذا المنحى ، وذلك من خلال إستعراضنا لأبرز المنجزات العمرانيّة التي أحدثت بهذا البلد طوال ذلك العهد سواء كان ذلك لأغراض دينيّة أو عسكريّة أو مدنيّة .

* عرض نقدي لأهمّ مصادر ومراجع البحث:

أولا : المصادر :

لقد إعتمدنا في إعدادنا لهذا البحث على مكتبة متنوّعة من المصادر المخطوطة والمطبوعة منها ما هو متقدّم عن الفترة المدروسة ، ومنها ما هو معاصر لها ، وبعض آخر منها متأخّر نسبيّا ولكنّه لا يقلّ أهميّة وجدوى عن المصادر المعاصرة أو القريبة من الحيّز التّاريخي الذي يتنزّل فيه موضوع هذا البحث ، وذلك بفضل ما ورد في هذه المصادر المتأخّرة من نقول من كتب هامّة لا تزال ضائعة ومفقودة . وفيما يلي عرض نقدي لأهمّ هذه المصادر مرتّبة حسب أهميّتها و نوعيّتها :

I - المؤلّفات التّاريخيّة :

يعتبر هذا الصّنف من المصادر من أهمّ المؤلّفات التي لا مناص من إعتمادها في مثل هذا العمل التّاريخي الشّمولي ، غير أنّه يمكن توزيع هذه الفئة الأولى من المصادر إلى مجموعتين متباينتين من حيث نوعيّة ودائرة إهتمام كلّ واحدة منهما ، وهما مجموعة المؤلّفات التّاريخيّة اليمنيّة ومجموعة المؤلّفات التّاريخيّة غير اليمنيّة :

1 - المـــؤلفات التاريخية اليمنيّـــة :

تنقسم بدورها إلى مجموعتين مختلفتين من حيث دائرة إهتمام أصحاب كلّ واحدة منهما ، فإذا كان إهتمام أصحاب المجموعة الأولى من هذه المؤلّفات قد شمل تاريخ بلاد اليمن عامّة حتّى أدرجت مصنّفاتهم ضمن كتب التّاريخ العام ، فإنّ المجموعة الثّانية قد إقتصر إهتمام أصحابها فيها على منطقة أو مدينة معيّنة من بلاد اليمن لذلك عرفت مصّنفاتهم بالتّواريخ المحليّة .

أ- تـــواريخ اليمــــن العامّـــة :

يعدّ كتاب " السّمط الغالي الثّمن في أخبار الملوك من الغزّ باليمن " لمؤلّفه محمّد بن حاتم اليامي المتوفّي بعد سنة 702هـ/ 1302م أهمّ مصدر يمني لا مناص من إعتماده لدارسة التّاريخ السّياسي لبلاد اليمن في ظلّ الحكم الأيّوبي[1]. وتكمن أهميّة هذا المؤلّف في أنّ صاحبه إبن حاتم اليامي المنحدر من سلالة بني حاتم الهمدانيين ملوك صنعاء ، قد عاش في فترة قريبة من العهد الأيّوبي وبالتّحديد خلال العصر الرّسولي الأوّل حيث كان مقرّبا لدى سلاطين بني رسول، الّذين كلّفوه بمهام إداريّة سامية في الدّولة [2] . فكان من جرّاء إطّلاعه على الوثائق الدّيوانيّة وقربه من رجال الدّولة وإحتكاكه المتين بهم أن تمكّن من كتابة تاريخ دقيق عن العهد الأيّوبي وعن العصر الرّسولي الأوّل ، حيث إبتدأ كتابه من دخول الملك المعظّم توران شاه إلى بلاد اليمن في غضون سنة 569هـ/ 1174م إلى نهاية الدولة الأيّوبيّة ، ثمّ من بدء الدّولة الرّسوليّة إلى عهد الملك الأشرف عمر وذلك في حدود سنة 694هـ/ 1294م [3].

ورغم أنّ صاحب " السّمط " قد بدا شديد الإهتمام بالتّاريخ السّياسي دون سواه ، فإنّ منهجه قد جاء في هذا المضمار متّسما بالدقّة والتحرّي

---

(1) فؤاد سيّد (أيمن) ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيّة ، القاهرة 1972م . ص 136، 356 - مصطفى (شاكر) ، **التّاريخ العربي والمؤرّخون** ، الطّبعة الأولى ، بيروت 1993م. ج4 ص 239-240 .

Smith (G.Rex) , " Ibn Hatim's Kitab al-Simt and its place in medieval yemenite historiography ", in *Dirasat fi Tarikh al-Jazira al-Arabiyya* , Riadh 1979.Vol II pp 63-68 .

(2) يذكر الخزرجي أنّ السّلطان المؤيّد دواد الرّسولي كان قد أرسل محمّد بن حاتم اليامي سنة 702هـ/ 1302م إلى حصن ظفار في سفارة ليتولّى بالنّيابة عنه عقد إتّفاق مع الأشراف الزّيديّة . الخزرجي (موفّق الدّين علي) ، **العقود اللّؤلؤيّة في تاريخ الدّولة الرّسوليّة** ، تحقيق محمّد بسيوني ، مركز الدّراسات والبحوث اليمني بصنعاء ، نشر دار الآداب ، بيروت 1983م . ج 1ص 338. فؤاد سيّد ، **مصادرتاريخ اليمن** ، ص136 .

Smith, *loc.cit*, p 66.

(3) إبن حاتم (محمّد اليامي) ، **السّمط الغالي الثّمن في أخبار الملوك من الغز باليمن** ، تحقيق ركس سميث ، لندن 1974م . فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص137 .

الشّديدين مع إلتزام الموضوعيّة والحياد . فعلاوة على تتبّعه الدّقيق وإلمامه الكبير بالمادّة التّاريخيّة ، كما يعكس ذلك إيراده لأكثر من خبر ولأكثر من رواية للحادثة الواحدة ، فإنّ " إسماعيليّته " لم تمنعه من أن يلتزم الحياد والنّزاهة في كتابة تاريخ دولة سنّية مناهضة للأفكار الشّيعيّة كالدّولة الأيّوبيّة .

يليه في الأهمّيّة كتاب " بهجة الزّمن في تاريخ اليمن " لمؤلّفه تاج الدّين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفّي سنة 744هـ/ 1343م [1] . وقد ألّف إبن عبد المجيد هذا الكتاب بطلب من النّويري الذّي سأله إطلاعه على شيء من أخبار اليمن [2] ، فجاء مصنّفه موجزا مقتصرا على سرد أهمّ الأحداث السّياسيّة التي عرفتها بلاد اليمن طوال السّتة قرون الأولى للهجرة . كما تضمّن كتاب " مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزّمان " لصاحبه أبي محمّد اليافعي المتوفّي سنة 768هـ/ 1366م أخبارا كثيرة ومتنوّعة عن بلاد اليمن في العهد الأيّوبي أخذ أغلبها عن إبن سمرة الجعدي [3] .

أمّا أبو الحسن علي الخزرجي المتوفّي سنة 812هـ/ 1410م فرغم أنّه إعتنى في مؤلّفه " العقود اللّؤلؤيّة في تاريخ الدّولة الرّسوليّة " بأخبار العائلة الرّسوليّة التي عاش في كنفها [4] ، فإنّ ذلك لم يمنعه من إيراد عديد الأخبار الهامّة والنّادرة عن الأيّوبيين ، وهو ما جعل كتابه من هذه الزّاوية لا يخلو من فائدة لاسيما فيما يتعلّق بالتّاريخ السّياسي لبلاد اليمن في ظلّ حكم هذه الأسرة .

كما يعتبر كتاب " قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون " لإبن الدّيبع وجيه الدّين عبد الرّحمان الشّيباني المتوفّي سنة 944هـ /1537م من أبرز المؤلّفات التّاريخيّة العامّة التي تناولت تاريخ اليمن بما في ذلك العهد الأيّوبي[5] . وتكمن أهمّيّة كتاب إبن الدّيبع هذا في أنّه إحتوى على أخبار نقلها عن كتاب قيّم للخزرجي لم يصل إلينا وهو " العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في من ولي اليمن من الملوك " [6] .

ويبقى كتاب " غاية الأماني في أخبار القطر اليماني " لصاحبه يحي بن الحسين الصّنعاني المتوفّي سنة 1100هـ/ 1688 م [7] من أبرز المصادر التي

---

(1) فؤاد سيّد (أيمن) ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ص 136، 356 .

(2) المرجع نفسه ، ص 136، 356 .

(3) فؤاد سيّد ، المرجع نفسه ، ص147 . مصطفى ،التّاريخ العربي والمؤرّخون ، ج 4ص 243.

(4) فؤاد سيّد ، المرجع نفسه ، ص161 . مصطفى ،المرجع نفسه ، ج 4ص 247 .

(5) فؤاد سيّد ، المرجع نفسه ، ص200-201 . مصطفى ،المرجع نفسه ، ج 4ص 256 .

(6) مصطفى ،المرجع نفسه ، ج 4ص 256 .

(7) فؤاد سيّد ، المرجع نفسه ، ص246 .

إستند إليها هذا البحث، رغم كونه يعدّ من المصادر المتأخّرة عن العهد الذّي هو موضع إهتمامنا في هذه الدّراسة . إذ إحتوى هذا الأثر على معلومات تاريخيّة قيّمة ومتنوّعة أغفلتها المؤلّفات التّاريخيّة اليمنيّةالأخرى، لعلّ أبرزها ما هو متّصل بالحركة الزّيديّة التي كانت تعدّ من أبرز القوى السّياسيّة القائمة ببلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي .

ورغم الميول الزّيديّة الواضحة ليحي بن الحسين الصّنعاني ، فإنّ كتابه " غاية الأماني " يظلّ من المصادر القيّمة التي لا غنى للباحث عنها في مثل هذه الدّراسة ، بإعتباره يكمّل جانبا مهمّا في تاريخ بلاد اليمن تجاهلته عن قصد المؤلّفات التّاريخيّة اليمنيّة الأخرى لاسيما السنيّة منها . كذلك شأن كتاب " اللّطائف السنّية في أخبار الممالك اليمنيّة " لصاحبه بدر الدّين محمّد بن إسماعيل الكبسي المتوفّى سنة 1308هـ/ 1891م [1]. وهذا الأثر لا يزال مخطوطا [2] ، وهو متضمّن لأخبار عمّال اليمن وملوكه وأخبارهم من أوّل الإسلام إلى سنة 1308هـ /1891م ، كما إحتوى على قسم هامّ عن دولة بني أيّوب وعن الدّويلات التي سبقتها ببلاد اليمن . لذلك فهو يعدّ من المصادر القيّمة والمفيدة لمثل هذه الدّراسة رغم تأخّره في الزّمن وإهتمام صاحبه المفرط بالتّاريخ السّياسي .

وعلى نهج الكبسي سار حسين بن أحمد العرشي المتوفّى سنة 1209هـ/ 1891م [3] في كتابه " بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولّى ملك اليمن من ملك وإمام " ، الذي إختصر فيه حوادث تاريخ اليمن من ظهور الإسلام حتّى سنة 1318هـ/ 1900م .

ب- التّواريخ المحليّة :

هي عبارة عن مؤلّفات إختصّت بأخبار مدينة أو جهة معيّنة من بلاد اليمن ، لذلك فهي تعتبر من أهمّ المصادر المفيدة لهذه الدّراسة لغزارة مادّتها وتنوّعها . ومن جملة التّواريخ المحليّة اليمنيّة التي تمّت الإستفادة منها في هذا البحث يمكن ذكر كلّ من كتاب " تاريخ صنعاء " لأبي العبّاس أحمد الرّازي المتوفّى سنة 500هـ/ 1106م [4] ، وهو تاريخ شامل لمدينة صنعاء وما جاورها من الأقاليم من عصر الرّسول إلى زمن المؤلّف . ورغم أنّ هذا المؤلّف يعدّ من المصادر المتقدّمة في الزّمن عن العهد الأيّوبي إلاّ أنّه يبدو على درجة عالية من الأهميّة ، لا سيما فيما يتعلّق بدراسة الجوانب العمرانيّة بمدينة صنعاء ، وذلك لإحتوائه على معلومات تاريخيّة غزيرة حول العديد من المنشآت والمنجزات العمرانيّة

---

(1) فؤاد سيّد ، مصادر تاريخ اليمن ، ص246 .

(2) لقد تمكنّا أثناء رحلتنا إلى البلاد النّمساويّة من الإطّلاع على نسخة من هذا الكتاب محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفيينّا تحت رقم . Glas.96 .

(3) فؤاد سيّد ، المرجع نفسه ، ص313-314 .

(4) المرجع نفسه، ص104 .

التي أنشأت بهذه المدينة خلال العهود الإسلاميّة الأولى والتي ظلّت قائمة حتّى العهد الأيّوبي . هذا فضلا عمّا تضمّنه هذا الكتاب من أخبار مهمّة عن تطوّر الحالة السّياسيّة بهذه النّاحية من بلاد اليمن خلال العهود التي سبقت مجيء الأيّوبيين .

ويبقى كتاب " المفيد في أخبار صنعاء وزبيد " لصاحبه عمارة اليمني المتوفّي سنة 569هـ/ 1173م [1] من المصادر الأساسيّة لدراسة الأوضاع السّياسيّة التي سبقت التدّخل الأيّوبي ببلاد اليمن ، ذلك أنّ صاحبه يعدّ من المعاصرين لهذه المرحلة الحاسمة في تاريخ اليمن السّياسي . وقد إعتمد عمارة اليمني في مؤلّفه المذكور على كتاب " المفيد في أخبار زبيد " لجيّاش بن نجاح الحبشي المتوفّي سنة 408هـ /1105م . وكان جيّاش ثالث ملوك بني نجاح بزبيد من أشهر الأدباء والمؤرّخين الذّين عرفتهم هذه المدينة ، لكنّ كتابه ظلّ مفقودا إلى حدّ السّاعة ولم يعثر عليه بعد [2] .

أمّا كتاب " تاريخ وصاب المسمّي الإعتبار في التّواريخ والآثار " لصاحبه وجيه الدّين عبد الرّحمان الوصابي المتوفّي سنة 782هـ/ 1380م فيعدّ أقدم التّواريخ اليمنيّة المحليّة التي نقلت لنا معلومات وأخبارا عن الأيّوبيين ببلاد اليمن ، وذلك رغم الإيجاز الشّديد الذي توخّاه صاحب هذا الأثر في هذا المضمار [3] .

وإذا ما كان كتاب الوصابي لا يتعرّض بصورة كافية للحضور الأيّوبي بمنطقة وصاب وبغيرها من الجهات المجاورة من بلاد اليمن ، فإنّ كتاب " بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد " لصاحبه عبد الرّحمان بن الدّيبع الشّيباني [4] قد جاء زاخرا بالأخبار والمعلومات المتنوّعة عن مدينة زبيد في ظلّ حكم بني أيّوب أو خلال العصور السّابقة ، فإضافة إلى ما يقدّمه هذا الأثر القيّم من معلومات ضافية ودقيقة تتعلّق بالتّاريخ السّياسي لهذه المنطقة فإنّه كان من جملة المصادر الأساسيّة التي تمّ الرّجوع إليها لدراسة النّواحي الثّقافيّة و العمرانيّة بهذه المدينة طوال العهد الأيّوبي .

كذلك شأن كتاب " تاريخ ثغر عدن " لأبي محمّد عبد الله الطيّب أبي مخرمة المتوفّي سنة 947هـ /1540م [5]، الذّي إحتوى بدوره على أخبار مفيدة عن أحوال عدن الإقتصاديّة والإجتماعيّة و الثّقافيّة والعمرانيّة زمن حكم بني أيّوب .

---

(1) فؤاد سيّد ، **مصادر تاريخ اليمن** ، ص108 • دغفوس ، " من مصادر تاريخ اليمن في العهد الإسلامي " المصادر التّاريخيّة لدراسة تاريخ مدينة زبيد اليمنيّة في الفترة الإسلاميّة الوسيطة " ، **الكرّاسات التونسيّة** ، عدد 113-114، سنة1980 م ص 222 .

(2) فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص108 • دغفوس ، **المرجع نفسه** ، ص 223 .

(3) الوصابي (وجيه الدّين عبد الرّحمان) ، **تاريخ وصاب** ، تحقيق عبد الله محمّد الحبشي ، الطّبعة الأولى مركز الدّراسات والبحوث اليمني ، صنعاء 1979م .

(4) فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص201 • دغفوس ، " إبن الدّيبع مؤرّخ اليمن وزبيد " ، **حوليّات الجامعة التونسيّة** ، عدد 18، 1980م ص32-74 .

(5) فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه**،ص305-306 • مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرّخون** ، ج4 ص258 .

وقد ورد هذا الكتاب في قسمين ، قسم أوّل جمع فيه صاحبه من الأحاديث والآيات والأشعار وغيرها ، وقسم ثان ذكر فيه من نشأ بعدن أو وردها من العلماء والصّلحاء والملوك والوزراء والتجّار على ترتيب حروف المعجم[1] .

2 - المؤلفات التاريخية غير اليمنية :

لم يكن الإهتمام بتاريخ بلاد اليمن حكرا على رجالاتها فحسب ، فقد عني به أيضا غيرهم من أهل الأمصار الأخرى على إختلاف أصولهم وأنسابهم ، فجاءت آثارهم زاخرة بأخبار قيّمة ومتنوّعة عن هذا البلد طوال الفترة الإسلاميّة الوسيطة عامّة والعهد الأيّوبي بصفة خاصّة . ويمكن توزيع هذا الصّنف الثّاني من المؤلّفات التّاريخيّة بدوره إلى صنفين متباينين من حيث دائرة إهتمام أصحاب كلّ صنف منهما ، وهما صنف المؤلّفات التّاريخيّة العامّة و صنف تواريخ الدّول والبلدان .

أ- المؤلفات التاريخية العامة :

عديدة هي كتب التّاريخ العام التي تعرّضت للأيّوبيين ولحضورهم ببلاد اليمن رغم ندرة ومحدوديّة أخبارها في هذا المضمار مقارنة بما تورده بقيّة المؤلّفات التّاريخيّة لاسيما اليمنيّة منها . ومن أبرز كتب التّاريخ العام التي تمّت الإستفادة منها في هذه الدّراسة يمكن ذكر كلّ من " المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " لأبي فرج عبد الرّحمان بن الجوزي المتوفّي سنة 597هـ/ 1201م و" مضمار الحقائق في سرّ الخلائق " لتقيّ الدّين عمر الأيّوبي المتوفّي سنة 617هـ/ 1220م وكتاب " الكامل في التّاريخ " لعز الدّين بن الأثير الجزري المتوفّي سنة 630هـ/ 1233م و" تاريخ مختصر الدّول " لغريغوريوس بن العبري المتوفّي سنة 688هـ /1286م و " المختصر في أخبار البشر " لعماد الدّين إسماعيل الأيّوبي المعروف بأبي الفدا والمتوفّي سنة 732هـ/ 1331م و"البداية والنّهاية في التّاريخ " لعماد الدّين بن كثير المتوفّي سنة 744هـ/ 1372م ، إلى جانب كتابي " العبر في خبر من غبر " و" دول الإسلام " لشمس الدّين الذّهبي المتوفّي سنة 748هـ /1347م .

أمّا من مؤرّخي القرن التّاسع هجري /الخامس عشر ميلادي فقد تمّ الرّجوع إلى كلّ من " تاريخ الدّول والملوك " المعروف بتاريخ إبن الفرات لصاحبه محمّد بن الفرات المتوفّي سنة 808هـ/ 1406م وكتاب " العبر " لعبد الرّحمان بن خلدون الحضرمي المغربي المتوفّي سنة 845هـ/ 1441م .

وهذه المؤلّفات تمّت الإستفادة منها بدرجة أولى فيما يتصّل بتاريخ الأيّوبيين قبيل تطلّعهم ناحية بلاد اليمن ، وذلك لفهم الظّروف والتطوّرات التي أحاطت بهذا التحوّل الإستراتيجي الهام في السّياسة الأيّوبيّة ، لذلك فهي لا تخلو من أهميّة وجدوى لمثل هذه الدّراسة .

---

(1) فؤاد سيّد، مصادر تاريخ اليمن، ص 306 • مصطفى، التاريخ العربي والمؤرّخون ، ج4 ص258 .

ب - تواريخ الدّول و البلدان :

يبقى هذا النّوع من الكتب من أبرز المصنّفات التّاريخيّة أهمية وجدوى لمثل هذه الدّراسة ، وذلك لما توفّره هذه المصادر المختصّة في الغالب من أخبار ومعلومات دقيقة ومتنوّعة أغفلتها كتب التّاريخ العام .

ومن أهمّ المؤلّفات التي تمّ الرّجوع إليها والإستفادة منها طوال مرحلة إعداد هذه الدّراسة يمكن ذكر كلّ من تواريخ الدّولة الأيّوبيّة شأن كتابي " الرّوضتين في أخبار الدّولتين " و" ذيل الرّوضتين " لأبي شامة شهاب الدّين المقدسي المتوفّي سنة 697هـ/ 1298م وكتاب " مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب " لجمال الدّين محمّد بن واصل الحموي المتوفّي سنة 736هـ/ 1335م و"الدرّ المطلوب في أخبار بني أيّوب " لعبد اللّه بن أيبك الدّوادار المتوفّي بعد سنة 736هـ / 1335م ، إلى جانب كتاب " السّلوك لمعرفة دول الملوك " لتقيّ الدّين المقريزي المتوفّي سنة 845هـ /1441م ، الذي إستهدف من تأليفه أن يكون تاريخا للأيّوبيين والمماليك حتّى عصره فغدا بذلك من المصادر الأساسيّة لتاريخ مصر في عهد هاتين الدّولتين .

يضاف إلى ذلك كتاب " شفاء القلوب في أخبار بني أيّوب " لأحمد بن إبراهيم الحنبلي المتوفّي سنة 876هـ / 1472م و " نزهة النّاظر وراحة الخاطر في جمع التّواريخ من كتاب غاية المطلوب في تاريخ بني أيّوب "[1] لخضر الآمدي المتوفّي سنة937 هـ/ 1531م وكتاب"الشّرفنامة في تاريخ الدّول والإمارات الكرديّة " للأمير شرف خان البدليسي المتوفّي بعد سنة 1005هـ / 1596م وكتاب " ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيّوب " لمحمّد المرتضى الزّبيدي المتوفّي سنة 1205هـ/ 1790م .

كما تعتبر تواريخ الدّولتين الأتابكيّة والفاطميّة من المصادر المهمّة لفهم الواقع السّياسي العام الذي حفّ بظهور الأيّوبيين ، وذلك نظرا للصّلة الوثيقة بين هاتين الدّولتين والدّولة الأيّوبيّة في عهودها الأولى . وفي هذا الإطار يمكن ذكر كلّ من كتاب " أخبار الدّول المنقطعة " لجمال الدّين بن ظافر الأزدي المتوفّي سنة 613هـ /1216م ، وقد تعرّض صاحب هذا الأثر إلى كثير من الدّول التي إنقطعت وخصّ الدّولة الفاطميّة باليمن بقسم منه[2]. كما يعدّ كتاب " الباهر في تاريخ الدّولة الأتابكيّة " لعزّ الدّين بن الأثير من أبرز المصادر التّاريخيّة التي أرّخت للأسرة الأيّوبيّة في أيّامها الأولى وذلك نظرا للعلاقة الوطيدة التي كانت قائمة بين هذه الأسرة والعائلة الأتابكيّة، التي كان من أبرز رجالاتها عماد الدّين زنكي وإبنه نور الدّين محمود .

---

(1) لا يزال هذا الكتاب مخطوطا وقد إطّلعنا على نسخة منه محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفيننا تحت رقم Mixt.355 .

(2) فؤاد سيّد ، مصادر تاريخ اليمن ، ص121.

ولمزيد إلقاء الضوء على الظروف والأوضاع السّياسيّة التي أدّت بأسرة صلاح الدّين إلى الظّهور على مسرح الأحداث في كلّ في الشّام و البلاد المصريّة ، كان لا بدّ من الرّجوع إلى الكتب التي ألّفت في تاريخ هذين البلدين شأن " ذيل تاريخ دمشق " لأبي يعلى حمزة التّميمي المعروف بإبن القلانسي والمتوفّى سنة 555هـ /1160 م و " المنتقى من أخبار مصر " لمحمّد بن ميسّر المتوفّى سنة 677هـ/ 1278م و كتاب " الدرّة المضيّة في أخبار الدّولة الفاطميّة " لإبن أيبك الدّوادار و " إتّعاظ الحنفاء بأخبار الأيمّة الفاطميّين الخلفاء " لتقيّ الدّين المقريزي ، إلى جانب كلّ من كتاب " النّجوم الزّاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة " لجمال الدّين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي المتوفّى سنة 874هـ /1469م و"حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة " لجلال الدّين السّيوطي المتوفّى سنة 911هـ/ 1505م و " أخبار الأول فيمن تصرّف في مصر من أرباب الدّول " لمنوفي عبد المعطي المتوفّى سنة 1060هـ/ 1650م .

كما تضمّنت كتب تواريخ مكّة والحجاز بدورها كثيرا من المعلومات القيّمة والمتنوّعة عن الحضور الأيّوبي ببلاد اليمن ، وهي من هذا المنظور تبدو مكمّلة لما أوردته تواريخ اليمن في هذا المنحى . وذلك ما نلمسه بوضوح في كلّ من " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " و " العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين " لتقيّ الدّين الفاسي المتوفّى سنة 832هـ/1429 م و" الذّهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك " لتقيّ الدّين المقريزي و"إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى " للنّجم عمر بن فهد المتوفّى سنة 885هـ /1480م وكتاب " الدّرر الفرائد المنظّمة في أخبار الحاج وطريق مكّة المعظّمة " لعبد القادر الجزيري الأنصاري المتوفّى حوالي سنة 977هـ/ 1569م .

II - كتب الطّبقات والتّراجم والسّير :

على الرّغم ما توفّره المؤلّفات التّاريخيّة من معلومات غزيرة وقيّمة لا غنى للباحث عنها في مثل هذه الدّراسة ، فإنّ ما تضمّنته كتب الطّبقات والتّراجم والسّير من أخبار نادرة ومتنوّعة لها صلة بمختلف محاور هذا المبحث يجعلها تضاهي من حيث الأهميّة المصنّفات التّاريخيّة وقد ترقى عليها أحيانا بفرادة أخبارها ودقّة معلوماتها . غير أنّه يمكن توزيع هذا الصّنف الثّاني من المصادر بدوره إلى مجموعتين مختلفتين وذلك من حيث أهميّة كلّ منهما ودرجة الإستفادة الحاصلة منهما في هذه الدّراسة ، حيث نجد مجموعة أولى تضمّ المصنّفات اليمنيّة ومجموعة ثانية تضمّ المصنّفات غير اليمنيّة لاسيما الشّاميّة والمصريّة منها .

1 - كتب الطّبقات والتّراجم والسّير اليمنية :

عني اليمنيّون شأنهم في ذلك شأن غيرهم من سكّان الأمصار الأخرى بتدوين أخبار وتراجم الرّجالات البارزة من أهل بلدهم طوال الفترة الإسلاميّة الوسيطة عامّة وخلال العهد الأيّوبي بصفة خاصّة . ويعدّ الفقيه عمر بن سمرة

الجعدي المتوفّي في غضون سنة 586هـ / 1190م أقدم من ألّف في فنّ التّراجم وذلك من خلال أثره المعروف بـ " طبقات فقهاء اليمن " ، الذّي يعدّ بدوره من أقدم كتب الطّبقات اليمنيّة المعروفة إلى حدّ السّاعة [1].

وكان إبن سمرة قد أراد بتأليف هذا الكتاب أن يعرّف بكل فقيه يمني ظهر باليمن منذ عهد الرّسول (ص) إلى عصره هو [2]، لذلك جاء أثره متضمّنا لأخبار كلّ من تولّى الأحكام والقضاء والفقه طوال تلك الفترة ، حتّى إذا ما وصل للحديث عن معاصريه كانت تراجمه في هذا الباب محتوية على معلومات وأخبار على درجة عالية من الأهميّة . وتزداد هذه الأهميّة إذا علمنا أنّ الرّجل قد عاصر قسطا هامّا من الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن ، في حين كان الإهتمام الخاصّ الذّي أولاه هذا المؤلّف لأهل العلوم والمعارف خير سند لنا لكشف جوانب عدّة من الحركة العلميّة والثّقافيّة القائمة ببلاد اليمن طوال ذلك العهد .

كما لم تخل آثار الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الزّيدي المتوفّي سنة 614هـ/ 1217م من أخبار مفيدة وقيّمة عن علاقة الحركة الزّيديّة بالحكم الأيّوبي ببلاد اليمن ، كتلك التي نجدها في كتابه " الدّعوة السّريعة العامّة " [3] الذّي ورد في شكل سيرة ذاتيّة لصاحبه ومحاولة للتّعريف بدعوته وأهدافها وعلاقتها بالقوى السّياسية الأخرى ، وذلك ما نلمسه بوضوح من خلال الخطب والرّسائل الموجّهة من صاحب هذا الكتاب إلى بعض الملوك الأيّوبيين والتي يمكن إعتبارها من الوثائق الأصليّة التي تعود إلى ذلك العصر .

أمّا الكتاب الثّاني المنسوب بدوره إلى الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، والذّي جاء تحت عنوان " الأجوبة الكافية بالأدلّة الوافية عمّا سأل عنه الشّريف الفاضل نور الدّين الحسن بن يحي بن عبد الله بن سليمان بن الهادي إلى الحقّ الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة " [4]، فقد ورد في شكل أجوبة عن مساءلات تتّصل بالدّعوة الزّيديّة ومبادئها وأحكامها ونشاطها في عهد الإمام المذكور . وقد تضمّن هذا الأثر كسابقه جملة من الحقائق التّاريخيّة الهامّة ، لاسيما فيما يتعلّق بالعلاقة القائمة بين الحركة الزّيديّة تحت إمامة المنصور بالله عبد الله بن حمزة والدّولة الأيّوبيّة باليمن .

كما يعتبر كتاب " الحدائق الورديّة في مناقب أئمّة الزيديّة " لحميد بن أحمد المحلّي المتوفّي سنة 652هـ/ 1254م [5] من كتب السّير المهمّة لدراسة تاريخ اليمن الإسلامي عامّة والعهد الأيّوبي بصفة خاصّة . ورغم أهميّته وقيمته

----

(1) فؤاد سيّد ، مصادر تاريخ اليمن ، ص121.

(2) إبن سمرة (عمر) ، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيّد ، القاهرة 1957م .

(3) إطّلعنا على نسخة من هذا الأثر محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم Glas. 118.

(4) نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم Glas . 119.

(5) فؤاد سيّد ، المرجع نفسه ، ص127 .

التي لا تداني ، فإنّ هذا الأثر لا يزال مخطوطا في عدّة نسخ موزّعة بأنحاء عديدة من العالم [1]. و يشتمل هذا الكتاب على مقدّمة في بعض أخبار العترة النّبويّة وينقسم إلى قسمين ، قسم أوّل في سيرة الأئمّة إبتداء بالإمام علي بن أبي طالب إلى الإمام محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل الرسّي ، وقسم ثاني من سيرة الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسّي إلى سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله حمزة متولّي أمر الدّعوة الزّيديّة باليمن زمن حكم بني أيّوب .

أمّا كتاب " طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب " لصاحبه الأشرف عمر الرّسولي المتوفّي سنة 696هـ/ 1296م [2]فلا غنى للباحث عنه في مثل هذه الدّراسة . وقد ورد هذا الأثر كمختصر في أنساب العرب وقبائلهم إبتداء بنسب النبيّ (ص) وأنساب أصحابه وأنساب خلفاء بني أميّة وبني العبّاس ، ثمّ أنساب بني رسول ملوك اليمن . وقد ضمّن المؤلّف تراجم ملوك أسرته عديد الأخبار المهمّة تتّصل بملوك الأسرة الأيّوبيّة في اليمن ، فكان بذلك من المصادر القيّمة التي إرتكزت إليها هذه الدّراسة لاسيما فيما يتعلّق بالجانب السّياسي منها .

كما تمّت الإستفادة في الأثناء من بعض المؤلّفات اليمنيّة الأخرى المختصّة في فنّ السّير والتّراجم رغم تأخّرها في الزّمن عن العصر الذّي هو محطّ إهتمامنا في هذه الدّراسة ، شأن كتاب " التّرجمان المفتّح لكمائم البستان الجامع لأسماء جماهير الصّحابة والتّابعين والأئمّة السّابقين " لصاحبه عز الدّين محمّد بن أحمد المتوفّي بعد سنة 849هـ/ 1446م [3] .

وكما يشير إلى ذلك العنوان فقد تضمّن هذا الأثر تراجم صحابة النبيّ والتّابعين مع ذكر أخبار الأئمّة الذّين ظهروا ببلاد اليمن وبغيرها من الأقاليم الإسلاميّة إلى زمن المؤلّف . وقد ورد في قسمين، قسم أوّل إهتمّ فيه صاحبه بأخبار الصّحابة والأئمّة ، وقسم ثاني تعرّض فيه لنتف من أقوالهم وعلومهم ومآثرهم . ومن جملة من تعرّض لهم صاحب " التّرجمان " بالتّرجمة الإمام الزّيدي المنصور بالله عبد الله بن حمزة المعاصر لحكم بني أيّوب ، فكان بذلك كتابه من المصادر المهمّة لفهم واقع الحركة الزّيديّة وعلاقتها بالدّولة الأيّوبيّة في بلاد اليمن .

أمّا كتاب " الحدائق في أخبار ذوي السّوابق من آل الرّسول " لصاحبه إسحاق بن يوسف المتوفّي بعد سنة 1184هـ/1770م ، والذّي لا يزال بدوره مخطوطا [4] ، فقد ورد في شكل مختصر لتراجم وسير أئمّة الشّيعة بما في ذلك الأئمّة الزّيديّة باليمن زمن حكم بني أيّوب ، إبتداء بالإمام علي بن أبي طالب

---

(1) لقد تمكّنا من الإطّلاع على النّسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفيينّا تحت رقم Glas. 116.

(2) فؤاد سيّد ، مصادر تاريخ اليمن ، ص131.

(3) لا يزال هذا الأثر مخطوطا وقد تمكّنا من الإطّلاع على النّسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفيّنا تحت رقم . Glas28 .

(4) إطّلعنا على نسخة من الكتاب محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفيّنا تحت رقم Glas. 14 .

وصولا إلى الإمام المهدي لدين الله العبّاس بن أمير المؤمنين المنصور بالله الحسين بن القاسم المتوكّل على ربّ العالمين ، الذّي كانت دعوته قد إنتظمت ببلاد اليمن في غضون سنة 1161هـ / 1748م .

ب- كتب الطّبقات والتّراجم والسّير غير اليمنية :

شغف الشّاميون والمصريّون على وجه الخصوص بهذا الفنّ الأدبي التّاريخي ، فصنّفوا فيه المصنّفات العديدة العامّة منها والخاصّة كلّ حسب ميوله وإتّجاهاته ، فجاءت بذلك مؤلّفاتهم مليئة ومتنوّعة بالأخبار القيّمة التي ليس من اليسير تحصيلها في غيرها من المصادر الأدبيّة .

ومن أبرز هذه المصنّفات يمكن ذكر كلّ من " خريدة القصر وجريدة العصر " وبالتّحديد الجزء الثّالث من قسمه الثّاني في ذكر شعراء الشّام لصاحبه العماد الكاتب أبي عبد الله محمّد الأصفهاني المتوفّي سنة 597هـ /1201م ، وقد أورد هذه المؤلّف أخبارا عديدة عن أهل اليمن نقل جزءا كبيرا منها عن عمارة اليمني (1) .

ويعتبر كتاب " النّوادر السّلطانيّة في المحاسن اليوسفيّة " لصاحبه بهاء الدّين بن شدّاد المتوفّي سنة 632هـ / 1239م من المصادر القيّمة التي ألقت كثيرا من الضّوء على شخصيّة صلاح الدّين الأيّوبي وعلى الدّولة الأيّوبيّة في بداية عهدها .

أمّا كتاب " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان " لصاحبه أبي العبّاس شمس الدّين أحمد بن خلكان المتوفّي سنة 681هـ / 1282م فقد تضمّن تراجم شخصيّات عديدة من ملوك الأسرة الأيّوبيّة الذين حكموا بلاد اليمن ، فكانت أخباره في هذا المنحى منطوية على كثير من الأهميّة . كذلك شأن كلّ من " فوات الوفيات والذّيل عليها " لمحمّد بن شاكر الكتبي المتوفّي سنة764 هـ/ 1362م و" الوافي بالوفيات " لصلاح الدّين الصّفدي المتوفّي سنة 764هـ /1363م و" طبقات الشّافعيّة الكبرى " لتاج الدّين السّبكي المتوفّي سنة 771هـ / 1369م وكتاب " الجوهر الثّمين في سير الملوك والخلفاء والسّلاطين " لإبراهيم بن دقماق المتوفّي سنة 809هـ /1406م ، إلى جانب كلّ من كتاب " المقفّى الكبير " لتقيّ الدّين المقريزي الذّي إشتمل بدوره على تراجم لأهل مصر وعلى تفصيلات دقيقة تتّصل بنهاية العهد الفاطمي وبداية العهد الأيّوبي .

في حين كان كتاب " الكواكب الدريّة في السّيرة النّوريّة " لصاحبه بدر الدّين بن قاضي شهبة المتوفّي في غضون سنة 874هـ /1470م من جملة المصادر الأساسيّة، التي تمّ الرجوع إليها لتقصّي الظّروف التي أدّت بالأسرة الأيّوبيّة إلى الظّهور على مسرح الأحداث السّياسيّة بمنطقة الشّرق الإسلامي عامّة لاسيما في أيّام السّلطان نور الدّين محمود صاحب دمشق ، الذي يعود له الفضل في بروز نجم صلاح الدّين الأيّوبي ودفعه عن قصد أو عن غير قصد إلى إنتهاج سياسة توسّعيّة كانت من أبرز محطّاتها البلاد اليمنيّة .

---

(1) فؤاد سيّد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، ص114

III - الموسوعات:

إزدهر فنّ الكتابة والتأليف في كلّ من مصر والشّام في عصر دولة المماليك الأولى إزدهارا لا مثيل له ، حتّى وصف هذا العصر بأنّه عصر الإبداع والإستنباط العلمي والأدبي . وقد تجلّى هذا الإزدهار بالخصوص في بروز إتّجاه جديد في التّصنيف تميّز بالشّموليّة والتنوّع وإتّساع آفاق موضوعاته .

ومن أبرز المصنّفات التي ألّفت خلال ذلك العهد والتي تمّ الرّجوع إليها رغم تأخّرها في الزّمن عن العهد الذي هو محطّ إهتمامنا في هذه الدّارسة ، يمكن ذكر كلّ من كتاب " نهاية الإرب في فنون الأدب " لصاحبه شهاب الدّين أحمد النّويري المتوفّي سنة 733هـ /1335م والذي يعتبر أولى الموسوعات التي ظهرت خلال العهد المملوكي ، وهو عبارة عن موسوعة في التّاريخ والأدب والعلوم . ويشغل القسم التّاريخي من هذا الكتاب حوالي النّصف خصّ فيه صاحبه بلاد اليمن بجملة من الأخبار الهامّة نقل أغلبها عن تاج الدّين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني صاحب كتاب " بهجة الزّمن في تاريخ اليمن " .

كما يعدّ كتاب " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " لشهاب الدّين أحمد بن فضل الله العمري المتوفّي سنة 749هـ /1349م من المؤلّفات الموسوعيّة الهامّة التي إهتمّت بأخبار بلاد اليمن . ورغم أنّ هذا المؤلّف يعتبر من المصادر المتأخّرة في الزّمن عن العهد الأيّوبي شأنه في ذلك شأن كتاب النّويري ، فإنّ ما تضمّنه من أخبار غزيرة ومتنوّعة عن طبيعة بلاد اليمن وأسواقها ومتاجرها ومزارعها جعله يكون من جملة المصادر القيّمة التي إرتكز إليها القسم المتعلّق بالحياة الإقتصاديّة من هذا البحث . كذلك شأن كتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " لصاحبه أحمد بن علي القلقشندي المتوفّي سنة 821هـ /1481م ، الذّي إحتوى بدوره على أخبار هامّة عن تراتيب أحوال اليمن نقل أغلبها عن إبن فضل الله العمري .

IV - كتب الجغرافيا والرّحلة :

إنطوى هذا النّوع من المؤلّفات على رصيد هائل من المعلومات التّاريخيّة المفيدة ، التي غالبا ما يحتاج إليها الباحث في الحقل التّاريخي والتي ليس من الهيّن تحصيلها في غيرها من المصادر . وتكمن أهميّة هذا النّوع من المصنّفات أساسا في أنّ أصحابها لم يغفلوا في أغلب الأحيان عن تدوين ما شاهدوه عن مظاهر الحياة المختلفة بالأقاليم التي زاروها أو التي بلغتهم أخبارها شأن البلاد اليمنيّة ، التي ظلّت على إمتداد تاريخها الطّويل محطّ إهتمام الجغرافيين والرحّالة على إختلاف عصورهم و أصولهم .

1 - كتب الجغرافيا :

حظيت بلاد اليمن زمن الحكم الأيّوبي على وجه الخصوص بإهتمام العديد من الجغرافيين لاسيما المعاصرين منهم ، فجاءت مصنّفاتهم غنيّة بالأخبار القيّمة والمتنوّعة عن مظاهر الحياة الإقتصاديّة والإجتماعيّة والعمرانيّة بهذا البلد طوال تلك المرحلة المتميّزة من تاريخه .

غير أنّه رغم أهميّة ووفرة كتب الجغرافيا المعاصرة لليمن الأيّوبي كان لا بدّ من الرّجوع إلى نظيراتها من المؤلّفات المتقدّمة أو المتأخّرة وذلك لمزيد التّحقيق فيما أوردته تلك المصادر المعاصرة من أخبار ولإبراز درجة التطوّر التي بلغها العصر الذّي هو موضوع إهتمامنا في هذه الدّراسة .

ومن جملة المؤلّفات الجغرافيّة المتقدّمة عن العهد الأيّوبي التي إهتمّت بأخبار بلاد اليمن كجزء من أجزاء العالم الإسلامي وفصّلت في الحديث عن جغرافيّته وسكّانه، يمكن ذكر كلّ من كتاب " المسالك والممالك " لعبيد الله بن خرداذبة المتوفّي سنة 272هـ/ 885 م ، الذّي تضمّن فصلا خاصّا بجنوب جزيرة العرب ، وكتاب " الأعلاق النّفيسة " لأبي علي أحمد بن رسته المتوفّي بعد سنة 290هـ/903م ، و" كتاب البلدان " لأحمد اليعقوبي المتوفّي سنة 292هـ/905م وكتاب " مختصر البلدان " لأحمد بن الفقيه الهمذاني المتوفّي في أواخر القرن الثّالث هجري / التّاسع ميلادي الذي تناول بكثير من التّدقيق جغرافية هذا البلد ومنتجاته وأنشطة سكّانه .

وإذا ما كانت مؤلّفات كلّ من إبن خرداذبة وإبن رسته واليعقوبي وإبن فقيه الهمذاني لا تحيط إحاطة وافية وكافية بأخبار بلاد اليمن رغم ما تورده حول جغرافيّة هذا البلد من معلومات هامّة وإلقائها الضّوء على كثير من خصائصه الطّبيعيّة والإقتصاديّة، فإنّ الحسن بن أحمد الهمداني المتوفّي سنة 334هـ/945م قد صبّ أغلب إهتمامه في مؤلّفه " صفة جزيرة العرب " على البلاد اليمنيّة حتّى غلب عليه لقب " لسان اليمن " نظرا لمعرفته الجيّدة بهذه البلاد وتعصّبه الشّديد لها و لأهلها من قحطان .

و يظفر الباحث في " المسالك والممالك " لأبي إسحاق الإصطخري المتوفّي سنة 340هـ/951م وكتاب " صورة الأرض " لإبن حوقل النّصيبي المتوفّي سنة 367هـ/977 م و"نزهة المشتاق في إختراق الآفاق " لأبي عبد الله محمّد الإدريسي المتوفّي سنة 560هـ/1165م بمعطيات مكمّلة ومدعّمة للصّورة التي رسمها الهمداني عن بلاد اليمن . كما إحتوى " المشترك وضعا والمفترق صقعا " و " معجم البلدان" لياقوت الحموي المتوفّي سنة 621هـ/1224م على أخبار هامّة ومتنوّعة عن بلاد اليمن خلال الفترة الإسلاميّة الوسيطة عامّة .

ويبقى كتاب " تاريخ المستبصر " المسمّى " صفة بلاد اليمن ومكّة وبعض الحجاز " لجمال الدّين أبي الفتح يوسف بن يعقوب النّيسابوري المعروف بإبن المجاور والمتوفّي سنة 630هـ /1232م [1] أهمّ مصدر يمكن إعتماده لدراسة التّاريخ الإقتصادي والإجتماعي والعمراني لبلاد اليمن في ظلّ الحكم الأيّوبي .

وكان إبن المجاور تاجرا بحريّا يمتلك مركبا يسافر به في بحر العرب والمحيط الهندي ، فلمّا كانت سنة 618هـ /1220م عبر البحر من ثغر الدّيبل بالهند إلى عدن ومنها قام بجولة ببلاد اليمن فزار مدينة زبيد نحو ثلاث مرّات خلال سنوات 619 هـ /1221م و 624هـ/ 1226م و626 هـ /1228م ، كما كان متواجدا ببلاد العرب خلال سنة 627هـ /1229م .

وتكمن أهميّة إبن المجاور في أنّه زار بلاد اليمن في أواخر العهد الأيّوبي وهذا مهمّ للوقوف على آثار السّياسة الأيّوبيّة بهذا البلد ، كما أنّ أخباره التي أوردها عن هذا الإقليم هي حصيلة ملاحظاته المباشرة. وقد تناول صاحب " تاريخ المستبصر " بتفصيل كبير وممتع مختلف مظاهر الحياة الإقتصاديّة ببلاد اليمن ، فتحدّث عن تجارة عدن وعن مارافقها من تنظيمات جمركيّة وأمنيّة وقد شغل حديثه عن هذه المدينة جزءا هامّا من كتابه ناهز الخمس . كما تعرّض إبن المجاور بالذّكر لثروات هذا البلد ومنتجاته سواء منها الحرفيّة أو الفلاحيّة دون أن يغفل الحديث عن الأسواق اليمنيّة وعن وسائل التّبادل التّجاري المتداولة بها من أوزان ومقاييس ونقود .

ولأنّ منهج إبن المجاور في مؤلّفه كان يتّسم بالشّموليّة والتنوّع فقد إهتمّ أيّما إهتمام بمظاهر الحياة الإجتماعيّة السّائدة في كثير من البلاد اليمنيّة ، فوصف طقوس إحتفالات أهلها وعاداتهم في الأكل والشّرب والملبس والزّينة ، ثمّ إتّجه بأنظاره إلى العمارة والمنشآت العمرانيّة القائمة بهذا الإقليم فدقّق في وصفها وأرفق وصفه لها برسوم ومخطّطات قلّما نعثر لها على نظير في مصنّفات غيره من رحالات عصره.

كما لقيت بلاد اليمن حظّها من الذّكر والوصف في آثار العديد من الجغرافيين المتأخّرين عن العهد الأيّوبي ، شأن كتاب " آثار البلاد وأخبار العباد " لزكريّاء القزويني المتوفّي سنة682 هـ /1283م وكتاب " بسط الأرض في الطّول والعرض " المعروف بكتاب " الجغرافيا " لأبي الحسن علي بن موسى الشّهير بإبن سعيد المغربي والمتوفّي سنة 685هـ /1286م وكتاب " الرّوض المعطار في خبر الأقطار " لأبي عبد الله محمّد الحميري المتوفّي سنة 727هـ /1327م ، إلى جانب كتاب " تقويم البلدان " لأبي الفداء إسماعيل الأيّوبي المتوفّي سنة 732هـ /1331م .

---

(1) فؤاد سيّد ، مصادر تاريخ اليمن ، ص114 . إبراهيم بشير (بشير) " إبن المجاور : دراسة تقويميّة لكتابه " تاريخ المستبصر " . دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ، جامعة الرّياض . سنة 1979م الكتاب الأوّل ، ج 2ص41-60 .

(2) بشير إبراهيم ، المرجع نفسه ، ص 43. فؤدا سيّد ، المرجع نفسه . ص123 .

2- كتب الرّحلات :

لا يقلّ أدب الرّحلة في نظر المؤرّخ عن بقيّة الفنون الأدبيّة الأخرى سواء منها التّاريخيّة أو الجغرافيّة ، وذلك لما توفّره مؤلّفات الرّحّالة في الغالب من أخبار غزيرة ومتنوّعة هي حصيلة لمشاهداتهم وملاحظاتهم المباشرة . ويعدّ العهد الأيّوبي من أكثر العهود التي إزدهر خلالها أدب الرّحلات بما دوّنه كثير من الرّحالة لاسيما المسلمين منهم من أخبار أسفارهم وتنقّلاتهم ، فذكروا المدن التي نزلوا بها والمسافات التي إجتازوها والصّعوبات التي تغلّبوا عليها ، ووصفوا أشكال الحياة التي عايشوها بكثير من التّفصيل والتّدقيق . ولم تكن أخبار بلاد اليمن الواقعة في موضع متوسّط من العالم الإسلامي بمنأى عن إهتمامات وتطلّعات هؤلاء الرحّالة الذين وإن لم يحالف بعضهم الحظّ لزيارة هذه المنطقة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة ، فإنّ مرورهم بالقرب منها كان كافيا لتحصيل زاد قيّم من الأخبار المتنوّعة عنها .

ولأنّ الفائدة في البحث التّاريخي ، الذي من جملة أهدافه تحسّس مواطن التطوّر في الظّاهرة الإنسانيّة ، غير مقتصرة على المصادر المعاصرة فحسب فقد رأينا من الضّروري الرّجوع إلى مؤلّفات رحّالة بعضها متقدّم وآخر متأخّر عن العهد الأيّوبي وذلك لتحصيل مزيد من الفائدة وتوسيع أفق البحث .

ومن أبرز الرحّالة المتقدّمين الذين تضمّنت أخبارهم معلومات قيّمة عن بلاد اليمن يمكن ذكر الرحّالة الفارسي الأصل المدعو ناصري خسرو والمتوفّي سنة 488هـ /1060م . وكان ناصري خسرو المذكور قد بدأ رحلته المعروفة بـ "سفرنامة " من مدينة مرو في إتّجاه بلاد الشام ومنها إلى القدس فمكّة فمصر ليعود منها إلى موطنه مرو إنطلاقا من مكّة آخذا على طريق البصرة . وقد تضمّنت أخبار هذا الرّحالة معلومات قيّمة عن بلاد اليمن ، كحديثه عن زبيد وعن ملوك تهامة النّجاحيين الذين خلفوا الدّولة الزّيادية بهذه المنطقة[1] .

ولمّا كان العهد الأيّوبي ظهر أحد أعلام العرب الرحّالة وهو محمّد بن أحمد بن جبير الكناني المتوفّي سنة 614هـ /1217م وصاحب الرّحلة المعروفة بإسمه ، فقام برحلته الشّهيرة إنطلاقا من موطنه غرناطة بالأندلس قاصدا مكّة لأداء فريضة الحجّ فنزل الإسكندريّة ، ثمّ إجتازها إلى القاهرة ومنها إنتقل عبر وادي النّيل إلى مدينة قوص ، فبرّا إلى ميناء عيذاب أين إمتطى مركبا بحريّا لأحد

---

(1) خسرو (ناصري) ، سفرنامة : رحلة إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربيّة في القرن الخامس للهجرة ، ترجمة الدّكتور يحي الخشّاب ، بيروت 1983م ص125 .

العذابيين في إتّجاه مدينة جدّة لينتهي به المطاف عند مكّة ، وبعد أداء مناسك الحجّ إتّجه نحو العراق فالشّام ومنها عاد أدراجه إلى الأندلس[1] .

ورغم أنّ إبن جبير لم يعرّج على بلاد اليمن أثناء رحلته فإنّ الأخبار التي أوردها عنها وعن أهلها قد إنطوت على قدر كبير من القيمة والأهميّة ، كحديثه عن التجّار اليمنيّين والهنود الذين كانوا أكثر التجّار نشاطا على الطّريق الرّابطة بين قوص وعيذاب ، أو عند وصفه لطائفة من أهل السّراة اليمنيّين الوافدين على مكّة في موسم الحجّ ومعهم قوافل الأرزاق والفواكه ، أو أيضا عند حديثه عن موكب الملك سيف الإسلام طغتكين عندما نزل مكّة وهو في طريقه إلى بلاد اليمن وما تضمّنته أخباره في هذا المضمار من تفصيلات هامّة حول علاقة الحكم الأيّوبي في اليمن بإمارة الأشراف الهواشم الحسنيّين بمكّة .

وقد أكّد الأخبار التي دوّنها إبن جبير عن بلاد اليمن أثناء رحلته من أتى بعده من الرحّالة المسلمين المغاربة على غرار القاسم بن يوسف بن محمّد السّبتي المعروف بأبي القاسم التجّيبي والمتوفّي خلال سنة 730هـ /1339م[2] وقد دوّن هذا الرحّالة رحلته تحت عنوان " مستفاد الرّحلة والإغتراب " والمعروف منها الآن مجلّد واحد يتناول سفره للدّيار المصريّة وجدّة ومكّة وذلك خلال سنة 696هـ /1296م[3] .

أمّا الرحّالة المغربي الثّاني والذي تميّز عن سابقيه بدخوله لبلاد اليمن وزيارة بعض مدنها فهو محمّد بن عبد الله بن محمّد اللّواتي الطّنجي الشّهير بلقب إبن بطّوطة والمتوفّي سنة 770هـ /1368-1369م [4] . وقد دوّن إبن بطّوطة رحلته التي قادته حتّى بلاد الصّين تحت عنوان " تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " ، مضمّنا إيّاها كثيرا من الأخبار عن جهات عديدة من بلاد اليمن كوصفه لمدينة زبيد ولمدينة عدن ، مشيرا في هذا الصّدد إلى ما تميّزت به الأولى من كثرة البساتين ومظاهر الرّخاء وما إختصّت به الثّانية من حيويّة تجاريّة، وهي مظاهر موروثة في أغلبها عن العهد الأيّوبي تتطابق وما أورده إبن المجاور في هذا المنحى .

---

(1) الأنصاري (عبد القدّوس) ، " الجزيرة العربيّة في رحلتي إبن جبير والعبدري ، دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ، الرّياض 1979م . الكتاب الأوّل ج2 ص327 .

Daghfous (R), " Le Yaman dans les écrits des voyageurs d'Hérodote à l'anthropologie moderne ", in *Cahiers de Tunisie*, n° 145-146/147-148, T xxx II-XXXIII, pp43-82.

(2) المنوني (محمّد) . " الجزيرة العربيّة في الجغرافيا والرّحلات المغربيّة وما إليها ، " درسات تاريخ الجزيرة العربيّة ، الرّياض 1979م . ج 2ص314 .

(3) التجّيبي (القاسم) ، **مستفاد الرّحلة والإغتراب** ، تحقيق عبد الحفيظ منصور الدّار العربيّة للكتاب ، تونس 1975م .

(4) المنوني ، **المرجع نفسه** ، ص314 .

V - مصادر أخرى : وثائق الجنيزة اليهودية والمدوّنات الصّينية :

1 - وثائق الجنيزة اليهودية :

تعتبر وثائق الجنيزة اليهوديّة من أهمّ مصادر هذه الفترة وخاصّة فيما يتّصل بالتّاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمختلف البلدان التي عرفت الحضور اليهودي ، شأن بلاد اليمن زمن حكم بني أيّوب . و" الجنيزة " Geniza كلمة عبريّة مستمدّة من نفس الأصل الفارسي والعربي " جنازة " ، وهي مكانا دفنت فيه أوراق مستهلكة حتّى لا يدنّس إسم الله الذي يمكن أن يكون فيها[1] . في حين يرى بعضهم أنّها ربّما حرّفت عن كلمة " كنز " العربيّة خاصّة وأنّ المقصود بها هو حفظ أوراق لها أهمّيتها [2]. و" الجنيزة " على هذا النّحو تمثّل مستودعا للأوراق المستعملة المكتوبة باللّغة العربيّة ولكن بحروف عبريّة ، وهي الكتابة التي كان يستخدمها اليهود في بلاد العالم الإسلامي خلال ذلك العهد .

ويتعلّق موضوع هذه الوثائق في الأساس بالنّشاط الإقتصادي والإجتماعي لليهود بين بعضهم البعض ، كما تشتمل على مواضيع أسريّة وغير أسريّة تتّصل بالمعاملات التّجاريّة وبعقود الزّواج والطّلاق والإيجارات والأسعار والمقايضات والهبات ، بالإضافة إلى مئات الأوراق المحتوية على طلبات وشكاوي مرفوعة إلى السّلطات[3] .

وقد إكتشفت هذه الأوراق المهملة في نهاية القرن الماضي في " سيناقوق" Synagogue بن عذرة اليهودي بالفسطاط وكذلك في مقابر بعض اليهود بجهة البساتين جنوب القاهرة ، وذلك عندما هدم المعبد اليهودي وأعيد بناؤه

---

(1) Goitein (S.D) , art " Geniza , *EI* ^{2} , Vol II p 10.

(2) فؤاد سيّد (أيمن) ، الدّولة الفاطميّة في مصر: تفسير جديد ، الدّار المصريّة اللّبنانيّة ، 1992 م ص 23 .

(3) لمزيد من التّفاصيل حول هذا الموضوع راجع :

Goitein , " The Cairo Geniza as Source for the History of Muslim Civilisation", in *Studia Islamica*, Vol III (1955) . pp 75-91.
Ibid, *A Mediterranean Society* , California 1967. vol I, pp 1 -28 .
Ibid, *Letters of Medieval Jewish traders*, Princeton University - press, 1973.
Daum (Werner), " from Aden to India and Cairo : Jewish World trade in the 11th and 12 th centuries", in *Yemen, 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix*, I S B N , Austria 1988 . pp 167-173.

محمّد ربيع (حسنين) ، " وثائق الجنيزة وأهميّتها لدراسة التّاريخ الإقتصادي لموانيء الحجاز واليمن في العصور الوسطى ، دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ، الرّياض 1979م . الكتاب الأوّل ج2 ص 131-139 .

القوصي (عطيّة) ، " أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة " ، المجلّة التّاريخيّة المصريّة ، المجلّد عدد22 ,1975 م . ص17-39 .

خلال سنتي 1889-1890م . ثمّ سرعان ما عرفت هذه الوثائق المهمّة طريقها إلى خارج البلاد المصريّة وسعت إلى إقتنائها مكتبات أوروبّا والولايات المتّحدة الأمريكيّة ، وقد أخذ اليهودي Salamon Schechter كميّة كبيرة منها إلى مكتبة جامعة " كمبردج " وكوّن بها مجموعة Taylor - Schechter الشّهيرة حيث توجد أكبر مجموعة من هذه الوثائق بهذه المكتبة ، كما توجد مجموعة أخرى هامّة منها بالمكتبة الوطنيّة بفيّنا .

ورغم صدور هذه الوثائق عن أوساط يهوديّة فإنّها تمدّنا بمعلومات كثيرة عن الوضع الإقتصادي والإجتماعي السّائد بتلك المناطق التي يؤمّها هؤلاء اليهود كما هو حال بلاد اليمن زمن حكم الأيّوبيين ، حيث كانت عدن وصنعاء من أكثر المدن العامرة بجاليات يهوديّة كما تشير إلى ذلك مجموعة الرّسائل المتبادلة بين بعض اليهود المقيمين بهذا البلد وذويهم بكلّ من البلاد المصريّة والهند [1].

وقد توفّر على دراسة ونشر هذه الأوراق القيّمة الباحث اليهودي الأمريكي " صمويل . د . قويتين " Goitein .S.D ، الذي كتب سلسلة طويلة من المقالات والدّراسات تتعلّق بالنّشاط الإقتصادي والإجتماعي للعناصر اليهوديّة المتواجدة بجهات عديدة من العالم الإسلامي ، كما إهتمّ بدراسة هذه الوثائق كلّ من Mann (J) و Shakad (S) Stilmann (N.A) وحسنين محمّد ربيع .

2 - المدوّنات الصّينية :

كما تلقي أوراق الجنيزة اليهوديّة كثيرا من الضّوء على مظاهر الحياة الإقتصاديّة والإجتماعيّة السّائدة ببلاد اليمن زمن حكم الأيّوبيين ، فقد تضمّنت بعض المدوّنات الصّينيّة بدورها رصيدا هامّا من الأخبار القيّمة عن العلاقات التّجاريّة القائمة بين هذه المنطقة من البلاد العربيّة والبلاد الصّينيّة طوال الفترة التي هي محطّ إهتمامنا في هذا البحث . وهذه المدوّنات هي من عمل بعض مراقبي التّجارة والتّجّار في الموانيء الصّينيّة الرّئيسيّة ، أين كان هؤلاء المراقبون يدوّنون ما يصل إلى بلادهم بشيء كثير من التّفصيل .

وتعتبر المدوّنة المعروفة بعنوان " تشو- فان- تشي " (Chu-fan-chih) أو "وصف الأمم الأجنبيّة " لصاحبها " تشاو جو-كوا " (Chau ju - Kua) ، الذي عاش خلال النّصف الثّاني من القرن السّادس و النّصف الأوّل من القرن السّابع هجريين / الثّاني و الثّالث عشر ميلاديين ، من أبرز المدوّنات الصّينيّة التي وصلت إلينا ونقلت لنا أخبارا قيّمة عن العلاقات التّجاريّة القائمة بين بلاد اليمن والصّين طوال فترة حكم الأيّوبيين [2].

---

(1) Goitein, *Letters of Medieval Jewish traders*, pp 181-203.

(2) Ju-Kua (Chau) , *Descreption of the barbarian peoples*, trs. and eds . Friederich Hirth and W.W. Rockhill, St. Petersburg 1911 , reprint in New York 1966. pp35-36.

ومؤلّف هذه المدوّنة ينحدر من نسل أحد الأباطرة ، الذي عاش في أوائل القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي ، و كان قد عيّن ليشغل منصب مراقب التّجارة الخارجيّة في ميناء "تسوان-شو" Ts'uan-ch'au على شاطىء إقليم " فوكيين " Fu-kien في شرق الصّين ، وهو ما مكّنه من الحصول على معلومات غزيرة ومتنوّعة من التجّار الصّينيين والأجانب الذين كانوا يرتادون ميناء " تسوان-شو ". ثمّ إنّ " تشاو جو-كوا" عمد إلى تدوين كلّ الأخبار التي حصل عليها عن الأقطار التي كانت تربطها صلات تجاريّة ببلاده في مؤلّفه " وصف الأمم الأجنبيّة ".

ويبدو أنّ صاحب هذه المدوّنة الفريدة قد إستفاد كثيرا ممّا أورده مواطنه " تشوكو-فيي " (Chou k'u-fei) في كتابه من أخبار عن التجّار الأجانب الوافدين على البلاد الصّينيّة بما في ذلك تجّار البلاد العربيّة [1].

وينقسم كتاب " جو-كوا " إلى قسمين ، قسم أوّل يتناول فيه الأقطار والشّعوب التي كانت لها علاقات تجاريّة مع بلاده وقسم ثاني كان أفرده للحديث عن السّلع والمتاجر المتبادلة بين البلاد الصّينيّة وبقيّة الأقاليم الأخرى . وتنال البلاد العربيّة في القسم الأوّل من هذا الكتاب حظّا لا بأس به ، فهو تارة يذكر بلاد العرب عامّة وتارة يشير على وجه التّخصيص إلى بعض المدن والأقاليم فيذكر مكّة Ma-kia [2] وصحار WU-PA ومرباط Ma- la-mo والشّحر Shi-ho وظفار Nu-Fa وعمان Yung-man والبحرين Pai-lien ، ويستعمل "جو-كوا " كلمة " تاشي " Ta-shi بشكل عام ليعني بها العرب أو بلاد العرب أو المسلمين وبلاد الإسلام [3].

ويتناول المؤلّف في القسم الثّاني من مدوّنته أصناف السّلع والبضائع التي كانت تحمل إلى الصّين من البلاد العربيّة بما في ذلك البلاد اليمنيّة ، فيتحدّث عن اللّبان ويذكر أنّه يوجد منه ثلاثة عشر نوعا مدرجة على أساس ما في كلّ نوع منها من الجودة وقوّة الرّائحة[4] ، ويذكر خشب السّابان وهو المعروف في اللّسان العربي بإسم " البقم " فيشير إلى إستعماله في الدّباغة ، وعندما يتحدّث عن اللّؤلؤ [5] يصف طرق تحصيله في خليج بحر العرب [6].

وكان " ج. قوتيه " G.Gautier أوّل باحث غربي إهتمّ بهذا الكتاب حيث نقل منه فصلا يتحدّث فيه صاحبه عن بطريك النّساطرة ، لكنّه لم يظهر بأكمله للتّداول إلاّ بعد أن قام كلّ من الباحثين " فرديريك هيرث " Friedrich Hirth "

---

(1) زيادة (نقولا) ، "الجزيرة العربيّة في أخبار المؤلّفين الصّينيين ، " دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ، الرّياض 1979م . الكتاب الأوّل ج2 ص29-40 .

(2) Ju-Kua, *Descreption of the barbarian peoples*, p 22.

(3) Ibid,pp 114-119.

(4) Ibid,p 195-196.

(5) Ibid, p 227.

(6) Ibid, pp 227,230.

و. و. روكهيل " Rockhill. W.W بترجمته إلى الأنقليزيّة ترجمة كاملة مع إيراد هوامش مفصّلة له . وقد نشر هذا الكتاب أوّل مرّة في مدينة بطرسبورغ (لينينغراد اليوم) بتاريخ 1911م ، ثمّ أعيد نشره بنيويورك خلال سنة 1966م .

ورغم ما مثّلته كلّ أنواع المصادر التي ذكرت آنفا من دعامة أساسيّة إرتكز إليها هذا البحث بمختلف محاوره وجوانبه ، فإنّه لا يسعنا في المقابل إلاّ أنّ ننوّه بأهميّة وقيمة الدّراسات والبحوث الحديثة العامّة منها والمتخصّصة ، والتي أعتمدت في الأثناء كمراجع أنارت أمامنا الطّريق كلّما عسر الأمر وإشتبهت السّبل.

ثانيا : المراجع :

ما من شكّ في أنّ الدّراسات الحديثة العديدة والمتنوّعة التي تناولت مسائل مختلفة ومواضيع متفرّقة لها صلة من بعيد أو من قريب بموضوع بحثنا قد أنارت لنا الطّريق ويسّرت لنا فهم وتفسير كثير من الإشكالات التي إعترضتنا طوال مرحلة إعداد هذه الدّراسة .

وكما تنوّعت هذه الدّراسات بين دراسات إستشراقيّة وأخرى عربيّة فقد تباينت كذلك من حيث مضامينها ومحاور إهتمام أصحابها ، التي كانت في الغالب منصبّة على التّاريخ السّياسي في حين لم يلق التّاريخ الإقتصادي والحضاري العناية التي يستحقّ وظلّ خارج دائرة إهتمام أغلب هؤلاء الدّارسين .

وتبعا لذلك يمكن توزيع مجموعة هذه الدّراسات إلى ثلاثة أصناف ، صنف أوّل إهتمّ فيه أصحابه بالتّاريخ السّياسي ، وصنف ثان تناول بالدّرس التّاريخ الإقتصادي ، وصنف ثالث ذو مضامين حضاريّة متنوّعة .

I- دراسات التّاريخ السّياسي :

تتمثّل هذه الدّراسات أساسا في البحوث التي تناولت التّاريخ السّياسي لبلاد اليمن وللدّولة الأيّوبيّة ، وفي طليعتها بعض المقالات الموجزة التي تعرّضت للحكم الأيّوبي ببلاد اليمن على غرار محاولات كلّ من " مايلز " Miles"[1] "ومايكل باتس" Michael Bates [2] و"ركس سميث" Smith .G.R. [3]

---

(1) Miles (G.C) , " The Ayyubid dynasty of the Yemen and their coinage", in *Numismatic Chronicle*, 5ème serie, 19 (1939) , pp 62-94 .

(2) Bates (M), " The Roots of Ayyubids Expansionism, 1169-1183 , With dealt which the Yemen as Well as Nubia and al-Magrib ", in *The 4th Annual Meeting of the Middle East Studies Association in colombus*, Ohio November 1970 .

(3) Smith (G.R), " The Ayyubids and Rasulids, the transfer of power in 7 th/ 13 th century, Yemen " in *Islamic Culture,* 1969 , pp 175-188.

ومحمّد عبد العال أحمد [1] ومحمود ياسين التّكريتي [2] وخليل شاكر حسين [3].
تليها في الأهمّيّة مراجع التّاريخ اليمني العامّة كدراسات أحمد حسين شرف الدّين [4] وحسن سليمان محمود [5] ومحمود كامل المحامي [6] وعبد الله الثّور [7].

أمّا عن مراجع تاريخ الأيّوبيين فنجد في طليعتها بعض المقالات المتخصّصة، كتلك التي كتبها كلّ من "شتروتمان Strothmann" [8] و"كلود كاهن Cahen. Cl" [9] في دائرة المعارف الإسلاميّة الطّبعتين الأولى والثّانية. تليها الدّراسات التي تناولت تاريخ الأيّوبيين في كلّ من مصر والشّام والحجاز على غرار محاولات كلّ من محمّد أمين [10] وباقاسي عائشة [11] وحمدي عبد المنعم حسين [12] وجمال الدّين الشيّال [13] وسعيد عبد الفتّاح عاشور [14] والسيّد الباز العريني [15]، إلى جانب كتابات كلّ من "إليسيّيف Elisséeff.N" [16]

---

(1) عبد العال أحمد (محمّد) ، " دراسة حول أقوال المؤرّخين عن أسباب الفتح الأيّوبي لليمن، " **مجلّة معهد المخطوطات العربيّة** ، عدد13 (1967 م) ص 319-338.

(2) التكريتي (محمود ياسين) ، " الأيّوبيون في اليمن " ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، كليّة الآداب بجامعة الموصل ، العدد الثّاني عشر1400 هـ 1980م .

(3) شاكر حسين (خليل) ، " تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن "، بحث مقدّم إلى النّدوة العلميّة **حول اليمن عبر التّاريخ** ، عدن 23-25 سبتمبر 1989م . ص47-64 .

(4) حسين شرف الدّين (أحمد) ، **اليمن عبر التّاريخ** ، القاهرة1964 م .

(5) سليمان محمود (حسن) ، **تاريخ اليمن السّياسي في العصر الإسلامي** ، بغداد1967 م .

(6) كامل (محمود) ، **اليمن شماله وجنوبه : تاريخه وعلاقاته الدوليّة** ، بيروت 1968م .

(7) الثّور (عبد الله) ، **هذه هي اليمن** ، بيروت1985 م .

(8) شتروتمان (س) ، مادّة " توران شاه "، **دائرة المعارف الإسلاميّة** ، **الطّبعة الأولى** ، المجلّد الرّابع ، ص980 .

(9) Cahen (Cl), art " Ayyubides", *EI*^{2}, Vol I pp 820-830 .

(10) أمين (محمّد) ، **صلاح الدّين الأيّوبي بين العبّاسيين والفاطميّين والصّليبيين** ، بيروت 1995 م.

(11) باقاسي (عائشة) ، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي**،دار مكّة المكرّمة للطّباعة والنشر والتّوزيع1980م .

(12) عبد المنعم حسين (حمدي) ، **دراسات في تاريخ الأيّوبيين والمماليك** ، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندريّة 1996م.

(13) الشيّال (جمال الدين) ، **تاريخ مصر الإسلاميّة** ، دار المعارف ، القاهرة 1967م .

(14) عبد الفتّاح عاشور (سعيد)، **مصر والشّام في عصر الأيّوبيين والمماليك** ، دار النهضة العربيّة القاهرة 1972م .

(15) الباز العريني (السيّد) ، **مصر في عصر الأيّوبيين** ، دار الثّقافة العامّة بوزارة التربيّة والتّعليم ، القاهرة 1960م .

(16) Elisseeff (N), *Nuraddin : un grand prince musulman de Syrie au Temps des Croisades*, Damas 1967 .

و" كاهـــن " Cahen . Cl. [1] و " أومفريز " Humphreys . R. S. [2] التي إهتـمّت بتاريخ الشّرق الإسلامي خلال فترة الحروب الصّليبيّة .

II - دراسات التّاريخ الإقتصادي :

رغم ندرة الدّراسات التي تناولت الحياة الإقتصاديّة ببلاد اليمن زمن حكم الأيّوبيين إلاّ أنّنا نعثر على بعض الدّراسات المتخصّصة و العامّة التي لها صلة من قريب أو من بعيد بهذا الموضوع . وتبقى أهمّ هذه الدّراسات محاولات كلّ من " قـويتـين " Goitein [3] و"سـرجـينت " Serjeant [4] و" مـايلـز " Miles " [5] و " بالوق " Balog [6] و"هايد " Heyd [7] و"فاريسكو " Varisco . D.M [8] و"آشتور " Ashtor [9] .

كمـا تضـمّنت أعـمـال كلّ من عـدنان التّـرسـيـسي [10] وشـاطر البـصيـلي [11] وربيع حـامـد خليـفـة [12] وحـسنين مـحـمّـد ربيع [13] ونقـولا

---

(1) Cahen, *Orient et Occident au Temps des Croisades,* Aubier Montaigne, paris 1983.

(2) Humphreys (R.S) , *From Saladin to the Mongols,* state University- press of New York, 1977 .

(3) Goitein (S.D) , *Studies in Islamic History and Institutions,* leiden -brill 1968.
Ibid, *Letters of Medieval Jewish traders,* princeton University- press 1973 .

(4) Serjeant (R.B) ," The cultuvation of cereals in Médieval Yemen", in *Arabian Studies,* Vol I (1974) .

(5) Miles (G.C) , " The Ayyubid dynasty of the Yemen and their coinage " , in *Numismatic Chronicle,* 19 (1939) .

(6) Balog (P) , *The coinage of the Ayyubids,* Royal Numismatic Society, London 1987 .

(7) Heyd (W.V), *Histoire du commerce du Levant au Moyen-Age,* edit Leizig : O. Harrosowitz 1923 .

(8) Varisco (D. Martin), " The production of Sorghum (durah) in highland Yemen" , in *Arabian Studies,* VII (1985) .

(9) آشتور (إيلياهو) ، **التّاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشّرق الأوسط في العصور الوسطى** ، ترجمة عبد الهادي عبله ومراجعة أحمد غسّان سبانو ، دار قتيبة للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، دمشق 1985م .

(10) ترسيسي (عدنان) ، **اليمن وحضارة العرب** ، بيروت 1969م . **بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى** ، بيروت 1990م .

(11) البصيلي (شاطر) ، " التّجارة الكارميّة " ، **المجلّة التّاريخيّة المصريّة** ، مجلّد عدد 13 (1967م) .

(12) حامد خليفة (ربيع) ، **الفنون الزّخرفيّة اليمنيّة في العصر الإسلامي** ، الدّار المصريّة اللّبنانيّة ، القاهرة 1992م .

(13) محمّد ربيع (حسنين) ، " البحر الأحمر في العصر الأيّوبي " ، **ندوة تاريخ البحر الأحمر بجامعة عين شمس** ، القاهرة 1979 م .

زيادة [1] وعبد الرّحمان عبد الواحد الشّجاع [2] وعبد العليم أنور [3] ومحمّد أبو الفرج العش [4] معلومات مفيدة وإشارات قيّمة ومتنوّعة يسّرت لنا كثيرا دراسة الأوضاع الإقتصاديّة ببلاد اليمن في ظلّ الحكم الأيّوبي .

III- دراسات التاريخ الحضاري :

المقصود بدراسات التّاريخ الحضاري في هذا المقام هي البحوث والكتابات التّاريخيّة التي تناولت التّاريخ الإجتماعي والثّقافي والعمراني لبلاد اليمن خلال الفترة الإسلاميّة الوسيطة . ورغم ندرة هذا النّوع من الدّراسات التاريخيّة بشكل يلفت الإنتباه فإنّنا قد وفّقنا في الإستعانة ببعض الكتابات على غرار محاولات كلّ من " جوزيف شلحود " Chelhod (J) [5] و" قويتين " Goitein [6] وكلاين فرانك أفيفا " Klein- Franke (A) [7] ونزار عبد اللّطيف الحديثي [8] وحسين بن عبد الله العمري [9] وعبد الرّحمان عبد الواحد الشّجاع [10] ، التي تعرضت بالدّراسة إلى بعض الجوانب الإجتماعيّة في بلاد اليمن خلال العهود الإسلاميّة .

---

(1) زيادة (نقولا) ، " تطوّر الطّرق البحريّة والتّجاريّة بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي " ، **مجلّة دراسات الخليج والجزيرة العربيّة** ، عدد4 ، السّنة الأولى 1975م .

(2) عبد الواحد الشّجاع (عبد الرّحمان) ، **اليمن في عيون الرحّالة** ، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق ، 1993 م .

(3) عبد العليم (أنور) ، المـلاحة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة عدد 13، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت 1979م .

(4) العش (محمّد أبو الفرج) ، " المسكوكات في الحضارة العربيّة الإسلاميّة " ، **المؤتمر التّاسع للآثار في البلاد العربيّة المنعقد بصنعاء سنة 1980م** . طبع بتونس سنة 1985م .

(5) Chelhord (J) , *L'Arabide du Sud : La societé yemenite de l'Hégire aux ideologies modernes*, édit. G.P Maisonneuve et Larose, Paris 1984.
Ibid , "Introduction à l'Histoire sociale et urbaine de Zabid ", in*Arabica* , Txxv/ n°1 1978.

(6) Goitein, " The Jews of yemen " , in *Religion in the middle East,* Cambridge University , 1979. Vol 1 pp 226-235.

(7) Klein-Frank (A) , " The Jews of Yemen" , *in Yemen, 3000 years of Art and Civilisation,* Austria 1988 .

(8) عبد اللّطيف الحديثي (نزار) ، **أهل اليمن في صدر الإسلام** ، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر (د.ت)

(9) العمري (حسين بن عبد الله)، **الأمراء العبيد والمماليك في اليمن** ، دار الفكر المعاصر ، بيروت 1989م .

(10) عبد الواحد الشّجاع (عبد الرحمان) ، **اليمن في عيون الرحّالة** ، دار الفكر المعاصر بيروت دار الفكر دمشق 1993م .

أمّا عن الدّراسات التي أعتمدت للبحث في مظاهر الحياة الثّقافيّة السّائدة ببلاد اليمن زمن حكم الأيّوبيين فتتمثّل أساسا في كتابات كلّ من إسماعيل الأكوع [1] ومحمّد عبد الله الحبشي [2] وأحمد عبد الله العارف [3] وأيمن فؤاد سيّد [4].

في حين كانت دراستنا للأوضاع العمرانيّة قد إستفادت من الأبحاث الأثريّة والتّاريخيّة التي أنجزها كلّ من مصطفى عبد الله شيحة [5] وسامي أحمد حسن [6] ومحمّد الحجري [7] وغازي محمّد رجب [8] وحسين أحمد السّيّاغي [9] ومحمّد كريم إبراهيم [10]. إلى جانب محاولات كلّ من "Lewcok (R)" [11] و Lowick (N) [12] و Serjeant (R.B) [13] التي سلّطت كثيرا من الأضواء على خصائص العمارة في بلاد اليمن طوال الفترة الإسلاميّة الوسيطة .

---

(1) الأكوع (إسماعيل) ، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، دار الفكر دمشق 1980م .

(2) الحبشي (محمّد عبد الله) ، **الصّوفيّة والفقهاء في اليمن** ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء 1976م . **حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول** ، منشورات دار الشّهباء ، لندن (د. ت) . **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، مركز الدّراسات اليمنيّة ، صنعاء 1980م .

(3) عبد الله العارف (أحمد) ، **مقدّمة في دراسة الإتّجاهات الفكريّة والسّياسيّة في اليمن فيما بين القرن الثّالث والخامس الهجري** ، بيروت 1991 م .

(4) فؤاد سيّد (أيمن) ، **تاريخ المذاهب الدّينيّة في بلاد اليمن حتّى نهاية القرن السّادس هجري** ، القاهر 1982م .

(5) عبد الله شيحة (مصطفى) ، **مدخل إلى العمارة والفنون الإسلاميّة في الجمهوريّة اليمنيّة** ، القاهرة 1987م .

(6) أحمد حسن (سامي) ، " ملامح أثريّة من الجامع الكبير بصنعاء " **مجلّة كليّة الآداب بصنعاء** ، العدد الثّاني ، ذو القعدة 1399 هـ / أكتوبر 1979 م .

(7) الحجري (محمّد) ، **مساجد صنعاء** ، بيروت 1398 هـ .

(8) محمّد رجب (غازي) ، " الجامع الكبير في صنعاء : دراسة تاريخيّة أثريّة " ، **مجلّة كليّة الآداب بجامعة بغداد** ، عدد 28 سنة 1980م .

(9) أحمد السيّاغي (حسين) ، **معالم الآثار اليمنيّة** ، مركز الدّراسات والأبحاث اليمنيّة ، صنعاء 1980م .

(10) كريم إبراهيم (محمّد) ، " الإنجازات العمرانيّة لنائبي بني أيوب في عدن عثمان بن علي الزّنجيلي والمعتمد التّكريتي " ، **التّراث** ، عدد 5 عدن 1992م . ص 27-37.

(11) Lewcok (R) ", The architectural History and descreption of San'a' Mosques", in *SAN'A' an Arabian Islamic City* , London 1983 .

(12) Lowick (N) , " The Medieval Architecure of Yemen" , in *Yemen 3000 years of Art and Civilisation*, Austria , 1988 .

(13) Serjeant (R.B), " The Smaller Mosques of San'a'", in *SANA' A' an Arabian Islamic City* , London 1983 .



بلاد اليمن: إطار جغرافي يبعث على الإختلاف والتنوّع

تقع بلاد اليمن أو " العربيّة السّعيدة" ، كما عرّفها الجغرافيون القدامى ، في الطّرف الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربيّة ، حيث تكتنفها سلسلة جبال عسير من جهة الشمّال ، ويحيط بها من ناحية الجنوب كلّ من خليج عدن وبحر العرب ، في حين يحدّها غربا البحر الأحمر ، لتنتهي شرقا بأرض نجد وحضر موت (1) .

أولا : التّسمية :

ساد الإختلاف آراء جمهور عريض من الباحثين في تحديد اللّفظ الذّي أشتقّت منه كلمة " يمن " ، فمنهم من نسبها إلى يمن بن قحطان وقال بعضهم يمن بن قيدار (2)، و منهم من رأى أنّها سمّيت يمنا لأنّها منطقة واقعة على يمين الكعبة أو لأنّها على يمين الشّمس ، أو أيضا لتيامن النّاس إليها(3) .

وفي إحدى النّقوش العربيّة الجنوبيّة القديمة المكتوبة بخطّ " المسند " وردت كلمة " يمنت- يمنات " كمنطقة صغيرة تابعة لنفوذ الملك الحميري شمريهرعش الذّي عاش في حدود سنة 300 م أو بعدها بقليل (4) . وقد وردت كلمة " يمنت " مرتبّة بعد لفظ حضرموت كما يشير إلى ذلك النصّ التّالي : "ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت " (5).

و "يمنت" الواردة في هذا النصّ تعني في لغة العرب الجنوبيّة الجنوب ، في حين يرى البعض الآخر من الباحثين أنّها تشمل القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربيّة الممتدّ من باب المندب إلى حضرموت (6) . وفي بعض الكتابات المعينيّة عثر على نصّ يتحدّث عن حرب دارت بين "ذيمنت" و "ذشامت" ، أي بين الجنوب والشّمال (7) .

---

(1) ترسيسي (عدنان) ، اليمن وحضارة العرب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1969م . ص 117 . Daghfous (R), *Le Yaman islamique des origines jusqu'a l'avènement des dynasties autonomes (I^{er} - III S / VII - IX^{ème} S)* , Université de Tunis I, 1995 T1 p 61 .

(2) سعيد شكري (محمّد) ، " جغرافيّة اليمن في القرن الأوّل للهجرة السّابع للميلاد" ، دراسات تاريخيّة ، السّنة السّابعة" ، العددان 21 و ، أذار حزيران 1986م ص 205 .

(3) المرجع نفسه ، ص 205.

(4) المرجع نفسه ، ص 205.

(5) المرجع نفسه ، ص 205.

(6) علي (جواد) ، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، دار العلم لملايين ، الطّبعة الثّالثة ، بيروت 1980م . ج2 ص530-531 .

(7) المرجع نفسه، ج2 ص79 .

و على هذا النّحو يتّضح أنّ لفظ " يمنت " الذّي أشتقّت منه على الأرجح كلمة يمن قد أطلق منذ القدم ليعني أرض جنوب الجزيرة العربيّة مقابل لفظ " شامت " الذّي يرمز إلى أرض الشّمال [1] . وفي ذلك يقول الهمداني :" وجزيرة العرب ... عند أهل اليمن يمن وشام فجنوبها اليمن وشمالها الشّام " [2] .

ثانيا : الحدود :

من الصّعب تثبيت حدود بلاد اليمن خلال الفترة الإسلاميّة الوسيطة بشكل دقيق ونهائي ، ذلك أنّ هذا الإقليم هو جزء من جزيرة العرب ولا يوجد حاجز طبيعي يفصله بصورة واضحة عمّا حوله من الأقاليم الأخرى . كما أنّ العناصر الطّبيعيّة الغالبة على البلاد اليمنيّة هي إستمرار للعناصر الطّبيعيّة السّائدة في النّاحية الغربيّة من شبه الجزيرة العربيّة [3].

وتتأكّد هذه الصّعوبة ذاتها في محاولة رسم الحدود السّياسيّة والإداريّة لهذا البلد في أيّ فترة من فترات التّاريخ الإسلامي، لأنّ نفوذ الدّول والكيانات السّياسيّة في اليمن طوال تلك الأزمنة لم يكن ثابتا بل كان في حركة دائمة تترواح بين التوسّع والإنحسار[4]، وذلك دائما حسب قوّة ووطأة النّظام السّياسي القائم بتلك النّاحيّة من بلاد العرب كما هو الحال زمن حكم بني أيّوب حيث بلغت حدود هذا الإقليم أقصاها إلى مشارف الطّائف شمالا وإلى حدود مدينة ظفار شرقا[5] .

وقد أفاض الجغرافيون العرب المسلمون طوال العصور الإسلاميّة في تبيان وتفصيل حدود وأقسام بلاد اليمن التي تمثّل بدورها خامس الأجزاء المكوّنة لجزيرة العرب ، بعد تهامة والحجاز ونجد والعروض [6]. فالهمداني يصف حدودها بقوله : " البحر مطيف بها من الشّرق إلى الجنوب فراجعا إلى المغرب ويفصل بينهما وبين باقي جزيرة العرب خطّ يأخذ من حدود عمان ويبرين [7]

---

(1) سعيد شكري " جغرافية اليمن " ، **دراسات تاريخيّة** ، ص 206.

(2) الهمداني (حسن) ، **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحوالي تحت إشراف حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرّياض 1974م ص 64.

(3) عبد اللّطيف الحديثي (نزار) ، **أهل اليمن في صدر الإسلام** ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر ، بيروت (د. ت) ص37 .

(4) سعيد شكري " جغرافية اليمن " ، **دراسات تاريخيّة** ، ص 207.

(5) ابن المجاور (أبو الفتح يوسف) ، **صفة بلاد اليمن ومكّة وبعض الحجاز المسمّاة تاريخ المستبصر** ، تحقيق أوسكر لوفغرين ، ليدن 1951م ج 1ص 39-40-41، ج 2ص .

(6) علي ، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج2 ص79 ، 88 ، 531 . سعيد شكري ، " جغرافيّة اليمن " ، ص 206.

(7) يبرين : منطقة رمليّة تعرف برمل بني سعد وتمتدّ من اليمامة إلى حضرموت ، ياقوت (الحموي) ، **معجم البلدان** ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلميّة ، الطّبعة الأولى ، بيروت1990 م. ج7 ص 427.

إلى حدّ ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهجيرة وتثليث [1]وأنهار جرش [2]وكتنه منحدرا في السّراة على شعف عنز إلى تهامة إلى أمّ جحدم [3]إلى البحر حذا جبل يقال له كدّمل[4] بالقرب من حمضة [5] بين بلد كنانة واليمن من بطن تهامة ..." [6].

وتشمل بلاد اليمن على حدّ رأي كلّ من الإصطخري وإبن حوقل نحو الثّلثين من ديار العرب وهي "تهامة ونجد اليمن وعمان ومهرة وبلاد صنعاء وعدن وسائر مخاليف اليمن ..." [7]. وقد ظلّ هذا التّقسيم هو السّائد حتّى نهاية العهد الأيّوبي كما يشير إلى ذلك ابن المجاور بقوله : " واليمن المشتملة على تهامة ونجد اليمن وعمان ومهرة وحضرموت وبلاد صنعاء وعدن وسائر مخاليف اليمن . فما كان من حدّ السرّين[8] فهي تنتهي إلى ناحية يلملم[9] حتّى تنتهي إلى ظهر الطّائف ممتدّا إلى البحر اليمن إلى بحر فارس شرقا من اليمن فيكون ذلك نحو من ثلث بلاد العرب "[10] .

ثالثا : أقسام بلاد اليمن ، الخصائص الطّبيعية والبشرية :

إصطلح كثير من الجغرافيّين المحدثين على تقسيم بلاد اليمن إلى خمسة مناطق جغرافيّة مختلفة من حيث العناصر التّضاريسيّة والمناخيّة ، وهذه المناطق هي تهامة و سلسلة الجبال المشرفة على البحر الأحمر المعروفة بجبال السّراة ، ومنطقة حضرموت والسّاحل الجنوبي ، ومنطقة السّهول الوسطى ، و أخيرا منطقة الهضاب الصّحراويّة المتاخمة لصحراء " الرّبع الخالي " [11].

----

(1) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكّة . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 2ص 15-16.

(2) جرش : ذكر ياقوت بأنّها مدينة عظيمة باليمن موقعها على مشارف مكّة . ياقوت، **المصدر نفسه** ، ج 2 ص 126-127.

(3) أمّ جحدم : موضع بتهامة يقع بين الأزد وكنانة . ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص250 .

(4) كدّمل : جبل بركاني في البحر الأحمر يقع قبالة مدينة أبها . الهمداني، **صفة جزيرة العرب** ، ص90 . إبن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص 54-55.

(5) حمضة : قرية تقع جنوب عثّر من أرض اليمن . ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص 304.

(6) الهمداني ، **المصدر نفسه** ، ص90 .

(7) الإصطخري (أبو إسحاق) ، **المسالك والممالك** ، طبعة الأوفيست، دار المثنّى ، بغداد (د.ت) . ص 6. إبن حوقل (محمّد) كتاب صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (د.ت) ض 29.

(8) السرّين : بليدة بالقرب من مكّة على ساحل البحر الأحمر ، فيها أسوا ق ومسجد جامع وسورها في البحر . ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج3 ص247-248 . الحميري (محمد) ، **الرّوض المعطار في خبر الأقطار** ، ص 312.

(9) يلملم : موضع على ليلتين من مكّة وهو ميقات أهل اليمن به مسجد لمعاذ بن جبل . ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج5 ص504 .

(10) إبن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 39-40.

(11) ترسيسي ، **اليمن وحضارة العرب** ، ص 119 .

Lamare (P) , " l'Arabie Heureuse " , in la *Geographie*, 1924 , n°42 . p 9 .

Wepf (R) , *Yaman, pays de la Reine de Saba'* , edit . Berne . 1967 . p 91 .

* تهـامـة :

تعــــرف بإســـم تهامـــة المنطقـــة السّاحليّة المنخفضـة المتــاخمـة لساحل البحر الأحمر من حدّه الشّمالي عند أمّ جحدم إلى الجنوب ناحية بــاب المندب . وقد وصفها إبن المجاور بقوله : " وأمّـا تهامة فإنّها قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة وكلّها مشرف على بحر القلزم ممّا يلي غـربيّـها ، وشرقيّـها بناحية صعـدة وحرض ونجران وشمـاليّها حـدود مكّة ، وجنوبيّـهـا من صنعـاء على نـحو عشر مـراحل " [1]. وأغلب هذه المنطقة سهول ساحليّة محصورة بين البـحر والهضاب الوسطى حيث يتراوح عرضها بين 40 و 70 كلم[2] و تنـحدر في إتّجاه البـحر لـيصبح إرتفـاعها عند مستواه تقريبـا ، فيـما تكون أطرافها الشّرقيّة أعلى لأنّها إستمرار لإنـحدار الهضاب الوسطى [3].

ولأنّ سهول تهامة هي واقعة بين سلسلة جبال السّراة في الشّرق والبحر الأحمر من جهة الغرب ، فقد تخلّلتها عديد الأودية التي تصبّ من السّراة في إتّجاه البـحر ، وأهمّـها من الشّمـال أودية جـازان وخلب وحـرض ومـور وسـهـام ورمع وزبيـد .[4] وقـد شكّلت هذه الأودية مجاري لمسيل مياه الأمطار السّاقطة علـــي المرتفعات الواقعة إلى الشّرق ، وهو ما ساعد على ظهور عديد الينابيع المهمّة لريّ الأراضي المجاورة [5].

أمّـا على مستوى المنـاخ فإنّ هذه المنطقة تتميّـز بشـدّة الرّطوبة حيث تتراوح درجة الحرارة فيها صيفا بين 40 و 50 درجة حراريّة ، ولا تتدنّى كـثيرا في الشّتاء لتظلّ فيما بين 25 و 30 درجة [6]. في حين تكون الأمطار بها شبه معدومة ، وقد تمرّ سنة بحـالهـا دون هطول ولو نسبة ضئيلة من المـيـاه ، لكنّ ذلك لا يمنع في بعض الأحيـان حدوث بعض العواصف التّي تتسبّب في نزول أمطار غزيرة لا يمكن التّعويل عليها كثيرا في النّشاط الزّراعي لمحدوديّتها في الزّمن [7].

ومنذ القدم كانت تهـامة موطنا لعديد القبائل الكبيرة مثل عك التي كانت تقيـم في الأقسام الشّمـاليّـة ، والأشاعـر وهـم من كهلان بـن سبأ وموا طنهم في الأطراف الجنوبيّـة بنواحي زبيـد وفـشـال ووادي زبـيـد ورمع [8]. ويبـــدو أنّ الأشـاعــر قـد

---

(1) إبن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1 ص 83.

(2) ترسيسي ، اليمن وحضارة العرب ، ص 121 . سعيد شكري ، " جغرافيّة اليمن " ، ص 206. عبد اللّطيف الحديثي ، أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص54 .

(3) سعيد شكري ، المرجع نفسه ، ص 210. عبد اللّطيف الحديثي ، المرجع نفسه ، ص54 .

(4) عبد اللّطيف الحديثي ، المرجع نفسه ، ص54 . ترسيسي ، المرجع نفسه ، ص 121 .

(5) عبد اللّطيف الحديثي ، المرجع نفسه ، ص54 .

(6) ترسيسي ، المرجع نفسه ، ص 121 .

(7) ترسيسي ، المرجع نفسه ، ص 121 . عبد اللّطيف الحديثي ، المرجع نفسه ، ص54 .

(8) إبن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1 ص 58 وما بعدها . عبد اللّطيف الحديثي ، المرجع نفسه، ص54-55 .

خالطوا حمير في سكناها بنواحي زبيد [1] حتّى أصبحوا خلال العهد الأيّوبي أبرز سكّان هذه النّاحية من بلاد اليمن على حدّ رأي إبن المجاور [2] . في حين كانت قبائل الجحافل وهي خليط من الأصول تنسب إلى مذحج تتوزّع بين دثينة وأبين وما بين عدن وشبام [3].

وتنزل قبيلة العقارب من بني مجيد من قضاعة الحميريّة بنواحي الشّقاق والمندب فيما بين عدن وموزع [4]. أمّا المعازبة المنتسبين إلى قبائل الأشاعر فقد كانوا من القبائل المشاغبة طوال العهد الأيّوبي وقد سكنوا نواحي مدينة القحمة [5] ، في حين نزل بنو كنانة وهم من مضر بالجهات الشّماليّة من أرض تهامة في المنطقة الواقعة بين السّرين وحلي بن يعقوب [6].

* **سلسلة جبال السّراة :**

تكوّن هذه السّلسلة الجبليّة الموازية لسهول تهامة السّاحليّة وحدة طبيعيّة قائمة بذاتها ، وهي تمتدّ من مشارف الطّائف شمالا حيث يكون مبدؤها سراة بجيلة لتضمّ جبال عسير المعروفة بسراة الأزد الواقعة عند خطّ عرض 20 شمالا ، وصولا إلى جبل العر بعدن جنوبا [7].

ويتّسع إمتداد سلسلة السّراة نحو الشّرق كلّما إتّجهنا جنوبا ، ويزداد إرتفاعها ليصل أقصاه عند قمّة جبل النبيّ شعيب البالغ إرتفاعه 3760 متر [8] . ومن أشهر جبال هذه السّلسلة جبال العر وردفان وحرير وجحاف وثمر والكور والظّاهر وصبر والتعكر وريمان وحصن أرياب وضوران وشبام وحضور ومسور المنتاب والمصانع وجبل أبها والحصن وبرط وهيلان وقم وعيبان وأسبيل ومشوة والعود [9]. وهذه السّلسلة العريضة من الجبال كثيرة التّداخل فيما بينها وهو ما أدّى في المقابل إلى تشكّل عديد الهضاب أو القيعان داخلها ، إضافة إلى وجود مجموعة هامّة من الجبال في الجهات الدّاخليّة خلف تلك الهضاب [10].

---

(1) عبد اللّطيف الحديثي ، **أهل اليمن في صدر الإسلام** ، ص54-55 .

(2) إبن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص65 .

(3) كحالة (عمر رضا) ، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ، دار العلم للملايين ، بيروت 1968م ج 1ص168 .

(4) إبن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص65 .

(5) **المصدر نفسه** ، ج 1ص65 .

(6) كحالة ، **المرجع نفسه** ، ج 1ص 168 .

(7) سعيد شكري "جغرافيّة اليمن" ص 210-211 . ترسيسي ، **اليمن وحضارة العرب** ، ص 126 .
Daghfous, *le Yaman Islamique*, T1 p 71 .

(8) سعيد شكري ، **المرجع نفسه** ، ص 210-211 . ترسيسي ، **اليمن وحضارة العرب** ، ص 126 .
Daghfous, *op.cit* , T1 p 71 .

(9) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص141-142 ، 225-226 .

(10) ترسيسي ، **المرجع نفسه** ، ص 128 .

غيـر أنّ مـا تجـدر الإشارة إليـه في هذا المنحى هو أنّ لهذه السّلسلة الجبليّة مزايا مناخيّة جمّة، ذلك أنّها بقممها الشّاهقة والمتـعدّدة تشكّل حاجزا في وجه الغيوم والسّحب التي تجلبها الرّياح الموسميّة من المحيط الهندي [1]، أو التي تتكوّن بفعل الرّطوبة العالية بجهة تهامة لتتحوّلها الحرارة الشّديدة إلى غيوم ما تلبث أن تتكاثف فوق قمم الجبال المجاورة لتتحوّل إلى أمطار غزيرة بعد الظّهر[2].

وتقطن هذه المرتفعات الجبليّة عديد القبائل والبطون العربيّة التي غلبت على عيشها حياة البداوة مثل قبيلة بجيلة والأزد المعروفين باسم السّرو[3] وفي ذلك يقول إبن المجاور: "فأمّا السّرو فإنّهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشائخ منهم وفيهم وهم بطون متفرّقون ..." [4].

* الهضاب والسهول الجبلية الداخلية:

تقع هذه المنطقة التي إشتهرت باسم "نجد اليمن" في المصادر العربيّة الكلاسيكيّة شرقي سلسلة جبال السّراة الغربيّة حيث يكون إنحدارها تدريجيّا إلى الشّرق [5]، وهي تنحصر بين السّفوح الغربيّة من الغرب والسّهول الشّرقيّة من الشرق. في حين يبلغ إمتدادها جنوبا ناحية بريم على حدود المرتفعات الجنوبيّة وشمالا حتّى أعراض نجد [6].

وتقطع هذه المنطقة مجموعة من الأودية مثل بيشة وتثليث والجوف إلى الشّرق وتبن وأبين إلى الجنوب حيث يكون مصبّهما في ساحل عدن [7]، في حين تتكوّن أغلب تضاريسها من السّهول التي يطلق عليها إسم القيعان [8].

ومن أشهر مدن الهضبة اليمنيّة جرش ونجران وصعدة وصنعاء والجند وجبا وجيشان ومكنث وذمار ورداع وردمان وقرن [7]. وتتميّز أغلب هذه المناطق

----

(1) ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، ص. 126.

(2) المرجع نفسه، ص 126، 128.

(3) إبن المجاور، تاريخ المستبصر، ج 1 ص 26.

(4) المصدر نفسه، ج 1 ص 26-27.

(5) سعيد شكري، "جغرافيّة اليمن" ص 210-211. ترسيسي، اليمن وحضارة العرب، ص 126. Daghfous, *op.cit*, T1 p 71.

(6) سعيد شكري، "جغرافيّة اليمن" ص 211. ترسيسي (عدنان)، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، دار الفكر المعصار، بيروت ودار الفكر دمشق 1410هـ/1990م. ص 433. Daghfous, *op. cit*, T1 p 69.

(7) ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، ص 433.

(8) سعيد شكري، جغرافية اليمن، ص 211.

(7) المرجع نفسه، ص 211.

بجفاف مناخها وقلّة أمطارها ، لذا تنحصر الأنشطة الزّراعيّة فيها ببعض الأودية التي تنهمر فيها السّيول أو في بعض الهضاب أو القيعان إعتمادا على المياه الجوفيّة أو ينابيع المياه التي تعرف بإسم الغيول [1] .

وتنتشر بهذه المنطقة من أرض اليمن مضارب عديد القبائل كقبائل حمير، التي كانت تقيم في المنقطة الواقعة من البون شمال صنعاء إلى عدن جنوبا ومن حافّات الهضبة الغربيّة عند تهامة إلى شبوة بناحية حضر موت[2] . ومضارب حمير من المناطق المطيرة حيث يبلغ معدّل الأمطار السّاقطة بها من 50 إلى 100 صم سنويّا ، غير أنّ هذه النّسبة تقلّ كلّما إتّجهنا شمالا أو جنوبا حيث لا تتجاوز 5 صم بعدن[3].

كما تقيم قبائل همدان في النّاحية الممتدّة من الرّحبة شمال صنعاء إلى صعدة ، وهذه المنطقة مقسّمة بخطّ ما بين صنعاء وصعدة شرقيّه لبكيل وغربيّة لحاشد [4]، إلى جانب الجهات الواقعة ما بين صعدة ونجران شرقا حيث كانت تقيم قبائل نسبت إلى همدان مثل شاكر ووادعة ويام[5] .

أمّا قبيلة خولان فقد ذكر النسّابون أنّها تنقسم إلى قسمين ، قسم يعرف بخولان العالية ومساكنها مع حمير في مخلاف ذي جرة في النّواحي الواقعة جنوب شرقي مدينة صنعاء [6] وهؤلاء كانوا ينسبون منذ القدم إلى حمير[7] ، أمّا القسم الثّاني فكان يقيم بمدينة صعدة وما حولها [8].

لكنّ نواحي صعدة لم تكن حكرا على خولان ، فقد سكنها أيضا بنو شهاب بن العاقل من كندة وكانوا محالفين لآل ربيعة في عفرة وحيدان [9]، كما سكنها ذو الكلاع ويرسم الحميريين وقد إعتبر الهمداني سكّان صعدة ليسوا من نسل واحد بل هم شتاتا تحالفوا وكتبوا حلفهم في أديم أحمر فعرفوا بأديم خولان [10]. في حين كانت نواحي نجران موطنا لخليط من القبائل من ربيعة وكندة ومذحج [11].

---

(1) ترسيسي ، **بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى** ، ص449 .

(2) عبد اللّطيف الحديثي ، **أهل اليمن في صدر الإسلام** ، ص 38 .

(3) **المرجع نفسه** ، ص 39

(4) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص 109 .

(5) **المصدر نفسه**، ص 83 ، 115

(6) عبد اللّطيف الحديثي ، **أهل اليمن في صدر الإسلام** ، ص 48 .

(7) الهمداني ، **كتاب الإكليل** ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحوالي ، القاهرة 1383هـ . ج 1ص204 .

(8) عبد اللّطيف الحديثي، **المرجع نفسه** ، ص 48 .

(9) الهمداني ، **المصدر نفسه** ، ص 114 .

(10) **المصدر نفسه** ، ص 67 .

(11) الهمداني ، **المصدر نفسه** ، ص 67 . عبد اللّطيف الحديثي ، **المرجع نفسه** ، ص 50 .

* منطقة حضرموت :

هي المنطقة الواقعة جنوب شرقي هضبة اليمن الوسطى حيث تحدّها من الغرب جبال سرو مذحج وحمير والأجزاء الجنوبيّة من الهضبة اليمنيّة ،لتأخذ في الإنحدار صوب الشّرق إلى أن تصل إلى ما يقارب من 150متر عند خطّ طول 57 شرقا ويستمرّ هذا المستوى نحو250 كلم إلى حدود جبال اليمن الشّرقيّة في عمان[1]. ورغم طغيان المشاهد الجبليّة على هذه النّاحية من بلاد اليمن إلاّ أنّها تبدو قليلة الأمطار نظرا لمحدوديّة إرتفاعها عن سطح البحر ووجود مرتفعاتها في إتّجاه موازي لإتّجاه الرّياح الموسميّة القادمة من المحيط الهندي[2].

وتنقسم هذه المنطقة بدورها إلى أربعة نطاقات جغرافيّة متوازية وهي من الجنوب إلى الشّمال ، منطقة الشّريط السّهلي السّاحلي ، وسلسلة المرتفعات الجبليّة الموازية للشّريط السّاحلي ، إلى جانب كلّ من المرتفعات الدّاخليّة والسّهول والأحواض التي تتخلّلها أو التي تقع شمالا منها[3]. أمّا أوديتها فإنّها تنحدر في الأجزاء الدّاخليّة منها نحو وادي حضر موت الذّي يتّجه من الغرب إلى الشّرق ، لينحرف عند قبر هود جنوبا نحو البحر ويعرف بوادي مسيلة وغالبا ما تكثر حوله المياه الجوفيّة[4]. في حين تكون أودية الأقسام السّفلى ، وخاصّة حول شبوه ، منحدرة جنوبا في إتّجاه البحر[5].

ومن القبائل التي أستوطنت بنواحي حضرموت قبائل تعرف بإسم حضرموت وقد نسبها النّسّابة لقبيلة حمير ، ومن أبرز مناطق إستيطانها الأجزاء المحيطة بوادي حضر موت ووادي العبر ومركزها مدينة شبوة[6] .كما تعتبر قبيلة كندة من أبرز القبائل التي سكنت حضرموت منذ القدم ، ومواطنها تقع في المرتفعات المشرفة على وادي العبر ووداي دوعن[7]. وإلى كندة تنسب عديد القبائل الأخرى المقيمة بمنطقة حضرموت كالسّكاسك والسّكون[8].

* الهضاب الصّحراوية . منطقة الجوف ومأرب :

هي المنطقة الممتدّة شرقي صنعاء فيما بين حضر موت جنوبا ونجران شمالا ، وأقسامها الغربيّة أكثر إرتفاعا لذلك يكون إنحدارها إلى الشرّق . وتتخلّل

---

(1) عبد اللّطيف الحديثي ، **المرجع نفسه** ،ص 50 .

(2) المرجع نفسه ،ص 48 .

(3) أبو العلا (محمود طه) ، **جغرافيّة شبه جزيرة العرب** ، القاهرة م .1972 م . ج 4ص19-28 .

(4) عبد اللّطيف الحديثي ، **أهل اليمن في صدر الإسلام** ،ص 50 .

(6) **المرجع نفسه** ،ص 50 .

(7) إبن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 2ص252 . عبد اللّطيف الحديثي ، **المرجع نفسه** ،ص 51 .

(8) الهمداني ، **صفة جزيرة الغرب** ،ص 86 .

(9) عبد اللّطيف الحديثي ، المرجع نفسه ،ص 51 .

هذه المنطقة عديد الجبال مثل جبل برط وجبل يام وجبال نهم وجبال خـــولان[1] . أمّا أوديتـها فتـصبّ من الغـرب إلى الشّرق ، وهي مـن الشّمـال وادي الخـارد [2]ووادي أذنه [3]ووادي حريب[4]. كـمـا تعتـبر السّهول من الأشكال التّضاريسيّة البارزة بهذه المنطقة رغم إنعدام الأمطار وجفاف المناخ ، وفي هذا الإطار يمكن ذكر كلّ من سهول حريب وصرواح ومأرب والجوف الأسفل ، وهي كلّها تحيط بمدينة مأرب على مسافات تتروح بين 80 و 100 كلم ، كما توجد شرقي الجوف سهول دهم وخب [5].

ولمّا كانت الأمطار بهذه المنطقة شحيحة فقد إقتصرت الحياة فيها على ما ينحدر من سيول الأودية أو المياه الجوفيّة كما هو الحال بنواحي مأرب [6]. لكنّ جفاف المناخ وقسوته بهذه النّاحية من البلاد اليمن لم يمنع أغلب أجزائها من أن تكون مناجم غنيّة بالمعادن الثّمينة كالذّهب والفضّة [7]، وهو ما جعلها تكون نقطـة جـذب لعديد القبائل لاسيما منها التي تنتسب إلى مذحج مثل مراد وعنس وسعد العشيرة وبنو عبد المدان [8].

وإلى الشّرق من هذه البلاد جميعها تمتدّ صحراء " الرّبع الخالي" ، وهي أراضي يتراوح إرتفاعها بين 400 و 1000 متر وتنقسم إلى ثلاثة نطاقات صحراويّة كبرى هي :

- صحراء الصّيهد : تتفرّع من الدّهناء من ناحية اليمامة ويبرين والفلج لتمتدّ حتّى الأطراف الشّرقيّة لأعراض نجد تبالة وتثليث وترج وشرقي نجران والجوف ومأرب وبيحان [9].

- الأحقاف : تقع شمال هضبة حضر موت ومهرة وهي منطقة كثيرة الرّمال [10].

- وبار : تشكّل الجزء الشّمالي الشّرقي من الصّحراء اليمنيّة وتمتدّ حدودها الشّماليّة حتّى رمال يبرين واليمامة والبحرين [11].

---

(1) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 126,107,83,81.

(2) المصدر نفسه ، ص 81.

(3) المصدر نفسه ، ص 80.

(4) المصدر نفسه ، ص 90، 80.

(5) ترسيسي ، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى ، ص449 .

(6) إبن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 2ص199. عبد اللّطيف الحديثي ، المرجع نفسه ، ص 53.

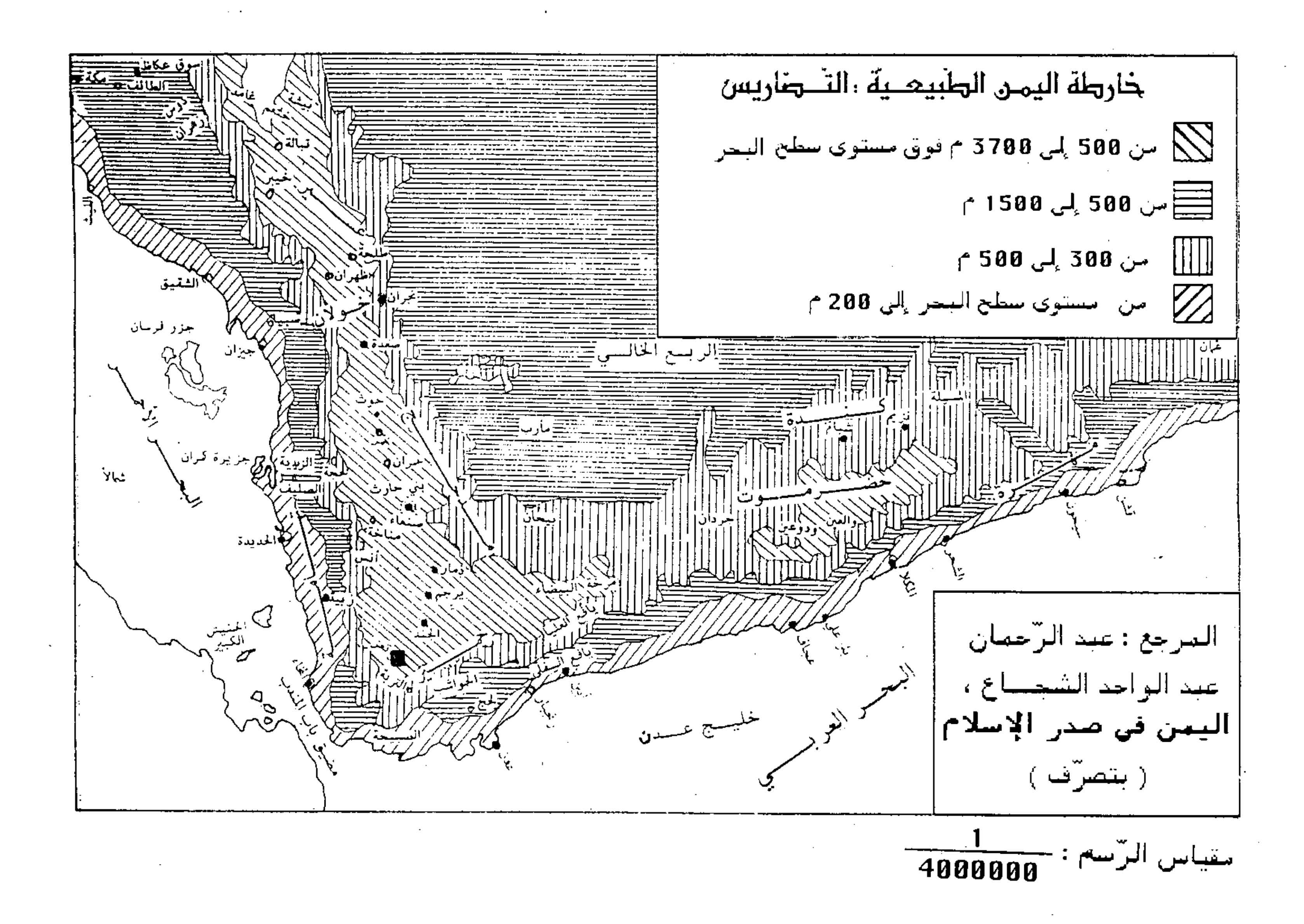
(7) المصدر نفسه الهمداني ، ، ص 108 إبن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص199.

(8) إبن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص199. عبد اللّطيف الحديثي ، أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص 48 .

(9) الهمداني ، المصدر نفسه ، ص 166-167.

(10) ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ص 115.

(11) البكري (أبو عبيد) ، الممالك والمسالك ، الجزء الخاصّ بجزيرة العرب ، تحقيق عبد الله غنيم ، الكويت 1397 هـ . ص371-375 .


خارطة اليمن الطبيعية : التضاريس
من 500 إلى 3700 م فوق مستوى سطح البحر
من 500 إلى 1500 م
من 300 إلى 500 م
من مستوى سطح البحر إلى 200 م
الربع الخالي
حضرموت
مأرب
بيحان
حردان
صعدة
جيزان
جزر فرسان
الشقيق
جزيرة كران
الزبيدية
الصليف
الحديدة
عمران
بني حارث
صنعاء
ذمار
يريم
الجند
تبالة
نجران
ظهران
الطائف
مكة
سوق عكاظ
شبام
تريم
عمان
الشحر
المكلا
خليج عدن
البحر العربي
شمالاً
المرجع : عبد الرحمان
عبد الواحد الشجاع ،
اليمن في صدر الإسلام
(بتصرف)
مقياس الرسم : $\frac{1}{4000000}$



الأوضاع والتطوّرات السياسيّة التي سبقت التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن ومهّدت له

الفصل الأوّل : زوال الدّولة الصليحية وإنقسام اليمن إلى كيـــانات سياسـية وديـنـية مستقلـة

تمهيـد :

لئن تـمكّنت الدّولـة الصّليـحـيّـة منذ تكوّنهـا سنة 439 هـ/ 1047 م على يد مؤسّسها علي بن محمّد الصّليحي (1) من جمع بلاد اليمن وتوحيدها تحت نظام سياسي مركزي ومدّ نفوذها إلى الحجاز شمالا وحضرموت جنوبا (2) ، ليبلغ هذا النفوذ أوجه زمن ولاية الملك المكرّم أحمد بن علي الصّليحي لمّا صارت عمان والأحساء والبحرين وكذلك الهند والسّند تحت النّفوذ الرّوحي للدّولة الصّليحيّة (3) ، فإنّ هذه الأخيرة ما لبثت أن أخذت في الضّعف والتّلاشي منذ أواخر عهد الملكة الحرّة السيّدة الصّليحيّة زوجة الملك المكرّم (4). لتنقسم بذلك بلاد اليمن بين العرب وتتحوّل في ظرف وجيز إلى مسرح للتّصادم والتّناحر بين العديد من الكيانات السّياسيّة والدّينيّة المستقلّة ، التي لم تزدها التّناقضات

---

(1) هوالملك الكامل أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن عبد الجبّار بن الحجّاج الصّليحي الحجوري الهمداني نسبة إلى صلاحة إحدى المواضع من بلاد اليمن . عمارة (نجم الدين) ، **تاريخ اليمن**، تحقيق محمّد بن علي الأكوع القاهرة 1976 م ص 94. الأشرف الرّسولي (عمر) ، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب** ، تحقيق ك . و . سترستين ، مطبعة الترقي دمشق 1949 م. ص114 . الكبسي (محمّد) ، **اللّطائف السّنية في أخبار الممالك اليمنيّة** ، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفيينّا تحت رقم Glas. 96 . ورقة 9 أ . زامباور (إدوارد) ، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** ، مطبعة جامعة فؤاد الأوّل القاهرة 1951 م . الباب السّادس ، ص 183.

(2) عمارة ، **تاريخ** ، ص 119 . إبن الدّيبع (عبد الرحمان) ، **قرّة العيون في أخبار اليمن** ، تحقيق محمد الأكوع القاهرة 1983 م ج 1ص 246 . الهمداني (حسين) ، **الصّليحيون والدعوة الفاطميّة في اليمن** ، القاهرة 1955 م ص 232 ، الزركلي (خير الدين) ، **الأعلام** ، القاهرة 1955 م ج 5 ص 137 . كرنكو. ف (Krenkow.F)، مادّة " الصّليحي " ، **دائرة المعارف الإسلاميّة ، الطبعة الأولى** ، مجلد 14 ص 322 . محمود (حسن سليمان) ، **تاريخ اليمن السياسي** ، بغداد 1969م . ص 209 .

Smith (G.Rex), art " Sulayhides" , *EI* ^{2} ,Vol IX pp 850-852 .

(3) عمارة ، **تاريخ** ، ص 134 وما يليها . مصطفى (غالب) ، **أعلام الإسماعيلية** ، بيروت 1964 م . ص118- 125 . الهمداني، **الصّليحيّون** ، ص 113 - 115.

(4) عمارة ، **المصدر نفسه**، ص 183 . إبن الدّيبع ، **قرّة العيون**، ج 1ص 278 ومايليها . إبن سمرة (علي) ، **طبقات فقهاء اليمن** ، تحقيق فؤاد سيّد ، القاهرة 1975 م ، ص 124 . الزّركلي ، **الأعلام** ، ج 1 ص279 . الهمداني ، ، ص 211.

Smith , " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1-945 / 622-1538)", in *Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix*, edited by werner Daum. I-S B N. Austria 1988 . p 132 .

الإثنيّة والمذهبيّة إلاّ فرقة وخلافا ، فكلّ موضع فيه ملك مستقيم بذاته والأمر فيها كما قال الشّاعر :

وتفرّقوا فرقا فكلّ قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر[1]

فما هي إذن أبرز القوى السّياسيّة والدّينيّة التي إنسلخت عن الدولة الصّليحيّة وإنبثقت عنها ؟ وإلى أي حدّ كان ظهور وتنامي هذه الكيانات المستقلّة مؤشّرا على أزمة الدّولة المركزيّة وتفكّك أواصر الوحدة السّياسيّة والدّينيّة ببلاد اليمن ، خلال هذه المرحلة ، وعاملا من العوامل البارزة الممهّدة للتدخّل الأيّوبي بهذا الجزء من بلاد العرب وذلك في مرحلة لاحقة ؟

عند تعرّضه لحملة الملك المعظّم توران شاه أثناء دخوله بلاد اليمن وذلك خلال سنة 569 هـ / 1174 م يستعرض ابن حاتم اليامي في كتابه " السّمط الغالي الثّمن " أهمّ الدّويلات والإمارات القائمة بهذه المنطقة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة ، فيذكر أنّه بشمال تهامة عند حرض [2] من منطقة المخلاف السّليماني كانت تقوم إمارة الأشراف بني سليمان العلويّين وبزبيد وما جاورها من التّهائم والجبال من تعزّ إلى ذخر إلى سوى ذلك ، ما عدا عدن والدّملوة وصنعاء ، كان يمتدّ مجال نفوذ دولة ابن مهدي الخارجي وبعدن وما حولها كانت تقوم إمارة بني زريع أصحاب الدّعوة الحافظيّة ، في حين شملت دولة بني حاتم الهمدانيّين أتباع المذهب الإسماعيلي مدينة صنعاء وأعمالها[3] ، أمّا صعدة وما يليها فقد كانت بيد الأشراف الزّيديّة من بني الهادي الرّسيّين [4].

---

(1) ابن حاتم (محمد اليامي) ، **السّمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغزّ باليمن** ، تحقيق ج . ركس . سميث . كمبردج 1974 م. ص 15 - 16 .

(2) حرض : بلد في أوائل اليمن من جهة مكّة يقال أنّ أوّل من نزله حرض بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمّي به . ياقوت (الحموي)، **معجم البلدان** ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي دار الكتب العلميّة بيروت 1990 م . ج2 ص 280 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، 16 - 18 . ابن الحسين (يحي) ، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور وبمراجعة محمد مصطفى زيادة . القاهرة 1968 م ج1ص316. العقيلي (أحمد) ، **من تاريخ المخلاف السليماني** ، مطابع الرّياض 1958م . ج 1 قسم 1 ص 201-202.

Smith , " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1-945 / 622-1538) ", *loc.cit* , p 133-134.

Ibid, *The Ayyubids and early Rasulids in the Yemen*, Cambridge,1974-1978 . Vol II p 76.

(4) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1ص316. Ibid ,*The Ayyubids*... , Vol II p 76.

1 - إمـارة الأشراف بني سليمـان العلـويين بالمخـلاف السّلـيـماني :

أ- الأشراف بنو سليمان قبل دخولهم المخلاف السّليماني :

بنو سليمـان هم من أشراف الحجاز العلويّين المنتسبين لآل الحسن بن علي بن أبي طالـب ومن القائلين بالإمامـة [1]. ومن المرجّح أن يكونوا قد عرفوا باسم السّليمانيين نسبة إلى أحدهم وهو سليمان بن وهّاس، الذي كان ولده حمزة قد قاد هذه الأسرة من مكّة في إتّجاه منطقة المخلاف السّليماني ، أين تمكّن من التغلّب على إمارة هذه المنطقة والإستقلال بها عن الدّولة الصّليحيّة [2] .

أمّـا تاريخ ظهـور هذه الأسـرة فيـعـود إلى مطلع القرن الرّابع للهجرة / العاشر للميلاد حيث قامت في غضون سنة 301 هـ / 913 م بمكّة ثورة علويّة بزعامة أحد كبار بني سليمان وهو محمّد بن سليمان العلوي ، فكان أن أعلن نفسه خليفة على أرض الحرمين وقطع الخطبة التّي كانت تقام خلال ذلك العهد باسم خلفاء بغداد [3]، غير أنّ هذه الثّورة سرعان ما خمدت وبقي أمير الرّكب العراقي الموالي للعبّاسيين يتولّى أمر الخطبة بمكّة [4] .

وما أن تمّ الفتح الفاطمي لمصر وذلك سنة 358 هـ/970 م حتّى أعلن كبير الأشراف الحسنيين جعفر بن محمّد بن الحسن من بني سليمان من آل الحسن بن علي بن أبي طالب إستقلاله بإمارة مكّة والدّعوة للخليفة المعزّ لدين الله

---

(1) الفاسي (تقيّ الدين) ، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ، تحقيق عمر عبد السّلام التدمري، الطّبعة الأولى دار الكتاب العربي بيروت 1985 م. ج2 ص184 . كحالة (عمر رضا) ، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ، دار العلم للملايين بيروت1968 ج2 ص 549 .

Van Arendonck (C), art " Sharif ", *EI* 2 ,Vol IX pp 850-852 .

(2) الأشرف الرّسولي ، **طرفة الأصحاب** ، ص 108. Smith, *The Ayyubids* ..., Vol II p 53.

(3) الفاسي ، شفاء الغرام . ج2 ص185 ، ابن خلدون (عبد الرحمان) ، **تاريخ ابن خلدون** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1971 م ، ج 4 ص 99 . الزّيلعي (أحمد عمر) ، **مكّة وعلاقاتها الخارجيّة (301-487 هـ)** ، الطبعة الأولى ، نشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرّياض 140هـ/1981 م. ص 23.

Poonawala (I), art " Sulaymanis" , *EI* 2 ,Vol IX p 864 .

(4) ابن خلدون، **المصدر نفسه** ، ج 4ص99 . الفاسي ، **شفاء الغرام** ، ج2 ص187 . السّباعي (أحمد) ، **تاريخ مكّة**، الطبعة الرابعة دار مكة للطّباعة والنشر والتوزيع مكّة المكرّمة 1979م . ج 1 ص 121. الزّيلعي، **المرجع نفسه** ، ص 24.

الفاطمي [1]، الذي بادر من جهته بإرسال شحنات من المؤونة فضلا عن الأموال والأعطيات والهدايا والخلع كمكافأة منه لأشراف مكّة على صنيعهم الحسن [2].

وقد واظب على هذا النّهج المعزّ لدين اللّه الفاطمي بإرساله هذه الأعطيات سنويّا مع موسم الحجّ دون إنقطاع ، فإستمرّ الدّعاء له على منابر الحرمين طوال عهده . وما أن إنقطعت هذه الأعطيات في عهد إبنه العزيز حتّى تحوّلت الخطبة للخليفة العباسي ، الذّي إنتهز هذه الفرصة وبادر بإرسال أموال كثيرة لضمان تبعيّة الأشراف السّليمانيين له . عندئذ أضطرّ الخليفة العزيز باللّه إلى إرسال باديس بن زيري الصّنهاجي أميرا على ركب الحاج المصريّ خلال موسم سنة 367 هـ/ 980 م وأمره بالإستيلاء على الحرم ، فلمّا قدم الأمير الصّنهاجي إلى مكّة وضيّق الحصار على أهلها عادت الخطبة على منابرها للخليفة الفاطمي بدلا من الخليفة العبّاسي [3].

وبحلول سنة 384 هـ / 997 م تولّى أمر مكّة الشّريف أبو الفتوح الحسن بن جعفر ، فبدأ عهده مخلصا في ولائه للفاطميّين بإقامة الخطبة لهم على منابر المسجد الحرام [4]. ثمّ ما لبث أن خرج عن طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة 400 هـ / 1014 م وإنتحل لقب الخلافة ، لذلك أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بعزل أبي الفتوح عن ولاية مكّة وعيّن بدله ابن عمّه أبي الطيّب داود وشجّعه على التخلّي عن نصرته فإنصرف عامّة الأشراف في مكّة عن خلافة أبي الفتوح ودخلوا في طاعة الحاكم بأمر الله . ثمّ إنّ الخليفة الفاطمي إستمرّ في التّضييق على الزّعيم السّليماني الذي شعر بدوره بخطورة وضعه ممّا دفعه إلى طلب الصّلح وتنازل عن دعوته بالخلافة فأعاده الخليفة الحاكم خلال سنة 403هـ / 1011 م أميرا

---

(1) المقريزي (تقي الدّين) ، **اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميّين الخلفاء** ، تحقيق جمال الدين الشيّال ، القاهرة 1948م . ج1 ص104. الجزيري (عبد القادر الأنصاري) ، **درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكّة المعظمة**، القاهرة 1384هـ . ص224 . سرور (جمال الدين) ، **سياسة الفاطميّين الخارجيّة**، القاهرة 1976م. ص24 . ماجد (عبد المنعم) ، **ظهور خلافة الفاطميّن وسقوطها في مصر** ، دار المعارف القاهرة 1968 م . ص. 219 . الزّيلعي، **مكّة وعلاقاتها الخارجيّة** ، ص 42.

(2) الجزيري ، **درر الفرائد** ، ص245 . سرور ، **المرجع نفسه** ، ص 24. مالكي (سليمان)، **بلاد الحجاز منذ بداية حكم الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسيّة في بغداد** ، الرّياض 1983 م . ص31 . الزّيلعي، **المرجع نفسه** ، ص 42.

(3) ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 4 ص100 . السباعي ، **تاريخ مكّة** ، ج1 ص 173. سرور ، **المرجع نفسه** ، ص 24 . الزّيلعي، **المرجع نفسه** ، ص 45.

(4) ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج4 ص104 . الجزيري ، **درر الفرائد** ، ص247، الفاسي ، **شفاء الغرام** ، ج 2 ص195 . السباعي ، **المرجع نفسه** ، ج1 ص 174 . الزّيلعي، **المرجع نفسه** ، ص 47.

Bosworth (C.E), art " Makka" , *EI* ^{2} ,Vol VI p 147 .

علي مكّة [1] وظلّ منذ ذلك الحين علي طاعة الفاطميّين ، معلنا الخطبة للحاكم ثمّ للظّاهر فالمستنصر حتّي توفيّ سنة 430 هـ / 1038 م [2] . فخلفه ابنه شكر الذي لقّب بتاج المعالي لما تمتّع به من قوّة وشجاعة حتّي عرف بملك الحجاز ، وقد إستمرّ هو الآخر في ولائه للبيت الفاطمي حتّي توفّي في غضون سنة 453 هـ / 1061 م [3].

وبوفاة شكر بن أبي الفتوح دون أن يترك وريثا يتولّي أمر الشّرافة بجانب النّزاع بين بني سليمان أنفسهم[4] ، أتيحت الفرصة لأحد عبيد شكر لكي يتحكّم في أمر مكّة ولا يدعو لأيّ الخليفتين في خطبة الجمعة ، وهو ما أوجد فراغا علي مستوى مؤسّسة الإمارة بمكّة فأصبح أمير كلّ ركب يدعو بإسم الخليفة التّابع له . ثمّ إنّ الأمر إزداد سوءا عندما إنتزع الشريف محمد بن جعفر من الهواشم الحكم بمكّة من بني سليمان ودعا للخليفة القائم العبّاسي وذلك سنة 454 هـ / 1062 م ، لذلك التجأ بنو سليمان إلي جهة المخلاف السّليماني [5] من أرض اليمن وهناك عملوا علي تكوين إمارة ستعمل كغيرها من الإمارات الأخرى المستقلّة علي زعزعة حالة الأمن والإستقرار السّياسيين بهذا الجزء من بلاد العرب [6].

وقد ظلّ الأشراف السّليمانيون منذ إستقرارهم بجهة المخلاف السّليماني يتصيّدون الفرصة السّانحة لإسترداد ملكهم المسلوب ، وذلك ما حصل خلال سنة 462 هـ / 1069 م عندما ساروا نحو مكّة بقيادة حمزة بن سليمان بن وهّاس

---

(1) ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 4ص115 ، الجزيري ، **درر الفرائد** ، ص253 سرور ، **سياسة الفاطميّين**، ص 27. ماجد ، **ظهور خلافة الفاطميّين في مصر** ، ص24 . الزّيلعي، **مكّة وعلاقاتها الخارجيّة** ، ص 56.

(2) القلقشندي (أحمد) ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، طبعة دار الكتب المصريّة القاهرة 1912-1938م .ج4 ص269. الفاسي، **شفاء الغرام** ، ج 2ص196 . السّباعي ، **تاريخ مكّة** ، ج1 ص180 . الزّيلعي، **المرجع نفسه**، ص58.

(3) الفاسي ، **شفاء الغرام** ، ج2 ص196 . الجزيري ، **درر الفرائد** ، ص254 . السباعي ، **تاريخ مكّة** ، ج 1ص 181. الزّيلعي، **المرجع نفسه** ، ص 61.

(4) ابن خلدون ، **المصدر نفسه** ، ج4 ص 102 . الزّيلعي، **المرجع نفسه** ، ص 63.

(5) تعرف منطقة المخلاف السّليماني حاليا بإسم جازان وهي تابعة إداريّا للمملكة العربيّة السّعوديّة. العقيلي ، **المرجع السابق** ، ج1 قسم 1 ص 201 . المشني (أحمد بن محمد) ، "إمارة سليمان بن طرف الحكمي (373-447هـ) على ضوء الرّوايات التّاريخيّة "، **مجلّة العرب** ج11، 12 /س31 ، الجماديان 1417هـ/ سبتمبر ، أكتوبر الرّياض 1996م . ص791 . Smith , *The Ayyubids* .... , Vol II p 53.

(6) الفاسي، **شفاء الغرام** ، ج 2ص196 . ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج4 ص103 . سرور ، **سياسة الفاطميين الخارجيّة**، ص28 . ماجد ، **ظهور خلافة الفاطميّين وسقوطها في مصر**، ص225 . السّباعي ، **تاريخ مكّة** ، ج1 ص 184. مالكي ، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف إلى نهاية الخلافة العباسيّة** ، ص 35. العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السليماني** ، ج 1قسم1 ص206 . محمود ، **تاريخ اليمن السّياسي**، ص 183. الزّيلعي، **المرجع نفسه** ، ص 64.

السّليماني وأجلوا عنها الهواشم [1] . لكنّ هذه الحملة سرعان ما باءت بالفشل وتمكّن أبو هاشم محمّد بن جعفر زعيم الهواشم من العودة إلى مكّة ظافرا وأخرج منها حمزة بن سليمان بن وهّاس السّليماني [2] .

ويذكر إبن خلدون أنّ الحملة التي قادها السّليمانيون على مكّة كانت بإيعاز من الخليفة المستنصر الفاطمي عندما كتب إلى الملك الصّليحي يأمره بإعانة السّليمانيّين على إسترجاع ملكهم من الهواشم، الذين عمدوا في المقابل إلى إقامة الخطبة بإسم الخليفة العباسي القائم بعد أن انقطعت عنهم ميرة مصر [3] ، وذلك لما كانت تعيشه هذه الأخيرة طوال ذلك العهد من صعوبات إقتصاديّة جمّة .

و أمام تعهّد أبي هاشم محمّد بن جعفر زعيم الهواشم بإعادة الخطبة للفاطميّين تراجع بنو الصّليحي عن تحمّسهم لمساندة السّليمانيين ، الذين فشلوا في إسترداد رآستهم على مكّة . لكنّ هذه المحاولة الفاشلة لن تكون مدعاة لليأس من الوصول للرّياسة والزّعامة من قبل الأشراف السّليمانيين ، الذين سيحوّلون وجهة إهتمامهم صوب منطقة المخلاف السّليماني لإقامة إمارة تضاهي تلك التي سلبوها بمكّة .

ب- تراجع نفوذ بني الصّليحي وتغلّب الأشراف بني سليمان على إمارة المخلاف السليماني :

يظهر أنّ زعيم السّليمانيين حمزة بن سليمان بن وهّاس ، بعد أن فشلت حملته الأخيرة على مكّة ، قد عاد إلى جهة المخلاف السليماني ومكث هناك في قومه يحمل بداخله أملا في تحقيق ما يمكن تسميته بالملك المسلوب . فبعد أن خاب رجاء الزّعيم السّليماني في دعم الصليحيّين له على إستعادة إمارة مكّة ، توجّه حمزة بن سليمان بن وهّاس بأنظاره صوب منطقة المخلاف السّليماني أين سيعمل على توطيد نفوذه بها ، ساعيا بشتّى الطّرق إلى إقامة إمارة سليمانيّة مستقلّة عن دولة بني الصّليحي .

وقد عمل زعيم الأشراف حمزة بن سليمان بن وهّاس منذ إستقراره بجهة المخلاف السّليماني على تمتين علاقاته وإتّصالاته بحكومة زبيد الحبشيّة ، بعد أن خاب أمله في دعم الصليحيّين الذين كانوا في المقابل قد إعترفوا بالهواشم أمراء على مكّة [4] . كما سعى الشّريف السّليماني في الأثناء إلى التقرّب من ملوك

---

(1) ابن خلدون ، تاريخ ، ج4 ص 103. العقيلي ، من تاريخ المخلاف السليماني ، ج1 قسم 1 ص206 . المالكي ، بلاد الحجاز منذ بداية حكم الأشراف ...، ص 36 .

Smith , " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1-945 / 622-1538)", *loc.cit* , p 132-133.

(2) ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج 4 ص103 .

(3) يذكر ابن خلدون أنّ الملك الصليحي هو الدّاعي علي بن محمد وهذا وهم ذلك أنّ المقصود هو المكرّم ابنه فقد سبق لعلي بن محمد الصّليحي أن توفّي سنة 459 هـ /1067 م كما أجمعت على ذلك بقيّة المصادر . ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج4 ص103. المالكي ، بلاد الحجاز ......، ص36-37 .

(4) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج 2ص202 . المالكي ، بلاد الحجاز منذ بداية حكم الأشراف ...، ص 53.

تهامة النّجاحيّين مستغلاّ إتّصال نسبه ببيت النبوّة وشهرته لمّا كان أميرا على مكّة قبلة العالمين ، وذلك محاولة منه لإستمالة قلوب التّهاميين من حكّام ورعايا [1].

وبموت علي بن محمّد الصّليحي[2] ، خلال سنة 459 هـ / 1067 م على يد سعيد الأحول النّجاحي وما تبع ذلك من تراجع لنفوذ بني الصّليحي أمام تعاظم أمر دولة الأحباش النّجاحيّة ، سيتأكّد التّقارب السّليماني النّجاحي أكثر من ذي قبل إلى حدّ تورّط الشّريف غانم بن يحي السّليماني في الخلافات القائمة داخل الأسرة النّجاحيّة [3].

ولمّا إستقام الأمر بتهامة لبني مهدي الرّعيني ، بعد أن أقاموا بالقضاء على دولة الأحباش النّجاحيّة ، أصبحت إمارة الأشراف السّليمانيين عرضة لتهديدات حكومة زبيد الجديدة ، التي رأت في تلك العلاقة الحسنة التي كانت تربط النّجاحيّين بالأشراف السّليمانيين نوعا من التّحالف وسببا كافيا لشنّ حرب على هؤلاء وإستئصالهم على غرار حلفائهم النّجاحيّين .

فلمّا كانت سنة 561 هـ / 1166 م قاد عبد النّبي بن علي بن مهدي صاحب زبيد هجوما على منطقة المخلاف السّليماني فقاتل الأشراف حتّى هزمهم وقتل الأمير الشّريف وهّاس بن غانم السّليماني [4]، ثمّ إستولى على الأموال وإستاق النساء والأطفال وسار بهم إلى زبيد . أمّا من نجا من السّليمانيين فقد رأى من الصّواب أن يتمّ إرسال الشّريف منصور بن أحمد السّليماني ليرفع استصراخهم إلى الخليفة العبّاسي [5]، فكتب هذا الأخير لهم إلى صلاح الدّين الأيّوبي بمصر ليبعث من

---

(1) العقيلي، **من تاريخ المخلاف السليماني** ، ج 1قسم 1ص207 .

(2) اختلف المؤرّخون حول سنة وفاة الصليحي فجعلها البعض في سنة 459هـ/ 1067 م وجعلها البعض الآخر في سنة 473 هـ / 1082م، وذكر الرّوايتين عمارة اليمني وأشار إلى صحّة الرّواية القائلة بسنة 459 هـ / 1067م . واعتماد على السجلاّت المستنصريّة نرى أنّ هذه الرّسائل كانت ترسل من الخليفة الفاطمي في مصر في اتجاه اليمن منذ سنة 459هـ/ 1067 م بإسم الملك المكرّم أحمد بن علي بن محمد الصليحي وهذا ما يرجّح القول بصحّة سنة 459هـ/ 1067 م كتاريخ لوفاة علي بن محمد الصليحي، كما تجمع على ذلك العديد من المصادر التي تعرّضت لهذا الموضوع . عمارة ، **تاريخ** ، ص126 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 10 أ . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص258 . فؤاد سيّد (أيمن) ، **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتّى نهاية القرن السّادس هجري** ، الدّار المصريّة اللّبنانيّة القاهرة1988 م. ص126-127 انظر كذلك : كركنو . ف . Krenkow (F) في مادّة " الصّليحي " **بدائرة المعارف الإسلاميّة** ، الطبعة الأولى مجلد عدد14ص224 .

Hamdani (H) ," Letters of al-Mustansir bi'llah" , in *BSOS, Vol VII ,1933-35* p 322.

Smith," The Early and Medieval History of San'a'", in *SANA'A'- an Arabian Islamic City* , London 1983 p 58.

(3) عمارة ، **تاريخ** ، ص222 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص60 .

(4) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص366 . **بغية المستفيد** ، ص67 . أبو مخرمة (الطيّب) ، **تاريخ ثغر عدن**، اعتنى به علي حسن علي عبد الحميد دار الجيل بيروت 1987م . ج 2ص159 . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج1 قسم 1 ص 208 .

(5) هو الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن الخليفة المستضئ بالله العباسي .

لدنه جيشا لنصرتهم كما تشير إلى ذلك عديد الرّوايات [1]. وفي إنتظار ما ستسفر عنه تلك السّفارة ظلّ أمير السّليمانيين قاسم بن غانم متخفيّا عن عبد النّبي صاحب زبيد إلى أن حلّت بأرض اليمن القوّات الأيوبيّة بقيادة الملك المعظّم توران شاه وذلك في غضون سنة 569 هـ / 1174 م [2].

وهكذا، يتبيّن بوضوح إلى أيّ حدّ كان ظهور إمارة الأشراف السّليمانيين بمنطقة المخلاف السّليماني قد ساهم في تفكيك أواصر الوحدة السّياسيّة ببلاد اليمن خلال النّصف الأوّل من القرن السّادس هجري / الثاني عشر للميلاد وزاد في مظاهر الفرقة المذهبيّة والدّينيّة ، التي سادت بهذا الإقليم طوال هذه المرحلة الحرجة من تاريخه . ذلك أنّ النّزعة الإستقلاليّة التي طالما إستبّدت بالأمراء السّليمانيين منذ خروجهم من مكّة في إتجاه هذه النّاحية من بلاد اليمن، والتي كانت بدورها تتعارض مع فكرة النّظام السّياسي المركزي ، قد جعلت محاولات ملوك دولة بني الصّليحي الرّامية إلى توحيد البلاد اليمنيّة تحت سلطة سياسيّة موحدّة تبدو على غاية من الصّعوبة . بل إنّ الأمر قد تجاوز هذا الحدّ عندما تحالف الأشراف بنو سليمان مع بني نجاح الأحباش الثّائرين بدورهم على الدّولة الصليحيّة ، ومنحهم الفرصة لأطراف خارجيّة للتدخّل ببلاد اليمن عندما إستغاثوا بصلاح الدين الأيّوبي كي ينجدهم من جور دولة بني مهدي، التي ما كان ظهورها هي الأخرى إلاّ ليجعل الأوضاع بهذه المنطقة أكثر صعوبة وتعقيدا .

2 - دولة بني مهدي الخارجي بزبيد :

مع منتصف القرن السّادس هجري / الثّاني عشر ميلادي، وبعد أن تأكّد مآل دولة بني الصّليحي إلى الزّوال ، لم يلبث أن عرف حكم آل نجاح الأحباش بزبيد بدوره حالة من الضّعف والتّراجع ، بعد أن ساد الإختلاف والإنقسام داخل الطّبقة الحاكمة من قوّاد ووزراء فصاروا أحزابا يلتفّ كلّ فريق منهم حول زعيم ، في حين كان السّلطان غارقا في لهوه الذّي فاق كلّ حدّ [3] . لذلك كان لا بدّ أن يسخط النّاس ويبلغ سخطهم الذّروة ويكون ذلك سببا كافيا يدفعهم للتّفكير في الخروج عن طاعة هذه الأسرة ، خصوصا إذا توفّرت شخصيّة لها من المقدرة ما يؤهّلها للإستفادة من الوضع الصّعب الذّي أصبح يعيشه الحكم الحبشي بزبيد ، كما هو حال علي بن مهدي الرّعيني الحميري الذي ما لبث أن أعلن الثّورة على حكومة آل نجاح ليتمكّن بعد صراع طويل ضدّهم من القضاء عليهم وإقامة دولة راحت تساهم كغيرها من الكيانات السّياسيّة اليمنيّة الأخرى في زعزعة حالة الإستقرار والأمن بهذا الجزء من بلاد العرب .

----

(1) ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج 1ص 276. ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص322 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص159-160 . العقيلي ، المرجع نفسه ، ج1 قسم1 ص210 .

(2) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص16 . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السّليماني ، ج1 قسم1 ص211 .

(3) ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج 1ص351 . رياض ، دولة حبشية في اليمن ، ص 115.

أ- ظهور علي بن مهدي وإطاحته بحكم آل نجاح الأحباش :

هو أبو الحسن علي بن مهدي بن علي بن دواد بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن أحمد بن عبد الجماهر بن عبد الله بن الأغلب بن أبي الفوارس بن ميمون الحميري الرّعيني ، أصيل قرية العنبرة الواقعة بأسفل وادي زبيد من جهة الغرب (1) ، كان أبوه رجلا صالحا سليم القلب فنشأ ولده علي بن مهدي على طريقته في العزلة والتمسّك بالعبادة والصّلاح (2). ويصفه عمارة بقوله " كان صبيحا فصيحا حسن الصّوت طيّب النّغمة حلو الإيراد غزير المحفوظات قائما بالوعظ والتّفسير وطريقة الصّوفيّة أتمّ قيام " (3) . ولم يزل علي بن مهديّ منذ سنة 531 هـ/ 1136 م يتابع الحجّ بمكّة أين كان يلتقي بعلماء العراق ووعّاظهم فيباحثهم ويتضلّع من معارفهم ، فلمّا عاد إلى اليمن إعتزل وأظهر الوعظ وأطلق التّحذير من صحبة الملوك وحواشيهم (4)، فإستمال قلوب العامّة بورعه وحسن تدينه. ويذكر الخزرجي أنّه كان يتحدّث عن المستقبلات فيصدّق ، فإشتهر بالصّلاح والكشف كما كان لا يقبل الهديّة ولا الصّدقة (5) ، وهو ما جعل أمره يظهر بقوّة ويمتدّ إلى أغلب قرى أسفل وادي زبيد كالعنبرة وواسط والقضيب والأهواب وساحل الفازة (6).

---

(1) لقد جانب حسن سليمان محمود الصّواب عندما رأى أنّ العنبرة إسما لعشيرة وليست إسما لموضع . أنظر **تاريخ اليمن السّياسي** ، ص 237. وقارن بما جاء في عمارة ، **تاريخ** ، ص 229. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن**، ص 72. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص360 . الوصابي ، **تاريخ وصاب**، ص105 . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 4ص181 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع**، تحقيق علي محمّد البجاوي ، دار الجيل بيروت 1992م مجلّد عدد 2ص966 . كحالة ، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج2 ص438 .

Smith (G.R),art " Mahdides ",*EI*[2] , Vol V pp 1235-1236.

(2) عمارة ، **تاريخ**، ص229 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص72 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص 360 . الوصابي ، **المصدر نفسه**، ص105 . ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج4 ص219. الأشرف الرسولي، **طرفة الأصحاب** ، ص 52. الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 13أ . فؤاد سيّد (ايمن) ، **تاريخ المذاهب الدّينية في بلاد اليمن حتّى نهاية القرن السادس هجري** ، الدّار المصرية اللبنانية 1988م ص85 .

(3) عمارة، **تاريخ** ، ص 229. صالح أمين (محمد) ، "دولة الخوارج في اليمن : بنو مهدي في زبيد"، **المجلّة التاريخيّة المصريّة عدد 25 ، 1978 م** . ص 127-128.

(4) عمارة ، **تاريخ** ، ص229 الوصابي ، **تاريخ وصاب**، ص105 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 72. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص360 . محمود ، **تاريخ اليمن السياسي** ، ص 238. شرف الدين (أحمد حسين) ، **اليمن عبر التاريخ** ، الطبعة الثانية القاهرة 1964م . ص 213. فؤاد سيّد ، **تاريخ المذاهب الدّينية في بلاد اليمن**، ص85 . Smith (G.R), art " Mahdides ", *EI*[2] , Vol V p 1235.

(5) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص360 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 72. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص360 .

(6) الفازة : بالفاء والزاي مرسى على ساحل البحر الأحمر جنوب غربي زبيد وتشير الدّلائل على أنّها كانت ميناء عامرة زمن علي بن مهديّ . إبن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ص 360. عمارة، **تاريخ** ، ص 230.

ثمّ إنّ علي بن مهدي شرع في شنّ الغارات علي تهامة حتّى أخرب الحصون المتاخمة للجبال والحبشة يومئذ تبعث الرّجال والأموال إلى المراكز بدون جدوى لمناعة الحصون التي إحتلّها إبن مهدي ، ولم يزل دأب هذا الأخير كذلك مع أهل زبيد إلى أن أجلى جميع أهل البوادي [1] .

فلمّا كان شهر صفر من سنة 551هـ/ 1156م قتل الوزير سرور الفاتكي القائم بدولة آل نجاح وإنشغل رؤساء زبيد الأحباش بالتّنافس على منصب الوزارة ، فكان ذلك ممّا أعان إبن مهدي وشجّعه علي مواصلة التحرّك فزحف علي زبيد في جموع غفيرة من أتباعه وضرب عليها الحصار، حتّى أذ عنت له في يوم الجمعة من شهر رجب من سنة 554هـ/ 1159م [2] . لتنتهي بذلك رسميّا دولة آل نجاح الحبشيّة بزبيد ويبدأ بها عهد سياسي جديد بزعامة المسمّى علي بن مهدي الرّعيني الحميري ، الذّي كانت مطامحه تتجاوز بكثير حدود هذه المدينة .

غير أنّ الموت كان أسرع هذه المرّة ليحول دون ما كان يرمي ابن مهدي إلى تحقيقه ، بعد أن كان قد نجح في وضع اللّبنة الأولى لدولة ستحكم القسم الأكبر من بلاد اليمن حتّى مقدم الأيّوبيين . ذلك أنّه ما أن فتح علي بن مهدي أبواب مدينة زبيد وإستقرّ بدار الملك حتّى وافته المنيّة في شوّال من السّنة المذكورة ، تاركا مصير هذه الدّولة بين أيدي ذرّيته بعد شهرين وإحدى عشرين يوما من الحكم [3] .

ب- تعاظم دولة بني مهدي وإتّساع مجال نفوذها :

لأنّ المدّة القصيرة التّي قضّاها علي بن مهدي في الحكم لم تكن كافية ليتمكّن أثناءها من تركيز دعائم دولته وتوطيد نفوذها ببلاد اليمن ، فإنّ ذرّيته من بعده قد تكفّلوا بهذه المهمّة وعملوا جاهدين بغية إتمامها على أحسن وجه .

فقد توفّي علي بن مهدي تاركا ثلاثة أبناء هم المهدي وعبد النّبي وعبد الله ، وقد آل الأمر في البداية إلى المسمّى المهدي بن علي بن مهدي فسعى إلى توسيع مجال نفوذ دولته وتوطيد دعائم ملكه . فبعد أن عقد صلحا مع الداعي عمران بن محمد بن سبأ الزّريعي صاحب عدن والدّملوة [4]، توجّه مهدي بن علي صوب

---

(1) عمارة ، **تاريخ** ، ص 232. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 74. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1 ص361-362 .

(2) عمارة ، **المصدر نفسه**، ص 232. ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه**، ص 74. ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص361-362 .

(3) عمارة ، **المصدر نفسه** ، ص 233. ابن عبد المجيد ، **بالمصدر نفسه** ، ص74 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج 1ص365 . الوصابي ، **المصدر نفسه**، ص107 . الكبسي، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 14أ . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 313 ، زمباور ، **معجم الأنساب** ، ص182 .

(4) الدّملوة : حصن عظيم باليمن شرقي مدينة الجند . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 2ص535 . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص214 . الهمداني (حسن) ، **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمد بن علي الأكوع إشراف جمد الجاسر منشورات دار اليمامة الرّياض 1974م ص135 .

لحج [1] فأغار عليها مرّتين وقتل من أهلها عددا كثيرا وسبى الحريم والأموال الجزيلة و ذلك في غضون سنة 556 هـ / 1160 م [2]. وبحلول سنة 558 هـ / 1162م تحرّك مهدي بن علي صوب مدينة الجند فحاصرها أيّاما ، ثمّ دخلها فقتل أكثر من فيها ورماهم في البئر التي في المسجد وأحرق المسجد بمن فيه من الضّعفاء والعجائز والعواكف والودائع والكتب والمصاحف ، فضلا عن نهبه لأموال النّاس كما تجمع على ذلك أغلب المصادر التي تعرّضت لهذه الحادثة [3].

ثمّ إنّ مهدي بن علي عاد إلى زبيد وقد أصابه مرض تفطّر منه جسمه حتّى توفّي في أوّل ذي الحجّة من سنة 558 هـ / 1162 م، فتولّى الأمر من بعده أخوه عبد النّبي الذي لقي معارضة من أخيه الآخر عبد الله ، لكنّ هذا الأخير سرعان ما توفّي هو الآخر ليستقرّ الأمر في النّهاية بين أيدي المسمّى عبد النّبي [4] . لكنّ ابن الدّيبع ينفرد برواية مغايرة نقلها عن الجندي تفيد بأنّ مهدي وعبد النّبي إبنا علي بن مهدي قد تقاسما الحكم غداة وفاة أبيهما ، فكان إلى عبد النّبي تدبير المملكة وكان أخوه مهدي بن علي متوليّا على أمور الجيش والسّرايا، فلمّا توفّي هذا الأخير إستقلّ بالأمر عبد النّبي [5].

وبإستقرار الملك في يد عبد النبيّ سيعمل هذا الأخير على مواصلة السّياسة التوسّعيّة التي دأب عليها أسلافه من قبله ، إذ عمد خلال سنة 559 هـ / 1163 م إلى الإغارة على جهتي أبين و لحج جنوب زبيد فأحرق وسبى وسفك الدّماء ، ثمّ توجّه شمالا إلى مخلاف السّاعدي بجهة المخلاف السّليماني فأعمل في أهله السّيف ونهب أموالهم قبل أن يعود إلى زبيد [6] .

ثمّ لمّا كانت سنة 561 هـ / 1165 م توجّه عبد النبيّ من جديد ناحية المخلاف السّليماني فقتل من أهله طائفة غالبهم من الأشراف ، ومن جملة من قتلهم وهّاس بن غانم بن يحي بن حمزة السّليماني أحد أمراء الأشراف ، كما أخذ أمواله

---

(1) لحج : مخلاف باليمن نسبة إلى لحج بن وائل يقع شمال زبيد . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص 322.

(2) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص66. **قرّة العيون** ، ج 1ص366 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص 315. ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص182. الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 14
Smith , *The Ayyubids* ... ,Vol II p 60.

(3) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص66. **قرّة العيون** ، ج 1ص366 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 315. الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة 14أ . الزركلي ، **الأعلام** ، ج8 ص258 .

(4) عمارة ، **المصدر نفسه** ، ص233 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص75 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ص66 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص315 . الزركلي ، **الأعلام** ، ج4 ص320 . الأشرف الرسولي ، **طرفة الأصحاب** ، ص 52. ابن واصل (جمال الدين) ، **مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق جمال الدين الشيال ، مطبعة جامعة فؤاد ، طبعة أولى ، 1953 م ج 1 ص238 .

(5) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص366 .

(6) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص183 . أبو مخرمة ، **تاريخ ثغرعدن**، ج2 ص159 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد**، ص66 . اليافعي (عبد الله) ، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1970 ج 3ص322 . ابن واصل ، **مفرج الكروب** ، ج1 ص 238.

وسبى حريمه[1] . وفي مفتتح شهر ربيع الأوّل من السّنة المذكورة بعث عبد النبيّ أخاه أحمد بن مهدي لعمارة مدينة الجند فعمرّها، ثمّ أغار على مدينة الجوّة [2] وكان بها عسكر الدّاعي عمران بن محمّد بن سبأ الزّريعي ، فوقع بين العسكرين قتال شديد إنهزم خلاله عسكر الدّاعي عمران ودخل أحمد بن مهدي الجوّة فأحرقها وأخربها [3].

وفي الأثناء كان عبد النبيّ قد سار من جهته إلى الجند في جمادى من سنة 561 هـ / 1165 م فإستولى على حصني شرياف وتالبة [4] ودانت له تعزّ وصبر[5] . ثمّ عاد إلى زبيد ومنها إلى مخلاف جعفر فأخذ حصن المُجمعة [6] في سنة 562 هـ / 1166 م ، وتوجّه إلى مدينة إبّ فإستولى عليها ومنها بعث السّرايا إلى كلّ مكان ثمّ سار إلى عدن فحاصرها أيّاما دون أن يظفر منها بشيء فتركها[7] .

وأمام تزايد خطر حكومة زبيد الجديدة بادر السّلطان حاتم بن علي بن الدّاعي بن أبي السّعود الزّريعي صاحب عدن بطلب نجدة السّلطان علي بن حاتم بن أحمد اليامي ، الذي لم يمانع من جهته عن تلبية الدّعوة شرط أن تنهض معه قبيلتي جنب ومذحج ، لذلك لم يجد حاتم بن علي صاحب عدن بدّا من التوجّه إلى ذمار لطلب عون السّلطان عبد الله بن يحي والشّيخ زيد بن عمرو ، فلمّا أجاباه إلى غايته كتب إلى السّلطان علي بن حاتم صاحب صنعاء يخبره بما أجمع عليه القوم من التصدّي لخطر إبن مهدي وساروا جميعا لمناجزته [8].

وهكذا ، كان لا بدّ أن تلقي السّياسة التوسّعيّة التي سلكها عبد النبّي بن علي بن مهدي معارضة شديدة من أهمّ القوى السّياسيّة اليمنيّة المتواجدة خلال ذلك العهد ، وذلك بعد أن رأت تلك القوى في سياسة إبن مهدي التوسّعية خنقا لمصالحها وتهديدا صريحا لوجودها . أمّا من جهة عبد النبيّ بن علي بن مهدي فيبدو أنّه لم يكن

---

(1) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص183 . أبو مخرمة ، **تاريخ ثغرعدن** ، ص159 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص67 ، **قرّة العيون** ، ج 1ص366 . اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج 3ص322 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 14أ . محمود ، **تاريخ اليمن السياسي** ، ص 242

(2) الجوّة : بلدة تقع شرقي الجند اختطها بنو زريع . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص 311 .

(3) أبو مخرمة ، ج 2ص160 ، ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص67 . **قرّة العيون** ، ج 1ص367 . اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج3 ص 322. ابن الحسين ، **غايـــة الأماني** ، ج 1ص 317.

(4) شرياف وتالبة : حصنان يقعان غرب مدينة تعزّ . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص367-368 . عمارة ، **تاريخ** ، ص235 .

(5) صبر : جبل مطلّ على مدينة تعز فيه قرى كثيرة . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص319. ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 3ص445 .

(6) المجمعة : أحد حصون بلد الشّوافي من أعمال إبّ . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص368 . ابن سمرة ، **المصدر السابق** ، ص 323.

(7) عمارة ، **المصدر نفسه** ، ص235 . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن**، ص183 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص368 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 317.

(8) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج 1ص368 . الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة 14أ . ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج 1ص 321.

مقدّرا لإمكانيّاته التّقدير الصّحيح عندما إتّجه بغاراته من الشّمال إلى الجنوب قصد الإستيلاء على مدينة عدن ذات الثّقل التّجاري الهام والمنطقة الحيويّة التي ترتكز إليها الحياة الإقتصاديّة في البلاد عامّة . ثمّ إذا كانت الحروب والغارات التي شنّها بنو مهدي على آل نجاح الأحباش ، إضافة إلى الحملات التوسّعيّة التي شنّت على أشراف المخلاف السّليماني ، لم تلق جميعها معارضة من أطراف سياسيّة يمنيّة أخرى، فإنّ ذلك يعود أساسا إلى عزلة الأحباش والأشراف بإعتبارهم عناصر أجنبيّة دخيلة ، فضلا عن تلك الإختلافات المذهبيّة والتّناقضات الإيديولوجيّة القائمة بين تلك القوى جميعا والتي كانت تغذّي ذلك التّباعد وتنمّيه .

أمّا أن يتوجّه إبن مهدي لمحاصرة بني زريع من همدان، أقوى القبائل اليمنيّة خلال ذلك العهد ومتولّي أمر الدّعوة الإسماعيليّة من بعد بني الصّليحي ، فهو أمر كان لا بدّ أن يثير حفيظة بقيّة الأطراف اليمنيّة لاسيما تلك التي تربطها علاقات نسب وتحالف بأهل هذه المدينة ، كما هو حال بني حاتم الهمدانيّين بني عمومة الزريعيّين [1] وحلفائهم التّقليديين منذ زمن الدّولة الصّليحيّة . كما كان من المنتظر أن يحصل مثل ذلك التّحالف بين كلّ من صاحب عدن وصاحب صنعاء أتباع الدّعوة الفاطميّة لمواجهة السّياسة التّوسّعيّة ،التي إنتهجها إبن مهدي المنعوت بالخارجي خلال ذلك العهد .

بل إنّ السّياسة التوسّعيّة المشفوعة بكثير من العنف والدّماء ، التي إنتهجها علي بن مهدي وذريّته من بعده ، والتي لم تراع وجود أطراف سياسيّة ودينيّة لها وزنها فضلا عن تجاهلها لعدّة إعتبارات أخرى هامّة ، كانت في النّهاية بمثابة المحرّك البارز لتلك الفتنة التي سبقت التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن ومهدّت الطّريق له كما يجمع على ذلك العديد من المؤرّخين القدامى والمحدثين ، حتّى أنّ بعضهم قد رأى في قتل عبد النّبي بن علي بن مهدي للشّريف وهّاس بن غانم السّليماني وذلك خلال سنة 561 هـ / 116م السّبب الرّئيسي المباشر ، الذي دفع بصلاح الدين الأيّوبي إلى إرسال قوّة عسكريّة نحو اليمن بإيعاز من الخليفة العبّاسي لنصرة الأشراف السّليمانيين وقمع حركة ابن مهدي الخارجي، الذي ما إنفكّ ملكه يتعاظم بجنوب بلاد العرب طوال ذلك العهد المضطرب [2].

3 - إمارة بني زريع أصحاب الدّعوة الحافظيّة بعدن :

أ - إضطراب الحكم الصليحي وإستقلال بني زريع بإمارة عدن :

لقد كان موت الملك المكرّم أحمد الصّليحي في غضون سنة 484 هـ / 1091 م إيذانا بدخول الدّولة الصّليحيّة لمرحلة سياسيّة جديدة إتّسمت

---

(1) ينتمي كل من بني حاتم أصحاب صنعاء وبني زريع أصحاب عدن إلى قبيلة همدان اليمنيّة . عمارة ، **تاريخ** ، ص172 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ص284 ، 304، وما يليها .

(2) الوصابي ، **تاريخ وصاب** ، ص108 . أبو مخرمة ، **تاريخ ثغر عدن**، ج2 ص160 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص274 . **بغية المستفيد**، ص69 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص322 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 14 ب . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السليماني** ، ج1 قسم1 ص208 .
Smith, *The Ayyubids* ..., Vol II p 32 .

بالهشاشة والضّعف [1] ، وذلك رغم المحاولات الجدّية التي قامت بها الملكة الحرّة السيّدة الصّليحيّة للمحافظة على مملكة زوجها من بعده . ذلك أنّ النّزاعات والخلافات التي نشبت داخل الأسرة الصّليحيّة قد منحت بني زريع المتوثّبين فرصة الخروج عن نفوذ دولتهم وإعلان إستقلالهم الذي طالما نشدوه سابقا دون جدوى .

فقد توفّي الملك المكرّم وكان قد أوصى بأن يخلفه من بعده ابن عمّه أبو حمير سبأ بن أحمد الصّليحي ، لكنّ زوجته السيّدة الصّليحيّة لم ترض بهذا الإختيار لأنّها كانت تريد أن تولّي ابنها عبد المستنصر وكان لا يزال صغيرا وكتبت بذلك إلى الخليفة الفاطمي[2] . وفي المقابل فإنّ بعض الأمراء الصّليحيين وعلى رأسهم سبأ بن أحمد الصّليحي المذكور لم يعترفوا بسيادة الغلام ابن الملكة الصّليحيّة ومن ثمّة إحتدم النّزاع بين الدّاعي سبأ بن أحمد الصّليحي والملكة الحرّة ، التي فوّضت من جهتها أمر قيادة الجيش لأخيها من أمّها سليمان بن عامر الزّواحي فدامت الحرب بينهما أيّاما ولم تنته إلاّ بتدخّل من الخليفة المستنصر الفاطمي صاحب مصر [3] .

ولمّا توفّي سبأ بن أحمد بن مظفّر الصّليحي أقامت الحرّة السيّدة الصّليحيّة المفضّل بن أبي البركات بن الوليد الحميري للذبّ عن ملكها والقيام بأمرها وأوكلت له حصن التّعكر وذخائر بني الصّليحي ، فما لبث أن ثار عليه جماعة من الفقهاء السّنيّة فإستولوا على الحصن وذلك في غضون سنة 504هـ/ 1109م ومات المفضّل بسبب تلك الحادثة [4] . عندئذ أقامت الملكة الحرّة مكانه أسعد بن أبي الفتوح بن العلا ، الذي كان قد سبق له أن قاتل بني زريع سنة 504 هـ/ 1109 م وأجبرهم على رفع ربع خراج عدن للملكة الصّليحيّة .

وفي إطار هذا الوضع الصّعب الذي آل إليه الحكم الصّليحي أصبح من العسير على الملكة الحرّة الصليحيّة أن تحافظ على إستتباب الأمن والنّظام بأطراف دولتها ، فقد إستقلّ بنو حاتم الهمدانيّون بصنعاء وإستولى آل نجاح الأحباش على زبيد وما جاورها من أرض تهامة ، ثمّ ما لبث أن ثار بنو الزرّ من خولان واستولوا على حصن التّعكر وذلك سنة 509 هـ / 1114 م [5] ، حينئذ تغلّب بنو زريع من جهتهم على عدن وإمتنعوا عن تأدية ربع الخراج المتّفق عليه للسيّدة الحرّة الصليحيّة [6].

---

(1) عمارة ، تاريخ، ص146 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص 59.

(2) عمارة ، المصدر نفسه، ص146 . ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص59 . حسن (ابراهيم حسن) ، تاريخ الدولة الفاطميّة ، ط 2مكتبة النهضة المصريّة القاهرة 1958م ص244 .

(3) عمارة ، المصدر نفسه، ص150 . ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص60 . ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج1ص 267.

(4) عمارة ، المصدر نفسه ، ص158 . ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص61 . ابن الدّيبع ، المصدر نفسه، ج1ص 273. الكبسي ، اللّطائف السنّية ، ورقة12 أ .

(5) عمارة ، المصدر نفسه، ص161 .

(6) عمارة ، المصدر نفسه ص178 . ابن المجاور ، المستبصر ، ص123 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص 120. ابن الدّيبع المصدر نفسه ، ج1ص306 .

ورغم محاولة الخليفة الفاطمي لإستعادة النّفوذ الصّليحي ببلاد اليمن من خلال إرساله رجلا من أعوانه يدعى علي بن إبرهيم ويعرف بإبن نجيب الدولة وذلك خلال سنة 510 هـ / 1115 م [1]، فإنّ الأمـــر في عـدن ومـــا جـاورها قـد آل لبني زريع يحكمـونه بلا إتاوة ولا ضـريبـة . ولم يزل كلّ من أبي السّعـود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود مواليين لبعضهما وكلّ واحد مشرف على الجهة التي تحت نفوذه حتى توّفيا ، فخلف أبا السّعود ابنه سبأ بن أبي السّعود وتولّى محمّد بن أبي الغارات الأمر من بعد أبيه حتّى توفّي في غضون سنة 524 هـ / 1129 م ، فآل الأمر من بعده لأخيه علي بن أبي الغارات فكان صاحب حصن الخضراء والمتولّي على المدينة وباب البحر ، في حين كان سبأ بن أبي السّعود يمتدّ نفوذه على حصن التّعكر وباب البرّ وما يدخل منه وما جاور ذلك من حصون الدّملوة وسامع ومطران وذبحان وبعض المعافر وبعض الجند [2].

ولمّا تولّى أمر الخلافة بمصر الخليفة الفاطمي الحافظ [3] حرص على أن تكون له دعوة في اليمن ودعاة يدعون بإسمه ، فكتب إلى سبأ بن أبي السّعود الزّريعي علـــى أن يقيـــم لــــه الدّعـــوة فأجابه إلى ذلــك وكـان ذلــك خـــلال سنـــة 526 هـ / 1131 م [4] ، ثمّ منح سبـــأ بـــن أبـــي السّعـــود لقب الدّاعـــي [5] فظـــلّ هـذا اللّقب ملازما له ولخلفائه من بعده.

ب- تصدّع الأسرة الزّريعية وتزايد أطماع دولة بني مهدي تجاه عدن :

كانت العلاقة بين كلّ من الدّاعي سبأ بن أبي السّعود وإبن عمّه علي بن أبي الغارات ما لبثت أن آلت إلى نزاع حادّ سرعان ما إنتهى بزوال حكم ذرّية علي بن أبي الغارات وتغلّب أبناء الداعي سبأ بن أبي السّعود على حكم عدن دون سواهم . ويحدّثنا عمـارة اليمني عن سبب هذا النّزاع بقوله : " حدّثني الدّاعي محمد بن سبأ وجماعة من مشايخ عدن قالوا : كان محمد بن الخزري أبو القاسم نائبا لعليّ بن أبي الغارات في نصف عدن ، والشيخ أحمد بن غيّاث الهذلي نائبا لسبأ في نصف عدن فإشتطّ ابن الخزري في قسمة الإرتفاع على أحمد بن غيّاث وامتدّت أيدي أصحاب علي بن أبي الغارات إلى ظلم الناس وعاثوا وأفسدوا وأطلقوا الأقوال بمذمّة الدّاعي سبأ وقالوا من

---

(1) عمارة . تاريخ، ص 162. ابن الدّيبع ،قرّة العيون ، ج1ص274 . ابن الورديّ (زين الدين) ، تتمّة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد رفعت البدراوي الطّبعة الأولى ، دار المعرفة بيروت1970م، ج1ص 1555 .

(2) عمارة . المصدر نفسه، 177. ابن الدّيبع ،المصدر نفسه ، ج1ص306 . أبو مخرمة . تاريخ ثغر عدن، ج2 ص 119.

(3) هو الحافظ لدين الله عبد المجيد بن الآمر أبي القاسم بن المستنصر العبيدي .

(4) ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج1ص278 .

(5) هذا اللّقب حمله ملوك بني الصّليحي ومن بعدهم بنو زريع وهو مرتبة من مراتب الدّعوة الإسماعيليّة والتّي تتدرّج كالآتي : النّاطق وهو النبيّ (ص) ، والوصيّ وهو الإمام علي ثم الإمام والباب والحجّة والدّاعي وهذه الرّتبة الأخيرة تحتوي بدورها على ثلاثة رتب متتالية هي داعي البلاغ والدّاعي المطلق والدّاعي المحصور ولم يكن في اليمن إمام أو باب بل كان هناك داعي . فؤاد سيّد ، تاريخ المذاهب الدينيّة في بلاد اليمن ،ص 18، 191

ذلك ما يوجب الغيظ ويثير الحفيظة ، والدّاعي في أثناء ذلك مهتمّ بجمع الأموال والغلال سرّا وكلّ من يلوذ بالدّاعي يضام ويهضم والصّولة لأصحاب علي والداعي في ذلك يحتمل وحين كاد إحتماله أن يخرج الأمر من يده عزم على مناجزة القوم ..." [1].

وهكذا ، سرعان ما تحوّلت العلاقة بين أمراء بني زريع إلى نزاع وإقتتال من أجل التّنافس على النّفوذ بمنطقة عدن بعد أن خرجت عن دائرة الحكم الصّليحي ، فكان أن أوعز الدّاعي سبأ بن أبي السّعود إلى قائده الشّيخ بلال فولاّه عدن وكلّفه بمناجزة علي بن أبي الغارات .

ثمّ إنّ الدّاعي سبأ جمع الجموع من همدان وخولان وحمير ومذحج وجنب وعنس وغيرهم ونزل من حصن الدّملوة قاصدا قرية بني أبّه [2] بوادي لحج فعسكر بها ، أمّا علي بن أبي الغارات فقد كان يقيم بدوره بهذا الوادي في مدينة كبيرة يقال لها الزّعارع [3] . فخيّم كلّ في مدينته ثمّ إقتتلوا أشدّ إقتتال [4] حتّى إنهزم أصحاب علي بن أبي الغارات وتحصّنوا بحصن منيف [5]، فإستولى بلال بن جرير قائد الدّاعي سبأ على حصن الخضراء بعدن وكانت به أمّ علي بن أبي الغارات فوجد عندها من الذّخائر ما لا يوصف [6] ، وفي الأثناء تمكّن الداعي سبأ بن أبي السّعود من بسط نفوذه على مدينة الزّعارع مقرّ علي بن أبي الغارات .

ويذكر عمارة اليمني أنّ الدّاعي سبأ بن أبي السّعود أنفق على حرب علي بن أبي الغارات ثلثمائة ألف دينار ، ثمّ أفلس فإقترض من تجّار عدن مالا ولمّا مات

---

(1) عمارة ، تاريخ ، ص 178. إبن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص123 . أبو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج2 ص120 . إبن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج 1ص 306.

(2) بني أبّه : اسم مركّب من كلمتين بنا وأبّه نسبة إلى باني هذه القرية وهو رجل من قريض يقال له أبّه . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب**، ص204 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص307 . عمارة ، **المصدر نفسه** ، ص 178.

(2) الزّعارع : قرية من قرى لحج بقيت عامرة حتى القرن الثامن للهجرة . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب**، ص 139. عمارة ، **المصدر نفسه** ، ص179 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص307 . ابن سمرة ، **طبقا فقهاء اليمن** ، ص 316.

(3) عمارة ، **المصدر نفسه**، ص179-180 . ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ص123 . أبو مخرمة ، ، ج 2 ص 120. Smith, *The Ayyubids* ...., Vol II p 65 .

(4) حصن منيف : يقع على جبل يقال له قوّر من أرض المعافر جنوبي إبّ . عمارة ، **المصدر نفسه** ، ص182-183 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 309.

(5) عمارة ، **المصدر نفسه**، ص182 . أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص121 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 309. محمود ، المصدر نفسه ، ص 225.

بقي من المال القرض ثلاثون ألف دينار فقضّاها عنه ولده الأعزّ علي بن سبأ [1] . وفي المقابل كان علي بن أبي الغارات بدوره ينفق المال جزافا لقتال ابن عمّه سبأ بن أبي السّعود، ولم يكفّ عن ذلك حتّى تضعضعت حاله [2].

فلمّا إنقضت الحرب وعزل علي بن أبي الغارات عن الحكم عاد الداعي سبأ بن أبي السعود إلى عدن فأقام بها سبعة أشهر، ثمّ ما لبث أن توفي سنة 533 هـ / 1139 م عقب وفاة الملكة الحرّة السيّدة الصليحيّة التي كانت في غضون سنة 532 هـ/ 1138م[3] . وبذلك تنتهي رسميّا الدّولة الصّليحيّة ويتأكّد في المقابل إستقلال ذرّية سبأ بن أبي السّعود الزّريعي بإمارة عدن، بعد أن كانوا قد أقصوا بني عمومتهم من بني مسعود عن الحكم .

وبوفاة الدّاعي سبأ بن أبي السّعود آل الأمر من بعده لولده علي الأعزّ الذي أقام بحصن الدّملوة و همّ بقتل نائب أبيه المسمّى بلال بن جرير ،لكن المنيّة عاجلته خلال سنة 534 هـ / 1140 م وكان له أربعة أبناء أوصى أن يكونوا تحت وصاية أنيس الأعزّي الحبشي ويحي بن علي العامل وزيره وكاتبه . فآل الأمر إثر موت علي الأعزّ إلى ولده حاتم بن علي، وكان الشيخ بلال بن جرير نائبه على عدن يضمر الكره لعلي الأعزّ الذي كان همّ بقتله سابقا، لذلك كتب بلال إلى محمّد بن سبأ يدعوه للمجيء ويعده بالقيام معه ،وكان محمّد بن سبأ يومئذ هاربا من أخيه علي بن سبأ ملتجأ عند المنصور بن المفضّل بن أبي البركات الحميري القائم بأموال وذخائر بني الصّليحي من بعدهم [4] .

و ما أن وصل الكتاب محمّد بن سبأ حتّى خرج من عند المنصور بن المفضّل مع جمع من همدان يريد عدن ، فلمّا صار بالقرب منها تلقّاه بلال بن جرير لقاءا حسنا و إستحلف له العسكر جميعا. ثمّ سار محمّد بن سبأ المذكور إلى حصن الدّملوة لمحاصرة أنيس الحبشي ويحي العامل وزير علي بن سبأ ووصيّه على أبنائه ، فدانت له البلاد و العباد بالطّاعة وزوّجه الشّيخ بلال بن جرير من إبنته[5] .

---

(1) عمارة ، تاريخ ، ص182 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص121 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج 1ص308.
Smith, *The Ayyubids* ...., Vol II p 65 .

(2) عمارة ، المصدر نفسه ، ص180 زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، مجلد عدد 14ص 326.

(3) عمارة ، المصدر نفسه ، ص183 . زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص 181. انظر كذلك : كرنكو . ف Krenkow (F) مادّة "الصّليحي" بدائرة المعارف الإسلاميّة، الطبعة الاولى ، مجلّد عدد 14ص326 .

(4) عمارة ، المصدر نفسه، ص184. أبو مخرمة ، المصدر نفسه ، ج2 ص248 . ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج1ص309 . ابن الحسين ، غاية الأماني ج 1ص297 . ابن المجاور ، المستبصر ، ص12 .

Smith, *op.cit* , Vol II p 66 .

(5) عمارة ، المصدر نفسه ، ص184. أبو مخرمة ، المصدر نفسه ، ج2 ص248 . ابن الدّيبع ، المصدر نفسه، ج1ص309 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص297 . Smith , *op. cit* ,Vol II p 66.

وفي الأثناء قدم القاضي الرّشيد بن الزبيّر أحمد بن علي بن إبراهيم الأسواني رسولا من قبل الخليفة الفاطميّ الحافظ لتقليد الدّعوة لعلي بن سبأ فوجده قد مات ، فقلّدها أخاه محمّد ونعته بالمعظّم المتوّج المكين ولقّب وزيره بلال بن جرير بالشّيخ السّعيد الموفّق السّديد[1] . فما من شكّ في أن السّفارة التي تولاّها القاضي الرّشيد ما كانت إلاّ بهدف سيطرة الفاطميّين على طريق تجارة الهند عبر إحتوائهم لحكّام عدن الزريعيّين [2]، والسّعي إلى مزيد توطيد نفوذهم بهذه المدينة ذات العائدات التّجاريّة الضّخمة . ويذكر عماد الدين إدريس أنّ " السّلطان محمد بن سبأ بن أبي السّعود كان يظهر الدّعوة للحافظ ولم يجب عبد المجيد - أيّ الخليفة الحافظ - ويدعو له ، إلاّ تقيّة وخوفا ، فخاف سطوته و صولته وعدوانه " [3] .

ونظرا للضّعف الذي حلّ بالصّليحيين في أعقاب وفاة الملكة الحرّة آلت حصون وذخائر هذه الأسرة إلى المنصور بن المفضّل بن أبي البركات الحميري ، وتطلّع الزّريعيّون من جهتهم إلى بسط نفوذهم على بقايا الدّولة الصّليحيّة فإبتاع الدّاعي محمد بن سبأ من المنصور بن المفضّل سنة 547 هـ / 1152 م جميع المعاقل التي كانت لبني الصّليحي، وهي ثمانية وعشرون حصنا ومن المدائن مدينة ذي جبلة جميعها بمائة ألف دينار [4] .

ثمّ إنّ المنصور بن المفضّل نزل حصن صبر وطلّق زوجته الصّليحيّة بنت عبد الله بن عبد الله بن محمد الصّليحي فتزوّجها الدّاعي محمّد بن سبأ وسكن بذي جبلة حتّى أثرى ثراء فاحشا وبسط يده بالعطايا، وطاش فرحا لما صار إليه من المال والقوّة والمعاقل والعقايل [5] . وقد قال عمارة اليمني في شأنه : " أذكر يوما وقد طلعت صحبته أنا وأبو الحسن النّبلي من ذي جبلة إلى حصن حب وكلّ من رفع إليه رقعة وقع عليها بما مثاله ، فلمّا إنتهينا إلى الحصن أحصينا الرّقاع التي بأيدي الناس وكان خازن ماله الشّيخان أحمد بن موسي وريحان المحمّدي ، فجاء مبلغ الرّقاع خمسة آلاف دينار فإستكثرها أحمد بن موسي وقال نشاوره على ذلك فقال ريحان أمّا أنا فما أكره الحياة والله لأن شاورته على ذلك لا سلمت منه ، فدفع المال في ذلك اليوم بأسره ومدحه في ذي جبلة القاضي يحي بن أبي يحي بقصيدة أثابه عليها بخمسمائة دينار وخلعة " [6].

---

(1) عمارة ، تاريخ ، ص187. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص248 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص309 - 310. ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص297-298.

Smith , *The Ayyubids* ... , Vol II p 66.

(2) فؤاد سيّد ، **تاريخ المذاهب الدينية ببلاد اليمن** ، ص 188.

(3) عماد الدّين (إدريس) ، **عيون الأخبار وفنون الآثار** ، ج 7ورقة205 (مخطوط) نقلا عن محمود سليمان ، **تاريخ اليمني السّياسي**، ص 227.

(4) عمارة، **المصدر نفسه** ، ص185. أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص248 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص314 . محمود ، **تاريخ اليمن السياسي** ، ص227 . *Ibid*, Vol II p 66 .

(5) عمارة ، **المصدر نفسه** ، ص188 . أبومخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص249 .

(6) عمارة ، **المصدر نفسه**، ص 188 .

وهكذا، فإنّه بإستيلاء الدّاعي محمد بن سبأ على مدينة عدن ذات العائدات التّجاريّة الضّخمة ، إستطاع أن يحصل على ثروة طائلة جعلته محفوفا بالشّعراء الذين كان من بينهم عمارة اليمني المذكور، لا فحسب ، بل أصبح جانبه مهابا وقبلة لطالبي الغوث والنّصرة. فقد عرفت عدن خلال سنة 549 هـ / 1154 م قدوم علي بن مهدي الرّعيني الحميري إلى الدّاعي محمّد بن سبأ يستنجده على أهل زبيد فلم يجبه الدّاعي الزّريعي إلى طلبه ،لتسوء منذ ذلك الحين العلاقات بين الطّرفين وتصبح عدن بذلك محطّ أطماع حكومة زبيد الجديدة [1] .

أمّا ما تشير إليه بعض الدّراسات [2] من أنّ إبن مهدي عندما إستولى على البلاد سنة 547 هـ / 1152 م قد صالح محمد بن سبأ صاحب عدن بمبلغ ضخم من المال يدفعه إليه كلّ عام فليس هناك ما يؤيّده في المصادر. كما أنّ التّاريخ المذكور يتعارض مع السّياق التّاريخي المتّفق عليه ، ذلك أنّ ابن مهدي لا يزال خلال سنة 547 هـ / 1155 - 1156 م في طور الثّورة ولم يتمكّن بعد من توطيد نفوذه [3] .

وبحلول سنة 554 هـ / 1159 تابع علي بن مهدي صاحب زبيد سياسته التوسّعيّة فإستولى على كلّ أملاك بني الصّليحي ، التي كان قد إبتاعها الدّاعي محمّد بن سبأ من المنصور بن المفضّل بن أبي البركات الحميري . ويذكر الجندي أنّ الدّاعي عمران بن محمّد بن سبأ صالح مهدي بن علي بن مهدي على حصن الدّملوة وعدن بمال معلوم وهو ما أكّده من جهته عمارة اليمني [4].

ولمّا آل الأمر لعبد النّبي من بعد أخيه مهدي بن علي بن مهدي إستولى على معاقل الدّاعي عمران بن محمد بن سبأ، وهي حصون سامع ومطران ويمين بجهة إقليم المعافر وحصن التّعكر وحصن السّمدان [5]. ثمّ ما لبث أن بعث بأخيه أحمد بن علي بن مهدي فأغار على مدينة الجوّة وبها عسكر الدّاعي عمران بن محمّد بن سبأ فوقع بينهما قتال شديد إنهزم خلاله عسكر الدّاعي عمران وإستولى ابن مهدي على مدينة الجوّة [6]. لكنّ الدّاعي عمران بن محمّد بن سبأ ما لبث أن توفّي خلال سنة

---

(1) عمارة ، **تاريخ** ، ص 232. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 74. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 362 ،

(2) شرف الدين ، **اليمن عبر التاريخ** ، ص205 - 206 .

(3) عمارة ، **المصدر نفسه** ، ص232 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص74 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص362 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص304 .

(4) عمارة ،**المصدر نفسه** ، ، ص233 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 365.

(5) عمارة ، **المصدرنفسه**، ص235 .

(6) ابن الدّيبع ، **المصدرنفسه** ، ج1ص367 .

561 هـ / 1167 م [1]، تاركـا من بعده ثلاثة أبناء لم يبلغوا الحلم وهم منصور ومحمّد وأبو السعود ، تحت كفالة أبي الدّر جوهر المعظّمي واليه على حصن الدّملوة ، فنقلهم جوهر إليه وأكرمهم وقام بالوصاية عليهم أحسن قيام ، يعاضده في ذلك الشّيخ ياسر بن بلال بن جرير المحمّدي وزير الدّاعي عمران بن محمّد بن سبأ [2] .

ولم يزل جوهر المعظّمي قائما بكفالة أولاد سيّده عمران المذكور ، حافظا لحصن الدّملوة وأمره نافذ في عدن ونواحيها من أملاك بني زريع ، مصالحا لبني مهدي بمال يحمله إليهم كلّ سنة بموجب الإتّفاق الذي كان عقده الدّاعي محمّد بن سبأ مع مهدي بن علي بن مهدي خلال سنة 554 هـ / 1159م [3] ، حتّى نقض عبد النبيّ بن علي بن مهدي ذلك الإتّفاق المبرم وسار بجيشه نحو عدن فحاصرها . عندئذ توجّه حاتم بن علي بن سبأ [4] في غضون سنة 569هـ/ 1173م إلى صنعاء طالبا نصرة السّلطان علي بن حاتم الهمداني فأنجده وسار معه لقتال ابن مهدي حتّى إنهزم هذا الأخير وفكّ الحصار عن عدن ، وبذلك تخلّص بنو زريع من خطر بني مهدي ومن الإتاوة السّنوية، التي كانوا يؤدّونها لهؤلاء مقابل بسط نفوذهم على كل من عدن وحصن الدّملوة [5].

غير أنّ زوال خطر بني مهدي عن عدن لم يكن شرطا كافيا ليتواصل نفوذ بني زريع بهذه المدينة المتميّزة إقتصاديّا بفضل عائداتها التّجاريّة الضّخمة، ذلك أنّه ما أن عاد إبن مهدي نحو زبيد منهزما ورجع بنو زريع ومن والاهم إلى عدن تحدوهم نشوة الإنتصار على خصم طالما أزعجهم وأثقل كاهلهم بشروطه المجحفة وإيتاواته المشطّة ، حتّى كشفت الأخبار عن وصول الملك المعظّم توران شاه الأيّوبي في جيوش كثيرة بأمر من أخيه صلاح الدّين صاحب مصر، الذي إرتأى في ما تعيشه بلاد اليمن من حالة إختلاف سياسي ومذهبي أمرا من شأنه أن ييسّر مهمّة التدخّل بهذه المنطقة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة ويساعده على بسط نفوذه عليها .

---

(1) أختلف كثيرا حول تاريخ وفاة الدّاعي عمران ، فقد جعلها عمارة وابن الدّيبع سنة560 هـ / 1166 م في حين إنفرد أبو مخرمة برواية ترجّح سنة 561هـ/ 1167 م كتاريخ موافق لوفاة الدّاعي عمران المذكور وقد أكدّ صحّة التاريخ الأخير تقيّ الدّين الفاسي في كتابه **العقد الثمين** ج6 ص424، عندما نقل تاريخ وفاته على شاهد قبره الذي بالمعلاة بمكّة أين دفن وقد نشر هذا الشاهد سنة 1937م في :

Combe (E) , Sauvaget (J), Wiet (G) , *Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe,* Institut Français d'Etudes Orientales , Paris 1937 .T IX , p 44 . N° 3267 .

(2) عمارة ، **تاريخ** ، ص190-191 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص74 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون**، ج1ص319 .

(3) عمارة ، **المصدرنفسه**، ص233 . ابن الدّيبع ، **المصدرنفسه** ، ج1ص365 .

(4) هو حاتم بن علي بن سبا كان أبوه قد ترك له الوصيّة لتولّي الحكم بعدن بعد موته وذلك سنة 534 هـ/ 1140 م ، لكن سرعان ما استولى محمد بن سبأ على الحكم بتواطئ من الشيخ بلال بن جرير نائبه على عدن وأقصي في المقابل حاتم بن علي بن سبأ .

(5) عمارة ، **المصدرنفسه** ، ص233 . ابن الدّيبع ، **المصدرنفسه** ، ج1ص365 .

وهكذا ، لم يعمل بنو زريع من جهتهم كغيرهم من الأطراف السّياسيّة اليمنيّة الأخرى على تجاوز الخلافات والتّناقضات المحلّيّة ، سواء كان ذلك على مستوى الأسرة الزّريعيّة نفسها أو تجاه القوى السّياسيّة الأخرى وفي طليعتها دولة بني الصّليحي، التي لم تجد من آل زريع سوى العصيان والتمرّد قصد الإستقلال بإمارة عدن . وبذلك ساهم هذا البطن من همدان في تشتّت الموقف اليمني وإضعافه ، وهو ما شجّع الأيّوبيين في المقابل على التطلّع صوب هذه المنطقة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة خلال تلك المرحلة القلقة من تاريخها .

4 - دولة بني حاتم الهمدانيين أتباع المذهب الإسماعيلي بصنعاء :

لئن كان علي بن محمّد الصّليحي قد إختار صنعاء ليجعلها من دون بقيّة مدن اليمن عاصمة لدولته النّاشئة وقصبة ملك أسرته ، فإنّ هذه المدينة قد تحوّلت منذ عهد إبنه المكرّم تحت نفوذ زعماء همدان الذين عملوا من جهتهم على توطيد نفوذهم بها، ليتمكّنوا على إثر تراجع نفوذ الدّولة الصّليحيّة من إعلان إستقلالهم عنها ، مؤسّسين بذلك دويلة ساهمت كغيرها من الدّويلات المستقلّة الأخرى المنبثقة عن الدّولة الصّليحيّة في زعزعة الأمن والإستقرار السّياسيين ببلاد اليمن خلال تلك المرحلة المضطربة من تاريخها.

أ- تراجع نفوذ بني الصليحي وتغلّب آل المغلّس الهمدانيين على صنعاء :

لمّا توفي السّلطان سبأ بن أحمد الصّليحي [1] ، وذلك سنة 492 هـ/ 1098 م ، إستولى على صنعاء وأعمالها السّلطان حاتم بن الغشم المغلّسي الهمداني فخرجت بذلك صنعاء عن أعمال مملكة بني الصّليحي ولم يبق لهم بها ذكر [2]. ليظلّ الحكم بهذه المدينة حتّى مقدم الأيّوبيين متداولا بين ثلاثة أسر كبرى من همدان ، وهي أسرة آل المغلّس التي ينحدر منها حاتم بن الغشم المذكور وأسرة بني قبيب وأسرة بني حاتم اليامييين [3] .

---

(1) هوابن عمّ الملك المكرّم أحمد بن علي الصّليحي ومتولّي أمر الدّولة الصّليحيّة من بعده ويعتبر آخر سلالة ملوك بني الصّليحي . عمارة ، تاريخ ، ص150 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص266 . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص122-124 . Smith (G.R), art " Sulayhides ", *EI*², Vol IX pp 850-852.

(2) المحلّي (حسام الدّين حميد) ، **الحدائق الورديّة في مناقب أئمة الزّيديّة** ، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم GLAS. 116 . ورقة 127 ب. ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص268. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص279. Smith (G.R), art " San'a ", *EI*², Vol IX pp 1-2.

(3) Smith , *The Ayyubids* ... , Vol II pp 68,69.

ورغم أنّ آل المغلّس كانوا من سادة همدان وأشرافها، فإنّ المصادر لا تلقي الضّوء الكافي حول تاريخ هذه العائلة قبل تغلّب حاتم بن الغشم المغلّسي على صنعاء . لكنّه من المرجّح جدّا أن يكون حاتم المغلّسي المذكور قد تولّى الحكم بصنعاء نيابة عن بني الصّليحي بعد عزل عمران بن الفضل اليامي [1] ، وذلك إستنادا لرواية تفيد بأنّه خلال إنشغال ملوك بني الصّليحي سبأ بن أحمد الصّليحي والسيّدة الملكة الحرّة الصّليحيّة ، بسبب غزوهم لأبين ولحج ، فكّر بنو شهاب في غزو صنعاء، فأشار عليهم المسمّى أبو السّعود اليهري الحميري بالعدول عن ذلك ، محذّرا إيّاهم من بأس حاتم بن الغشم المغلّسي بقوله : " ياموا لي ، هذا غير صواب لأنّ صنعاء لا تفتح بالهوينا وفيها حاتم بن الغشم وأنتم غير متيقّنين الظّفر " [2] .

ومن جهتها فإنّ الملكة الحرّة السيّدة الصّليحيّة لم يصدر منها ما يفيد معارضتها لعمليّة الإستيلاء التي قام بها حاتم بن الغشم لمّا تغلّب على صنعاء، وكأنّ الملكة الصّليحيّة عبر هذا الموقف قد قبلت بالأمر الواقع لمّا تيقّنت من عجزها على تدارك الوضع .

أمّا السّلطان حاتم بن الغشم المغلّسي فإنّه قد عمل على ضبط أمر مملكته الجديدة بعد أن أطاعته قبائل همدان القويّة ، و كان مستعينا في أمره بأبنائه الثّلاثة محمد وعبد الله ومعن [3]. لكنّ المصادر لا تفيد بالشّيء الكثير عن عهد السّلطان حاتم بن الغشم سوى أنّه نسب إليه قتل إبنه محمّد ، الذي تكرّر إجتراؤه على قتل كل إمرأة يتزوّجها فكان أن زوّجه بإمرأة من بني الصّليحي وأخذ عليه عهدا بأن يقتله إذا قتلها، فلمّا فعل لاحقه حتّي ظفر به فقتله بها [4] .

----

(1) لمّا انتقل الملك المكرّم الصّليحي من صنعاء إلى مدينة ذي جبلة وذلك في غضون سنة 480هـ/ 1087 م صحبة زوجته الملكة الحرّة السيّدة بنت أحمد الصّليحي استخلف على صنعاء عمران بن الفضل اليامي وأسعدبن شهاب خال الملك المكرّم ، فلمّا دبّرت الملكة الحرّة قتل سعيد الأحول الحبشي ولّت أسعد بن شهاب خال زوجها مدينة زبيد فانفرد عمران بن الفضل اليامي بولاية صنعاء . لكنّ الملك المكرّم ما لبث أن عزل عمران المذكور ورغم أنّ المصادر تبدو شديدة التكتّم بخصوص أسباب العزل فإنّ تخوّف الملك المكرّم من تغلّب عمران بن الفضل وآل حاتم اليامّيين على صنعاء يمكن أن يكون السّبب الأكثر رجاحة لإتّخاذ مثل ذلك القرار. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 263 . فؤاد سيّد ، **تاريخ المذاهب الدينيّة ببلاد اليمن** ، ص 143. محمود ، **تاريخ اليمن السيّاسي**، ص233 .

(2) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص284-285.

(3) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص280 .

Smith ," Early and Medieval History of San ' a' , in *SAN 'A'- An Arabian Islamic City* , p 59.

(4) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص286 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص280 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص64-65 . محمود ، **تاريخ اليمن السياسي** ، ص234 .

وبحلول سنة 502 هـ / 1108 توفّي السّلطان حاتم بن الغشم المغلّسي وكان قد ولّي بعده ابنه عبد الله بن حاتم فلبث في الإمارة سنتين وقتل مسموما في ظروف غامضة ، ليتولّى الأمر من بعده أخوه الآخر معن بن حاتم وذلك خلال سنة 504 هـ / 1110 م . لكنّ معن المذكور لم يكن بإستطاعته إحتواء رؤساء همدان وخاصّة أولئك المنتمين إلى فرع يام تحت زعامة القاضي أحمد بن عمران بن الفضل اليامي[1] . لذلك سرعان ما إضطربت عليه الأمور حتّى إنخرم الأمن والنّظام بالمملكة فأنكرت رؤساء همدان ذلك ، لاسيما القاضي أحمد بن عمران اليامي وهو يومئذ عالم همدان المرجوع إلى رأيه ، وأجمعوا خلال سنة 505 هـ / 1111 م على خلعه وتنصيب مكانه الأخوين ابني القبيب هشام وحماس بإقتراح من القاضي أحمد بن عمران بن الفضل اليامي[2] .

وممّا لا شكّ فيه أنّ ما قام به القاضي أحمد بن عمران بن الفضل اليامي من جهود كبيرة للإطاحة بمعن بن حاتم المغلّسي كان يرمي في الآن نفسه إلى إستعادة الرّياسة والحكم في صنعاء للبطن اليامي، الذي أقصي عن هذا الأمر منذ ولاية عمران بن الفضل زمن حكم الملك المكرّم الصّليحي .

وهكذا يكون القاضي أحمد بن عمران قد نجح في مسعاه إلى حدّ الآن من خلال تنصيبه لبني القبيب حماس وهشام المنتمين بدورهما لبطن يام من قبيلة همدان[3] مكان معن بن حاتم المغلّسي، الذي تمّت محاصرته وإخراجه من صنعاء نحو حصن براش وذلك خلال سنة 510 هـ / 1116 م[4] .

وبتنحية معن بن حاتم المغلّسي إستقام الأمر بصنعاء لحماس وهشام ابني القبيب تحت مراقبة القاضي أحمد بن عمران بن الفضل ، الذي من المرجّح أن يكون له نفوذ في تسيير أمر المملكة طوال حكم بني قبيب . لكنّ هشام بن القبيب ما لبث أن توفّي سنة 522 هـ / 1128 م لينفرد حماس بالأمر حتّى توفّي هو الآخر سنة 527 هـ / 1123 م ، فتولّى الأمر من بعده إبنه حاتم بن حماس بن القبيب فكان

---

(1) ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج 1ص287 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص282 .

(2) ابن الدّيبع ،المصدر نفسه ، ج 1ص287 . الكبسي، اللّطائف السنّية ، ورقة 12أ . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص285 . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السليماني ، ج 1قسم 1ص 158 .

Smith, *The Ayyubids* ... , Vol II p 70 .

(3) ابن الدّيبع ، قرّة العيون، ج 1ص287 . زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص 183 .

(4) ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج 1ص287 . الكبسي، اللّطائف السنّية ، ورقة 12أ . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص285

Geddes (C.L) , art " Hamdanides ", *EI*^{2} , Vol III p 128 .

أعظمهم رياسة وأجرؤهم شوكة ، ويذكر الخزرجي أنّه غزا بلاد جنب [1] وقتل منهم مقتلة عظيمة [2] .

فلمّا كانت سنة 533 هـ / 1138 م حضرت الوفاة حاتم بن الحماس بن القبيب فدعا إخوته وهم أبو الغارات وعامر وأبو الفتوح ومحمّد وهو أصغرهم ، فحضّهم على الألفة وأوصاهم بأن يجعلوا رئيسهم أبا الغارات وكان أكبرهم [3] . وأمرهم بأن يحلفوا له فلم يفعلوا وقالوا لا تخلف ولا تقدّم علينا إلاّ محمّدا، فلمّا رأى ما هم فيه بكى بكاء شديدا خوفا عليهم من تفرّق كلمتهم من بعده وأنشد قائلا :

فما الموت أبكاني ولا القبر راعني ولامن حذار الموت يا صاح أجزع
ولكن أقواما أخاف عليهم وأخشى بأن يعطوا الذي كنت أمنع
وتصبح آراء الرّجال عليهم تجوز وإصلاح الدنيّة يوضع[4]

وبموت حاتم بن حماس ابن القبيب شغر منصب الحكم بصنعاء، بعد أن إختلف الإخوة بنو القبيب وتفرّقت آراؤهم دون أن يتولّى أحدهم الولاية، فإعتزلهم أهل صنعاء وإجتمعت همدان كافّة وقصدت حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي فحملته على القيام بالأمر والإضطلاع به [5]، ففعل وبذلك أسّس لسلالة ستعرف بإسمه وستحكم صنعاء حتّى مقدم الأيّوبيين إلى هذا الجزء من بلاد العرب .

ب- صنعاء تحت حكم ملوك بني حاتم الياميين :

ما أن إجتمع رأي همدان على تولية حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي حتّى سارع هذا الأخير إلى ملء الفراغ الذي كانت تعيشه سدّة الحكم بصنعاء ، بعد وفاة المسمّى حاتم بن حماس بن قبيب . وكان حاتم بن أحمد اليامي المذكور من بيت رياسة وعلم وفضل ، فجدّه عمران بن الفضل كان واليا على صنعاء زمن الملك المكرّم الصّليحي ، أمّا أبوه أحمد بن عمران فقد كان قاضيا مشهورا ، وهو الذي عزل معن بن حاتم بن الغشم المغلّسي حاكم صنعاء وولّى مكانه بني القبيب كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

---

(1) جنب : مخلاف باليمن تسكنه قبائل جنب وهي ستة قبائل. ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 2ص195 .

(2) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص287 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص249 . العقيلي ، من **تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج1 قسم1 ص158. Smith, *The Ayyubids* ..., Vol II p 71 .

(3) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص287 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص249-250 .

(4) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ص288 .

(5) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص288 . ابن الحسين ، **غاية الأماني**، ج1 ص297 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص65 . Geddes (C.L) , art " Hamdanides " , EI^2 , Vol III p 128 . Smith , *The Ayyubids* ..., Vol II p 71.

ويعدّد الخزرجي خصال ومآثر السّلطان حاتم بن أحمد بن عمران المذكور، فيذكرأنّه كان يلقب بحميد الدّولة كما كان أوحد عصره وسلطان أهل بلده ، في دهره سيّد همدان وكريمها ومقدّمها وزعيمها [1] ، متضلّعا في اللّغة والأدب حافظا لأيّام العرب ، متكلّما في كلّ نوع من أنواع الكلام ، شاعرا بارعا له معرفة تامّة بالطبّ والتّجوم ، شأنه في ذلك شأن بقيّة أفراد أسرة القاضي عمران بن الفضل اليامي [2].

وقد قام السّلطان حاتم بن أحمد أتم قيام ، لذلك فإنّه ما أن تسلّم مقاليد الحكم حتّى وجّه كلّ إهتمامه إلى توطيد دعائم دولته وتأمين مجال نفوذها الذي إمتدّ من نقيل العابرة [3] شمالا إلى بركة جوب [4] جنوبا . كما إعتنى السّلطان اليامي بالأداة الحربيّة لاسيما الخيول منها حتّى إجتمعت عنده من عتاقها وجيادها ما لم يجتمع عند أحد مثله [5] .

وبوفاة السّلطان حاتم بن أحمد آل الأمر من بعده إلى ولده علي بن حاتم ، فبايعه أهل همدان ثمّ ما لبثوا أن خالفوا عليه وبايعوا مكانه لرجل من آل القبيب وهو محمّد بن حماس[6] . وكان علي بن حاتم آنذاك في حصن له خارج صنعاء ، فلمّا علم بالأمر جمع أصحابه وسار نحوها في مائة فارس [7]. أمّا

----

(1) عمارة ، تاريخ ، ص314 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص288 . الزّركلي ، **الأعلام** ، ج2 ص 150 .

(2) ابن الديّبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 288. عمارة ، **المصدر نفسه** ، ص314 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص65 . كان آل عمران بن الفضل اليامي يسكنون الرّوضة فيقال روضة حاتم وكانت لهم حارة مخصوصة لهم تعرف إلى اليوم بدرب السّلاطين في الجانب الغربي من الرّوضة وبها مقابرهم بما في ذلك قبر السّلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل المذكور. الأكوع (محمد بن علي) في **تاريخ عمارة** ، ص 314.

(3) نقيل العابرة : بلدة تعرف بنقيل صيد تقع شمال صنعاء في بلد الحدا . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص289 . ياقوت ، **معجم البلدان**، ج 5 ص 350.

(4) جوب : بلدة آهلة بالسكان من ظاهر البون الأسفل في الشمال الغربي منه . ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص 205 . ابن الديّبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص289 . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص 224.

(5) ابن الديّبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص289 .

(6) قد يكون المقصود هوحماس ابن القبيب الذّي كان ولاّه القاضي عمران بن الفضل اليامي مكان معن بن حاتم بن الغشم المغلسي على صنعاء سنة 505هـ/ 1111 م .

(7) ابن الديّبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص297 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص314 .

همدان فقد إجتمعت في سبعمائة فارس عند باب الشّعوب وهو الباب الشّمالي لصنعاء ، فلمّا وصل السّلطان علي بن حاتم تراجع عنه أكثرهم [1] ، فدخل المدينة وصادف أن كان له أخ لا يزال صبيّا يدعى عمران بن حاتم أصابه سهم قاتل بإحدى دروب صنعاء فإضطربت لذلك همدان وأهل صنعاء خوفا من السّلطان اليامي [2] ، الذّي عمل من جهته على الإستفادة من هذه الحادثة كأحسن ما يكون عندما أعلن وهب دم أخيه لهمدان[3] . وهو أسلوب إعتمده السّلطان علي بن حاتم لكسب ضمائر الهمدانيين ولتهدئة خواطرهم ، ذلك أنّ تصعيد الموقف من جهته لم يكن في صالحه خلال هذه المرحلة .

وما أن إستقرّ السّلطان علي بن حاتم بصنعاء ، بعد أن قبر أخاه بمقابر همدان علامة على التّراضي والتّصالح [4]، حتّى سعى جاهدا إلى مزيد توطيد نفوذ دولته وتأمين مجالها الحيوي . فكان أن بادر بأخذ حصن ذمرمر[5] وكوكبان [6] والعروس[7] الذي كان لبني الزّواحي ، وإستولى على حصن بكر[8] فعمّره وحصّنه . ثمّ مضى السّلطان علي بن حاتم يوسّع حدود مملكته فملك الظّاهرين الأعلى والأسفل والجوف وبلاد المغارب وعيّن بها الولاّة[9] . كما يشير الخزرجي إلى إستيلاء سلطان همدان على صعدة وهو ما

---

(1) الأشرف الرّسولي ، **طرفة الأصحاب** ، ص 118 .

(2) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص297 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ،ج1 ص 314. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص65 . Smith, *The Ayyubids* ..., Vol II p 73.

(3) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص297 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص 314.

Smith , " Early and Medieval History of San'a ' ", in *SAN'A' an Arabian-Islamic City*, p 60.

(4) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1 ص297 .

(5) ذمرمر : حصن شامخ الأركان صعب المرتقى يقع في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء بمسافة ثلاثة ساعات وهو معدود في أرض بنى حشيش . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج 1ص297 . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج3 ص 8.

(6) كوكبان : تثنية لكوكب ، وهو حصن عال مربّع الشّكل يقع في جبل ذخار . ابن الدّيبع ، **قرة العيون** ، ج1ص297. ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج 4ص561 .

(7) العروس : حصن مقابل لحصن كوكبان من الجنوب . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ص 298. ابن الحسين ، **المصدر نفسهي** ، ج1 ص314 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج 1 ص 34. ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج 4ص126 .

(8) بكر : حصن في منتهى ضلع كوكبان يشرف على بلد مغارب حمير . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص298 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص314 . ياقوت ، **المصدر نفسه**، ج 1ص562 .

(9) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 298. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص298 .

ينفيه في المقابل صاحب " غاية الأماني " معتبرا صعدة خلال ذلك العهد تحت نفوذ الإمام المتوكّل أحمد بن سليمان، الذي كان قد قمع بها إحدى الإنتفاضات وإستولى عليها خلال سنة 556 هـ / 1160 م [1].

وقد تمكّن السّلطان علي بن حاتم من شراء ضمائر الهمدانيين بفضل الإقطاعات التي كان يمنحها لهم ، ثمّ ما لبث أن سنّ قانونا على طريقة العبيديّين ويتمثّل في أخذ خمس المحصول مجّردا، وأمر عمّاله بتطبيقه فكانوا يقاسمون الرعيّة في الخمس [2] . كما سلك سلطان همدان في المقابل سياسة مهادنة ومسالمة تجاه الأطراف المجاورة وعلى رأسهم السّلطان عمران بن الذّئب السّلمي من بني الكندي الشّهابيين [3].

ويذكر الخزرجي أنّه خلال سنة 557 هـ/ 1161 م وفد المطهّر بن الإمام المتوكّل أحمد بن سليمان الزّيدي على السلطان علي بن حاتم بصنعاء يطلبه في نجدة على أهل صعدة ، فوعده السّلطان علي بن حاتم بذلك وبادر بجمع نجدة لضيفه من رجال همدان، الذين أبدوا من جهتهم عدم تحمّسهم لمثل هذه المهّمة التي لا تعنيهم في شيء . لذلك هدّدهم السّلطان علي بن حاتم بإحراق دورهم ومزارعهم إن لم يخرجوا لنجدة الإمام ، الذّي كان قد تمكّن من الإستيلاء على صعدة قبل وصول نجدة همدان فعاد جيش السّلطان علي بن حاتم إلى صنعاء دون خسائر [4].

ثم إنّ السّلطان علي بن حاتم سعى إلى مصالحة بني القبيب، الذين كانت همدان قد بايعت منهم المسمّى محمّد بن حماس مكان السّلطان علي بن حاتم. وكان هذا الأخير قد سبق له أن عمد إلى إخراج بني القبيب من صنعاء ، فلمّا توسّل هؤلاء للسّلطان علي بن حاتم عبر وساطة تولاّها جماعة من زعماء وكبار همدان عفا عنهم وأمّنم [5].

---

(1) انظر ذلك في ابن الدّيبع ، **قرّة العيون**، ج 1ص 298 . وقارن بما جاء في ابن الحسين ، **غاية الأماني**، ج1 ص315 .

(2) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 299. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص315 .

(3) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 299.

(4) انفرد بهذه الرّواية الخزرجي في مخطوطه " **الكفاية والإعلام**" ولم ترد في غير ذلك من المصادر سواء في **قرّة العيون** أو في **غاية الأماني** . انظر ذلك في :
Smith, *The Ayyubids* ... , Vol II p 74.

(5) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص 299. في حين لم ترد هذا الحادثة في " **غاية الأماني** ".

لكنّ الأوضاع ما لبثت أن إضطربت من جديد على السّلطان اليامي عندما مال كثير من همدان إلى الدّاعي حاتم بن إبراهيم الحامدي [1] وملّكوه خلال سنة 564هـ / 1168م حصن كوكبان ، عندئذ لم يجد السّلطان علي بن حاتم بدّا من الخروج إليهم فحاصرهم مدّة ثمّ بذل لهم الأموال فعدلوا عمّا أقدموا عليه وخرج الحامدي إلى ريعان ومنها إلى حراز[2] . وما أن عاد السّلطان علي بن حاتم إلى صنعاء حتّى جاءه الخبر بوصول الملك المعظّم توران شاه الأيّوبي، الذي سيكون قدومه فاتحة لعهد سياسي جديد بهذه الرّقعة من بلاد العرب.

ومهما يكن من أمر، فإنّ التّدخل الأيّوبي بهذه المنطقة ما كان في النّهاية إلاّ إستجابه لما كانت تعيشه بلاد اليمن خلال هذه المرحلة من تاريخها من أزمة سياسيّة ومذهبيّة حادّة إنعكست في جانب منها في ظهور إمارة مستقلّة بصنعاء بزعامة بني حاتم الهمدانيين، الذين كانوا قد غلبت عليهم النّزعة الإستقلاليّة كغيرهم من الأطراف اليمنيّة الأخرى ليساهموا من جهتهم في الخروج ببلاد اليمن من مرحلة الدّولة المركزيّة الموحّدة إلى طور الإنقسام السّياسي والإختلاف المذهبي.

و هكذا ، فإذا كان بنو حاتم الهمدانيّون قد إستطاعوا تكوين إمارة مستقلّة عن الدّولة الصّليحيّة، بعد أن تراجع نفوذ هذه الأخيرة بشكل جليّ وواضح منذ أواخر القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد، فإنّهم قد كانوا عاجزين في الأثناء عن تجاوز نفوذ قبيلة همدان القويّة التّي كانت متحكّمة إلى حدّ بعيد في مصير دولتهم وفي توجّهاتها . وفضلا عن كلّ ذلك ، فإنّ الصّبغة التوسّعيّة التي إتّسمت بها سياسة سلاطين صنعاء الهمدانيين قد أذكت كثيرا الصّراعات والخلافات، التي كانت إحتدّت ببلاد اليمن طوال ذلك العهد المضطرب ممّا حال دون أيّ مبادرة لإحلال سلم شاملة بين مختلف الأطراف السّياسيّة والدّينيّة المتنازعة بهذا الجزء من بلاد العرب.

----

(1) هو الدّاعي حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدي ، كان قد تولّى أمر الدّعوة الطّيبيّة باليمن منذ وفاة أبيه الدّاعي إبراهيم بن الحسني خلال سنة557 هـ/ 1162م فؤاد سيّد ، **تاريخ المذاهب الدّينيّة في بلاد اليمن** ، ص 193-194.

(2) إبن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص300 . إبن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص317 .

5 - دولة الأيمّة الزّيدية بصعدة :

ما أن توقّيت الملكة الحرّة السيّدة الصّليحيّة أروى بنت أحمد الصّليحي[1] ، حتّى تعرّضت بقايا الدّولة الصّليحيّة إلى التّلاشي وإنتظم في المقابل الأمر للزّيديّة ليقوموا بإسترجاع نفوذهم بجهات عديدة من بلاد اليمن، وإستعادة ما إنفرط من تحتهم من البلاد بعد أن كانوا قد تخلّصوا من أعتى قوّة سياسيّة قادرة على صدّهم طوال ذلك العهد .

أ- ظهور الإمام المتوكّل أحمد بن سليمان وقيام الدّولة الزّيديّة الثانية باليمن :

لمّا كانت سنة 532 هـ/ 1138م ظهر الإمام المتوكّل على الله أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهّر بن علي بن النّاصر أحمد بن الهادي إلى الحقّ[2] بنواحي صعدة، ثمّ سرعان ما إنتظم أمره بجهات كثيرة من بلاد اليمن كنجران والجوف والظّاهر[3] .

ثمّ إنّ الإمام المتوكّل ما فتئ جانبه يتقّوى وأمره يسري في البلاد حتّى وصل إليه بنجران أهل يام فحلفوا له على الولاء والطّاعة وتسليمه مال الله تعالى[4] ، وسار على نحوهم أهل وادعة ودهمة من بلاد الجوف وقبائل نهد . فلّما

---

(1) ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص278 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص74 . الزركلي ، الأعلام ، ج1 ص279.
Bosworth (C.E) ; *The Islamic dynasties* , Edinburgh University-press, 1980. p74.

(2) المحلّي ، الحدائق الوردية ، ورقة 124 ب- 125أ . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص290 . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص296 . فؤاد سيّد ، تاريخ المذاهب الدينيّة ببلاد اليمن، ص 265 . ماضي ، دولة اليمن الزيديّة ، ص34 . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السليماني ، ج1 قسم 2ص 353 . الأشرف الرّسولي ، طرفة الأصحاب ، ص 103.

(3) المحلّي ، المصدر نفسه ، ورقة 124 ب- 125أ . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص290 . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص296 . فؤاد سيّد ، تاريخ المذاهب الدينيّة ببلاد اليمن، ص 265 .
Smith, *The Ayyubids* ... , Vol II p 78 .

(4) المحلّي ، المصدر نفسه ، ورقة 133 ب. ابن الحسين، المصدر نفسه ، ج1 ص298 .
Ibid , Vol II p 78 .

كثر أنصاره عاد إلى صعدة ومنها إلى الجبجب أين إستقرّ يستقبل الوفود القادمة إليه لمبايعته [1].

وباستتباب الأمرللزّيديّة بكثيرمن البلاد العليا شرع الإمام المتوكّل في مكاتبة أهل صنعاء يدعـوهم إلى الطّاعـة، فلمّـا كانـت سنـة 545 هـ / 1150 م وفد عليه منها رجـال برآسة محمد بن عليّان وكان قد خرج مخالفا على السّلطان حاتم بن أحمد [2] . عندئذ تجاسر الإمام المتوكّل وسار صوب صنعاء التي كان يتصيّد الفرصة السّانحة للإستيلاء عليها منذ ظهوره ، فوافته في طريقه كثير من القبائل المعادية لبنـي حاتم الهمدانيين ، كبني شهاب ومذحج وخولان وأهل حضور . ويذكر صاحب " غاية الأماني" أنّه من كثرة الوافدين عليه إجترحت كفّه حين سلّموا عليه [3].

وما أن وصل الإمام إلى مشارف صنعاء حتّى حطّ ببيت بوس، ثمّ ما لبث أن سار بأصحابه لمناجزة السّلطان حاتم بن أحمد فوقعت بينهما حرب شديدة إنهزم فيها أصحاب السّلطان اليامي ، بعد أن وقعت الفتنة بين بطون همدان[4] .

فلمّا علم السّلطان حاتم بن أحمد عجزه عن مدافعة رجال الزّيديّة طلب الأمان لنفسه ولأصحابه وأنشد في ذلك شعرا يقول فيه :

غلبنا بني حوّاء بأسا ونجدة ‎ ‎ ‎ ‎ ولكنّنا لم نستطع غلب الدّهـر
فلا لوم فيما لا يطاق وإنّما ‎ ‎ ‎ ‎ يلام الفتى فيما يطاق من الأمر[5]

ب- إستيلاء الإمام المتوكّل على صنعاء وإحتداد النّزاع الزّيدي اليامي :

كان الإمام المتوكّل قد تمكّن في غضون سنة 545 هـ / 1150 م من الإستيلاء على مدينة صنعاء بعد أن دخلها دخولا معظّما وأقبل عليه النّاس من كل جهة يبايعونه ، في حين ظلّ السّلطان حاتم بن أحمد يشنّ الغارات حول المدينة قصد إستعادة نفوذه عليها ، لكنّ محاولاته كانت قد باءت بالفشل ولم تؤدّ إلى نتيجة تذكر خلال هذه المرحلة [6].

---

(1) المحلّي ، **الحدائق الوردية** ، ورقة 133 ب. ابن الحسين ، **غاية الأماني**، ج1 ص 298،300.
Smith, *The Ayyubids* ... , Vol II p 78 .

(2) المحلّي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 133 ب. عمارة ، **تاريخ** ، ص315 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ص291 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص301 . Ibid , Vol II p 78 .

(3) ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص302 .

(4) ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص302 . Ibid , Vol II p 78 .

(5) ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 302. ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص292 .

(6) ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 303. ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص292 .

عمّت الفتن والفوضى من جديد مدينة صعدة وثار أهلها ، لذلك لم يجد الإمام المتوكّل بدّا من محاصرتها بغية إستعادة نفوذه بها [1].

ورغم تعدّد محاولات الإمام المتوكّل للأخذ بزمام الأمور والسّيطرة على الوضع فإنّ حركات التمرّد لم تكن لتهدأ ، فقد عادت الفتن من جديد إلى صعدة وما جاورها من الأعمال بعد أن تركها الإمام وإستقرّ بالجوف . كما ثار في الأثناء بنو صريم وأهل وادعة وعمّت الفوضى من كلّ جانب ، لذلك فإنّ الإمام المتوكّل لم يعمّر دارا ولم يجب خراجا ولا درّب دروبا وأمضى كلّ وقته في محاربة الخارجين عليه [2] .

وبحلول سنة 565 هـ / 1169 م إندلعت الحرب بين الإمام أحمد بن سليمان وبين الأشراف القاسميين في وادعة الظّاهر حتّى أسر الإمام، فسار أولاده إلى السّلطان علي بن حاتم طالبين نصرته فكتب هذا الأخير إلى الأشراف في إطلاقه فأطلقوه [3] . ثمّ إنّ الإمام أحمد ما لبث أن شنّ الحرب من جديد على الأشراف القاسميّين بعد أن ضمن مساندة السّلطان علي بن حاتم صاحب صنعاء، فلم يزل يقاتلهم حتّى توفّي في ربيع الآخر من سنة 566 هـ/ 1171 م فقبر بحيدان من بلاد خولان [4] .

وبحلول سنة 567 هـ / 1172 م قام إبنه الأمير عماد الدّين يحي بن الإمام أحمد بن سليمان في صعدة وما جاورها من البلاد العليا ، فلم يزل أمره ظاهرا بها حتّى وطأت أقدام الأيّوبيين أرض اليمن بقيادة الملك المعظّم توران شاه وذلك في غضون سنة 569 هـ / 1174 م [5] .

ورغم أنّ دخول اليمن في حوزة الأيّوبيين لن يؤدّي إلى إجتثاث الزّيديّة وإقصائهم كقوّة سياسيّة فاعلة كما سيتبيّن ذلك لاحقا ، فإنّ هذه الدّويلة النّاشئة لم يكن بإستطاعتها مهادنة بقيّة القوى السّياسيّة الأخرى وإحتوائها . بل إنّ الأمر قد بدا عكس ذلك عندما إنتهج الأئمّة الزّيديّة سياسة توسّعيّة مشفوعة بكثير من التصلّب ، كما كانوا قد عملوا جاهدين كغيرهم من القوى السّياسيّة الأخرى على زعزعة كيان الدّولة المركزيّة التي أسّسها بنو الصّليحي، ممّا جعل الحالة السّياسيّة والمذهبيّة ببلاد اليمن تكلّل في النّهاية بالإنقسام والتمزّق وتصبح بذلك عرضة للتدخّل الخارجي أكثر من أيّ وقت مضى .

----

(1) ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص312-313 . . Smith, *The Ayyubids...* , Vol II p 79

(2) ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص316. Ibid , Vol II p 80 .

(3) ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص318 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ج1ص301-302 . العقيلي ، من تاريخ السّليماني ، ج1 قسم2 ص354 . Ibid , Vol II p 80 .

(4) ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص318. Ibid , Vol II p 80 .

(5) المصدر نفسه، ج 1ص321.

خاتمة :

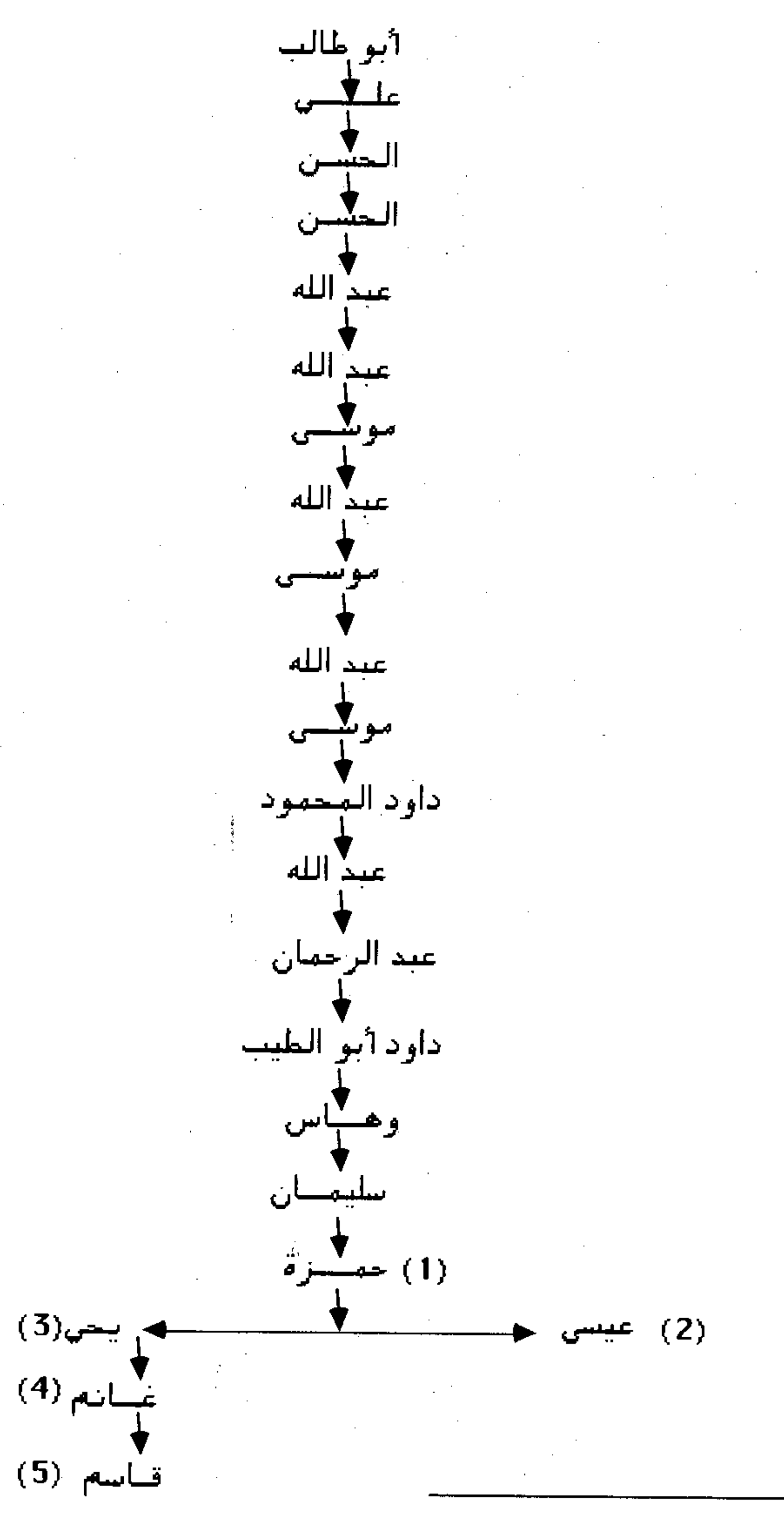
لقد هيّأت حالة التشتّت السّياسي والإختلاف المذهبي التي عرفتها بلاد اليمن خلال النصف الأوّل من القرن السّادس هجري / الثّاني عشر ميلادي الأرضيّة الملائمة لتدخّل الأيّوبيين بهذه المنطقة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة ، وذلك بعد أن كان قد فقد الأمل في كلّ مبادرة صلح بين أبرز الأطراف السّياسيّة اليمنيّة المتنازعة خلال ذلك العهد .

وما من شكّ في أنّ التّناقضات الإثنيّة والإختلافات المذهبيّة، التي ما إنفكّت تحتدّ شيئا فشيئا ببلاد اليمن طوال ذلك العهد المضطرب ، قد ساهمت بقسط وافر في الأزمة السّياسيّة والمذهبيّة التي عاشها هذا الإقليم . فقد كان التّناقض قائما على أشدّه بين العناصر اليمنيّة والعناصر الأجنبيّة ، ممثّلة أساسا في أسرة الأحباش بزبيد وجموع الأشراف بكلّ من صعدة وعيّان والمخلاف السّليماني، الذين كانوا جميعا في نظر العناصر اليمنيّة بمثابة الأجانب الدّخلاء الذين جاؤوا مزاحمتهم أرضهم ومنافستهم ملكهم .

غير أنّ إجماع أبرز الأطراف اليمنيّة على موقف رافض للعناصر الأجنبيّة لم يكن بدوره شرطا كافيا لتحقيق شيء من الإنسجام والمصالحة داخل " الأسرة اليمنيّة " نفسها بسبب التّناقضات القبليّة العميقة ، التي ما إنفكّت تحكم المجتمع اليمني خلال تلك المرحلة القلقة من تاريخه . وذلك ما يعكسه بجلاء النّزاع الذّي ما إنفكّ يحتدّ بين كلّ من بني مهدي الرّعيني الحميري وبقيّة الأطراف اليمنيّة الأخرى ، لاسيما الهمدانيّة منها . هذا فضلا عمّا كانت تمثّله القبيلة خلال ذلك العهد من مؤسّسة قويّة قادرة على التحكّم بدون عناء في مؤسّسة الدّولة وتحديد مصيرها وتوجّهاتها ، كما هو حال قبيلة همدان التي أفرزت في مرحلة أولى دولة مركزيّة قويّة بزعامة بني الصّليحي ، ثمّ ما لبثت أن تحوّلت إلى منبع لأبرز القوى السّياسيّة المنسلخة عن حكم الصّليحيّين شأن بني زريع بعدن وبني حاتم الهمدانيين بصنعاء.

أمّا على المستوى المذهبي فإنّ بلاد اليمن خلال النصف الأوّل من القرن السّادس هجري / الثّاني عشر للميلاد قد بدت حقلا لتجمّع العديد من المذاهب والإيديولوجيّات الدّينيّة المختلفة ، التي زادت المناخ السّياسي بهذا الإقليم فرقة وخلافا ، لاسيما وأنّ أغلب الكيانات السّياسيّة المتواجدة طوال تلك المرحلة التّاريخيّة المضطربة هي قائمة على أساس ديني ومنه إستمدّت إيديولوجيّاتها ونظمها .

I-I- مشجرالأشراف بني سليمان العلويين



(1) الأسماء المبيّنة بالأرقام هي أسماء الأمراء الذين حكموا إمارة المخلاف السليماني حسب التّرتيب الزّمني.

I- II- جدول أسماء الأشراف أمراء المخلاف السليماني وفترات حكمهم حسب الترتيب الزمني[1]

حمزة بن سليمان بن وهّاس .... إبتداء من سنة 459 هـ / 1067 م.

عيسى بن حمزة ثم يحي بن حمزة .... إلى سنة 527 هـ / 1132 م.

غانم بن يحي بن حمزة .... إلى سنة 531 هـ / 1136 م.

قاسم بن غانم بن يحي .... إلى سنة 569 هـ / 1173 م.

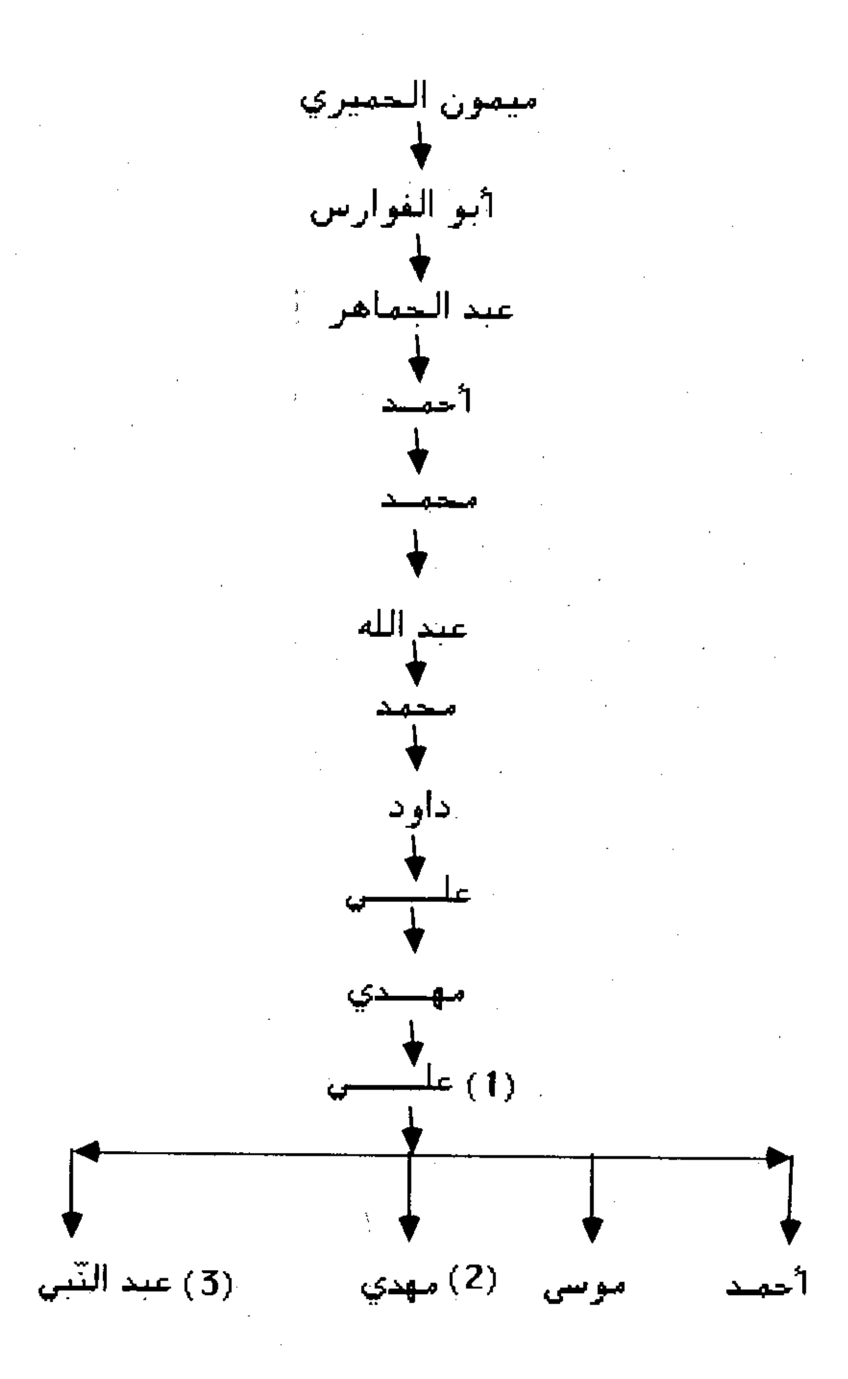
---

(1) تمّ إنجاز مشجّر الأشراف السّليمانيين وجدول فترات حكمهم إعتمادا على مجموعة المصادر والمراجع التاليّة :

الأشرف الرسولي ، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب .ابن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني . ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون . عمارة اليمني، تاريخ اليمن . زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السليماني .

Smith , *The Ayyubids* and early Rasulids in the Yemen , Vol II .

I-II- مشجر بني مهدي الحميري



---

(1) الأسماء المبيّنة بالأرقام هي أسماء الأمراء الذين حكموا زبيد حسب التّرتيب الزّمني .

II -II - جدول أسماء أمراء بني مهدي وفترات حكمهم حسب الترتيب الزمني :

علي بن مهديّ .... 553 هـ - 556 هـ / 1158 م - 1159 م

مهدي بن علي........................... 554 هـ - 558 هـ / 1159 م - 1163 م

عبد النبيّ بن علي .... 558 هـ - 569 هـ / 1163 م - 1173 م

---

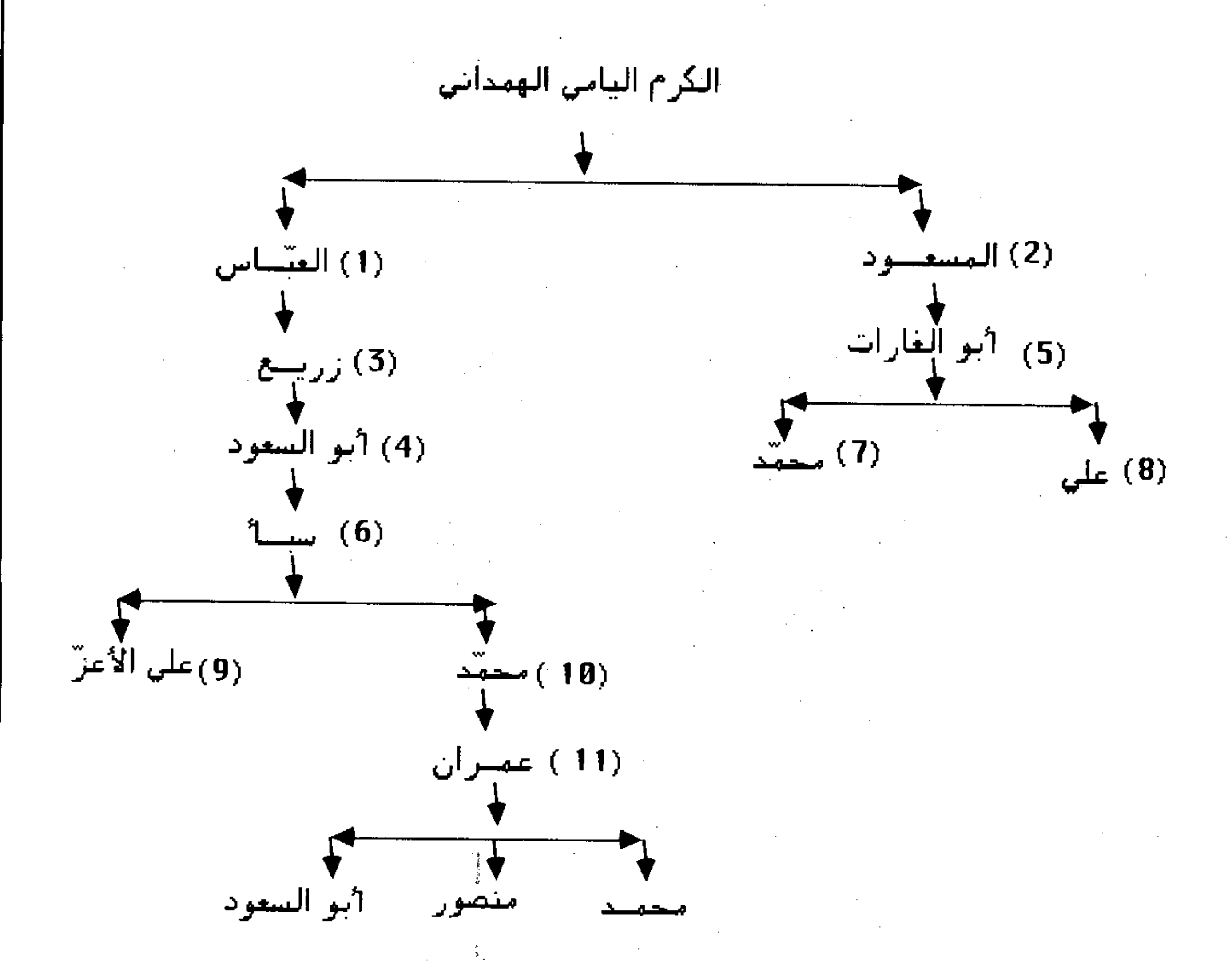
(1) لضبط نسب أمراء بني مهدي وجدول فترات حكمهم تمّ الإعتماد على مجموعة المصادر والمراجع التاليّة :

عمارة ، **تاريخ اليمن** . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** . الأشرف الرسولي ، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب** . ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن في تاريخ اليمن** . أبو مخرمة ، **تاريخ ثغرعدن** . الزركلي ، **الأعلام** . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السليماني** . محمود ، **تاريخ اليمن السياسي** . زامباور ، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** . كحالة ، **معجم قبائل العربيّة القديمة والحديثة** .

Lane - poole , *The Muhammadan dynasties* .

Smith , *The Ayyubids and early Rasulids in the Yemen* , Vol II .

III-I- مشجر دعــاة بني زريــع



---

(1) الأسماء المبيّنة بالأرقام هي أسماء الأمراء الذين تولوا الحكم بعدن حسب التّرتيب الزّمني.

III- II- جدول أسماء دعاة بني زريع وفترات حكمهم حسب التّرتيب الزّمني :

العبّاس بن الكرم .... 470 - 476 هـ / 1078 - 1083 م

المسعود بن الكرم .... 470 - 504 هـ / 1078 - 1110 م

زريع بن العباس بن الكرم .... 480 - 504 هـ / 1087 - 1110 م

أبو الغارات بن مسعود بن الكرم .... 480 - 485 هـ / 1088 - 1093 م

أبو السّعود بن زريع بن العباس .... 480 - 494 هـ / 1088 - 1098 م

سبأ بن أبي السعود بن زريع .... 489 - 532 هـ / 1096 - 1137 م

محمد بن أبي الغارات بن مسعود .... 485 - 488 هـ / 1093 - 1095 م

علي بن محمد بن أبي الغارات .... 488 - 489 هـ / 1095 - 1095 م

علي الأعزّ بن سبأ بن أبي السعود .... توفّي سنة 534 هـ / 1139 م

محمد بن سبأ بن أبي السعود .... 534 - 550 هـ / 1139 - 1155 م

عمران بن محمد بن سبأ .... 550 - 561 هـ / 1155 - 1165 م

أبو الدّر جوهر المعظّمي .... 561 - 569 هـ / 1165 - 1174 م
(بالوصاية على أبناء سيّده عمران بن محمّد بن سبأ المذكور)

---

(1) تمّ ضبط مشجّر أمراء بني زريع وجدول فترات حكمهم إعتمادا على مجموعة المصادر والمراجع التاليّة :

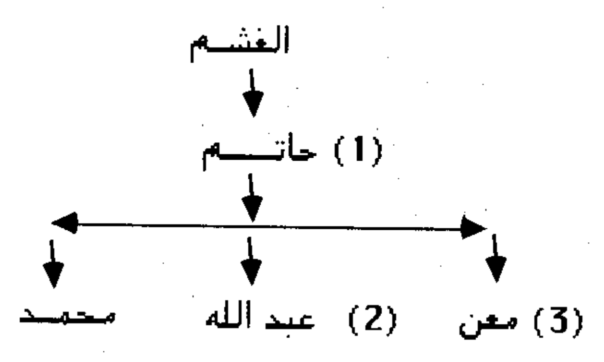
عمارة ، **تاريخ اليمن** . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** . أبومخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** . ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** . زامباور ، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** . محمود ، **تاريخ اليمن السياسي** . شرف الدين ، **اليمن عبر التاريخ** . فؤاد سيّد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** . فؤاد سيّد ، **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن** .

Lane - poole *The Muhammadan dynasties* .

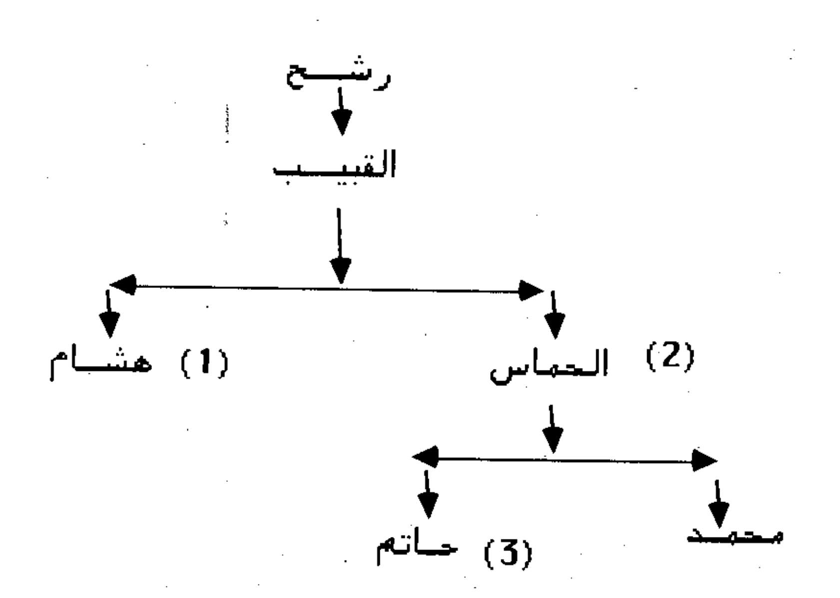
Smith , *The Ayyubids and early Rasulids in the Yemen* , Vol II .

IV-I- مشجر سلاطين همدان ملوك صنعاء

أ - بنو الغشم المغلّسي :



ب - بنو القبيب :



ج - بنــو حــاتـــم :

يــام
↓
مذكـــر
↓
ألغـــز
↓
الغــوث
↓
سعيــد
↓
عبـد الله
↓
الفضـــل
↓
الصعـــب
↓
الغمـــر
↓
أبو زيد
↓
علــي
↓
الفضــل
↓
عمــران
↓
أحمــد
↓
حـــاتـم
↓
أحمــد
↓
حـــاتـم (1)

أبناء حاتم (1): عمــران - سبأ - محمــد - مــدرك - بشــر - علـي (2)

علـي (2)
↓
عمـــر

أبناء عمر: نــاجي - علي - حـــاتـم

أبناء حاتم: عمـــر - أحمد - مدرك - بشـــر - سليم - الفهد - السيّف - محمـد

أبناء محمد: عبد الله - أحمـــد - سليمان

IV- II- جدول أسماء ملوك صنعاء الهمدانيين وفترات حكمهم حسب الترتيب الزمني :

أ - بنو الغشم المغلسي :

حاتم بن الغشم .... 492 هـ / 1098 م
عبد الله بن حاتم بن الغشم .... 503 هـ / 1108 م
معن بن حاتم بن الغشم .... 504 هـ / 1110 م

ب - بنو القبيب :

هشام بن القبيب .... 505 هـ / 1111 م
حماس بن القبيب .... 505 هـ / 1111 م
حاتم بن حماس .... 527 هـ / 1134 م

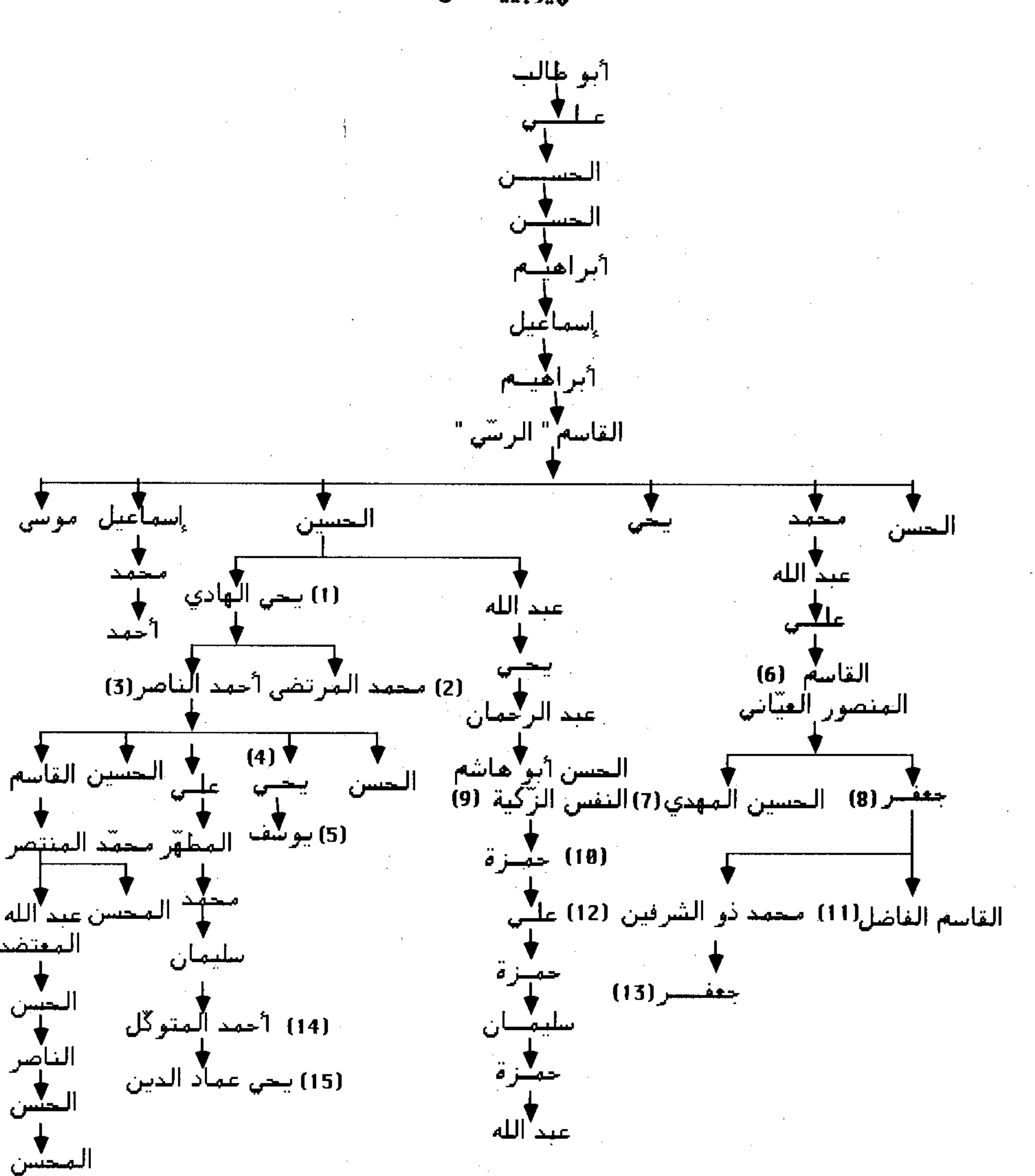
ج - بنو حاتم :

حاتم بن أحمد .... 545 هـ / 1150 م
علي بن حاتم بن أحمد .... 556 هـ / 1160 - 569 هـ / 1173 م

---

(1) تمّ ضبط نسب سلاطين همدان وجدول فترات حكمهم إعتمادا على مجموعة المصادر والمراجع التاليّة : عمارة ، تاريخ اليمن . ابن الدّيبع ، قرّة العيون . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن . أبومخرمة ، تاريخ ثغر عدن . ابن الحسين ، غاية الأماني . زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي . محمود ، تاريخ اليمن السياسي . فؤاد سيّد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي . فؤاد سيّد ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن . الهمداني ، الصّليحيون والدّعوة الفاطميّة في اليمن .
Lane - poole ,*The Muhammadan dynasties* .
Smith , *The Ayyubids and early Rasulids in the Yemen* , Vol II .
Bosworth ,*The Islamic dynasties* .

V-I - مشجر الأيمة الزيدية الرسيين باليمن حتى مجيء الأيوبييـــن



(1) الأسماء المبيّنة بالأرقام هي أسما الأيّمة الذين ظهروا باليمن حسب التّرتيب الزّمني.

V- II- جدول أسماء الأيمة الزيدية باليمن وفترات ظهورهم حسب الترتيب الزمني:

إسم الإمام	تاريخ ظهوره
الهادي إلى الحقّ يحي	284 هـ / 897 م
المرتضى محمد بن يحي	298 هـ / 910 م
الناصر أحمد بن يحي	301 هـ / 913 م
يحي بن أحمد بن يحي	322 هـ / 933 م
الدّاعي يوسف بن يحي	358 هـ / 968 م
المنصور القاسم بن علي	389 هـ / 998 م
المهديّ الحسين بن القاسم	401 هـ / 1010م
جعفر بن القاسم	413 هـ / 1022 م
أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمان	426 هـ / 1034 م
الناصر أبو الفتح الحسين	437 هـ / 1045 م
حمزة بن أبي هاشم	458 هـ / 1065م
الفاضل بن جعفر بن القاسم	460 هـ / 1067 م
محمد بن جعفر	469 هـ / 1076 م
جعفر بن محمد بن جعفر	478 هـ/ 1085 م
أبو طالب يحي بن محمد	511 هـ / 1117 م
علي بن زيد بن سليمان	531 هـ / 1136 م
المتوكل أحمد بن سليمان	532 هـ/ 1137م
عماد الدين يحي بن أحمد بن سليمان	567 هـ / 1171 م

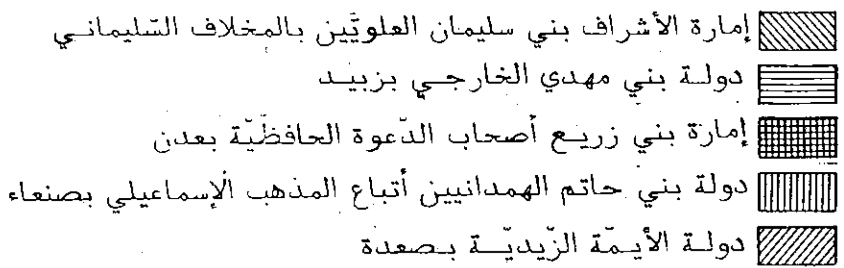
---

(1) تمّ ضبط نسب أسرة الأشراف بني الرسّي وجدول فترات ظهور الأيمة الزيديّة باليمن حتّى مجيء الأيّوبيّين على مجموعة المصادر والمراجع التاليّة :

العلوي ، **سيرة الإمام الهادي إلى الحق**. المحلّي ، **الحدائق الورديّة في مناقب أئمة الزّيديّة** ، الكبسيّ ، **اللّطائف السنيّة في الممالك اليمنيّة** . ابن الحسين، **غاية الأماني** ، الأشرف الرسولي ، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب** ، ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** . ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، فؤاد سيد، **تاريخ المذاهب الدينيّة ببلاد اليمن** . زامباور ، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، الواسعي، **تاريخ اليمن** ، العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ماضي ، **دولة اليمن الزيديّة** .

Van Arendonck, *Les débuts de l'Imamat Zaidite.*
Bosworth , *The Islamic dynasties* .
Lane - poole , *The Muhammadan dynasties* .
Smith , *The Ayyubids and early Rasulids in the Yemen* , Vol II .

الخارطة السياسية لبلاد اليمن قبل التدخل الأيوبي



مخبر رسم الخرائط بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس

الفصل الثاني : قيـــام الدّولـــة الأيّــوبية بمـــصــر وتطلّعـهــا إلـــى بـــلاد اليمـــن

تمهـيـد :

إذا كـانت حـالة التـشـتّت والإنقسـام التي سـادت بـلاد اليـمـن خـلال النصف الأوّل من القرن السّادس هجري /الثّاني عشر ميلادي قد ساهمت إلى حدّ كـبير في خلق مناخ سياسي مـلائم لتطلّع الأيّوبيين تجاه هذه المنطقة المتميّزة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة ، فإنّ ذلك لم يكن ليقلّل من شأن أسباب وعـوامل خـارجـيّـة كـانت قـد مـهـدّت هي الأخـرى من جـانبـهـا بقـسط وافـر إلى دخـول هذه الرّقـعـة من بلاد العـرب في حـوزة الأيّـوبيـيـن بزعـامـة صـلاح الدّين الأيّوبي المؤسّس الحقيقي لهذه السّلالة المسلمة من أصل كردي .

ذلك أنّ الإهتـمـام بـبلاد اليـمـن من لدن الأيّـوبيـيـن مـا كـان ليـحـصل لولا النّجـاح المطّرد الذي عـرفـه هؤلاء ، بـعـد أن أحـكمـوا إسـتـغـلال حالة الإنقسام والتجزّؤ التي كـان يعيـشها العـالم الإسلامي من الدّاخل وإستثمار الأوضـاع السّيـاسيّة المـضطربة ، التي عـمّت منطقة المـشرق الإسلامي خلال النصف الأوّل من القرن السّادس للهجرة/الثّاني عشر للميلاد بسبب النّزاع الإسـلامـي الصّليبي ، الذي ما إنفكّ يحتدّ شيئا فشيئا ، ليتمكّن صلاح الدين الأيّوبي في الأخير من الإطاحة بالخلافة الفاطميّة في مصر وإقامة دولة ما لبثت أن تزعّمت العـالم الإسلامـي فـي وجه الخطر الصّليبي المتوثّب [1] ، فراحت تبحث لها عن مجالات إضافيّة لتأكيد نفوذها وتأمين شروط إستمرارها . لذلك لم يكن خافيا عن الأيّوبيين تلك الأهمـيّـة الجيـو - إسـتـراتـجـيّة لبلاد اليـمن وسط العـالم الإسلامـي ، فضلا عن تحكّم هذا البلد في طرق التّجارة الدّوليّة خلال ذلك العهد وإحتوائه على طاقات إقتصادية مهمّة [2] .

1 - الأيّوبيون : من هم وكيف ظهروا ؟

تذهب دائرة المعارف الإسلاميّة إلى إعتبار الأيّوبيين من أقوى الأسر التي حكمت منطقة الشّرق الإسلامي خلال العصور الوسطى[3]، وقد سمّوا كذلك نسبة إلى

---

(1) الباز العريني (السيّد) ، مصر في عصر الأيّوبيين ، القاهرة1960 م . ص3-4 . عمران (محمود سعيد) ، تاريخ الحروب الصّليبيّة (1095-1291م) ، دار النّهضة العربيّة ، بيروت 1990م . ص 119.

(2) شاكر حسين (خليل) ، "تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن". النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ ، عدن 23-25 سبتمبر 1989م ، ص47-48 .

(3) بيكر (س . هـ) ، مادّة "الأيّوبيّون" دائرة المعارف الإسلاميّة ، ط I ، مجلّد عدد3 ص221.
Cahen (Cl) ,art " Ayyubides ", *EI*², Vol I p 820 .

أيّوب بن شادي والد صلاح الدّين الأيّوبي المؤسّس الحقيقي للدّولة الأيّوبيّة خلال النّصف الثّاني من القرن السّادس هجري / الثّاني عشر ميلادي [1] . وأسرة صلاح الدّين من أصل كردي من عشيرة الرّوادي من قبيلة الهذبانيّة [2] ، إحدى القبائل الكرديّة الكبيرة المقيمة ببلدة دوين[3] الواقعة بأرمينيا بالقرب من أذربيجان .

أمّا تاريخ ظهورهم فيعود إلى أوائل القرن السّادس هجري / الثّاني عشر ميلادي وذلك حين هاجر شادي بن مروان جدّ صلاح الدّين إلى بغداد ومعه إبناه نجم الدّين أيّوب وأسد الدّين شيركوه [4]. وكان شادي صديقا لمجاهد الدّين بهروز والي

---

(1) الآمدي (خضر) ، تاريخ نزهة النّاظر وراحة الخاطر في جمع التّواريخ من كتاب غاية المطلوب في تاريخ بني أيّوب ، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفيينّا تحت رقم Mixt.355 . ورقة 2 أ . البدليسي (الأمير شرف خان)، **الشّرفنامه في تاريخ الدّول والإمارات الكرديّة** ، ألّفه باللّغة الفارسيّة ونقله إلى العربيّة وعلّق عليه ملا جميل بندى الرّوژبياني وقام بطبعه عبد العزيز الدبّاس بمساعدة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة النّجاح بغداد 1372هـ/ 1953م. ص79 . زكّي (معالي) ، **تاريخ الدّول والإمارات الكرديّة في العهد الإسلامي** ، تعريب محمّد علي عوني ، القاهرة 1945. ص167 . الزّركلي ، **الأعلام** ، ج1 ص381 . الشيّال (جمال الدين) ، **تاريخ مصر الإسلاميّة** ، دار المعارف القاهرة 1967 م ج2 ص11 .
Smith, *The Ayyubids* ...., Vol II p 17.
Richards (D.S) , art." Salah al-din ", *EI*², Vol VIII p 941 .

(2) هي قبيلة شهيرة وردت بإسم الهذبانيّة في أغلب المصادر العربيّة الإسلاميّة لكن ابن خلكان يضبطها بإسم الهذانيّة وهو على حدّ اعتبار زكيّ معالي (**تاريخ الدّول والإمارات الكرديّة** ص 167) الإسم الأقرب إلى الأصل الكردي " هذان " الذي لا يزال اسما لطائفة كرديّة تقيم جنوب بحيرة وان . انظر في هذا الصدّد : المقريزي **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، تصحيح محمد مصطفى زيادة طبعة ثانية منقّحة ، القاهرة 1956م ، ج1 ص 40. ابن خلكان (شمس الدين) ، **وفيات الأعيان** ، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس دار صادر بيروت 1972م ج7 ص139 . أبو شامة (شهاب الدّين) ، **الرّوضتين في أخبار الدّولتين** ، تحقيق عزّت العطّار الحسيني ، ط2 ، دار الجيل بيروت 1974م ج 1ص329 . ابن الأثير (عز الدّين) ، **التاريخ الباهر في الدّولة الأتابكيّة** ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة 1963م ص119 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب في اخبار بني أيّوب** ، ج1 ص3 . الزبيدي (مرتضى) ، **ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيّوب** ، تحقيق صلاح الدّين المنجد مطبوعات مجمع اللغة العربيّة دمشق 1969م ص37 . البدليسي ، **الشرفنامه** ، ص77-78 . الآمدي ، **المصدرنفسه** ، ورقة 2 أ . النّويري (شهاب الدّين)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، حقّقه ووضع حواشيه الدّكتور محمّد محمّد أمين والدّكتور محمّد حلمي محمد أحمد ، القاهرة 1992 م . ج28 ص 351.
Canard (M) , art "Dwin ", *EI*², Vol II p 695 .

(3) اختلف في تسميتها فقيل دوين وقيل دبيل وهي عاصمة أرمينيا خلال العهود الإسلاميّة الأولى . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج2 ص558 . البدليسي ، **الشرفنامه** ، ص78 . زكيّ ، **تاريخ الدّول والإمارات الكرديّة** ، ص 167.

(4) الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة 2أ . لبدليسي ، **الشرفنامه**، ص79 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص7 . النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج28 ص354 .

تكريت من قبل السّلاجقة الذي عيّنه محافظا بهذه المدينة[1] ، فلمّا توفّي شادي عيّن بدله ولده الأكبر نجم الدّين أيّوب وذلك لما كان تميّز به هذا الأخير من رجاحة عقل ورأي وحسن سيرة [2].

ولمّا كانت سنة 526 هـ / 1132 م إشتبك أتابك الموصل عماد الدّين زنكي في حرب بجنوب تكريت مع جيش السّلجوقيّين ، فإنهزم عماد الدّين زنكي وأضطرّ إلى التّقهقر حتّى مدينة تكريت ، فأغاثه نجم الدّين أيّوب وهيّأ له السّفن فعبر نهر دجلة وهو ما أدّى إلى إستياء حكومة بغداد من صنيع نجم الدّين ، الذّي ما لبث أن فقد مركزه لأنّ عمله عدّ عصيانا للدّولة وخيانة لها [3] .

ثمّ إنّ العلاقة بين الأيّوبيين والدّولة السّلجوقيّة سرعان ما ساءت من جديد عندما قام أسد الدّين شيركوه أخو نجم الدّين أيّوب بقتل ضابط من حامية تكريت وذلك لملاحاة جرت بينهما [4]، فكان أن سارع مجاهد الدّين بهروز بإخراج نجم الدّين أيّوب وأخيه أسد الدين من تكريت خوفا من ردّة فعل حكومة بغداد ، فقصدا عماد الدّين زنكي بالموصل فأحسن وفادتهما وصارا من أعوانه [5] ، فلمّا استولى عماد الدين زنكي على بعلبك

---

(1) ابن الأثير ، **التاريخ الباهر** ، ص 119 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج7 ص142 . المقريزي ، **كتاب المقفى الكبير** ، تحقيق محمد اليعلاوي ط 1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1991م . ج2 ص378-379. البدليسي ، **الشرفنامه** ، ص80 . الآمدي ، **المصدر نفسه**، ورقة2 أ . النّويري ، **المصدر نفسه**، ج8 ص354.

Cahen (Cl), art " Ayyubides ",*EI*², Vol I p 820 .

(2) ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ص119 . ابن خلكان ، **المصدر نفسه** ، ج7 ص142 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج 1 ص329 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص7 . القرماني (أحمد)، **أخبار الدّول وآثار الاول** ، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد ، طبعة أولى دار عالم الكتب بيروت 1922م . ج2 ص253 . البدليسي ، **الشرفنامه** ، ص79 . النّويري ، **المصدر نفسه** ، ج 28ص354 .

(3) ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ص119 . ابن خلكان ، **المصدر نفسه** ، ج7 ص142 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص8 . بيكر (س . هـ) مادّة " الأيّوبيّون " بدائرة المعارف الإسلاميّة ، طبعة أولى، مجلّد عدد3 ص221 . زكيّ ، **تاريخ الدول والإمارات الكرديّة** ، ص169 . الشيّال ، **تاريخ مصر الإسلاميّة** ، ج2 ص11 .

Cahen , art " Ayyubides ", *loc.cit* , Vol I p 820 .

(4) ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ص119 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص399 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص 8. الآمدي، **المصدر نفسه** ، ورقة 2ب .

(5) ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ص119 . ابن خلكان ، **المصدر نفسه** ، ج7 ص143 . ابن واصل ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص8 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج 1ص330 . المقريزي ، **المقفّى الكبير** ، ج2 ص379 . البدليسي ، **الشرفنامه** ، ص78-79 . الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة2ب . الشيّال ، **تاريخ مصر الإسلاميّة** ، ج2 ص11 . زكيّ ، **تاريخ الدول والإمارات الكرديّة** ، ص170 . بيكرس (س . هـ) ، " الأيوبيّون " ، دائرة المعارف الإسلاميّة ، ط 1 مجلد عدد 3 ص221 .

Smith, *The Ayyubids....* , Vol II p 20 .

وذلـــــك سنـــــة 534 هـ / 1139 م جــــعل نجم الدين أيّوب مـــحـــافظا لها [1].

وما أن توفّي عماد الدين زنكي خلال سنة 541 هـ / 1146 م حتّى هبّت جيوش صاحب دمشق مجير الدين أرتق بن محمّد البوري لإستعادة مدينـــة بعلبـــك ، فلمّا وجد نجم الدين أيوّب نفسه غير قادر على مدافعة قوّات مجير الدّين إنضمّ إليه بإختيـاره وأصبح عنده من كبـار قـوّاده بعـد أن أقطعه الإقطاعات وولاّه دمشق[2].

أمّا أسد الدين شيركوه فقد بقي في خدمة نور الدّين محمود بن عماد الدّين زنكي ، الذّي ورث عن أبيه إمارة حلب ، فابتسم له الحظّ هو الآخر وتدرّج في سلك الترقيّ حتّى أضحى رئيسا لكافّة جنود نور الدين محمود [3] . ولمّا تاقت نفس هذا الأخير للإستيلاء على دمشق عهد إلى أسد الدّين شيركوه ليتولّى هذه المهمّة فسار أسد الدين إلى دمشـــق وكان عليها أخوه نجم الديـن أيّوب ، فاتّفقا الأخوان ودخل شيركــوه المدينـــة من غيــر قتــال وذلك خلال سنــة 549 هـ/ 1154 م [4] .

وباستيلاء نور الدين محمود على دمشق دخـل كلّ مـــن الأخوين أسد الدّين شيركوه ونجم الدين أيّوب في خدمتــه ، فبالغ نـــور الدين في إكرامهما وعيّن نجم الدّين أيّوب حاكما لدمشق وتولّى شيركوه حكم حمـص فصارا عنده في أعلى المنـازل ، لاسيمـا نجم الديـــن ، فقد ذكـــر ابن الأثيـــر

---

(1) ابن الأثيـر ، **التـاريخ البـاهر** ، ص119 . أبو شـامـة ، **الرّوضـتـيـن** ، ج1 ص330 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيــان** ، ج7 ص143 . البدليسـي ، **الشرفنـامـه** ، ص 78-79. الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة2 ب .

Elisséeff (N), *Nur-ad-Dîn , un grand prinçe musulman de Syrie au Temps des Croisades*, Damas I. F. D 1967. T II p 369 .

(2) ابن الأثير ، **التّاريخ الباهر** ، ص120 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص330 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج 7ص 143 . الآمدي ، **المصدر نفسه**، ورقة2 ب .

Garcin (J.Cl) , *Etats, sociétés et cultures du monde musulman médieval X-XV siècle*, presses Universitaires de France , P.U.F , paris1995. T I , p 235.

(3) ابن الأثير ، **التّاريخ الباهر** ، ص120 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص330 . الآمدي ، **المصدر نفسه**، ورقة2 ب . فيت (فاستون)، مادّة "شيركوه" **دائرة المعارف الإسلاميّة** ، **طبعة اولى**، مجلد عدد14 ص29-32 .

Richards (D.S), art " Shirkuh",*EI*[2] , Vol IX pp 504-505.

(4) ابن الأثيـر ، **الكامل** ، دار صادر ودار بيروت للنشر بيروت1966 م ج11 ص130-131 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج7 ص 142. ابن القلانسي (حمزة) ، **ذيل تاريخ دمشق** ، تحقيق آمدروز ، بيروت 1908م ص 326 . الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر**، ورقة3 أ . زكيّ ، **تاريخ الدول والإمارات الكردية** ص171 .

Elisséeff, *Nur-ad-Dîn* ... , T II p485 -488 .

Cahen (Cl),art " Ayyubides ", *EI*[2] , Vol 1 p 820 .

Smith ,*op .cit* , p 20 .

Elisséeff, *L'Orient musulman au Moyen - Age*, ArmandColin , Collection U , paris 1977. p 252 .

أنّ سائر الأمراء كانوا لا يقعدون عند نور الدين إلى أن يأمرهم بذلك إلاّ نجم الدّين أيّوب فإنّه كان إذا دخل إليه قعد من غير أن يؤمر بذلك [1] .

ويبدو أنّ خصال الأخوين الحربيّة الممتازة فضلا عن حنكتهما السّياسيّة الكبيرة ، قد جعلتهما يتبوّءان مثل تلك المناصب المرموقة لدى الأسرة الزّنكيّة بزعامة نور الدّين محمود ، الذي كانت تواجهه خلال ذلك العهد تحدّيات عسكريّة وسياسيّة جمّة أبرزها ما كان متّصل بالخطر الصّليبي ، الذي ما إنفكّ يهدّد دمشق والأطراف الشّاميّة [2] . لذلك لم يكن أمام سلطان الشّام سوى البحث عن منطقة نفوذ جديدة يستطيع من خلالها تقوية جانبه وتأمين مصير دولته ، لتكون البلاد المصريّة من جملة أهدافه الإستراتيجيّة الملحّة خلال هذه المرحلة، وذلك بعد أن أثبت الحكم الفاطمي من جهته عجزه الواضح عن دفع الأخطار التي كانت تتهدّد البلاد من الدّاخل والخارج . وفي المقابل فإنّ التحوّل الجديد لسياسة نور الدّين سيمنح الأسرة الأيّوبيّة المتطلّعة إلى مزيد من المجد إلى الظّهور والبروز على مسرح الأحداث أكثر من أيّ وقت مضى .

2- أسد الدّين شيركوه يمهّد الطريق نحو البلاد المصريّة :

بنهاية الخليفة الحافظ خلال سنة 544هـ/ 1149م لم يبق للخلفاء الفاطميين بمصر أيّ سلطان على الدّولة ، فكثرت بها الصّراعات بين طوائف الجند وتطلّع ولاّة الأقاليم إلى منصب الوزارة وتنافسوا عليه . وفي ذلك يقول إبن الأثير " إنّ الوزارة في مصر كانت لمن غلب ... والوزراء كالمتملّكين وقلّ أن وليها أحد بعد الأفضل بن بدر الجمالي[3] إلاّ بحرب وقتل وما شاكل ذلك " [4]، ليبدأ بذلك عهد

---

(1) ابن الأثير ، **التاريخ الباهر** ، ص120 . الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر**، ورقة 3ب .

(2) ستيفن (رنسيمان) ، **تاريخ الحروب الصليبيّة** ، ترجمة الدكتور السيّد الباز العريني ، طبعة أولى بيروت 1968م ج3 ص 523-555. بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلاميّة** ، ص348-349 .
Elisséeff, *Nur-ad-Dîn* ... , T II p 407-427 .

(3) مملوك أرمني من أصل مسيحي في أغلب الظنّ، كان مملوكا لجمال الدّولة بن عمّار فعرف لذلك ببدر الجمالي وقد بدأت حياته العمليّة واليا على دمشق سنة 455هـ/ 1062م ، ثمّ إستقدمه الخليفة المستنصر الفاطميّ إلى مصر سنة 466هـ/1074 م وعهد إليه إصلاح حال البلاد . لمزيد من التّفاصيل راجع : ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص127-128 . ابن ظافر (جمال الدين) ، **أخبار الدول المنقطعة** ، تقديم وتعقيب أندريه فريه ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيّة ، القاهرة 1972م ص 102 . ابن الأثير ، **الكامل**، ج10 ص235-236 . ابن ميسّر (محمّد)، **المنتقى من أخبار مصر** ، حقّقه وكتب مقدّمته وحواشيه أيمن فؤاد سيّد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة1981 م ص 28-30 .ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج 2ص448-450. الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 10ص95 . المقريزي، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، طبعة بولاق 1270هـ ج 2ص 12 . **اتّعاظ الحنفا** ، ج 2ص 311-312. فؤاد سيّد ، **الدولة الفاطميّة في مصر** ، ص143 . Becker (C.H), art badr al-Djamali ",*EI*², Vol I p 894.

(4) ابن الأثير ، **الكامل** ، ج11 ص185 عمارة اليمني ، **النّكت العصريّة في أخبار الوزراء المصريّة**، تحقيق هرتويج درينبرغ شالون 1897م ، ص113 . ابن واصل، **مفرّج الكروب** ج1 ص137-138 .

جديد من الصّراعات والنّزاعات ويتحوّل القصر الفاطمي إلى وكر تحاك فيه المؤمرات والفتن التي طالما إستهدفت أفراد الأسرة الحاكمة ، في حين كانت أنظار الفرنج المتوثّبين تتزايد في إتّجاه هذه المنطقة من البلاد الإسلاميّة تنتظر الفرصة السّانحة لبسط نفوذها عليها .

أ - الصّراع بين شاور وضرغام وحملة أسد الدين شيركوه الأولى على مصر :

كان ضرغام مقدم الأمراء البرقيّة وصاحب الباب الفاطمي قد تمكّن في غضون سنة 558 هـ / 1163 م من التغلّب على الوزير شاور بن مجير السّعدي بعد قتال انتهى بمقتل الأمير طيّ بن شاور ، فخلع عليه الخليفة العاضد خلع الوزارة ولقّبه بالملك المنصور[1] . لذلك إضطرّ شاور إلى الفرار من مصر قاصدا الشّام مستنجدا بالسلطان العادل نور الدّين محمود صاحب دمشق ، فوصل إليه في اليوم السّادس من شهر ربيع الأوّل من سنة 559 هـ / 1164 م وتعهّد له إن هو ساعده في إعادته إلى منصبه والقضاء على منافسه ضرغام أن يدفع له ثلث خراج مصر، بعد إقطاعات العساكر، ويكون معه من أمراء الشام من يقيم معه في مصر و أن يتصرّف هو بأوامر نور الدّين وإختياره[2] .

وهكذا بدت محاولة شاور المتمثّلة في الإستعانة بقوى خارجيّة لإستعادة منصبه مؤشّرا على وجود الدّولة الفاطميّة في منعرج خطير ، فقد دلّت هذه الخطوة أمراء الشام وملوك الفرنج على مواطن ضعف هذه الدّولة كما أغرتهم بالطمع فيها والإستيلاء عليها .

---

(1) النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج 28ص322 . عمارة، **النكت العصريّة** ، ص68 ، 69 ، 81 . ابن الأثير ، **التاريخ الباهر** ، ص120 . الكامل ، ج 11ص 291. ابن شدّاد (بهاء الدين) ، **النّوادر السّلطانيّة والمحاسن اليوسفيّة** ، تقديم محمد درويش ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1979م ص 43. أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص 417. ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج7 ص147 . الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 16ص507 . المقريزي ، **الخطط** ، ج 1ص338 . **إتّعاظ الحنفا** ، ج 3ص260 ، 261 . ابن تفري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ص 338 ، 346.

Wiet , *Precis d'Histoire d'Egypte* , part 11 p 196.
Elisséeff, *Nûr ad-Din...* , T II p 568 .

(2) النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج 28ص322 . ابن الأثير ، **التاريخ الباهر** ، ص 120. **الكامل** ، ج11 ص298 . ابن شدّاد ، **النوادر السّلطانية** ، ص43 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج 1ص331-333 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص 137-138. ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج2 ص441 ، 444 . و ج 6ص145-151. الصّفدي، **الوافي بالوفيات** ، ج16 ص 91 ، 365. المقريزي ، **اتعاظ الحنفا** ، ج 3ص264 . **الخطط**. ج3 ص338 . ابن تفري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج5 ص346 ، 346 ، 387 . ابن قاضي شهبة ، **الكواكب الدّريّة في السيرة النوريّة** ، ص164 . ابن كثير (عماد الدّين) ، **البداية والنهاية في التاريخ** ، مطبعة السّعادة القاهرة. (د. ت) ج 12 ص247-248 . الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة3 ب .

Garcin , *Etats, sociétés et cultures du monde musulman médieval X-XV s* , p 242 .

لذلك كان من المنتظر أن يكون نداء شاور لنور الدّين نقطة تحوّل هامّة في مستقبل سياسة هذا الأخير، الّذي وجد فيما تعيشه البلاد المصريّة من أزمة حكم ما يتلاءم مع مطامحه وأهدافه . ذلك أنّ استقرار عناصر شاميّة في مصر أو فرض رقابة على حكومة الفاطميّين سيتيح لنور الدّين محاصرة المملكة الآتينيّة في بيت المقدس ، كما أنّ الأسطول المصري لازال بحوزته من القوّة ما يزعج حركة الفرنج في البحر[1] .

وفي الوقت الذي استقبل فيه نور الدّين محمود الوزير المخلوع شاور ، أرسل ضرغام من جهته إلى صاحب دمشق رسالة يطلب فيها دعمه وتأييده في منصبه الجديد ، لكنّ طلبه لم يعره السّلطان نور الدين أيّ اهتمام لذلك توجّه الوزير الفاطميّ ضرغام إلى ملك بيت المقدس أموري (Amaury) لينجده ضدّ أيّ هجوم يقوم به شاور وعرض عليه مقابل ذلك مبلغا كبيرا من المال، لكن أموري تباطأ في الردّ عليه[2] .

أمّا نور الدّين محمود فقد أجاب شاور إلى طلبه بعد تردّد خوفا من توجّهه إلى الفرنج لطلب مساعدتهم [3]، فكان أن أرسل معه في جمادى الأولى من سنة 559 هـ/ 1164 م جيشا بقيادة أسد الدّين شيركوه الذّي كان له دور حاسم في تحمسّ نور الدّين لنجدة شاور [4].

فلمّا بلغ ضرغام مسير أسد الدين شيركوه إلى مصر وجّه نداء جديدا إلى الفرنج وعرض على أموري (Amaury) إذا استطاع أن يقطع الطّريق على شيركوه أن تصبح مصر مقطعة لمملكة بيت المقدس وقد قبل أموري (Amaury) هذا العرض واستعدّ للتدخّل ، لكن يبدو أنّه لم يكن يملك قوّات كافية لصدّ هجوم جيش الشّام ، بعد أن نجح نور الدّين من جهته في تحويل أنظار الفرنج إلى ناحية بانياس ليحمي تقدّم جيش شيركوه المتّجه نحو مصر ممّا جعل الفرنج مضطرّين لإستبقاء بعض من قوّاتهم هناك [5] .

---

(1) فؤاد سيّد ، الدّولة الفاطميّة في مصر ، ص 222.

Elisséeff, *Nûr ad-Din...*, T II p 585 .

(2) النّويري ، نهاية الإرب ، ج 28ص322 . أبو شامة ، الرّوضتين ، ج 1ص 418 . المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج 3ص263 ، 276 .

(3) فؤاد سيّد ، الدولة الفاطميّة في مصر، ص223 . ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 190

(4) أبو شامة ، الرّوضتين ، ج 1ص418 . فؤاد سيّد ، المرجع نفسه ، ص 223. ستيفن ، الحروب الصليبية ، ج3 ص 594 .

(5) الآمدي ، نزهة النّاظر وراحة الخاطر، ورقة4أ .

Elisséeff , *op.cit.* , T II pp 582-584 .

ثم إنّ أسد الدين شيركوه سار في جيش قويّ إلى مصر، وما أن حلّ بأرضها حتّى خرج لملاقاته ناصر الدّين أخو الوزير ضرغام في عساكر ودارت بينهما معركة انتهت بتقهقر أصحاب ناصر الدين إلى القاهرة مهزومين ممّا مكّن أسد الدين من التقدّم نحو عاصمة الفاطميّين فدخلها في أواخر جمادى الأولى من سنة 559 هـ / 1164م وخرج منها ضرغام فأدركوه وقتلوه في رجب من السّنة المذكورة عند مشهد السيّدة نفيسة ، بعد أن تفرّق عنه أنصاره وتخلّى عنه الخليفة العاضد [1] .

وما أن تمّ القضاء على ضرغام حتّى أصدر الخليفة العاضد سجلاّ بتولية شاور الوزارة للمرّة الثانية في الرّابع من رجب سنة 559 هـ / 1164 م [2]، كما كتب سجلاّ آخرا بموجبه يتولّى الكامل بن شاور نيابة الوزارة [3]، وبذلك يكون شاور الوزير الوحيد الذي خلع وعاد إلى منصبه كما يذكر ذلك أبوشامة بقوله " ولم يغلب وزير لهم وعاد سوى شاور " [4].

لكنّ الوزير شاور لم يف بتعهّداته التي قطعها لنور الدين بل طلب من شيركوه أن يغادر مصر ويعود على الفور مع جيشه إلى الشام ، لذلك سارع شيركوه بإرسال قوّاته فاستولت على بلبيس ودخلت تحت نفوذه البلاد الشّرقية [5]، عندئذ لم يجد شاور أمامه هذه المرّة سوى اللّجوء إلى الفرنج طالبا نجدتهم ومساعدتهم على إخراج جيوش نور الدين محمود ويخوّفهم منه إذ هو ملك مصر.

---

(1) عمارة ، النكّت العصريّة ، ص77 . أبو شامة ، الروضتين، ج1 ص 332 ، 333. ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 1ص139 . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج2 ص442 و ج6 ص146 . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج 3ص270 . الخطط ، ج2 ص 12-13. الآمدي ، نزهة النّاظر وراحة الخاطر، ورقة4 أ . ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص190-191 .
Cahen (Cl), "Un recit inedit du Vizirat de Dirgham", in *Annales Islamologiques du Caire* , *n° VIII* , 1969 , pp 27-61.

(2) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 10ص310-318 .الشيّال، مجموع الوثائق الفاطميّة ، ص 155 ، 369 - 379 .

(3) القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج 10ص 318-325. فؤاد سيّد ، الدولة الفاطميّة في مصر ، ص224 .

(4) أبو شامة ، الرّوضتين ، ج1ص334 .

(5) النّويري ، نهاية الإرب ، ج 28ص334 . ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص 121-122 . الكامل ، ج 11 ص299-300 . أبو شامة ، المصدر نفسه ، ج1 ص335 . ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 ص139 . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 274 . الصّفدي ، الوافي بالوفيات ، ج16 214 . ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدّرية في السيرة النوريّة ، ص165 . 12-13. الآمدي ، المصدر نفسه، ورقة4 أ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 12ص248 . ستيفن ، الحروب الصّليبيّة ، ج3 ص595 .
Smith, *The Ayyubids....*, Vol II p23.

وقد رحّب الفرنج الذين وعدهم شاور بدفع ألف دينار يوميّا بهذا العرض ، وبعد محاصرة القوّات الشّامية في بلبيس لمدّة ثلاثة أشهر قبل شيركوه إتّفاقا بالعودة إلى الشام بعد أن اضطرّ الفرنج إلى فضّ حصارهم ومغادرة مصر عندما علموا بهزيمة قوّاتهم في حارم وبتقدّم جيوش نور الدين صوب بانياس [1].

وبخروج شيركوه نحو دمشق أصبح شاور إبتداء من المحرّم من سنة 560 هـ / 1164 م صاحب الأمر والنّهي بمصر والمتحكّم في دواليب الدولة بعد أن تخلّص من أنصار منافسه ضرغام وفرض على الخليفة وصاية كاملة.

لكن يبدو أنّ النّجاح الذي حقّقه الوزير الفاطمي لن يطول كثيرا، ذلك أنّ انشغال نور الدين محمود بالبلاد المصريّة أصبح على قدركبير من الأهميّة كما أن تطلّع الأسرة الأيّوبية بقيادة أسد الدين شيركوه إلى مزيد من المجد السياسيّ ستكون حافزا قويّا لإستعادة الأيّوبيّين لنفوذهم بالبلاد المصريّة .

ب - حملة شيركوه الثانية ومحاولة إستيلائه على مصر :

ظلّ شيركوه منذ خروجه الإضطراري من مصر يفكرّ في كيفيّة العودة إليها مرّة أخرى والإستيلاء على السّلطة بها ، إذ ليس من المستبعد أن تكون قد خامرته فكرة الإستقلال بالبلاد المصريّة والخروج على سيطرة نور الدّين وإقامة سلطة قويّة مستقلّة في بلاد الفاطميّين [2] .

ففي سنة 562 هـ / 1167 م جهّز شيركوه حملة أحسن تجهيز وقصد ثانية البلاد المصريّة مصطحبا كعادته ابن أخيه صلاح الدين[3] ، عندئذ أيقن شاور من جهته أنّ قدوم شيركوه هذه المرّة لن يكون إلاّ بنيّة البقاء في مصر وعدم مغادرتها ،لذلك سارع بالتّفاوض مع الفرنج بخصوص هذا الأمر موضّحا لهم الخطر الذي يمثّله نور الدّين على بيت المقدس لو نجح في الإستيلاء على مصر ، فكان أن رحّب الفرنج للمرّة الثانية بدعوة شاور طمعا في بسط نفوذهم على البلاد المصريّة من جهة وخوفا من أن يستولي نور الدّين على مصر لأنّه بذلك يتمكّن من تطويق مملكتهم التي ستصبح بين فكّي الجيوش الشاميّة [4] .

---

(1) ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص 122-125. الكامل ، ج 11ص300-304 . أبو شامة ، المصدر نفسه ، ج1 ص336 . ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 ص140، 143 ، 146 . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ص277 . ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدّرية في السّيرة النورية ، ص 166. 12-13. الآمدي ، نزهة الناظر وراحة الخاطر، ورقة 4 أ . Elisséeff, *Nûr ad-Din* ... , T II p 582-584 .

(2) فؤاد سيّد ، الدولة الفاطميّة في مصر ، ص226 . ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطميّة ، ص 191 .

(3) ابن شدّاد ، النوادر السّلطانيّة ، ص45 . أبو شامة ، الروضتين ، ج 1ص 363. ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج 1ص149 . الآمدي ، المصدر نفسه، ورقة 4 أ . النّويري، نهاية الإرب ، ج 28ص335 .

(4) ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 ص 149.

وقد وعد شاور الفرنج بأن يدفع لهم أربعمائة ألف دينارا منها مائتي ألفا معجّلة وكان مفاوض الفرنج في هذه الصّفقة Hugues de Cesarée بمساعدة Geoffroy Foucher ممثّلا للإسبتاريّة، ولمزيد من التّأكيد أراد المفاوضان الصّليبيّان الحصول على ضمانات كافية من الخليفة الفاطميّ في حالة تغيير متوليّ الوزارة ، وقد شرح شاور للخليفة أهميّة هذا التحالف وتمّ توقيع اتفاق في هذا الصّدد [1].

ورغم أنّ المصادر العربيّة لا تورد ملابسات هذا اللّقاء، الذّي تمّ بين مبعوثي ملك بيت المقدس أموري(Amaury) والخليفة الفاطميّ العاضد ، فإنّ غليوم أسقف صور (Guillaume de Tyr) قد احتفظ بتفاصيل هامّة عن رسوم هذا الإتّفاق الذّي تمّ في القصر الفاطميّ بحضور الوزير شاور [2] .

أمّا أسد الدّين شيركوه فقد عمل على تفادي مواجهة مبكّرة مع الفرنج فعبر النّيل عند إطفيح ونزل بالجيزة فأقام بها نيفا وخمسين يوما متصرّفا فيها [3]، وبعد سلسلة من المناوشات تقابل الجيشان في مصر العليا أين نجح شيركوه في تحقيق انتصار على الفرنج في 25 جمادى الثاني من سنة 562 هـ / 1167 م في معركة البابين قرب الأشمونين [4] .

لكنّ هذه المعركة لم تحسم الموقف ، فبدلا من أن يتوجّه شيركوه إلى القاهرة خلف جيش شاور والفرنج قصد مدينة الإسكندريّة التّي كانت تعدّ من أبرز معاقل أهل السّنة بمصر خلال ذلك العهد ، وذلك بعد أن وصلته رسل رؤسائها يعرضون عليه تسليمها ويعرّفونه أنّه سيجد فيها أعوانا مخلصين ، فسار إليها واستناب بها ابن أخيه صلاح الدين ثمّ رجع إلى الصّعيد فاستولى عليه وجبى أمواله [5].

ولمّا كان الجيش الشّامي منقسما إلى قسمين ، قسم في الإسكندريّة بقيادة صلاح الدين وقسم ثاني في الصّعيد بقيادة عمّه أسد الدّين شيركوه ، فقد نجح شاوروالفرنج في محاصرة الإسكندريّة بعد أن أعادوا تنظيم قوّاتهم . لذلك قبل أسد

---

(1) Elisséeff, *Nûr ad-Din* ... , T II p 604 .

(2) Schlumberger (G) , *Compagnes du Roi Amaury I de Jerusalem en Egypte au XII siècle* , Paris 1906. p 118 -121 .

(3) فؤاد سيّد ، الدولة الفاطميّة في مصر ، ص 227. ستيفن ،الحروب الصّليبيّة ،ج 3 ص 602-603.

(4) أبو شامة ، الروضتين ، ج1 ص424 . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج1 ص149 . ابن الأثير التاريخ الباهر ، ص132 . ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدّرية ، ص169 .

(5) ابن ظافر ، أخبار الدّول المنقطعة ، ص115 . ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص133 . الكامل ، ج11 ص324-326 . عمارة ، النكت العصريّة ، ص80 . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج 8ص269 . أبو شامة ، الروضتين ، ج1 ص365-366 . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 7ص 148. ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 ص151 . المقريزي ، الخطط ، ج 1ص 174. اتعاظ الحنفا،ج3 ص 284. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ص387 . أبو الفدا ، تاريخ ، ج 12ص252 . الآمدي ، نزهة النّاظر وراحة الخاطر، ورقة 4ب .

الدّين شيركوه بعقد صلح بينه وبين الفرنج والوزير شاور يغادر بموجبه شيركوه البلاد المصرية على أن يدفع إليه الفرنج وشاور خمسين ألف دينارا إضافة إلى عدم إقامة الفرنج في مصر وأن لا يتملّكوا منها ولو قرية واحدة وأن يعود الجيشان في وقت واحد إلى الشّام وفلسطين [1].

وفي المقابل فقد عقد شاور مع الفرنج اتّفاقا يبدو باهضا ومكلفا للمصريين الذّين كان عليهم قبول تواجد " شحنة " للفرنج بالقاهرة وأن تكون أبواب المدينة بأيدي فرسانهم حتّى يمتنع نور الدّين عن إرسال قوّاته إليها وأن يكون للفرنج مقابل ذلك من دخل مصر كلّ سنة مائة ألف دينار [2].

ج - تزايد الخطر الصليبي وحملة أسد الدين شيركوه الثالثة على مصر :

كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، كان الغرض من تواجد حامية من فرسان الفرنج بالبلاد المصريّة محاولة منع جيوش نور الدين من العودة إليها وحماية الجباة الذين كانو يحصّلون الضّريبة السّنوية المفروضة على المصريّين لفائدة الفرنج ، وقد نجح هؤلاء في جمع مائة ألف دينار قيمة الجزية المتّفق عليها .

غير أنّه خوفا من تصاعد خطر الفرنج على مصر وإستيلائهم عليها ، طلب الوزير شاور من الخليفة العاضد أن يكتب إلى نور الدّين يطلب معونته فأرسل العاضد الكتب مسوّدة وفي طيّها ذوائب نساء أهل القصر منجزوزة يقول فيها " إن لم تبادر ذهبت البلاد " [3] ، وكان العاضد قد عرض على نور الدين مقابل ذلك ثلث بلاد مصر وإقطاعات لقادته [4] .

---

(1) أبو شامة ، **الروضتين** ، ج1 ص366 . ابن الأثير ، **التاريخ الباهر** ، ص 134 . ابن قاضي شهبة ، **الكواكب الدرّية في السيّرة النّورية** ، ص171-172 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص151 الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر**، ورقة 4ب .

(2) ابن واصل ، **مفرج الكروب** ، ج1 ص155 . ابن الأثير ، **التاريخ الباهر** ، ص134 . **الكامل** ، ج11 ص 327 ، 335 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج 2ص445 . أبو شامة ، **الروضتين** ، ج 1ص 366. المقريزي ، **الخطط** ، ج 1ص338 . ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة**، ج5 ص349. ابن قاضي شهبة ، **الكواكب الدّرية في السيّرة النّوريّة** ، ص172 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 12ص 255. الآمدي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 4 ب .

(3) أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص 391-392. ابن الأثير ، **الكامل** ، ج 11ص337 . **التاريخ الباهر** ، ص138 . أبو الفداء ، **تاريخ** ، ج12 ص255 . المقريزي ، **اتعاظ الحنفا** ، ج 3ص 293. ابن قاضي شهبة ، **الكواكب الدريّة**، ص176 . الآمدي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 4ب .

(4) ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص158 .الآمدي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 4ب . ستيفن ، **تاريخ الحروب الصليبيّة** ، ج3 ص 617.

وفي هذه المرّة كانت إستجابة السلطان نور الدّين صاحب دمشق سريعة ، ودون تردّد أمدّ شيركوه بثمانية آلاف فارس ومائتي ألف دينارا بالإضافة إلي الأسلحة والثياب والدّواب وأذن له في أن يختار من العسكر ألفي فارس ومنح كلاّ منهم عشرين دينارا غير محسوبة من جامكيّتهم ، فسار إلي مصر ومعه مجموعة من مقدّمي الأمراء[1]. كذلك ندب نور الدّين صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيّوب إلي مصر ليمضي مع عمّه أسد الدّين شيركوه ، وفي هذا الصّدد تجمع أغلب المصادر علي أنّ صلاح الدّين خرج علي كره منه لا يعلم ما ينتظره من مجد قلمّا توفّر لغيره [2].

وبينما كان الفرنج يستحثّون أهل القاهرة علي حمل المتّفق عليه ، وصلت مقدّمة جيش شيركوه وصلاح الدّين إلي مصر لنجدة المصريّين في 7 ربيع الأوّل من سنة 564 هـ / 1169 م ، فاضطرّ أموري (Amaury) إلي مغادرتها مصطحبا معه إثني عشر ألف أسيرا ما بين رجل وصبيّ وإمرأة [3].

ورغم أنّ أسد الدين شيركوه كان مجيئه إلي مصر في ظاهر الأمر مساندة ونجدة للخليفة العاضد ولوزيره شاور ضدّ الفرنج إلاّ أنّه كان يبطن الإستيلاء علي مصر وهو أمر لا سبيل إلي تحقيقه وشاور متحكّم في دواليب الدّولة في مصر وماسك بزمام أمورها، لذلك عمل شيركوه علي التخلّص من الوزير الفاطميّ بأن دبّر لقتله بموافقة الخليفة العاضد ، فكان أن لقي شاور حتفه في أواخر ربيع الآخر من سنة 564 هـ / 1169 م ، بعد أن كان الوزير الفاطمي قد عزم بدوره علي الخلاص من شيركوه لولا تحذير المقرّبين إليه من مغبّة ذلك لأنّه سيؤدّي إلي عودة الفرنج إلي مصر[4] . كما يبدو أنّ شاور قبل وفاته قد فكّر بجديّة في التبّرع بالدّعوة الفاطميّة لبني

---

(1) ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 1ص158 . ابن الأثير ،**الكامل**، ج11 ص338 . **التاريخ الباهر**، ص139. ابن خلكّان ، **وفيات الأعيان** ، ج2 ص447 . المقريزي ، **اتعاظ الحنفا** ، ج 3ص294 . أبوشامة ، **الروضتين** ، ج1 ص394 . ستيفن ، **تاريخ الحروب الصّليبيّة**. ج3 ص617 . فؤاد سيّد ،**الدولة الفاطميّة في مصر** ، ص233 . ابراهيم حسن ، **تاريخ الدّولة الفاطميّة** ، ص 194.

(2) ابن قاضي شهبة ، **الكواكب الدريّة في السيّرة النّوريّة** ، ص177 ، أبو شامة ، **الروضتين** ، ج1 ص394 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص159 . ابن الأثير ، **الكامل** ، ج11 ص338 . **التاريخ الباهر**، ص 139 . الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة 5أ .

(3) النّويري ، **المصدر نفسه** ، ج 28ص341 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص299 . ابن الأثير ، **الكامل** ، ج11 ص338 . الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة 5أ .

(4) النّويري ، **المصدر نفسه** ، ج 28ص342 . عمارة ، **النكت العصريّة في أخبار الوزراء المصريّة** ، ص81 . ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ج 11ص339 - 340 . **المصدر نفسه** ، ص 140. سبط ابن الجوزي ، **مرآة الزمان** ، ج 8ص 276 - 278 . أبو شامة ، **الروضتين** ، ج1 ص396 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص161-162 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج 2ص244 و ج 7ص149 . ابن أيبك ، **كنز الدّرر** ، ج7 ص 35-34. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج 3ص299-302 . ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج5 ص 351 ، 388. الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 16ص 95-96. الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة 5أ .
Wiet, *Précis de l'Histoire d'Egypte* , part II , p 196.

زريع بعدن لولا أن عمارة اليمني حذّره من ذلك بقوله " إنمّا أهل اليمن يبعثون إليكم التّجاوى والفطرة من أجل الدّعوة ، فإذا تنازلتم عنها فقد هوّنتم حرمتها " [1] .

وما أن تخلّص شيركوه من الوزير الفاطمي شاور حتّى خلع عليه الخليفة العاضد تبعا للتّقاليد الفاطميّة خلع الوزارة وفوّض إليه الحكم والتّقدم على الجيوش ولقبّه بالملك المنصور أمير الجيوش ، فنزل في دار الوزارة واستقرّت له الأمور بدون منازع [2] . ثم إنّ العاضد أمر بكتابة سجلّ بذلك من إنشاء القاضي الفاضل[3] ووقّع العاضد على طرّة السّجل بخطّه "هذا عهد لم يعهد لوزير مثله ، فتقلّد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلا لحملها والحجّة عليك عند الله " [4] .

وباستقرار الوزارة بين يدي أسد الدّين شيركوه ، أقطع البلاد للعساكر التي قدمت معه وأبقى للمصريّين ما بأيديهم ولم يغيّر على أحد شيئا وأجرى أصحاب مصر على قواعدهم وأمورهم . غير أنّ شيركوه ما لبث أن توفّي فجأة في يوم السّبت الموافق 22 جمادي الآخرة من سنة 564 هـ / 1169 م[5] ، بعد أن كان قد وطّد نفوذ الأيّوبيين بالبلاد المصريّة وهيّأ لهم الأوضاع لكي يأخذوا بزمام الأمور أكثر من ذي قبل .

---

(1) عمارة ، النكت العصريّة ، ص 92.

(2) النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج 28ص356 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج 1ص402 . ابن الأثير ، **الكامل** ، ج 11ص340 . **التاريخ الباهر** ، ص140 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 1ص163-164 . المقريزي ، **اتعاظ الحنفا**، ج 3ص302 . ابن قاضي شهبة ، **الكواكب الدرّية في السّيرة النوريّة** ، ص178-179 . الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة 5أ . الباز العريني ، **مصر في عصر الأيوبيّين** ، ص33 . فؤاد سيّد ، **الدولة الفاطميّة في مصر** ، ص 233.
Smith, *The Ayyubids* ... , p 27-28.
Garcin , *Etats, sociétés et cultures du monde musulman médieval X-XV s* , p 243 .

(3) أنظر نصّ السجلّ عند القلقشندي ، (**صبح الأعشى** ، ج10 ص91-92) . وبعض الفقرات منه أوردها أبو شامة ، **الروضتين** ، ج 1ص402-403 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 1ص164 . الشيّال ، **مجموعة الوثائق الفاطميّة** ، ص171-173 ، 383-397 . فؤاد سيّد ، **الدولة الفاطميّة في مصر** ، ص 233. إبراهيم حسن ، **تاريخ الدولة الفاطميّة** ، ص 195. الباز العريني ، **مصر في عصر الأيوبيّين** ، ص34 .

(4) أبو شامة ، **الروضتين** ، ج1 ص402 . القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج 9ص406-407 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص165 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج 7ص154 . المقريزي ، **اتعاظ الحنفا** ، ج 3 ص302 . ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج 5 ص 353. الشيّال ، **مجموعة الوثائق الفاطميّة** ، ص174 ، 401 .

(5) النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج 28ص356 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص168 . ابن الأثير ، **التاريخ الباهر** ، ص141 . الكامل ، ج11 ص341-342 . أبو شامة، **الرّوضتين** ، ج1 ص402-405 . الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج16 ص215 . المقريزي ، **اتعاظ الحنفا**، ج 3ص 304-305. الباز العريني ، **مصر في عصر الأيوبيين** ، ص 33. الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة5 ب .
Smith , *The Ayyubids* .... , Vol II p 28.
Garcin , *Etats, sociétés et cultures du monde musulman médieval X-XV s* , p 243.

3 - صلاح الدّين ينهي الحكم الفاطمي ويؤسس الدولة الأيوبية بمصر :

أ - صلاح الدّين وزير للخليفة الفاطمي العاضد :

لمّا توفّي شيركوه وخلا منصب الوزارة من بعده طمع فيه الكثيرون من القادة الذين كانوا على رأس جيش نور الدّين ، لكنّ شهاب الدّين محمود الحارمي ، خال صلاح الدّين وأحد هؤلاء القادة ، كان قد أشار على الخليفة الفاطمي العاضد بأن يولّي صلاح الدّين الوزارة خلفا لعمّه أسد الدين شيركوه [1] ، فوافقه العاضد على ذلك ظنّا منه أنّه قادر على السّيطرة على صلاح الدّين وأنّه لن يستطيع مخالفته لأنّه لم يكن له عسكر ولا رجال [2].

ثم إنّ الخليفة العاضد خلع على صلاح الدّين خلع الوزارة [3] وأمر القاضي الفاضل بإنشاء سجلّ بتوليته الوزارة ولقّبه " بالملك الناصر " في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من سنة 564 هـ / 1169 م وكتب على طرّته بخطّه " هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجّته عند الله تعالى عليك فأوف بعهدك ويمينك وخذ كتاب أمير المؤمنين بيمينك ...." [4].

---

(1) النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج 28ص356 . ابن الأثير ، **التاريخ الباهر** ، ص 141-142. الكامل ، ج11 ص343-345 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص438-439 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 1ص168-169 . الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 18ص340 . المقريزي ، **السّلوك** ، ج1 ص43 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج12 ص256 . ابن الورديّ ، **تتمّة المختصر** ، ج2 ص117 . ابن دقماق (إبراهيم) ، **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسّلاطين** ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة 1983م . ص220 . ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ، ج7 ص 154.

(2) ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ص 141. **المصدر نفسه** ، ج11 ص343-345 . أبو شامة ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص407 . ابن واصل ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص169 . المقريزي ، **اتعاظ الحنفا** ج 3ص309 . ابن قاضي شهبة ، **الكواكب الدرّية في السيّرة النّورية** ، ص 180 . Elisséeff , *Nûr ad-Din ...* , T II p 638-639 .

(3) أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص439 . المقريزي ، **المصدر نفسه** ، ج 3ص309 . ابن قاضي شهبة ، **المصدر نفسه** ، ص 179 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج 7ص 154. البدليسي ، **الشرفنامه**، ص80. فؤاد سيّد ، **الدولة الفاطميّة في مصر** ، ص234 . البازالعريني ، **مصر في عصر الأيوبيّن** ، ص 33.

(4) أبن واصل ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص170 . أبو شامة ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص439 . القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج 10 ص 91-98. المقريزي ، **المصدر نفسه** ، ج 3ص309 . ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدّرية ، ص 179-180.

ومـا أن تولّى صـلاح الدّين مـنصب الوزارة حـتى رأى أن أنجع وسـيلة لتـأمـين نفـوذه أن يجـمع حـوله والده نـجم الدّين أيّـوب وإخـوته وأقـربـائه الآخرين [1].

ب - إصلاحات صلاح الدّين ونهاية الخلافة الفاطمية في مصر :

عندما تولّى صلاح الدّين الوزارة كانت المؤسّسة الفاطميّة في مصر تسيطر على الهيـاكل الإسـتراتيجيّة في البلاد كالموارد الإقتصاديّة وامتلاكها ولو نسبيّا لقوّة عسكريّة قـويّة ، كمـا كـانت تشرف على النّظام القضائي وعلى ديوان الإنشاء وكـان يشارك في تسـيير هذه المـؤسّسة أفراد ينتسبون إلى ديانات وطوائف مـختلفة كالإسـماعليّون والمسلمون السنّة والأقباط وإلى مجموعات عرقيّة متنوّعة كالعرب والأرمن والسّودان [2] . لذلك أدرك صـلاح الدّين أنّ زوال الدّولة الفـاطميّة لا يمكن أن يتمّ إلاّ بفضل خطّة محكمة تؤمّن هذه العمليّة عبر مجموعة من الإصلاحات التّدريجيّة .

فقد حرص صلاح الدّين في البداية على تقوية جانبه فإستقدم والده وإخوته فلحقوا به إلى مصر ، كما فوّض أمر القصر إلى أحد أعوانه المخلصين إثر ثورة مؤتمن الخلافة السّوداني . ثمّ إن صلاح الدّين عمل على التخلّص من قادة العساكر المصريّين فإستبدل عوضهم رجالا من أنصاره وعيّن والده نجم الدّين أيّوب أمر الخزائن كلّها في 25 رجـب من سنة 565 هـ / 1170 م وذلك لضمان سيطرته على موارد الدّولة [3].

وفي أواخر سنة 565 هـ / 1170 م بدأ صلاح الدّين في إتّخـاذ خطوات حاسمة ضدّ المؤسّسة الفاطميّة لإضعاف المذهب الإسماعيلي وتقوية المذهب السنّي في مصر ، فكان أن أبطل من الآذان " حيّ على خير العمل " في العاشر من ذي الحجّة من سنة 565 هـ / 1170 م [4] وأمر أن يذكر في خطبة الجمعـة الخلفاء الرّاشدون [5] ونزع مناطق الفضّة التي كانت بمحاريب جوامع القاهرة والتي كانت تحمل أسماء الخلفاء الفاطميّين [6] .

---

(1) أبو شامة ، الرّوضتين ، ج1 ص408 . ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 ص 174. ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص143 . ابن الوردي ، تتمّة المختصر ، ج 2ص117 . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج7 ص156 . البدليسي ، الشرفنامه، ص81 . الآمدي، نزهة النّاظر وراحة الخاطر ، ورقة6 أ .

(2) فؤاد سيّد ، الدولة الفاطميّة في مصر ، ص237 .

(3) النّويري ، نهاية الإرب ، ج28 ص362 . أبو شامة ، الروضتين ، ج 1ص465 . البدليسي ، الشرفنامه، ص81. Ehrenkreutz (A.S) , "Saladin's coup d'etat in Egypt", in *Medieval and Middle Eastern Studies* in Honor of Aziz Suryal Atiya, edited by Sami A. Hanna, Leiden 1972 . p 145-147.

(4) أبو شامة ، الروضتين ، ج 1ص 488. المقريزي ، الخطط ، ج 2ص271 . اتعاظ الحنفا، ج3 ص307. Mansouri (M.T), "Salah ad-Dine et le Royaume Latin de Jerusalem (1169-1187)", in *ORIENTE E OCCIDENTE TRA MEDIOEVO ED ETA MODERNA Studi in Onore di GEO PISTARINO a cura di LAURA BALLETTO GLAUCO BRIGTI* ,GENOVA 1997. p 776 .

(5) المقريزي ، السّلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ص45 .

(6) ا المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج3 ص317 . فؤاد سيّد ، الدولة الفاطميّة في مصر ، ص238 .

وفي الأيّام الأولي من شهر المحرّم من سنة 566 هـ / 1170 م أمر صلاح الدّين بهدم دار المعونة المجاورة للجامع العتيق بمصر وبناها مدرسة للشافعيّة وفي منتصف هذا الشهر عمّر دار الغزل المجاورة لباب الجامع العتيق مدرسة للمالكيّة عرفت بالمدرسة القمحيّة[1]. وفي منتصف شعبان من السّنة المذكورة إشترى تقيّ الدّين عمر بن شهنشاه ابن أخي صلاح الدّين منازل العزّ بالفسطاط وجعلها مدرسة للشافعيّة عرفت بالمدرسة التقويّة[2]، كما حوّل صلاح الدّين دار سعيد السّعداء الواقعة شمال القصر الفاطميّ الشّرقي خاناقاه للصّوفيّة وهي بذلك تعدّ أوّل خانـاقه للصّوفيّة تنشأ بمصر[3].

وفي العام نفسه أبطل صلاح الدّين مجالس الدّعوة الإسماعيليّة من القصر والجامع الأزهر[4]، ثمّ عزل جميع القضاة الإسماعيليّين وفوّض قضاء مصر إلى القاضي صدر الدّين أبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس المارانى الشّافعي[5]، فكان أن اشتهر منذ ذلك الحين المذهب الشافعي بمصر، كما رتّب صلاح الدّين القاضي الفاضل رئيسا لديوان الإنشاء[6].

وهكذا إستطاع صلاح الدّين مع نهاية سنة 566 هـ / 1171 م أن يتمّ عددا من الإجراءات والإصلاحات التّي عجّلت بالخطوة الحاسمة المتمثّلة في القضاء علي الخلافة الفاطميّة وإقامة الخطبة للعبّاسيين علي منابر مصر.

---

(1) ابن الأثير، **الكامل**، ج 11ص366. سبط ابن الجوزيّ، **مرآة الزمان**، ج8 ص283. أبو شامة، **الرّوضتين**، ج1 ص486، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج3 ص456. ابن واصل، **مفرّج الكروب**، ج 1ص197. السّبكي، **طبقات الشافعيّة**، تحقيق عبد الفتاح محمّد الحلو ومحمود محمّدالصّناجي، القاهرة 1963-1976 م ج7 ص356.

(2) أبو شامة، **المصدر نفسه**، ج 1 ص 486، ابن واصل، **مفرّج الكروب**، ج1 ص198. السّبكي، **طبقات الشافعيّة**، ج 7ص356. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج 3ص342. المقريزي، **الخطط**، ج1 ص458. وج2 ص343، 363، 364. **المصدر نفسه**، ج 3ص320. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج5 ص385. ابن قاضي شهبة، **الكواكب الدرّية**، ص 194.

(3) النّويري، **نهاية الإرب**، ج28 ص362. ابن ميسّر، **أخبار مصر**، ص144. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج3 ص364-365. المقريزي، **الخطط**، ج2 ص 415-416.

(4) النّويري، **المصدر نفسه**، ج28 ص362. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ج3 ص320.

(5) النّويري، **المصدر نفسه**، ج28 ص362. ابن الأثير، **الكامل**، ج 11ص336. سبط ابن الجوزيّ، **مرآة الزمان**، ج8 ص283. أبو شامة، **المصدر نفسه**، ج1 ص486، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج3 ص342-343. ابن واصل، **المصدر نفسه**، ج1 ص198. ابن أيبك، **كنز الدّرر**، ج 7ص47. المقريزي، **الخطط**، ج 2ص273، 275، 343. **اتعاظ الحنفا**، ج3 ص319. ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج5 ص385-386. ابن قاضي شهبة، **الكواكب الدرّية**، ص194. السّيوطي (جلال الدين)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم القاهرة 1967م، ج2 ص5. ابن إيّاس (محمّد)، **بدائع الزّهور في وقائع الدّهور**، تحقيق محمّد مصطفى، القاهرة 1975 م، ج1 قسم 1ص233. فؤاد سيّد، **الدولة الفاطميّة في مصر**، ص238.

(6) الصفدي، **الرافي بالوفيات**، ج18 ص340-341.

ففي اليوم السّابع من شهر محرّم من سنة 567 هـ / 1171 م أسقط صلاح الدّين خطبة الفاطميّين وأمر الخطباء بالدّعوة للخليفة العبّاسي المستضيء بأمر الله وأعاد السّواد شعار العبّاسيين [1] ، وأصبح يخطب بإسم صلاح الدّين على منابر مصر بعد الخليفة العبّاسي والملك العادل نور الدّين صاحب دمشق . وقد تمّ هذا التحوّل في هدوء تامّ فلم ينتطح فيه عنزان كما أجمع على ذلك المؤرّخون [2] ، ذلك أنّ غالبيّة المصريّين لم يعتنقوا إطلاقا المذهب الإسماعيلي ، الذي ظلّ مقتصرا على العناصر المتعاونة مع الخلافة الفاطميّة ممثّلة في الأقليّات الأجنبيّة التي جاءت صحبة الفاطميّين أو الذين إستعانوا بهم طوال فترة حكمهم [3].

ولم تكد تمضي أيّام على قطع خطبة الفاطميّين حتّى توفّي الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميّين ليلة عاشوراء من سنة 567 هـ / 1171 م فأمر صلاح الدّين بإنشاء الكتب إلى البلاد بوفاة العاضد وإقامة الخطبة رسميّا للخليفة المستضيء بأمر الله العبّاسي [4] . وبذلك وضع صلاح الدين نهاية للدّولة الفاطميّة في مصر، لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخها في ظلّ حكم دولة بنيّ أيّوب .

ثم إنّ صلاح الدّين طلب بن بهاء الدّين قراقوش ، متولّي أمور القصر ، بالتحوّط على كلّ ما فيه ، وأقطع قصور الفاطميّين لخواصّه ولأمرائه وأسكن أباه نجم الدّين أيّوب في قصر اللّؤلؤة على الخليج، وتفرّق بقيّة الأمراء في القصور والرّباع [5] .

لكن يبدو أنّ إستيلاء صلاح الدين الأيّوبي على مصر وإنفراده بالزّعامة إثر وفاة الخليفة العاضد الفاطميّ لم يكن ليتقبّله السلطان نورالدّين محمود بطيب خاطر ، وذلك رغم الولاء الصّريح الذّي إلتزم به صلاح الدّين تجاهه وإقامة الخطبة بإسمه على المنابر بعد الخليفة العبّاسي . ذلك أنّ السّلطان نور الدّين كانت له

---

(1) ابن الأثير ، **التاريخ الباهر** ، ص 156. **الكامل** ، ج 11ص368-371 . سبط ابن الجوزي ، **مرآة الزمان** ، ج8 ص285 . أبو شامة ، **الروضتين** ، ج1 ص492-493. ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج7 ص157 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب**، ج1 ص200-201 . ابن أيبك، **كنز الدّرر**، ج 7ص48 . السّبكي ، **طبقات الشافعيّة** ، ج7 ص341-356 . الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج17 ص689 . المقريزي ، **إتّعاظ الحنفا**، ج3 ص325-326 . ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج5 ص355-356 . السّيوطي (جلال الدّين)، **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1976م ص445-447 .

(2) ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ج 11ص369 . أبو شامة ، **الروضتين** ، ج1 ص493 .

(3) فؤاد سيّد ، **الدولة الفاطميّة في مصر** ، ص240 .

Cahen (C l) , art "Ayyubides "*EI*^{2}, Vol IV p 638.

(4) المقريزي ، **إتّعاظ الجنفا**، ج 3ص327-328 .

(5) ابن الأثير ، **التاريخ الباهر**، ص156-157 . **الكامل** ، ج11 ص368-370 . أبو شامة ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص493 . ابن واصل ، **مفرج الكروب** ، ج1 ص202-204 . المقريزي ، **الخطط** ، ج1 ص496-498 . **إتعاظ الحنفا** ، ج3 ص330-331 .

مطامع في الإستيلاء على مصر، كما كان يظنّ أنّ صلاح الدّين لا يعدو أن يكون نائبا له في مصر متى أراد سحبه فلا يمتنع عليه . ولكنّ صلاح الدّين كان هو الآخر له طموحات في هذا المنحى ، وربّما كان ذلك سبب تأخرّه في الإنصياع لطلب نور الدّين في قطع خطبة الفاطميين لأنّه خشي إن هو فعل ذلك أن يسير نور الدين إلى مصر وينزعها منه [1].

ثمّ إنّ العلاقة بين نور الدّين وصلاح الدّين ما لبثت أن شابها شيء من الجفاء والوحشة ، ذلك أنّه خلال شهر شوّال من سنة 567 هـ / 1171 م أرسل نور الدّين إلى صلاح الدّين يأمره بجمع العساكر المصريّة والمسير بها إلى حصن الكرك [2] ومحاصرته على أن يجتمعا سويّا لمنازلة الصّليبيين ، فخرج صلاح الدّين من القاهرة وسار السّلطان نور الدّين من دمشق إلى حصن الكرك وعند وصوله أقام هناك [3] ، حتّى أتاه كتاب صلاح الدّين يعتذر فيه عن القدوم باختلال أوضاع مصر وأنّه يخاف عليها إذا بعد عنها [4] .

ويذهب بعض المؤرّخين إلى إعتبار عودة صلاح الدّين إلى مصر دون مشاركة نور الدين في محاصرة حصن الكرك كانت نتيجة خوف صلاح الدّين من الإجتماع بنور الدّين ، بعد أن راجت الأخبار بعزم سلطان الشّام على دخول مصر وإخراج صلاح الدّين منها . لذلك جمع صلاح الدّين أهله وفيهم خاله وأبوه وسائر الأمراء وإستشارهم فيما ينبغي فعله ، فلم يجبه أحد منهم بشيء سوى أبوه الذّي نصحه بضرورة الإمتثال لنور الدّين ونصحه بأن يعتذر إليه [5] .

---

(1) المقريزي ، **اتعاظ الحنفا**، ج 3ص325 .ابن قاضي شهبة ، **الكواكب الدرّية** ، ص181. فؤاد سيّد ، **الدّولة الفاطميّة في مصر** ، ص240 .

Elisséeff (N), *Nûr ad-Din...* , T II, p 670 .
Smith, *The Ayyubids ...* , Vol p 30.

(2) الكرك : كلمة أعجميّة ، إسم لقلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم (البحر الأحمر) وبيت المقدس تحيط بها أودية وهي على سنّ جبل عال . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج4 ص514 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج 3ص 1159.

(3) ابن الأثير ، **الكامل** ، ج11 ص392 . **التّاريخ الباهر** ، ص158 . ابن الوردي ، **تتمّة المختصر** ، ج2 ص122 . ابن الفرات ، **تاريخ الدّول والملوك** ، ج1 ص 184 . ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج12 ص 268. الباز العريني ، **مصر في عصر الأيّوبيين** ، ص38 .

Elisséeff, *op.cit* , TII, p 672.
Smith, *op.cit* , Vol II p 30.

(4) ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ج11 ص372 . **المصدر نفسه** ، ص158 . ابن الفرات ، **تاريخ** ، ج 1 ص 184 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص221. أبو شامة ، **الروضتين** ، ج1 ص 203. الباز العريني، **مصر في عصر الأيّوبيّن** ، ص38 .

(5) ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ج11 ص373 . **المصدر نفسه** ، ص158 . ابن واصل ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص223 . المقريزي ، **السّلوك** ، ج 1ص49 . البدليسي، الشرفنامه، ص82. ابن الفرات ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 186 .

أمّا ما يعتقده إبن الأثير من أنّ صلاح الدّين كان يريد أن يظلّ الفرنج مسيطرين على جنوب بلاد الشّام وذلك لمنع نور الدين من الوصول إلى مصر[1] فهو لا يعدو أن يكون تخمينا يفتقر إلى كثير من الدّلائل والبراهين ، ذلك أنّ الرّأي المشار إليه لا يوجد له نظير في بقيّة المصادر التي تناولت موضوع العلاقة بين الرّجلين ، كما أنّ صاحب " التاريخ الباهر " الذّي نشأ وترعرع في كنف البيت الزّنكي قد اتّهم في بعض ما أورده عن صلاح الدين [2] .

وهكذا فإنّه مهما كانت طموحات صلاح الدّين ودرجة الخلاف بينه وبين السلطان نور الدّين فإنّهما قد ظلاّ جبهة واحدة تجاه الفرنج والصّليبيّين ، كما أنّ صلاح الدّين رغم الوحشة التي كانت بينه وبين نورالدين قد عزم خلال سنة 568 هـ/ 1173 م على مهاجمة الفرنج بقلعة الكرك ، وذلك عندما بلغه أنّ قافلة خرجت من مصر إلى بلاد الشّام فتجهّز لها ليحميها وسار حتّى وصل الكرك فحاصرها فلم ينل منها وعاد إلى مصر [3] .

كما أنّه من المجازفة أن يعتبر "إلسّييف " Elisséeff أنّ صلاح الدّين كان حريصا على مصالحه الشّخصية أكثر من حرصه على الإسلام [4] ، فقد سخّر صلاح الدّين كثيرا من وقته للدّفاع عن الإسلام والمسلمين أمّا مطامحه فكانت بدورها لا تتعارض مع ذلك الهدف الأسمي ولا يمكن لها بأيّة حال من الأحوال أن تغلب عليه .

ومهما يكن من أمر، فإنّ الإختلاف بين الرّجلين لا يمكن أن يكون سوى إختلاف في الرّؤى حول مسألة جهاد الصّليبيّين التي كانت الشّغل الشّاغل لكلا الرّجلين ، فإذا كان صلاح الدّين قد جنح إلى تأسيس دولة بمصر لتكون مركزا لإنطلاق العمليّات الحربيّة ضدّ الصّليبيين فإنّ نور الدّين قد كان يعتبر سوريا والبلاد الشاميّة الموضع الرّئيسي الذّي ينبغي أن تجرى على ساحته منازلة الصّليبيين ولم تكن مصر في نظره إلاّ مصدر للدّخل الذي يسدّ نفقات الجهاد [5].

ثم إنّ الجفوة بين الرّجلين سرعان مازالت عندما أرسل صلاح الدّين خلال سنة 568 هـ / 1173 م بمجموعة من الهدايا إلى نور الدّين مجدّدا له عبارات الولاء والطّاعة ، فكان أن شكر له نورالدّين ذلك داعيا إيّاه إلى ضرورة مزيد التّعاون على تحصين ثغور الشّام وشحنها بالجند والأمداد [6].

----

(1) ابن الأثير ، التّاريخ الباهر ، ص191 . *Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux* , publié par les soins de l'Academie des Inscriptions et Belles-lettres, Imprimerie Nationale, Paris 1872. T II p 582.

Elisséeff , *Nûr ad-Din* ... , T II p 672.

Mansouri , "Salah ad-Dine et le Royaume Latin de Jerusalem", *loc.cit* , p 778.

(2) ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج 1ص237 هامش رقم2
Gabrieli (F), *Chroniques arabes des Croisades*, Seconde edition, Sindbad Paris 1977.p386.

(3) المقريزي ، السّلوك ، ج 1ص50.

(4) Elisséeff ,*op.cit* , T II p 672.

(5) الباز العريني ، المرجع السابق ، ص39 .

(6) ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج 1ص226 . المقريزي . السلوك . ج 1ص50 .

لكنّ الأوضاع ما لبثت أن إضطربت من جديد بالصّعيد المصري عندما إجتمع الجند السّودانيّون الذّين هربوا إلى بلاد النّوبة إثر فشل مؤامرة مؤتمن الخلافة خلال سنة 564 هـ / 1168 م ، فلمّا كانت سنة 568 هـ / 1173 م سار هؤلاء شمالا لمهاجمة أسوان والتّمهيد لإستعادة الحكم الفاطميّ بمصر ، فأنفذ لهم صلاح الدّين أخاه الأكبر توران شاه الذّي شحن كثيرا من المراكب في النّيل بالرّجال والمؤونة، ثمّ سار حتّى وصل قلعة إبريم فإستولى عليها ومضى إلى داخل بلاد النّوبة وهناك أنفذ جماعة من الأكراد عمدوا إلى الإغارة على منطقة دنقلة وإستقرّت حامية منهم في قلعة إبريم [1].

وما أن وطّد توران شاه النّفوذ الأيّوبي بجهة الصّعيد المصري وشمال بلاد النّوبة حتّى عاد إلى القاهرة وبين يديه كثير من السّبي والغنائم [2] ، وذلك بعد أن بدت له بلاد النّوبة أرضا ضيّقة ليس بها من الزّرع سوى الذرّة والنّخل [3]، لذلك أقطعه صلاح الدّين الجهات الواقعة بين قوص وأسوان وعيذاب [4].

وفي مبتدإ شهر رجب من سنة 569 هـ / 1173 م سار توران شاه بأمر من صلاح الدّين في جيش كثيف إلى بلاد اليمن ليتملّكها ، بعد أن كان قد تجهّز بخير جهاز وأعدّ الأزواد والرّوايا والسّلاح وغيره من الآلات وجنّد لذلك الأجناد وجمع الأحشاد [5] . فما مدى أهمّيّة هذا القرار الذّي إتّخذه صلاح الدّين بهدف ضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذ دولته النّاشئة، خلال هذه المرحلة الحاسمة من تاريخها ، وما هي الدّواعي والأسباب الموضوعيّة التّي دفعت بالأيّوبيين إلى الإقدام على مثل هذا الإجراء السّياسي الخطير ؟

4 - تطلّع الأيّوبيين إلى بلاد اليمن : أسبابه ومبرّراته

يعدّ قرار ضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذ الدّولة الأيّوبيّة من القرارات الهامّة، التي كان صلاح الدّين الأيّوبي قد إتّخذها منذ أن إستتبّ له الأمر بمصر وذلك محاولة منه لتأمين نفوذه وتركيز دعائم دولته النّاشئة . لذلك فليس من قبيل الصّدفة أن يحظى مثل ذلك القرار السّياسي الهامّ بكثير من الإهتمام من قبل جموع المؤرّخين قدامي و محدثين ، حيث راح كلّ فريق منهم يبحث ويمحّص في الأسباب والدّوافع الحقيقيّة التّي أدّت بالأيّوبيين للقيام بهذه الخطوة التوسّعيّة ، وهو ما أثار في الأثناء كثيرا من الجدل والإختلاف في الرّأي .

---

(1) أبو شامة ، **الروضتين** ، ج 1ص 208-209. الباز العريني ، **مصر في عصر الأيّوبيين**، ص 39. المقريزي ، **السلوك** ، ج 1ص50 . Smith, *The Ayyubids* ...., Vol II p 30.

(2) المقريزي ، **السّلوك** ج 1ص 50.

(3) **المصدر نفسه**، ج 1ص51 .

(4) أبو شامة ، **الروضتين** ، ج 1ص 226.

(5) ابن الأثير ، **الكامل** ، ج11 ص396 . **التاريخ الباهر** ، ص162. أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج I ص333 ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص237-243 . المقريزي ، **السّلوك** ، ج 1ص52 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج7 ص164-165 الآمدي ، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر** ، ورقة 6ب . شاكر حسين (خليل) ، " تطلّع صلاح الدّين نحو بلاد اليمن ". **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ بجامعة عدن23** ، عدن25 سبتمبر1989 م . ص 64-67. Smith, *op.cit* , Vol II p 31.

وإذا كانت أغلب المصادر العربيّة لا تورد كثيرا من التّفاصيل حول الأسباب الكامنة وراء التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن ، مجمعة على أنّ هناك عاملا واحدا متحكّما في هذا الحدث ، وذلك رغم إختلافها فيما بينها حول طبيعة هذا العامل ، فإنّ الدّراسات الحديثة قد تجاوزت النّظرة الأحاديّة التّي إلتزمت بها المصادر الكلاسيكيّة حول هذه المسألة ، معتبرة أن هناك أكثر من سبب دفع بالأيّوبيين إلى بسط نفوذهم على هذه النّاحية من بلاد العرب ،رغم إختلافها هي الأخرى حول طبيعة الأسباب الحقيقيّة التي تحكّمت في هذا القرار.

أ - أسباب التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن في المصادر العربية الإسلاميـــة :

كما سبقت الإشارة إلى ذلك فإنّ كثيرا من المؤرّخين العرب المسلمين، سواء كانوا من المؤرّخين اليمنيين أو من غيرهم ،قد توقّفوا عند حدث التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن محاولين في الأثناءالوقوف على طبيعة الأسباب التّي دفعت بصلاح الدّين الأيّوبي للتحمّس لمثل هذا القرار. فكانت آراؤهم متباينة في هذا المضمار ووجهات نظرهم متعدّدة ومختلفة، كما سيتبيّن ذلك من العرض الآتي لجملة الأسباب والدّوافع التّي إرتأتها هذه الزّمرة من المؤرّخين، كحوافزحقيقيّة دفعت بالأسرة الأيّوبيّة للتطلّع صوب هذه المنطقة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة.

I) - تعـاظم وطأة إبن مهـدي الخارجـي وتغلّبه على كثيــر مـن بـلاد اليمـن :

تجمع العديد من الرّوايات على أنّ صلاح الدّين قد سعى إلى التخلّص من عبد النّبي بن علي بن مهدي الخارجي[1] صاحب زبيد ، لمّا بلغه تغلّب هذا الأخير على أجزاء كثيرة من بلاد اليمن وإعلانه الخطبة بإسمه وإعتدائه على المسلمين [2] وزعمه أنّ ملكه يطبق الأرض كلّها . وقد قال بهذا الرّأي كلّ من ابن شدّاد وأبي شامة وسبط ابن الجوزي وابن واصل وابن خلكان وتقيّ الدّين المقريزي [1] ، وشاطرهم الرأيّ في ذلك جمع من المؤرّخين اليمنيّين كالجندي والخزرجي وابن عبد المجيد والوصابي وابن الدّيبع وأبي مخرمة وابن الحسين الصّنعاني [2] .

---

(1) لمزيد من التّفاصيل حول حركة إبن مهدي راجع القسم الثّاني من الفصل السّابق من هذا البحث .

(2) وردت هذه العبارة في أغلب الروّايات وبذلك يكون إبن مهدي غير معدود من المسلمين بل من الخارجين عن الدّين .

(1) ابن شدّاد ،**النّوادر السّلطانية** ، ص36 . أبو شامة ، الرّوضتين ، ج 1ص552 . سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ، ج8 ص187-188 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص238 . ابن خلكان،**وفيات الأعيان** ، ج 1 ص 284و ج4 ص504 . المقريزي ، الخطط. ج2 ص37 .

(2) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص69 . **قرّة العيون** ، ج1ص374 - 375 ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 76 . الوصابي ، **تاريخ وصاب** ، ص 108 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن**. ج 2ص69 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص322 .

وقد أجمع هؤلاء المؤرّخون على أن تغلّب ابن مهدي على أجزاء كثيرة من بلاد اليمن وتعاظم أمره كان بمثابة السّبب الرّئيسي المباشر ، الذّي دفع بصلاح الدّين الأيّوبي إلى التدخّل بهذا الجزء من جنوب شبه الجزيرة العربيّة ، وذلك بعد أن استنجد به قاسم بن غانم السّليماني صاحب المخلاف السّليماني [1] . وفي رواية أخرى كان قاسم بن غانم المذكور قد عمد إلى مراسلة الخليفة العبّاسي النّاصر لدين الله أبي العبّاس أحمد ببغداد مستنجدا به ، فكتب له إلى صلاح الدّين بمصر لينجده من جور ابن مهدي [2] .

غير أنّه إذا أمعنّا النّظر جيّدا في حقيقة هذا الرّأي الأخير نلاحظ أنّ مهاجمة ابن مهدي لأشراف المخلاف السّليماني ، التي انتهت بمقتل الشّريف وهّاس بن غانم السّليماني كانت خلال سنة 561 هـ / 1165 م . لذلك كان على أشراف المخلاف السّليماني، باعتبارهم علويّين أن يستنجدوا بالخليفة الفاطمي بمصر عوضا عن الخليفة العبّاسي ببغداد . أمّا بخصوص القول من أنّ الإستغاثة كانت بصلاح الدّين ، فإنّه من الثّابت تاريخيّا أنّ صلاح الدين لم يكن قد استقرّ بمصر حتّى ذلك التاريخ وأنّ تقلّده الوزارة للخليفة العاضد كان في غضون سنة 564 هـ / 1169 م ، أيّ بعد ثلاثة سنوات من مقتل الشّريف وهّاس السّليماني . وبذلك يكون قيام صلاح الدّين بإرسال حملة إلى اليمن خلال سنة 569 هـ / 1174 م بعد أكثر من ثماني سنوات من مهاجمة ابن مهدي لأشراف المخلاف السّليماني أمرا ليس له صلة بدعوة الشّريف السّليماني ولا يمكن أن يكون إستجابة لنداء هذا الأخير [3] .

أمّا الخزرجي فإنّه يضيف في هذا الصّدد رواية ثالثة نقلا عن الجندي مفادها أنّ رجلا فقيها من أهل اليمن يدعى ابن النسّاخ بعث برسالة بليغة إلى الخليفة العبّاسي ببغداد يشكو فيها من ابن مهدي ويذكر قبح سيرته وسوء عقيدته وكتب مع الرّسالة قصيدة طويلة ، فلمّا بلغت الرّسالة الخليفة العبّاسي كتب إلى صلاح الدّين بمصر الذّي جهّز أخاه توران شاه للمسير ناحية بلاد اليمن [4].

لكنّه من الصّعب الإطمئنان لرواية الجندي ، ذلك أنّه من الثّابت تاريخيّا أنّ رسالة ابن النسّاخ المشار إليها كانت سنة 611 هـ / 1214 م ، أيّ بعد أكثر من أربعين عاما من التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن ، وكان قد بعث بها إلى الخليفة العبّاسي النّاصر أحمد المستظهر بن الخليفة المستضيء بالله يشكو فيها إليه

---

(1) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص376 .

(2) أبومخرمة ، **تغر عدن** ، ج2 ص159 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص322 .

(3) عبد العال أحمد (محمد)، "دراسة حول أقوال المؤرّخين عن أسباب الفتح الأيّوبي لبلاد اليمن" ، **مجلّة معهد المخطوطات العربيّة** ، مجلّد عدد 13 ج2. القاهرة نوفمبر 1967م . ص323-324 .

Smith, *The Ayyubids* .... , Vol II p 40.

(4) أبن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 375.

من الإمام الزّيدي عبد الله بن حمزة لإضطهاده فرقة المطرفيّة [1] ، التي ينتمي إليها ابن النسّاخ . وهكذا لا يمكن أن يكون مسير توران شاه صوب بلاد اليمن من نتائج هذه الشّكوى ولا إستجابة لها .

II) - ترغيب عمارة اليمني لتوران شاه في الإستيلاء على بلاد اليمن :

كان عمارة اليمني شاعرا من شعراء البلاط الأيّوبي بمصر وله صداقة متميّزة بتوران شاه الأخ الأكبر لصلاح الدّين ، لذلك نجح في إقناعه بالإستيلاء على بلاد اليمن وإغرائه بخيرات تلك البلاد وبكثرة أموالها مع ضعف حكّامها [2]. ويذكر أبو شامة نقلا عن ابن أبي طيء أنّ هذا الإغراء قد وجد صدى لدى توران شاه لأنّه كان كثير النّفقات ولم يكن إقطاعه بمصر كافيا لقضاء متطلّباته [3].

وهكذا إستغلّ عمارة اليمني معرفته الدّقيقة بأحوال بلاد اليمن للتّأثير على توران شاه وإغرائه بالإستيلاء عليها تنفيذا لمؤامرة إشترك في تخطيطها الشّاعر اليمني مع بعض أتباع الفاطميّين بمصر قصد القضاء على حكم الأيّوبيّين وإعادة الدّولة الفاطميّة بها [4] ، وقد تفطّن صلاح الدّين لهذه المؤامرة بعد خروج أخيه توران

---

(1) المطرفيّة : فرقة من الزيديّة كان وقع بينهم وبين الإمام عبد الله بن حمزة خلاف فحكم بتكفيرهم وجواز سبيهم واستباحة أموالهم ودارت بين الطرفين حروب كثيرة . ابن الدّيبع ، **قرة العيون** ، ج1ص 375-376. ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص400 . الهمداني ، **الصّليحيون والحركة الفاطميّة في اليمن** ، ص287 .

(2) أبوشامة ، **الروضتين** ، ج1 ص551 . ابن الأثير ، **الكامل** ، ج11 ص396. سبط ابن الجوزي ، **مرآة الزمان** ، ج 8ص189 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 1ص238 . المقريزي ، **الخطط** ، ج 2ص37 . **السّلوك** ....ج1 ص52 . ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج 12ص274 . النّويري ، **نهاية الإرب**، ج 28ص 373 .

(3) كان توران شاه واليا على قوص قبل تولّيه قيادة حملة اليمن ، ويعتبر والي قوص خلال ذلك العهد من أعظم ولاة مصر وأجلّهم ، كما كان صلاح الدّين قد أطلق له خراج قوص لمدّة سنة ليصرف منه على هذه الحملة التي كانت عدّتها مائتي ألف وستّة وستّين ألف دينارا . العمري (شهاب الدّين)، **التّعريف بالمصطلح الشريف** ، القاهرة 1312هـ . ص174 . أبو شامة ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 217. المقريزي ، **المصدر نفسه** ، ج3 ص 59. **الذهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك** ، تحقيق جمال الدّين الشيّال ، القاهرة 1955م ص 71.
Garcin (J.Cl), *Un centre muslman de la Haute-Egypte médievale* : QUS. Thèse pour le Doctorat d'Etat es -Lettres et Sciences Humaines présentée à l'Université. de paris (Pantheon-Sorbonne) 1974. pp126-127 .

(4) كان المتآمرون قد إتّصلوا بأموري(Amaury) ملك بيت المقدس وغليوم الثاني(Guillaume II) ملك صقليّة وسنان رئيس الحشيشيّة بالشّام واتّفقوا على أن تقوم قوّاته بغزو مصرعندما يكون صلاح الدين في الشام وأخوه توران شاه ببلاد اليمن وبذلك تسهل مهمّة المتآمرين للقيام بثورة على الحكم الأيّوبي في القاهرة . أبو شامة ، **الروضتين** ، ج 1ص221 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب**، ج1 ص243 . ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج12 ص 275. سعداوي (نظير حسّان)، **جيش مصر في أيّام صلاح الدّين** ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1959م ص42 .

شاه إلى اليمن فعمد إلى التخلّص من مدّبريها وعلى رأسهم عمارة اليمني المذكور [1].

غير أنّه إذا كنّا لا نشكّ في الدّور الهامّ الذي قام به عمارة اليمني في دفع وتشجيع توران شاه على التوجّه نحو بلاد اليمن ، فإنّ القول بحاجة توران شاه المتزايدة للأموال لتغطية نفقاته الخاصّة كسبب رئيسي لتجهيز حملة تكلّفت مبالغ طائلة يبقى في حاجة إلى مراجعة ، ذلك أنّ صلاح الدّين كان بإمكانه الزّيادة في موارد أخيه توران شاه ليغطّي حاجياته إذا كان الهدف من هذه الحملة تحقيق مآرب شخصيّة لا غير [2].

وفضلا عن كلّ ذلك ، فإنّ صلاح الدّين كان خلال ذلك العهد لا يزال تابعا لنور الدّين محمود صاحب دمشق وليس في إستطاعته تجهيز حملة بذلك الحجم دون موافقته وإقتناعه ، هذا إلى جانب الظّروف في مصر التي كانت تحتّم عليه عدم تشتيت قوّاته للتصدّي لبقايا الفاطميّين ومواجهة القوى الصّليبيّة المتوثّبة .

III) - بحث صلاح الدّين عن مجال إضافي لتأمين نفوذه في حالة إستيلاء نور الدّين محمود على مصر :

يعدّ المؤرّخ عز الدّين بن الأثير أوّل من أثار مسألة الخلاف بين السّلطان نور الدّين محمود صاحب دمشق وصلاح الدّين الأيّوبي، كسبب دفع بهذا الأخير للبحث عن مجال إضافي لتأمين نفوذه ونفوذ أسرته في حالة تمكن نور الدّين محمود من السّيطرة على البلاد المصريّة [3] .

غير أنّه لا يجب التحمّس كثيرا لرواية ابن الأثير الذي عرف بتحامله على صلاح الدّين وميله للأسرة الزّنكيّة التي عاش في كنفها كما سبقت الإشارة إلى ذلك [4] ، وكذلك الشّأن بالنّسبة للمؤرّخ ابن أبي طيء لما كان يضمره من كره واضح لنور الدّين محمود الذي أخرج أباه من قلعة حلب [5] . وفضلا عن كلّ ذلك ، فإنّ قول ابن الأثير لا يتّفق مع ما ذكره صاحب " التّاريخ الباهر " في موضع آخر من أنّ صلاح الدّين قد إستأذن من نور الدّين لفتح بلاد اليمن فأذن له [6] ، وبناء على ما تقدّم من رأي فإنّه من المستبعد أن يستأذن صلاح الدّين من نور الدّين إذا كان قد قصد الخروج عن طاعته والوقوف في وجهه .

---

(1) أبو شامة ، الروضتين ، ج1 ص221 . ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 ص243 . المقريزي ، الخطط ، ج2 ص37 . السّلوك... ، ج1 ص52 . de Paris (Pantheon-Sorbonne) , paris 1974. p126-127 .

(2) عبد العال (أحمد) " دراسة حول أقوال المؤرّخين عن أسباب الفتح الأيّوبي لبلاد اليمن " ، مجلّة معهد المخطوطات العربيّة ، مجلد عدد13 ج2 ص323 .

(3) ابن الأثير ، الكامل ، ج11 ص 396. ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 ص237 *Recueil des Historiens des Croisades,* T I, pp 527, 595-596 .

(4) أبوشامة ، الرّوضتين، ج 1ص 518. ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 هامش رقم 2 ص237-238.

(5) ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدّرية في السّيرة النّورية ، ص182 .

(6) ابن الأثير ، الكامل ، ج 11ص396 . ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 ص 237. ابن تغري بردي ، النّجوم الزاهرة، ج6 ص 69. *Recueil des Historiens des Croisades,* T I, p 596 .

وهكذا ، فإنّه رغم ما قيل عمّا كان بين صلاح الدّين ونور الدّين من خلافات فإنّه من المجازفة التّسليم بالرّأي القائل بأنّ صلاح الدّين كان قد لجأ للإستيلاء على بلاد اليمن خشية من نور الدّين .كما أنّه لا يجب في المقابل أن يسعى بعض الباحثين المحدثين إلى تضخيم الخلاف بين الرّجلين ، إعتمادا على روايات تأثّرت في الغالب بميولات أصحابها وبإنفعالاتهم .

IV) - بحث صلاح الدين عن بلاد يمنحها إقطاعا لأخيه توران شاه .

في حديثه عن صلاح الدّين وعن الأسرة الأيّوبيّة يذكر ابن حاتم اليامي أنّ صلاح الدّين "كان له من الإخوة جماعة .... ففرّق لكلّ منهم بلدا ، خلا توران شاه فإنّه ندبه إلى اليمن وجهزّه بالعسكر الجمّ والمال الكثير " (1) . ويضيف ابن أبي طيء في هذا الصّدد قوله في شأن توران شاه "أنّ إقطاعه بمصر كان لا يقوم بفتوّته ولا ينهض بمروّته " (2) . أمّا سبط ابن الجوزي فيرى أنّ توران شاه كان أكبر من صلاح الدّين ويعتبر نفسه أحقّ بالملك منه وكانت تبدو منه كلمات في هذا المعنى في حال سكره ، لذلك أبعده صلاح الدّين بأن وجّهه إلى بلاد اليمن (3) .

غير أنّه كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، فإنّ قرار التدخّل الأيّوبي باليمن قد تجاوز إطار الأسرة الأيّوبيّة، كما أنّه لم يتمّ إلاّ بموافقة نور الدّين محمود صاحب دمشق ، الذّي كان شديد المراقبة لصلاح الدّين ولسياسته بمصر . لذلك فمن المستبعد جدّا أن يكون ضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذ الدّولة الأيّوبيّة مجرّد هبة من صلاح الدّين لأخيه توران شاه ، لما في ذلك من خطر على مكانة صلاح الدّين عند نور الدّين . هذا بالإضافة إلى الظروف الصعبّة التي كان عليها صلاح الدّين بمصر خلال ذلك العهد والتي كانت تحتّم عليه عدم التّفريط في جيوشه من أجل تحقيق مآرب شخصيّة وإرضاء مطامح ضيّقة.

ب - أسباب التدخل الأيوبي ببلاد اليمن في الكتابات التاريخية الحديثة :

كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، فإنّ تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي إلى بلاد اليمن قصد ضمّها إلى مجال نفوذ دولته النّاشئة قد شكّل إحدى المواضيع اللاّفتة التي شغلت إهتمام العديد من الباحثين المحدثين ، سواء كانوا عربا مسلمين أو مستشرقين ، حيث سعى كلّ باحث إلى تقديم تصوّر خاصّ بالمسألة فكانت الآراء ووجهات النّظر في هذا المضمار مختلفة ومتباينة .

---

(1) أبن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص 15.

(2) أبو شامة ، الرّوضتين ، ج 1ص 553.

(3) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزّمان، ج 8ص 362. الزّركلي ، الأعلام ، ج 2ص74 .

وقد بدأ إهتمام الدّراسات الحديثة بقرار ضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذ الدّولة الأيّوبيّة منذ القرن التاسع عشر ميلادي ، حيث تناول أصحابها بالنّقد روايات وآراء مؤرّخي الفترة الكلاسيكيّة المتّصلة بهذا الموضوع ، فراحوا يفنّدون بعضها ويجيزون البعض الآخر منها ، وذلك طبعا حسب تصوّراتهم وتوجّهاتهم الفكريّة والإيديولوجيّة .

ففي سنة1828 م كان جوهانسن (س.ت) (Johannsen (C.T أوّل من تعرّض لقرار الضمّ الأيّوبي لبلاد اليمن معتبرا في هذا الإطار أنّ تطلّع صلاح الدّين إلى هذه المنطقة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة كان لسببين إثنين ألاوهما السّعي إلى التخلّص من ابن مهدي الخارجي من جهة والبحث عن منطقة نفوذ إضافيّة لتأمين ملكه في حالة إستيلاء نور الدّين محمود على مضر [1].

أمّا كاي (هـ. س) (Kay (H.C وكازانوفا (ب) (Casanova (P فقد إرتأيا في ترغيب الشّاعر عمارة اليمني لتوران شاه السبّب الحقيقيّ الذّي دفع بالأيّوبيين للتوجّه بأنظارهم صوب بلاد اليمن[2] ، وقد وافقهما في هذا الرّأي المؤرّخ لين بول ستانلي (Lane -poole(S فيما كتبه خلال سنتي 1898 و 1901 م حول الموضوع نفسه [3].

وفي سنة 1939 م كتب الأمريكي مايلز (ج .س) (Miles (G.C مقالا في هذا الشّأن معتبرا أنّ هناك جملة من الأسباب الهامّة وراء تطلّع صلاح الدّين إلى بلاد اليمن وهي البحث عن مجال نفوذ لتأمين ملكه من جهة والسّعي إلى القضاء على المذهبين الخارجي والشّيعي ببلاد اليمن وإرساء المذهب السّني بها وذلك من جهة ثانية ، إضافة إلى أهميّة دور الشّاعر عمارة اليمني الذّي كان له الفضل في تحمّس توران شاه الأخ الأكبر لصلاح الدّين لمثل هذا الأمر[1] .

غير أنّ القول بتعدّد الأسباب بخصوص قرار التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن لم يكن ليرضي زمرة ثانية من الباحثين مثل ريد هاوس (ج) (Redhouse (J وحسين الهمداني ، اللّذين إعتبرا أنّ هناك سببا وحيدا أدّى إلى دخول اليمن في حوزة الأيّوبيين والمتمثّل في سعي صلاح الدّين إلى القضاء على عبد النبيّ بن علي بن مهدي الخارجي[2] . أمّا رنسيمان (ستيفن) (Runciman (S وسعيد عبد الفتّاح

---

(1) Johannsen (C.T) , *Historie Iemenae* , Bonn 1828 . p 146-147.

(2) Casanova (P), " Les derniers Fatimides " , in *Mémoires de la Mission Archéologique Française du Caire*, 1893 . Vol VI , p 422 .

(3) Lane-poole (S) , *Saladin*, London, 1898 . 124 -126.
Lane-poole (S) ,*A History of Egypt in the Middle Ages* , London 1901 p 197-198 .

(4) Miles (G.c) , "The Ayyubid dynasty of the Yemen and their Coinage", in *Numismatic Chronicle* , New york 1939. p 88 .

(5) الهمداني ، الصّليحيّون..... ص 241. Smith,*The Ayyubids*... , Vol II p 36 .

عاشور فإنّهما قد رجّحا الرأي القائل ببحث صلاح الدّين عن منطقة نفوذ جديدة لتأمين ملكه في حالة إستيلاء نورالدّين محمود على مصر ، كسبب كاف لتطلّع أفراد البيت الأيّوبي ناحية بلاد اليمن (1) .

أمّا جيب (هـ . أ . ر) Gibb (H.A.R) فقد كتب في غضون سنة 1951 م مقالا تعرّض فيه لقرار التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن مشيرا في هذا الصّدد إلى سعي صلاح الدين إلى التّخفيف من العبء المالي ، الذّي كانت تكلّفه إيّاه جيوشه الكثيرة وذلك بإرسال قسم منها إلى بلاد اليمن تحت قيادة أخيه الملك المعظّم توران شاه (2).

وفي سنة 1953 م تناول جمال الدّين الشيّال هذا الموضوع بالتّحليل والنّقاش أثناء تحقيقه للجزء الأوّل من كتاب " مفرّج الكروب " لإبن واصل الحموي ، حيث إرتأى في ما أورده ابن الأثير من أنّ صلاح الدّين قد إتّجه بأنظاره صوب بلاد اليمن خوفا من السّلطان نورالدّين محمود رأيا لا يمكن الإطمئنان إليه لأنّ ابن الأثير متّهم في بعض ما يكتبه عن صلاح الدّين ، فضلا عمّا كان عرف به هذا المؤرّخ من تحيّز واضح للبيت الزّنكي، الذي كان قد نشأ وترعرع في كنفه (3). ويرى الشيّال في هذا الصدّد أنّ خروج جيش صلاح الدّين نحو اليمن ما كان إلاّ لقتال عبد النّبي بن علي بن مهدي الخارجي، بعد أن كان قد إستأذن في ذلك السّلطان نور الدّين محمود كما يشير إلى ذلك ابن واصل الحموي (4).

وفي سنة 1958 م تناول العقيلي في كتابه " من تاريخ المخلاف السّليماني " الموضوع نفسه بالتّحليل والنّقاش، فأكّد الرأي القائل بسعي صلاح الدّين إلى القضاء على ابن مهدي الخارجي كسبب موضوعي دفع بالأيّوبيين لضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذهم (5) ، مشيرا في الآن نفسه إلى أنّ صلاح الدّين قد رأى في إرسال قوّة إلى اليمن خير وسيلة لإشغال الرّأي العام في مصر وفي إنتصار جيوشه تثبيتا لمركزه وتوسيعا لمجال نفوذه (6).

وبحلول سنة 1967 م كتب محمد عبد العال أحمد مقالا في الغرض نفسه فحصر توجّه صلاح الدّين نحو بلاد اليمن في سببين إثنين أولاهما السّعي إلى تحقيق سيادة المذهب السّنّي وما يتبع ذلك بالضّرورة من القضاء على النّفوذ الشيعي بجنوب الجزيرة العربيّة من جهة ، ومجاهدة الصّليبيّين في الشّام بغية إسترداد الأراضي

---

(1) انظر رأي سعيد عبد الفتّاح عاشور في ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 هامش ص322-323 .
Runciman (S), *A History of the Crusades* , London, 1965 . T II p398 .

(2) Gibb (H.A.R) , " The Armies of Saladin", in *Cahiers d'Histoire Egyptienne* , n°3 Vol IV (1951) . pp304-320.

(3) ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج1 ، هامش رقم2 ص 237-238.

(4) المصدر نفسه ،ج 1 ص 233 .

(5) العقيلي ،من تاريخ المخلاف السّليماني ، ج1 قسم1 ص173 .

(6) المرجع نفسه، ج1 قسم1 ص173 .

المسلوبة منهم بتوحيد الجبهة العربيّة الإسلاميّة والعمل على تقويتها وتأمين حدودها وذلك من جهة ثانية [1].

وخلال السّنة نفسها تناول الشيّال من جديد مسألة التدخل الأيّوبي ببلاد اليمن بشيء من الإسهاب ، مضمّنا آراءه في هذا المضمار مزيدا من الحجج والبراهين متجاوزا النّظرة الأحاديّة حول هذا الموضوع ، معتبرا أنّ هنالك خمسة أسباب جادّة وخطيرة دفعت بصلاح الدّين الأيّوبي للتطلّع تجاه بلاد اليمن [2] وتتمثّل هذه الأسباب حسب رأيه في ما يلي :

I - سعي صلاح الدّين إلى القضاء على الحضور الشّيعي باليمن خشية أن تجتمع فلول الشّيعة و أنصار الدّولة الفاطميّة في اليمن، فيصبحوا بذلك خطرا على دولته في مصر سواء على المستوى العسكري أو على المستوى الإقتصادي نتيجة سيطرتهم على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

II - عزم صلاح الدّين على التصدّي لإبن مهدي الخارجي بإيعاز من الخليفة العبّاسي الذي كتب يطلب إليه أن يرسل جيشا لتأديب ابن مهدي المذكور.

III - موافقة السّلطان نور الدّين محمود لصلاح الدّين على إرسال حملة عسكريّة لإخضاع بلاد اليمن وضمّها للنّفوذ الأيّوبي .

IV - كان صلاح الدّين يهدف بهذه الحملة إلى الإستيلاء على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر لتأمين نفوذه إقتصاديّا وحربيّا .

V - أهميّة دور الشاعر عمارة اليمني، الذي نجح في إغراء توران شاه الأخ الأكبر لصلاح الدّين وترغيبه في التوجّه نحو بلاد اليمن والإستيلاء عليها .

أمّا كاهن (ك) Cahen (Cl) فقد إنفرد برأي لم تتمّ الإشارة إليه في المصادر العربيّة الكلاسيكيّة ، معتبرا أنّ تطلّع صلاح الدّين إلى الإستيلاء على بلاد اليمن كان بهدف قطع الطريق أمام الفاطميّين الذين يمكن أن يكون لهم اليمن ملجأ ، كما أشار الكاتب نفسه إلى سعي الأيّوبيّين للسيّطرة على الطّريق التّجارية الهامّة الرّابطة بين كلّ من البلاد المصريّة وجنوب شبه الجزيرة العربيّة وذلك كإحدى الأسباب الرئيسيّة المتحكّمة في قرار صلاح الدّين [3]. وقد أكّد هذا الرّأي الباحث الفرنسي قارسان (ج . ك) Garcin (J. Cl) فيما كتبه خلال سنة 1974 م في أطروحته عند تعرّضه للمسألة نفسها [4].

---

(1) عبد العال أحمد (محمّد) ، "دراسة حول أقوال المؤرّخين عن أسباب الفتح الأيّوبي لبلاد اليمن"، مجلة معهد المخطوطات العربيّة ، مجلّد عدد 13، ج2 نوفمبر 1967 م ، ص 319-338

(2) الشيّال ، تاريخ مصر الإسلاميّة ، ج2 ص 36-37.

(3) Cahen (C l), art " Ayyubides ", EI^2 , Vol I p 800.

(4) Garcin , *Un centre musulman de la Haute-Egypte médievale* : QUS. p131-133.

كما أولى الأنقليزي سميث (ج . ركس) Smith (G. Rex) من جهته هذا الموضوع كلّ إهتمام أثناء تحقيقه لكتاب " السّمط الغالي الثّمن " لصاحبه ابن حاتم اليامي ، معتبرا في هذا الصّدد أنّ صلاح الدّين قد توجّه بأنظاره صوب بلاد اليمن لسببين رئيسيّين ألا وهما السّعي إلى السيّطرة على الجزء الجنوبي من الجزيرة العربيّة للتحكّم في الطّرق التجاريّة الهامّة التي تربطه ببقيّة الأقاليم من جهة والبحث عن مجال نفوذ إضافي لتأمين ملكه في حالة تعرّضه إلى خطر ما بالبلاد المصريّة وذلك من جهة ثانية [3] ، رافضا في الآن نفسه مع شيء من التعجّب الرّأي القائل بسعي صلاح الدين إلى تأمين حدود العالم الإسلامي وتوحيده لصدّ الخطر الصّليبي المتصاعد [4] .

وهكذا كان لا بدّ لآراء الباحثين حول هذا الموضوع أن تتعدّد ووجهات نظرهم أن تختلف، لتظلّ مسألة التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن من المسائل الموضوعة للنّقاش على الدّوام مهما أفردت لها البحوث وقيل في شأنها . فإذا كانت أطروحات المستشرقين تحاول أن تقلّل من أهميّة الغايات الإستراتيجيّة الرّامية إلى توحيد الجبهة الإسلاميّة في وجه الخطر الصّليبي الذّي ما إنفكّ يهدّد ثغور العالم الإسلامي ، كسبب موضوعي هامّ دفع بصلاح الدّين لإتّخاذ قرار ضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذه ، فإنّ جمهورا عريضا من الباحثين والكتّاب العرب المسلمين قد أغفلوا أهميّة الأهداف الإقتصاديّة كإحدى الأسباب الرّئيسيّة الكامنة وراء ذلك القرار .

ج - أهميّة الغايات الإقتصادية والأهداف الإستراتيجية وأولويتها في حسابات صلاح الدين :

كما هو منتظر فإنّ الآراء ووجهات النّظر التّاريخيّة ، سواء منها الكلاسيكيّة أو الحديثة ، حول مسألة التدخّل الأيّوبي ببلاد اليمن كان لا بدّ أن يسودها كثير من التّباين والإختلاف، وذلك دائما حسب توجّهات أصحابها الفكريّة وميولاتهم الإيديولوجيّة . غير أنّ ما تجدر ملاحظته في هذا الإطار هو أنّ الآراء المقدّمة في هذا الشّأن لم تول الإعتبارات الإستراتيجيّة والإقتصاديّة المكانة التي تستحقّ رغم أهمّيتها البارزة في قرار صلاح الدّين وأولويّتها في حسابات هذا الأخير .

فعلى المستوى الإستراتيجي كان صلاح الدّين يهدف من خلال بسط نفوذه على بلاد اليمن إلى القضاء على الحضور الشّيعي بها بعد أن أطاح بالنّفوذ الفاطمي بمصر، وذلك خشية أن تتحوّل فلول الشّيعة وأنصار الدّولة الفاطميّة إلى اليمن ويصبحوا بذلك مصدر خطر على دولته النّاشئة في مصر [1] . كما كان صلاح الدّين يرمي في المقابل إلى تحقيق سيادة المذهب السنّي بهذا الجزء من جنوب شبه الجزيرة العربيّة [2].

---

(1) Smith , *The Ayyubids* ..., Vol II p 47.

(2) Ibid, Vol II p 42

(3) الشيّال ، تاريخ مصر الإسلاميّة ، ج2 ص 36.

(4) محمّد عبد العال ، " دراسة حول أقوال المؤرّخين عن أسباب الفتح الأيّوبي لبلاد اليمن " ، مجلّة معهد المخطوطات العربيّة ، مجلّد عدد 13 ج2 نوفمبر 1967 . ص328 .

ومن جهة ثانية، فإنّ قرار صلاح الدّين يمكن تنزيله في إطار إستراتيجيّة أكبر إقتضتها المرحلة ألا وهي السّعي إلي توحيد الجبهة العربيّة الإسلاميّة والعمل على تقويتها وتدعيمها وتأمين حدودها لمجابهة الخطر الصّليبي المتوثّب ،وذلك عبر التحكّم في إحدى المنافذ البحريّة الإستراتجية الهامّة التي كان يمثّلها البحر الأحمر خلال ذلك العهد . فقد رأى صلاح الدّين أنّه من الضّروري إحكام السّيطرة على هذا المنفذ البحري الذّي يتوسّط العالم الإسلامي خشية أن يفكّر الصّليبيون في التسرّب بأساطيلهم إلي مياهه ، فقد كان هذا المطمح من أهدافهم التي يعملون على تحقيقها كما تؤكّد ذلك المحاولة التي قام بها أحد أمراء الفرنج المسمّى أرناط Renaud de chatillon صاحب حصن الكرك خلال سنة 578 هـ / 1182 م عندما سار بسفنه عازما على الوصول إلي منطقة الحرمين عبر البحر الأحمر [1].

ولعلّ ما يؤكّد أكثر هذا التوجّه الذّي اقتنع به صلاح الدّين شديد الإقتناع هو تلك الرّسالة التي بعث بها إلي الخليفة العبّاسي ، فبعد أن عدّد انتصاراته وفتوحاته بما فيها بلاد اليمن ألقى صلاح الدين الضّوء على الهدف الأكبر الذّي يرمي إليه من وراء كلّ ذلك بقوله " والمراد الآن هو كلّ ما يقوّي الدّولة ويؤكّد الدّعوة ويجمع الأمّة..... " [2].

أمّا على المستوى الإقتصادي فلا شكّ أنّ صلاح الدّين كان يهدف من وراء حملته على بلاد اليمن إلي الإستيلاء على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر المتحكّم في تجارة الشّرق والإستفادة من الطّاقات الإقتصادية الضّخمة التّي يوفّرها هذا البلد.

فالبحر الأحمر كان الطّريق الوحيد آنذاك لنقل بضائع الشرق نحو الغرب ، وقد سبق للفاطميّين أن تفطّنوا لأهمّيّة هذا المنفذ البحري فبسطوا نفوذهم عليه ونافسوا في ذلك العبّاسيّين ، فكانت مصر تحصل على أموال طائلة من المكوس التي تفرض على التجارات الواردة إليها عبر منافذ البحر الأحمر . لأجل كلّ ذلك سارع صلاح الدّين إبّان وزارته للعاضد بتأمين المدخل الشّمالي للبحر الأحمر بإستيلائه على قلعة أيلة الواقعة جنوب بلاد الشّام [3] ، فكان من الضّروري بعد ذلك تأمين المدخل الجنوبي بإستيلائه على اليمن فيتحكّم بذلك في طرق التّجارة المارّة بها عن قرب وذلك بالسّيطرة على ميناءعدن ، الذّي كان يمثّل أهمّ المحطّات التجاريّة

---

(1) ابن واصل، مفرّج الكروب ، ج2 ص127 . المقريزي ، **السّلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج1ص72 . الشّيّال ، **تاريخ مصر الإسلاميّة** ، ج 2ص37 . شاكر حسين ، تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن ، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التاريخ** ، عدن سبتمبر1989 م. ص51 . الباز العريني ، **مصر في عصر الأيّوبيّين**، باقاسي (عائشة) ، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي** ، ط1 ، دار مكّة للطّباعة والنشر ، مكّة المكرّمة 1980 م. ص 37. عزيز (سوريال عطيّة)، **العلاقات بين الشرق والغرب تجاريّة وثقافيّة**، ترجمة فيليب صابر سيف القاهرة 1972م. ص 64-65. عمران (محمود سعيد) ، **تاريخ الحروب الصّليبيّة (1095-1291م)**، دار النّهضة العربيّة ، بيروت 1991م . ص125 .

(2) أبو شامة ، الرّوضتين ، ج1 ص241 .

(3) أبو شامة ، الروضتين ، ج1 ص241 . الشيّال ، **تاريخ مصر الإسلاميّة** ، ج 2ص37 . عمران، **تاريخ الحروب الصّليبيّة** ، ص125 .

على الطّريق الـرّابطة بين منطقتي الشرق والغرب خلال ذلك العـهـد[1] ، فضلا عـمّا كـانت تحـتـويه بلاد اليـمن مـن ثروات زراعيـة ومـعـدنيّـة هامّـة إلى جـانب عـائداتها التجاريّة الضّخمة .

ومهما يكن من أمـر فإنّ حاجة صلاح الدّين والأسرة الأيّوبيّة لليمن كمورد إقتصادي هام قد بدت أكيدة وضروريّة في نظر هؤلاء ، فتوران شاه الأخ الأكبر لصلاح الدّين قد أكّد هذا المنحى عند حلوله ببلاد اليمن بقوله " ما جئنا لنخرب البلاد ، وإنّما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها " [2]. أمّا صلاح الدّين فقد ندب الرّسل في آخر سنة 584 هـ/ 1184 م إلى أخيه سيف الإسلام طغتكين وهو باليمن يطلب إليه إعانته بالأموال على قتال الفرنج ويحثّه على ذلك [3].

وهكذا يمكن القول أنّ الإعتبارات الإستراتيجيّة والإقتصاديّة قد كانت بمثابة المحرّك الرّئيسي الموضوعيّ الذي دفع بصلاح الدّين لإتّخاذ مثل ذلك القرار الجادّ والخطير في آن ، أمّا بقيّة الأسباب الأخرى التي تمّ إستعراضها آنفا فما هي إلاّ حوافز عارضة وثانويّة لا يمكن لها بأيّة حال من الأحوال أن تكون ذات أولويّة في حسابات صلاح الدّين أثناء إقدامه على ضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذ دولته النّاشئة .

خاتمة :

لقد كان للتحدّيات السّياسيّة والعسكريّة التي واجهت صلاح الدّين الأيّوبي منذ أن عمل على إنهاء الخلافة الفاطميّة بمصر وتصدّيه للخطر الصّليبي المتوثّب دور حاسم وذو أهميّة بالغة في مضيّ الأيّوبيين في سياسة توسّعية بجنوب شبه الجزيرة العربيّة ، سائرين في ذلك على خطى أسلافهم الفاطميّين الذين كانوا سبّاقين في الإستيلاء على بلاد اليمن وضمّها إلى مجال نفوذهم وذلك لما كان يحتويه هذا البلد من طاقات إقتصاديّة مهمّة فضلا عن موقعه الجغرافي المتميّز لإشرافه على البحر الأحمر أحد المنافذ البحريّة الإستراتيجيّة التّي تتوسّط العالم الإسلامي والجسر المتحكّم في طرق التّجارة الدّولية الرّابطة بين منطقتي الشّرق والغرب طوال ذلك العهد .

---

(1) ربيع (حسنين) ، " البحر الأحمر في العصر الأيّوبي " ، ندوة تاريخ البحر الأحمر بجامعة عين شمس لسنة 1979 م ، ص 2-3. باقـاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص37. عمـران ، المرجع نفسه ، ص 126.

(2) ابن الأثير ، الكامل ، ج11 ص397-398 . ابن واصل ، مفرّج الكروب، ج1 ص242 .

(3) الإصفهاني (عماد الدّين) ، الفتح القسّي في الفتح القدسيّ، تحقيق محمّد محمود ، الدار القوميّة للطّباعة والنشر، القاهرة (د . ت) . ص352-353. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج7 ص340-344 .



ملامح الحالة السياسيّة باليمن خلال العهد الأيّوبي

الفصل الأول : دخـــول اليمـــن تحت الحكم الأيـــوبي

تمهيـد :

إنّ رغم ما بذله صلاح الدّين الأيّوبي من طاقات بشريّة وماليّة ضخمـة بغية إنجاح مهمّة أخيه الملك المعظّم توران شاه في الإستيلاء على بلاد اليمن وبسط نفوذه عليها ، فإنّ هذه الخطوة السّياسية الهامّة لم تكن بالعمل الهيّن ولا بالأمر اليسير ليظلّ الحضور الأيّوبي بهذا الجزء من بلاد العرب على درجة بليغة من الهشاشة والضّعف حتّى مقدم الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين ، الذّي تمكّن بعد جهود كبيرة من توطيد النّفوذ الأيّوبي ببلاد اليمن وإرساء قواعد دولة ستحكم هذا الإقليم أكثر من نصف قرن .

1- محاولة الملك المعظّم توران شاه في الإستيـــلاء على بـلاد اليمـــن مـــن النّجاح إلـــى الفشـــل :

أ - حملة الملك المعظّم تـوران شـاه أو بـــداية النّفـوذ الأيّوبـــي ببـــلاد اليمــــن :

لأنّ قرار ضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذ الدّولة الأيّوبيّة كان من جملة القرارات السّياسيّة المهمّة فإنّ صلاح الدّين قد أولاه كثيرا من العناية والإهتمام ، فكان أن ندب لهذا الأمر أخاه الملك المعظّم توران شاه [1] وجهّزه بالعسكر الجمّ والمـال الكثيـر [2] حـتّى يضـمن لهـذه الحـملة مـزيدا من فـرص النّجـاح .

---

(1) هوالملك المعظّم شمس الدّولة توران شاه بن أيّوب بن شادي الملّقب بفخر الدّولة ، كان صلاح الدّين يكثر الثنّاء عليه ويرجّحه على نفسه لذلك أصطفاه لغزو بلاد النّوبة ثم جهّزه بعد ذلك للمسير إلى بلاد اليمن . وتوران بضمّ التّاء المثنّاة وسكون الواو وبعدها راء ثمّ بعد الألف نون وهو لفظ أعجميّ وشاه بالشّين المعجمة ويعني بالأعجميّة الملك ، ومعناه ملك الشّرق وإنّما قيل للمشرق توران لأنّه بلاد التّرك والعجم يسمّون التّرك تركان ثمّ حرّفوه فقالوا ، توران . الإصفهاني (عماد الدّين) ، **خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء الشّام** . تحقيق شكري فيصل ، المطبعة الهاشميّة ، دمشق1955 م . ج1 ص202 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج1 273 ، 276. الذّهبي (شمس الدّين) ، **العبر في خبرمن غبر** ، تحقيق صلاح الدّين المنجد ، الكويت 1963م . ج 4 ص228-229 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج 1ص551. المقريزي ، **الذّهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك**، ص71. الزّركلي ، **الأعلام** ، ص74 . شتروتمان ، مادّة " توران شاه" **دائرة المعارف الإسلاميّة ، طبعة أولى** ، مجلّد عدد5 ، ص 559-560. Garcin, *Un centre musulman de la Haute-Egypte médievale : QUS.* p126-128.

(2) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص15. أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج 1ص620 .

وفي مبتدإ شهر رجب من سنة 569هـ / 1174 م وبعد شحن الأزواد والعدّة عن طريق البحر في اتجاه بلاد اليمن سار الجيش الأيّوبي بقيادة الملك المعظّم توران شاه برّا آخذا على طريق الحجاز [1]، فكانت مكّة أولى محطّاته وذلك لمكانة هذه المدينة المقدّسة في نفوس المسلمين عامّة ورغبة الأيّوبيّين في الظهور بمظهر الحماة لرموز الدّين الإسلامي ومعالمه حتّى تتمّ لهم شرعيّة سيادة المسلمين ، إضافة إلى أمل صلاح الدّين في السّيطرة على طرق التجارة المارّة بهذه المنطقة[2] والتحكّم في المنفذ الشّمالي للبحر الأحمر لأهميّته الإستراتيجيّة في حروبه ضدّ الصّليبيّين المتمركزين جنوب بلاد الشام [3].

وما من شكّ في أنّ الأوضاع السّياسيّة المضطربة وغير المستقرّة التي عرفتها مكّة في أواخر العصر الفاطميّ بسبب ضعف ولاّتها وتذبذبهم بين الخلافة العبّاسيّة السنيّة في بغداد والخلافة الفاطميّة الشيّعيّة في مصر قد هيّأت هذه المدينة ذات الوزن الرّوحي والمعنوي القويّين لتكون أولى المحطّات التي يتوقّف عندها الملك المعظّم توران شاه وهو في طريقه إلى بلاد اليمن .

وبوصول توران شاه إلى مكّة طاف بالكعبة ودعا الله بالتّوفيق ، ثمّ رحّب به أمير مكّة الشّريف عيسى بن فليتة وأعلن له الطّاعة والرّضى فأخذت منذ ذلك الوقت منابر مكّة تخطب للخلفاء العبّاسيين وللسّلطان صلاح الدّين وأمير مكّة عيسى بن فليتة ، وكانت هذه أوّل خطوة للنّفوذ الأيّوبي في بلاد العرب [4].

---

(1) النّويري ، نهاية الإرب، ج28 ص373 . أبو شامة، الرّوضتين ، ج 1ص554 . ابن الأثير ، الكامل ، ج 11ص396 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص76 . ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج 1ص241. ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ص287 . الآمدي ، نزهة الناظر وراحة الخاطر، ورقة 6ب . المقريزي ، الذّهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك ، ص71-72 .محمود ، تاريخ اليمن السياسي ، ص249 . شاكر حسين ، "تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن"، النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التاريخ ، عدن 23-25 سبتمبر 1989م. ص 51 .
Garcin ,*Un centre musulman de la Haute-Egypte médievale : QUS*. p128.

(2) Smith , " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1-945/622-1538)", in *Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia* Felix. p136.

(3) باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي ، ص37 . ربيع (حسنين) ، "البحر الأحمر في العصر الأيّوبي"، ندوة تاريخ البحر الأحمر بجامعة عين شمس سنة 1979ص2-3 . شاكر حسين ، المقال السّابق ، ص 46.
Garcin , *op.cit* , p135 .

(4) ابن شدّاد ، النوادر السّلطانيّة ، ص 46. ابن واصل ، مفرّج الكروب، ج 1ص240-241 . المقريزي، السّلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ص52 . باقاسي ، المرجع السّابق ، ص38 .

وما أن أتمّ توران شاه مناسك العمرة حتّى سار في ثلاثة آلاف فارس قاصدا بلاد اليمن [1]، فاستقبله الشّريف قاسم بن غانم السّليماني عند موضع بحرض من منطقة المخلاف السّليماني شاكيا له من عبد النبيّ بن علي بن مهديّ [2]. وكان هذا الأخير قد أغار على حرض ونهبها وقتل الشّريف وهّاس بن غانم السّليماني ، لذلك طلب الشّريف قاسم بن غانم من الملك المعظّم توران شاه أن يكون أوّل دخوله اليمن إنجادا له على عبد النبيّ بن علي بن مهدي المذكور[3].

ولمّا تأكّد الملك المعظّم من مساندة الأشراف السّليمانيّين له أخذ في الإستعداد لمنازلة عبد النّبي بن علي بن مهدي [4]، فلما انقضى شهر رمضان لسنة 569هـ / 1174 م نهض توران شاه صحبة الشّريف السّليماني بالعساكر قاصدا مدينة زبيد ، فلما دنا منها خرج لملاقاته عبد النّبي بن علي بن مهديّ مستخفّا بقوّة الجيش الأيّوبي مخاطبا أصحابه بقوله : " كأنّكم بهؤلاء ، وقد حمي عليهم الحرّ فهلكوا وما هم إلاّ أكلة رأس " [5].

---

(1) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص321 . المقريزي ، **الذّهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك** ، ص72 . شاكر حسين، " تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن " ، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص51 .

(2) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 16. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص376 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص321 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص75-76 . شاكر حسين ، المقال السّابق ، ص51. Smith , "The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1-945/622-1538)", in *Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix* .p136.

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص16 . شاكر حسين ، **المقال السّابق** ، ص51. محمود ، **تاريخ اليمن السيّاسي** ، ص349

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 16. ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن**، ص184 . ابن الدّيبع، **قرّة العيون** ، ج1، ص376 . **بغية المستفيد** ، ص 69. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص76 . اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج3 ص390 . محمود ، **المرجع السّابق**، ص349 . شاكر حسين ، **المقال السّابق** ، ص51. Smith,*loc.cit.* , p133.

(5) المقصود بـ " ما هم إلاّ أكلة رأس " قلّة عدد أصحاب الملك المعظم توران شاه . ابو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص 554. ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص241 . محمود ، **المرجع السّابق**، ص349 . شاكر حسين ، **المقال السّابق** ، ص51.

لكن يبدو أنّ ابن مهدي لم يكن مقدّرا لإمكانيّاته ولمعنويّاته التّقدير الصّحيح وهذا ما أقنع به أتباعه وجيشه ، بيد أنّ النّتيجة جاءت عكس ما تصوّره عبد النبيّ من أنّ المسافة الطّويلة التّي قطعها الجيش الأيّوبي قد أنهكته وأنّه يقاتل في غير أرضه إضافة إلى عدده القليل وحرارة الجوّ . لذلك فإنّه ما أن اصطدم الفريقان حتّى انكسر جيش عبد النبيّ وانسحب إلى داخل أسوار مدينة زبيد ، عندئذ لم يجد توران شاه بدّا من اقتحامها في يوم الإثنين التّاسع من شوّال لسنة 569 هـ/ 1174 م دون أن يلقى في ذلك مقاومة تذكر ، فكان أن نصب السّلالم على الأسوار حتّى استولى على المدينة وتمّ أسر عبد النبيّ وزوجته وإخوته [1] وعاد الشّريف السّليماني قاسم بن غانم إلى بلاده [2] ، بعد أن استقى منه توران شاه معلومات ضافية عن أهل اليمن ستكون له دون شكّ عونا طوال حملته بهذا البلد المنقسم إلى كيانات صغيرة متنافرة .

ثمّ إنّ توران شاه تلقّب بالملك المعظّم وأقام بزبيد يجمع ما فيها من الأموال والخيل والسّبي[3] ، فلمّا كان مبتدأ شهر ذي القعدة من سنة 569 هـ/ 1174م نهض للإستيلاء على بقيّة الأعمال والحصون التي كانت من ممالك عبد النبيّ ، فقاتل أهل صبر و ذخر فلم ينل منهم ثم نهض لحصن تعزّ فأخذه دون عناء قبل أن يدخل الجند ويملكها [4].

---

(1) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص76 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 376. أبو الفدا ، تاريخ ، ج3 ص54 . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص16-17 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة14 ب . النّويري ، **نهاية الإرب**، ج28 ، ص373. ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص321 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج1 ص321 . سبط ابن الجوزيّ، **مرآة الزمان** ، ج 8ص362 . المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ص52 . المقريزي ، الذّهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك ، ص72 . ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ص287 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص69 . شاكر حسين، " تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن"، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص52 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 17. الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب . شاكر حسين ، **المقال السّابق**، ص 52.

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ص17 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص75 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** . ج1ص376 . **بغية المستفيد** ، ص69 . الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب . محمود ، **تاريخ اليمن السياسي** ، ص349 . شاكر حسين ، **المقال السّابق**، ص 52.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص17 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص376 . **بغية المستفيد** ، ص69 . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص184 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص69 . ابن خلدون ، **تاريخ** ....، ج5 ص287 . الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص323 . النّويري ، **نهاية الإرب**، ج28 ص374.

وما أن استولى توران شاه على ما كان تحت ابن مهدي من البلاد حتّى ولّى زبيد مبارك بن كامل بن منقذ الكناني [1] ، فضيّق على عبد النبيّ حتّى أخذ ما بحوزته من مال كما استخرج أموالا طائلة كانت مدفونة في قبر أبيه علي بن مهديّ ودلّتهم الحرّة زوجة عبد النبيّ على ودائع لها فأخذها ابن منقذ وأقام الخطبة لبني العبّاس على منابر زبيد [2].

ولمّا تأكّد خضوع تهامة لبني أيّوب ، سار الملك المعظّم توران شاه في أصحابه صوب مدينة عدن فاستولى عليها يوم الجمعة عشرين من ذي القعدة من سنة 569 هـ/ 1174م وقبض على ما فيها من الأمراء من أولاد الدّاعي المكرّم عمران بن محمّد بن سبأ صحبة مولاهم الشّيخ ياسر بن بلال [3] . ويذكر ابن عبد المجيد أنّ الجند أرادوا نهب المدينة غير أنّ توران شاه نهاهم عن ذلك بقوله : " ما جئنا لنخرّب البلاد وإنّما جئنا لنملكها ونعمّرها وننتفع بدخلها " [4].

ثم إنّ الملك المعظّم توران شاه نهض للإستيلاء على بقيّة الحصون والقلاع المجاورة لعدن فأخذ حصن التّعكر يوم الثلاثاء 23 من ذي الحجّة آخر سنة 569 هـ/ 1174م ، بعد أن بايعه أهل تلك النّواحي [5] وبذلوا له الطاعة دون مقاومة حتّى أنّ أديب عدن الشّيخ الفاضل أبو بكر بن أحمد العيّدي لم يتوان في

---

(1) هو أبو الميمون مبارك بن كامل بن عليّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني الملقّب بسيف الدّولة مجد الدّين من أمراء شيزر كان استقدمه معه الملك المعظّم توران شاه من مصر ورتّبه نائبا عنه بمدينة زبيد . الإصفهاني ، **خريدة القصر وجريدة العصر** ، ج 1قسم شعراء الشام ص223 . ابن خلدون ، **تاريخ** .... ، ج5 ص287 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج2 ص102 . أبو شامة ، **الروضتين** ، ج1 ص664 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 383 . النّويري ، **نهاية الإرب**، ج28 ص374.

(2) النّويري ، **المصدر نفسه**، ج28 ص373. أبو شامة ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص551 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 77. ابن خلدون ، تاريخ ، ج5 ص287 . شاكر حسين، "تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن" ، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص52 .

(3) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص17 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص69 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 376. **بغية المستفيد** ، ص69 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص323 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 77. النّويري ، ن**المصدر نفسه**، ج28 ص374. الكبسي ،**اللّطائف السنّية** ، ورقة14 ب . شرف الدّين ، **اليمن عبر التاريخ** ، ص 218. شاكر حسين ، **المقال السّابق**، ص 52.

(4) النّويري ،**المصدر نفسه**، ج28 ص374. ابن الأثير ، **الكامل** ، ج 11ص397 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج1 ص242 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص77 . محمود ، **تاريخ اليمن السياسي** ، ص 249. شاكر حسين ، **المقال السّابق**، ص 52.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص17 . الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب .

الترحيب بمقدم الملك المعظّم بأن أنشده قصيدة بليغة في هذا الغرض جاء في مطلعها :

أعساكر سيّرتها وجنـــودا   أم أنجما أطلعتهم سعـــودا
أم تلك ماضية العزائم أرهفت   بالرّأي منك وجرّدت تجريدا [(1)]

ولمّا انتهى الجيش الأيّوبي من الإستيلاء على عدن وما جاورها من الأعمال تطلّعت أنظار الملك المعظّم توران شاه نحو البلاد العليا فقصد نقيل صيد [(2)] يوم الإثنين الموافق للثّامن والعشرين من ذي الحجّة وحطّ بقرية دروان وكان بها يومئذ السّلطان عبد الله بن يحي الجنبيّ فصالحه بعد أن نشب بينهما القتال [(3)].

ثم إنّ توران شاه أمعن في التقدّم شمالا فقصد حصن المصنعة وكان بيد الشيخ محمد بن زيد البعيري الجنبيّ فأخذه منه وسار يريد ذمار فاعترضته قبيلة جنب ودارت بينهما حرب قتل فيها من الجيش الأيّوبي خمسة وستّون رجلا وأخذت خيلهم وأسلحتهم [(4)]، لذلك لم يجد توران شاه بدّا من مغادرة ذمار نحو صنعاء فاعترضت سبيله من جديد قبيلة جنب حليفة السّلطان علي بن حاتم الياميّ صاحب صنعاء [(5)] ونشبت بين الفريقين حرب شديدة بدا فيها توران شاه حريصا على الإنتصار حيث كان يثير حماسة جنوده على القتال مخاطبا إيّاهم بقوله : "قاتلوا عن أنفسكم وإلاّ أكلتكم العرب، أين منكم ديار مصر ؟" [(6)] وفي ذلك يقول الشّاعر :

وقال لقومه موتوا كراما   فأين وأين مصر من ذمار [(7)]

---

(1) ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص377 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص69 .

(2) نقيل صيد : جبل عظيم ، والنّقيل بلغة أهل اليمن : العقبة ، وهو بين مخلاف جعفر وبين حقل ذمار كان عمل فيه الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين عتبا ليسهل طلوعه . ياقوت ، معجم البلدان ، ج 5 ص350 . البغدادي ، مراصد الإطّلاع، ج 3ص 1388.

(3) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص17-18 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص378 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج 1ص323-324 .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه، ص 18 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص378 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج 1ص324 .

(5) كان سلاطين صنعاء الهمدانيّون قد نجحوا في كسب حلف قبائل جنب منذ عهد السّلطان حاتم بن أحمد اليامي أثناء حربه ضدّ الإمام الزيدي المتوكّل على الله أحمد بن سليمان صاحب صعدة ، لذلك كان من المنتظر أن تتحرّك جنب وتعترض سبيل الملك المعظّم توران شاه لمّا علمت نيّته في المسير صوب صنعاء.

(6) ابن حاتم ، المصدر نفسه، ص 18 . ابن الدّيبع ، المصدر نفسه، ج1ص378 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج 1ص324 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة14 ب .

(7) ابن حاتم ، المصدر نفسه، ص 18 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ص378 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج 1ص324 . الكبسي ،المصدر نفسه، ورقة14 ب .

ثم إنّ الملك المعظّم بعد أن هزم جنب واستولى على ذمار تابع المسير في اتّجاه صنعاء وسلطانها يومئذ عليّ بن حاتم اليامي فوصلها يوم الجمعة الموافق لليوم السّابع من شهر محرّم من سنة 570 هـ / 1174 م وحطّ بالجنوب الشرقيّ منها ، فلمّا بلغ ذلك السّلطان علي بن حاتم تركها نحو حصن براش [1] ، بعد أن تأكّد من عدم قدرته على مواجهة الجيش الأيّوبي . لكنّ مشايخ صنعاء ووجوهها لم ييأسوا من عفو الملك المعظّم فخرجوا لإستقباله في زيّ حسن مظهرين له التّرحاب حتّى أعجب بهم وترك لهم المدينة لما أظهروه من معاني الإمتثال والطّاعة بعد أن مكث بينهم أيّاما [2].

وفي الأثناء فإنّ الأوضاع بتهامة ما لبثت أن اختلّت وسادتها حالة من التمرّد والعصيان ، بعد أن تمّ أسر حاكمها عبد النبيّ بن علي بن مهديّ ، لذلك أمر توران شاه أصحابه بالمسير صوب زبيد فلمّا أشرف على نقيل السّودة [3] لحقه قوم من بني شهاب ومن سنحان فأغاروا على آخر عسكره [4].

ثمّ إنّ الجيش الأيّوبي تابع المسير في اتّجاه تهامة فلمّا صار في حدود برع أخذ له أهلها جمالا كثيرة محمّلة أموالا جمّة من الذّهب والفضّة والسّلاح والآلة وكثيرا ممّا استصحبه توران شاه معه من البلاد المصريّة ومن زبيد وعدن يوم الإستيلاء عليهما [5] .

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 18 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص379 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص324 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 77. الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 14 ب .

(2) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص379 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص324 .ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 18 . ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن** ، ص 77. الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب . يشير ابن حاتم اليامي في هذا الصّدد إلى رواية ثانية تفيد بأنّ الملك المعظّم لم يدخل صنعاء ولم يلق أحدا من أهلها ومضى في طريقه ، وهو أمر مستبعد في نظرنا، إذ لا بدّ لتوران شاه أن يتأكّد من طاعة هذه المدينة الهامّة له وخضوعها لأمره وذلك لا يتمّ إلاّ عبر لقاء أهلها والمكوث بينهم بعض الوقت كما تجمع على ذلك بقيّة المصادر المشار إليها .

(3) نقيل السّودة : موضع بين بلاد بني شهاب وبلاد سنحان يشرف على حقل سنحان وسهام . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 19. الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ،ص 19. الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب .

(5) ابن حاتم ،**المصدر نفسه** ، ص 19. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 379. الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب .

وما أن حلّ الملك المعظّم بمدينة زبيد حتّى نهض منها قاصدا الجند فأخذ حصني تالبة وشرياف وأقبل عليه صاحب حصن صبر وكان واليه من قبل ابن مهديّ فسلّم له الحصن ، بعد أن أعلن له الطّاعة والولاء[1] .

ثم إنّ توران شاه إستولى على حصن ذخر[2] وحطّ على عزّان ذخر وواليه يومئذ عليّ بن حجّاج من أهل تهامة وكان صهرا لعبد النبيّ بن علي بن مهدي فطلب الصّلح من الملك المعظّم الذّي وعده بأن يأخذ منه ما كان في الحصن من مال عبد النبيّ ويترك سبيله ، فاستحلفه على ما عنده من المال فأقرّ بعشرة آلاف دينار ذهبا فقبضها توران شاه منه وتسلّم منه الحصن[3] .

ومضى الملك المعظّم يوّطد النّفوذ الأيّوبي بهذه الرّقعة من بلاد اليمن فملك جميع القلاع والحصون التي بجهة المعافر، بما فيها حصن يمين وصاحبه يومئذ الأمير منصور بن محمّد بن سبأ الزّريعي فأخذه منه قهرا ، كما إستولى على حصن منيف وكان لأبي الغيث بن سامر وذلك قبل أن يتسلّم حصن السّمدان ويبسط نفوذه عليه[4] .

ثم إنّ توران شاه توجّه بأصحابه صوب حصن الدّملوة[5] ، وبه ولد الدّاعي المكرّم عمران بن محمّد بن سبأ الزّريعي وواليه جوهر العمرانيّ، فحاصر الحصن ورماه بالمنجنيقات فلم يظفر بشيء ، عندئذ صالح جوهرا على مقدار هيّن من المعشار الذي تحت الحصن[6] ، ثمّ تقدّم من الدّملوة قاصدا مدينة ذي جبلة فأقام بها إلى رابع شعبان من سنة 570 هـ / 1174 م[7] .

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص19 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص379 . الكبسي ، **اللّطائف السّنية**، ورقة14 ب .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص19 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص379 . الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة14 ب .

(3) ذخر : حصن بأعلى عـــزلة البريهة في الشمال الغربي من عدن ويعرف بحصن الخضراء نسبة إلى الوليّ المقبور به . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص379 . الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص19 . الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص20 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص379 . الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص20 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 77.

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص20 . الكبسي ،**المصدر نفسه**، ورقة14 ب .

غيرأنّ محاولة الملك المعظّم في إعادة الهدوء لمدينة زبيد وما ناهجها من البلاد التّهاميّة لم تمنع بها مظاهر التمرّد والعصيان من الظّهورمجدّدا [1]، إذ ليس من المستبعد أن تكون قد حصلت محاولة للثّورة على الحكم الأيّوبي بهذا الجزء من بلاد اليمن من قبل أتباع عبد النبي بن علي بن مهديّ الذّي لازال أسيرا بين يدي مبارك بن منقذ الكناني والي زبيد، لذلك لم يتأخّر توران شاه في الإيعاز لواليه ابن منقذ بقتل عبد النبيّ وأخويه أحمد ويحي فقتلوا في زبيد يوم الثلاثاء السّابع من رجب من سنة 570 هـ / 1174 م [2].

وسعيا من الملك المعظّم إلى توطيد نفوذه وقطع الفرصة أمام كلّ محاولة للثّورة والتمرّد أمر بقتل ياسر بن بلال المعظمي مولى دعاة بني زريع [3]، ويذكر ابن خلدون أنّ توران شاه اتّخذ من زبيد قصبة ملكه ثمّ استوخمها وسار في الجبال ومعه الأطبّاء يتخيّر مكانا صحيح الهواء للسّكنى فوقع اختياره على تعزّ فاختطّ بها مدينة لتكون مقرّا له [4].

وما أن استتبّ الأمر لتوران شاه بكثير من بلاد اليمن حتّى تاقت نفسه إلى مغادرتها نحو البلاد المصريّة [5]، فكتب إلى أخيه صلاح الدّين برغبته في الرّحيل وشفع كتابه إليه بقصيدة مبديا فيها شوقه إليه ورغبته في ملاقاته وكان مطلعها :

لولا محلّك في قلبي وأفكاري ما رنح الشّوق أعطافي وتذكاري
ولا التفتّ إلى مصر وساكنها وقد تعوّضت عن مصر بأمصار [6]

بيد أنّ صلاح الدّين كان يخشى أن تذهب كلّ الجهود والأموال التّي بذلها من أجل ضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذه سدى وأن ينقلب الوضع في هذا الإقليم

---

(1) ابن حاتم، **السّمط الغالي الثّمن**، ص20.

(2) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص 20. اليافعي، **مرآة الجنان**، ج3 ص393. انظر كذلك : شتروتمان. ر. (Strothmann.R) في مادّة "توران شاه" **دائرة المعارف الإسلاميّة، طبعة أولى**. مجلد 5 عدد 5 ص560.

(3) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص20. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص382. **بغية المستفيد**، ص 69.

(4) ابن خلدون، **تاريخ**، ج5 ص 287.

(5) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص20. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص380. أبو مخرمة، **ثغر عدن**، ج2 ص70. ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص77. ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص325. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1 ص 274-275. اليافعي، **مرآة الجنان**، ج3 ص404. الكبسي، **اللّطائف السّنيّة**، ورقة14 ب. الآمدي، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر**، ورقة 6ب.

(6) ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص360.

إلى سابق عهده لاسيما وأنّ البلاد حديثة العهد بالأيوبيّين . ودون جدوى حاول صلاح الدّين أن يثني عزم أخيه توران شاه عن الرّحيل فبعث إليه برسالة مضمونها ترغيبه في الإقامة ببلاد اليمن لكثرة أموالها وسعة مملكتها ، فلمّا بلغ ذلك توران شاه إستحضر ألف دينار وقال لأستاذ داره : " إشتري لنا به قطعة ثلج " فقال : " لا ثلج في اليمن " فقال توران شاه : " ليت شعري ما أصنع بالأموال إذا لم أنتفع بها فيما أريد " (1) . فعاد الرّسول إلى صلاح الدّين فأخبره فأذن لتوران شاه في القفول وكتب له كتابا من جملته شعرا :

ولأنت فخر الدّين فخري في الورى ومـلاذ آمـالي وركـن أمنع
النّصر إن أقبلت نحوي مقبـل واليمن إن أسرعت نحوي مسرع (2)

ب- إضطراب الأوضاع باليمن بعد رحيل الملك المعظم توران شاه :

لمّا كان شهر رجب من سنة 571 هـ / 1175 م سار توران شاه قاصدا دمشق لملاقاة أخيه صلاح الدّين (3) ، بعد أن عيّن نوّابا يحكمون البلاد ويديرون شؤونها من بعده . فكان أن ولّى أبا الميمون سيف الدّولة مبارك بن كامل بن منقذ زبيد وأعمالها من التّهائم ، وجعل على ثغر عدن وما ناهجه الأمير عز الدّين أبو عمرو عثمان الزّنجيلي ، وولّى أمر تعزّ والجند ياقوت التعزّي ، أمّا حكم حصن التّعكر ومدينة ذي جبلة ومخلاف جعفر فقد جعله للمسمّى مظفّر الدّين قايماز ، وتولّى أمر كلّ حصن نائب (4).

---

(1) ابن الدّيبع ، **قرة العيون** ، ج1ص381 . أبو مخرمة، **ثغر عدن** ، ج2 ص70 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج1 ص275 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية**، ورقة14 ب . شرف الدّين ، **اليمن عبد التاريخ** ، ص218 .

(2) ابن الدّيبع ، **قرة العيون** ، ج1ص381 . شرف الدّين ، **المرجع نفسه** ، ص218 .

(3) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص77-78 . ابن حاتم ،**السّمط الغالي الثمن** ، ص20 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 383. **بغية المستفيد** ، ص70 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص70 . الوصابي ، **تاريخ وصاب**، ص109 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص325-326 . ابن الأثير ، **الكامل** ، ج11 ص434 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج2 ص48 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج1 ص275 . أبو شامة ، **الروضتين** ، ج 1ص 663 . النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج28 ص374 .

(4) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص77 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص70 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون**، ج1ص383 . **بغية المستفيد**، ص69-70 . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص20 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص326 . النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج28 ص374 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج2 ص102 . ابن الأثير ، **الكامل** ، ج11 ص398 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص664 . ابن المجاور ، **المستبصر** ، ج 1ص127 . الكبسي ،**اللّطائف السنّية**، ورقة14 ب . محمود ، **تاريخ اليمن السّياسي** ، ص251 . شرف الدّين ،**اليمن عبر التاريخ** ، ص318 .

وقد استمرّ هؤلاء النّواب في أداء مهمّتهم لفترة من الزّمن فكانوا يرسلون بعائدات اليمن وواردانه إلى الملك المعظّم [1]، الذي استقرّ بالبلاد المصريّة بعد أن أقطعه أخوه صلاح الدّين ثغر الإسكندريّة [2]. لكنّ سيف الدّولة مبارك بن كامل بن منقذ والي زبيد ما لبث أن استأذن الملك المعظّم توران شاه في ترك اليمن واللّحاق به فأذن له فسار قاصدا البلاد المصريّة، بعد أن كان قد استناب من جهته أخاه خطّاب [3] بن كامل بن منقذ ليتولّى عنه أمر زبيد وأعمالها [4].

فلمّا كان المحرّم من سنة 576 هـ / 1181 توفّي الملك المعظّم توران شاه بثغر الإسكندريّة، عندئذ أحسّ نوّابه أنّهم أحرار من كلّ التزام فمنعوا الإتاوة التي كانوا يبعثون بها سنويّا إلى مصر واستقلّوا بما تحت أيديهم من الأعمال والولايات وآدّعى كلّ منهم الملك لنفسه وضربوا السكّة بأسمائهم وأصبح كلّ نائب منهم لا يتعامل إلاّ بسكّته [5].

---

(1) الخزرجي، **العقود اللّؤلؤيّة في تاريخ الدّولة الرّسوليّة**، ج2 ص38. أبو مخرمة، **ثغر عدن**، ج2 ص70. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص384. شاكر حسين، "تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحوبلاد اليمن"، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ**. ص 53.

(2) أبو مخرمة، **المصدر نفسه**، ج2 ص 70. الآمدي، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر**، وقة6 ب.

(3) أورده بإسم "حطّان" كلّ من ابن حاتم اليامي، **السّمط الغالي الثمن**. ص22. وابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1 ص442. وابن واصل، **مفرّج الكروب**، ج2 ص104. وزامباور، **معجم الأنساب**، مجلد 1 ص 165. في حين أورده تحت اسم "خطّاب" كلّ من ابن عبد المجيد، **بهجة الزّمن**، ص78. أبو مخرمة، **ثغر عدن**، ج2 ص101. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص 386. **بغية المستفيد**، ص 73. ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص326-329. العقيلي، **من تاريخ المخلاف السّليماني**، ج 1 ص175-176. شاكر حسين، **المقال السّابق**، ص53.

(4) ابن عبد المجيد، **المصدر نفسه**، ص78. أبو مخرمة، **المصدر نفسه**، ج ص101. ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص22. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص386. ابن واصل، **المصدر نفسه**، ج2 ص 104. شاكر حسين، **المقال السّابق**، ص54.

(5) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص22. أبومخرمة، **المصدر نفسه**، ج 2ص163. ابن عبد المجيد، **المصدر نفسه**، ص78. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص386. **بغية المستفيد**، ص73. ابن واصل، **المصدر نفسه**، ج 2ص104. الآمدي، **نزهة النّاظر وراحة الخاطر**، وقة6 ب. الخزرجي، **العقود اللّؤلؤيّة**، ج2 ص38. الكبسي، **اللّطائف السّنيّة**، ورقة15 ب. شاكر حسين، **المقال السّابق**، ص53.

ثمّ ما لبث أن دبّ الخلاف بين هؤلاء النوّاب فسعى كلّ واحد منهم إلى التغلّب على الآخر ، فكان أن تحالف عثمان الزّنجيلي(1) والي عدن وياقوت التعزّي صاحب حصن تعزّ ومظفّر الدّين قايماز متولّي أمر ذي جبلة ، وأجمعوا على حرب خطّاب بن كامل بن منقذ صاحب زبيد (2). فلمّا بلغ ذلك صلاح الدّين خشي أن يؤدّي هذا الخلاف إلى ضياع اليمن من بين يديه فأرسل جيشا بقيادة أحد مماليكه يدعى خطلبا (3) ، وكتب له إلى كافّة الأمراء باليمن بأن يجتمعوا على خطّاب ويخرجوه من زبيد ويتولّى مكانه خطلبا المذكور . وبوصول هذا الأخير إلى عدن عبر البحر إلتقاه عثمان الزّنجيلي وبذل له الطّاعة ثمّ سارا قاصدين زبيد بعد أن ضمنا مساندة كلّ من ياقوت التعزّي ومظفّر الدّين قايماز ، فلمّا بلغ ذلك خطّاب ترك المدينة والتجأ إلى حصن قوارير فملك خطلبا زبيد وما ناهجها من أعمال تهامة (4).

لكنّ العلاقة بين كلّ من خطلبا مبعوث صلاح الدّين وعثمان الزّنجيلي والي عدن سرعان ما ساءت وأصابتها الوحشة ، لذلك فإنّ خطلبا لمّا مرض وأشرف على الموت لم يتوان في مراسلة خطّاب سرّا يقول له : " أنت أولى بالأمر من عثمان الزّنجيلي(5) " ، فلمّا توفّي خطلبا سار خطّاب خفية فدخل زبيد ليلا واستقلّ بالأمر (6).

---

(1) هو أبو عمرو عثمان بن علي الزّنجيلي نسبة إلى زنجيلة قرية من قرى دمشق ، أورده ابن حاتم اليامي بإسم السّنجاري ولقبه عز الدّين، كان أميرا كبيرا قدم من مصر صحبة الملك المعظّم توران شاه . راجع عنه أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص 163. ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص21-24 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص76 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص384 . **بغية المستفيد** ، ص73 . ابن المجاور، **المستبصر** ، ج 1ص127 .

(2) ابن حاتم، **المصدر نفسه** ، ص22 . أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص163 . الكبسي ، **اللطائف السنيّة**، ورقة15 أ . التكريتي (محمود ياسين) ، " الأيّوبيون في اليمن " ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، كليّة الآداب بجامعة الموصل ، العدد الثاني عشر كانون الأوّل سنة 1980 م . ص115 .

(3) مملوك من مماليك صلاح الدّين الأيّوبي ورد بإسم "خطلبا "في المصادر اليمنيّة في حين أورده ابن الأثير وابن واصل تحت اسم " قتلغ أبه " انظر ما أورده : ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص22 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص101 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 386. وقارن بما أورده ابن الأثير ،**الكامل** ، ج 11ص398 . وابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج2 ص104 . التكريتي ،**المقال السّابق** ، ص115 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص23 . أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص101 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص386 . **بغية المستفيد** ، ص 73.

(5) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 78. ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 23. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص386 . **بغية المستفيد** ، ص74 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص102 . العقيلي ، من **تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج 1ص175 .

(6) ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص78 . ابن حاتم ،**المصدر نفسه**، ص23 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص102 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص386 .

لكنّ عثمان الزّنجيلي الذّي كانت له مطامح تتجاوز حدود ولاية عدن لم يكن ليقبل عودة خصمه خطّاب على رأس ولاية زبيد ، فكان أن عزم على حربه من جديد وسار إليه يعاضده في ذلك كلّ من ياقوت التعزّي ومظفّر الدّين قايماز . وفي المقابل كان خطّاب بن كامل بن منقذ قد تهيّأ من جهته لكلّ هجوم مباغت فأحكم التحصّن داخل مدينة زبيد وسدّ المنافذ أمام الزّنجيلي وأصحابه ، وذلك قبل أن يتمكّن من إلحاق الهزيمة بهم وفكّ الحصار الذي ضربوه حول المدينة طيلة أيّام (1) .

وأمام فشل محاولة عثمان الزّنجيلي في الإستيلاء على مدينة زبيد وما ناهجها من التّهائم إتجهت أنظار والي عدن ، الذّي ما إنفكّت شوكته تشتدّ شيئا فشيئا ، إلى ما عداها من بلاد اليمن فكان أن إستولى على حصن الجند بعد أن غلب عليه صاحبه ياقوت التعزّي ، ثمّ ما لبث أن نهض إلى مخلاف ذي جبلة فتسلّمه من عامله مظفّر الدّين قايمار، بعد أن كان هذا الأخير قد عجز عن مواجهته وصدّه عمّا تحته من البلاد (2).

ثم إنّ عثمان الزّنجيلي إتّجه شرقا قاصدا حضرموت ، فإستولى على الشّحر وسار بجيشه إلى شبام وتريم ومريمة فنهبها وبسط نفوذه عليها دون أن يلقى في ذلك مقاومة تذكر ، ليعود بعدها إلى عدن وقد جعل على تلك البلاد نوّابا عنه يبعثون إليه الخراج في كلّ سنة (3) .لكنّ بحلول سنة 577 هـ / 1181 م ما لبث أنّ أظهر آل راشد الحضرميّين إستقلالهم بحضرموت ، فلمّا بلغ ذلك عثمان الزّنجيلي أرسل إليهم جيشا كثيفا أدخلهم في طاعته ، بعد أن قتل كثيرا من علماء تريم كانوا يحرّضون آل راشد على الثّورة وخلع الطّاعة (4) .

أمّا بقيّة الجهات اليمنيّة التي كانت قد بذلت الطّاعة للملك المعظّم فإنّها ما لبثت أن عادت هي الأخرى تحت حكم زعماء محليّين أعلنوا إستقلالهم عن الحكم الأيّوبي وخلعوا ولاءهم له ، فقد عادت صنعاء نفوذ السّلطان علي بن حاتم الهمداني ، وذلك قبل أن يستعيد هذا الأخير سيطرته

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص22 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص163 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص78 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص386 .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص22-23 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص386 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص327 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص163 .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص23 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص 163. ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص 327. البكري (صلاح) ، تاريخ حضرموت السّياسي ، الطّبعة الثانية ، مطبعة البابلي ، القاهرة 1935م . ج1 ص81 .

(4) أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص163 . البكري ، تاريخ حضرموت السّياسي ، ج 1ص81 .

على كثير من الحصون المجاورة كحصن كوكبان والعروس وذي مرمــر [1] ، كمـــا إستقــلّ السّلطـان زياد بن حاتم بن علي بن سبأ الزّريعي بحصن حبّ [2] . في حين ظلّ أبوالدّرجوهـر المعظّمي مـولى بني زريع على حاله مستوليا علـى حصــن الدّملوة ، بعد أن كـان تعذّر على الملك المعظم توران شاه إخضاعه لمشيئته لشدّة تحصّنه [3].

وهكذا فإنّ بلاد اليمن قد أوشكت على الضّياع من أيدي الأيوبيّين ، بعد أن إستقلّ كلّ نائب بجهة فعمّت بذلك الإنقسامات والنّزاعات من جديد بين مختلف زعماء هذا البلد ، الذّي لم تكن حملة الملك المعظّم توران شاه كافية لإخراجه من حالة التمزّق والفوضى التي غلبت عليه منذ عهد سابق .

فلمّا بلغ ذلك صلاح الدين سارع إلى تدارك الأمر قبل فوات الأوان وأولى المسألة كثيرا من العناية والإهتمام ، بعد أن وصلته الأخبار بتأزّم الوضع ببلاد اليمن ، فأوعز إلى أخيه سيف الإسلام طغتكين [4] بتجهيز حملة عسكريّة جديدة لإستعادة نفوذه بهــذا الإقليم والقضاء على مظاهر العصيان والتمرّد التّي عمّته [5].

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص25 . شرف الدين ، **اليمن عبر التاريخ**، ص 219.

(2) ابن حاتم، **المصدر نفسه** ، ص25 .

(3) ابو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص74. العمري ، **الأمراء العبيد والمماليك في اليمن** ، ص 38.

(4) هو الملك العزيز سيف الإسلام ظهير الدّين أبو الفوارس طغتكين بن أيّوب بن شادي ، يذكره أبو مخرمة بأنّه ملك شهم شجاع أديب لبيب عاقل أريب حازم عازم .كان ترك دمشق والتحق بأخيه صلاح الدّين بمصر صحبة أبيه نجم الدّين أيّوب فسمع القراءات والحديث والوعظ من الحافظ السّلفي بالإسكندريّة . أبو مخرمة، **ثغر عدن** ، ج 2ص133 . الزّبيدي ، **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيّوب** ، ص 57. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص78 . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج 1ص237 . الذهبي ، **العبر في خبر من غبر**، ج 4 ص281 . ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج6 ص127 . المقريزي ، **المقفّى الكبير** ، ج4 ص14 . أبو شامة ، **الروضتيــن** ، ج 2ص74. اليافعي ، **مرآة الجنــان** ، ج3 ص475-476 . الزّركلي، **الأعلام** ، ج 4ص327 . زامباور، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة** ، الباب الخامس ، ص152 .

(5) محمود ، **تاريخ اليمن السيّاسي** ، ص252 . التّكريتي، " الأيّوبيون في اليمن "، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص115-116 .

2 - عهد الملك سيف الإسلام طغتكين وتوطيد النفوذ الأيوبي ببلاد اليمن :

أ - أطوار حملة الملك سيف الإسلام طغتكين :

كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، كان صلاح الدّين قد إختار أخاه سيف الإسلام طغتكين على رأس حملة عسكريّة جديدة ليعيد توطيد النّفوذ الأيّوبي ببلاد اليمن والقضاء على مظاهر الفرقة والخلاف، التّي كانت قد عمّت هذا الإقليم إثر وفاة الملك المعظّم توران شاه [1] .

فلّما كانت سنة 578 هـ/ 1182 م سار طغتكين في ألف فارس وخمسمائة راجل ، قاصدا بلاد اليمن آخذا على طريق الحجاز ، فوصل مكّة يوم الإربعاء ثالث شهر رمضان من سنة 579هـ/ 1183 م [2] وهناك إستقبله أميرها مكثر بن عيسى بن فليتة أحسن إستقبال ، ثمّ أقام سيف الإسلام بالبلد الحرام معتمرا في جوّ لا يخلو من هيبة وإجلال، فتعالت الأصوات بالدّعاء له ولأخيه صلاح الدّين [3] . وحرصا من الأيّوبيين على أن تظلّ علاقاتهم بإمارة مكّة ودّية ووطيدة خلع سيف الإسلام طغتكين على أميرها مكثر بن عيسى خلعة سنّية ثمينة وحباه بالهدايا النّفيسة ، فشكر له ذلك بعد أن كان أوجس خيفة منه في نفسه [4] .

---

(1) ابن الأثير ، الكامل، ج 11ص311 . المقريزي ، السّلوك ، ج1ص 76 ، 78. التّكريتي، "الأيّوبيّون في اليمن"، مجلة آداب الرّافدين ، ص 116.

Garcin , *Un centre musulman de la Haute-Egypte Médievale : QUS*. p132.

(2) الفاسي ، العقد الثمين ، ج5 ص62-63 . شفاء الغرام بأخبار البلد والحرام ، ج2 ص198-199 . ابن فهد (النّجم عمر) ، إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى ، ط 2 سفنكس للطّباعة القاهرة 1983م . ج2 ص546 . ابن جبير (محمّد) ، رحلة ابن جبير ، دار صادر بيروت 1964م . ص124 . ابن الأثير، الكامل ، ج11 ص480 . أبو الفدا ، تاريخ ..... ، ج3 ص64 . ابن تغري بردي ، النّجوم الزّاهرة ، ج6 ص83 . الآمدي ، نزهة النّاظر و راحة الخاطر ، ورقة6 ب . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص133 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزّمن ، ص78 . باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي ، ص44 .

(3) ابن جبير ، المصدر نفسه ، ص124 . ابن فهد ، المصدر نفسه ، ص 546.

(4) ابن جبير ، المصدر نفسه ، ص126 . ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص79 . ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص74 .

وفي يوم الإربعاء العاشر من شهر رمضان من سنة 579هـ / 1183 م سار طغتكين بجنوده قاصدا بلاد اليمن آخذا على طريق تهامة ، فلمّا وصل مشارف مدينة زبيد في أواخر السّنة نفسها خرج لإستقباله خطّاب بن كامل بن منقذ فخلع عليه سيف الإسلام وعلى عسكره ودخل زبيد في 13 شوّال من السّنة المذكورة [1].

وقد حاول الملك طغتكين أن يظهر التلّطف والإحسان لخطاب لكنّ هذا الأخير لم يثق به وأوجس منه خيفة فطلب إليه أن يأذن له في الرّحيل إلى الشام فأذن له ، فأخرج خطّاب جميع أثقاله وأمواله إلى موضع يعرف بالجنابذ شمال مدينة زبيد تهيّآ للسّفر [2] . لكنّ سيف الإسلام لم يمهل خطّابا المذكور وأمر بالتحوّط على ما في حوزته من أموال ومتاع وقبض عليه ، ثمّ ما لبث أن ألقى به في السّجن بحصن تعزّ وذلك قبل أن يأمر بقتله ويبعث بعياله إلى مصر [3] .

ثم إنّ الملك طغتكين أخذ في تعقّب جميع الأمراء السّابقين والتّضييق عليهم، فألقى القبض على ياقوت التعزّي صاحب حصن تعزّ وعلى مظفّر الدّين قايماز والي مخلاف ذي جبلة، كما عمل على مصادرة أموالهما بعد أن سلّما إليه ما تحتهما من الحصون والقلاع [4] .

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص24 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص79 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص386 . **بغية المستفيد** ، ص74 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص133 . الوصابي ، **تاريخ وصاب**، ص109 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص328 . أبو الفدا ، **تاريخ**، ج 3ص64. ابن الأثير ، **الكامل** ، ج1 ص480 . اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج3 ص403 . ابن الجوزي، **مرآة الزّمان** ، ج8 ص368 . الكبسي ،**اللّطائف السّنية** ، ورقة15 أ . التّكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرافدين** ، ص 117 .

(2) ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص79 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص24 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص386 . **بغية المستفيد** ، ص74 . أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص133 . ابن واصل، **مفرّج الكروب** ، ج2 ص105 . ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ج 11ص480 . أبو الفدا ، **تاريخ**، ج3 ص 64. الحنبلي ، **شفاء القلوب في أخبار بني أيّوب** ، ص 199. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة15 أ .

(3) ابن حاتم ،**السّمط الغالي الثمن** ، ص24 . **السّلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج1 ص72 . ابن عبد المجيد ،**المصدر نفسه**، ص79 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص387 . **بغية المستفيد** ، ص 74. ابن الأثير ، **المصدر نفسه** ، ج11 ص480 . ابن واصل ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص105 . أبو الفدا ، **المصدر نفسه** ، ج3ص64 . ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج 6ص83 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج 1 ص328 . الذّهبي ، **دول الإسلام** ، ج2 ص77 . **العبر في خبر من غبر** ، ج4 ص281 . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج1 ص176 . كامل ، **اليمن شماله وجنوبه** ، ص181 . التّكريتي ، **المقال السّابق**، ص117 .

(4) ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص79. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص387. **بغية المستفيد** ، ص74 .

أمّا عثمان الزّنجيلي صاحب عدن فإنّه لمّا علم بما أتاه سيف الإسلام في شأن خطّاب بن كامل بن منقذ الكناني والي زبيد أيقن أن عاقبته لــــن تكون محمودة ، لذلك سارع بتجهيز سفن عظيمة وشحنها بما يملك من المتاع والأموال ثــمّ سار في البحر قاصدا جهة العراق ، لكنّ سيف الإسلام من جهته قد تحسّب جيّدا لهذا الأمر فأمر جنوده بالتعرّض له فقبضوا على جميع أثقاله بساحل زبيد ولم ينج غير المركب الذّي كان به الزّنجيلي [1] وكان طغتكين قد بعث في الأثناء من قبله أميرا يدعى ابن عين الزّمان ليتولّى أمر عدن [2] .

ثم إنّ الملك طغتكين استولى على جميع الولايات والأعمال، التّي كان ملكها أخوه الملك المعظم توران شاه من قبله[3] ، وتابع إخضاعه لمزيد من الحصون والقلاع فملك حصن السّوا وحاصر حصن خــدد حتّى أخذه[4] ، كما استولى على حصن نغم[5] وحصن بحرانة [6] وحصن سماءة [7] ثمّ أضاف حصن قزعة[8]

---

(1) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن**، ص79 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص387 . **بغية المستفيد** ، ص74 الحنبلي ، **شفاء القلوب** ، ص199 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص164 . ابن جبير ، **الرّحلة** ، ص 148 . ابــن الأثير ، **الكامــل** ، ج11 ص 480-481 . ابــن واصـــل ، **مفرّج الكروب** ، ج2 ص-106 105 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج3 ص64 . ابن تغري بردي ، **النّجوم الزاهرة** ، ج 6 ص83 . سبط ابن الجوزيّ ، **مرآة الزّمان** ، ج8 ص388 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص328 . العرشي ، **بلوغ المرام** ، ص41 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة15 أ . التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " ، **مجلة آداب الرّافين** ، ص 118 .

(2) أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص 133 ، 164 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 387. الحنبلي ، **المصدر نفسه** ، ص119 . العرشي ، **المرجع نفسه** ، ص41 . التّكريتي ، **المقال السّابق**، ص118 .

(3) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص24 . ابن الدّيبع ، **قرة العيون** ، ج1ص387 .

(4) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص 229. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 387. ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 24.

(5) نغم : حصن ببلد الشّعر في الشّمال الغربي من حصن كوكبان شبام لمسافة يسيرة ولا يعرف الآن تحديده بالضّبط . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص387 . ابن حاتم، **المصدر نفسه** ، ص25 .

(6) بحرانة : تثنية بحر يطلق على حصنين أحدهما واقع في أعلى عزلة السّيف الواقعة في الشمال الغربي من ذي سفالة بمسافة ثلاثة ساعات وهو خراب في سفح قرية تحمل هذا الإسم وثانيهما في ريمة الأشايط ، ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص387-388 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 25. ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج4 ص134 .

(7) سماءة : حصن حصين في جبل وصاب من أرض زبيد كان ملكا لخولان . ياقوت، **معجم البلدان** ، ج3 ص277 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص25 . البغدادي ، **مراصد الإطّلاع** ، ج 2ص734 .

(8) قزعة : حصن يوجد في عزلة حليان الواقعة فــي شرق المذيخــرة من بلاد كــلاع . ابن الدّيبع ، **قرّة العيــون** ، ج1ص388 . ابن حاتم ، **المصدرنفسه** ، ص25 .

وحصن شار[1] وحصن عتمة[2] ثمّ نزل عند حصن حبّ[3] فحاصر صاحبه السّلطان زياد بن حاتم الزّريعي ، الذّي بادر من جهته بمراسلة السّلطان علي بن حاتم صاحب صنعاء والسّلطان أسعد بن علي بن عبد الله الصليحي صاحب حصن قيظان[4] يطلب نجدتهما كما ناشد نصرة قبائل مذحج وجنب .

لكنّ الخلاف الذي حصل بين زعيمي جنب[5] ، الشيخ عمران بن زيد والسّلطان عبد الله بن يحي[6] ، قد حال دون تكوّن تحالف قادر على نجدة السّلطان زياد بن حاتم الزّريعي ، لذلك استمرّ الجيش الأيّوبي في محاصرة حصن حبّ وبداخله السّلطان زياد بن حاتم قد أحكم التحصّن ، فلمّا طال الحصار ولم يتمكّن سيف الإسلام من الإستيلاء على الحصن وكان قد أدركه موسم الحجّ أوكل مهمّة محاصرته لأحد أمرائه يدعى همام الدّين أبو زيّان[7] .

ولمّا كانت سنة 581هـ / 1185 م سار سيف الإسلام قاصدا مكّة لأداء فريضة الحجّ وهو ينوي التعرّض لأميرها مكثربن عيسى بن فليتة لمّا بلغه استمراره

---

(1) شار : حصن منيع مستطيل الشّكل كأنّه صهوة جوا د صعب المرتقى ، يقع في غرب مدينة إبّ بمسافة أربع ساعات وبه سمّيت عزلة بلاد شار التّي اشتهرت بشجرة القات . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص388 . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص25 . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 3ص348 .

(2) عتمة : حصن في جبل وصاب من أعمال زبيد كان ملكا لخولان ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج4 ص93 . البغدادي ، **مراصد الإطّلاع** ، ج1 ص918 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص25 .

(3) حبّ : قلعة مسوّرة بأرض اليمن من نواحي سبأ ولها كورة يقال لها الحبّية وقد سمّيت كذلك باسم جبل في جهة حضرموت . ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج ص244 . البغدادي ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 375.

(4) قيظان : تثنية قيظ ، حصن يقع في منتهى جبل منار في جبل الشعر وهو الحدّ الفاصل بين مخلاف يحصب ومخلاف الشّعر وحصن قيظان مشرف على الطّريق المؤدّية إلى حقل قتاب ويقال لنفس الطّريق نجد قيظان وفجرة قيظان في الشّمال الشرقي من مدينة إبّ بمسافة نصف يوم وقد ورد ذكره في المثل العامّي اليمنيّ الذّي جاء في شكل دعاء فيقال " سدّوا بك فجرة قيظان. " ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 390. هامش رقم 2 .

(5) كان بين السلطان عبد الله بن يحي الجنبي والشيخ عمران بن زيد الجنبي تنازع وتحاسد فلّما استنجد بهما السّلطان زياد بن حاتم الزّريعي وقع الخلاف بينهما فإنقسمت جموع جنب وتخاذلت على نصرة السّلطان زياد بن حاتم الزّريعي المذكور. ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص25 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص388-389 .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص25 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص388 .

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 25. ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص388 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص328 . التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " ، **مجلة آداب الرّادفين** ، ص118 .

في فرض المكوس على الحجّاج[1] . وتعود أسباب هذا الخلاف إلى أنّ أمير مكّة كان يرغب في استمرار فرض المكوس على الحجّاج الواردين على الحرم لأن تلك الرّسوم تعتبر المورد الرّئيسي لأهل هذا البلد خلال ذلك العهد [2]، لذلك فليس هناك مفرّ من تحصيلها حيث كانت تؤخذ من الحجّاج القادمين من البحر عن طريق عيذاب أو جدّه . وكان أمراء مكّة قد رفضوا إلغاء هذه الرّسوم حتّى ضمن لهم السّلطان صلاح الدّين الأيّوبي صاحب مصر إرسال أموال وسلع ومواد كتعويض عنها فألغيت فترة من الزمن ثم ما لبثت أن أعيدت بعد ذلك على يد الشريف مكثر بن عيسى ، الذّي لم يتوان من جهته في التّضييق على الحجّاج وظلمهم [3] .

لذلك فإنّ الملك طغتكين عندما قدم مكّة قد أخذ على عاتقه مهمّة تأديب أميرها مكثر بن عيسى ، الذّي سارع إلى الفرار من الحرم وتحصّن بأعلى جبل أبي قبيس بعد أن أغلق باب الكعبة وأخذ معه المفتاح [4]. وأثناء إقامته بمكّة أمر سيف الإسلام بحذف " حيّ علي خير العمل " من الأذان [5] كما قام بتأديب بعض العبيد الذّين كانوا يفسدون في الحرم وقتل المتمرّدين منهم ، إضافة إلى ذلك فقد أمر طغتكين بضرب الدّراهم والدّنانير بمكّة باسم أخيه صلاح الدّين الذّي كان يخطب بإسمه على منابر الحرم [6] .

---

(1) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج 2ص203 . العقد الثمين ، ج5 ص63 . سبط ابن الجوزيّ، مرآة الزمان ، ج8 ص248 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ص103 . الآمدي ، نزهة النّاظر وراحة الخاطر ، ورقة 7أ . الجزيري ، الدرر الفرائد المنظّمة ، ج1 ص574 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج 1ص 328 . ربيع ، البحر الأحمر في العصر الأيّوبي ، ص3-4 . باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي ، ص 44 . مالكّي عبد الغنّي ، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتّى سقوط الخلافة العبّاسية في بغداد ، ص42 .

(2) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ص203 . العقد الثمين ، ج5 ص63 . مالكيّ عبد الغنيّ ، بلاد الحجاز منذ بداية عهدالأشراف حتّى سقوط الخلافة العباسيّة في بغداد ، ص42 .

(3) الفاسي ، المصدر نفسه، ج 5ص63-64 . ابن جبير ، المصدر نفسه ، ص 127 وما بعدها . باقاسي ، المصدر نفسه ، ص 44.

Garcin , *Un centre musulman de la Haute-Egypte Médievale : QUS*. p132.
Mortel (R.T), " Taxation in the amirate of Mecca during the médieval period", in *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, Vol L VIII, part I, 1995. p4.

(4) الفاسي،المصدر نفسه ، ج 5ص63 . الجزيري ، الدرر الفرائد المنظمة ، ج 1ص574 . سبط ابن الجوزيّ ، مرآة الزمان ، ج8 ص248 .

(5) الفاسي ، المصدر نفسه، ج 2ص198-199 . ابن تغري بردي ، النّجوم الزّاهرة ، ج 6ص103 . الجزيري ، الدرر الفرائد ، ج1 ص574 . الآمدي ، نزهة النّاظر وراحة الخاطر ، ورقة 7ب.

(6) الفاسي ،العقد الثمين ، ج 5ص63 . الآمدي ، نزهة النّاظر وراحة الخاطر ، ورقة 7ب . الجزيري ، بغية المستفيد ، ص74 ، ج1 ص574 . باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي ، ص 45.

Garcin, *op. cit* , p134.

وما أن وطّد الملك طغتكين النفوذ الأيّوبي بمكّة ، بعد أن أعاد بها كثيرا من الأمن والطّمأنينة وقضى على مظاهر الشغب والتمرّد التي اكتسحتها ، حتّى عاد إلى اليمن وتولّى بنفسه حصار حصن حبّ وبه صاحبه السّلطان زياد بن حاتم الزّريعي قد تمادى في امتناعه ، فضيّق عليه سيف الإسلام وأحكم محاصرته حتّى ملكه قهرا في يوم الإربعاء من جمادى الآخرة لسنة 582 هـ / 1186 م ، بعد أن أسرف في القتل وأمعن في التّنكيل بأصحابه [1] . ويصف ابن حاتم اليامي صنيع طغتكين بأهل حصن حبّ بقوله : " وقتل جميع من كان به ، ولم يسلم منهم إلاّ من لم يعرف أو من دخل في زيّ الجند الذّين له ، أو طرح نفسه بين القتلى وتزلزلت لذلك اليوم جميع اليمن شاما ويمنا "[2] .

ثمّ إنّ السّلطان عبد الله بن يحي الجنبي ، الذّي سبق له أن خذل جموع قبائل جنب على نصرة السّلطان زياد بن حاتم الزّريعي بسبب الخلاف الذّي كان بينه وبين الشيخ عمران بن زيد الجنبي[3] ، ما لبث أن سار بأولاده قاصدا الملك سيف الإسلام مظهرا له معاني الطّاعة والولاء لمّا بلغه خبر آستيلائه على حصن حبّ فخلع عليهم طغتكين وأحسن إليهم ، وتتابعت بعد ذلك قبائل جنب على الملك الأيّوبي باذلة له الطّاعة ولم يتخلّف عنه سوى الشيخ عمران بن زيد الجنبيّ وإخوته[4] .

كما بادر السّلطان أسعد بن عليّ بن عبد اللّه الصّليحي [5] صاحب حصن قيظان بإرسال ولده السّلطان منصور بن أسعد إلى الملك طغتكين يبلغه دخوله في طاعته مظهرا له عبارات الرّضى والولاء الحسن [6].

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص26 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص388-389 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص 328. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص133 . التّكريتي "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 118.

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص26 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص389 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص133 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص25 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص389 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص26 .ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 389.

(5) كان السّلطان أسعد بن علي بن عبد الله الصّليحي قد سبق له أن خذل همدان على مناصرة السّلطان زياد بن حاتم الزّريعي صاحب حصن حبّ وهو ما يعكس حدّة الإنقسام والإختلاف بين مختلف الزّعماء اليمنيّين خلال ذلك العهد ممّا جعل مهمّة الأيّوبيّين في الإستيلاء على هذه الرّقعة من بلاد العرب تكون على درجة كبيرة من اليسر . ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص25 .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص26 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص328 .

غير أنّ طغتكين لم يكن ليقبل عن طيب خاطر تخلّف الشيخ عمران بن زيد الجنبيّ عن الدّخول في طاعته بعد أن بذلها له غيره من زعماء جنب ورجالها ، لذلك أمر جنوده بملاحقة الشيخ عمران الجنبيّ الذي كان قد انحاز إلى بلاد نهم بموضع يسمّى عرقب[1] ، وهناك لحقت به كتيبة من عساكر الأيّوبيّين فحاصرته وقتلت من أصحابه كثيرا حتّى أجبرته على تركها والتّقهقر إلى غيرها من البلاد [2].

وما أن استولى الملك طغتكين على كثير من المعاقل والحصون التّي باليمن الأسفل ودانت له جنب أعظم القبائل اليمنيّة خلال ذلك العهد ، حتّى عزم على بسط نفوذه على مدينة صنعاء وما ناهجها من البلاد العليا ، فلمّا بلغ ذلك صاحبها السّلطان علي بن حاتم اليامي أيقن أنّه غير قادر على مواجهة عساكر الأيّوبيين بمفرده ، لاسيما بعد دخول حليفته جنب في طاعة الملك الأيّوبي [3]. لذلك أمر سلطان همدان بخراب قصر غمدان[4] وسور صنعاء في شهر شعبان من سنة 583هـ / 1187 م بعد أن نقل جميع ما كان له ولأخيه بشر بن حاتم إلى حصن براش ، ثمّ أمر بإحراق ما بقي لهما من غلاّت ومؤونة قبل أن يطلب من أهل تلك البلاد ترك منازلهم وأملاكهم والتمتّع داخل الحصون والمعاقل المجاورة[5] محاولة منه لإفشال مهّمة الملك طغتكين في السّيطرة على هذه المنطقة وعلى أهلها .

لكنّ الجيش الأيّوبي بقيادة الملك طغتكين قد أثبت أنّه يملك من القوّة ما يمكنّه من تذليل الصّعاب واختراق كافّة أشكال التّحصينات التّي اعترضت سبيله

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص26 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة15 أ .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص 26. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة15 أ .

(3) تعتبر قبيلة جنب من أبرز القبائل الحليفة لسلاطين صنعاء الهمدانيين منذ زمن سابق . لمزيد من التّفاصيل حول هذا الموضوع راجع القسم الخاصّ بدولة بني حاتم الهمدانيّين من هذا البحث .

(4) ليس هذا قصر غمدان القصر الجاهلي المشهور بل هو قصر آخر تسمّى بهذا الإسم ويطلق اليوم اسم غمدان على بناء موجود بأعلى صنعاء يستعمل كمستودع للحبوب والذّخيرة ومحبس لذوي الجرائم وسجن للسّياسيّين . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 هامش رقم 2ص389 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص27 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص389 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص329 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة15 أ . التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص119 . أمّا أحمد بن حسين شرف الدّين فقد أخطأ عندما أدرج هذه الحوادث ضمن أحداث سنة 570هـ/ 1175م كما نسبها خطأ إلى عهد توران شاه . انظر شرف الدّين ، **اليمن عبر التّاريخ** ، ص 311. هامش رقم 1 .

منذ حلوله ببلاد اليمن ، وهو ما كان مقتنعا به السّلطان علي بن حاتم اليامي صاحب صنعاء ، لذلك سارع هذا الأخير إلى طرق الحلول الدّيبلوماسيّة فندب ابن عمّه القاضي حاتم بن أسعد اليامي رسولا إلى الملك العزيز طغتكين طالبا الصّلح ، فصالحه طغتكين على ثمانين ألف دينارا حاتميّة ومائة حصان يدفعها علي بن حاتم كلّ سنة ويترك له الملك العزيز بموجب ذلك صنعاء [1].

ثم إنّ طغتكين سار بأصحابه قاصدا ذمار ، موطن قبيلة جنب ، فاستعمل عليها الأمير مظفّر الدّين قايماز [2] ، الذّي سبق له أن تولّى أمر ذي جبلة في عهد الملك المعظّم توران شاه . لكّن الشيخ عمران بن زيد الجنبيّ الذّي طالما رفض التّزول عند حكم الملك طغتكين قد رأى في هذا التّعيين استيلاء واضحا من الأيّوبيّين على منطقة نفوذه وإقصاء صريح لزعامته ، لذلك فإنّ شيخ جنب لم يتوان في الإعداد لمهاجمة نوّاب الملك الأيّوبي بمدينة ذمار قصد استعادتها منهم ، فكان أن جمع الجموع وسار بهم حتّى دخل المدينة فنهبها وقتل وغنم [3] .

أمّا أعوان الملك سيف الإسلام طغتكين فإنّهم لم يجدوا بدّا من الخروج إلى قرية ذي خولان والتحصّن بها من أصحاب الشيخ عمران بن زيد الجنبيّ في انتظار وصول نجدة سيف الإسلام إليهم ، فلمّا بلغ ذلك طغتكين وهو بذي جبلة سار فورا قاصدا ذي خولان ففكّ عليها الحصار ثمّ توجّه منها إلى ذمار فاستولى عليها ، بعد أن تفرّقت فلول جنب وانهزم الشيخ عمران بن زيد الجنبي وأصحابه [4].

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص27 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص389 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص329 . الكبسي ،**اللّطائف السنّية**، ورقة15 أ . التّكريتي : الأيّوبيون في اليمن ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 119.

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص27 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص389 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص329 . الكبسي ،**المصدر نفسه** ،ورقة15 أ . التّكريتي ،**المقال السّابق** ، ص 119.

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص27 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص389 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص329 . الكبسي ،**المصدر نفسه** ، ورقة15 أ . التّكريتي ،**المقال السّابق** ، ص 118.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص27 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص390 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص329 . الكبسي ،**المصدر نفسه** ، ورقة15 أ . التّكريتي ،**المقال السّابق** ، ص 119.

ثم إنّ الملك سيف الإسلام لاحق فلول جنب حتّى قرية بشار[1] فنهبها وقتل من أهلها ستّمائة رجل بدعوى أنّهم آووا جنبا وحالفوها عليه[2] ، وذلك قبل أن يتوجّه صوب صنعاء لتجديد اتّفاق الصّلح الذّي بينه وبين السّلطان علي بن حاتم اليامّي [3] .

ونظرا لما كان يمثّله وجود تلك الزّعامات المحلية المستقلّة من خطر يتهدّد الحضور الأيّوبي بإستمرار ، فإنّ سيف الإسلام قد أوعز عند عودته ناحية البلاد السّفلى إلى أميره مظفّر الدّين قايماز بحصار حصن ذروان رغم ما كان بذله صاحبه الشيخ عبد الله بن يحي الجنبي سابقا من معاني الطّاعة والولاء للملك طغتكين [4] ، فكان أن ضرب مظفّر الدين قايماز الحصار على شيخ جنب وأبنائه وضيّق عليهم طيلة خمسة أشهر حتّى سلّموا له الحصن بعد أن انقطع عنهم الماء [5] .

ومحاولة من الملك طغتكين لجعل البلاد اليمنيّة خاضعة لحكمه دون سواه والقضاء على تلك الزّعامات المحليّة المستقلّة تابع الملك الأيّوبي حملته للإستيلاء على مزيد من القلاع والحصون ، فكان أن أمر جنوده بإقامة الحصار على حصن قيظان وبه صاحبه السّلطان أسعد بن علي بن عبد الله الصّليحي ، فلمّا طال الحصار حتّى ناهز التسعة أشهر سلّم أسعد الصّليحي صحبة أبنائه الحصن لسيف الإسلام على أن يخلّي سبيلهم للإلتحاق بالسّلطان علي بن حاتم اليامي صاحب صنعاء

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص28 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون**، ج1ص 390. ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص329 . التّكريتي ،" الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 119.

(2) بشار : بكسر الباء بلدة في الشمال الشّرقي من مدينة ذمار على بعد أربع ساعات وهي معدودة من مخلاف عنس قديما أمّا حديثا فهي معدودة من مخلاف الحدا وقد نسب إليها كثير من العلماء كما تمتاز هذه المنطقة من بلاد اليمن بالفواكه الكثيرة . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص390 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص28 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص 390. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص329 . التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 119.

(4) كان الشيخ عبد الله بن يحي الجنبيّ قد خذل جموع جنب لمّا أزمعت على حرب الملك طغتكين ، كما لم يتأخر عن النّزول بين يدي هذا الأخير باذلا له معاني الطّاعة والولاء عندما استولى الجيش الأيّوبي حصن حبّ الذّي كان تحت نفوذ السّلطان زياد بن حاتم الزّريعي.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص28 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص329 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص133 .

ورهنوا بذلك رهائن منهم ورهائن من الملك الأيّوبي على يد السّلطان بشر بن حاتم اليامي أخي السّلطان علي بن حاتم [1]، ثمّ تركوا الحصن ونزلوا صحبة السّلطان بشر بن حاتم فأقاموا معه بحصن عضدان [2].

وبحلول سنة 584 هـ / 1188 م صرف الملك طغتكين عزمه لحصار حصن الدّملوة، الذ كان تعذّر أخذه على أخيه الملك المعظّم توران شاه من قبل وظلّ منذ ذلك الحين بين يدي جوهر المعظّمي مولى بني زريع، فلمّا أدرك جوهر أنّ ليس له طاقة علي مدافعة الأيّوبيّين وأنّهم غالبوه باع الحصن للملك طغتكين بعشرة آلاف دينارا وفرّ عبر البحر قاصدا الحبشة بما استطاع حمله من الأموال والأثقال، بعد أن رتّب نائبا له على الحصن [3].

لكنّ نائب جوهر المعظّمي ما لبث أن امتنع هو الآخر بالحصن ورفض تسليمه فعظم ذلك على سيف الإسلام وأقام عليه الحصار من جديد[4]. وقد وافق ذلك قدوم السّلطان بشر بن حاتم اليامي أخو السّلطان علي بن حاتم صاحب صنعاء على الملك طغتكين لتجديد إتّفاق الصّلح الذّي بينهما [5]، فأجلّه سيف الإسلام وأكرم مثواه ومن جملته أن خلع عليه خلعة سنيّة كان تلقّاها من الخليفة العبّاسي، كما أهداه سيفا وطوقا من ذهب وغير ذلك من الأشياء النّفيسة [6].

---

(1) ابن حاتم، **السّمط الغالي الثمن**، ص28. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص390. ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص 329.

(2) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص29.

(3) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص29. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص391. أبو مخرمة، **ثغر عدن**، ج2 ص74. ابن المجاور، **المستبصر**، ص153. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص331. الكبسي، **اللّطائف السنّية**، ورقة15 أ. العمري، **الأمراء العبيد والمماليك في اليمن**، ص 38. التّكريتي، "الأيّوبيون في اليمن"، **مجلة آداب الرّافدين**، ص 120.

(4) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص29. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1ص391. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص332. الكبسي، **المصدر نفسه**، ورقة15 ب. التّكريتي، **المقال السّابق**، ص 120.

(5) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص30. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص332. العمري، **المرجع نفسه**، ج 1ص 38. الكبسي، **المصدر نفسه**، ورقة15 ب. التّكريتي، **المقال السّابق**، ص 120.

(6) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص30. ابن الدّيبع، **المصدر نفسه**، ج1ص392. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص332. الكبسي، **المصدر نفسه**، ورقة15 ب.

فلمّا علم نائب جوهر المعظّمي بوصول السّلطان بشر بن حاتم وبلغه ما له من حظوة ومكانة عند الملك طغتكين حتّى بعث لهذا الأخير يعرض عليه تسليمه الحصن مقابل عشرة آلاف دينارا يقبضها من يد السّلطان بشر بن حاتم كما اشترط عليه أن يضمن له الخروج صحبة أولاده إلى صنعاء سالمين [1]، فكان أن قبل سيف الإسلام عرضه بعد تردّد [2] وتسلّم مقابل تأمينه حصن الدّملوة فدانت له بذلك جميع البلاد السّفلي ولم يعد أمامه سوى توسيع نفوذه صوب البلاد العليا ، لاسيما تجاه مدينة صنعاء التّي لا تزال حتّى ذلك العهد تحت سيطرة سلاطين آل حاتم الهمدانيّين .

ب - تأزّم العلاقة بين الملك طغتكين وآل حاتم الهمدانيّين وإستيلاء الأيوبيين على مدينة صنعاء :

لئن اكتفى الملك طغتكين أثناء حلوله ببلاد اليمن بمصالحة سلاطين بني حاتم الهمدانيّين على إتاوة سنويّة يدفعونها له مقابل إستمرار نفوذهم على مدينة صنعاء وما ناهجها من البلاد العليا [3] ، فإنّ هذا الإجراء لم يكن سوى تكتيكا إقتضته المرحلة ليظلّ سيف الإسلام منذ ذلك الحين يتحيّن الوقت المناسب للإستيلاء على قصبة اليمن وإنهاء ما بها من نفوذ آل حاتم الهمدانيّين أقوى الأسر اليمنيّة المتملّكة خلال ذلك العهد .

وسعيا من الملك الأيّوبي إلى طرق الحلول الدّيبلوماسيّة السّلميّة ومحاولة منه لتجنّب الأسلوب العسكري الذي غالبا ما يتكلّف باهظا، لاسيما إذا كان الخصم في حجم سلاطين قبيلة همدان ذات العصبيّة القويّة ، راح سيف الإسلام يعمل الحيلة لإضعاف جبهة السّلطان علي بن حاتم اليامّي صاحب صنعاء بأن حاول إستمالة أخيه السّلطان بشر بن حاتم أثناء الزّيارة ، التّي قام بها هذا الأخير إلى الملك الأيّوبي لتجديد الصّلح الذّي بينهما [4]. لكنّ يبدو أنّ قوّة شخصيّة السّلطان

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص30. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص392 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص332 . ابن المجاور ، **المستبصر** ، ص153 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة15ب. التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن "، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 120.

(2) لم يقبل السّلطان بشر بن حاتم القيام بهذه الوساطة إلاّ بعد إلحاح سيف الإسلام عليه في هذا الأمر ، فقد كان من صالح سلاطين صنعاء أن يفشل الأيوبيّون في الإستيلاء على البلاد حتّى تستقيم لهم الأمور . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 31.

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص27 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص389 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 329. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة15 ب.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص30 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص392 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 332. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة15 ب . التّكريتي ، **المقال السّابق**، ص 120.

بشر وعلوّ همّته قد حالا دون تمام ذلك الأمر ، كما أنّ الشروط التي اشترطها طغتكين لضيفه [1] لم تكن كافية لجعله يدير ظهره لأخيه ، لذلك اكتفى السّلطان بشر بن حاتم ردّا على مقترح الملك الأيّوبي بقوله : " إنّ هذا عار عليّ ، ومتى افتضحت في أخي لم تأمن أن افتضح فيك " [2].

فلمّا استولى الجيش الأيّوبي على جميع الحصون والقلاع التي في اليمن الأسفل [3] والتي كان آخرها حصن الدّملوة الذّي تسلّمه الملك طغتكين بفضل وساطة قام بها السّلطان بشر بن حاتم اليامي ، تطلّعت أنظار سيف الإسلام بجديّة إلى البلاد العليا لاسيما تجاه مدينة صنعاء قصد جعلها تحت سيطرته المباشرة وإنهاء حكم آل حاتم الهمدانيين بها .

أمّا السلطان بشر بن حاتم ، الذّي كان من جهته مدركا لذلك الأمر كلّ الإدراك ، فإنّه قد سارع إثر عودته إلى تحصين مدينة صنعاء صحبة أخيه السّلطان علي بن حاتم وعمارة الحصون والقلاع المجاورة حتّى تمتنع على عساكر الأيوبيّين ، فكان أن رتّبا عديد الحصون كذمرمر وفدة [4] والظّفر وبراش والعروس وكوكبان والفص[5] وأشيح [6] ثم أمرا بخراب بقيّة المواقع التي عرفا أنّها لا تمتنع [7].

---

(1) كان سيف الإسلام طغتكين يأمل في أن يحالفه السّلطان بشر بن حاتم اليامّي ويساعده على أخذ صنعاء فيملّكه إيّاها وبلاد همدان . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 32.

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص31-32 .

(3) **المصدر نفسه** ، ص32 .

(4) فدة ، حصن قريب من ذمرمر في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص 332.

(5) الفص ، حصن من الحصون المجاورة لمدينة صنعاء . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 4ص 303. البغدادي ، **مراصد الإطلاع**، ج 3ص1037 .

(6) أشيح ، حصن منيع عال جدّا يقع في أحد الجبال المجاورة لمدينة صنعاء ، وهو لبني المظفّر كان قد سكنه سبأ بن أحمد الصّليحي . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج1 ص 239-240. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون**، ج1 ص392 .

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص32 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص392 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص332 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة**، ورقة15 ب. التّكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين**، ص 119.

وما أن انقضت مدّة الصّلح بين سيف الإسلام وسلاطين بني حاتم حتى نهض طغتكين بالعساكر قاصدا مدينة صنعاء فلمّا وصل جهران [1] لقيه القاضي حاتم بن أسعد وطلب إليه تمديد إتّفاق الصّلح الذّي بينه وبين سلاطين همدان على أن يتسلّم طغتكين بموجب ذلك ثلاثين ألف دينار وثلاثين فرسا ، ثمّ إنّ حاتم بن أسعد رهن بذلك رهائن عند الملك طغتكين وسار إلى صنعاء ليعلم بني حاتم بالإتّفاق فلم يقبلوا به [2]، عندئذ اشتدّ عزم الملك الأيّوبي على مناجزة سلاطين همدان بعد أن توفّرت له الذّريعة الكافية للقيام بذلك الأمر وإنجاز ما كان أزمع عليه من السّيطرة على مدينة صنعاء وماناهجها من البلاد العليا .

ولتيسير مهمّته عمد سيف الإسلام طغتكين إلى استمالة القاضي حاتم بن أسعد بأن أطلق له رهائنه وخلع عليه مقابل إعلانه الطاعة والولاء[3] ، ثمّ سارت عساكر الأيّوبيين فاستولت على كثير من الحصون والقلاع المجاورة لصنعاء فأخذت حصن أشيح ، بعد أن تمّ قتل صاحبه السّلطان يحي بن سليمان بن المظفّر ونهض الملك طغتكين بأصحابه إلى جهة جبل الشّرف وحقل جهران فبسط نفوذه عليهما دون أن يكون قد لاقي في ذلك مقاومة تذكر[4] .

فلّما كانت سنة 585 هـ / 1189 م سار الملك سيف الإسلام قاصدا مدينة صنعاء فدخلها يوم السّبت لعشرة بقين من شهر شوّال[5] فأقام بها أيّاما ثمّ أمر أصحابه بالتوجّه نحو بقيّة الحصون والقلاع المجاورة للإستيلاء عليها ، فكان أن أقام الحصار على حصن ذمرمر أين كان السّلطان علي بن حاتم اليامي قدأحكم التحصّن كما بعث في الأثناء بجمع من جنوده إلى حصني فدة والفصّ لأخذهما [6] .

---

(1) جهران : تثنية لجهر وهو أحد حقول اليمن المشهورة بكثرة العيون والآبار وخصوبة التّربة وقبائله من حمير نسبة إلى جهران بن يحصب بن دهمان بن مالك من ولد سبأ الصّغرى ويقع في شمال مدينة ذمار بمسافة ساعتين . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 2 ص225 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج 1ص363. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص392 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص332.

(2) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص32 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص392 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص332. الكبسي ، **اللطائف السّنيّة** ، ورقة15 ب . التّكريتي " الأيّوبيون في اليمن "، **مجلة آداب الرّافدين** ، ص 119.

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص33 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص393 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص332. الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة15 ب .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص33 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص393 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص332. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص133. الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة15ب .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص33 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص393 . **بغية المستفيد** ، ص74 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص333. الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة15 ب . التّكريتي ، **المقال السّابق** ، ص 119. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة15 ب .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص33 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص333. الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة15 ب .

ثم إنّ سيف الإسلام تقدّم نحو بلاد حمير فحطّ على حصن عزّان وكان تحت نفوذ مشايخ بني مفرح فبعث إليهم بالشيخ حاتم بن سعيد الشهابي يخاطبهم في تسليم الحصن فأبوا ذلك ، عندئذ أمر عساكره بقتال من في الحصن حتّى استولى عليه قهرا وقبض على الشيخين عامر وعبد الله ابني مفرح فعفا عنهما مقابل ثلاثة آلاف دينارا [1]، كما أمر في المقابل بقتل الشيخ حاتم بن سعيد الشّهابي المذكور الذّي من المحتمل أن يكون له دور كبير في تمسّك بني مفرح بحصن عزّان واستمرارهم في موقفهم المتصلّب عندما رفضوا الإستسلام لعساكر الأيّوبيّين [2].

ثمّ إن الملك طغتكين نهض لحصار حصن العروس فضيّق على أهله حتّى أخذه دون أن يلقى في ذلك مقاومة تذكر وسار إلى حصن الفصّ فتسلّمه ، بعد أن قتل جماعة من أصحابه وكان بالحصن عمرو وعلوان ابنا السلطان بشر بن حاتم اليامي فطلبا منه الأمان فأمّنهما ومن معهما دون أن يترك سبيلهما [3]. كما استطاعت عساكر الأيّوبيين في الأثناء أن تلقي القبض على السّلطان علي بن بشر بن حاتم لمّا نزل من حصن براش مغيرا على مدينة صنعاء التي كانت خلال ذلك العهد بين يدي السّلطان علي بن عبّاس واليها من قبل الملك طغتكين [4].

ورغم نداءات الإستغاثة التي وجّهها السّلطان عمرو بن بشر بن حاتم لأبيه ليخلّصه وإخوته من الأسر[5] ، فقد ظلّ سلاطين آل حاتم الهمدانيين عاجزين من جهتهم عن التصدّي للجيش الأيّوبي الذّي كان على درجة عالية من التّنظيم والتّجهيز وهو ما جعل مهمّته تبدو على قدر كبير من اليسر . لذلك تابع الملك طغتكين حملته لإخضاع المزيد من القلاع والحصون باليمن الأعلى ، فبعد أخذه لحصن الظّفر من أصحابه قهرا بالسّيف [6]ونجاحه في التصدّي لقوّات الإمام المنصور بالله

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص33 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص333. الكبسي ، اللّطائف السنّية ، ورقة15 ب .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص33 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص333. الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة15 ب .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه، ص33 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص333. أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص 133-134 المصدر نفسه، ورقة15 ب .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص35 .

(5) المصدر نفسه، ص33 .

(6) ابن حاتم ، المصدر نفسه، ص35 . ابن الدّيبع ، قرة العيون ، ج1ص394 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص 134. ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص333.

عبد الله بن حمزة الزّيدي بجهة شوحطان[1] ، سار سيف الإسلام صوب حصن كوكبان وبه السّلطان عمرو بن علي بن حاتم فحاصره ورماه بالمنجنيقات حتّى أخربه [2] ، فلمّا أيقن السّلطان عمرو أنّه هالك بعد أن ضجر أصحابه من طول مدّة الحصار أبدى استعداده لتسليم الحصن فأخذه منه الملك طغتكين في ذي الحجّة من سنة 585 هـ / 1189 م ووهبه مقابل ذلك بلادا بجهة العروس وأطلق له أمواله أينما كانت [3].

ثم إنّ سيف الإسلام تفرّغ لمناجزة السّلطان علي بن حاتم اليامي صاحب صنعاء ، الذي كان التجأ إلى حصن ذمرمر وأحكم التحصّن بداخله ، فكان أن رتّب لحصاره عشرة آلاف راجل وسدّ عليه جميع المنافذ [4] وظلّت الحال كذلك طيلة أربع سنين حتّى بدا الضّجر والتّعب على الفريقين وكثرت نفقات عساكر الأيّوبيّين دون جدوى ، عندئذ لم يجد طغتكين بدّا من مصالحة السّلطان علي بن حاتم على أن يدفع هذا الأخير كلّ سنة للملك الأيّوبي خمسمائة دينارا وخمسمائة كيلة[5] من الطّعام ولا يكون له مع ذلك أيّ نفوذ ببلاد اليمن[6] . فلمّا تمّ اتفاق الصّلح

---

(1) شوحطان : مدينة باليمن بالقرب من صنعاء يقال لها قصر شوحطان والشوحط اسم شجر ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج3 ص420 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج2 ص818 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1 ص334 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص36 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 394. أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص134 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص79 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة15 ب . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص333. التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلة آداب الرّافدين** ، ص 120.

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص36-37 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ص 394. أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص134 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص79 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص334. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة15 ب . التّكريتي ، **المقال السّابق** ، ص 120.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص36 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 394. أبو مخرمة ، **ثغر عدن**، ج 2ص134 . ابن الحسين ، **غاية الأماني**، ج1 ص334.

(5) كيلة : مكيال متداول خلال ذلك العهد ، وقد ذكرها بهذه الصّيغة أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص134 . وهي الصّيغة الصّحيحة في إعتقادنا كما يذهب إلى ذلك أيضا سعيد عبد الفتّاح عاشور (ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص335 هامش رقم1)، في حين وردت في بقية المصادر اليمنيّة بإسم " كيلجة " كما جاء عند ابن حاتم ، **المصدر السّابق** ، ص37 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 395.

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص37 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 395. أبو مخرمة ، **ثغر عدن**، ج 2ص134 . التّكريتي ، **المقال السابق** ، ص 120.

بين الأمير الهمام أبي زبا [1] ممثّلا عن الأيّوبيين والسّلطان علي بن حاتم اليامّي ، أطلق طغتكين على السلطان الهمداني أملاكه أينما كانت[2] قصد احتوائه والحدّ من خطورته ، وهو أسلوب انتهجه سيف الإسلام واقتنع بنجاعته لبسط نفوذه على كثير من بلاد اليمن رغم ما كان بحوزته في المقابل من قوّة عسكريّة ضاربة . كما سلك طغتكين على غرار سلفه توران شاه سياسة تسامح ومهادنة تجاه رجال الدّعوة الطّيبيّة الفاطميّة[3] التي كان مقرّها بجهة حراز، وذلك لما كان يجمع الأيّوبيّين وأصحاب الدّعوة الطيبيّة في الماضي من عداء مشترك إزاء الدّعوة الحافظيّة [4].

وما أن استولى الملك طغتكين على مدينة صنعاء وما جاورها من البلاد ، بعد أن نجح في إزاحة نفوذ سلاطين آل حاتم الهمدانيّين عنها، حتّى تطلّعت أنظاره شمالا صوب مدينة صعدة فسار إليها عن طريق الجوف في ذي القعدة من سنة 586 هـ / 1190 م[5] وهو يرمي إلى القضاء على النّفوذ الزّيدي بها، فدخلها وأقام

---

(1) أورده ابن حاتم (**السّمط الغالي الثمن** ص38) وابن عبد المجيد (**بهجة الزمن** ص80) باسم " أبي زبا " في حين أورده ابن الدّيبع في **قرّة العيون** (ص394) باسم " نوريان " وفي **بغية المستفيد** (ص75) باسم " أبي زبا " .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص38 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن**، ج 2ص134 .

(3) لمّا توفّي الخليفة الفاطميّ العاشر الآمر بأحكام الله مقتولا في يوم الثلاثاء ثاني ذي القعدة من سنة 524 هـ / 1130 م انقسمت الدّعوة الإسماعيليّة بعد أن تهاون المصريون في الأخذ بعقيدة النّص على ولاية العهد ، فقد تولّى الأمر الأميرأبو الميمون عبد المجيد الذي لقّب فيما بعد بالحافظ لدين الله وسمّي أتباعه بالحافظيّة في حين تمسّكت جماعة ثانية من الإسماعيليّة بمبدأ ولاية العهد بحجّة أنّ الخليفة الآمر قد نصّ على ابن له ولد قبل وفاته في شهر ربيع الأوّل من السّنة المذكورة وهو أبو القاسم الطيّب ورغم أنّ العديد من الآراء تشكّك في الوجود التّاريخي للإمام الطّيب إلاّ أنّ ذلك لم يمنع دعوته التي عرفت بإسمه من الإستمرار بعد أن اتّخذت من بلاد اليمن ملجأ لها هروبا من اضطهاد الحافظيّة . ابن ميسّر ، **المنتقى من أخبار مصر** ، ص 109-110. عمارة ، تاريخ ، ص 127-129. الهمداني ، **الصّليحيون والحركة الفاطميّة في اليمن** ، ص182-192 . الشيّال ، **مجموعة الوثائق الفاطميّة** ، ج1 ص74-86 . فؤدا سيّد ، **تاريخ المذاهب الدّينية ببلاد اليمن** ، ص181 وما يليها . **الدّولة الفاطميّة في مصر**، ص177-180 .

(4) Hamdani , " The Tayyibi -Fatimid community of the Yaman at the time of the Ayyubid conquest of Southern Arabia", in *Arabian Studies* , Vol VII, Cambridge 1985. p157 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص36 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 335. الكبسي ، **اللطائف السنيّة**، ورقة15 ب .

بها أيّاما ثمّ رتّب بها ثلاثة مائة فارسا [1] وسار ناحية جبل الأهنوم فاستولى عليه ومنه اتجّه قاصدا بلاد نهم من أعمال حجّور[2] فبسط نفوذه عليها دون أن يلقى في ذلك مقاومة تذكر ، كما دانت له في الأثناء بلاد الشرف وسائر جبال اليمن ومدنه وأصبح بذلك حكمه يمتدّ من صعدة شمالا إلى عدن جنوبا [3].

ولمّا كان المحرّم من سنة 587 هـ / 1191 م عاد الملك طغتكين إلى صنعاء فرتّب بها أميره المسمّى أبا زبا نائبا عنه وجعل في رداع وبلاد عنس ومرعان أميرا وفي جهران والسّفل وبلاد ألهان أميرا وفي الحقل أميرا ، ثمّ أمر الأمراء المقطعين بالطّاعة لأبي زبا وأنّ متى طلبهم لا يتأخّروا وأن يأتمروا بأمره وينتهوا بنهيه[4] .

ثم إنّ الملك طغتكين نزل ناحية البلاد السّفلى فاستقرّ بحصن تعزّ غير متحمّل همّا لصنعاء وماناهجها من البلاد العليا بعد أن نجح في إخضاعها لنفوذه ، وراح يرتّب قواعد مملكته فقرّر القوانين وأبطل الضّرائب القديمة التي في الدّواوين[5] ، كما صرف اهتمامه لبناء الدّور وتشييد القصور فكان أن ابتنى مدينة المنصورة [6] في ذي القعدة من سنة 592 هـ/ 1196 م واتّخذ منها مسكنا [7].

---

(1) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 335. الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة15 ب .

(2) حجّور : موضع في بلاد الشّعر في باليمن سمّي كذلك نسبة إلى حجّور بن أسلم بن عليان بن زيد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج2 ص260 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج1 ص 383 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص38 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1 ص 335. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة15 ب . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلة آداب الرّافدين** ، ص 121.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص38-39 . الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة15 ب . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج 1ص 336. التكريتي ، **المقال السّابق** ، ص 121.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص39 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 395. **بغية المستفيد** ، ص75 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص79 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن**، ج 2ص135 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص336 .

(6) المنصورة : مدينة بناها سيف الإسلام طغتكين شمال حصن الجند ولا يوجد منها الآن إلاّ بعض الآثار . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 5ص245 . البغدادي ، **مراصد الإطّلاع** ، ج 3ص132 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص39 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 336. أبو مخرمة ، **المصدر نفسه**، ج 2ص135 . اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج3 ص476 . سبط ابن الجوزي ، **مرآة الزّمان**، ج8 ص453 . الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة15 ب و16 أ .

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص39 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 336. أبو مخرمة ، **ثغر عدن**، ج2 ص135 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة16 أ . التّكريتي ، ص 121.

وما أن استقام الأمر لسيف الإسلام طغتكين بكثير من أرض اليمن حتى تطلّعت أنظاره صوب منطقة حضرموت فسار إليها واستولى على حصنيها شبام وتريم[1] ثمّ عاد أدراجه ، بعد أن بلغه خبر مكذوب يفيد بأنّ أحد أقربائه وصل من مصر ليقبض منه البلاد [2].

ومكث الملك الأيّوبي في ملكه حازما عازما صارما في التصدّي لمظاهر الفساد ومحاربته حتّى أنّه لم يتوان في قطع يد أمير له من المقدّمين جزاءا لما اقترفه من ظلم في حقّ أحد الرّعايا فكان عبرة لغيره من الأمراء[3].

ونظرا لما كان يمثّله الجند من دور فعّال في استقامة الأمور لبني أيّوب ببلاد اليمن أولى سيف الإسلام عسكره كلّ عناية واهتمام وحال دون كلّ ما من شأنه أن يحدث الفساد والخلاف بداخله ، وفي هذا الصدّد يذكر صاحب " السّمط الغالي الثّمن " أنّ طغتكين أبطل مصاهرة بين أميرين من جنده وهما ياقوت التعزّي وياقوت القحمّي[4] وذلك خشية أن يتسبّب ذلك في إفساد العسكر وإختلافه [5].

ولم يزل الملك سيف الإسلام طغتكين يقرّر قواعد دولته ويرسي دعائمها بكثير من الحزم واليقظة حتّى وافته المنيّة بمدينة المنصورة في يوم الإربعاء الموافق للسّادس والعشرين من شهر شوّال من سنة 593 هـ / 1197 م [6].

---

(1) تريم : إحدى مدينتي حضر موت ، لأنّ حضرموت اسم للإقليم بجملته ومدينتاها شبام وتريم وهما قبيلتان سمّيت المدينتان بإسميهما . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 2ص33 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج 1ص261 .

(2) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص39 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة16 أ .

(3) لقد أجمع العديد من المؤرّخين والكتّاب القدامى والمحدثين على عظمة شخصيّة سيف الإسلام طغتكين وأشادوا بسياسته الحازمة رغم مواطن الشدّة التي فيها . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص40-41 . أبو مخرمة ، **ثغرعدن** ، ج 2ص133 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص338 . التّكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلة آداب الرّافدين** ، ص 121.

(4) نسبة إلى قحمة وهي من مخاليف اليمن كان أقطعه إيّاها سيف الإسلام طغتكين . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص39 . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج4 ص353 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ج 3ص1068 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص39 .

(6) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج2 ص166 . النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج 28ص454 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص136 . الوصابي ، **تاريخ وصاب** ، ص111 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص339 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص398-399 . ابن الأثير ، **الكامل** ، ج 12ص129 . ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج 6ص127 . سبط ابن الجوزي ، **مرآة الزّمان**، ج 8ص 121 . اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج3 ص475 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة16 أ . الزّركلي ، **الأعلام** ، ج4 ص 327 . زامباور ، **معجم الأنساب** ، ج 1ص 152. محمود ، **تاريخ اليمن السّياسي** ، ص253 . التّكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلة آداب الرافدين** ، ص 121.

خاتمة :

لقد أظهر الأيّوبيون بزعامة صلاح الدّين حرصا وإصرارا كبيرين لأجل ضمّ بلاد اليمن إلى مجال نفوذهم فتمكّنوا بعد جهود كبيرة من إخضاعها لسلطانهم ، وذلك بعد أن نجح الملك المعظّم توران شاه ومن بعده أخيه الملك سيف الإسلام طغتكين في إزاحة أبرز القوى السّياسيّة الفاعلة بهذا الإقليم ،كبني مهدي بزبيد وبني زريع بعدن وآل حاتم الهمدانيين بصنعاء ، مستفيدين -إلى جانب إمتلاكهم لقوّة عسكريّة ضاربة -من التّناقضات الإيديولوجيّة والإنقسامات السّياسيّة التي حكمت العلاقات بين مختلف الأطراف اليمنيّة المتواجدة طوال تلك المرحلة القلقة .

الفصل الثاني : نهـــايـــة الإستقـــرار وتراجع التـــفـــوذ الأيّوبـــي بـــبـــلاد الـــيمـــن

تمهيـــد :

لئن تمكّن الملك سيف الإسلام طغتكين بعد جهود كبيرة من تأكيد السّيطرة الأيّوبية ببلاد اليمن وإرساء قواعد دولة ما لبثت أن قويت شوكتها واشتدّت ، فإنّ موته قد شكّل بداية عهد سياسي جديد إتّسم خلاله الحكم الأيّوبي بحالة من الضّعف والتّراجع ، وذلك بعد أن فقد تماسكه من الدّاخل وأتاح الفرصة في المقابل للقوى المناوئة وعلى رأسها الحركة الزّيديّة لكي تشكّل خطرا داهما ما إنفكّ يهدّد الحضور الأيّوبي ببلاد اليمن منذ ذلك العهد .

1- عهد الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين أو بداية الإختلال:

كان الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين أكبر أولاد أبيه وكان هذا الأخير يعوّل عليه في كثير من الأمور [1]، ثمّ ما لبث المعزّ أن خالف أباه حتّى قلاه وطرده فخرج مغاضبا له يريد اللّحاق بأهله الذّين بمصر والشام [2]. وفي هذا السّياق تجمع العديد من الرّوايات على أنّ جوهر الخلاف بين الأب وابنه يعود إلى خروج هذا الأخير عن مذهب أهل السّنّة واتّباعه لمذهب الباطنيّة فكان أن خشي الملك طغتكين أمره وطلب إليه مغادرة البلاد [3]. غير أنّه من المجازفة التّسليم بصحّة هذا الرأي الذّي يبقى في حاجة إلى مزيد من التّأكيد والإجماع ، ذلك أنّ أهمّ

---

(1) أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص51 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون، ج1ص400 . التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن" ، مجلّة آداب الرّافدين ، ص 121.

(2) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص80 . ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص76. ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص340 . ابن حاتم ، السّمط الغالي الثّمن ، ص43 . الحنبلي ، شفاء القلوب ، ص 270. الكبسي ، اللّطائف السّنية ، ورقة 16أ . في حين يذكر أبو مخرمة (ثغر عدن، ج 2ص 51) وابن الدّيبع (قرّة العيون ، ج1ص 400) بأنّ الملك المعزّ إسماعيل خرج قاصدا بغداد وهو افتراض ضعيف حسب اعتقادنا لاسيما وأنّ أغلب المصادر تجمع على أنّه كان متوجّها شمالا آخذا على طريق حرض بجهة المخلاف السّليماني ، كما أنّ هذا الإفتراض لا ينسجم وما قيل عن الملك المعزّ من أمر خروجه عن مذهب أهل السّنّة وأتباعه لمذهب الإسماعيليّة ذلك أنّه من قبيل الخطأ أن يكون الرّجل ذا ميول شيعيّة ويتّجه صوب بغداد عاصمة أهل السنّة خلال ذلك العهد .

(3) إبن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص 400 . أبو مخرمة ، المصدر نفسه ، ج2 ص51 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص 340 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة 16أ . الأكوع (إسماعيل) ، المدارس الإسلاميّة في اليمن ، دار الفكر دمشق 1980م ، ص18 .

مؤرّخ إسماعيلي وهو الدّاعي عماد الدّين إدريس[1] لا ينقل لنا مثل هذه الأخبار عن المعزّ شأنه في ذلك شأن العديد من المصادر التاريخيّة الأخرى [2] التّي تجاهلت فحوى هذا الخلاف ولم تفصّل الحديث عنه بما ينسجم والخبر المشار إليه .

وبوفاة الملك سيف الإسلام طغتكين في شوّال من سنة 593 هـ / 1197 م غدا منصب الحكم في الدّولة شاغرا وعجزت الأسرة الأيّوبية في اليمن عن توفير شخص قادر على الأخذ بزمام الأمور بعد رحيل المعزّ إسماعيل بن طغتكين. وأمام خطورة الموقف كان لا بدّ من التحرّك لملء الفراغ المؤسّساتي الذّي أحدثه موت سيف الإسلام المفاجئ، فكان أن تمّ إرسال مملوكين من مماليك الملك طغتكين قصد اللّحاق بإبنه المعزّ إسماعيل وإطلاعه على خبر وفاة والده وعلى ما آل الأمر إليه من بعده ، وقد تمكّن المبعوثان من إدراك المعزّ بحرض من منطقة المخلاف السّليماني فأخبراه بما طرأ إثر رحيله [3].

ولأنّ المعزّ من جهته كان كثير التطلّع إلى السّلطة فإنّه سرعان ما أثنى عزمه على الرّحيل وقرّر المكوث باليمن لتسلّم مقاليد الحكم بها خلفا لأبيه ، بعد أن علم صحّة خبر موته . فكان أوّل شيء فعله المعزّ قتل القاضي الأسعد[4] أمير حرض واستباحة أمواله وجميع ما في داره من العبيد والخدم والجواري[5] ، ثمّ سار في ذي القعدة من سنة 593 هـ / 1197 م ناحية زبيد فمكث بها بعض الوقت وذلك قبل أن يتوجّه إلى حصن تعزّ ويستولي عليه .

---

(1) Hamdani , " The Tayyibi-Fatimid community of the Yaman at the time of the Ayyubid conquest of Southern Arabia" , in *Arabian Studies* , Vol VII, Cambridge 1985 . p 157.

(2) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص 43. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص80 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص76. أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص11 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص 73. أبو الفدا ، **تاريخ**، ج3 ص 102 . الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 9ص124 . ابن كثير ، **البداية والنّهاية** ، ج 13ص27 . الزّبيدي ، **ترويج القلوب في ذكر ملوك بني أيّوب**، ص58 . الحنبلي ، **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب** ، ج4 ص312-313 . الذّهبي، **العبر في خبر من غبر** ، ج 4ص 301. الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج 5ص64 . ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 5 ص 334.

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص 44. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص400 . **بغية المستفيد** ، ص76 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن**، ج2 ص51 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص80 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص341 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة16 أ . التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ،.ص 122 .

(4) كان القاضي الأسعد من أبرز كتّاب الملك طغتكين المقرّبين وأعوانه المخلصين فضلا عن سعة علمه وفضله لذلك ولاّه سيف الإسلام المخلاف السليماني الذي كانت قاعدته حرض خلال ذلك العهد . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص43 . ابن الحسين . **المصدر نفسه** ، ج1 ص341 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 16أ .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 44. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص341 . **المصدر نفسه** ، ورقة 16أ .

وبحلول سنة 594 هـ/ 1198 م وصل إلى حصن تعز الأمير الهمام أبو زبا صاحب صنعاء فبذل للملك المعزّ معاني الطّاعة وأظهر له عبارات الولاء بقوله :" إنمّا أنا من جملة المماليك والعبيد وأنت أولي بملك أبيك وببلادك "[1]، ثمّ إنّ النّاس جميعا أجابوا المعزّ بالطّاعة ولم يخالفوه وسلّمت له الحصون وجميع البلاد التي كانت تحت سيطرة والده الملك طغتكين[2] .

غير أنّ الولاء الكبير الذي حظي به الملك المعزّ غداة تسلّمه مقاليد الحكم لم يكن ليثني عزمه على مواصلة التخلّص من نوّاب أبيه وإزاحتهم ، فكان أن عمد في المحرّم من سنة 594 هـ / 1198 م إلى قتل الأمير الهمام أبي زبا نائب أبيه على صنعاء وعيّن بدله الأمير الشّهاب الجزري [3].كما عمل المعزّ في الأثناء على استمالة السّلطان علي بن حاتم اليامي وكتب له في ذلك كتابا ووعده بأنّه سيعيد له صنعاء إن هو دخل في طاعته[4] ، وذلك محاولة منه لإفشال كلّ إمكانيّة تحالف[5] بين سلاطين همدان والإمام الزّيدي المنصور بالله عبد الله بن حمزة[6] ، الذي ما

---

(1) ابن حاتم . **السّمط الغالي الثّمن** . ص 45.

(2) **المصدر نفسه** . ص 45.

(3) ابن حاتم . **المصدر نفسه** . ص 45. ابن الدّيبع . **قرّة العيون** . ج1ص401 . **بغية المستفيد** . ص76 . ابن عبد المجيد . **بهجة الزمن** . ص80 . ابن الحسين . **غاية الاماني**. ج 1ص341 . الكبسي . **اللّطائف السنيّة** . ورقة 16أ .

(4) ابن الحسين . **المصدر نفسه** . ص 341. الكبسي . **المصدر نفسه** . ورقة16 أ .

(5) كان الملك طغتكين قد سبق له أن فرض على السّلطان علي بن حاتم اليامي ضريبة سنويّة قيمتها خمسمائة دينارا وخمسمائة كيلة من الطعام يدفعها لنائبه على صنعاء الأمير الهمام أبي زبا . لكن السّلطان علي بن حاتم ما لبث أن أمسك عن دفع هذه الإتاوة للأيّوبيّين وأظهر الولاء للإمام الزيدي المنصور بالله عبد الله بن حمزة فلمّا كانت سنة 593هـ / 1197 م بعث للإمام المذكور بأخيه السّلطان بشر بن حاتم وهو يومئذ في الجوف يسأله النصرة والقيام فأجابه الإمام المنصور بالله إلى ذلك . ابن حاتم ،**المصدر نفسه** . ص41-42 .

(6) هو الإمام الأعظم المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمان بن يحي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسّي ، كانت ولادته بقرية عيشان من ظاهر همدان لإحدى عشرة بقيت من ربيع الأوّل من سنة 561هـ/ 1165 م وظهرت دعوته سنة 593 هـ / 1197م ثمّ توفي خلال سنة 614 هـ / 1217م ودفن بظفارفكانت مدّة حياته ثلاث وخمسين سنة ومدّة إمامته إحدى وعشرين سنة ، وكان من الأئمّة المعظّمين له التّصانيف العجيبة في فنون العلم محيطا بعلم الأدب حتّى قيل أنّه كان يحفظ من أشعار العرب مائة ألف بيت . المحلّي . **الحدائق الورديّة في مناقب أئمّة الزّيدية** . ورقة 139ب . 140أ . 144ب . 145أ . ابن حاتم . **السّمط الغالي الثمن** . ص171 . ابن الحسين . **غاية الأماني** . ج1ص406 . ج 1ياقوت . **معجم البلدان** . مادّة "ورور" . ج5ص430. ابن الدّيبع . **قرّة العيون** . ج1ص-402 401 . فؤاد سيّد . **تاريخ المذاهب الدّينيّة في بلاد اليمن** . ص 267-270. الهمداني . **الصّليحيون** . ص 286
Schneider ," Les inscriptions arabes de l'ensemble architectural de Zafàr-Di Bin au Yemen du Nord, Comptes rendus de l'Academie des inscriptions et Belles-lettres .(Juillet-Octobre 1979) , in *Journal Asiatic* ; 273 (1985) pp61 -137, 293-369.

إنفكّت شوكته تتقوّى بالبلاد العليا منذ أواخر عهد الملك طغتكين . وقد أبدى السّلطان علي بن حاتم شيئا من التّرحاب والقبول بهذا العرض الذّي يتلاءم وطموحاته ، ولإظهار معاني الرّضي والطّاعة إزاء الملك المعزّ بعث له بسفارة يرأسها أخوه السّلطان بشر بن حاتم وولدة عمرو بن علي ، فلمّا أقبلا على المعزّ أمسكهما في الأسر وخرج إلى الحقل[1] ناكثا عهده . لذلك ظلّ السّلطان علي بن حاتم اليامي على موالاة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة [2] ، الذّي راح يعمل من جهته على الإستفادة من السّياسة المتصلّبة، التّي كان إنتهجها الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين منذ أن إعتلى سدّة الحكم في الدّولة غداة موت أبيه سيف الإسلام طغتكين .

أ - فشل سياسة الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين وتعاظم وطأة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة :

لم تكن سياسة الإقصاء والتصلّب التي إنتهجها الملك المعزّ غداة إستلامه مقاليد الحكم في الدّولة إلاّ مؤشّرا لفشل سياسي ذريع وبداية لمنعرج خطير ، سيعرف خلاله الحكم الأيّوبي كثيرا من الضّعف والتّراجع أمام تعاظم أمر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الزّيدي ، الذّي لم يترك من جهته الفرصة تذهب دون الإستفادة منها على أحسن وجه .

ففي الوقت الذي كان الملك المعزّ يعمل على زعزعة قواعد ملكه بيديه عبر أسلوب إنتقامي خال من كلّ ديبلوماسيّة ، كان الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة يسعى من جهته جاهدا إلى تقوية جانبه عبر سياسة إحتوائيّة مرنة ، فتمكّن بذلك من كسب عديد الأنصار والحلفاء حتّى إنتشرت دعوته وظهر أمره بكثير من بلاد اليمن [3].

ونظرا لما كان يمثّله تعاظم شأن الزّيديّة ببلاد اليمن من خطر يتهدّد الحضور الأيوبي بشكل جادّ ، فقد سارع الملك المعزّ من جهته خلال سنة 594 هـ / 1198 م إلى تدارك الأمر وسار بعساكره ناحية صعدة وهو ينوي التصدّي لقوّات الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، فلمّا وقع القتال بين الفريقين ولم يتمكّن المعزّ من التغلّب على أصحاب الإمام عاد إلى صنعاء ومنها إلى

---

(1) الحقل : مخلاف باليمن يقال له حقل جهران وقال بعضهم الحقل من بلاد خولان من نواحي صعدة . ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ص 321. البغدادي ، مراصد الإطّلاع ، ج1 ص415 . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص341 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص 402.

(2) ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص 341. ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج1ص402 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص80 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة16 أ .

(3) المحلّي ، الحدائق الورديّة ، ورقة 162أ . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة 16أ . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص 342.

Schneider , " Les inscriptions arabes de l'ensemble architectural de Zafàr-Di Bin au Yemen du Nord ", Comptes rendus de l'Academie des inscriptions et Belles- Lettres (Juillet-Octobre 1979 , in *Journal Asiatic* 273 (1985) p 556 .

زبيد بعد أن أخرب في طريقه دار العزّ التي كانت بنتها الملكة الحرّة السيّدة الصّليحيّة بمدينة ذي جبلة [1].

وأمام تراجع عساكر الأيّوبيين وعجزها عن التصدّي لقوات الإمام الزّيدي عبد الله بن حمزة سيعمل هذا الأخير على مزيد توسيع نفوذه ببلاد اليمن مستغلاّ في ذلك الجفوة الحاصلة بين العديد من الأهالي ورجال الدّولة الأيّوبية، فبعد أن استتبّ له الأمر في جهات صعدة رجع الإمام إلى الجوف فمكث في حصن براقش[2] وهناك وردت إليه كتب الأشراف والسّلاطين من كلّ جهة يطلبون إليه الوصول كلّ منهم إلى جهته لما يرجونه من الفرج على يديه ممّا هم فيه من سوء معاملة الدّولة الأيّوبيّة لهم [3].

وما أن أدرك الإمام ما لاقته دعوته من نجاح وظهور بعد أن وصلته الكتب والقصائد تحرّضه على النّهوض [4]، حتّى سار من الجوف قاصدا أثافت ومنها إلى بني قطيل [5] فوصل إليه جماعة من الأمراء من جهات كثيرة بجيوش عظيمة ، فلّما اجتمعوا بين يديه خطب فيهم خطبة بليغة حثّهم فيها على الطّاعة والقيام بواجب الجهاد [6]، ثمّ نهض بعدها إلى مدع ومنها إلى كوكبان فلقاه الأمير عمرو بن علي بن حاتم اليامي باذلا له معاني الطّاعة والولاء ، فلمّا كثرت الوفود القادمة إليه انتقل إلى حصن شبام حتّى يكون قريبا من مدينة صنعاء [7].

ثمّ إنّ الإمام عبد الله بن حمزة شرع في شنّ الغارات على القلاع والحصون المجاورة لمدينة صنعاء فأخذ حصن الظّفر وحصن شبام يعاضده في ذلك الأمير عمرو بن علي بن حاتم اليامي [8]، وأجمع رأي السّلاطين والأمراء المجتمعين بين يديه على قصد حضّور [9] فوافقهم على ذلك وجعل على رأسهم كلّ من الأمير العفيف

---

(1) ابن الحسين، **غاية الأماني** ، ج1 ص 342. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص402 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** . ص80 .

(2) براقش : بالقاف والشين المعجمة ، حصن بناه أحد التبابعة وسكنه بنو الأوبر بلحارث بن كعب . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 1ص 434. البغدادي . **مراصد الإطلاع** ، ج1 ص174 .

(3) المحلّي ، **الحدائق الورديّة** ، ورقة 163أ . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 342.

(4) المحلّي ،**المصدر نفسه** ، ورقة 163أ . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 342.

(5) بنو قطيل بن شاور : بطن من حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عرب بن جشم بن حاشد من همدان. كحالة ، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ، ج 3ص962 .

(6) المحلّي . **المصدر نفسه** ، ورقة 163أ . ابن الحسين ،**المصدر نفسه**، ج1 ص343 .

(7) المحلّي . **المصدر نفسه** ، ورقة 163أ . ابن الحسين ،**المصدر نفسه**، ج1 ص343 .

(8) ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 342 .

(9) حضور : بالفتح ثمّ الضم وسكون الواو وراء ، بلدة باليمن من أعمال زبيد سمّيت بحضور بن عدّي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ . ياقوت . **معجم البلدان** ، ج2 ص314 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج 1ص410 . الهمداني . **صفة جزيرة العرب** ، ص 230.

المفضّل والأمير بشر بن حاتم اليامي ، كما تعزّز جانب الإمام في الأثناء بوصول الأمير الحسن بن علي بن داود القاسميّ من المغرب بأصحابه، ثمّ سار الجميع بعد أن أخربوا مواقع كانت تأوي إليها عساكر الأيّوبيين وهي قصبة محيب [1] ودرب ظلمان [2].

ولمّا وصل أصحاب الإمام ناحية حضور نهضوا إلى بيت خولان فخرجت إليهم عساكر الأيّوبيين من صنعاء بقيادة عاملها الشّهاب الجزري وقائده سيف الدّين حكو بن محمّد الكردي[3] ، فهزمتهم وإستعاد الأيّوبيون قرية بيت خولان بعد أن أعملوا فيها النّهب وقتلوا من أهلها رجلين [4].

غير أنّ هذا النّصر المبدئي ، الذّي حقّقته عساكر الجزري على حساب أصحاب الإمام المنصور باللّه الزّيدي ، لا يمكن أن يخفي بأيّة حال من الأحوال ما عليه جبهة الأيّوبيّين من هشاشة وضعف كبيرين . إذ ما لبث أن دبّ الخلاف بين الشّهاب الجزري عامل الملك المعزّ على صنعاء وقائده الأمير حكو بن محمّد الكردي ، ممّا جعل هذا الأخير يضمر الموالاة للإمام المنصور باللّه ويكاتبه في ذلك على جهة الكتمان حتّى أجابه الإمام بالقبول والتّرحاب وبعث له بالشّريف علي بن موسى العبّاسي فلقيه بمغارب ذمار وأخذ عليه البيعة سرّا في اليوم الثّالث من شهر رمضان من سنة 594 هـ / 1198 م [5].

فلمّا بلغ الملك المعزّ ميل قائده حكو إلى جانب الإمام أرسل طائفة من جنده للقبض عليه حتّى وافوه عند ذمار ، فلمّا إجتمع بهم حكو أكرمهم وأنصفهم وأظهر لهم أنّه قاصد المعزّ وسار الجميع ، فلمّا بلغوا الحقل أعمل حكو الحيلة وإنسلّ بأصحابه ليلا ، ثمّ قفل راجعا إلى ناحية جبل كنن[6]

---

(1) محيب : موضع في وادي الخارد ، أحد أودية الجوف باليمن من مخلاف بعدان ثمّ من عزلة الحرث . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص155-156 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص343 .

(2) ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص343 .

(3) أمير من الأمراء الأكراد عرف بالشجّاعة والشّهامة والإقدام على ممارسة الحروب ، اختلف في تسميته فأورده ابن حاتم اليامي (**السّمط الغالي الثمن** ، ص45 وما بعدها) وابن الحسين (**غاية الأماني** ، ج1 ص342 وما بعدها) بإسم حكو وحكوا في حين ضبطه حميد المحلّي (**الحدائق الورديّة** ، ورقة169 ب) و ابن عبد المجيد (**بهجة الزمن** ، ص802) وابن الدّيبع (**قرّة العيون** ، ج1ص402) بإسم جكو وجكوا .

(4) الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 16ب . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 344.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص46 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص344 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 16ب .

(6) كنن : بكسر أوّله وفتح ثانية ، جبل باليمن من أعمال صنعاء من بلاد خولان على رأسه قلعة يقال لها قيلة لبني الهرش . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 4 ص551 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج 3ص1182 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 344.

أيــن كــان اتّفــق والإمـــام المنصـور بالله عــبـد الله بن حــمـزة على اللّقـــاء [1].

وفي المقابل كان الإمام قد أمر أهل سنحان بالإنضمام إلى الأمير حكو الكردي وسار هذا الأخير بمن معه إلى حصن لاحج [2] فإستولى عليه بعد أن قتل من فيه من عساكر الأيّوبيين ، ثمّ نهض إلى محلّ يقال له البرّتان [3]من بلاد نهد[4] فنهبه وقتل جماعة ممّن فيه من أصحاب الملك المعزّ [5].

وكان قد وافق أن أرسل الملك المعزّ إلى الأمير الشّهاب الجزري عامله على صنعاء بخزانة عظيمة وندب لها الجزري من صنعاء مائة فارس لحمايتها، فإعترض سبيلهم الأمير حكو في موضع يسمّى الماورة بأسفل وادي خدار ونهب الخزانة التي بحوزتهم وأسر بعض المماليك [6] .

وما أن تأكّد الإمام المنصور بالله من ميل الأمير حكو إليه وعزمه على مناجزة الأيّوبيين دون هوادة أفتى أوعز إلى عامله على مذحج الأمير أبي الفتح محمّد بأن يمدّ حكو بشيء من المال لمزيد إحتوائه وإستمالته [7] ، ثمّ سار حكو للقاء الإمام آخذا على ذمرمر فأقام بها أيّاما يغير على البلاد التّي كانت بحوزة الأيّوبيين [8] .

فلمّا كان شهر ذي القعدة من سنة 594 هـ / 1198 م إجتمع الإمام المنصور بالله بالقائد الكردي حكو وسرّ بلقائه سرورا عظيما وجدّد عليه أيمان البيعة [9] ، وكمكافأة له على صنيعه الحسن عيّنه سلطانا على الجند والأمراء الذّين في خدمته وألزمهم على المشي بين يديه مترجّلين ، ثمّ شال غاشيته فأعطاه إيّاها [10] فملك بذلك جوارحه وقطع عن الأيّوبيين كلّ أمل في إستمالته .

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص47 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص344 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة 16ب .

(2) لاحج : قرية من قرى صنعاء باليمن . ياقوت ، معجم البلدان ، ج5ص6 . البغدادي ، مراصد الإطلاع ، ج3 ص1193 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص344 .

(3) البرّتان : هضبتان في ديار بني سليم وقيل جبلان ، وهي أرض لبني أبي بكر بن كلاب وقيل غير ذلك . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص345 . ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ص442 .

(4) نسبة إلى بني نهد من قضاعة كانوا قد سكنوا اليمن بجوار خثعم ، والعامّة تسميّهم السّرو لأنّ بلادهم من السّروات والسّروات بين تهامة والجبال ونجد من اليمن والحجاز . عمارة ، تاريخ ، ص155 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص345 .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص47 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص345 .

(6) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص47 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص345 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة 16ب .

(7) ابن حاتم ، المصدر نفسه، ص48 . ابن الحسين، المصدر نفسه، ج1 ص345 .

(8) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص48 . ابن الحسين، المصدر نفسه، ج1 ص345 .

(9) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص48 . الكبسي ، المصدر نفسه، ورقة 16ب .

(10) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص48 . ابن الحسين، المصدر نفسه ، ج1 ص345 . الكبسي ، المصدر نفسه ورقة 16ب .

ثمّ إنّ الإمام المنصور بالله سيّر الأمير حكو الكردي في جيش ناحية الجنّات [1] لقتال من فيها من عساكر الأيّوبيّين وأمر في الأثناء عمرو بن علي بن حاتم اليامي أن يصحب حكو في ذلك وكتب إلى الأمير محمّد بن إبراهيم أن يلقاهم من جهة المشرق بجموع حاشد وبكيل والظّاهر ، فلمّا علم بهم من في الجنّات من الأيّوبيين حتّى إرتفعوا عنها ، عندئذ لم يجد حكو بدّا من مواصلة السّير نحو صنعاء لمحاصرتها [2] وأخذ في شنّ الغارات من حولها حتّى ضاقت منه عساكر الأيّوبيين ضيقا عظيما [3].

وفي المقابل كانت جبهة الملك المعزّ تزداد تفكّكا وضعفا ، بعد أن أظهر أسيرا كرديّا آخرا الخلاف عليه وهو المقدّم هشام الكردي وسار بمن معه إلى الإمام فرحبّ به وأكرمه [4]. عندئذ أحسّ الملك الأيّوبي بخطورة الموقف ونهض إلى ناحية حصن شبام لمباغتة أصحاب الإمام ، فلمّا أشرف على مدينة صنعاء عسكر بظاهرها . في حين عمل الإمام من جهته على تحصين قرية شبام ولزوم شوارعها والتحوّط بداخلها [5]، حتّى وصله الخبر بخلاف الأمير شمس الخواص على الملك المعزّ بعد أن همّ هذا الأخير بقتله فحصل عند الإمام من هذا الخبر إستبشار وسرّت نفسه به [6] .

أمّا الملك المعزّ فقد أيقن بعد خروج الأمير شمس الخواص عليه من أنّه غير قادر على التصدّي لجبهة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة التي ما انفكّت تتقوّى يوما بعد يوم ، في حين ظلّ الملك الأيّوبي وحيدا ليس معه سوى خواصّه كالشّهاب الجزري والشّهاب رشيد في عدّة من المماليك[7] .

ويصف الأمير بدر الدّين الحسن بن علي بن رسول الوضع الصّعب الذي آل إليه حال الملك المعزّ بقوله : " كنت يومئذ حاضرا لأنّي كنت رهينة عن والدي مع الملك المعزّ وقد أسلمني للشّهاب رشيد ، فلمّا بقي المعزّ وحده ليس معه أحد وعلم بمخالفة العسكر مع شمس الخواص رأى أنّ وقوفه في صنعاء غير صائب ، فثنى عزمه عن المخرج الذي كان عزم عليه إلى شبام ورجع إلى اليمن ، وحمل عياله وما إتّفق له من المال على

---

(1) الجنّات : موضع في بلاد همدان وهي بلدة عامرة ذات بساتين بجانبها بناء مسوّر يسمّى قصر الجنّات . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب**، ص 244.

(2) ابن الحسين، **غاية الأماني** ، ج1 ص345 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 16ب .

(3) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص48 .

(4) **المصدر نفسه** ، ص 48.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص48 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص346 .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص49 . ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص346 .الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 16ب .

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص50 .

البغال وسار ورتّب في المدينة رتبة ولم يزل سائـــرا حتّى وصـــل نقيـــل صيد وضربت عليه بنو سرحة الطّبل في سمارة وخرجوا عليه فنهبوا من نهبوا ونجا من نجا ، ووصل تعزّ بعد الأين والتّعب ومقاساة الشدّة والحين " [1] .

ولمّا تأكّد شمس الخواصّ من عودة المعزّ إلى اليمن الأسفل حطّ بجبل عصر[2] في ستّمائة فارس وأرسل إلى الإمام يعلمه أنّه منتظر قدومه لينهضا جميعا إلى مدينة صنعاء وحثّه على ذلك [3]. وبعد تردّد عزم الإمام المنصور بالله على ملاقاة شمس الخواصّ فنهض إليه حتّى لقيه ثمّ سارا سويّا صوب صنعاء وبها سبعمائة فارس من عساكر الأيّوبيّين فخرجوا عنها ودخل الإمام المدينة وكان أهلها قد افترقوا فرقتين فرقة أحبّت دخوله وفرقة كرهته[4] ، ثمّ اتّجه الإمام ناحية الجامع فتتالت إليه النّاس للتحيّة حتّى غصّ بهم المكان كثرة [5].

ورغم أنّ الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة قد عمد إثر حلوله بصنعاء إلى فتح السّجن وإطلاق من فيه من المحبوسين والمساجين لكسب ودّهم فيصبحون بذلك من أنصاره ، فإنّ شقّا كبيرا من أهالي هذه المدينة قد عارض وجوده وظلّ متخفّيا [6] ممّا أتاح الفرصة للأمير شمس الخواصّ كي ينادي لهؤلاء بالأمان ويعمل الحيلة للتخلّص من الإمام حتّى تخلو له المدينة بدون منازع [7] .

وفي الأثناء كان الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة قد نجح في التخفّي ببعض دور صنعاء حتّى تمكّنت باقي عساكره من دخول المدينة بقيادة الأمير حكو الكرديّ فتقوّى بذلك جانبه وبايعه النّاس ، أمّا شمس الخواصّ فإنّه لمّا فشل في مخطّطه وأدرك أنّه غير قادر على الإيقاع بالإمام استأذنه في الرّحيل إلى زبيد فأذن له[8].

---

(1) ابن حاتم ،**السّمط الغالي الثّمن**، ص50 .

(2) عصر : بضمّ أوّله وسكون ثانيه، موضع بالقرب من مدينة صنعاء وقيل حصن من حصونها . الخزرجي، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج1 ص34 . ابن الحسين ، **غاية الأماني**، ج 1ص346.

(3) ابن حاتم **المصدر نفسه** ، ص50-51 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص346 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة16 ب .

(4) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص 52.

(5) **المصدر نفسه**، ص 52.

(6) **المصدر نفسه**، ص 52.

(7) **المصدر نفسه**، ص 52-53.

(8) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص50-51 . ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ، ج1 ص346 . الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة 16ب .

وفي المقابل فإنّ الملك المعزّ لما وصلته الأخبار بمسير الأمير شمس الخواص ناحية تهامة خشي من إستيلائه عليها، فبادر في الحين بجمع العساكر الذّين بحوزته وسبقه إلى زبيد فدخلها وأقام بها حتّى وصله شمس الخواص مقيّدا في الأغلال بعد أن اختلف عليه أصحابه وغدروا به ، فقابله الملك المعزّ بالعفو والصفّح وإكتفى بنفيه إلى جزيرة دهلك فمات بها [1].

ثمّ إنّ الأوضاع ما لبثت أن إضطربت خلال سنة 595 هـ / 1199 م بجهات نجران وخولان وذمار فسار إليها الإمام المنصور بالله وحارب أهلها حتّى أذعنوا له بالطّاعة ، كما تمكّن في الأثناء من التصدّي لعساكر الأيّوبيين التي كان سيّرها الملك المعزّ للإستيلاء على مدينة صنعاء وألحق بهم الهزيمة ، بعد أن عاضده في ذلك الأمير حكو الكردي صحبة جموع من قبائل مذحج ومن بلاد عنس وزبيد [2] .

أمّا الشّهاب الجزري عامل المعزّ فقد عمل على الإستفادة من غياب الإمام عن صنعاء وسار ناحيتها وهو ينوي الإستيلاء عليها، فلمّا بلغ ذلك الإمام سارع من جهته إلى تدارك الأمر ودخل المدينة في أثره ، عندئذ ترك الجزري صنعاء وحطّ بحصن براش هو ومن معه من العساكر [3].

ثمّ إنّ الإمام المنصور بالله أحكم الحصار على حصن براش تعاضده في ذلك عديد القبائل سوى السّلطان بشر بن حاتم ، الذي كان قد إنحاز إلى جانب الأمير الشّهاب الجزري وأمدّه بالمال والرّجال [4]. فلمّا طال الحصار ولم ينل الإمام من أصحاب الجزري راسل هؤلاء الإمام في الذمّة عليهم على أن يخلّي سبيلهم فيعودون من حيث أتوا ، فلمّا كره الإمام ذلك خاطبوا الأمير حكو في الأمر حتّى أجابهم لطلبهم شرط أن لا يفسدوا أحدا من العسكر.

لكنّ أصحاب الجزري ما لبثوا أن نقضوا الإتّفاق الذي بينهم وبين الإمام وعملوا في طريقهم على إستمالة جماعة من عسكره ومن أهل سنحان واتّفقوا معهم على الظّهور عند العودة مع الملك المعزّ [5]. فلمّا بلغ الإمام ما أتاه الشّهاب الجزري وأصحابه خاطب الأمير حكو في ذلك وعاتبه، فإستشاط هذا الأخير من صنيعهم وندب في أثرهم طائفة من العسكر بقيادة علي بن فيرك ، فتمكّنوا من القبض على الجزري وعلى جماعة من أعوانه فأودعهم الإمام المنصور بالله السّجن بحصن فدة [6].

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن، ص50-51 . ابن الحسين، غاية الأماني ، ج1 ص346 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة 16ب .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص50-51 . ابن الحسين، المصدر نفسه، ج1 ص346 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة 16ب .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص59-60 . ابن الحسين، المصدر نفسه ، ج1 ص347 .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص60-61 . ابن الحسين، المصدر نفسه ، ج1 ص347 .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص61 .

(6) المصدر نفسه ، ص61 .

وأمام تتالي هزائم عسكر الملك المعزّ أدرك هذا الأخير مدى الخطر الذّي يتهدّد الحضور الأيّوبي ببلاد اليمن ورأى أنّه لا مناص من مواجهة المتمرّدين بنفسه وبادر بجمع العساكر من كلّ جهة فلمّا اجتمع لديه جيش كثيف العدد سار لحرب الإمام وهو ينوي مباغتته [1] . وفي الأثناء كان الأمير حكو قد نهض بدوره من صنعاء يريد اليمن الأسفل دون أن يكون له علم بخروج الملك المعزّ [2] ، فالتقى الفريقان بجهة الحقل بالقرب من نقيل صيد أين دارت بينهما حرب سرعان ما انكشفت عن مقتل الأمير حكو بعد أن انهزم عنه أصحابه إلى ذمار فلاحقهم الملك المعزّ ودخل المدينة قهرا [3].

وبتحقيق هذا النّصر المفاجئ إنقلبت موازين القوى لفائدة الأيّوبيين واستعاد الملك المعزّ شيئا من الثّقة في إمكانيّات أصحابه فسار قاصدا صنعاء يريد مناجزة الإمام المنصور بالله ، الذّي فضّل النّهوض إلى حصن شبام بعد أن بلغه مقتل الأمير حكو وإنهزام أصحابه [4]. ثمّ أقبل المعزّ فوافاه الشّهاب الجزري بعد أن تمكّن من الخروج من سجن الإمام فأعاده عاملا على صنعاء [5].

وفي المقابل كانت جبهة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة قد عرفت شيئا من التّراجع، بعد أن ثار عليه الأمير يحي بن الإمام أحمد بن سليمان وأعلن ولاءه للملك المعزّ [6] ، مظهرا تحدّيه للإمام المنصور بالله بأن كتب إليه يشتمه ويلقّبه بمسيلمة الكذّاب [7]. كما تراجع عنه في الأثناء السّلطان بشر بن حاتم اليامي ومال بمن معه إلى الشّهاب الجزري عامل المعزّ على صنعاء [8] ،

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص62 . ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص348 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص62 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص62 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة16 ب . أمّا ابن الحسين فيذكر أنّ الأمير حكو الكردي قد سار من صنعاء بأمر من الإمام لمواجهة جيش المعزّ بجموع يشقّ حصرها وهذا يعني أنّ هناك استعداد مسبّق لحرب الأيّوبيّين وعلم سابق بمسير الملك الأيّوبي . لكنّ هذا الإستنتاج لا ينسجم وبقيّة الرّواية التي تفيد بمقتل الأمير حكو وانهزام أصحابه بسرعة كبيرة أمام عساكر الأيّوبيين، وتبعا لذلك فإنّ رواية ابن حاتم اليامي التّي تفيد بأنّ الأمير حكوقد خرج نحو اليمن الأسفل دون أن يكون قد استعدّ لحرب الملك المعزّ ولا علم بمسيره تكون الرّواية الأكثر انسجاما ونتيجة المعركة التّي حصلت بين الفريقين . ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص348 .

(4) المحلّي ، **الحدائق الورديّة** ، ورقة169 ب . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص64. ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص348 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة16 ب .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص65 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص348 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة16 ب .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص67 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ج1 ص348 .

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص67 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص348-349 .

(8) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص68 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص349 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة16 ب .

الذي رحّب من جهته كلّ التّرحاب بهذا الشّقاق بإعتباره انتصارا سياسيّا ثمينا للأيّوبيين أمام خصم ما انفكّ يهدّد حضورهم بشكل مستمرّ . لكنّ الإمام المنصور بالله سرعان ما استعاد تماسك جبهته وتمكّن من إلحاق الهزيمة بالأمير يحي بن الإمام أحمد بن سليمان [1]، ثمّ سار بأصحابه حتّى وصل نجران فاستولى عليها بعد أن تراجعت دونه عساكر الأيّوبيّين بقيادة الأمير الشّهاب الجزري [2].

وبحلول سنة 596 هـ / 1200 م نهض الإمام قاصدا صعدة فأقام بها مدّة يسيرة ثمّ عاد إلى الجوف وهناك وفد عليه جمع من السّلاطين ومن رجالات الأقوام المناهضين للملك المعزّ باذلين له معاني الطّاعة والولاء ، فكان أن وافاه السّلطان جحاف بن حميدان في خمسين فارسا من بني منبّه[3] وأقبل عليه عزّان بن فليتة بأصحابه ، كما وصل إليه في الأثناء كتاب من السّلطان عبد الله بن راشد بن شجيعة صاحب حضرموت يحثّه فيه على النّهوض ويخبره بما كان قد حقّقه من جهته من نصر على قوّات الأيّوبيّين بتلك النّاحية من بلاد العرب [4].

وما أن لاحظ الإمام المنصور بالله كثرة رجاله وتيقّن من إجماعهم على نصرته حتّى حثّهم على الصّلح وإجتماع الكلمة وترك أسباب الخلاف ، ثمّ سار ناحية قرية شوابة [5] ومنها إلى منطقة الجنّات فاستولى عليها وأمّن أهلها مقابل ثلاثة آلاف دينار [6]، ثمّ نهض إلى جهة حلملم فوافاه بها أهل المغارب وقضاة آل نشوان في عسكر من حيدان والأداهم [7]. كما وصل إليه في الأثناء من بني ذؤيب ومن أهل

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص68 . ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص350 .

(2) ابن حاتم . **المصدر نفسه** . ص69 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** . ج1 ص350 .

(3) هم بنو منبّه بن أد بن صعب بن سعد العشيرة . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص350 . كحالة ، **معجم قبائل العرب** ، ج3 ص1143 .

(4) ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص350-351 .

(5) شوابة : بليدة على طرف وادي ضروان من ناحية الجنوب بينها وبين صنعاء أربعة أميال . ياقوت، **معجم البلدان** ، ج 3ص419 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج 2ص817 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 351 .

(6) ابن الحسين. **المصدر نفسه**، ج1 ص351 .

(7) الأداهم : جمع أدهم ، إسم لموضع بجهة الشعر من بلاد اليمن ، الهمداني ، **صفة جزيرة العرب**، ص333 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص351 . ياقوت ، **معجم البلدان**، ج1 ص152-153 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج1 ص44 .

شعب حي [1] زهاء سبعمائة فارس [2] ، فأمرهم الإمام بالمسير إلى بني عشب وميتك ونهض في أثرهم حتّى وصل بلاد حجّة فدخل حصن مبين وتفرّقت عساكره بهذه النّواحي لتحصيل الحقوق الواجبة على أهلها [3] .

وأمام تعاظم أمر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، بعد أن نجح في بسط نفوذه على كثير من البلاد العليا ، أيقن الملك المعزّ مدى الخطر المتزايد الذّي يتهدّده بسبب التقدّم المطّرد الذّي ما انفكّت تحرزه قوّات الإمام الزّيدي ونهض في ألف فارس نحو مدينة صنعاء آخذا على جهة بكيل [4] فأخرب بها قرية الجبيجب وهي من معاقل الزّيديّة خلال ذلك العهد ، ثمّ سار منها إلى أثافت فكبس مواجلها ورمى فيها الميّتة تضييقا على أهلها، الذّين كانوا قد بايعوا للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة [5].

كما عمل الملك المعزّ في الأثناء على مواصلة التخلّص من سلاطين آل حاتم الهمدانيّين فأخرب حصن شبام الذّي كان أحد معاقلهم [6] ، ثم حطّ على حصن كوكبان وبه السّلطان عمرو بن علي بن حاتم اليامىّ فضيّق عليه الحصار طيلة أربعة أشهر حتّى أجبره على الخروج إلى حصن بكر تاركا عياله رهينة بين يدي المعزّ [7] ، فكان أن اشترط هذا الأخير مقابل تسريحهم تسليمه حصني بكر والظّفر وخمسين ألف دينارا يدفعها له السّلطان علي بن حاتم لفكاك أخيه السّلطان بشر [8] .

وأمام تصلّب الموقف الأيّوبي كان لا بدّ لسلاطين همدان أن يبحثوا لهم عن مخرج من الوضع الصّعب الذي أصبحوا عليه ، فأشاروا على الإمام المنصور

---

(1) شعب حي : اسم موضع في سراة خولان من جبل السّراة باليمن . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص 116. ابن الحسين ، **غاية الأماني**، ج1 ص351 .

(2) ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص351 .

(3) **المصدر نفسه**، ج1 ص351 .

(4) بكيل : وادي وجبل بسراة المصانع من جبل السّراة باليمن. الهمداني ، **صفة جزيرة العرب**، ص110 .

(5) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص69. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص352 .

(6) كان الملك المعزّ قد تمكّن صحبة الأمير الشّهاب الجزري عامله على صنعاء من الإيقاع بالسّلطان بشر بن حاتم الهمداني وأسره وذلك رغم ما أبداه هذا الأخير من ميل للأيّوبيّين ومناهضة علنيّة للإمام الزّيدي المنصور بالله عبد اللّه بن حمزة . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص69 . ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص351 .

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص70.

(8) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص71. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص352-353 . التّكريتي ، **الأيّوبيون في اليمن** ، ص 124 .

بالله عبد الله بن حمزة بمهاجمة صنعاء حتى يخفّ الحصار على حصن كوكبان [1]، فكان أن أوفد الإمام من جهته أخاه الأمير الحسن بن حمزة في جنود كثيرة إلى حصن ذمرمر ليكون منطلقا لشنّ الغارات على مواقع الأيّوبيّين المحاذية لصنعاء، كما عمل الإمام في الأثناء على مكاتبة قوّاد الملك المعزّ يستميلهم إليه حتّى انحاز إليه أحدهم وهو الأمير هلدري فأمره بالتقدّم إلى ذمرمر صحبة جماعة من الأشراف لمعاضدة أخيه الأمير الحسن بن حمزة [2].

وما أن أتمّ المعزّ اتفاق الصّلح الذي بينه وبين سلاطين بني حاتم الهمدانيّين حتّى سارع بالعودة إلى اليمن الأسفل [3]، بعد أن بدا غير قادر على مواجهة قوّات الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، ليتابع هذا الأخير جولته بالبلاد العليا بغية كسب مزيد من الأنصار والأتباع، ساعيا في الآن نفسه إلى تحقيق شيء من التفوّق على الجانب الأيّوبي الذي ظهر في المقابل آخذا على طريق التقهقر والتّراجع.

فلمّا كانت سنة 597 هـ / 1201 م توجّه الإمام إلى أهل بيحان [4] فألزمهم على الطّاعة وإقامة الجمعة والجماعة والأذان بحيّ على خير العمل بعد أن ضيّق عليهم وأمر بقطع نخيلهم وزرعهم [5]، كما وصل إليه في الأثناء القاضي أبو القاسم راشد بن شبيب السّليماني مظهرا له عبارات الطّاعة والولاء فأحسن الإمام استقباله وكلّفه بسفارة إلى الأمير قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة [6].

---

(1) ابن حاتم، **السّمط الغالي الثمن**، ص71. ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص352. ابن الفرات، **تاريخ**، ج2 ص229. أمّا ابن الدّيبع فيشير إلى وجود اتّفاق بين السّلطان علي بن حاتم الهمداني والإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة يقضي بتقاسم النّفوذ بمدينة صنعاء بين الطّرفين في حالة تمكّن الإمام من البلاد. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1 ص404.

(2) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص71.

(3) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص71. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص353.

(4) ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص354.

(5) **المصدر نفسه**، ج1 ص354.

(6) هو الشريف أبو عزيز قتادة بن إدريس، وهو السّبط العاشر من ولد موسى الحسني الهاشمي الّذين كانوا قد حكموا مكّة منذ القرن الرّابع هجري / العاشر ميلادي بإسم الخلافة الفاطميّة، ومنذ إستطاع قتادة المذكور الإستيلاء على إمارة مكّة سنة 597هـ/ 1201م ظلّت هذه المدينة تحت نفوذ أمراء بني قتادة حتّى مجيء الوهّابيين. ابن خلدون، **تاريخ**، ج4 ص104-105. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4 ص 275-267. ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص412-413. الفاسي، **شفاء الغرام**، ج2 ص198-199. اليافعي، **مرآة الجنان**، ج3 ص 494.

وأمام تراجع الأيّوبيين ازدادت ثقة الإمام عبد الله بن حمزة في إمكانياته وسار بأصحابه لبسط نفوذه على الجهات التّهاميّة ، آخذا على طريق الذّنائب [1]من بلاد حجّة بتعلّة إزالة ما وقع فيها من المعاصي والإمتناع عن تسليم الواجبات فغزا منطقة المهجم والمحالب [2] والهليّة وضيّق على أهلها، مستغلاّ في ذلك ما كان يعيشه الحكم الأيّوبي في الأثناء من تفكّك وانحلال خطيرين بسبب حركات العصيان والتمرّد التي ما انفكّت تتصاعد في وجه الملك المعزّ بعد أن بدا هذا الأخير من جهته عاجزا عن كسب ثقة المحيطين به من أمراء وعساكر .

ب - تصاعد حركات العصيان والتمرّد داخل الصفّ الأيّوبي ومقتل الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين:

إنّ رغم ما كانت تعيشه جبهة الأيّوبيين من تراجع مطّرد أمام التقدّم الكبير الذي ما انفكّت تحرزه قوّات الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الزّيدي بكثير من البلاد اليمنيّة ، فإنّ الوضع الذّي آل إليه الحكم الأيّوبي من الدّاخل لم يكن بأحسن حال بسبب ظاهرة العصيان والتمرّد المتصاعدة في وجه الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين بعد أن بدا من جهته غير قادر على إحتوائها أو التصدّي لها.

ففي جمادى الآخرة من سنة 598 هـ / 1202 م ما لبث أن أعلن الأمير علم الدّين وردشار[3] خروجه على المعزّ وكاتب الإمام المنصور بالله في الإنضمام إليه فأجابه وبعث إليه ببعض أصحابه يستقدمه ، فلمّا بلغ ذلك الأمير الشّهاب الجزريّ عامل المعزّ على صنعاء سعى جاهدا إلى قطع الطريق على الأمير وردشار ليحول دون إنضمامه إلى الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة .

---

(1) الذّنائب : تعرف أيضا بسوق الذّنائب وهي قرية دون زبيد من بلاد اليمن كان قد تولاّها الأمير هلدري من قبل الملك المعزّ . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج3 ص8-9 . البغدادي ، **مراصد الإطّلاع** ، ج 2ص588 . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص 263 ، 291.

(2) المحالب : بلدة دون زبيد من أرض اليمن ، كان قد تولاّها الأمير علم الدين وردشار من قبل الملك المعزّ . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج5 ص71 . البغدادي ، **مراصد الإطّلاع** ، ج 3ص1232 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 70.

(3) هو الأمير علم الدّين ورد شار بن سامي بن أسوـي بن باذان بن موفر الشانكاني الكردي كان من أبرز أمراء الأيّوبيّين ببلاد اليمن وأعظمهم شأنا ومكانة. وقد اختلف في تسميته فأورده ابن حاتم اليامي بإسم " وردشار " وأورده ابن عبد المجيد وابن الدّيبع والخزرجي بإسم " وردسار " في حين جاء ذكره عند ابن الحسين تحت اسم " وردسان " ، أمّا النّقيشة الواقعة في أسفل الجهة الشرقيّة بالمنارة الغربيّة للجامع الكبير بصنعاء والتّي قام الأمير المذكور بتجديدها خلال سنة 603هـ/ 1207م فتورده بإسم "وردشار " وهي التّسمية السّليمة في اعتقادنا . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص70-74 ، 149 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 81. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص405 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج 1ص43 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص355 . وانظر نصّ النّقيشة المشار إليها في : Lewock (R) and Serjeant (R.B), " The architectural history and description of San'a' mosques", in *SAN'A' an Arabian Islamic City* , London 1983.

ثمّ إنّ أهل ريمة الأشايط [1] الذّين كانوا من جهتهم قد أظهروا الخلاف على الملك المعزّ وبايعوا للإمام عبد الله بن حمزة بزعامة شيخهم أبي المعالي ، قد إستقبلوا الأمير وردشار أحسن إستقبال وأنزلوه بينهم معزّزا مكرّما حتّى ندب له الإمام جماعة من الأشراف يؤمّنون وصوله إلى صعدة [2].

لكنّ الأمير هلدري الذّي سبق له أن ثار على الملك المعزّ ومال بمن معه إلى الإمام عبد الله بن حمزة ما لبث أن أضمر الخلاف على هذا الأخير ، بعد أن وصله الأمير طاشتكين بكتاب من الخليفة العبّاسي ببغداد يعده فيه بتمليكه اليمن وذلك بشرط الخلاف على الإمام ، فصار كلّما إستدعاه هذا الأخير تثاقل عن الوصول إليه وأبدى الإعتذار [3] .

ولمّا علم القائد هلدري بتوجّه الأمير وردشار ناحية صعدة وهو مخالف للملك المعزّ إعترض سبيله ليحول دون لحاقه بالإمام وإجباره على الإنضمام إليه [4] ، لكنّ وردشار قد تمكّن من إلحاق الهزيمة بهلدري بعد أن نجح في إستمالة أغلب عساكره وسار بمن معه قاصدا الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة فلمّا وصل صعدة رحّب به الإمام أيّما ترحاب وبالغ في إكرامه [5] .

وفي المقابل ، فإنّ الملك المعزّ قد تمادى في سياسته الخرقاء غير مكترث بعواقبها الوخيمة ، حتّى أنّه لم يتوان في الدّعوة لنفسه بالخلافة والإنتساب لبني أميّة ، ملقّبا نفسه بألقاب كثيرة على غرار "إمام الأيمّة ، كاشف الغمّة ، عالي الهمّة ، مفترض الطّاعة على كافّة الأمّة ... الهادي إلى الحقّ بأمر الله ، أمير المؤمنين " [6] .

---

(1) ريمة الأشايط : مخلاف كبير من مخاليف اليمن . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص4 . ياقوت ، **معجم البلدان** . ج3 ص130 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج2 ص650 .

(2) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص76-77 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص355 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص76 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص78 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص355-356 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص78 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص356 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** . ورقة17 أ .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص71 . ابن الأثير ، **الكامل**، ج 12ص130 . أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص11 . الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 9ص 124-125 . الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج5 ص64 . الحنبلي ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، ج 4ص314-313 . الذّهبي ، **العبر في خبر من غبر** ، ج4 ص301-302 ، 334. ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3 ص 72-73. أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج3 ص102 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص52 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص80 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ص402 . **بغية المستفيد** ، ص76 . الحنبلي ، **شفاء القلوب** ، ص272 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 17ب . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص356 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 125.

ثمّ إنّ الملك المعزّ قد كتب إلى عمّه الملك العادل بمصر يخبره أنّه قد دعا لنفسه بالخلافة فأجابه العادل يلومه في ذلك بقوله " إنّ النّاس لم ترضنا ملوكا لها ، فكيف ترضانا أئمّة وخلفاء ؟ وردّا على انتسابه لبني أميّة أجابه عمّه العادل " إنّا من بني مروان ! فمن أين وصلت إلى هذا العلم الذّي لم نصل إليه ؟ وإنّما نحن قوم من أهل تكريت " [1] .

لكنّ المعزّ لم يبال بإنكار أهله هذا الصّنيع عليه وكتب دعوته بالخلافة في منشور عظيم يعظّم فيه بني أميّة ويسبّ بني العبّاس وأرسل كتب الدّعوة إلى كلّ قطر[2]، أمّا أبو مخرمة فيذكر أنّ الإسماعيليّة قد طمعت في إبطال مذهب السنّة زمن ولاية المعزّ وطلبوا منه سبّ الشيخين على المنابر فقال لهم أخشى السّواد الأعظم عليّ وعليكم [3].

وأمام تصاعد موجة العصيان والتمرّد داخل الصفّ الأيّوبي غدا الملك المعزّ من جهته غير قادر على الأخذ بزمام الأمور والقيام بأيّ عمل هجومي يعكس صلابة جبهته وقوّتها إزاء الإمام الزّيدي المنصور بالله عبد الله بن حمزة الذي ما انفكّت شوكته تتقوّى شيئا فشيئا بعد أن نجح في استمالة الكثير من الأمراء المتمرّدين على الملك الأيّوبي عبر سياسة إحتوائيّة مرنة اعتمدت في كثير منها على الإغداق والإحسان والتّبجيل في حين كان المعزّ يمنع أرزاق الجند ليصرفها على أهل اللّهو والشعراء ، سريع البطش بأصحابه غير مؤتمن جانبه لذلك حقد عليه أعوانه وقلاه المقربّون من رجاله [4].

وقد حاول الملك المعزّ دون جدوى استعادة سيطرته على منطقة الذّنائب من بلاد حجّة بعد أن كان الإمام المنصور بالله قد تمكّن من إخضاعها لسلطته [5] ، وسار إليها في جيش كثيف فوافاه بها الأمير هلدري الذّي كان قد سبق له أن أعلن الخلاف عليه وأظهر له أنّه نكث بيعة الإمام فأقطعه المعزّ حرض وماناهجها من البلاد [6].

---

(1) ابن حاتم . السّمط الغالي الثمن . ص72 . ابن عبد المجيد . بهجة الزّمن . ص80 . ابن الدّيبع . قرّة العيون . ج1ص402 . بغية المستفيد . ص76 . ابن الحسين . غاية الأماني . ج 1 ص 356. ابن الأثير . الكامل . ج 12ص 130. ابن واصل . مفرّج الكروب . ج3 ص136-137 . ابن الفرات . تاريخ الدّول والملوك . ج 2 ص230 . الكبسي . اللّطائف السنيّة . ورقة 17أ .

(2) ابن حاتم . المصدر نفسه . ص72 . الكبسي . المصدر نفسه. ورقة 17أ .

(3) أبو مخرمة . المصدر نفسه . ج2 ص52 . الأكوع . المدارس الإسلاميّة في اليمن. ص 18.

(4) أبو مخرمة . المصدر نفسه . ج2 ص52 . ابن حاتم . المصدر نفسه . ص76 و ص 81. ابن الدّيبع . قرّة العيون . ج1ص404 . الذّهبي . العبر في خبر من غبر . ج 4ص 334 ابن الأثير . الكامل . ج 12 ص 130 . الأكوع . المرجع السّابق . ص19 .

(5) ابن حاتم . المصدر نفسه . ص75 . ابن الحسين . المصدر نفسه . ج1 ص 355.

(6) ابن حاتم . المصدر نفسه. ص78 . ابن الحسين . المصدر نفسه . ج1 ص 356.

ثم إنّ المعزّ تابع حملته فبعد أن استولى على حصون حجّة وملكها أوعز لأحد أمرائه وهو المبارك بن الشعفور يأمره بالتقدّم ناحية بلاد قدم للإستيلاء عليها ، فسار إليها في كثير من العساكر حتّى بلغ حصن حقيل فقبض على صاحبه شهاب بن خالد وكان من حلفاء المعزّ [1]، فلمّا علمت بذلك جموع قدم توافدوا من جميع الجهات فأجابهم كلّ من سمع من العرب وأقبلوا على عساكر الأمير المبارك بن الشّعفور فقتلوهم عن آخرهم [2].

أمّا الملك المعزّ فقد عمد من جهته إلي قتل الرّهائن الّذين وصلوا إليه من بلاد قدم وأكثرهم أطفالا كما أمر في الأثناء بأن يقطع لحم شهاب بن خالد صاحب حصن حقيل ويطعم إيّاه مشويّا ، بعد أن ذبح ولده على صدره نكاية به . ثمّ أطنب الملك الأيّوبي في التّمثيل بالباقين ، فمنهم من أمر بتوسيطه ومنهم من أمر بذبحه ومنهم من أمر بأن تقلع عينه بالإصبع ومنهم من أمر بأن يرمى بالنّفط وآخرون أمر أن يسلقوا في القدر [3].

وكان قد وافق قتل المعزّ لرهائن قدم وصول الأمير سيف الدّين سنقر قادما من جهة الذّنائب فأنكر عليه هذا الفعل ولامه فيه صحبة الأمير يوسف الشعرائيّ وكانا من أكابر عسكره فحقد عليهما المعزّ وأضمر قتلهما [4]، عندئذ لم يجد الأمير سنقر بدّا من مخالفته والخروج عليه وعمد في المقابل إلى استمالة الجند سرّا فلمّا أحكم أمرهم وملك نواصيهم أظهر الخلاف على المعزّ وخرج بمن معه إلى ناحية المهجم شمال زبيد فنهبوا ما فيها من المتاع و الأموال[5] وذلك قبل أن يستقرّ بهم الأمر بقرية المدارة [6].

وقد حاول الملك المعزّ من جهته دون جدوى اللّحاق بالمتمرّدين لذلك إكتفي بترتيب حامية قوامها مائة فارس بمدينة المهجم وعيّن على رأسها مقدّما كرديّا يدعى القرابلي ثم تقدّم إلى الكدراء [7] ، فلمّا علم الأمير سنقر برحيل

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص79 .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص79 .

(3) المصدر نفسه ، ص79 .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص80 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص 356. الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة17 أ .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص80 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص 356. الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة17 أ .

(6) المدارة : بلدة من قرى جهران بجهة البون من بلاد همدان . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ابن الحسين . المصدر نفسه ، ج1 ص356 .

(7) الكدراء : مدينة باليمن على وادي سهام من أرض تهامة اختطّها الحسين بن سلامة سنة 400هـ/ 1010 م . ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ص501 . البغدادي ، مراصد الإطّلاع ، ج3 ص 1151 .

المعزّ عن المهجم سار إليهـا ونهـب ما فيها من الخيل والعدّة والأموال وكفّ عن قتل الجند حتّى يستميلهم إليه [1].

أمّا الملك المعزّ فإنّه لمّا عجز عن الإيقاع بأصحاب الأمير سنقر الدّين بجهة المدارة بعد أن لاقى منهم مقاومة شديدة فضّل العودة ناحية مدينة الكدراء وكان قد ترك بها حريمه، فإعترضت سبيله عبيد تلك الجهات فنهبوا ركبه لذلك تابع سيره في إتّجاه زبيد [2]. في حين كان الأمير سنقر قد عمد إلى دخول مدينة الكدراء والإستيلاء عليها ثمّ راسل الإمام عبد الله بن حمزة في الميل إليه [3] فأجابه الإمام بالقبول وكتب إلى أهل ريمة وبني الشّاوري يوصيهم به وأن يؤووه ويقوموا بشؤونه ، بعد أن كان قد أخبرهم في الأثناء بميله إليه وإلتزامه بطاعته فأجابوه بالإمتثال لأمره وأنّهم يفعلون ذلك إذا وصلهم [4].

ثم إنّ الملك المعزّ بعد أن أعاد التجهّز سار من زبيد لملاحقة الأمير سنقر في عسكر لم يكن منهم إلاّ من هو حاقد عليه لسوء سيرته فيهم وتضييعه لهم وقلّة نظره في أحوالهم وركونه إلى ما لا نفع فيه ولا صلاح [5] . ولمّا كان المعزّ قد جعل أكثر بطانته وأصحاب مشورته الخدم والحريم فقد تآمر الجند على قتله وأضمروه حتّى يحين وقته ، فلمّا صار بموضع يعرف بالقوز [6] شمال زبيد إصطفّ العسكر صفّين ميمنة وميسرة فإستراب منهم المعزّ وأمرهم بالسّير فحمل عليه جماعة من الأكراد فقتلوه صحبة مملوك له يدعى شرف الدّين الحبشي في آخر رجب من سنة 598هـ / 1202 م [7] ، دون أن يكون

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص80 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص80 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 17أ .

(3) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص 356. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 17أ .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص81 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 356.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص81 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص52 . ابن الدّيبع ، **قرة العيون** ، ج1ص404 .

(6) القوز : أو القور ، موضع قرب زبيد من الجهة الشّمالية . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤية** ، ج 1 ص146 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 357.

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص81 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص 81 . ابن الدّيبع ، **قرة العيون** ، ج1ص404 . **بغية المستفيد** ، ص76 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص356 . ابن الأثير ، **الكامل** ، ج12 ص130 . أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص11 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص73 . الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 9ص125 . الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج5 ص64 . الذّهبي ، **العبر في خبر من غبر** ، ج4 ص302 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 3ص102 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 17أ . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السليماني** ، ج 1ص178 . الأكوع ، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، ص19 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن"، **مجلّة آداب الرّافدين** ص126 .

قد لاقى في ذلك حميّة ولا مدافعة من باقي العساكر وذلك لشدّة نكايته فيهم وكرههم له [1] .

وقد أختلف كثيرا حول صفة مقتل الملك المعزّ ، فذكر ابن حاتم اليامي رواية ثانية مفادها أنّ إمرأة في زبيد متزوّجة من أحد الأمراء الأكراد حملت زوجها على قتل الملك المعزّ انتقاما لولدها الذي كان قتله المعزّ منذ مدّة يسيرة ، فكان الزّوج من جملة الأمراء الذين ثاروا على الملك الأيّوبي وقتلوه [2] .

أمّا الخزرجي وابن الدّيبع وأبو مخرمة وابن الحسين الصّنعانـــــي فإنّهم يشيرون إلى صفـــة ثالثـــة لحدث المقتل في رواية جاء فيها " أنّ الملك المعزّ خرج يوما من زبيد راكبا على بغلة وعليه حلّة طويلة الأكمام على طريقة بعض المتقدّمين من ملوك الشّام ، فوثبت عليه الأكراد عند مسجد شاشة على نحو ميلين أو ثلاثة من زبيد ... وإحتوسته خيلهم من كلّ جانب فإستلّ سيفه وهمّ أن يضرب به فإنسدل عليه الكم لطوله ، فلم يتمكّن من المدافعة عن نفسه حتّى قتل " [3].

ومهما يكن من أمر، فإنّ الإستياء كان قد بلغ مداه من سياسة المعزّ لذلك سار المتمرّدون إثر مقتله ناحية زبيد ورأسه محمولة على رمح حتّى دخل بها المدينة [4]، فأكرم الأمير الذي بادر بقتله وكان يدعى هندوة وهو من جملة الأمراء الأكراد بأن صيح له بالسّلطنة والجاووش بين يديه وكان قبل ذلك خامل الذّكر [5] .

ثمّ إنّ جموع الأكراد ما لبثوا أن أعملوا النّهب في مدينة زبيد وأمعنوا في خرابها [6]وذلك قبل أن يتمكّن أحدهم وهو الأمير سيف الدّين سنقر من تسلّم مقاليد الحكم في الدّولة وسدّ الفراغ الذي أحدثه موت الملك المعزّ ، في وقت بدا فيه البيت الأيّوبي من جهته غير قادر على توفير شخص قادر على الأخذ بزمام الأمور والتحكّم في مسار تلك المرحلة القلقة .

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص82 . شاكر حسين، "تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن"، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص56 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص82 . الزّركلي ، **الأعلام** ، ج1 ص312 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص82-83 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة17 أ .

(4) أبو مخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ج2 ص52 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص357 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص404 . الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة17 أ .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص82 .

(6) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص 81 . ابن الدّيبع ، **قرة العيون**، ج1ص404 . **بغية المستفيد**، ص76 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص357 .

2 - نيابة الأتابك سيف الدّين سنقر وإنفراج مؤقّت لأزمة الحكم :

أ - الأمير سيف الدّين سنقر أتابك للملك الناصر أيّوب بن طغتكين :

عندما إنتهت حياة الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين واجهت الأسرة الأيّوبيّة ببلاد اليمن مشكلا سياسيّا عويصا طالما وقعت فيه الأسر الحاكمة ، ويتمثّل في عدم توفّر وريث بالغ يتولّى مقاليد الحكم في الدّولة ويسهر على تصريف أمورها.

فقد ترك الملك المعزّ إسماعيل أخا له دون سنّ البلوغ يدعى النّاصر أيّوب بن طغتكين [1] فكان لصغر سنّه غير قادر على الإضطلاع بمهمّة تسيير دواليب الحكم من بعد أخيه ، ممّا إستوجب في المقابل على جماعة الأكراد قتلة الملك المعزّ الذين كثيرا ما إرتبطت مصالحهم بالحكم الأيّوبي إيجاد حلّ عاجل للمسألة وملء الفراغ السّياسي الحاصل ، قبل أن تتطوّر الأمور نحو الأسوأ وينخرم النظام والأمن بالبلاد أكثر من ذي قبل . فكان أن بادر هؤلاء بمراسلة الأمرسيف الدّين سنقر الأتابك [2]

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص84 . الخزرجي، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1ص 29-30. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص81 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص404-405 . **بغية المستفيد** ، ص 77. ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص137 . الزّبيدي ، **ترويج القلوب في ذكر الملوك بني أيّوب**، ص58 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص 56. الحنبلي ، **شذرات الذّهب** ، ج4 ص334 . الذّهبي ، **العبر في خبر من غبر** ، ج 4ص334 . الصفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 9ص124 . ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج5 ص334 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج3 ص102 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص358 . الكبسي ، **اللّطائف السّنية** ، ورقة17 أ . الزّركلي، **الأعلام** . ج 1ص382 . الهمداني، **الصّليحيون والدّعوة الفاطميّة باليمن** ، ص285-286 .التكريتي، " الأيّوبيون في اليمن ". **مجلّة آداب الرّافدين**. ص126.

(2) قيل له الأتابك لأنّه هو الذّي سهر على تربية الملك النّاصر أيّوب بن طغتكين ، وكلمة أتابك لقب تركي مركّب من لفظين " أطا " أو أتا " بمعنى الأب أو الشّيخ المحترم و " بك " بمعنى الأمير ، ومعناها العام الوالد الأمير . وكانت هذه الكلمة قد أطلقت في الأصل على مماليك السّلاجقة الذّين أسندت إليهم مهام الدّفاع عن البلاد وتربية الفتيان الأمراء والنّيابة عنهم في الحكم إلى جانب خدمة أسيادهم حتّى أصبحوا بمرور الوقت هم أنفسهم حكّاما . أمّا الأتابك سيف الدّين سنقر فقد عرف بالشّهامة و الشّجاعة وحسن السّياسة والتدبير . وقد سبق له أن خرج مخالفا على الملك المعز إسماعيل بن طغتكين فلمّا قتل هذا الأخير تولّى أمر السّلطة نيابة عن الملك النّاصر أيّوب بن طغتكين . أبو مخرمة . **ثغر عدن** . ج2 ص56 . ابن حاتم . **المصدر نفسه** ، ص84 . 121 . ابن واصل . **المصدر نفسه**. ج 3ص137 . ابن الدّيبع . **قرّة العيون** ، ج1ص405 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص358 . القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج4 ص18 . الباشا (حسن) ، **الألقاب الإسلاميّة في التّاريخ والوثائق والآثار**، الدّار الفنيّة . القاهرة 1989م .ص11 . الشّهابي (قتيبة) ، **معجم ألقاب أرباب السّلطان في الدّول الإسلاميّة** ، دمشق 1995م . ص15-16 . فؤاد سيّد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصرالإسلامي** ، ص394 . نيكلسون (Nicholson) ، مادّة " آتا " بدائرة المعارف الإسلاميّة ، **الطبعة الأولى** ، مجلّد عدد1 ص423 . Cahen (Cl) , art " Atabek ", *EI* ^{2} , Vol I p 753-754 .
Mantran (R), art " Ata " , *EI* ^{2} , Vol I p 751.

يستدعونه للوصول إليهم لإعتلاء سدّة الحكم نيابة عن الملك الطفل النّاصر أيّوب بن طغتكين [1].

فلمّا حصلت المراسلة وعلم الأتابك سنقر بما آل إليه الأمر من بعد موت الملك المعزّ حتّى أعرض عن الإنضمام إلى الإمام الزّيدي المنصور بالله عبد الله بن حمزة ونهض من حصون حجّة [2] على عجلة حتّى دخل مدينة زبيد فاستولى عليها وأعاد بها الخطبة بإسم خلفاء بني العبّاس، ثمّ صعد ناحية حصن تعزّ لملاقاة الملك النّاصر أيّوب بن طغتكين فلمّا وصل إليه إستحلف له العسكر ولنفسه فخلع عليه الملك النّاصر وجعله أتابك عسكره [3] .

وما أن تمكّن الأتابك سنقر من كسب رضى الملك النّاصر أيّوب ونجح في مصالحة العساكر الّذين من حوله حتّى سعى إلى استعادة الأمن والنّظام بباقي أطراف المملكة، عاملا في الآن نفسه على استمالة جميع الأمراء ورجال الدولة حتّى يتمّ رتق الصّدع الّذي أصاب الحكم الأيّوبي زمن ولاية الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين . فكان أن ولّى بكتمر السّيفي تهامة ما خلا زبيد والكدراء [4] ، ثمّ سار ناحية

---

(1) ابن حاتم . السّمط الغالي الثمن ، ص84 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص81 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** . ج1ص 405 . **بغية المستفيد** ، ص76 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** . ج2 ص56 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص358 . الكبسي ، **اللطائف السنيّة** . ورقة17 أ . الهمداني ، **الصّليحيّون** . ص 286. التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن"، **مجلّة آداب الرّافدين** . ص126 .

(2) حجّة : قرية قديمة كانت سوقا لهمدان في متوسّط جبال السّراة وقد سمّيت كذلك نسبة إلى حجة بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** . ص111، 113 . ياقوت ، **معجم البلدان** . ج2 ص260 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص404-405 .

(3) أتابك العسكر : معناه نائب السّلطنة أو نائب الملك وهو بمثابة القائد الأعلى للجيش وكبير أمراء السّلطنة وصلاحيّاته تتجاوز في الواقع القيادة العسكريّة فهو يكاد يكون نائب الملك في كلّ شيء وله السّلطات المطلقة ، ويضاف في العادة إلى هذا اللّقب لفظ " مدبّر الممالك أو مدبّر الممالك الإسلاميّة " كما هو الحال خلال العهد المملوكي . غير أنّنا لا نتّفق مع أيلون . د (Ayalon . D) عندما يرى أنّ تحوّل أتابك العسكر من مجرّد قائد للجيش إلى أمير أكبر للسّلطنة كان خلال العهد المملوكي بعد أن تراجع دور نائب السّلطنة . ذلك أنّ صلاحيّات " أتابك العسكر " قد تجاوزت حدود خطّته كقائد عسكري منذ العهد الأيّوبي كما هو حال الأتابك سيف الدّين سنقر الّذي كان بمثابة النّائب المطلق الصّلاحيات للملك النّاصر أيوّب بن طغتكين . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ج1ص84 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص81 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** . ج1ص404-405. **بغية المستفيد** . ص 76 . أبو مخرمة . **ثغر عدن** . ج2 ص56 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** . ج1ص358 . محمود ، **تاريخ اليمن السّياسي**، ص253 .

Ayalon (D)art " Atabek al-Askar ",*EI* ^{2} , Vol I, p 754 .
Ibid , "Studies on the Structure of the Mamluk Army", in *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 1954.pp58-59 .

(4) ابن حاتم . **المصدر نفسه** ، ص85 . ابن الدّيبع، **قرّة العيون** ، ج1ص 405. التكريتي . **المقال السّابق** ، ص 127 .

عدن فقام بعزل الأمير شجاع الدّين مهكار بن محمود واليها من قبل الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين وعيّن بدله الأمير برعش [1]، وحتّي لا يثير حفيظة الأمير شجاع الدّين منح إيّاه عشرة آلاف دينارا وأبقاه في جملة عسكره [2] .

غير أنّه في الوقت الذّي كان الأتابك سنقر يعمل على إيجاد نوع من المصالحة داخل الصفّ الأيّوبي ، الذّي بدا منقسما على نفسه منذ عهد الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين ، كان الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة يسعى من جانبه جاهدا إلى الإستفادة من الوضع الصعب الذّي آل إليه الحكم الأيوبي غداة موت الملك المعزّ ، بأن أوعز في الإبّان إلى حليفه الأمير علم الدّين ورشاد الكردي بأمره بالتقدّم ناحية صنعاء للإستيلاء عليها واعدا إيّاه بالسّلطنة[3] .

عندئذ سار الأمير وردشار بمن معه حتّي دخل صنعاء ، وهناك إجتمع بأميرها الشّهاب الجزري الذّي لم يخف بدوره رغبته في الإنضمام إلى صفوف الزّيديّة بعدأن ساءت علاقته برجاله وأعوانه ، فكان أن طلب إلى الأمير وردشار أن يشفع له عند الإمام حتّي يقبل بإنضمامه إليه [4].

ولأنّ الإمام عبد الله بن حمزة كان قد آمن من جهته بجدوى الأساليب السّلميّة المرنة المعتمدة على كثير من الدّيبلوماسيّة لتقوية جانبه وضمان تفوّقه على الصفّ الأيّوبي ، فقد سارع بمنح الأمان إلى الأمير الشهاب الجزري داعيا إيّاه إلى الدخول في جملته [5]. فلمّا كان الثّامن عشر من شهر شوّال من سنة 598 هـ/ 1202 م إلتقى الإمام عبد الله بن حمزة بالأمير الشّهاب الجزري بحصن بيت مساك أين أخذ عليه البيعة صحبة الجند الذّين كانوا معه [6] .

ولتأكيد نفوذه بمدينة صنعاء أرفق الإمام عبد الله بن حمزة الشّهاب الجزري أثناء عودته إليها بأخيه الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة ، فلمّا دخلها قطعت الخطبة لبني العباس وخطب بها للزّيديّة [7] ، وذلك رغم ما كان أبداه الأهالي في

---

(1) ابن حاتم . السّمط الغالي الثمن . ص85 .

(2) المصدر نفسه . ص85 .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص86 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج 1ص358 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة17 أ .

(4) كان الأمير الشّهاب الجزريّ قد انقلب عليه أعوانه غداة موت الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين وهدّدوه بالقتل إن لم يسلّمهم الأموال التي استولى عليها بصنعاء، عندئذ لم يجد الجزري بدّا من الدّخول في جملة الإمام تخلّصا من ضغط الرّجال المحيطين به . ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص86. ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص358 .

(5) ابن حاتم . المصدر نفسه ، ص86-87 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص359 .

(6) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص87 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص359 - 360.

(7) ابن حاتم . المصدر نفسه ، ص87 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة17 أ .

المقابل من مقاطعة شديدة لهذا الأمر. ويذكر ابن الحسين أنّ الأمير عماد الدّين الزّيدي إلتجأ إلى إستئجار مؤذّن من أهل صنعاء ليقيم الآذان " بحيّ على خير العمل " مقابل أربعة دنانير، فلمّا حضر وقت الأذان إرتدّ وترك الأذان، أمّا قاضي صنعاء فإنّه لمّا رُفع الأذان " بحيّ على خير العمل " جعل إصبعيه في أذنيه وإستغفر الله [1].

ثمّ إنّ الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة أرسل لأخيه الإمام يطلب إليه أن يبعث من قبله قاضيا إلى صنعاء بعد أن أبدى قضاة هذه المدينة مقاطعتهم للمذهب الزّيدي وإستمرارهم على ما هم عليه من مذهب أهل السّنة، فكان أن إختار الإمام لهذا الأمر رجلا يدعى مفرج بن مسعود وأردفه بأحد أمرائه المقدّمين يدعى عدلان بن حضر ليكون عونا له على تنفيذ الأحكام [2].

وما أن إستتبّ الأمر للإمام بجهات صنعاء حتّى إستقرّ بحصن بيت مساك ليكون في مكان وسط من البلاد، وهناك تتالت إليه الرّسل والكتب من أمراء الجهات وأكابرها يعرّفونه أنّهم على مذهبه وأنّهم قائمون على إظهار دعوته [3]، ومن جملة الكتب الواصلة إليه كتاب من الشّيخ ظهير الدّين مفضّل بن منصور من بلاد بني حبيش يخبره أنّه نهض إلى ذي جبلة وإستولى على حصون تلك الجهة، بعد أن أخذ له البيعة على أهلها [4]. كما وصلته في الأثناء كتب أهل ريمة الأشايط وحرّان وحجّة والمخلاف السّليماني، وراسله الأميران الكرديّان المدعوان القرابلي والدقيق من تهامة مظهرين له عبارات الولاء ومعاني الإنقياد [5]. عندئذ طمع الإمام في اليمن كافّة وتجاوزت طموحاته حدود البلاد العليا، بعد أن بدا الصفّ الأيّوبي في المقابل متداعيا بسبب النّزعات الإنفصاليّة التي سادته منذ عهد الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين.

ولتحقيق ما يصبو إليه بعث الإمام عبد الله بن حمزة إلى الشّريف قتادة بن إدريس صاحب مكّة برسالة يطلب معونته ومعاضدته لإتمام سيطرته على بلاد اليمن حاثّا إيّاه على ذلك بقوله :

فشمّر وصمّم يا بن إدريس واثقا ... بربّك إنّ النّصر إن غبت كاسد

فإن تنصروني تنصروا ذا قرابــــة ... له ولكم أصل النّبوة واحـــــد [6]

وقد وافق ذلك أن كاتب الأمير الشّهاب الجزري الملك العادل الأيّوبي صاحب مصر والشّام يخبره بما آل إليه الوضع باليمن غداة موت الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين، فإنتهز الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة من جهته الفرصة وأردف كتاب الأمير الشّهاب الجزري برسالة منه إلى الملك العادل يدعوه - -

---

(1) ابن الحسين، غاية الأماني، ص 360-361.

(2) المصدر نفسه، ص 361.

(3) ابن حاتم، السّمط الغالي الثمن، ص88. ابن الحسين، المصدر نفسه، ج 1ص 358.

(4) ابن الحسين، المصدر نفسه، ج 1ص358. ابن حاتم، المصدر نفسه، ص88.

(5) ابن حاتم، المصدر نفسه، ص88. ابن الحسين، المصدر نفسه، ج 1ص 361-362.

(6) ابن الحسين، المصدر نفسه، ج 1ص362.

لإجابته وكلّف الأمير قتادة بن إدريس صاحب مكّة بإبلاغ دعوته للملك الأيّوبي [1]، كما بادر في الأثناء بمكاتبة الأتابك سيف الدّين سنقر بمثل ذلك [2].

ثم إنّ الإمام عبد الله بن حمزة سعي إلي توسيع مجال نفوذه في اتجاه اليمن الأسفل فأوعز للأمير الشّهاب الجزري صاحب صنعاء بأن يستخلف مكانه الأمير عدلان بن حضر وينهض صحبة الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة، فسارا آخذين على طريق جهران حتّى دخلا بلاد الشّعر وهناك نجحا في استمالة جمع كبير من الأهالي السّاخطين على الحكم الأيّوبي. ثمّ تابعا مسيرهما حتّى بلغا حصن الدّملوة فإستقبلهما صاحبه نجاح [3] أحسن إستقبال وخلع على الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة، بعد أن بايعه على حسن الولاء والطّاعة [4].

غير أنّ الأمور مالبثت أن اضطربت على الجزري وعلى مرافقه الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة بعد أن إنقلبت عليهما العساكر [5]، عندئذ لم يجدا بدّا من العودة ناحية البلاد العليا خوفا من الوقوع في قبضة الأتابك سيف الدّين سنقر،

---

(1) ابن حاتم، **السّمط الغالي الثمن**، ص88. ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج 1ص 362-363. أمّا ابن واصل فيذكر في حوادث سنة 599هـ/1203م: "في خامس صفر من هذه السّنة ورد إلى الملك المنصور صاحب حماة كتاب من المختصّ والي البر بحماة، وكان قد حجّ سنة ثمان تسعين وخمسمائة، يخبره فيه بقتل الملك المعزّ ..." . ورغم أنّ ابن واصل لا يتعرّض أثناء ذكره لهذا الكتاب لدعوة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة فإنّه يقيم الدّليل من جهة أخرى على حقيقة تلك الرّسائل والكتب التي كانت تصل إلى بني أيّوب في مصر والشام وهي تحمل في طيّاتها أخبار اليمن. ابن واصل، **مفرّج الكروب**، ج2 ص135.

(2) لقد اعتمد الإمام عبد الله حمزة كثيرا على أسلوب المراسلة لنشر دعوته ولكسب مزيد من الأنصار والأتباع لاسيما من الصفّ الأيّوبي الذي بدا سهل الإختراق وذلك ما يؤكّده بعض ما جاء على لسان الإمام: "لمّا انتشرت الدّعوة في الآفاق والأقطار ... نسخت ثلاث عشر نسخة فيها من التخويف والإلزام والحجاج مالا يعمى عنه أحد من أهل البصائر ... وكتبت إلى السّلطان إسماعيل في خاصّة نفسه دعوة لطيفة وهي الآن عندنا منسوخة وكذلك إلى شهاب وكتاب إلى وردسار..." الإمام المنصور بالله (عبد الله بن حمزة)، **الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية عمّا سال عنه الشّريف الفاضل نور الدّين الحسن بن يحي بن عبد الله بن سليمان بن الهادي إلى الحقّ الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة**، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفيينّا تحت رقم GLAS. 118 ورقة 3أ .3 ب . **الدعوة السّريعة العامّة**، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفيينّا تحت رقم Glas.118، ورقة7أ ،9أ . ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص94. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج 1ص 363.

(3) كان نجاح واليا على حصن الدّملوة من قبل الملك المعزّ فلمّا قتل هذا الأخير استولى على الحصن وعمد إلى "الستّ زهرة" إمرأة المعزّ فتزوّجها. ثم إنّ نجاحا أخرج الأموال وأنفق على العساكر طمعا في الملك حتّى وافاه الأمير الشّهاب الجزري صحبة الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة الزّيدي. ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص 85، 90. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج 1ص 364-365.

(4) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، 91. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج 1ص 365.

(5) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، 91. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج 1ص 365. أمّا بخصوص عودة الشهاب الجزريّ إلى البلاد العليا فإنّ ابن حاتم ينفرد برواية ثانية تفيد بأنّ الجزريّ لم يعد ناحية البلاد العليا بل خاطب الأتابك سيف الدّين سنقر في الإنضمام إليه فأذن له. ابن حاتم، **المصدر نفسه**، 93، 100.

الذي كان قد تعزّز جانبه في المقابل بوصول الأمير علم الدّين وردشار بعد أن كان هو الآخر قد أظهر الخلاف على الإمام عبد الله بن حمزة [1].

* إستيلاء الأمير علم الدّين وردشار على صنعاء وإستعادة النفوذ الأيوبي بالبلاد العليا :

بتراجع أصحاب الإمام بعد أن عجزوا على إظهار دعوتهم بالبلاد السّفلى ، سيسعى الأتابك سنقر من جهته إلى توسيع مجال نفوذه شمالا وإستعادة ما انفرط من تحت الدّولة الأيّوبيّة من البلاد العليا . فكان أن أوعز إلى الأمير علم الدّين وردشار بالسّير ناحية صنعاء، فنهض إليها وإستعادها من الزّيدية في ذي الحجّة من سنة 598 هـ/ 1202 م [2]، بعد أن كان قد لاقى في ذلك معاضدة من شيخ جنب عمران بن زيد بن عمرو الجنبي الذي تراجع بأصحابه وتخلّى عن نصرة رجال الزّيديّة أثناء مواجهتهم لعساكر الأيّوبيين بجهة ذمار [3].

وما أن إستقام الأمر بصنعاء للأمير علم الدّين وردشار حتّى سعى إلى إعادة توطيد النّفوذ الأيّوبي بتلك النّواحي من بلاد اليمن عبر سياسة ديبلوماسيّة مرنة إعتمدت في جانب كبير منها على أسلوب المهادنة والمصانعة لاسيما تجاه الإمام المنصور باللّه عبد اللّه بن حمزة ، الذّي لم يتقبّل من جهته عن طيب خاطر إستعادة الإيّوبيين لمدينة صنعاء ، وذلك لما كانت تمثّله هذه الأخيرة من موقع إستراتيجي متميّز ، بإعتبارها منطقة النّفوذ الوحيدة التي يمكن من خلالها تحقيق سيطرة كاملة على المجال اليمني ومراقبته . لذلك بادر الأمير علم الدّين وردشار بإيفاد سفارة وبعض الهدايا إلى الإمام عبد الله بن حمزة ، مظهرا له أنّه غير مخالف عليه ولا خارج عن إرادته [4] ، وهو أسلوب إعتمده الأمير الكردي لمخادعة الإمام والحدّ من خطورته بعد أن لمس منه حرصا شديدا على التقدّم ناحية صنعاء بغية إستعادتها من الأيّوبيين .

كما عمل وردشار في الأثناء على مصالحة سلاطين آل حاتم الهمدانيّين بأن أطلق أيديهم على بعض الجهات المتاخمة لصنعاء [5] ، حتّى يستميل جانبهم

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، 94-95. ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج 1ص 364 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة 17ب .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص97 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص405 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن، ص 81. ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص 364 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة 18أ .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، 97. ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص367 . الكبسي ، المصدر نفسه، ورقة 18أ .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، 98. ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص 367 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة 18أ .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، 98. ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص 367-368 .

لأنّهم سلاطين العرب [1] ويحول في المقابل دون انضمامهم لجبهة الإمام عبد الله بن حمزة . لكنّ بقيّة القبائل وعلى رأسها أهل سنحان لم تتقبّل من جهتها تلك المحاباة التّي خصّ بها الأمير وردشار همدان وانضمّت بجموعها إلى صفّ الإمام عبد الله بن حمزة حتّى قويت شوكته وإشتدّت وطأته أكثر من ذي قبل [2] ، فراح يشنّ الهجمات المتتالية على صنعاء مستغلاّ في ذلك تشتّت القوّات الأيّوبيّة بمختلف البلاد اليمنيّة .

ورغم تعدّد محاولات الإمام لتأليب سلاطين بني حاتم على الأمير وردشار فقد إستطاع هذا الأخير أن يبقي على الصّلح الذّي بينه وبين زعماء همدان، فأمّن بذلك جانبه ونجح في صدّ هجمات الزّيدية، التي ما إنفكّت تستهدف صنعاء بين الحين والآخر [3] .

ثمّ إنّ وردشار سعى إلى توسيع مجال نفوذه خارج حدود مدينة صنعاء مستغلاّ في ذلك إنتفاض عديد الجهات وخروجها عن حكم الإمام [4] ، فعمد في غضون سنة 599 هـ / 1203 م إلى تجهيز حملة ونهض من صنعاء لتوطيد نفوذه بالمخاليف المجاورة وتحصيل الأموال التي على أهلها [5] ، فكان أن إستولى على جهات كوكبان وحضور وتنعم[6] ، وسار ناحية الجنّات فقاتل من بها من رجال الزّيديّة . ثمّ تابع وردشار شنّ الغارات دون هوادة حتّى دانت له كثير من المواقع وتمكّن في الأثناء من صدّ قوّات الإمام عبد الله بن حمزة ، الذّي إكتفى من جهته بمهادنة الأمير وردشار ومصالحته على إقتسام البلاد وترك الحرب [7] .

وما أن أتمّ الأمير علم الدّين وردشار إتّفاق الهدنة بينه وبين الإمام حتّى تفرّغ لمناجزة بقيّة الأطراف التي أظهرت الخلاف على الحكم الأيّوبي ، فكان أن عمد إلى أخذ حصن بيت أنعم [8] بعد أن كان أهله قد قطعوا عليه كثيرا من المواد أيّام

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، 98.

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص98 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، 98. ابن الحسين ، **غاية الأماني**، ج 1ص367-368. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص81 .

(4) ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 369.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 98-99. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1 ص 369-371.

(6) تنعم : قرية من أعمال زبيد . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 2ص 58. البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج1 ص277 .

(7) ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 371.

(8) بيت أنعم : بضمّ العين ، حصن بأعلى وادي ظهر بالقرب من مدينة صنعاء ، وبيت أنعم أيضا حصن أو قرية في مخلاف سنحان من بلاد اليمن . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج1 ص 612. ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 373. البغدادي ، **مراصد الإطّلاع** ، ج 1 ص 237.

حربه مع الإمام عبد الله بن حمزة [1]، ثمّ اتّجه بأنظاره ناحية أملاك آل حاتم الهمدانيّين بجهة المنظر فغزاها حتّى يجبرهم على الميل إليه والكفّ عن موالاة الإمام ومعاضدته.

غير أنّه في الوقت الذي كان الأمير وردشار يعمل على مزيد توطيد النّفوذ الأيّوبي بتلك الجهات من اليمن الأعلى ، كان أهل صنعاء قد أضمروا الخروج عن طاعته وعمدوا في أواخر جمادى الآخرة من سنة 599 هـ / 1203 م إلى إعلان تمرّدهم بأن اعتقلوا أخاه الملقّب بشمس الدّين ، معلنين في الأثناء ولاءهم للزيديّة بأن أقاموا الآذان " بحيّ على خير العمل " [2].

فلمّا بلغ ذلك وردشار سارع بالعودة ناحية صنعاء وحطّ بظاهرها بموضع يعرف بالجبائب بعد أن تعذّر عليه دخولها ، ثمّ أرسل إلى أهلها في الصّلح فأبوا عليه وأرسلوا في الأثناء إلى الإمام عبد الله بن حمزة يطلبون نصرته[3]، عندئذ لم يجد الأمير وردشار بدّا من حصار المدينة والتّضييق على أهلها تضييقا شديدا يعاضده في ذلك جمع كبير من بني شهاب ومن سنحان [4] ، في حين كان بنو حاتم الهمدانيّون قد أظهروا في المقابل تضامنهم مع أهالي صنعاء وأوعزوا إلى الإمام عبد الله بن حمزة يحثّونه على التدخّل لنصرتهم[5] ، فكان أن أمر الإمام أخاه الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة بالمسير ناحية صنعاء في جمع من العساكر كما كتب في الأثناء إلى الأمير العفيف صاحب وقش [6] يأمره بالتقدّم لمعاضدة أخيه الأمير عماد الدين [7] .

وأمام شدّة تحصّن أهالي صنعاء وإصرارهم المتزايد على المنعة إضافة إلى تتالي النّجدات القادمة لنصرتهم ،أدرك الأمير وردشار خطورة الموقف الذي هو

---

(1) ابن الحسين . غاية الأماني. ج 1ص 373.

(2) ابن حاتم . السّمط الغالي الثمن . ص100 . ابن الدّيبع . قرّة العيون . ج1ص405 . ابن الحسين، المصدر نفسه . ج1ص374 . الكبسي. اللّطائف السنيّة . ورقة18 أ . التكريتي . " الأيوبيون في اليمن ". مجلّة آداب الرّافدين . ص 126.

(3) ابن حاتم . المصدر نفسه. ص100 . ابن الحسين، المصدر نفسه . ج1 ص374 . الكبسي. المصدر نفسه . ورقة18 أ .

(4) ابن حاتم . المصدر نفسه . ص100 . ابن الدّيبع . المصدر نفسه . ج1ص405 . ابن الحسين. المصدر نفسه . ج1 ص374 . الكبسي . المصدر نفسه ، ورقة18 أ .

(5) ابن الحسين، المصدر نفسه . ج1 ص374 .

(6) وقش : بلد باليمن قرب صنعاء وهجرة وقش موضع فيه كالخانقاه يسكنه العبّاد وأهل العلم . ياقوت. معجم البلدان . ج5 ص438 . البغدادي ، مراصد الإطّلاع . ج3 ص1442 . ابن الحسين . المصدر نفسه . ج1 ص 374. الكبسي . المصدر نفسه . ورقة18 أ .

(7) ابن حاتم . المصدر نفسه ، ص100 . ابن الحسين، المصدر نفسه . ج1 ص374 . الكبسي ، المصدر نفسه . ورقة18 أ .

عليه وكتب إلى الأتابك سيف الدّين سنقر يخبره بالوضع [1] ، فلمّا بلغ الأتابك خبر خروج صنعاء من تحت يدي الأمير وردشار هاله الأمر وتوجّه مسرعا ناحية البلاد العليا في سبعمائة فارس غير الرجّالة[2] ، بعد أن كان قد عزم في المقابل على النّزول صوب زبيد بغية التصدّي لمحاولات العصيان والتمرّد التي أظهرتها من جديد جموع الأكراد بتلك النّواحي من بلاد اليمن [3].

وبقدوم الأتابك سيف الدّين سنقر ناحية صنعاء تفرّقت جموع الزّيديّة وتعزّز في المقابل جانب الأمير وردشار ، عندئذ لم يجد أهل صنعاء بدّا من مناشدة الأتابك في تأمينهم فأمّنهم وسلّمهم سيفه علامة للأمان فخرج إليه جماعة من وجوه المدينة فصالحهم مقابل عشرة آلاف دينارا وعشر رؤوس من الخيل يدفعونها له عقوبة لهم على صنيعهم[4] . وفي الأثناء كانت عساكر الأيّوبيين قد اقتحمت أسوار المدينة وأمعنت في نهبها وخرابها ، فلمّا بلغ ذلك سيف الدّين سنقر أمرهم بالكفّ عن ذلك [5] ثمّ اتجه بأنظاره ناحية اليمن الأسفل لمعالجة الأوضاع المضطربة به في حين راح الأمير وردشار يذيق أهالي صنعاء فنونا متنوّعة من العذاب وينزل بهم أشكالا شتّى من مظاهر التّنكيل والتّضييق [6].

* تصدّي الأتابك سيف الدّين سنقر لتمرّد الأكراد وإحكامه السّيطرة على البلاد السّفلى .

في الوقت الذّي كانت خلاله عساكر الأيّوبيين تتصدّى بقيادة الأمير وردشار لتمرّد أهالي صنعاء ولغيرهم من الأطراف المناوئة للحكم الأيّوبي بالبلاد العليا ، كان أكراد زبيد بزعامة ثلّة من أمرائهم قد أعلنوا بدورهم خروجهم عن طاعة

----

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص101 . ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص375 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** . ورقة18 أ .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** . ص100 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص375 . الكبسي، **المصدر نفسه** ، ورقة18 أ .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص100-101 . ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن** ، ص81 . ابن الدّيبع، **قرّة العيون** ، ج1ص406 . **بغية المستفيد** ، ص 76. ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص173 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص375 . شاكر حسين ، " تطلّع صلاح الدّين الإيوبي نحو بلاد اليمن "، **الندوة العلميّة حول اليمن عبر التاريخ** ، ص56-57 . التّكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن "، **مجلة آداب بالرّافدين**، ص127 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ص101 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص375 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 أ .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص101 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص375 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 أ .

(6) ابن حاتم **المصدر نفسه** ، ص101 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص375 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 أ .

الدّولة الأيّوبيّة بجهة اليمن الأسفل فتمكّنوا في أواخر سنة 599هـ / 1203 م من التغلّب على مدينة زبيد وعلى ما ناحجها من البلاد التّهاميّة (1).

ونظرا لصعوبة هذه المرحلة رأى الأتابك سيف الدّين سنقر أنّ من الحكمة أن يتحاشي فتح جبهة ثانية على قوّاته المشتّتة ويتجنّب كلّ مواجهة مبكّرة مع جموع الأكراد المتمرّدين في إنتظار ما ستفرز عنه التطوّرات اللاّحقة . وحفاظا على صلابة جبهته سار الأتابك سنقر بمن معه من العساكر في اتّجاه البلاد العليا لمعاضدة الأمير وردشار ، فتمكّن عبر سياسة أديبلوماسيّة مرنة من إحتواء المتمرّدين من أهالي صنعاء حتّى دانوا له بالطّاعة .

ثمّ تابع الأتابك جولته بتلك النّواحي من بلاد اليمن لتهدئة الخواطر ورتق الصّدع الذي أصاب العلاقة بين جمهور الأهالي والدّولة الأيّوبية ، فسار ناحية بلاد بني شهاب ولم يتعرّض لأهلها بل رضي منهم بالطاعة كما عمد في الأثناء إلى مصالحة الشيخ عمران بن الذّئب السّلمي فأقرّه في حصنه بيت ردم (2).

ولأنّ العلاقة بين الحكم الأيّوبي والإمام عبد الله بن حمزة كان قد غلب عليها العداء منذ ظهور أمر هذا الأخير ببلاد اليمن ، فقد سعي الأتابك سنقر من جهته إلى تحقيق شيء من المصالحة إزاء رجال الزّيديّة حتّى يحدّ من خطرهم وكتب إلى الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة يذكّره بما بينهما من صداقة ويعرض عليه الصّلح (3)، مظهرا في كتابه إليه الثّناء على الإمام زاعما أنّه يرغب في إرساء علاقات وديّة معه (4).

فلمّا وصل الكتاب الأمير عماد الدّين نهض لملاقاة الأتابك فتلقّاه هذا الأخير بالإكرام والتّبجيل ، ثمّ شرعا في مفاوضات الصّلح فأقرّا بنود الإتّفاق السّابق ، الذّي كان عقده الأمير وردشار مع الإمام والذي بمقتضاه يقع تقاسم النّفوذ كلّ واحد منهما على حدّ البلاد التي إليه مدّة سنة(5) . وما أن تمّت صياغة نصّ

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص100-101 . ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص81 . ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1 ص406 . **بغية المستفيد** . ص 76. ابن واصل ، **المصدر نفسه**. ج 3ص173. ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص375 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** . ورقة18 أ . شاكر حسين ، "تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن" ، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص56-57 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن"، **مجلّة آداب الرّفدين** ، ص127 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص102 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص376.

(3) كانت بين الأتابك سيف الدّين سنقر والأمير عماد الدّين يحي بن حمزة الزّيدي مصادقة منذ أيّام الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين ، ذلك أنّه لمّا أظهر سيف الدّين سنقر الخلاف على الملك المعزّ وخرج عليه أجاره الأمير عماد الدّين وأحسن إليه فحصلت بينهما ألفة ومودّة منذ ذلك العهد . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص102 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص376 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص102 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص376-377 .

(5) كانت المحادّة بين مجالي نفوذ الأتابك سنقر والإمام عبد الله بن حمزة عند موضعين يعرفان بإسم عثار وعقار ، وكان الأوّل يقع في طرف البون الأسفل في حين يقع الثاني في طرف البون الأعلى . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص102 .

الإتفاق حتّى أرسل الأتابك سنقر بقاضيه أبي عزيز الكرماني إلى الإمام عبد الله بن حمزة لتمام الصّلح [1] .

وبمصالحة رجال الزّيدية الذّين مثّلوا على الدّوام القوّة السّياسيّة الثّانية التي ظلّت تحمل لواء المعارضة للوجود الأيّوبي ببلاد اليمن ، أصبح الأتابك سنقر بإستطاعته التفرّغ لمواجهة بقية الأطراف المتمرّدة على الحكم الأيّوبي وفي طليعتهم أكراد زبيد، الذّين كانوا قد أعلنوا من جهتهم الخلاف على الدّولة الأيّوبيّة وتغلّبوا على ما تحت أيديهم من البلاد [2] .

لذلك لم يتأخّر الأتابك في العودة ناحية البلاد السّفلى لمواجهة المتمرّدين والقضاء على مظاهر الفرقة والخلاف التي سادتها مستعينا في ذلك بعامله الأمير علم الدّين وردشار ، فلمّا أشرف على البلاد التهاميّة خرجت جموع الأكراد لقتاله فتمكّن من دحرهم بقرية الزّريبة واستولى على زبيد في العاشر من ذي القعدة من سنة 599هـ / 1203 م . كما تمكّن في الأثناء من أسر بعض الأمراء الأكراد الذّين سبق لهم أن إشتركوا في مقتل الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين ، فأمر بضرب رقابهم سوى الأمير القرابلي فإنّه أبقى عليه حيّا وإكتفى بنفيه إلى بغداد [3] . فلمّا بلغ ذلك الملك العادل صاحب مصر والشّام كتب إلى الأتابك يلومه في إطلاق سراح القرابلي وإبقائه عليه حيّا بقوله : " كيف قطعت الذّنب وتركت الرّأس ؟ ! " [4] .

وما أن إستقرّت الأمور بتهامة للأتابك سيف الدّين سنقر ، بعد نجاحه في القضاء على جموع الأكراد المتمرّدين ، حتّى ولّى زبيد الأمير شجاع الدّين مهكار بن محمود [5] ثم سار ناحية عدن للإيقاع بواليها برعش الذّي كان قد أظهر بدوره الخلاف والعصيان وأزمع التغلّب على ما تحته من البلاد [6] ، فأحكم عليه الحصار وضيّق عليه فلم يسعه إلاّ مناشدة الأتابك في طلب الذمّة فأمّنه ومنحه مقابل تسليمه عدن حصنا بأعالي لحج [7] .

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص102 . ابن الحسين، **غاية الأماني** ، ج1 ص377 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص100 . ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن** ، ص81 . ابن الدّيبع، **قرّة العيون** ، ج1ص406 . **بغية المستفيد** ، ص 76. ابن الحسين ، ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص375 . التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن"، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص127 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص103 . ابن عبد المجيد، **المصدر نفسه** ، ص81 . ابن الدّيبع، **المصدر نفسه** ، ج1ص406 . **بغية المستفيد** ، ص 76. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص380 . التّكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص127 . شاكر حسين ، " تطلّع صلاح الدّين الإيوبي نحو بلاد اليمن " ، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص57 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص104 . لم يكن كتاب الملك العادل إلى الأتابك سنقر سوى دليل إضافي على الصّلة الوثيقة بين الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن والسّلطة المركزيّة الأيّوبيّة بكلّ من مصر والشّام .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص104 .

(6) **المصدر نفسه** ، ص104-105 .

(7) **المصدر نفسه** ، ص105 .

وسعيا منه إلي إحلال شيء من النّظام والأمن بجهات اليمن الأسفل اختار الأتابك سنقر لإدارتها ثلّة من الأمراء المخلصين ، فولّى عدن أحمد بن عبد الله بن عبد الوهّاب وأقطع بكتمر السّيفي المهجم وجعل على وصاب الأمير فخر الدّين أبا بكر بن عليّ بن رسول وولّى أخاه الحسن بن علي بن رسول على ريمة في حين كان قد رتّب أبوهما الأمير شمس الدّين علي بن رسول نائبا عنه على حصن حبّ [1].

غير أنّ حالة السّلم والإستقرار التي ما فتئ رجال الدّولة الأيّوبية ينشدونها ببلاد اليمن منذ عهد ليس بالقصير قد غدت مطلبا صعب المنال لوجود أطراف سياسيّة أخرى لها وزنها تأبى أن يمارس إزاءها أسلوب الإقصاء ، كما هو حال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الزّيدي، الذّي شكل وجوده أعظم الإشكالات السّياسيّة التي واجهت الأيّوبيين بهذا الجزء من بلاد العرب .

كما يبدو أنّ أسلوب المهادنة والمصانعة الذي سلكه الأيّوبيون تجاه رجال الزّيديّة ما كان في جملته إلاّ تكتيكا إقتضته المرحلة وفق ما أملته الظّروف المرحليّة التي كان يمرّ بها الفريقان ، لتعود العلاقة بينهما إلي حالة المواجهة والإصطدام وبأكثر ضراوة، بعد أن غدا التّعايش السّلمي بينهما أمرا مستحيلا أو يكاد .

ب - فشل مبادرات الصلح بين الأيوبيين والإمام عبد الله بن حمزة وإحتداد النّزاع الأيوبي الزيدي ببلاد اليمن :

لأنّ العلاقة بين الدّولة الأيوبيّة والإمام عبد الله بن حمزة كان قد غلب عليها العداء لحدّة تعارض المصالح بين الجانبين ، فقد تواصل الصّراع على أشدّه بينهما على مناطق النّفوذ وظلّت الحرب بينهما مستمّرة ، وذلك رغم إتّفاقات الصّلح التّي كانت تعقد بينهما بين الفينة والأخرى ، والتّي لم تكن في جملتها سوى هدنات مؤقّتة لكي يعيد كلّ فريق ترتيب جبهته تحسّبا لمواجهة جديدة .

فما أن عاد الأمير وردشار من البلاد السّفلى ناحية صنعاء في المحرّم من سنة 600 هـ/ 1203 م [2] ، بعد أن نجح في معاضدة الأتابك سنقر في التصدّي لأكراد زبيد والقضاء عليهم ، حتّى سعى إلى نقض الصّلح الذّي بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة وعمد إلى مهاجمة مجال نفوذ الزّيدية بدعوى أنّ الإمام قد بادر من جهته بنقض الصّلح المبرم بينهما ، عندما عمل على مكاتبة أحد الأمراء الأكراد المتمرّدين على الحكم الأيّوبي المسمّى القرابلي يستميله إليه ويدعوه للدّخول في جملته [3] .

---

(1) ابن حاتم . **السّمط الغالي الثمن**. ص105 .

(2) ابن حاتم . **المصدر نفسه** ، ص105 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص380 . شاكر حسين ، "تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن" ، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص57 . التكريتي : "الأيوبيون في اليمن" ، **مجلّة اداب الرّافدين** ، ص 130 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص106 .

ورغم أنّ الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة كان قد أجاب وردشار ببطلان ما يدّعيه مذكّرا إيّاه بأنّه باق على الصّلح [1] ، فإنّ هذا الأخير قد رأى من مصلحته نقض الصّلح ولو كان ذلك بمجرّد ذرائع واهية لتوسيع مجال نفوذه شمالا وإعلان الحرب على الزّيدية بغية التخلّص منهم بإعتبارهم القوّة السّياسيّة الوحيدة المتبقيّة التي لا تزال تعرقل السّياسة التوسّعيّة الأيّوبيّة بجنوب بلاد العرب .

ولتأكيد نيّته في التّصعيد والمواجهة عمد الأمير وردشار إلى قرية شبام وهي من مناطق نفوذ الإمام فأخربها وقتل بها جموع كثيرة من الزّيديّة [2] ، ثمّ نهض إلى مطرة [3] وكانت بها حامية من عسكر الإمام بقيادة أخيه الأمير صارم الدّين إبراهيم بن حمزة فقتل أغلبهم بما فيهم الأمير صارم الدين ، الذّي أحتزّت رأسه وأرسلت إلى الأتابك سيف الدّين سنقر باليمن الأسفل في يوم السّبت لثمان خلت من شعبان من سنة 600 هـ / 1204 م [4].

فلمّا بلغ خبر مقتل الأمير صارم الدّين وأصحابه إلى الأمام عبد الله بن حمزة وهو بقرية شوابة إغتمّ لذلك غمّا شديدا وكتب إلى أهل صعدة ونواحيها يعرّفهم بما حصل ويستنهضهم [5] ، كما نظم في الغرض قصيدة يرثي بها أخاه ويحرّض العرب على القيام معه ليأخذوا بثأره وفي ذلك يقول :

تحمّل إلى قحطان عنّي رسالة   وعدنان فتيان الصّباح ذوي الفخر
أترضون أنّ العجم فيكم تحكّموا   وأنتم صميم العرب بالقتل والأسر [6]

ثمّ إنّ الإمام عبد الله بن حمزة إنتهز فرصة إجتماع العديد من القبائل لصلاة الجمعة بمسجد حوث فأنشد فيهم قصيدته وخطب فيهم خطبة بليغة حثّهم فيها على النّهوض لمواجهة الأيّوبيين فبايعوه على القيام والنّصرة [7].

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن**، ص106 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص106 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص380 .

(3) مطرة : ويقال لها مطر وبني مطير وهي من أعمال الجوف باليمن . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص 154 ، 239-240. ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 5ص173 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج 3 ص1284 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص106 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص380 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 407.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص107 .

(6) **المصدر نفسه** ، ص107 .

(7) **المصدر نفسه** ص107 .

وفي المقابل كان الأمير وردشار يتابع حملته بالبلاد العليا لإخضاع مزيد من المواقع غير مكترث بما يدبّره له الإمام ، فكان أن أعاد الغارة على قرية شبام فأمعن في خراب زروعها ثمّ سار ناحية ريدة [1] فأخرب بها موضعي سودان ودرب اللّومي دون أن يكون قد لاقى في ذلك مقاومة تذكر[2] .

فلمّا أدرك الإمام عبد الله بن حمزة التفوّق الذّي عليه جانب الأمير وردشار سعى إلى تحصين قواعده فأشار عليه أحد شيعته بعمارة قلعة الإمام أبي الفتح بن الحسن الحسني الدّيلمي لمناعتها وحتّى تكون لهم ملجأ إذا داهمتهم عساكر الأيّوبيّين ، فأمر بتحصينها وعمارتها وسمّاها ظفارا فعرفت منذ ذلك العهد بظفار الأشراف [3]. أمّا وردشار فقد لمس في العمل الذّي أقدم عليه الإمام نيّة التّحضير لعمليّات توسّعية وحرصا كبيرا على عرقلة الأيّوبيّين والتصدّي لهم ، لذلك سارع بالسّير ناحية حصن ظفار ليحول دون عمارة الزّيديّة له فلمّا عجز عن ذلك نهض قاصدا قرية عجار فأمر بخرابها ثمّ تقدّم ناحية قرية ناعط [4] فهدمها بعد أن أمعن في نهبها [5].

وأمام تتالي غارات الأيّوبيين بدون إنقطاع بقيادة الأمير علم الدّين وردشار أدرك الإمام عبد الله بن حمزة عدم قدرته على التصدّي للجيش الأيّوبي وسعى في المقابل إلى طلب الهدنة ، فلمّا كان المحرّم من سنة 601 هـ / 1204 م انعقد صلح جديد بين الفريقين يقضي بتوقّف القتال بينهما لمدّة سنتين ويتسلّم بموجبه الأمير وردشار حصن كوكبان من الإمام الذّي يحصل في المقابل من الأيّوبيين على مبلغ خمسة آلاف دينارا إضافة إلى بسط نفوذه على جهات مطرة وحاشد وتلا وبكر وبلاد بني زهير وحصوله على النّصف من مغارب كوكبان [6].

وفي المقابل فإنّ الأتابك سنقر قد رأى في الصلح الذي عقده الأمير وردشار مع الإمام إجراءا لا يخدم سوى جانب الزّيديّة الذّين سيعملون في المقابل على الإستفادة من هذه الهدنة لتقوية جبهتهم ، لذلك سارع الأتابك بنقض الصّلح وعمد في شهر رجب من سنة 601 هـ / 1204 م إلى القيام بسلسلة من الحملات

---

(1) ريدة : بلدة باليمن ذات عيون وكروم تقع على مسير مرحلة من صنعاء ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج1 ص126-127 . البغدادي . **مراصد الإطّلاع** ، ج2 ص 648.

(2) ابن حاتم ،**السّمط الغالي الثمن**، ص109 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** . ج1 ص385 .

(3) ابن حاتم ،**المصدر نفسه** ، ص110 . ابن الحسين ،**المصدر نفسه** ، ج1 ص385 .

(4) ناعط : قصر على جبلين بالقرب من صنعاء كان لهمدان . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 5ص294 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج3 ص1350. الهمداني ، **صفة جزيرة العرب**، ص7 ، 142، 157 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص110 .

(6) ابن حاتم ،**المصدر نفسه** ، ص113-117 . ابن الحسين ،**المصدر نفسه** ، ج1 ص385 .

بعديد الجهات من البلاد العليا يعاضده في ذلك الأمير وردشار [1]، فهاجم حصن ظفار ثم توجّه ناحية الجوف ومنه إلى صعدة فأخرب بها دار الإمام التي بهجرة معين [2] وأمر بنقل أخشابها إلى حصن تلمّص [3].

وما أن أحكم الأتابك سيف الدّين سنقر سيطرته على مدينة صعدة بعد أن أخلى منها كلّ من كان من أتباع الإمام ، حتّى أناب بها رجلا من أعوانه يدعى أسد الدّين قراسنقر ورتّب معه مائة وستّة وعشرين فارسا [4] ليكونوا له عونا على أداء مهمّته ، ثمّ تابع الأتابك حملته بالبلاد العليا فتوجّه ناحية مدينة رغافة ببلاد خولان وهي معدن الحديد خلال ذلك العهد فاستولى عليها قهرا ودان له أهل تلك النّواحي بالطّاعة [5].

وفي الأثناء كان والي حصن براش المدعو لؤلؤ قد أظهر من جهته الخلاف والعصيان وراسل الإمام عبد الله بن حمزة في الإنضمام إليه ، فلمّا بلغ ذلك الأتابك سنقر وهو يومئذ بقرية شوابة بعث إليه بالأمير وردشار فأحكم عليه الحصار حتّى طلب الأمان فآمنه وردشار وتسلّم منه الحصن ثمّ سار آخذا على طريق الجوف فعمد إلى قرية تربان وهي بالقرب من حصن ظفار فنهبها وقتل من أهلها نفرا كثيرا [6].

وسعيا منه إلى مزيد توطيد نفوذه بالجهات الشمالية من بلاد اليمن سار الأتابك قاصدا جهة المخلاف السليماني فلّما بلغها لقيه الشريف المؤيّد بن قاسم السّليماني فعمل على استمالته بأن أقطعه حرض ، ثمّ نزل الأتابك ناحية بلاد بني شاور فاستولى بها على كثير من القرى قهرا بالسّيف وذلك قبل أن يسلك طريق العودة في اتجاه البلاد السّفلى [7].

غير أنّ إستيلاء الأيّوبيين على صعدة وعلى كثير من البلاد العليا لم يكن ليثني عزم الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة على استعادتها مستغلاّ في ذلك تشتّت القوات الأيّوبية بمختلف البلاد اليمنيّة ، فكان أن أوعز إلى أخيه الأمير عماد الدّين يحي بن حمزّة بالسّير ناحية صعدة فسار إليها وملكها في ستّة عشر من شهر

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص118 . ابن الحسين ، **غاية الأماني**، ج1 ص386 .

(2) هي الدّار التي كان الإمام عبد الله بن حمزة يقيم بها قبل ظهوره . ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص120-121 .

(3) تلمّص : حصن مشهور بناحية صعدة من بلاد اليمن . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج2 ص52 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج1 ص 273. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص386 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص122 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص386 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص121-122 .

(6) **المصدر نفسه** ، ص122 .

(7) **المصدر نفسه** ، ص123 .

ذي القعدة من سنة 601هـ / 1204 م دون أن يكون قد لاقي في ذلك مقاومة تذكر[1] في حين كان الوالي الأيّوبي أسد الدّين قراسنقر قد سارع في المقابل بإخلاء المدينة هو ومن معه من العساكر وتوجّه ناحية صنعاء ، بعد أن كان قد بلغه خبر وصول عسكر الإمام [2].

ولأنّ هدف الإمام من هذه الحملة المضادّة هو محاولة محو آثار حملة الآتابك سيف الدّين سنقر السابقة فقد تابعت العساكر الزّيدية جولتها في اتجاه حرض قاعدة المخلاف السليماني خلال ذلك العهد[3] ، وهو ما يعكس في المقابل إصرارا كبيرا من جانب الزّيدية على التصدّي للأيّوبيين والحؤول دون توسيع مجال نفوذهم بالجهات الشّمالية من بلاد اليمن ، لذلك سارع الأمير وردشار الوالي الأيّوبي على صنعاء بالتحرّك لتدارك الأمر ونهض في اتجاه مدينة صعدة في إحدى عشرة ليلة خلت من شهر ذي القعدة لسنة 601 هـ / 1204 م بعد أن كان قد اجتمع لديه جيش كثيف من قبائل همدان وسنحان وبني شهاب فضلا عن النّجدات الواصلة إليه من اليمن الأسفل [4].

وسعيا منه إلى الإضرار بالقاعدة الإقتصاديّة التّي ترتكز إليها القوّة الزّيدية ببلاد اليمن عمل الأمير وردشار في طريقه إلى صعدة على خراب وهدم كلّ ما اعترض سبيله من بناء وزرع ، معتمدا في ذلك على جمهور غفير من النقّابين والمخرّبين كان قد أعدّهم للغرض [5]، فكان أن هدم عديد الدّروب بجهة الظّاهر ثمّ سار ناحية حوث فأحرق بها عديد الدّور بما في ذلك دار الإمام عبد الله بن حمزة[6] . غير أنّ استماتة جموع الزّيديّة بقيادة الأمير أسد الدّين الحسن بن حمزة في قطع الطريق أمام قوّات الأيّوبيين والحؤول دون وصولها إلى صعدة قد جعلت الأمير وردشار يظهر مزيدا من الحرص على خراب جميع المواقع والمواضع التي وطأتها أقدام عساكره[7]، فكان أن حطّ بقرية مسلت فهدم بها دورا ثم تقدّم إلى موضع يعرف بإسم مرسم دعفان فقطع زرعه [8] وعزم على التقدّم ناحية وادي ذنبين وهو

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص118 . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص386 .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص124 .

(3) المصدر نفسه ، ص127 .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص128 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص386 .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص127 .

(6) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص128 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص386-387 .

(7) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص129 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص387 .

(8) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص129 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص387 .

ينوي خراب ما فيه من الثمار والزرع فتصدّت له عساكر الزّيدية بقيادة الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة[1] ، لذلك لم يجد وردشار بدّا من التقهقر بعساكره صوب مدينة صنعاء فدخلها في ذي الحجة من سنة 601 هـ/1204 م [2].

وأمام تكافؤ القوى بين الفريقين خلال هذه المرحلة وحاجة كلّ منهما إلى هدنة لإعادة ترتيب جبهته عرفت سنة 602 هـ / 1205 م انعقاد اتّفاق صلح بين الجانبين يقضي بوقف القتال بينهما لمدّة عشرة سنوات متتالية وعشر أيّام وعشر ساعات وأن يسلّم الإمام عبد الله بن حمزة بموجبه للأمير وردشار خمسة عشر فرسا وخمسة عشر بعيرا على أن يطلق هذا الأخير رهائن الإمام الذّين عنده وهم من قبائل بني صريم وبني شاور والأقهوم ووادعة وبكيل [3]. لكنّ اتفاق الهدنة سرعان ما تمّ نقضه ليتواصل النّزاع بين الجانبين على أشدّه وبأكثر ضراوة ، فبحلول سنة 603 هـ / 1206 م بادر الأتابك سنقر من جهته بالإغارة على مواقع عديدة للأشراف بكلّ من المخلاف السليماني وبلاد نجد ونجران فأمعن في نهبها وخرابها [4] كما سار الأمير وردشار في الأثناء بعساكره ناحية البون مستخفّا بقوّة الأشراف الذّين تمكنوا في المقابل من التصّدي له وإجباره على التقهقر صوب صنعاء[5] .

ونظرا لصعوبة الموقف الذّي أصبح عليه الجانب الأيّوبي بعد أن قويت شوكة الإمام عبد الله بن حمزة بكثير من البلاد العليا [6] ، أدرك الأيّوبيون ضرورة التحرّك بأكثر حزم لمواجهة الخطر الزّيدي الذّي ما انفكّ يحتدّ يوما بعد يوم ، فلمّا كانت سنة 604 هـ/ 1207 م نهض الأتابك سنقر من زبيد في اتجاه منطقة وصاب فحاصر أهلها وضيّق عليهم حتّى دانوا له بالطّاعة وتخلّوا عن ولائهم للأشراف[7] ، ثم سار قاصدا البلاد العليا بعد أن وصلته الأخبار بإختلال الأوضاع بتلك النواحي فلمّا بلغ ريدة وصلت إليه كتب حصن أهل بكر يستدعونه للوصول لتسليمه الحصن وهي مكيدة دبّرها رجال الزّيدية للإيقاع بالأتابك بتواطئ من أهل الحصن [8]. لكن الأتابك سرعان ما اكتشف المؤامرة وأرسل بعسكر ناحية بلاد صيد فأخرب بها قرية يناعة ثم نهض إلي شوابة فأقام بها بعض الوقت وأراد الصدور منها إلى منطقة

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص118 .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص129 . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص387 .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص130 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص389 .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص132 .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص133 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص389 .

(6) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص133 .

(7) المصدر نفسه ، ص135 .

(8) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص135 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص392 .

الجوف فلما علم أعلهـا عزمه على التقدّم ناحيتهم بادروا بالوصول إليه ، باذلين له الطّاعة ، ملتمسين العفو والأمان فآمنهم وعاد إلى صنعاء [1] .

وأمام تعاظم وطأة الأشراف خلال هذه المرحلة وتقوّي جانبهم عن ذي قبل أدرك الأتابك أنّه لا مناص من طرق أسلوب المهادنة تجاههم حتّى يتسنّى له إعادة ترتيب قوّاته واستعادة صلابة جبهته لذلك شرع في الخوض في مفاوضات صلح مع الإمام فاصطلحا على وقف القتال وأن يعود كلّ منهما إلى مستقرّه [2] . ولأنّ هذا الصّلح الأخير لم يكن كسابقيه سوى هدنة مؤقّتة لإستئناف النّزاع بين الجانبين فقد عمل الأتابك منذ عودته إلى زبيد على حشد مزيد من العساكر حتّى اجتمعت لديه منهم جموع كثيرة ، فلمّا كان شهر شوّال من سنة 604 هـ / 1207 م نهض من زبيد وهو ينوي بلوغ صعدة لبسط نفوذه على ما تبقّى من بلاد اليمن [3].

وفي المقابل فإنّ الإمام عبد الله بن حمزة لم يسعه إلاّ نقض اتّفاق الهدنة الذّي بينه وبين الأيّوبيين لمّا بلغه مسير الأتابك سنقر ناحية البلاد العليا [4]، فكان أن سارع من جهته بتسيير جيش صوب المهجم من أرض تهامة بقيادة أخيه عماد الدّين يحي بن حمزة فسار إليها آخذا على طريق بكيل يعاضده في ذلك المؤيّد بن قاسم السّليماني صاحب حرض صحبة جماعة من الأمراء الأشراف [5] . وكانت مدينة المهجم خلال ذلك العهد بين يدي بكتمر السّيفي واليها من قبل الأيّوبيين وكان غائبا وليس بالمدينة سوى مائة فارس، فأخذتهم عساكر الزّيدية على حين غرّة ووقع القتل في الفريقين وحرّقت المهجم في الأثناء [6] .

ورغم أنّ حملة الأشراف على مدينة المهجم لم تتعدّ في ظاهرها الغارة الخاطفة فإنّها كانت في المقابل تبطن تحوّلا تكتيكيّا في حسابات الإمام عبد الله بن حمزة ، الذيّ كان يرمي إلى نقل مسرح النّزاع إلى منطقة النفوذ الأيّوبي باليمن الأسفل حتّى تخفّ الوطأة على مناطق النّفوذ الزّيدي بالبلاد العليا ، ومن ثمّة يجد الأيّوبيون أنفسهم مرغمين على إنتهاج سياسة الدّفاع بدل سياسة الهجوم .

أمّا الأتابك سنقر فإنّه لم ير في هذه الغارة سوى تهديدا جادّا من الزّيدية لمناطق النّفوذ الأيوبي وإجتراءا غير سابق النّظير على التوغّل ناحية تهامة ، لذلك

---

(1) ابن حاتم . السّمط الغالي الثمن ، ص139 .

(2) ابن حاتم . المصدر نفسه ، ص139 . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص393 .

(3) ابن حاتم . المصدر نفسه ، ص140 .

(4) المصدر نفسه ، ص140 .

(5) المصدر نفسه ، ص141 .

(6) المصدر نفسه ، ص141 .

أثنى عزمه على التقدّم صوب البلاد العليا وتقهقر بعساكره فحطّ بحصن تعزّ [1] تحسّبا لهجوم زيديّ أكثر وطأة وهناك وافاه بكتمر السّيفي صاحب المهجم وبين يديه المؤيّد بن قاسم صاحب المخلاف السّليماني مقيّدا في الأغلال [2] ، بعد أن وقع في الأسر إثر تواطئه مع الأشراف الزّيدية أثناء إغارتهم على مدينة المهجم ، فقابله الأتابك بالإكرام والتّعظيم وأفاض عليه من الخلع حتّى ملك جوارحه[3] ثمّ شرع في الخوض معه حول الطريقة المناسبة للتخلّص من الأشراف الزّيدية فاتّفقا رأيهما على أنّ ذلك لا يكون إلاّ بجمع كلمة الأشراف بني سليمان وبني موسى على مناهضة الإمام عبد الله بن حمزة وتقوية جانبيهما لمحاربته [4].

وسعيا منه إلى طرق الأساليب الديبلوماسية بغية عزل القوّة الزّيدية ومحاصرتها ، لا سيما بعد أن أظهرت الحلول العسكريّة بمفردها قصورها عن بلوغ هذا الهدف ، عمل الأتابك من جهته جادّا على تكوين جبهة مناهضة للإمام عبد الله بن حمزة بشمال تهامة وذلك عندما استقدم الأمير منصور بن دواد من بني موسى ومنحه ولاية حرض على أن يتعهّد بمعاضدة ومعاونة المؤيّد بن قاسم السّليماني الذّي جعل له الأتابك المتقدمة بحرض ووهبه بلاده جميعا إقطاعا مقابل بذله الطّاعة والولاء [5]، كما عمد الأتابك في الأثناء إلى إرسال حامية تضمّ خمسين فارسا صحبة الشّريف السّليماني بعد أن أحلّ أولاده عنده رهينة وذلك حتّى يظلّ على ولائه ويثبت على الطّاعة[6].

وما أن نجح الأتابك في كسب ولاء أشراف المخلاف السّليماني حتّى سار بعساكره قاصدا البلاد العليا فوصل صنعاء في شهر محرّم من سنة 605هـ / 1208 م وهناك شرع في مفاوضة الإمام عبد الله بن حمزة في صلح بينهما فعقدا اتّفاقا بموجبه يتسلّم الأمير وردشار من الإمام مائة حملا من الحديد وعشرة من الخيل على أن تكون للزّيدية بلاد الظّاهر والجوفين وصعدة وللأيّوبيين البونين الأعلى والأسفل [7] .

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص142 .

(2) المصدر نفسه ، ص142 .

(3) المصدر نفسه ، ص142 .

(4) المصدر نفسه ، ص142 .

(5) المصدر نفسه ، ص142 .

(6) المصدر نفسه ، ص142 .

(7) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص143 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1 ص 408. ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص393 .

غير أنّه في الوقت الذي كان خلاله الأتابك يعمل على تقوية جبهة الأيّوبيين إزاء الخطر الزّيدي المتصاعد كان الأمير الشّهاب الجزري قد أضمر من جهته الخلاف والعصيان على الحكم الأيّوبي وسار من زبيد بمن معه قاصدا الإمام عبد الله بن حمزة فإنضمّ إليه وصار من أعوانه[1] .

ثم إنّ الوضع ازداد صعوبة عندما سادت جهات صنعاء موجة من العصيان والتمرّد واضطربت على الأمير وردشار تلك النّواحي من بلاد اليمن فغدا من جهته عاجزا على الأخذ بزمام الأمور[2] ، لذلك لم يتوان في مكاتبة الأتابك يخبره بما آل إليه الوضع من خطورة حاثّا إيّاه على الإسراع بالوصول قبل أن تؤخذ منه البلاد قهرا [3].

وأمام خطورة هذه المرحلة سارع الأتابك بالتحرّك لمّا بلغته مراسلة الأمير وردشار حتّى أنّه أبطل على الناس السّفر إلى الحجّ خلال تلك السّنة وعكف على تجهيز العساكر [4] ، فلمّا اجتمعت لديه منهم جموع كثيرة سار من زبيد قاصدا صنعاء فدخلها في شوّال من سنة 605 هـ / 1208 م وأقام بها بعض الوقت ثمّ أخذ في شنّ الغارات على المخاليف المجاورة فأخرب قرى عديدة وزروعا كثيرة بجهات الظاهر وتقدّم ناحية الجوف فأفسد زروع خيوان والباطنة وعمد إلى حصن براقش [5] فقتل أهله وسلّمه لرجل يعرف بمحمّد بن حجّاف وهو من حلفاء الأيّوبيين المناهضين للإمام عبد الله بن حمزة [6].

ثم إنّ الأتابك تابع حملته لإخضاع مزيد من المواقع بالبلاد العليا فقصد بلاد حجّة وكان أهلها قد أعلنوا الخلاف والعصيان فقبض على زعيمهم عطيّة بن سوقّق وولّى عليهم رجلا من أعوانه يدعى علي بن حجّاج [7]، فلمّا كان المحرّم من سنة607 هـ / 1210م تقهقر الأتابك بعساكره ناحية صنعاء فلم يلبث بها إلاّ يسيرا ثمّ قصد جهة الطّويلة [8] فقاتل أهلها كما عمد في الأثناء

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص142 .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص143 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص 408. ابن الحسين . غاية الأماني، ج1 ص393 .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص144. ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص393 .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص144. ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص393 .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص144. ابن الحسين ، المصدر نفسه ج1 ص393 .

(6) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص144.

(7) براقش : حصن باليمن يسكنه بنو الأوبر بلحارث بن كعب ومراد . ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ص 434.

(8) الطّويلة : جبل وحصن يقعان بالقرب من صنعاء . الخزرجي ، العقود اللّؤلؤيّة ، ج 1 ص152، 369 . ابن الحسين، المصدر نفسه ، ج 1ص394 .

إلى خراب العديد من المواضع والقرى المتاخمة لمدينة صنعاء وذلك قبل أن يسلك طريق العودة في اتجاه زبيد [1].

غير أنّه ما أن عاد الأتابك ناحية البلاد السّفلى حتّى تمكن رجال الزّيدية من الإستيلاء على حصن براقش بعد أن بادر واليه محمد بن حبّاف بتسليمه إلى الإمام عبد الله بن حمزة [2]، كما أظهر في الأثناء والي بسريش [3] وأهل بكيل الخلاف والعصيان على الحكم الأيّوبي فأغار عليهم الأمير وردشار من صنعاء واكتفى بمصالحتهم بعد أن بذلوا له الطّاعة وحسن الولاء [4].

وفي المقابل فإنّ الإمام عبد الله بن حمزة قد سارع من جهته إلى الإستفادة من المرحلة الصّعبة التي يمرّ بها الحكم الأيّوبي بعد أن أظهرت عليه عديد النّواحي الخلاف والعصيان، فكان ان أوعز لأخيه الأمير أسد الدّين الحسن بن حمزة بالسّير صحبة جماعة من الأمراء الأشراف للإغارة على المهجم والمحالب من أرض تهامة فساروا ناحيتها في صفر من سنة 608 هـ / 1211 م وهناك لم تكن مهمّتهم بالهيّنة أمام القوّات الأيّوبية التي أحكمت التصدّي لهم فولّوا على أعقابهم بعد أن قتل من أكابرهم جماعة [5].

وأمام تعاظم الخطر الزّيدي في اتجاه البلاد السفّلى سارع الأتابك من جهته بالمسير ناحية البلاد العليا للتّضييق على الإمام وإرهابه حتّى تخفّ وطأته وتكفّ غاراته التي ما انفكّت تهدّد مناطق النّفوذ الأيّوبي بشكل جادّ ، فلمّا بلغ صنعاء نهض منها قاصدا بلاد بني شهاب فاكتفى بمصالحة زعيمهم الذّئب بن سلمة [6] ثمّ سار ناحية ثلا وكان الإمام عبد الله بن حمزة قد جعل منها قاعدة لعساكره فأخرب جانبا منها [7].

وأمام تزايد نفوذ الزّيدية وتقويّ شوكتهم بعد أن فشلت كلّ المحاولات لإقصائهم والقضاء على وجودهم كأطراف سياسيّة فاعلة أدرك الأتابك سنقر ضرورة العمل على مهادنتهم حتّى يحدّ من خطرهم ويأمن ولو لحين جانبهم، لذلك سعى إلى

---

(1) ابن حاتم، السّمط الغالي الثّمن ، ص145 . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص394 .

(2) ابن حاتم، المصدر نفسه ، ص145 .

(3) بريش : بفتحتين وياء ساكنة وسين معجمة ، حصن باليمن من أعمال صنعاء ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج 1 ص 483.

(4) ابن حاتم، المصدر نفسه ، ص145 .

(5) ابن حاتم، المصدر نفسه ، ص145-146 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص394-395 .

(6) ابن حاتم، المصدر نفسه ، ص146 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص395 .

(7) ابن حاتم، المصدر نفسه ، ص146 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص395 .

التّفاوض مع الإمام في هدنة بينهما فعقدا صلحا بموجبه يتمّ وقف القتال بين الجانبين لمدّة سنتين [1].

وما أن أتمّ الأتابك إتّفاق الهدنة مع رجال الزّيديّة حتّى نزل ناحية تهامة آخذا على طريق حراز، فلمّا وصل زبيد ألقى القبض على الأمير الشّهاب الجزري الذّي كان قد سبق له أن أظهر الخلاف والعصيان فأودعه سجن التّعكر [2]، ثمّ نهض إلى جهة تعزّ وهناك أخذ في التجهّز للسّفر إلى الحجّ فأدركته الموت ودفن بالمدرسة التّي بناها بذي حريم [3] بتعزّ في جمادى الآخرة من سنة 608 هـ / 1211 م [4] ، وبموته تنتهي مرحلة حاسمة من الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن ويهيّأ المناخ في المقابل لتطوّرات سياسيّة خطيرة في المستقبل .

خاتمة :

لقد كان للأزمة السّياسيّة الحادّة التي عاشها الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن زمن ولاية الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين بالغ الأثر فيما عرفه النّفوذ الأيّوبي منذ ذلك العهد من هشاشة وضعف خطيرين في وقت تعاظمت فيه وطأة القوّة الزّيديّة بزعامة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، الذي كان قد إستفاد كثيرا من الصّدع الحاصل داخل الصفّ الأيّوبي والذّي جاء بدوره ليترجم عن ضعف ظاهرة الولاء السّياسي لدى كثير من رجال الدّولة الأيّوبيّة، وذلك رغم المبادرة الجريئة التي كان أتاها الأتابك سيف الدين سنقر والتي بفضلها إستطاع الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن أن يستعيد شيئا من تماسكه وصلابته وينجح إلى حين في التصدّي للقوى المناوئة له .

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص146-147 . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص395 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن"، مجلّة آداب الرّافدين ، ص 130.

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص146. ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص395 .

(3) حريم : تصغير حرم وهو حصن من أعمال تعز . ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ص289 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص395. ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص77 .

(4) ابن حاتم . المصدر نفسه ، ص147 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص 81. ابن الدّيبع. قرّة العيون ، ج1ص408 . بغية المستفيد ، ص77 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص 56. الكبسي . اللّطائف السنيّة ، ورقة18 ب . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص395 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن"، مجلّة آداب الرّافدين ، ص 130. العقيلي ، من تاريخ المخلاف السّليماني ، ج 1ص179 .

الفصل الثالث : الحكم الأيوبي باليمن من الإختلال إلى الزوال

تمهيد :

لئن كانت نهاية الأتابك سيف الدّين سنقر قد أتاحت الفرصة أمام أفراد البيت الأيّوبي كي يستعيدوا الإمساك بمقاليد الحكم في الدّولة فإنّها كانت في المقابل قد وضعت الحكم الأيّوبي على مسار من التطوّرات السّياسيّة الخطيرة ، التي ستكلّل بزوال حكم هذه الأسرة من جنوب بلاد العرب لتؤول السيّادة فيها لأمرائهم من بني رسول ، الذّين كانوا في المقابل قد إستفادوا كثيرا من عجز العائلة الأيّوبيّة عن توفير سليل قادر على الأخذ بزمام الأمور والتحكّم في مسار تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الدّولة الأيّوبيّة ببلاد اليمن .

1 - من ولاية الملك الناصر أيوب بن طغتكين إلى عهد الملك المعظم سليمان بن سعد الدين شاهنشاه أو زمن إحتداد الأزمة :

أ - ولاية الملك الناصر أيوب بن طغتكين وإستبداد الأمراء بالحكم :

لمّا توفّي الأتابك سيف الدّين سنقر في شهر جماى الآخرة من سنة 608 هـ/ 1211 م استقلّ الملك النّاصر أيّوب بن طغتكين بمقاليد الحكم بالرّغم من حداثة سنّه [1] وأسند أمر دولته للأمير غازي بن جبريل[2]، فكان

---

(1) تجمع عديد المصادر على أنّ سنّ الملك النّاصر كانت لا تتجاوز خمس عشرة سنة تزيد بعض الشّهور أثناء وفاة الأتابك سيف الدّين سنقر . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص148 ، 152 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص81 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص409 . **بغية المستفيد** ، ص77 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 22ص56 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص137-138 . الحنبلي ، **شفاء القلوب** ، ص272 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص395 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤيّة** ، ج1 ص29 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة18 ب . الزّركلي ، **الأعلام** ، ج1 ص382 . التكريتي، "الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص130 .

(2) كان الأمير غازي بن جبريل عاملا على لحج زمن ولاية الأتابك سيف الدّين سنقر . ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص 148.

هو أتابكه وهو النّاقض المبرم في كل ما يتّصل بشؤون المملكة [1].

ثمّ إنّ الملك النّاصرسعى إلى إحكام سيطرته على البلاد فبادر بإحداث تعديل على مستوى ولايات الأعمال ، فكان أن أمر بفصل بدر الدّين الحسن بن علي بن رسول عن عمل ريمة وولاّه في المقابل جهة المخلاف السّليماني بعد أن كان قد عزل عنها الأمير المؤيّد بن قاسم السّليماني ، كما أقطع أميرا له يدعى سيف الدّين بن عصيّة منطقة المحالب واكتفى في الأثناء بإقرار الأمير فخر الدّين أبي بكر بن علي بن رسول على ولاية البلاد الوصابيّة كما كان منذ عهد الأتابك سنقر[2].

ونظرا لما كان يمثّله تعاظم شأن الزّيديّة المطّرد من خطر داهم يتهدّد الحضور الأيّوبي بشكل مستمرّ فقد أولى الملك النّاصر من جهته هذا الأمر كلّ عناية واهتمام وجعله ضمن أوكد مشاغله ، لذلك سارع بمكاتبة الأمير وردشار الذّي كانت ألقيت على عاتقه مهمّة حرب الزّيديّة يطلب لقاءه للنّظر في ما يجب عمله لمواجهة قوّات الإمام عبد الله بن حمزة التي عادت من جهتها للإغارة على كثير من المواضع والجهات بالبلاد العليا إثر وفاة الأتابك سنقر[3].

لكنّ الأمير وردشار قد رأى من الأجدر العمل أوّلا على تطهير الصفّ الأيّوبي من مظاهر الفرقة والخلاف قبل الخوض في مسألة حرب الزّيديّة وبعث إلى الملك النّاصر يقترح عليه تسليمه الأمير الشّهاب الجزري لقتله [4] جزاء ما أظهره من عصيان وخلاف زمن ولاية الأتابك سنقر وانضمامه في الأثناء لجانب الإمام عبد الله بن حمزة ، عندئذ استشار الملك النّاصر وزيره غازي بن جبريل في الأمر فأشار عليه بتسليمه إليه فسلّمه بدوره لأحد مماليكه فتولّى قتله [5].

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص148 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص 81 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤيّة** ، ج1 ص29 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص409 . **بغية المستفيد** ، ص77 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص395 . الزّبيدي ، **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيّوب** . ص58 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة18 ب . أمّا أبو مخرمة فإنّه ينفرد مغايرة تفيد بأنّ الملك النّاصر أيّوب بن طغتكين كان قد أسند أمر مملكته للأمير وردشار فلمّا توفّي هذا الأخير آلت الأتابكيّة للأمير غازي بن جبريل ، **ثغر عدن** ، ج2 ص56 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص148 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص395 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص148 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص395 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص148 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص395 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص149 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص395 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

وما أن تحقّق الأمير وردشار من نهاية الشّهاب الجزري حتّى سار ناحية تعزّ لملاقاة الملك النّاصر، فإستقبله هذا الأخير بكثير من الإحسان والتّعظيم والإجلال تقديرا لجهوده المتواصلة في التصدّي للقوّة الزّيديّة ، وكمكافأة له أضاف لعمله على صنعاء ولاية حصن السّمدان[1] . فلمّا كانت سنة 609 هـ / 1212 م سار الملك النّاصر صحبة الأمير وردشار ناحية البلاد العليا وهو ينوي التصدّي لقوّات الإمام عبد الله بن حمزة ، فقصدا بلاد حجّة آخذين على طريق المهجم وهنالك إنضمّ إليهما الأمير بكتمر السّيفي [2] . ثمّ تابع الملك النّاصر المسير، فلمّا بلغ منطقة الذّنائب حطّ بعساكره ، ثمّ أوعز للأمير بكتمر السّيفي بالنّهوض ناحية حجّة في جمع من العساكر فسار إليها حتّى بلغ مبين [3].

غير أنّ مظاهر الفرقة والخلاف ما لبثت أن برزت من جديد داخل الصفّ الأيّوبي بأكثر حدّة بعد أن أبدى الملك النّاصر من جهته ضعفا فادحا في موقفه وصار بدوره يعمل على زعزعة قواعد ملكه تحت تأثير الوشايات والدّسائس . ذلك أنّه ما أن سار الأمير بكتمر السّيفي قاصدا بلاد حجّة حتّي سعى الأمير وردشار إلى الوشاية به عند الملك النّاصر، فعزم هذا الأخير على قتله وبعث بوزيره غازي بن جبريل إلى المهجم ليتحوّط على أمواله[4] . فلمّا بلغ الخبر الأمير بكتمر السّيفي وهو في طريق العودة عرّج عن مخيّم الملك النّاصر مظهرا عليه الخلاف بمن معه من العساكر ، كما عمدت في الأثناء جموع من المماليك الموالية له إلى إعلان تمرّدها وأظهرت إنكارها لما كان عزم عليه الملك النّاصر[5] ، في حين سعى البعض الآخر منهم وكانوا ضمن جند الأمير وردشار إلى قتل هذا الأخير حميّة منهم على مولاهم [6].

وهكذا سرعان ما إنقلب النّظام إلى فوضى وغدا الصفّ الأيّوبي منقسما على نفسه ، بعد أن تتابعت على الملك النّاصر محاولات العصيان والتمرّد واضطربت

---

(1) كانت ولاية الأمير وردشار في بادئ الأمر مقتصرة على مدينة صنعاء فلمّا استقرّ أمره بها ناشد الأتابك سنقر في توسيع عمله فأضاف إليه جهات ذمار ورداع وغيرها من المخاليف المجاورة . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص148 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص395

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص149 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص396 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة18 ب .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص149 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص396 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص149 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص396 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص150 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص396 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص150 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص397 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

عليه البلاد . ثمّ إنّ الوضع إزداد صعوبة عندما أعلن أميران من كبار الأمراء الخلاف على الملك الأيّوبي وهما الأمير سنقر الزّواحي والأمير قرا سنقر صحبة خمسين فارس من المماليك واجتمعوا بقرية الذّنائب [1]، عندئذ لم يجد الملك النّاصر بدّا التّراجع خوفا من المتمرّدين [2] يصحبه في ذلك الأمير وردشار، فلمّا بلغ المهجم أخذ ما بها من مال وعيال لبكتمر السّيفي ثمّ سار قاصدا تعزّ [3].

وفي المقابل فإنّ الأمير بكتمر السّيفي لم يكن ليتقبّل عن طيب خاطر إستيلاء الملك النّاصر على أمواله وأسر عياله وبادر من جهته بالسّير ناحية المهجم بمن معه من المتمرّدين يعاضده في ذلك كل من الأمير سنقر الزّواحي والأمير قراسنقر فعاثوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد [4] ، فلمّا بلغ ذلك الملك النّاصر عزم على مناجزتهم وسار إليهم صحبة الأمير وردشار في جموع كثيرة من العساكر في حين كان الأمير بكتمر السّيفي قد بادر بالإلتجاء إلى جبل برع [5]وهناك دارت بين الجانبين وقائع كثيرة انتهت بعقد صلح بينهما يقضي بأن يدفع بموجبه الملك النّاصر إلى الأمير بكتمر السّيفي مالا بقيمة أربعين ألف مثقال كتعويض منه عمّا أخذه من أمواله أثناء إستيلائه على مدينة المهجم[6].

وفي الأثناء كان الملك النّاصر قد إشترط من جانبه على الأمير بكتمر السّيفي ترك البلاد فسار هذا الأخير قاصدا الشّام صحبة الأمير قراسنقر ، أمّا الأمير سنقر الزّواحي فقد بادر بطلب الأمان من الملك النّاصر فأمّنه هذا الأخير وعادا سويّا ناحية زبيد [7].

وما أنّ إستقرّ الملك الناصر في الحكم حتّى عمل على التخلص من الأمير وردشار إتقاء لشرّه ، بعد أن كان قد تسبّب له في كثير من المتاعب كادت تؤول على ملكه بالوبال ، لذلك لم يتوان في قتله بأن سقاه السّمّ حتّى توفّي بحصن السّمدان في أواخر سنة 609هـ / 1212 م ثمّ حمل إلى الجند فقبر بها عند مسجد سرب [8] .

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص151 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ،ج1 ص397 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة18 ب .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص151 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص397 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص151 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص397. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص151 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص397 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص151 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص397 .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص151 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص397 .

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص151 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص397 .

(8) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص152 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص397 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18 ب .

* تغلب الوزير غازي بن جبريل على الحكم ونهاية الملك الناصر أيوب بن طغتكين :

إذا كان برحيل الأمير بكتمر السّيفي وبموت الأمير وردشار قد نجح الملك الناصر في إقصاء بعض العناصر، التي من شأنها أن تحدث الضرّر بالحكم وبتماسكه فإنّ ذلك لم يكن شرطا كافيا للإستقلال بالسّلطة العليا في الدّولة وبالقرار الأخير، اللّذين أصبحا خارج دائرة نفوذه بعد أن غدا حضوره رمزيّا أو يكاد .

فقد إستغّل الوزير غازي بن جبريل حداثة سنّ الملك النّاصر وشغور البلاط الملكي من أطراف فاعلة لكي يصبح صاحب الأمر والنّهي في الدّولة لاسيما بعد مقتل الأمير وردشار ، الذي كان وجوده إلى جانب الملك النّاصر قد شكّل عقبة حالت دون وصول الوزير ابن جبريل إلى ما يصبو إليه [1]. ثمّ إنّ الوزير غازي بن جبريل ما لبث أن صار أتابكا على العسكر [2] ، فحمل الملك النّاصر على النّهوض صوب صنعاء فوصلها في آخر شهر ذي القعدة من سنة 610 هـ/ 1213 م وهناك بادر بمصادرة أموال الأمير وردشار ، كما عمل على عزل عمّاله وملاحقة مماليكه وأتباعه فألقى القبض على بعضهم وأودعهم السّجن، في حين نجا البعض الآخر منهم وإستجاروا بالشّيخ راشد بن مظفّر بن الهرش السّنحاني [3] .

فلمّا كان شهر محرّم من أوّل سنة 611 هـ / 1214 م نهض الملك النّاصر من صنعاء صحبة وزيره غازي بن جبريل ، فحطّ بموضع يعرف بحراف صنعاء [4] وهو ينوي التعرّض لأصحاب الإمام الذين كان أمرهم قد ازداد ظهورا بكثير من البلاد العليا وفي المقابل كان رجال الزّيدية قد استطاعوا طوال الفترة المضطربة التي عاشها الحكم الأيّوبي منذ وفاة الأتابك سنقر أن يعيدوا ترتيب جبهتهم فغدت قويّة وصلبة أكثر من ذي قبل ، لذلك فإنّ الملك النّاصر لم يجد بدّا من التّقهقر بعساكره ناحية صنعاء [5]، بعد أن تيقّن من تماسك جبهة الإمام وأدرك عن قرب شدّة وطأة رجاله .

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص152 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص81. أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص56 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص409 . بغية المستفيد ، ص77 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص397 . الكبسي ، اللّطائف السنّية ، ورقة18 ب .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص152 .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص152 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص398 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة18 ب .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص152 . ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص81. ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص409 . بغية المستفيد ، ص77 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص56 . ابن الحسين ،المصدر نفسه ، ج1 ص398 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة18 ب .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص152 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص398 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة18 ب .

أمّا الوزير غازي بن جبريل فإنّه قد سعى من جانبه إلى استغلال حداثة سنّ الملك النّاصر وبعد هذا الأخير عن عياله وأهله فعمل على التخلّص منه بأن سقاه سمّا طمعا في الملك من بعده ، لذلك لم يلبث الملك الشّاب إلاّ قليلا ثمّ توفّي مسموما بصنعاء في يوم الجمعة الحادية عشر من شهر محرّم من سنة 611هـ / 1214 م [1].

وبموت الملك النّاصر غدا منصب الحكم في الدّولة شاغرا لعدم وجود سليل من البيت الأيّوبي قادر على الأخذ بزمام الأمور وتصريف شؤون المملكة ، عندئذ سارع الوزير غازي بن جبريل بإنتهاز الفرصة فجمع كبار الأمراء حوله وفرّق فيهم الأموال فملك نواصيهم حتّى بايعوا له بعد أن كان قد استحلفهم لنفسه، ثمّ ما لبث أن تلقّب بالملك الظّافر فبايعه الجند على ذلك وضربت السكّة بإسمه وأصبحت الخطبة تقام له في مدينة صنعاء [2].

ثم إنّ الوزير ابن جبريل بادر بتعيين ثلّة من الولاّة الموالين له على المخاليف المجاورة لصنعاء بعد أن عزل عنها نوّاب الملك النّاصر ، فكان أن ولّى على حصن براش محمود العجمي وجعل على صنعاء أميرا يقال له القيسي ، بعد أن كان قد رتّب معه حامية بمائة وخمسين فارس وإختار لمعاضدته الشّيخ صارم الدّين راشد بن مظفّر بن الهرش زعيم سنحان [3] .

وما أن إستتبّ الأمر للوزير غازي بن جبريل بصنعاء وبالجهات المجاورة حتّى سار ناحية حصن تعزّ المقرّ الرّئيسي للحكم خلال ذلك العهد، فلمّا بلغ حصن دروان رتّب فيه نائبا من قبله وعمد إلى أهل البلاد الّذين من حوله وهم من آل

---

(1) ابن حاتم . **السّمط الغالي الثمن** ، ص152 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص81. الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج1 ص29 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص409 . **بغية المستفيد** ، ص 77. الحنبلي، **شفاء القلوب**، ص272 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص 138. الزّبيدي، **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيّوب** ، ص58 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص56 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص398-399 . الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة18 ب . أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص86 . الزركلي ، **الأعلام** ، ج1 ص382 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 131. العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج1ص180 . شاكر حسين ، "تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن" ، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص56 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص153 . ابن عبد المجيد، **المصدر نفسه** ، ص81-82 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص409 . **بغية المستفيد** ، ص 78 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1ص399 . الحنبلي، **شفاء القلوب** ، ص 272. الكبسي ، ، ورقة 18ب . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص57 . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السليماني** ، ج1 ص 180. التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص131 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص153 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص399 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة18-19 ب .

المعمّر فقتل منهم جماعة [1] ، ثمّ تقدّم ناحية نقيل قيظان فلمّا علمت به قبائل تلك الجهة توافدوا عليه فإنتهبوا أمواله ولم يبق معه إلاّ الخيل والحريم [2]. كما إعترض سبيله في الأثناء أهل السّحول ، فإستولوا على ما بقي معه من الخيل والسّلاح وهتكوا ركبه [3] . عندئذ لم يجد بدّا من الإلتجاء إلى مدينة إبّ بعد أن تفرّقت عنه جموع الجند والعساكر ، الذّين كان قسم كبير منهم يتألّف من مماليك الملك النّاصر [4] .

* أمّ الملك النّاصر تثأر من الوزير إبن جبريل وتمسك بمقاليد الحكم :

ما أن تأكّد تورّط الوزير غازي بن جبريل في مقتل الملك النّاصر، بعد أن أظهر من جهته حرصا شديدا على الوصول إلى سدّة الحكم والتغلّب على مقاليد السّلطة العليا في الدولة ، حتّى بادر أفراد البيت الأيّوبي باليمن إلى الحؤول دون خروج الملك من بين أيديهم وعملوا في المقابل على القصاص من الوزير الآثم .

ذلك أنّه ما أن بلغ خبر موت الملك الناصر إلى أمّه بحصن حبّ حتّى إنهالت هذه الأخيرة شتما وتأنيبا لمماليك ولدها صحبة من معها من الخواتين من نساء الأيّوبيين محرّضة إيّاهم على الأخذ بثأره من الوزير غازي بن جبريل كتعبير منهم على صدق وفائهم لمواليهم [5]، فكان أن توجّهوا فورا إلى مدينة إبّ وهناك وثبوا

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص153 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص399 . الكبسي ، اللّطائف السنّية، ورقة19 ب .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص154 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج1 ص399 . الكبسي ، المصدر نفسه، ورقة19 أ .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص154 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1ص399 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة 19أ . ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص82 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1 ص410 . بغية المستفيد ، ص 78 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص57 . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السليماني ، ج1 ص 180 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " مجلّة آداب الرّافدين ، ص131 .

(4) ابن حاتم ،المصدر نفسه ، ص154 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة 19أ . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1ص399 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص410 . بغية المستفيد ، ص 78 . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السليماني ، ج1 ص 180.

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص155 . ابن الدّيبع ، المصدر نفسه، ص410 . بغية المستفيد ، ص 78 . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السليماني ، ج1 ص 180. التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " مجلّة آداب الرّافدين ، ص131 .

على الوزير غازي بن جبريل في بيته فقتلوه ، ثمّ إحتزّوا رأسه وحملوها إلى أمّ الملك النّاصر سعيا منهم إلى نيل رضاها وتقربّا منها [1] .

وأمام الشغّور الحاصل على مستوى سدّة الحكم كان لا بدّ من إيجاد حلّ عاجل لهذا الفراغ المؤسّساتي الخطير وذلك حتّى لا تتطوّر الأمور نحو الأسوأ وينخرم الأمن والنّظام أكثر من ذي قبل وهو ما أدركته أمّ الملك النّاصر غداة مقتل الوزير غازي بن جبريل ، لذلك سارعت من جهتها إلى النزول ناحية زبيد فتحوّطت على ما فيها من الأموال ثمّ نهضت إلى تعزّ المقرّ الرّئيسي للحكم فتولّت الإشراف على تصريف شؤون المملكة بنفسها[2] . ونظرا لضرورة وجود رجل يباشر بنفسه سير دواليب الحكم في الدّولة إلى جانب أمّ الملك النّاصر وبقيّة الخواتين قرّر أعيان الدّولة وقوّاد الجيش اختيار مملوك من المماليك يعرف بالمجاهد وبايعوا له بالطّاعة على أن يكون لهنّ أتابكا [3].

غير أنّه إذا كان أفراد البيت الأيّوبي قد نجحوا خلال هذه المرحلة في الحؤول دون ذهاب سدّة الملك من بين أيديهم ، بعد القضاء على الوزير غازي بن جبريل الذّي كان أظهر من جهته نيّة الإستبداد بالحكم والتغلّب عليه ، فإنّ ذلك لا يمكن أن يخفي ما آل إليه في المقابل الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن من تراجع خطير أمام تزايد وطأة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، الذّي عمل في الأثناء على الإستفادة من الوضع الصّعب الذّي أصبح عليه الصفّ الأيّوبي غداة موت الملك النّاصر، ساعيا كعادته إلى توسيع مجال نفوذه وبسط يده على كثير من

---

(1) أمّا ما يذكره ابن واصل وأبو الفدا من أنّ مقتل الوزير غازي بن جبريل كان على يد جماعة من العرب فهو لا يعدو أن يكون إلاّ وهما ، ذلك أنّه ليس هناك ما يشير إلى تورّط عناصر عربيّة في الفتنة التي نشبت داخل الحكم الأيّوبي خلال ذلك العهد . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص 139 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 3 ص 101-102 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص155 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص82 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤيّة** ، ج1 ص 30. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص410 . **بغية المستفيد** ، ص 78. العنبلي ، **شفاء القلوب** ، ص272 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص 57. الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة19 أ ، التكريتي "الأيّوبيون في اليمن" **مجلة آداب الرّافدين** ، ص 131.

(2) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص155 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤيّة** ، ج1 ص30-31 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص138-139 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص410-411 . **بغية المستفيد** ، ص78 . ابن أيبك الدّوادار ، **كنز الدّرر وجامع الغرر** ، ج 7ص 156 . ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 5ص334 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 3ص102 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة19 أ . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلة آداب الرّافدين** ، ص 131. العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج1 ص 181.

(3) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص399 . شاكر حسين ، "تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو اليمن" ، **الندوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص 58.

النّواحي من اليمن الأعلى حتّى تمكّن من الإستيلاء على مدينة صنعاء في أوائل شهر ربيع الأوّل من سنة 611 هـ/ 1214 م ، بعد أن كانت عساكره قد نجحت بقيادة أخويه يحي والحسن في إجلاء من بها من بقايا الأيّوبيين [1] .

ثمّ إنّ الإمام عبد اللّه بن حمزة قد إتجّه بأنظاره جنوبا فسار ناحية مدينة ذمار، بعد أن كان قد ولّى على صنعاء الشريف محمّد بن علي العلوي[2] ، فلمّا بلغ خبر قدومه من بذمار من الأيّوبيين حتّى تركوها والتجؤوا إلى حصن هران ودار خولان تحت قيادة كلّ من الأمير محمّد بن موسى الكردي وحسين بن محمد الكبكاري [3]. وأمام إصرار الأيّوبيين على المنعة حطّ الإمام بعساكره بظاهر ذمار، ثمّ أحكم الحصار على دار خولان حتّى طلب من بها من الأيّوبيين الأمان فأمّنهم مقابل شروط اشترطها عليهم وهي أن يسلّم لهم أزواجهم وحريمهم ويأخذ ما عدا ذلك من الدّواب والأموال [4]. فلمّا تمّ الصّلح دخل الإمام ذمار ثمّ أمر بمحاصرة بقايا الأيّوبيين الّذين بحصن هران حتّى طلبوا بدورهم الأمان فأمّنهم مقابل الشّروط ، التي كان اشترطها على أصحاب دار خولان [5].

وما أن استقام الأمر للزّيديّة بجهة ذمار وما ناهجها من مخاليف اليمن الأوسط حتّى جعل الإمام عبد اللّه بن حمزة ولايتها للأمير علم الدّين سليمان بن موسى [6] ، ثمّ سار قاصدا البلاد العليا فأقام الحصار على حصن براش أين كانت فلول الأيّوبيين الفارّة من صنعاء قد أحكمت التحصّن بزعامة كلّ من الأمير محمود

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص155 . ابن الحسين، **غاية الأماني** ، ج1 ص399 . الكبسي، **اللّطائف السنيّة**، ورقة19 أ . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص82 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 410-411 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص155 المحلي ،**الحدائق الورديّة في مناقب أيمّة الزّيدية** ، ورقة 174 ب . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص399 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة19 أ . ابن مظفّر، **كتاب الترجمان المفتّح لكمائم البستان الجامع لأسماء جماهير الصّحابة والتّابعين والأئمّة السّابقين**، ورقة 69 أ ، 69ب . ابن عبد المجيد، **بهجة الزّمن** ، ص82 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص411 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص155 . المحلّي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 174ب . ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص400 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص155 . المحلّي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 174ب . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص400 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص155 . المحلّي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 174ب . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص400 .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص156 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص411 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج1 ص 30-31. ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج1 ص400 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص 82.

العجمي والأمير القيسي [1]، فلمّا كان شهر شوّال من سنة 611 هـ / 1214 م نجح رجال الزّيدية في الإستيلاء على حصن كوكبان وغزوا لحجا والرّعارع وبلاد بني حبيش[2]وذلك بعد أن أظهر الجانب الأيّوبي في المقابل كثيرا من الضّعف والتّراجع ومزيدا من الهشاشة والتفكّك .

كما عمل بنو حاتم الهمدانيّون من جهتهم على الإستفادة من المرحلة الصعبّة التي آل إليها الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن ، فعمدوا في الأثناء إلى التغلّب على العديد من الحصون والقلاع المجاورة لصنعاء فأخذوا حصن بيت نعم وحصن فدة وحصن الظّفر والفص والمصنعة [3].

وأمام خطورة الوضع كان لزاما على الجانب الأيّوبي مزيدا من التحرّك للإمساك بزمام الأمور واستعادة السّيطرة على ما ذهب من مناطق النفّوذ ، لذلك لم تتأخّر أمّ الملك النّاصر في السّعي من جهتها قصد إيجاد حلّ شاف للأزمة التي آل إليها الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن غداة وفاة ابنها فبادرت بإرسال أعوانها إلى مكّة ليكشفوا لها عن أخبار مصر والشّام[4] ، متطلّعة في الأثناء إلى وصول نجدة من الأيّوبيين الذّين في الخارج .

وكان قد تزامن وصول أعوان أمّ الملك النّاصر إلى مكّة مع قدوم المسمّى سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن المظفّر تقيّ الدّين الأيّوبي المعروف بالصّوفي[5] لأداء فريضة الحجّ خلال موسم سنة

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص157 . الكبسي، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة19 أ . ابن الحسين، **غاية الأماني** ، ج1 ص400 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص158 . المحلّي ، **الحدائق الوردية** ، ورقة 174ب . ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص400 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص 82.

(3) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص410 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص155 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص138-139 . بان أيبك الدّوادار ، **كنز الدّرر وجامع الغرر** ، ج7 ص 156. ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 5 ص 334 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة19 أ . التكريتي "الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 131.

(5) عرف بالصّوفي لأنّه كان قد أظهر الزّهد والتصوّف ولبس لباس الفقراء بعد أن خلع عنه لباس الجند فكان يحمل ركوة على كتفه وينتقل مع الفقراء من مكان إلى مكان ، فلمّا كان موسم الحجّ من سنة 611هـ/ 1214م قدم إلى مكّة حاجّا مع جماعة في زيّ الصّوفيّة . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3 ص 138 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص158 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص411 . **بغية المستفيد** ، ص 78. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص82 . الكبسّي ، **اللّطائف السنيّة**، ورقة19 أ . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1ص 30. ابن أيبك الدوادار ، **كنز الدّرر** ، ج 7 ص177 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 3ص 102. أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص86 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 400. العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج 1ص181 . التكريتي ، "الأيّوبيّون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 131.

611هـ/ 1214 م [1] ، فالتقوه وعرّفوه بما آل إليه الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن من ضعف واختلال لعدم وجود شخص قادر على الأخذ بزمام الأمور ثمّ أرسلوا بخبره إلى أمّ الملك النّاصر فلم تتأخّر من جهتها في إستدعائه وتسليمه مقاليد الحكم [2] بعد أن غدا الوضع باليمن لا يحمل على التريّث والإنتظار .

ب - عهد الملك المعظّم سليمان بن سعد الدّين شاهنشاه أو ذروة الإنحلال :

لمّا كان ربيع سنة 611 هـ/ 1214 م وصل سليمان [3] بن سعد الدّين شاهنشاه إلى اليمن استجابة لدعوة أمّ الملك النّاصر أيّوب بن طغتكين التّي كانت ترى في قدومه الفرصة الأخيرة لإنقاذ ما تبقّى من نفوذ البيت الأيّوبي ببلاد اليمن، لذلك لم تتوان من جهتها في استقباله [4] أحسن إستقبال داعية إيّاه إلى الإسراع بتولّي مقاليد الحكم بقولها :" إنّا نخشى العرب تطمع فينا ونحن نساء لا حيلة لنا وقد ساقك اللّه إلينا فقم بملك ابن عمّك واستولي على ملك اليمن " [5] .

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص158 . ابن واصل ، **مفرج الكروب** ، ج 3ص 138 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص400 . الكبسيّ، **اللطائف السنية** ، ورقة19 أ .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص159 . ابن واصل ، **المصدر نفسه** ، ج 3 ص 139. الخزرجي ، **العقود اللؤلؤيّة** ، ج 1ص30 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة19 أ . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص 411. **بغية المستفيد** ، ص 78. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص82 . أبوشامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص 86. أبو الفدا، **تاريخ** ، ج 3ص102 . ابن أيبك الدّوادار ، **كنز الدّرر**، ج 7ص177 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص401-402 . العقيلي، **من تاريخ المخلاف السليماني** ، ج 1ص181 . التكريتي ، " الأيّوبيّون في اليمن "، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص131 . شاكر حسين ، " تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن " ، **الندوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص58 .

(3) هو الملك المعظّم سليمان بن سعد الدّين شاهنشاه بن تقيّ الدّين عمر بن نور الدّين شاهنشاه بن نجم الدّين أيّوب بن شادي بن مروان . أبو الفدا ، تاريخ ، ج3ص102-103 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص139 . أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص 86.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص158 . الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة19 أ . الخزرجي ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص30-31 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص82 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص411 . **بغية المستفيد** ، ص 78. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص402 . ابن واصل ، **المصدر نفسه** ، ج 3ص139 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج3 ص 102. أبو شامة ، **ذيل الروضتين** ، ص86 . ابن أيبك الدّوادار ، **كنز الدّرر**، ج 7ص156 . العقيلي، **من تاريخ المخلاف السّليماني**، ج 1ص181 . شاكر حسين ، " تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن " ، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، ص58 .التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 131.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص159 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص411 . **بغية المستفيد** ، ص 78.

وحرصا منها على تماسك البيت الأيّوبي أقدمت أمّ الملك النّاصر على الزّواج من سليمان بن شاهنشاه بعد أن خلعت عليه خلع الملك [1]، فغدا منذ ذلك الحين صاحب الأمر والنّهي في المملكة . غير أنّ هذا الإجراء لم يكن ليرضى الأتابك المجاهد الذّي رأى فيه إقصاء صريح له، لذلك لم يتوان من جهته في إظهار العصيان والخلاف والتجأ ناحية حصن السّمدان صحبة جموع من الجند فأمتنع بداخله [2].

أمّا الملك سليمان فإنّه ما أن تسلّم مقاليد الحكم حتّى سعى إلى إحكام سيطرته على البلاد فبادر بإحداث تغيير على مستوى ولايات الأعمال فولّى على صنعاء ومخاليفها رجل من الأمراء يعرف بأبي شامة وجعل على ذمار أميرا يدعى صالح بن هاشم[3] . ثمّ وجّه اهتمامه إلى إخماد حركات العصيان والتمرّد التي ما لبثت أن سرت بعديد الجهات ، فجهّز لها البعوث والسّرايا حتّى تمكنت عساكره من القضاء على مظاهر الخلاف بكلّ من حصني صبر والتعكر . كما تمكّن الأمير سيف الدّين بن عصيّة في الأثناء من التصدّي لتمرّد أهل سهلة [4] وإستولى على المعاقل والحصون التي بتلك النّواحي حتّى دان أهلها بالطّاعة [5] .

ثمّ إنّ الأتابك المجاهد ما لبث أن سار بجموعه ناحية تعزّ وهو ينوي التغلّب على الحكم بعد أن وصلته البعوث من بعض المارقين تحرّضه على الظّهور ، لكنّ الملك سليمان سرعان ما تفطّن لهذه المؤامرة وقبض على الأتابك المجاهد وعلى من معه من الجند فأستباح جميع ما بحوزته ثمّ عمل على التخلّص منه بأن أمر بقتله بعد أيّام [6].

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص159 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص 411. **بغية المستفيد** ، ص 78. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص82 . الكبسي ،**اللّطائف السنّية** ، ورقة19 أ . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص401-402 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص 139. أبوشامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص 86. أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 3ص102-103 . التكريتي ، "الأيّوبيّون في اليمن"، **مجلة آداب الرّافدين** ، ص131 . العقيلي، **من تاريخ المخلاف السليماني** ، ج 1ص181 .

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص159 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص402 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص159 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص402 .

(4) سهلة : بكسر أوّله ، حصن من حصون أبين من أعمال زبيد ، ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج3 ص330 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ، ج 2ص 761.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص160 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص402. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة19 أ .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص160 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج1 ص402.

وفي المقابل فإنّ الإمام عبد الله بن حمزة قد سعى من جهته إلى الإستفادة كعادته من حالة الإضطراب والفوضى التي تلت إعتلاء الملك سليمان لسدّة الحكم فبادر بالإغارة على جهة المخالب يعاضده في ذلك المؤيّد بن قاسم السّليماني صاحب حرض الذي كان بدوره قد أعلن الخلاف على الأيّوبيين ومال بمن معه إلى صفوف الزّيدية[1]، كما تمكّنت عساكر الإمام عبد الله بن حمزة في الأثناء من استعادة بسط نفوذها على صنعاء وعلى المخاليف المجاورة لها [2] .

غير أنّ سياسة الملك سليمان سرعان ما أظهرت فشلها لإفتقارها لكثير من معاني التبصّر والتعقّل حتّى ساءت علاقته بكبار الأمراء ورجال الدّولة البارزين لما أبداه تجاههم من سلوك مشين خال من كلّ ديبلوماسيّة، حيث كان قد أمر بعزل الأمير بدر الدّين الحسن بن عليّ بن رسول عن ولاية صنعاء ثمّ أمر بالقبض عليه [3] .

وكان الأمير الحسن بن علي بن رسول من أكابر أمراء الدّولة[4] ، فأعلن خروجه عليه ونزل من صنعاء في إتّجاه البلاد التّهاميّة بمن معه من الجند فحطّ بمدينة الكدراء [5]، فلمّا بلغ ذلك الملك سليمان نهض من حصن تعزّ على عجلة وهو ينوي التصدّي للأمير الرّسولي . غير أنّ مهمّة الجيش الأيّوبي لن تكون بالهيّنة أمام إستماتة أصحاب الأمير الحسن بن علي بن رسول ، إذ ما أن إلتقى الفريقان حتّى إنكسرت جبهة الملك سليمان وانهزمت عساكره لذلك لم يجد بدّا من السّعي إلى طلب الصّلح ، فعقد الطّرفان في الغرض إتفاقا توقّف بموجبه القتال بينهما [6].

ثمّ إنّ الملك الأيّوبي قد تمادى في سياسته الجائرة والمتصلّبة تجاه المحيطين به غير مكترث بعواقبها الوخيمة حتّى غدا في عزلة من أمره ، بعد أن هجره أعيان الدّولة وخالف عليه وجوهها ، فكان أنّ أظهر ثلّة من كبار الأمراء خروجهم عليه بزعامة الأمير بدر الدّين الحسن بن علي بن رسول وساروا من

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص160-161 .

(2) ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص402 . ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص163 .
ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1 ص 411.

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص161-162 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص402-403 .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص161 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص402. الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة19 ب.

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص162 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص403. الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة19 ب.

(6) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص162 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص403. الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة19 ب.

زبيد في رمضان من سنة 611 هـ / 1214 م في اتّجاه منطقة المحالب [1] وهناك عملوا على مكاتبة الأمير عماد الدّين يحي بن حمزة يستأذنونه في الدّخول في جملته فأذن لهم وأوفدهم إلى الإمام فأخذ عليهم العهود وصاروا بذلك من رجاله [2] . كما تعزّز جانب الإمام عبد الله بن حمزة في الأثناء بوصول الأمير فخر الدّين بن رسول ، بعد أن كان قد أظهر من جهته الخلاف على الملك سليمان لمّا بلغه تمرّد أمراء زبيد [3].

وقد حاول الملك سليمان دون جدوى التصّدي للمتمرّدين لذلك اكتفى بترتيب حامية من العسكر بقيادة عزّالدين بن وردشار بجهة المهجم[4] ، وذلك تحسّبا لغارات الإمام الذي ما إنفكّ جانبه يتعزّز في الأثناء بقدوم المخالفين على الملك الأيّوبي . ثمّ إنّ الأمير بدر الدّين الحسن بن علي بن رسول قد بادر صحبة بقيّة الأمراء المخالفين بمراسلة عزّ الدّين بن وردشار يحرّضونه على العصيان والخلاف ويدعونه للإنضمام إليهم فيكونون في نفس الوقت يدا واحدة على الملك السليمان وعلى الإمام عبد الله بن حمزة [5].

لكنّ الإمام عبد الله بن حمزة سرعان ما تفطّن من جهته إلى هذه المؤامرة وبادر بالإغارة على المهجم في شوّال من سنة611 هـ/ 1214 م فأمعن في خرابها وحرقها ثمّ سار إلى الحرّتين فأعمل فيهما النّهب حتى حصل له بهما من العبيد والجواري زهاء مائتين وأربعين [6]. وأمام هشاشة الصفّ الأيّوبي تابع الإمام عبد الله بن حمزة حملته للإستيلاء على مزيد من مناطق النّفوذ فحطّ على حصن كوكبان وضيّق على من به من الأيّوبيين حتّى تسلّمه قهرا[7] ، كما نجحت عساكره بقيادة الأمير سليمان بن موسى عامله على ذمار في الإغارة على لحج وأبين وتمكّنت في الأثناء من التغلّب على العديد من الحصون والقلاع المجاورة [8].

---

(1) ابن حاتم ،**السّمط الغالي الثمن** ، ص162-163 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص403.

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص162-163 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص403 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص163 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص403.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص163 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص403.

(5) ابن حاتم ،**المصدر نفسه** ، ص164 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص403.

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص164-165 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص403.

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص165 . المحلّي ، **الحدائق الورديّة** ، ورقة179 أ . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 411. الخزرجي ،**العقود اللّؤلؤيّة**، ج 1ص 30-31.

(8) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص163 . ابن الحسين ،**المصدر نفسه** ، ج1 ص403. المحلّي ، **الحدائق الورديّة** ، ورقة179 أ . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 411.

وبالرّغم ما كان آل إليه النّفوذ الأيّوبي خلال هذه المرحلة من ضعف و تراجع خطيرين أمام اتساع مجال نفوذ الإمام عبد الله بن حمزة الذي نجح في الإستيلاء على أغلب البلاد العليا وراح يتطلّع بأنظاره ناحية البلاد السّفلى ، فإنّ الملك سليمان قد عكف في المقابل على الملذّات وانشغل عن تصريف شؤون الحكم بالشرب والنساء [1] فتضعضع الملك وعمّت الفوضى البلاد وضعف الجيش أمام إجتراء العصاة والمارقين حتّى قتل من الجند في موقعة بجبل صبر ما يناهز المائة فارس والملك غارق في لهوه لا يفيق يغنّي وهو سكران:

أنظروا للملــــــك غيري   أنا مشغول بإيري [2]

ثمّ إنّ الوضع إزداد سوءا عندما تنكرّ الملك سليمان لحقوق زوجته أمّ الملك النّاصر فهجرها وأعرض عنها [3] لذلك لم تتوان من جهتها في مكاتبة السلطان الملك العادل الأيّوبي صاحب مصر والشّام تشكو إليه فساد سياسته وانحراف سيرته [4] . كما أبدى الملك سليمان في الأثناء سلوكا مشينا تجاه السّلطان الملك العادل الأيّوبي عندما أرسل إليه كتابا جعل في أوّله : " أنّه من سليمان وأنّه بسم الله الرّحمان الرّحيم " [5] وهو ما أثار إستياء الملك العادل وجعله يحكم على تصرّفه بالسّوء [6] .

وأمام التطوّر الخطير الذّي ما انفكّت تشهده الحالة السّياسيّة باليمن خلال هذه المرحلة القلقة من الحكم الأيّوبي وبعد أن أظهر الملك سليمان بن

---

(1) الخزرجي، **العقود اللؤلؤيّة**، ج 1ص 30-31. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 82. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص411 . **بغية المستفيد** ، ص 78. أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 3ص 102. ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص139 . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج1 ص181 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص132 .

(2) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص411 . **بغية المستفيد** ، ص78 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص 404. العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج1 ص181 .

(3) ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص139 . ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 5ص343 . أبو الفداء ، **تاريخ** ، ج3 ص 102.

(4) هو أبو بكر محمّد بن أيّوب بن شادي بن مروان الملقّب بالملك العادل سيف الدّين كان في بداية أمره نائبا لأخيه صلاح الدّين بمصر إذا غاب هذا الأخير عنها في الشام والملك العادل هو عمّ جدّ الملك سليمان بن شاهنشاه المذكور . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص 139. أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 3ص102 . ابن الدّيبع، **قرّة العيون** ، ج1 ص411 .

(5) ابن واصل ، **المصدر نفسه** ، ج3 ص 139. ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 5ص343 . أبو الفداء ، **تاريخ** ، ج3 ص 102. التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص132 .

(6) ابن واصل ، **المصدر نفسه** ، ج3 ص 139. أبو الفداء ، **تاريخ** ، ج3 ص 102. التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص132 .

شاهنشاه من جهته فشلا ذريعا في الإمساك بزمام الأمور أدرك الملك العـــــادل صــاحب مــصــر بأنّه لا مناص مـن التـحـرّك لإنـقـاذ الحكم الأيّوبي باليـمن من الإضمحلال والقضاء على مظاهر الفرقة والخلاف التّي سادته وذلك لا يتمّ في نظره إلاّ عبر تولية اليمن لملك قويّ حازم قادر على سياستها بكفاءة [1].

وفي الأثناء وصلت رسالة إبن النسّاخ [2] المطرفي إلى الخليفة العبّاسي النّاصر لدين الله أبو العباس أحمد المستظهر يشكو إليه من جور الإمام عبد الله بن حـمزة الذّي كـان من جهـتـه قد أمـعن في اضطهاد فـرقة المـطرفيّة ببـلاد اليمن [3]، عندئذ كاتب الخليفة العبّاسي بدوره الملك العادل صاحب مصر والشّام في الأمر داعيا إيّاه إلى إرسال نجدة إلى اليمن لإنقاذ ابن النسّاخ وجماعته [4].

وحرصا منه على أن تظلّ بلاد اليمن ضمن مجال نفوذه لم يتأخّر الملك العادل في الإستجابة لتلك النّداءات بأن أذن لإبنه الكامل نائبه على مصر في تنفيذ

---

(1) لقد ظلّ الحكم الأيّوبي باليمن على صلة دائمة بالحكم المركزي في كلّ من مصر وبلاد الشّام وذلك رغم الفتور الذّي ينتاب هذه العلاقة بين الحين والآخر بسبب أنشغال الأيّوبيين خارج بلاد اليمن بحرب الفرنج الذّين ما انفكّ أمرهم يستفحل بكثير من الثّغور ، إضافة إلى انشغال الملك العادل بتثبيت حكمه بالأقاليم الشّرقية من دولته في كلّ من بلاد الشّام والجزيرة لاسيما وأنّ الملك الظّاهر بن أخيه السّلطان صلاح الدّين قد ظلّ يحمل لواء المعارضة بالمنطقة إلى حدود سنة 608هـ / 1211م حيث انتهى الأمر معه بتوقيع صلح وبذلك استطاع الملك العادل أن يرحل إلى مصر ، التّي كانت خلال ذلك العهد تحت حكم ابنه الملك الكامل وهناك وجّه اهتمامه لمعالجة أزمة الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص170 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " ، **مجلة آداب الرّافدين** ، ص132-133 .

(2) هو حسن بن محمّد بن النسّاخ من المطرفيّة من بلاد آنس ويقال أن ابن النسّاخ المذكور كان قد خرج إلى بغداد وخاطب الخليفة العبّاسي بقصيدة مشهورة يستثيره فيها على الإمام عبد الله بن حمزة وقد جاء في مطلع هذه القصيدة :

نيام يا بني العبّاس أنتــــــم	وهذا ثوب أســــرتك تـردى
ويرميكم ببغداد بجيـــــــش	وباخمرا ووقعة يوم مهــــدي
ويدعو أين إدريس ويحـــــي	وعبد الله أين أبي وجـــــدّي

المحلّي ،**الحدائق الورديّة في مناقب أئمة الزّيدية** ، ورقة176 أ 176ب . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ،ج 1 ص375-376 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 400-401. الهمداني ، **الصّليحيّون والدّعوة الفاطميّة في اليمن** ، ص287 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " **مجلة آداب الرّافدين** ، ص133 .
Smith , *The Ayyubids* ..., p40.

(3) المحلّي ،**الحدائق الورديّة** ، ورقة176 أ . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ،ج 1ص375-376 . ابن الحسين ،**غاية الأماني** ، ج 1ص 400-401 ، 403.

(4) ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص403 . التّكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن " **مجلة آداب الرّافدين** ، ص133 .

حفيده المسعود بن الملك الكامل المعروف بإطسيس[1] إلى بلاد اليمن للقضاء علـــــي مظاهر الفوضي والإضطراب التي عمّتها خلال ذلك العهد وتولّي مقاليد الحكم بها وذلك بعد أن أظهرت سياسة الملك سليمان بن شاهنشاه عجزها عن التحكّم في مسار تلك المرحلة القلقة .

2 - ولاية الملك المسعود يوسف بن الكامل أو اليمن خلال العهد الأيوبي الأخير:

أ - حملة الملك المسعود يوسف وإستعادة النفوذ الأيوبي ببـلاد اليمـــــن :

لمّا كان السّابع عشر من شهر رمضان من سنة 611 هـ / 1214 م سار المسعود بن الملك الكامل من القاهرة في اتجّاه بلاد اليمن آخذا على طريق الحجاز [2] في جيش يعدّ ألفا من الفرسان وخمسمائة من الرّماة [3]، وكان لحداثة

---

(1) إطسيس : كلمة تركيّة معناها في اللّغة العربيّة ماله إسم ويقال إنّ المسعود بن المالك الكامل قد سمّي كذلك لأنّ الملك الكامل ما كان يعيش له ولد ، فلمّا ولد له المسعود قال بعض الحاضرين في مجلسه من الأتراك : "في بلادنا إذا كان الرّجل لا يعيش له ولد سمّاه إطسيس فسمّاه بهذا الإسم" في حين تذكره العامّة بإسم إقسيس وصوابه بالطّاء . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج 4 ص164 . المقريزي ، **الذّهب المسبوك** ، ص76 . ابن تغري بردي ، **النّجوم الزّاهرة** ، ج6 ص 186. الزّبيدي ، **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيّوب** ، ص79. الحنبلي ، **شذرات الذّهب**، ج5 ص120 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص227 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 3ص116 . أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين**، ص 142. ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 5ص343 . ابن الأثير ، **الكامل** ، ج 12ص 413. القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج7ص339 . الزّركلي ، **الأعـــلام** ، ج9 ص328 . زامباور ، **معجم الأنساب** ، ص 184. Bosworth, *The Islamic dynasties*, p76 .

(2) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص83. ابن تغري بردي ، **النّجوم الزّاهرة** ، ج 6ص205 . الجزيري، **درر الفرائد المنظمة** ، ص272 . ابن فهد ، **اتحاف الورى بأخبار أمّ القرى** ، ج3 ص18 . الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج 7ص 492.

(3) رغم أنّ بعض المصادر تتّفق على عدم ذكر عدد الجيش الذّي أرسله الملك العادل إلى بلاد اليمن صحبة حفيده المسعود بن المالك الكامل فإنّ ابن عبد المجيد وتقيّ الدّين المقريزي وتقيّ الدّين الفاسي وابن فهد والجزيري الأنصاري والحنبلي قد انفردوا بإيراد الرّقم المشار إليه. انظر ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص170 . أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص86 . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمين** ، ص165 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص412 . **بغية المستفيد** ، ص78 . ابن تغري بردي ، **النّجوم الزّاهرة** ، ج6ص14-147 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 403. الكبسي ، **اللطائف السنيّة** ، ورقة19 ب . وقارن بما جاء لدى ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 82-83. الحنبلي ، **شفاء القلوب** ، ص362 . المقريزي ، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، ص 77. الفاسي ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، ج 7 ص492 . ابن فهد ، **إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى** ، ج 3ص19. الجزيري الأنصاري ، **الدرر الفرائد المنظمة** ، ص 272.

سنّه قد اصطحب معه الأتابك جمال الدّين بن فليت ليكون القائم بأعماله والمباشر لشؤونه[1] ، فلمّا كان ثالث ذي القعدة من سنة 611 هـ/ 1214 م وصل إلى مكّة فخلع على أميرها أبي العزيز قتادة بن إدريس الحسني وأهداه ألف دينار وقماشا بألف دينار ونثر على النّاس ألفا أخرى فخطب له بالحرم [2]. ثمّ إنّ المسعود تابع سيره جنوبا في آتجاه بلاد اليمن بعد أن أتمّ مناسك الحجّ بمكّة ، فأخذ طريقه على ناحية المخلاف السّليماني أين كان في استقباله الشّريف المؤيّد بن قاسم السّليماني صاحب حرض فقابله هو الآخر بالإكرام والإنصاف [3].

وما أن نجح المسعود في كسب ولاء أشراف مكّة والمخلاف السّليماني حتّى أخذ في الإستعداد لمنجازة الملك سليمان بن شاهنشاه ، فلمّا بلغ الهليّة من مشارف زبيد حطّ بعساكره وهناك توافدت إليه جموع الأمراء المخالفين على الملك سليمان بزعامة الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول فأحسن المسعود وفادتهم وخلع عليهم الخلع النّفيسة [4] فملك بذلك جوارحهم وصاروا منذ ذلك الحين من جنده . وكان المسعود قد استقبل الأمير الحسن بن علي بن رسول بتبجيل خاصّ من دون بقيّة الأمراء الوافدين عليه حيث كافأه بخلعة فرجيّة وحصان بسرجه وألف دينار ذهبا لأنّه كان رئيس الجماعة ورأسهم[5] ثمّ ما لبث أن أقطعه جهة القحمة وأقطع أخاه الأمير نور الدّين عمر بن علي بن رسول منطقة صهبان[6] ، كما أقطع أتابكه جمال الدّين بن فليت جهة الكدراء [7] أمّا بقيّة الأمراء فقد اكتفى بإهداء كلّ واحد منهم خلعة سنّية من غير دراهم [8].

----

(1) كانت سنّ المسعود بن الكامل عند مسيره ناحية بلاد اليمن لا تتجاوز حدّ البلوغ . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص165 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص412 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص403 . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج1 ص181 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 134.

(2) الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج7ص492 . **شفاء الغرام** ، ج2 ص 373. ابن فهد ، **إتحاف الورى** ، ج 3ص19 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص166 ؛ ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص403 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص166 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 403 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص166-167 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج 1ص404 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص167 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج 1ص404 .

(6) صهبان : بلدة تقع جنوب مدينة إبّ ، كانت موطنا لكثير من الفقهاء والعلماء كما ذكر ذلك الخزرجي . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1ص154 ، 267 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص404 .

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص167 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص404 . الكبسي ، **اللّطائف السّنية** ، ورقة19 ب .

(8) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص167 .

ثمّ إنّ المسعود تقدّم بعساكره صوب زبيد فدخلها في مستهلّ شهر محرّم من سنة 612 هـ / 1215 م واستولي عليها من دون قتال[1] ، بعد أن كان تركها الملك سليمان بن شاهنشاه واتّجه بمعن معه ناحية حصن تعزّ فأحكم التحصّن بداخله[2] ، وحتّي يجنّب المسعود عساكره التّي أضناها السّفر عناء القتال سعي إلي طرق الحلول السّلميّة تجاه الملك سليمان قصد مصالحته علي أن تكون له التّهائم ولسليمان الجبال[3].

فلمّا بلغ ذلك الأمير بدر الدّين الحسن بن علي بن رسول سار إلي المسعود وحثّه علي حرب الملك سليمان بقوله : " إنهض إلي الجبال فما تجد بها من يردّك عنها واكتب إلي الخدّام يقبضوا سليمان وأقسم عليهم إن لا يفعلوا ذلك حلّ بهم النّكال" [4]، عندئذ قوي عزم المسعود علي منجازة خصمه وتقدّم بالعساكر ناحية حصن تعزّ ثمّ كتب إلي المماليك والجند الذّين مع سليمان داخل

----

(1) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص83 . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمين** ، ص 167. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص412 . **بغية المستفيد** ، ص78 . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1 ص31 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة412 ب . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص404 . الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج 7ص 492. **شفاء الغرام** ، ج2 ص373 . ابن تغري بردي ، **النّجوم الزّاهرة** ، ج 6 ص205 . ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج5 ص343 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص227 . أبو الفدا، **تاريخ** ، ج 3ص 116. المقريزي ، **الذّهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء الملوك** ، ص77 . الذّهبي، العبر في خبر من غبر ، ج5 ص39 . الحنبلي ، **شفاء القلوب** ، ص272 . الجزيري ، **الدّرر الفرائد المنظّمة** ، ص 272. التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين**، ص134 . العقيلي، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج 1ص 182.

Smith, " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1-945/622-1538)" , in *Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix*, p 136 .

(2) ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص83 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص404 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص412-413 .

(3) يذكر الخزرجي أنّ المسعود حين وصل إلي زبيد كانت دوابّه قد كلّت ، فأرسل إلي سليمان في الصّلح يخاطبه علي أن تكون الجبال لسليمان والتّهائم للمسعود . الخزرجي، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 31. انظر كذلك في هذا الصدّد ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص167 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص 412. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة19 ب . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص404 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 134.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 167. الخزرجي ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص31 . الكبسي ، **المصدر نفسه**، ورقة 19 ب . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص413 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص404 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 134.

الحصن يأمرهم بالقبض عليه فامتثلوا لأمره وقبضوا عليه فتسلّمه منهم المسعود وبعث به إلى الدّيار المصريّة تحت الحفظ اتّقاء لشرّه في العاشر من صفر من سنة 612 هـ / 1215 م [1].

* قيام الأتابك جمال الدّين بن فليت بالأمر نيابة عن الملك المسعود وإستعادة السّيطرة على الجهات المخالفة :

ما أن أتمّ المسعود ترحيل خصمه سليمان بن شاهنشاه إلى مصر حتّى نهض إلى حصن تعزّ لتسلّم مقاليد الحكم [2]، فلمّا استقرّ الأمر بين يديه أوكل مهمّة استعادة السّيطرة على الجهات والأقاليم المخالفة لأتابكه جمال الدّين بن فليت الذي شرع من جهته في إخضاعها وإعادتها أوّلا فأوّلا تحت السّيطرة الأيّوبيّة.

فبعد أن استولى على اليمن الأسفل وملك جميع حصونه ومعاقله [3] توجّه الأتابك ابن فليت بأنظاره ناحية البلاد العليا عاقدا العزم على التقدّم ناحيتها لإزالة ما بها من نفوذ الزّيدية ، فلمّا كان مستهلّ جمادى الأولى من سنة 612 هـ/ 1215 م سار في جيش كثير حتّى صار في ذمار[4] وهناك وفد عليه شيوخ قبائل بني شهاب وأهل الحقول باذلين له معاني الطّاعة والرّضى ، كما وصل إليه في الأثناء كلّ من الشّيخين راشد والفضل ابني المظفّر بن الهرش زعيمي قبائل سنحان فأحسن إليهما بالخلع والمال حتّى كسب ولاءهما [5].

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 167. الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 19ب . الخزرجي، **العقود اللّؤلؤية** ، ج1 ص31 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص83 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص413 . **بغية المستفيد** ، ص78 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج7 ص227 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج3 ص116 . الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج7ص 493. ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص404 . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ص182 . التكريتي "الأيّوبيون في اليمن"، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 134 . ابن تغري بردي ، **النّجوم الزّاهرة** ج 6 ص272 . ابن الفرات ، **تاريخ** ، ج 2ص247 . ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج5 ص343 .

(2) الخزرجي ، **المصدر نفسه**، ج1 ص31. ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص 83. ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1 ص413 . **بغية المستفيد** ، ص78 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 404. التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص134 .

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 168. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص413 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج 1ص404 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن، " **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص134 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 167. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 19ب . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص404 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 168. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص404 .

وما أن استقام الأمر للأيّوبيين بنواحي ذمار وبجهات اليمن الأوسط حتّى سعى الأتابك ابن فليت إلى توسيع مجال نفوذه في اتجاه البلاد العليا وسار بعساكره قاصدا مدينة صنعاء ، التي كانت خلال ذلك العهد تحت سيطرة الأشراف ، فلمّا بلغ ذلك الإمام عبد الله بن حمزة تركها والتجأ إلى حصن بيت أنعم ثمّ إلى حصن كوكبان بعد أن أخرب ما بها من دور الأيّوبيين بما في ذلك دار السّلطنة[1] .

وبتقهقر قوّات الإمام عن صنعاء تمكّن الأتابك ابن فليت من دخولها في شهر ربيع الآخر من سنة 612 هـ/ 1215 م في ستمائة فارس وعدد من كبار الأمراء[2] ، ثم ما لبث أن نهض منها في اتجاه حصن بيتّ أنعم فحاصره حتّى ملكه قهرا وتابعت العساكر الأيّوبية جولتها بالبلاد العليا فأستولت على شبام ثمّ سارت ناحية البلاد الحميريّة والمصانع [3] فضيّقت على أهلها حتّى دانوا لحكم الملك المسعود بالولاء والطّاعة[4] .

ثم إنّ الأتابك ابن فليت أقام بصنعاء يشنّ الغارات والحملات على المخاليف والجهات المجاورة فاستولى على أكثرها وقبض من قبائل تلك النّواحي الرّهائن على الطّاعة وتأدية الحقوق الواجبة [5] ، كما تابع الأتابك في الأثناء ملاحقته لقوّات الزيّدية والتّضييق عليها أينما كانت ، فلمّا كان مستهلّ شهر محرّم من سنة 613هـ/ 1216 م أمر بحصار حصني الحقل والحقاليّة [6] وكانا تحت نفوذ الإمام عبد الله بن حمزة فضيّق عليهما مدّة ثلاثة أشهر حتّى استولى عليهما بعد أن سأله أهلهما الذمّة فأمّنهم مقابل تسليمهم الحصنين وكان الوسيط في ذلك

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص 168. الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج1 ص32 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص83 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1 ص413 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة 19 ب . المحلّي ، الحدائق الورديّة في مناقب أئمّة الزّيديّة ، ورقة180 ب . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج1 ص404 . الفاسي ، العقد الثمين ، ج7 ص 493. التكريتي ،"الأيّوبيون في اليمن ، "مجلة آداب الرّافدين ، ص 134-135.

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص 168 . ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص83 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة19 ب . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص404 .ابن الدّيبع ، المصدر نفسه، ج1 ص413 . الخزرجي ، العقود اللّؤلؤية ، ج1 ص32 .

(3) المصانع : منطقة من جبل السّراة يقع في أعلاها جبل ذخار وحضور . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 156 ، 233.

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص 168 . ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج1 ص413 . الخزرجي ، المصدر نفسه ، ج1 ص32 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة19 ب . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص404 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن"، مجلة آداب الرّافدين ، ص 134-135.

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص 169 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص405 .

(6) الحقل والحقاليّة : يقعان بمخلاف الحقل من بلاد خولان من نواحي صعدة : ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ص 312.

الأميــــر عزالدّين محمّد بن حاتم بن الحسين العلوي العبّاسي [1] ، فلمّا قـدم هذا الأخير على الأتابك لتمام اتّفاق الصّلح أكرمه وخلع عليه حتّى نجح في استمالته وصار بذلك من أعوانه [2].

وسعيا منه إلى محاصرة القوّة الزّيدية وإجبارها على التراجع نهض الأتابك ابن فليت بعساكره ناحية حصن المفتاح [3]، عندئذ لم يجد الإمام عبد الله بن حمزة بدّا من الإلتجاء إلى الصّلح بعد أن لمس من الأيّوبيين حرصا شديدا على ملاحقته والتضييق عليه ، فلمّا كان السّابع من شهر محرّم من سنة 613 هـ /1216 م عقد الجانبان بوساطة الأمير عزالدّين محمّد بن حاتم العلوي اتّفاقا يقضي بتوقّف القتال بينهما لمدّة ثلاث عشرة شهرا على أن يطلق الإمام أولاد الأمير محمد العجمي والي حصن براش ويسلّم للأيّوبيين عشرين حصانا وعشرين حملا من الحديد وفي المقابل يتعهّد الأتابك ابن فليت بإطلاق سراح الرّهائن الذين قبضهم يوم إستيلائه على حصن بيت أنعم [4].

وما أن أحكم الأتابك سيطرته على كثير من الأعمال والمخاليف باليمن الأعلى بعد أن أجبر الإمام عبد الله بن حمزة على التراجع واللجوء إلى الصّلح حتّى ولّى صنعاء جمال الدّولة كوبح [5] ورتّب معه حامية بثلثمائة فارس ثمّ عاد ناحية البلاد السّفلى [6] . غير أنّ الأوضاع ما لبثت أن اضطربت من جديد بجهات صنعاء وذلك لمّا أظهر أهل سنحان الخلاف وانحازوا إلى جبل كنن [7] تحت زعامة كلّ من الشّيخين راشد والفضل ابني مظفّر بن الهرش السّنحاني معلنين في الأثناء ميلهم للإمام عبد الله بن حمزة ، الذي لم يتوان من جهته في دعم المخالفين من أهل سنحان عندما أمدّهم بإبنه الأمير عزالدّين محمّد بن عبد الله بن حمزة في جمع من العساكر ليكون لهم نصرة على الأيّوبيين [8].

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 169.

(2) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 169.

(3) المفتاح : حصن بأسفل مدع بجهة الشرف الأعلى. الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج 1ص 397. ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص 405. ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 169.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 169-170. المحلي ، **الحدائق الورديّة في مناقب أئمة الزّيديّة** ، ورقة 19أ . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 405. الكبسي ، **اللطائف السّنية** ، ورقة 19ب .

(5) هكــذا أورده ابن حاتم اليامي في حين يذكره ابن الحسين بجمال الدولة كونج . ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص 170. ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج 1ص 405.

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 170. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 405.

(7) جبل كنن : بفتح الكاف وكسر النّوث الأولى ، يقع في الجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة مرحلة ويتقاسم النفوذ به كلّ من سنحان الذّين لهم الجانب الغربي منه وخولان بالجانب الشرقي . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص 414.

(8) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 170. ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص405 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1ص414 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج1ص32

وأمام خطورة الوضع سارع الأتابك ابن فليت بالنّهوض ناحية جبل كنن فأقام على المخالفين الحصار، في حين عمدت عساكره المرابطة بصنعاء إلى الإغارة على جهة ريمة فأفسدوا بها زروعا للإمام يعاضدهم في ذلك جمع من همدان بزعامة سلاطين آل حاتم وهما مسعود بن عليّ بن حاتم وعلوان بن بشر بن حاتم ودارت بين الجانبين وقائع كثيرة لم تسفر عن تغيّر في موازين القوى بين الجبهتين [1].

* تصدّع جبهة الأشراف الزّيدية بوفاة الإمام عبد الله بن حمزة ونجاح الملك المسعود في توطيد نفوذه بالبلاد العليا :

لمّا كان اليوم الثّاني عشر من شهر محرّم من سنة 614 هـ/ 1217 م توفّي الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بحصن كوكبان [2] وبويع من بعده بالإمامة لإبنه الأمير عزالدّين محمّد بن عبد الله بن حمزة فقام بالأمر محتسبا وجمع من حوله عسكرا من الأشراف ومن أهل سنحان ثمّ حطّ بجبل كنن إستعدادا لمناجزة الأيّوبيين [3]، فلمّا بلغ ذلك الأتابك ابن فليت أوعز لجمال الدّولة بأن يقيم بصنعاء في جمع من العساكر تحسّبا لغارات الأشراف وعسكر هو بمن معه من الجند ببئر الخولاني[4] غربي جبل كنن لرصد تحرّك رجال الزّيدية حتّى وافته المنيّة هو الآخر في اليوم الأخير من شهر ربيع الأوّل من سنة 614 هـ/ 1217 م [5].

---

(1) ابن حاتم، **السّمط الغالي الثمن**، ص 171. ابن عبد المجيد، **غاية الأماني**، ص83. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج1 ص414. الكبسي، **اللّطائف السّنية**، ورقة19 ب. المحلّي، **الحدائق الورديّة في مناقب أئمة الزّيدية**، ورقة182 أ. ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج 1ص 405. الخزرجي، **المصدر نفسه**، ج1ص32.

(2) المحلّي، **المصدر نفسه**، ورقة184 أ. الكبسي، **المصدر نفسه**، ورقة19 ب. ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص171. ابن عبد المجيد، **المصدر نفسه**، ص83. ابن الدّيبع، **المصدر نفسه**، ج 1ص414. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص406. فؤاد السيّد، **تاريخ المذاهب الدّينية في بلاد بلاد اليمن**، ص 270. الهمداني، **الصّليحيون والدّعوة الفاطميّة في اليمن**، ص 286. العرشي، **بلوغ المرام فيمن تولّي ملكاليمن من ملك وإمام**، ص43.

(3) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص172. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج1 ص407. ابن الدّيبع، **المصدر نفسه**، ج1ص414. التكريتي: "الأيّوبيون في اليمن"، **مجلة آداب الرّافدين**، ص135. الكبسي، **الطائف السنّية**، ورقة 19ب.

(4) بئر الخولاني : بلدة تقع غرب جبل كنن المذكور وهي إحدى محطّات المسافرين إلى صنعاء من اليمن الأسفل. الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص407. ابن الدّيبع، **المصدر نفسه**، ج 1ص 415.

(5) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص172. الكبسي، **المصدر نفسه**، ورقة19 ب. ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص83. الخزرجي، **المصدر نفسه**، ج 1ص32. ابن الدّيبع، **المصدر نفسه**، ج1 ص414-415. ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج 1ص 407.

وبوفاة الأتابك جمال الدّين بن فليت لم يبق أمام الملك المسعود إلاّ النّهوض بنفسه للأخذ بزمام الأمور والتصدّي لجموع الزّيديّة مستغلاّ في الأثناء الفراغ الذّي أحدثه موت الإمام عبد الله بن حمزة داخل جبهة الأشراف . فلمّا كان مستهلّ جمادى الأولى من سنة 614 هـ/ 1217 م حطّ الملك المسعود بعساكره ببئر الخولاني [1] ، ثمّ أخذ في شنّ الغارات على مواقع أهل سنحان وذلك لما أظهروه من ميل صريح للأشراف فزحف على حصن الرّيشة فأخذه قهرا بالسّيف [2] وكان بالحصن حريم للشيخ راشد بن مظفّر السّنحاني فأحسن إليهنّ الملك المسعود حتّى أخذ ذلك الصّنيع في خاطر الشيخ راشد بن مظفّر ونزل بمن معه من سنحان إلى الملك الأيّوبي باذلا له عبارات الطّاعة مظهرا له معاني الولاء[3] .

وبتراجع جموع سنحان عن نصرة رجال الزّيدية وميلهم في المقابل إلى الصفّ الأيّوبي أجبر الأمير عزّ الدين بن الإمام عبد الله بن حمزة على التّقهقر بعساكره من جبل كنن فإستولت عليه عساكر الأيّوبيين [4] . كما تمكّن الملك المسعود في الأثناء من أخذ حصني براش وكوكبان بعد أن أحكم عليهما الحصار وضيّق عليهما طيلة أيّام [5].

وسعيا منه إلى الحدّ من خطر الأشراف المتصاعد عمد الملك المسعود في غضون شهر جمادى الآخرة من سنة 614 هـ / 1217 م إلى مصالحة الأمير عزالدين بن الإمام عبد الله بن حمزة وعقد معه إتّفاقا يقضي بتوقّف القتال بينهما لأجل غير مسمّى[6] .

وما أن نجح الملك المسعود في استعادة النّفوذ الأيّوبي بكثير من البلاد العليا وتمكّن في الأثناء من مهادنة رجال الزّيدية وإحتواء قبائل سنحان حتّى أناب بصنعاء الأمير جمال الدّولة وعاد ناحية اليمن الأسفل أين

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص 172. الخزرجي ، العقود اللّؤلؤيّة ، ج1ص33 .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه، ص 172. الكبسي ، اللطائف السنيّة ، ورقة 19ب . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص 407. ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص415 . الخزرجي ، المصدر نفسه، ج1ص33 .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص 172. الخزرجي ، المصدر نفسه ، ج1ص33 .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص 172. الكبسي ،المصدر نفسه ، ورقة 19ب . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص415 ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص 407. الخزرجي ، المصدر نفسه ، ج133 .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص 173. ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص 83-84. الخزرجي ، المصدر نفسه ، ابن الدّيبع ، المصدر نفسه، ج1ص415 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص 407.

(6) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص 173. الخزرجي ، المصدر نفسه ، ج1ص33 . ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه، ص 83. ابن الدّيبع ، المصدر نفسه، ج1ص415 . الكبسي ، المصدر نفسه، ورقة20 أ . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج 1ص407 .

عمل على التصدّي لمحاولة التمــرّد التي كـان أظهرها أحد أمرائه المدعو الحاوليّ والي حصن حبّ فأحكم عليه الحصار حتّى أجبره على تسليم الحصن وترك البلاد بعد أن كان قد نجا من القتل بشفاعة الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول [1].

ثم إنّ الملك المسعود ما لبث أن عزم من جديد على التّوجه بعساكره ناحية البلاد العليا ذلك أنّ تواجد الأشراف الزّيدية بتلك الجهات لا يبعث على الإطمئنان رغم اتفاق الصلح المعقود بين الجانبين ، فلمّا كان شهر رمضان من سنة 615 هـ / 1218 م سار الملك الأيّوبي قاصدا صنعاء[2] فأخذ في طريقه حصن الشّوافي[3] ثمّ مضى إلى جهة الظّاهر فأخرب بها بلدة حوث . وتابع الملك المسعود غاراته بتلك النّواحي حتّى وصل ناحية الجوف فلم يجد دون ذلك مقاومة تذكر[4]، عندئذ أمعن في التقدّم شمالا فلمّا بلغ ريدة تصدّى له رجال الزّيديّة ووقع بين الطرفين قتال شديد انتهى بعقد صلح جديد وذلك في غضون شهر رجب من سنة 616 هـ / 1219 م [5].

وفي الأثناء كان المؤيّد بن قاسم السّليماني صاحب حرض قد أعلن من جهته الخلاف على الحكم الأيّوبي فأرسل إليه الملك المسعود بطائفة من جيشه بقيادة كل من الأمير الخوارزمي والأمير المجاهد النظامي فقتلاه واقتسما ولاية المخلاف السّليماني فكانت للخوارزمي حرض ولمجاهد النّظامي جهة الهليّة[6] .

فلمّا كان شهر رجب من سنة 617 هـ / 1220 م نهض الملك المسعود من صنعاء للإغارة على النواحي المجاورة سعيا منه إلى مزيد توطيد نفوذه بتلك الجهات التّي لا يزال بعضها تحت وطأة رجال

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 173. الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1ص33 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 415. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 408. الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة20 أ . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص20 .

(2) الشّوافي : حصن بإقليم السّحول من بلاد اليمن . الهمداني ، **صفة الجزيرة العرب** ، ص 213. عمارة ، **تاريخ** ، ص213 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 408.

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص173-174 . الخزرجي، **المصدر نفسه** ، 1ج ص33 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص84 . الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة 20أ . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج1ص 415.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص174 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص409 .

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص174 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص409 .

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص174 . الخزرجي، **المصدر نفسه** ، 1ج ص33 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه**، ص84 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 415. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 409. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة20 أ . التكريتي :" الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص135 .

الزّيديّة ، فـأحـكم الحـصـار على حـصن بكر بأن بنـي عليـه سـورا وضـيّـق على من فيه من عيال الإمام عبد الله بن حمـزة طيلة ثمانية أشهر[1] ، فلمّا بلغ ذلك الأمير عزالدّين بن الإمام جمع جموعا كثيرة من الأشراف وسار بهم للإغارة على مواقع الأيّوبيين بالبلاد التّهاميّة وذلك حتّى يخفّ حصار الملك المسعود عن حصن بكر[2] .

لكنّ جبهة الزّيديّة سرعان ما أصابها شيء من التصدّع عندما أعلن الأمير سليمان بن موسى الحمزي الخلاف على الأمير عزّالدين بن الإمام وسار بمن معه ناحية حصن بكر فأكرمه الملك المسعود وأغدق عليه بغية إستمالته [3] ، فلمّا تأكّد من حسن ولائه جهزّه بطائفة من العسكر لمناجزة جموع الأشراف فدارت بينه وبينهم وقائع كثيرة ما لبثت أن إنتهت بمقتله[4] .

وأمام إصرار رجال الزّيدية المتزايد على أن يكون لهم حضور كقوّة سياسيّة فاعلة ببلاد اليمن طوال ذلك العهد ، أدرك الملك الأيّوبي ضرورة إنتهاج الأساليب الدّيبلوماسيّة للحدّ من خطرهم . فلمّا كان شهر ربيع الأوّل من سنة 618 هـ/ 1221 م عمد الملك المسعود إلي شراء حصن بكر من الأشراف بمبلغ عشرة آلاف مصريّة دفعها للأمير يحي بن حمزة [5] ، فنجح بذلك في الإستيلاء على إحدى القلاع المهمّة المشرفة على مدينة صنعاء و تمكّن في الأثناء من مهادنة رجال الزّيدية الذّين أثبتت الحلول العسكريّة في المقابل عجزها عن إزاحتهم .

ب -ظهور أمراء آل رسول ونهاية الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن :

ما أن توصّل الملك المسعود إلي إخضاع كثير من البلاد لسلطته ودانت له عديد الجهات بالطّاعة حتّي سعى إلي تنظيم إدارتها تنظيما محكما بغية تثبيت نفوذه بها والقضاء على أشكال الفوضي والإنحلال ، التّي كانت قد مثّلت إلي حد تلك المرحلة أبرز مظاهر الأزمة السّياسيّة التي عاشها الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن طوال عهد ليس بالقصير من الزّمن. ولتحقيق هذا الغرض إصطفى الملك الأيّوبي لإدارة أعمال مملكته أمراء أكفّاء

---

(1) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص84 . الخزرجي ، العقود اللّؤلؤيّة ، ج 1ص33. ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص 415-416. ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص 409.

(2) بكر : من حصون صنعاء المشهورة بالقرب منه قلعة يقال لها الظفرة . ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ص562 . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، 263 ، 264.

(3) ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص84 . الخزرجي ، المصدر نفسه ، ج 1ص 33. ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج1ص416 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص409 .

(4) ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص84 . الخزرجي ، المصدر نفسه ، ج 1ص 33. ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ص416 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص409 .

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص 174. ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص84 . الخزرجي ، المصدر نفسه ، ج 1ص 33. ابن الدّيبع ، المصدرنفسه ، ج1ص416 . الكبسي ، اللّطائف السنية ، ورقة 20 أ . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص410 .

من أسرة بني رسول[1] ، وذلك لما كان لمسه فيهم من شدّة حزم وحسن تدبير إضافة إلى ثقته فيهم لاسيما وأنّ رجال هذه الأسرة قد ظلّوا متفانين في خدمته منذ حلوله ببلاد اليمن .

وإذا كان ظهور أمراء آل رسول على مسرح الأحداث السّياسيّة ببلاد اليمن قد سبق بكثير عهد الملك المسعود[2]، فإنّ هذا الأخير كان أوّل من بوّأهم أعلى المناصب

---

(1) سمّي آل رسول بهذا الإسم نسبة إلى "رسول" وهو كما اتّفقت عليه الرّوايات لقب لمحمّد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحي بن رستم الغسّاني أو التّركماني وقد ذكر الملك الأشرف الرّسولي أنّ نسبهم يتّصل بجبلة بن الأيهم وهم في نظره يعدّون من العرب ، كما قال بهذا الرّأي مؤرّخ آل رسول الرّسمي علي بن حسن الخزرجي بقوله :" كان اسم رسول محمّد بن هارون بن أبي الفتح يوحي بن رستم من ذرّية جبلة بن الأيهم الذّي تنصّر في خلافة عمر بن الخطّاب ودخل بلاد الرّوم ثم اندمج أولاده مع " التركمان " فلمّا خرجوا إلى العراق نسبهم من يعرفهم إلى " غسّان " ومن لا يعرفهم إلى " التركمان " ومحمد بن هارون هذا أدناه الخليفة العباسي وأنس به واختصّه برسالته إلى الشّام ومصر فانطلق عليه اسم " رسول " وشهر به وترك اسمه الحقيقي حتى جهل " . أمّا ابن عبد المجيد فقد ذكر نسبة آل رسول إجمالا وأوصل نسبهم إلى قحطان فالنّبي هود ولم يشر إلى " رسول " ولا إلى محمّد بن هارون صاحب اللّقب المشار إليه ولا إلى الصّلة القائمة بين هذا الرّجل والخليفة العبّاسي . وبالتمّعن في النّص الذي أورده الأشرف الرّسولي في" طرفة الأصحاب" ، بإعتباره من أحفاد آل رسول وأقدم مصدر يمكن الرّجوع إليه في هذا الشّأن ، نلاحظ أنّ صاحب طرفة الأصحاب لا يشير إلى أيّ مرجع أو وثيقة استند إليها تثبت صحّة قوله عندما يتحدّث عن قبائل الأزد ضمن حديثه عن نسب قحطان بقوله :" فمن ذلك جفنة ملوك الشّام ، ومنهم ملوك اليمن بني الرّسول وأوّلهم مولانا وسيّدنا الملك المنصور عمر بن علي بن رسول " وقد تابع بقيّة المؤرّخين قدامى ومحدثين تناقل هذا النّص الذّي قد يكون أوّل نصّ أقحم آل " رسول " في نسب غسّان ، ففضلا عن أنّ "طرفة الأصحاب " هو أقدم المصادر التي أوردت هذا الرأي فإنّ صاحبه ليس من المستبعد أن يكون قد غلب على غرضه العامل الذّاتي فأراد أن يلحق نسبه بأصل عربي عوض عن أصله التّركماني. الأشرف الرسولي ، **طرفة الأصحاب** ، ص26 ، 39 ،78 ، 89 . ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن** ، ص85-86 . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤية** ، ج1 ص33 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص81 . **قرّة العيون** ،ج2 ص1 . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 199وما بعدها. ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 5ص509،510 . العرشي ، **بلوغ المرام** ، ص44 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2 ص205 . الفاسي، **العقد الثمين** ، ج6 ص 339.

(2) رغم إجماع المؤرّخين على أنّ ظهور بني رسول ببلاد اليمن كان خلال العهد الأيّوبي فإنّ كثيرا من الإختلاف قد ساد آراءهم بخصوص تاريخ أوّل داخل منهم إلى اليمن ومع من من الأيّوبيين ؟ غير أنّه إذا إستعرضنا حسب التّرتيب الزّمني المصادر التّاريخية المعاصرة لتاريخ دخول الأيّوبيين أو " الغزّ " إلى بلاد اليمن نلاحظ أنّ أقدم المؤلّفات وأبرزها "طبقات فقهاء اليمن" لإبن سمرة " والسّمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغزّ باليمن" لإبن حاتم اليامي لا تشير إلى ما ينسجم وقول الخزرجي في كتابه "العقود اللّؤلؤيّة" من أنّ أوّل من دخل منهم هو علي بن " رسول " ومعه أبناؤه الأربعة بصحبة توران شاه وذلك في غضون سنة 569هـ/1174 م . فإبن سمرة المعاصرلقيام الدّولة الأيّوبيّة ببلاد اليمن لا يتعرّض لذكر آل رسول أثناء حديثه عن دخول توران شاه لهذا البلد رغم أنّه في الأثناء لم يتغافل عن ذكر بعض الأمراء الآخرين المرافقين له مثل عزّ الدين الزّنجيلي والقاضي عبد اللّه بن عمر الدّمشقي . أمّا ابن حاتم اليامي فقد تعرّض هو الآخر لحملة الملك المعظّم توران شاه ببلاد اليمن وذكر جميع الأمراء الذّين استنابهم توران شاه عند عودته إلى مصر خلال سنة571هـ/ 1175 م ولم يذكر أحدا من آل رسول وأوّل ذكر أورده ابن حاتم لهذه الأسرة كان أثناء روايته لما قاله بدر الدّين الحسن بن علي بن رسول عن نفسه من أنّه كان رهينة عن والده عند المعزّ إسماعيل بن طغتكين . وفي المقابل فإنّ الخزرجي وابن الدّيبع يتّفقان حول تولّي علي بن رسول لإمارة " حيس " من قبل الملك طغتكين ولذلك فالأرجح أن يكون أوّل داخل إلى بلاد اليمن من بني رسول هو علي بن رسول وأولاده الأربعة رفقة الملك طغتكين . وليس توران شاه . أنظر في هذا الصّدد : ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص16-17 ، 20-24 ، 50 . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص 204 ، 242. الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ،ج 1 ص28 ،32 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 2ص2 .

في الدّولة وأدناهم منه حتّى صاروا بذلك من صفوة رجاله[1] . فبوفاة الأتابك جمال الدين بن فليت في غضون سنة 614 هـ / 1217 م خلا الجوّ لأمراء بني رسول كي يصبحوا من صفوة رجال الدّولة الأيّوبيّة وأكثرهم حظوة ، إذ ما لبث أن جعل الملك المسعود الأمير بدرالدّين الحسن بن علي بن رسول أستاذ داره [2] وولّى أخاه الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول على الحصون الوصابيّة [3] . ثمّ لمّا إستقام الأمر للملك المسعود بجهات صنعاء وماناهجها من مخاليف اليمن الأعلى ، بعد أن نجح في إستعادتها من رجال الزّيدية، حتّى سلمّها إقطاعا للأمير الحسن بن علي بن رسول وذلك في غضون شهر ربيع الأوّل من سنة 618 هـ/ 1221 م [4].

وما أن تمكّن الملك المسعود من توطيد حكمه بكثير من بلاد اليمن حتّى تطلّع إلى توسيع مجال نفوذه ناحية مكّة مستغلاّ في الأثناء الأوضاع غير المستقرّة بها بسبب النّزاع المستمرّ بين أبناء قتادة، بن إدريس الحسني حول الإمارة[5] ، ذلك أنّه خلال سنة 618 هـ / 1221 م ما لبث أن تغلّب الحسن بن قتادة على إمارة مكّة وأجلى عنها أخاه راجح بن قتادة ، الذّي لم يجد من جهته بدّا من التوجّه ناحية بلاد اليمن للإستنجاد بالملك المسعود [6].

ولأنّ ضمّ مكّة إلى نفوذ الدولة الأيّوبيّة كان يشكّل في حدّ ذاته خطوة سياسيّة مهمّة بإعتبارها تعزّز مكانة الأيّوبيين في نفوس المسلمين وتدعم نفوذهم ببلاد العرب، فإنّ الملك المسعود لم يتأخّر في الإستجابة لطلب راجح بن قتادة . فلمّا كان شهر ربيع الأوّل من سنة 619 هـ/ 1222 م سار الملك المسعود

---

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص 166 ، 173. أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص 205. ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1ص413 . الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج1 ص 32. التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن"، مجلّة آداب الرّافدين " ص136 . Smith, " The Ayyubids and Rasulids , the transfer of power 7 th /13 th century Yemen ", *loc.cit,* pp175-188 .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص173 .

(3) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج1 ص 32. التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" مجلّة اداب الرّافدين" ص136 .

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص175 . الخزرجي ، المصدر نفسه ، ج 1ص32-33 .

(5) ابن الأثير ، الكامل ، ج12 ص402 ، 404 . المقريزي ، السّلوك ، ج 1ص 206. الفاسي ، العقد الثمين ، ج 4ص164-168 . شفاء الغرام ، ج 2ص198-199 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج 1 ص413 . باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي ، ص49-50 .

(6) ابن الأثير ، الكامل ، ج12 ص 404 . المقريزي ، السّلوك ، ج 1ص 33. الفاسي ، العقد الثمين ، ج 4ص168 . شفاء الغرام ، ج 2ص199 . باقاسي ، المرجع نفسه، ص50 . عبد الغنيّ ، بلاد الحجاز منذ حكم الأشراف إلى سقوط الخلافة العبّاسية في بغداد ، ص74 .

بالعساكر لقتال الشّريف الحسن بن قتادة [1]، فلمّا وصل مكّة التقتـــه عساكر هذا الأخير في المسعى بين الصّفا والمروة ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة الشريف الحسن الذي أجبر على الفرار صحبة أتباعه ، في حين عمدت عساكر الأيّوبيين إلى نهب البلد الحرام حتّى أنّهم أخذوا عن النّاس ثيابهم ، فلمّا نادى الملك المسعود بالأمان كفّ الجند عن النّهب وإنتهوا عن سفك الدّماء [2] .

فلمّا كان يوم عرفة من موسم سنة 619هـ / 1222 م منع الملك المسعود أعلام الخليفة النّاصر العبّاسي أن تتقدّم أعلام أبيه الملك الكامل صاحب مصر ، وهو ما أثار في المقابل إستياء الحكم الخليفي ببغداد وأحرج في الأثناء السّلطنة الأيّوبيّة بمصر، التي كانت تستمدّ مشروعيّة سيادتها على قسم كبير من العالم الإسلامي من خلافة بني العبّاس . لذلك لم يتوان الملك الكامل من جهته في مكاتبة إبنه الملك المسعود يوبّخه على صنيعه المشين بقوله : " برئت من العادل يا أخّس إن لم أقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك " [3] .

كما تتّفق أغلب المصادر في هذا المنحى حول ما كان أظهره الملك المسعود من بطش وجرأة أثناء تواجده بمكّة ، حتّى أنّه كان

----

(1) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص175 . ابن عبد المجيد ، بهجة الزّمن ، ص84 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ص416 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة20 أ . ابن الحسين، المصدر نفسه ، ج1ص410 . الجزيري ، درر الفرائد ، ج 1ص587-588 . ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج 3ص 30. ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج 4ص125 . الفاسي ، العقد الثمين ، ج 7ص 493. شفاء الغرام ، ج 2ص 375 . ابن خلدون ، تاريخ ، ج 5ص343 . ابن الأثير ، تاريخ ، ج 12ص413 . المقريزي، الذهب المسبوك ، ص77 . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6 ص205-206 . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السّليماني ، ج 1ص182-183 . باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي ، ص50 . عبد الغني، بلاد الحجاز منذ بداية حكم الأشراف إلى سقوط الخلافة العباسيّة في بغداد ، ص 74. التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " مجلّة آدب الرّافدين ، ص136-137 .

(2) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص 175. ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج 1ص 416. الكبسي ، المصدر نفسه، ورقة20 أ . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص 410. الفاسي ، العقد الثمين ، ج 7ص493-494 . الجزيري ، الدرر الفرائد ، ج1 ص 588. ابن فهد ، اتحاف الوري ، ج 3 ص34 . ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج 4ص 125. المقريزي ، الذهّب المسبوك ، ص77-78 . السّلوك ، ج1 ص172 .

(3) الفاسي، العقد الثمين، ج7 ص393-394 . شفاء الغرام ، ج 2ص375-376 . الجزيري، درر الفرائد، ج 1 ص587-588 . ابن خلدون ، تاريخ ، ج 5ص343 . ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج 3ص34-35 . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج4ص125 . المقريزي ، الذّهب المسبوك ، ص77-78 . السّلوك ، ج 1ص 172.

يرمي حمام الحرم بالبندق [1] في حين كان حرّاسه يضربون النّاس بأطراف السّيوف في أرجلهم بالمسعى وذلك حتّى لا يفسدوا عليه نومه العميق من فرط السّكر[2] .

لكن الملك المسعود ما لبث أن ردّ على أهل الحجاز جميع أموالهم ونخلهم كما عمد في الأثناء إلى بناء القبّة الموجودة على مقام إبراهيم [3]، ولعظم هيبته أمنت الطرق المؤدّية إلى مكّة وقلّ الأشرار والمفسدون فكثر الجلب وعمّت الأرزاق حتى رخصت الأسعار [4]. ولمزيد توطيد نفوذه بالبلد الحرام أمر الملك المسعود بأن تضرب الدّراهم بإسمه فعرفت بالمسعوديّة [5] وصارت الخطبة منذ ذلك الحين تخطب بمكّة بإسم والده الملك الكامل صاحب مصر [6].

وما أن استقام الأمر للملك المسعود بمكّة وبما ناهجها من أرض الحجاز حتّى ولّى راجح بن قتادة جهة السّرين [7]وحلي ونصف

---

(1) عرّف جرجي زيدان البندق بقوله : " البندق كرات تصنع من الطّين أو الحجارة أو الرّصاص أو غيرها ، وهي فارسيّة بلفظها واستعمالها ، ويسمّنوه أيضا الجلاهقات -جمع جلاهق - ، فكان الفرس يرمون هذا البندق عن الأقواس كما يرمون النّبال، واقتبس العرب هذه اللّعبة في أواخر أيّام عثمان بن عفّان وعدّوا ظهورها في المدينة منكرا ، ثمّ ألفوها حتّى شكّلوا فرقا من الجند ترمي بها ... وكان رماة البندق في العصر العبّاسي طائفة كثيرة يخرجون إلى ضواحي المدن يتسابقون في رميه على الطّير ونحوه ، ويعدّون ذلك من قبيل الفتوّة ... ولهم زيّ خاصّ يمتاز بسراويل كانوا يلبسونها ويسمّونها سراويل الفتوّة ... وكان لرمي البندق شأن كبير في العصور الوسطى بالعراق والشّام ومصر وفارس وغيرها ، ثمّ تفنّنوا في رمي البندق بالمزاريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخّر الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق ، فلمّا اخترعوا البارود صاروا يرمون البندق من تلك الأنابيب وسمّوا هذه الآلة بندقيّة نسبة إليه ... " زيدان ، **تاريخ التمدّن الإسلامي** ، ج5 ص159-160 .

(2) الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج7 ص 493-494. **شفاء الغرام** ، ج2 ص376 . الحنبلي، **شذرات الذهب** ، ج 5 ص120 . ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، ج 3ص35 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 4ص125 . ابن الوردي ، **تاريخ** ، ج2 ص 213-214. المقريزي ، **الذهب المسبوك**، ص77-78 : **السّلوك** ، ج1 ص172 . ابن تغري بردي ، **النّجوم الزاهرة** ، ج6 ص186 . الحنبلي ، **شفاء القلوب** ، ص263 . باقاسي ، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي**، ص 51.

(3) ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، ج 3ص36 . ابن واصل، **مفرّج الكروب** ، ج 4ص 125. الجزيري ، **الدّرر الفرائد** ، ج1 ص 588. الفاسي ، **شفاء الغرام** ، ج2 ص 376. ابن الأثير ، **الكامل** ، ج 12ص 401-402.

(4) الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج 7ص 494-495. **شفاء الغرام** ، ج2 ص 376. الجزيري ، **الدّرر الفرائد** ، ج1 ص 588.

(5) الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج 7ص 494-495. **شفاء الغرام** ، ج2 ص 376.

(6) الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج 2ص 376-377. **شفاء الغرام** ، ج2 ص 376. الجزيري ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 664-665.

(7) السّرين : بليدة بأرض الحجاز على ساحل البحر الأحمر بينها وبين مكة مسافة أربعة أيّام أو خمسة . ياقوت ، **معجم البلدان** ج 3ص129 .

المخلاف (1) وجعل على إمارة مكة الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول (2) ، ثمّ لمّا كان شهر جمادى الأولى من سنة 619 هـ/ 1222 م سار الملك الأيّوبي قاصدا زبيد بعد أن كان رتّب لنائبه على مكّة الأمير نور الدّين عمر بن علي بن رسول حامية من العسكر تعدّ ثلثمائة فارس لتكون له عونا على أداء مهّمته(3) .

غير أنّ سيطرة الأيّوبيين على مكّة لم تكن لتثني عزم الشريف الحسن بن قتادة على إستعادتها بعد أن وصله خبر رحيل الملك المسعود في إتّجاه بلاد اليمن ، فلمّا كانت سنة 620 هـ/ 1223 م سار الحسن بن قتادة من ينبع في جموع كثيرة قاصدا مكّة لقتال الأمير نور الدّين الرّسولي ، فلمّا بلغ الحديبيّة باغتته عساكر الأيّوبيين وهزمته فولّى هاربا على أعقابه (4) .

وبإستيلاء الملك المسعود على مكّة إتّسعت دائرة نفوذه ببلاد العرب وإتّسعت معها في الأثناء مملكة أبيه الملك الكامل حتّى قال ابن خلكان معلّقا على هذا الأمر : " ولقد حكي لي من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكّة شرّفها الله تعالى أنّه لمّا وصل الخطيب إلى الدّعاء للملك الكامل قال : مالك مكّة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشّام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين وربّ العلامتين " (5).

* رحيل الملك المسعود إلى البلاد المصرية وتعاظم شأن الأمير نورالدين عمر بن علي بن رسول.

لمّا كان منتصف شهر رمضان من سنة 620 هـ/ 1223 م عزم الملك المسعود على الرّحيل في إتّجاه البلاد المصريّة لتجديد العهد بأبيه الملك الكامل ، لذلك بادر بإستدعاء الأمير نور الدّين عمر بن علي بن رسول ليكون إلى جانب نائبه الحسام

---

(1) الفاسي ، العقد الثمين ، ج 2ص 169-170. شفاء الغرام ، ج2 ص 376-377. المقريزي ، السلوك ، ج1 ص213 .

(2) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص175 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة20 أ . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج 1ص410 . الجزيري، درر الفرائد، ج1 ص588 . ابن فهد، اتحاف الورى ، ج 3ص35 . الفاسي ، العقد الثمين، ج 4ص 170 . ج7ص493 . ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج 4ص125 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2ص205-206 . المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص 78.

(3) ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج 3ص35 . الفاسي ، العقد الثمين ، ج 4ص171 . ابن واصل، مفرّج الكروب ، ج 4ص 125 . باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي ، ص51 .

Smith , *The Ayyubids* ..., Vol II p 88.
Ibid, " The Ayyubids and Rasulids, the transfer of power 7th /13th century yemen " , in *Islamic Culture*, p180 .
Ibid, " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1- 945/622 -1538) " , in *Yemen 3000 years...* , p 136.

(4) ابن حاتم، المصدر نفسه ، ص175 . ابن الحسين ، المصدر نفسه، ج 4 ص 169-170. المقريزي ، السّلوك ، ج 1 ص213 . الفاسي، العقد الثّمين، ج 4ص 169-170. القلقشندي ، صبحي الأعشى ، ج 4 ص 329. الزّركلي ، الأعلام ، ج9 ص328 .

(5) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ص82 .

لؤلؤ ، بعد أن كان عيّن بدله الأمير صارم الدّين ياقوت المسعودي ليتولّى الإشراف على إمارة مكّـة [(1)].

غـيـر أنّ الأوضـاع سرعـان مـا إضطربت ببـلاد اليـمن على إثـر رحـيل الملك المسعود، وذلك عندما ثار أهـل حضرمـوت على الأمير عـمـر بن مهـدي وقتلوه بمساعدة نائبه ابن اليماني[(2)]. كما كان أعلن في الأثناء المدعـو مرغم الصّوفي[(3)] الثّورة على الحكم الأيّوبي بجهة الحقل وبلاد زبيد [(4)] وزعم أنّه يدعو إلى إمام حقّ [(5)].

ثمّ إنّ مرغم الصّوفي ما لبث أن تبعه كثير من النّاس حتّى كثر أنصاره وقوي أمـره بهم ، عندئذ أدرك الحسام لؤلؤ نائب الملك المسعود أنّه لا مناص من التعرّض لهذه الحركة حتّى لا تتطوّر وتصبح مصدر خطر على الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن ، فبادر في الحين بإرسال جيش لمحاصرتها بقيادة الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول يعاضده في ذلك زعيم سنحان الشّيخ راشد بن مظفّر بن الهرش [(6)]. ورغم ماكان أظهره أصحـاب مـرغم الصّـوفي من بأس وشـدّة وإسـتمـاتة في القـتـال فـإنّ الأمـيـر

---

(1) ابن حاتم، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص175-176 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص205-206 . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج1 ص33 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص416 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن**، ص84 . ابن الحسين، **غاية الأماني** ، ج 1ص 410. المقريزي ، **الذّهب المسبوك**، ص78 . الفاسي ، **العقد الثمين**، ج 6 ص 340-341. **شفاء الغرام** ، ج2 ص199-200 . الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة20 أ . الزّركلي ، **الأعـلام** . ج 5ص 217 و ج 9ص328 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص138 . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج1 ص 182-183.

Smith , *The Ayyubids* ..., Vol II p 88.
Ibid," The Ayyubids and Rasulids, the transfer of power 7th /13th century yemen " , in *Islamic Culture* , p180 .
Ibid, " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1- 945/622 -1538) " , in*Yemen 3000 years*... , p 136.

(2) ابن حاتم، **المصدر نفسه** ، ص189-192 .

(3) لقّب بالعبد الصّالح وهو مرغم بن منيف الصّوفي الحميري من قوم ذوي بأس وقوّة وسلطان يسكنون بلاد حمير المصاقبة لنعمان وصاب . ورغم ما كان أظهره مرغم من صلاح وتقشّف وزهد وورع فقد كان أمّيا لا يقرأ ولا يكتب ، قليل البضاعة من العلم بل إتّخذ التصوّف حرفة إرتدى به وتأزّر ولم يكن في حقيقة الأمر صوفيّا وإنّما كان تلقب بالصّوفي ، ويذكر ابن حاتم اليامي أنّه كان في الأصل حائكا يحوك الصّوف في بلاد عنس . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 هامش رقم 3 ص416-417 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 411. ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 176-177.

(4) المراد بالحقل هنا هو قاع الحقل أمّا زبيد فليست المدينة المعروفة بل هي بضمّ الزّاي وهي قبيلة من قبائل عنس . ابن الدّيبع . **قرّة العيون** ، ج1 هامش رقم 1ص 417.

(5) ابن حاتم، **المصدر نفسه** ، ص176 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص417 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 411 . التّكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن"، **مجلّة الرافدين** ، ص138 .

(6) ابن حاتم، **المصدر نفسه** ، ص178 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص417 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** . ج 1ص411 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص85 . التّكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن"، **مجلّة الرافدين** ، ص138 .

نورالدّين عمر بن علي بن رسول قد نجح خلال سنة 622هـ/ 1225 م في إلحاق الهزيمة بمرغم الصّوفي الذّي أرغم على الفرار بعد أن تخلّى عنه أصحابه [1] .

وفي الأثناء كان الشّريف عزالدّين محمد بن الإمام عبد الله بن حمزة قد عمل من جهته على الإستفادة من هذه المرحلة المضطربة وسار بعساكره ناحية صنعاء وهو ينوي التغلّب عليها ، مستغلاّ في ذلك إنشغال القوّات الأيّوبيّة بمواجهة حركة مرغم الصّوفي ، غير أنّ الحنكة القتاليّة للأخوين الحسن وعمر ابني علي بن رسول كانت كافية لهزم الأشراف الزّيدية بواقعةالعصر [2]وذلك في غضون شهر رجب من سنة 623 هـ/ 1226 م[3].

وفي المقابل فإنّ الإنتصارات التي حقّقها أمراء آل رسول لفائدة الدّولة الأيّوبيّة لم يكن ليتقبّلها النّائب الحسام لؤلؤ عن طيب خاطر، فقد داخله الحسد والنّفاسة وخشي أن يلومه الملك المسعود حيث جعله نائبه فلم يبد أيّ تحرّك تجاه الصّوفي أو تجاه غيره من الثائرين [4] ، لذلك أضمر الضّغن والكراهيّة لأمراء بني رسول و بنى لهم المكائد إلى حين وصول الملك المسعود من البلاد المصرية [5] . أمّا الأمير بدر الدّين الحسن بن علي رسول فقد طلب من جهته إلى السّلطان مدرك بن بشر بن حاتم أن يعدّ له قصيدة تتضمّن فخرا بما أتاه من إنتصارات لحساب الأيّوبيين، فلمّا إنتظمت القصيدة وكانت قافيتها بنون العظمة[6] بعث بها إلى الملك المسعود بمصر رفقة رؤوس بعض ممّن قتلهم في الوقائع الأخيرة [7] ، وقد جاء في بعض هذه القصيدة :

فلمّا تداني الفيلقان عشيّة — غدا إلهام فيها منهم والظّبا منّا
ورحنا إلى قصر القليس نصافح الـ — كؤوس ويغنينا النّديم وقد غنّا

---

(1) ابن حاتم، **السّمط الغالي الثمن** ، ص178 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤيّة** ، ج1 ص34 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيّون** ، ج1 ص417 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص 411. التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة اداب الرّافدين** ، ص139 .

(2) نسبة إلى عصر وهو جبل به قرية غربي صنعاء ويعدّ من ضواحيها فيه غيل وفواكه البرقوق والبلس . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1 هامش رقم 4ص 417.

(3) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص178-183 . الخزرجي ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 42. ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص417-418 . الكبسّي، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة20 أ . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 85. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص411 . التكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن ، " **مجلّة اداب الرافدين** ، ص 139.

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص187 .

(5) **المصدر نفسه** ، ص187 .

(6) **المصدر نفسه** ، ص189 .

(7) **المصدر نفسه** ، ص188 .

ونحن متى شئنا دسرنا عدوّنا ولم نحتمل حقنا دفينا ولا ضغنا

فلا زالت الأخبار منكم تسرّنا كما سرّكم في مصر مخبركم عنّا[1]

غير أنّ هذه الأخبار عكس ما تصوّر الأمير بدر الدّين الحسن بن علي بن رسول لم تكن لتدخل السّرور على الملك المسعود بل أزعجته وأزعجت والده الملك الكامل صاحب مصر والشّام ، الذّي إستعظم القصيدة المرسلة إلى ولده واستاء منها لإلتزام صاحبها بنون العظمة معلّقا على ذلك بقوله : " من هذا يا يوسف الذّي يخاطبك بهذه المخاطبة " ؟ ! فقال الملك المسعود : " رجل من أمرائي يعرف بإبن الرّسول " فردّ عليه الملك الكامل بقوله : " هيهات والله ما هذه مخاطبة أمير بل مخاطبة ضدّ ! فإن لم تثب عليه وثب عليك " [2] .

ومهما تكن حقيقة الرّواية التّي توردها المصادر حول الموقف السّلبي الذّي أظهره الأيّوبيون في مصر من القصيدة الفخريّة للأمير بدر الدّين الحسن بن علي بن رسول ، فإنّ النّجاح المطّرد الذّي ما انفكّ يحقّقه أمراء بني رسول من حين إلى آخر كان لا بدّ أن يثير حفيظة الأسرة الأيّوبيّة ويلفت انتباهها لطموح أمرائها [3]. كما كان من نتائج إنتصار العساكر الأيّوبيّة باليمن في الوقائع الأخيرة بقيادة الأخوين بني رسول أن اشتدّ خوف الملك المسعود من تعاظم شأن أمراء البيت الرّسولي وخشي على الحكم منهم ، وذلك لما كان لمسه فيهم من علوّ همّة وبعد صيت وحسن سياسة وقهر للأعداء إلى سوى ذلك من تمام مكارم الأخلاق [4].

وأمام خطورة الوضع ببلاد اليمن، بعد أن عمّتها الفوضى والإضطرابات على إثر رحيل الملك المسعود إلى الدّيار المصريّة، رأى هذا الأخير أنّه لا مناص من الإسراع بالعودة ناحية البلاد اليمنيّة للأخذ بزمام الأمور والحؤول دون تطوّر الأوضاع بها إلى ما هو أسوأ. فلمّا كان شهر رمضان من سنة 623 هـ/ 1225م سار الملك المسعود ناحية بلاد العرب، آخذا على طريق الحجاز فكانت مكّة أولى محطّاته حيث أقام بها بعض الوقت، قبل أنّ يتابع سيره في إتّجاه بلاد اليمن [5] .

---

(1) ابن حاتم. **السّمط الغالي الثمن** ، ص187-188 . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج1 ص45-46 . ابن الدّيبع . **قرّة العيون** ، ج1 ص421 .

(2) ابن حاتم . **المصدر نفسه** ، ص189 .

(3) لقد شكّل الطّموح الجارف لأمراء الدّولة الأيّوبيّة إحدى مظاهر الأزمة السّياسيّة الحادّة التّي عاشها الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن منذ بداياته . لذلك كان من المنتظر أن ينتبه الملك المسعود لتعاظم شأن أمراء بني رسول وذلك رغم ما كان لمسه منهم في المقابل من حسن طاعة وتفاني في خدمته .

(4) ابن حاتم . **المصدر نفسه** ، ص189 . الكبسي . **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 20أ . الخزرجي ، **المصدر نفسه**، ج1 ص46 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 421. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2ص206 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1ص416 . التّكريتي ، "الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 139.

(5) ابن حاتم . **المصدر نفسه** ، ص192 .

فلمّا كان السّابع من شهر صفر من سنة 624 هـ/ 1226 م وصل الملك المسعود إلى حصن تعزّ[1] فكان في إستقباله نائبه الحسام لؤلؤ ، الذي لم يتوان من جهته في الكيد بالأمير بدرالدّين الحسن بن علي بن رسول وذلك عندما أوهم الملك الأيّوبي بأنّ الأمير الرّسولي قد تجرّأ على الإساءة بلسانه إلى حريمه في غيابه[2]. ولمّا كان كلّ شيء تحتمله الملوك إلاّ الدّالة عليهم والطّعن في دولتهم والخوض في حرمهم [3] ، فإنّ الملك المسعود قد عظم عليه هذا الخبر وأضمر التعرّض للأمير الرّسولي . فلمّا كان يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر رجب من سنة 624 هـ/ 1226 م ألقى الملك المسعود القبض على الأمير بدرالدّين الحسن بن علي بن رسول وعلى أخويه فخرالدّين أبي بكر بن علي وشرف الدّين موسى بن علي بن رسول وأرسل بهم إلى الدّيار المصريّة تحت الحفظ والإعتقال [4] ، في حين لم يبد لأخيهم نورالدين عمر بن علي بن رسول أيّ سوء لأنّه كان يميل إليه ويأنس به لذلك جعله أستاذ داره وأتابك عسكره ، وكان الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول قد عرف برجاحة العقل والدّهاء ، فضلا عن الجود والكرم وشرف النّفس وحسن السّياسة[5] .

وسعيا منه إلى القضاء على روح الثّورة والتمرّد التي ما انفكّت تظهر بين الحين والآخر بعديد الجهات من البلاد اليمنيّة ، سار الملك المسعود من تعزّ بالعساكر في ذي الحجّة من سنة 624 هـ/ 1226 م قاصدا جهة نقيل يحصب فأخرب بها بلادا لبني سيف ، وذلك لما كانوا أظهروه من تأييد وميل لثورة مرغم الصّوفي[6] .

----

(1) ابن حاتم . السّمط الغالي الثمن ، ص192 . الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج 1ص46 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج 1ص 421 . الكبسي ، اللطائف السنيّة ، ورقة 20 أ . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص85 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص 206 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج 1ص416 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " ، مجلّة آداب الرافدين ، ص 139.

(2) ابن حاتم . المصدر نفسه ، ص193 .

(3) المصدر نفسه ، ص193 .

(4) ابن حاتم . المصدر نفسه، ص193 . الخزرجي ، المصدر نفسه، ج 1ص46 . ابن عبد المجيد ، المصدر نفسه ، ص85 . أبو مخرمة ، المصدر نفسه، ج 2ص 206. ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج 1ص 421. بغية المستفيد، ص79 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة 20 أ . ابن الحسين ، غاية الأماني، ج 1 ص416 . الفاسي ، العقد الثمين ، ج6ص 341. أبو الفدا ، تاريخ، ج 3ص185-186 . الزّركلي ، الأعلام ، ج 9 ص328 . التكريتي، " الأيّوبيون في اليمن " . مجلّة آداب الرافدين ، ص139 -140 .

Smith , *The Ayyubids* ..., Vol II p 88.
Ibid, " The Ayyubids and Rasulids, the transfer of power 7th /13th century yemen " , in *Islamic Culture* , p180 .
Ibid, " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1- 945/622 -1538) " , in *Yemen 3000 years...* , p 136.

(5) الخزرجي ، المصدر نفسه ، ج 1ص46 . ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص193 . الزركلي ، المصدر نفسه، ج 5ص 217.

(6) ابن حاتم . المصدر نفسه ، ص194 . الخزرجي ، المصدر نفسه، ج 1ص46 . ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج 1ص417 .

ثمّ مكث الملك المسعود بجهة الحقل طيلة ثلاثة أشهر ينكّل بالأهالي ويضيّق عليهم حتّى لا يعودوا مجدّدا إلى مظاهر الفرقة والخلاف [1]، كما إستطاع في الأثناء أن يستعيد النّظام والأمن بكثير من بلاد اليمن وذلك قبل أن يعزم من جديد على تركها طمعا في ولاية دمشق[2] بعد أن وصلته الأخبار بموت عمّه الملك المعظّم عيسى بن الملك العادل [3].

* نيابة الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول وإستقلاله ببلاد اليمن :

ما أن أضمر الملك المسعود الرّحيل وعقد العزم على ترك البلاد اليمنيّة في إتّجاه البلاد المصريّة حتّى شرع في البحث عن رجل كفؤ ليعهد إليه بإدارة البلاد بدل الأمير الحسام لؤلؤ، الذّي أظهر من جهته عزوفا عن تولّي هذا الأمر مجدّدا [4]. فكان أن نظر الملك المسعود في أرباب دولته وأعيانها وخواصّها فلم يجد من يصلح للنّيابة غير الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول[5]، فأوعز إليه بقوله : " تقف أنت

---

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص194 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج 1ص46 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص417 .

(2) الخزرجي ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص46 . ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص194 . المقريزي ، **السّلوك** ، ج1 ص237 . **الذّهب المسبوك** ، ص78 . القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج 5ص30 . ابن تغري بردي ، **النّجوم الزّاهرة** ، ج 6ص 228 . 242 . ابن فهد ، **إتحاف الورى** ، ج 3ص45.

(3) كانت دمشق تحت ولاية الملك المعظّم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيّوب فلمّا توفّي هذا الأخير كتب الملك الكامل صاحب مصر والشّام إلى ولده الملك المسعود باليمن يعرض عليه ولايتها ففرح فرحا شديدا حتّى أنّه سافر وقد ابتدأه المرض . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج 1ص47 . المقريزي ، **السّلوك** ، ج1 ص417 القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج 5ص30 .

(4) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص194-195 . Smith, *The Ayyubids* ..., Vol II p 89.

(5) ابن حاتم ، **المصدر نفسه**، ص195 . الخزرجي ، **المصدر نفسه**، ج 1ص47 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص 85. أبو مخرمة، **ثغر عدن**، ج 2ص 206. ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص 421 . **بغية المستفيد** ، ص79 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص417 . الكبسيّ ، **اللّطائف السنية** ، ورقة 20 أ . المقريزي ، **الذّهب المسبوك** ، ص79 . **السّلوك** ، ج 1ص244-245 . الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج7 ص494-495 . ابن الوردي ، **تاريخ** ... ، ج 2ص223 . ابن الأيبك الدوادار ، **كنز الدّرر وجامع الغرر** ، ج 7ص307 . القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج 4ص 273. ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج5 ص343 . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 4ص 259 ، 263. الجزيري ، **الدّرر الفرائد** ، ص 276. أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج 3ص185 . الصفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 9ص316 . الزّركلي ، **الأعلام** ، ج9 ص328 . الأكوع، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، ص38 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص140 . باقاسي ، **بلاد الحجاز في عصر الأيّوبي** ، ص52 . مالكي عبد الغنيّ ، **بلاد الحجاز منذ بداية حكم الأشراف حتّي سقوط الخلافة العباسيّة في بغداد** ، ص 74.

Smith ,*The Ayyubids* ..., Vol II p 88.

Ibid, " The Ayyubids and Rasulids, the transfer of power 7th /13th century yemen " , in *Islamic Culture* , p180 .

Ibid, " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1- 945/622 -1538) " , in *Yemen 3000 years...* , p 136.

نائبنا حتّى يصلك أمرنا بتسليم البلاد لمن يتعيّن لـــه وتلحقنا بعد ذلك إلى الدّيار المصريّة "[1]. لكنّ هذا القول لا ينسجم وما أورده الخزرجي على لسان الملك المسعود وهو يخاطب الأمير نور الدّين الرّسولي بقوله: " قد عزمت على السّفر وقد جعلتك نائبي في اليمن فإن متّ فأنت أولى بملك اليمن من إخوتي لأنّك خدمتني وعرفت منك النّصيحة والإجتهاد وإن عشت فأنت على حالك وإيّاك أن تترك أحدا يدخل اليمن من أهلي ولو جاءك الملك الكامل والدي مطويّا في كتاب "[2]. غير أنّه في المقابل لا يمكن الإطمئنان لرواية الخزرجي الذّي يعتبر بمثابة المؤرّخ الرّسمي لدولة بني رسول، لذلك فالغالب أنّ روايته الأخيرة جاءت لتصبّ في مصلحتهم وتصبغ على حكمهم شيئا من الشرعيّة التاريخيّة.

وأمام غياب مرّشح من البيت الأيّوبي يملأ الفراغ الذّي أحدثه رحيل الملك المسعود، كان لا بدّ لشأن الأسرة الرّسوليّة ممثّلة في الأمير نور الدّين عمر بن علي بن رسول أن يتعاظم عن ذي قبل ويصبح هذا الأخير شيئا فشيئا صاحب الأمر والنّهي ببلاد اليمن. ففي مستهلّ سنة 626 هـ/ 1228 م سار الملك المسعود قاصدا الدّيار المصريّة بما كان جمعه من أموال ومتاع وكان قد إبتدأه المرض، فما أن وصل مكّة حتّى وافته المنيّة في يوم الإثنين الرّابع عشر من جمادى الأولى من سنة 626 هـ/ 1228 م[3].

وأمام صعوبة الموقف الذّي غدا عليه الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن إثر وفاة الملك المسعود سارع الأمير الحسام لؤلؤ بمراسلة الملك الكامل صاحب مصر والشّام يخبره بموت ولده وبما آل إليه الوضع من فراغ خطير على مستوى سدّة الحكم[4]. لكنّ الأسرة الأيّوبيّة خلال هذه المرحلة لم يكن بوسعها توفير مرشّح قادر على

---

(1) ابن حاتم، **السّمط الغالي الثمن**، ص195.

(2) الخزرجي، **العقود اللّؤلؤية**، ج 1ص46.

(3) لقد أختلف كثيرا حول وفاة الملك المسعود وقد أورد الخزرجي في العقود اللّؤلؤيّة أغلب الرّوايات التّي تناولت قبله هذا الموضوع والتّاريخ الأسلم حسب رأيه هو المشار إليه. الخزرجي، **المصدر نفسه**، ج 1ص48. الفاسي، **العقد الثمين**، ج 7ص 494-495. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج 7ص273. أبو الفدا، **تاريخ**، ج 3 ص185-186. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 13ص 124. الكبسي، **اللّطائف السنيّة**، ورقة 20 أ. أبو مخرمة، **تغر عدن**، ج2ص206. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج9 ص316. المقريزي، **السّلوك**، ج1 ص245. **الذهب المسبوك**، ج79ص. الجزيري، **الدّرر الفرائد**، ص590. ابن تغري بردي، **النّجوم الزّاهرة**، ج 6ص242. ابن فهد، **اتحاف الورى**، ج 3ص45. ابن حاتم، **السّمط الغالي الثمن**، ص 195. ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص85. ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج 1ص 417. الزّركلي، **الأعلام**، ج 9ص328. ابن الدّيبع، **قرّة العيون**، ج 1ص 421. **بغية المستفيد**، ص79. التكريتي، "الأيّوبيون في اليمن"، **مجلّة آداب الرّافدين**، ص 141. الأكوع، **المدارس الإسلاميّة في اليمن**، ص 38.

(4) ابن حاتم، **المصدر نفسه**، ص195.

ملء الفراغ النّاجم عن وفاة الملك المسعود ، لاسيما وأنّ هذا الأخير لم يترك سوى ولدا صغيرا يعيش في كفالة جدّه الملك الكامل بمصر[1] . كما أنّ هذا الأخيركان عليه التفرّغ لمجابهة خطر الفرنج ، الذّين راحوا يتطلّعون بدورهم لإسترداد بيت المقدس [2] لذلك لم يكن بوسعه المبادرة بإيجاد حلّ عاجل للوضع الحاصل ببلاد اليمن .

وفي المقابل فإنّ الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول قد ظلّ على ولائه للحكم الأيّوبي إثر وفاة الملك المسعود ، فلم يغيّر سكّة ولا حوّل خطبة [3] وظلّ على تلك الحال ينتظر ما ستسفر عنه التطوّرات اللاّحقة . فلمّا كانت سنة 627 هـ/ 1229 م نهض الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول بمن معه من العساكر وأحكم السّيطرة على البلاد التّهاميّة وإستولى على عدن وعلى جميع القلاع والحصون المجاورة ، فولّى عليها من يرضى من رجاله [4] . ثمّ ما لبث أن أقطع صنعاء لإبن أخيه الأمير أسد الدّين محمّد بن حسن بن علي بن رسول، بعد أن كان عزل عنها الأمير أحمد بن زكريّاء واليها من قبل الملك المسعود [5] .

ويبدو أنّ الحكم الأيّوبي في مصر بقيادة الملك الكامل قد قبل بالأمر الواقع ورضي بنيابة الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول على بلاد اليمن على أن يظلّ هذا الأخير على ولائه للأيّوبيين ، وذلك ما تؤكّده الرّواية التي أوردها تقيّ الدين المقريزي ومفادها أنّ الأمير نور الدّين عمر بن علي بن رسول لمّا بلغه خبر وفاة الملك المسعود تظاهر بالولاء لبني أيّوب وأرسل إلى الملك الكامل عدّة هدايا وقال له : " أنا نائب السّلطان على البلاد " فأطمأنّ الكامل إليه وثبّته في ولايته [6] .

لكنّ مطامح الأمير نوالدّين عمر بن علي بن رسول ما لبثت أن تجاوزت حدود خطّته كمجرّد نائب للأيّوبيين بالبلاد اليمنيّة ، بعد أن كان قد تأكّد في الأثناء من عجز البيت الأيّوبي عن توفير شخص قادر على الأخذ بزمام الأمور بتلك النّاحيّة من بلاد العرب .

---

(1) ابن واصل ، مفرّج الكروب ، ج 4 ص236 . أبو الفداء، تاريخ ، ج 3ص 142.

(2) ابن واصل ، المصدر نفسه ، ج 4 ص259-263. أبو شامة ، ذيل الرّوضتين ، ص 158وما بعدها . ابن كثير . البداية والنّهاية، ج 13ص 123. ابن حاتم ، السّمط الغالي الثمن ، ص196 .

(3) أبو الفدا ، المصدر نفسه ، ج 3ص185 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة 20 أ . الخزرجي ، العقود اللّؤلؤيّة ، ج1 ص52 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص 418. الفاسي ، العقد الثمين . ج 6 ص342 . الزّركلي ، الأعلام ، ج 5ص217 . الأكوع ، المدارس الإسلاميّة في اليمن ، ص 38.

(4) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص202 . الكبسي ، المصدر نفسه ، ورقة20 أ . ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص86 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص206-207 . الخزرجي ، المصدر نفسه، ج1 ص 52.

(5) ابن حاتم ، المصدر نفسه ، ص206 .

(6) المقريزي ، السّلوك ، ج1ص237 .

وأمام الفراغ الخطير الحاصل على مستوى سدّة الحكم ببلاد اليمن وإنشغال الأيّوبيين في مصر والشّام بحرب الفرنج الذين تمكّنوا في الأثناء من إستعادة بيت المقدس [1]، أضمر الأمير نور الدّين عمر بن علي بن رسول من جهته الإستقلال بالبلاد [2]وعمل جاهدا على تحقيق هذا المأرب .

فبعد أن أحكم سيطرته على المناطق الخاضعة للنّفوذ الأيّوبي وولّى عليها جميعا رجالا من خاصّته سعى الأمير الرّسولي بكلّ حماسة إلى مصالحة الأطراف المناوئة للأيّوبيين وفي طليعتها الحركة الزّيديّة وسلاطين بني حاتم الهمدانيين ، وذلك ما تعكسه إتفاقات الصّلح التي كان عقدها مع هؤلاء عند حصن ذمرمر خلال سنة 628 هـ/ 1230م [3] . ونظرا لما كا يتّصف به الأمير نور الدّين عمر بن علي بن رسول من صلاح السّريرة ومحبّة النّاس له وإنقيادهم لأمره طوعا وكرها ، فضلا عمّا كان عرف به من حلم ودهاء كبيرين [4] ، فقد نجح في إستمالة جموع الأشراف الزّيديّة وسلاطين بني حاتم إلى صفّه حتّى خاطبوه بقولهم : " يامولانا نورالدّين تسلطن باليمن ونحن نخدمك ونبايعك على أنّ بني أيّوب لا يدخلون اليمن" [5] ، فتبايعوا على ذلك وأقرّهم على ما تحتهم من البلاد [6].

كما عمل الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول في الأثناءعلى مصانعة نوّاب الملك المسعود بأن أحسن إليهم كلّ الإحسان، فملك بذلك جوارحهم . وفي هذا الصّدد تذكر المصادر أنّ الأمير الرّسولي لم يتوان في تزويج أخته من الأمير نجم الدّين أحمد بن زكرياء نائب الملك المسعود على صنعاء ، كما كان أكرمه الإكرام المتناهي لقاء إظهاره معاني الطّاعة والولاء[7] . وسعيا منه إلى مصالحة بقايا الأيّوبيين

---

(1) ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 4 ص263 . ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج 13ص 123.

(2) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص86 . الفاسي ، **العقد الثمين**، ج 6ص 342. الكبسي ، **اللّطائف السنيّة** ، ورقة 20 أ . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص 206. ابن الحسين، **غاية الأماني** ، ج 1ص418 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن" **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص141 .

Smith , *The Ayyubids* ..., Vol II p 89-90.
1bid, " The political history of the Islamic Yemen...", *loc. cit* , p136.

(3) الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤية** ، ج1 ص 53. ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص203 . ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج 1ص419 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص86 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص141 .

(4) الخزرجي ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص51 ، 53.

(5) **المصدر نفسه** ، ج1 ص 53.

(6) الخزرجي ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 53. ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص203 . ابن الحسين، **المصدر نفسه**، ج 1ص419 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص86 .

(7) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص203-204 . الخزرجي ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 53. ابن الحسين، **المصدر نفسه** ، ج 1ص420 .

الذّين لازالوا ببلاد اليمن عمد الأمير نور الدّين عمر بن علي بن رسول إلى الزّواج من إمرأة الملك المسعود [1].

وما أن نجح الأمير نور الدّين عمر بن علي بن رسول في إحتواء مختلف الأطراف الفاعلة خلال ذلك العهد حتّى بادر بخلع طاعة بني أيّوب ، مظهرا إستقلاله ببلاد اليمن بعد أن تلقّب بالملك المنصور [2] . كما سعى الأمير الرّسولي في الأثناء إلى إسدال مظاهر الشّرعيّة على صنيعه، فبادر بمكاتبة الخليفة العبّاسي المستنصربالله بن الظّافر محمّد الذّي كان أقرّه على حكم البلاد اليمنيّة وجعل له النّيابة عليها [3] . وبذلك ينتهي رسميّا الحكم الأيّوبي بجنوب بلاد العرب، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ اليمن السّياسي بتولّي الأسرة الرّسوليّة .

خاتمة :

إنّ أهمّ ما يخرج به الدّارس للأوضاع السّياسيّة ببلاد اليمن خلال العهد الأيّوبي هو عدم إستقرار حكم هذه الأسرة، رغم إمتداده لفترة زادات عن الخمسين عاما تعاقب خلالها على سدّة الحكم ستّة ملوك وإتّسمت معظمها بحالة من الفوضى السّياسيّة والعسكريّة ، وذلك قبل أن يتمكّن مماليكهم من الإستقلال بالبلاد بزعامة الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول .

ولا شكّ أنّ ذلك يعود إلى عدّة عوامل منها عجز الأسرة الأيّوبيّة المزمن عن إيجاد حلّ لمسألة ولاية العهد ، التّي طالما شكّلت أبرز مظاهر الأزمة التي عاشها الحكم الأيّوبي ببلاد اليمن، وهو ما إنعكس سلبا على أسلوب الحكم ونظامه . كما أن تعدّد مراكز القوى السّياسيّة ببلاد اليمن وفي طليعتها الحركة الزّيدية ، قد جعل مهمّة الأيّوبيين الرّامية إلى توطيد نفوذهم بهذا البلد المفتقر إلى كثير من التّجانس السّياسي والإيديولوجي تبدو على غاية من الصّعوبة .

ولأنّ الأيّوبيين كانوا في نظرة غالبّية سكّان البلاد لاسيما من العرب ، بمثابة الرّجل الغريب بدليل ما كانوا يطلقونه عليهم من الأسماء "كالغز "و" الأكراد " ، فإنّ العلاقة بين الجانبين كانت محكومة في أغلب الأحيان بمنطق القوّة والسّيف وذلك ما تعكسه بوضوح السّياسة المنتهجة من قبل الأيّوبيين والتي كانت قد إتّسمت في كثير منها بالطّابع العسكري .

---

(1) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص86 . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج 1ص53 .

(2) الخزرجي ، **المصدر نفسه**، ج 1ص53 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص420 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 141-142.

(3) الخزرجي ، **المصدر نفسه**، ج 1ص53 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص420 . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن" ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 142 .

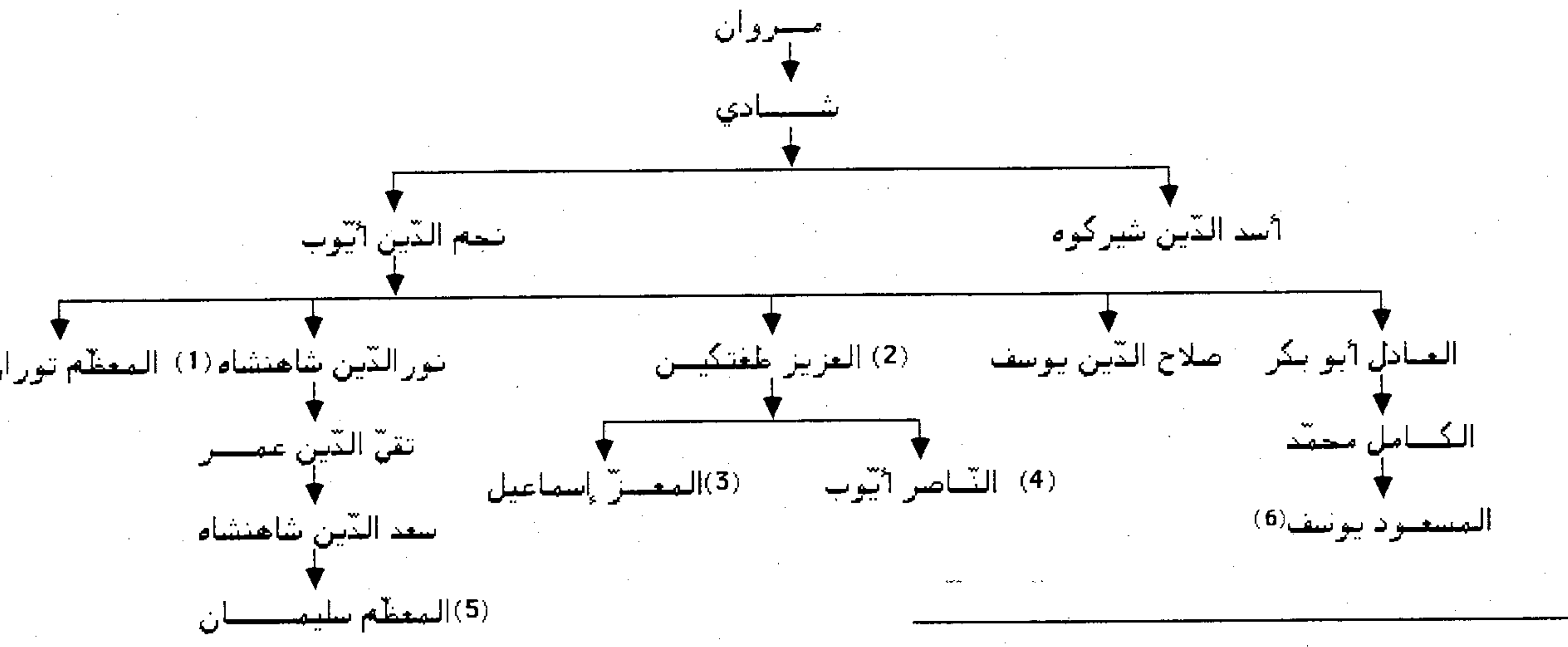
Smith , *The Ayyubids* ..., Vol II p 88.

Ibid, " The Ayyubids and Rasulids, the transfer of power 7th /13th century yemen " , *loc. cit* , p180 .

Ibid, " The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1- 945/622 -1538) " , *loc. cit* , p 136.

غير أنّه إذا أمعنّا النّظر في العهد الذي كان قد سبق دخول الأيّوبيين ببلاد اليمن ، والذّي كان قد إتّسم بكثير من الفرقة والإنقسام على المستويين السّياسي والمذهبي ، ندرك دون شكّ إلى أيّ حدّ كان الأيّوبيون قد نجحوا رغم كلّ الصّعوبات التي إعترضتهم في إعادة هذا البلد إلى طريق الوحدة السّياسيّة والمذهبيّة ، وذلك بعد إزاحتهم لأغلب القوى السّياسيّة والدّينيّة المتنازعة طوال تلك المرحلة القلقة ، وإقامتهم في المقابل لدولة مركزيّة سنّية ظلّت في أغلب مراحلها على صلة وثيقة بالحكم المركزي في مصر وعلى ولائها التّقليدي للخلافة العبّاسيّة في بغداد .

I- مشجر ملوك بني أيوب (*)



---

* لقد اعتبـر كاهن Cahen (Cl) أنّ المعـظّم سليمـان خامس ملوك بني أيّوب باليمن ينحدر من سلالة الملك المعظّم توران شاه بن أيّوب والحقيقة أنّه سليل للمسمّى نورالدّين شاهنشاه بن أيوب ، أمّا زامباور(Zambaur(E.U فقد جانب الصّواب عندما جعل نجم الدّين أيّوب عمّا لأسد الدّين شيركوه والصّحيح أنّه أخوه .

أنظر في هذا الصدد : .Cahen (Cl), art " Ayyubides", EI^2 ,Vol I p 827 . زامباور ، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التّاريخ الإسلامـي،** ص 158 . وقارن بما أورده أبو الفدا ، **تاريخ** ،ج 3ص138 . إبن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج 3ص138 . أبو شامة ، **ذيــل الرّوضتين** ، ص 86.

(1) الأسماء المبيّنة بالأرقام هي أسماء ملوك بني أيّوب الذّين تداولوا الحكم في اليمن حسب التّرتيب الزّمني .

II - جدول أسماء وفترات حكم ملوك بني أيوب ومن أناب عنهم باليمن حسب الترتيب الزمني (*)

المعظّم توران شاه .... 569 - 570 هـ / 1174 - 1175م

العزيز طغتكين .... 579 - 593 هـ / 1183 - 1197 م

المعزّ إسماعيل بن طغتكين .... 593 - 598 هـ / 1197 - 120 م

الأتابك سيف الدّين سنقر .... 598 - 608 هـ / 1202 - 1211 م
(بإسم الأتابكيّة على الملك النّاصر أيّوب)

النّاصر أيّوب بن طغتكين .... 608 - 611 هـ / 1202 - 1211 م

المعظّم سليمان بن سعد الدّين شاهنشاه ...... 611 - 612 هـ / 1214 م

المسعود يوسف بن الكامل محمّد .... 612 - 626 هـ / 1214 - 1228 م

نورالدّين عمر بن علي بن رسول .... 626 - 628هـ / 1228 - 1230 م
(نيابة عن الملك المسعود يوسف)

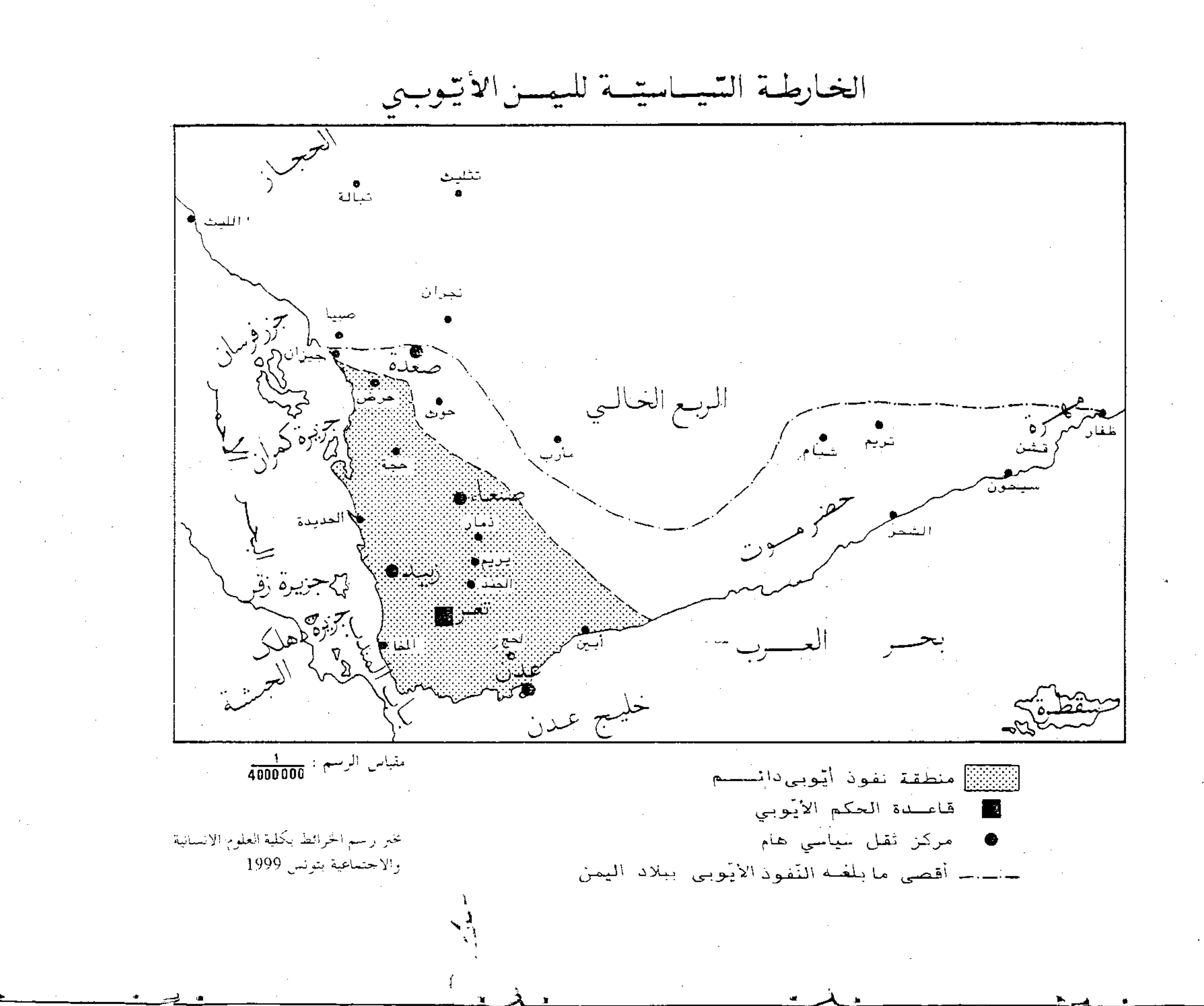
(*) لإنجاز مشجر ملوك بني أيوب وفترات حكمهم باليمن تمّ الإعتماد على مجموعة المصادر والمراجع التالية :

أبو الفدا ، **تاريخ** . ابن واصل ، **مفرّج الكروب** . الزّبيدي ، **ترويح القلوب** . الحنبلي ، **شفاء القلوب** . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** . الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** . أبو مخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** . ابن الحسين ، **غاية الأماني** . زامباور ، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة** ، فؤاد سيّد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** .

Bosworth , *The Islamic dynasties* .

Cahen , art " Ayyubides " , EI [2], Vol I pp 820-830 .

Smith , *The Ayyubids and early Rasulids in the Yemen* , Vol II .



الخارطة السياسية لليمن الأيوبي
الحجاز
تثليث
تبالة
الليث
نجران
صبيا
جيزان
صعدة
جزر فرسان
حرض
حوث
الربع الخالي
جزيرة كمران
مأرب
حجة
صنعاء
ذمار
الحديدة
يريم
زبيد
الجند
جزيرة زقر
تعز
جزيرة دهلك
لحج
المخا
أبين
عدن
الحبشة
خليج عدن
بحر العرب
حضرموت
ظفار
قشن
سيحوت
الشحر
شبام
تريم
سقطرة
مهرة
مقياس الرسم : 1/4000000
منطقة نفوذ أيوبي دائـم
قاعدة الحكم الأيوبي
مركز ثقل سياسي هام
أقصى ما بلغه النفوذ الأيوبي ببلاد اليمن
مخبر رسم الخرائط بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس 1999

البـاب الثّالث :

الحياة الإقتصـاديّة ومظاهـر الحضـارة في اليـمن خـلال العهـد الأيّوبي

الفصل الأول : الحياة الإقتصادية

تمهيد :

لأنّ الأهداف الإقتصاديّة كانت من جملة الأسباب الموضوعيّة الرّئيسيّة الّتي دفعت بالأيّوبيين إلى التطلّع ناحية جنوب بلاد العرب فإنّ أسرة صلاح الدّين الأيّوبي قد عملت منذ إستقرارها ببلاد اليمن على الإستفادة وكأحسن ما يكون من الطّاقات الإقتصاديّة المهمّة لهذا البلد، ساعية في الآن نفسه إلى تنشيطها والتحكّم فيها عبر جملة من التّنظيمات والإجراءات التي كان لها بالغ الأثر على مختلف الأنشطة الإقتصاديّة ببلاد اليمن طوال ذلك العهد .

1- التّجارة :

يعتبر النّشاط التّجاري من أهمّ الميادين الإقتصاديّة الحيويّة ببلاد اليمن منذ أقدم العصور ، كما أنّ حذق فنون التّجارة والخوض فيها يعدّ من التّقاليد الإقتصاديّة العريقة لسكّان هذا الإقليم [1] ، وذلك لما كانت حازته بلاد اليمن من موقع جغرافي متميّز لإشرافها على البحر الأحمر أبرز الممرّات البحريّة المتحكّمة

---

(1) لا يزال النّقش اليمني الّذي عثر عليه في الجيزة بمصر داخل تابوت كاهن أو تاجر من معين يدعى " زيد إيل بن زيد " يعتبر أقدم برهان مادّي على شغف الإنسان اليمني القديم بالتّجارة . فقد جاء في هذا النّقش أنّ " زيد إيل " المذكور قد جلب المرّ وقصب الذّريرة من بلاد اليمن لمعابد مصر وفاء لدين عليه لهذه المعابد وقد قدّمت له في المقابل أقمشة مصريّة حملها على سفينته وأخذ عليه عهد بتسديد ما عليه من دين وذلك خلال السّنة الثّانية والعشرين من عهد بطليموس الثّاني (فيلا دلفوس) الذّي امتدّ حكمه بمصر من سنة 285-246 ق م . وإستنادا إلى ما جاء في هذا النّقش يمكن القول أنّ العرب الجنوبيّين عامّة وأهل اليمن بصفة خاصّة قد ساهموا في النّشاط التّجاري في البحر الأحمر أيّام البطالمة وربّما قبل ذلك بكثير، حيث كان التّجار اليمنيّون يحتكرون تجارة التّوابل والعطور منذ عهد مملكة سبأ (750-115 ق. م) التي كانت بدورها تتحكّم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وهو ما جعلها تكون على صلات تجاريّة وثيقة مع شرق إفريقيا والهند فضلا عن علاقاتها الحميمة مع دولتي الأنباط وتدمر في شمال بلاد العرب . فضل حسن (يوسف) ، " الصّراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتّى القرن الثّامن عشر " ، **مجلة الدّارة** ، العدد الثالث ، الرّياض ، 1403هـ/ 1983م . ص 106-107. شهاب صالح (حسن) ، **فنّ الملاحة عند العرب** ، مركز الدّراسات والبحوث اليمني بصنعاء ، دار العودة بيروت 1982م . ص37-38 . عبد العليم (أنور) . **الملاحة وعلوم البحار عند العرب** ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد الثالث عشر ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب . الكويت 1979م . ص 15-16. القوصي ، (عطيّة) . الجغرافية و الرّحلات عند العرب ، الشركـــة العالميّة للكتاب ، بيروت 1987م ص215-222 .

Rhodokarnakis (N), " Die Sarkophaginschrift von Gizen ", in *Zeitschrift für Semitistik* , vol II, 1924 . pp 113-114 .
Hourani (G.F), *Arab Seafaring in the Indian Ocean in ancient and early Medieval Times* , Khayats, Beirut 1963. pp 21-22.

في تجارة الشّرق [1] وهو ما جعل أراضيها تكون معبرا قصيرا للقوافل وموانئها محطّات آمنة للمراكب على غرار مرفأ عدن، الّذي غدا خلال العهد الأيّوبي محطّة تجاريّة مزدهرة بفضل مجموعة الإجراءات التّنظيميّة التي اتّخذها ملوك بني أيّوب وأعوانهم للإستفادة من حركة التّجارة الدوليّة ، التي كان ثقلها قد تركّز خلال ذلك العهد حول البحر الأحمر بعد أن كانت جملة من الظّروف التّاريخيّة قد رشّحته ليستعيد أهمّيته أمام طريق الخليج الفارسي وليتنامى في الأثناء دور عدن بعد أن تراجع دورسيراف [2].

أ - أهمية دور عدن في التجارة الدّولية ومظاهر إزدهارها خلال العهد الأيوبي :

كانت عدن منذ القدم من أكبر مراكز الملاحة والتّجارة على السّواحل الجنوبيّة لبلاد العرب حيث ورد ذكرها خلال القرون الأولى للميلاد في كتب الرّحالة والملاّحين اليونان بإسم " يوديمون " [3]، وعند ظهورالإسلام كانت تجارتها مزدهرة

---

(1) فضل حسن ،" الصّراع حول البحر الأحمر ..." ، مجلّة الدّارة ، ص104-105 .
زكيّ فهمي (نعيم) ، **طرق التّجارة الدّوليّة ومحطّاتها بين الشّرق والغرب في أواخر العصور الوسطى** ، القاهرة 1973م ص138 . الحاج إبراهيم (مصطفى) ،" بين التّاريخ الجغرافي والجغرافية التّاريخيّة للوطن العربي " ، **دراسات تاريخيّة** ، العدد الثاني ، دمشق ، جويلية1980 م . ص131-132 .
Hourani , *op.cit*, pp 17-18 .

(2) سيراف : تقع على السّاحل الشّرقي للخليج العربي وهي بمثابة المركز الدّولي للتّجارة البحريّة خلال القرون الثّلاثة الأولى للهجرة (السّابع - التّاسع ميلادي) حيث كان التّجّار العرب يصلون إليها من البصرة بتجاراتهم ثمّ يبحرون منها في إتّجاه الهند والصّين . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج3 ص 335. ابن حوقل ، **صورة الأرض** ، ص 248. البغدادي ، **مراصد الإطّلاع** ، ج 2ص765 . القوصي (عطيّة) " سيراف وكيش وعدن من القرن الثّالث الهجري حتّى السّادس ، " **المجلّة التّاريخيّة المصريّة** ، المجلد 23 (1976م) ص53-72 . الشّامي (أحمد) ، " العلاقات التّجاريّة بين الدول الخليج وبلدان الشّرق الأقصى وأثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى " **المؤرّخ العربي** ، العدد12 ، 1980 م . ص90-91 . متز (آدم) ، **الحضارة الإسلاميّة في القرن الرّابع الهجري** ، نقله إلى العربيّة محمّد عبد الهادي أبو ريدة ، الطّبعة الثالثة ، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة ، القاهرة 1377 هـ/ 1957م . ج 2ص432 . الحمارنة (صالح) ، " دور الأبلّة في تجارة الخليج " ، **المؤرّخ العربي** ، العدد5 ، 1977 م . ص47 . إبراهيم أحمد (لبيد) ، " المصادر التّاريخيّة لتجارة الخليج العربي خلال العصور الوسطى الإسلاميّة " ، **المؤرّخ العربي** ، عدد12 ، 1980م . ص163-184 . إيوار (ك)، مادّة " سيراف " ، **دائرة المعارف الإسلاميّة** ، **طبعة أولى** ، المجلد ص435-436 .

(3) علي (جواد) ، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، بغداد ، 1953م ج3 ص 336-348 . زيادة (نقولا) ، " تطوّر الطّرق البحريّة والتّجارية بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي " ، مجلّة **دراسات الخليج والجزيرة العربيّة** ، العدد الرّابع ، السنّة الأولى ، أكتوبر 1975م ص 80.
Pirenne (J) , *Le royaume Sud-arab de Qataban et sa datation* , Louvain 1961 . pp197-201.

مع أقاليم إفريقيا الشّرقيّة ومصر والهند وكانت السّفن ترسو بها لتنزل بضائعها وسلعها لتنقل في مرحلة ثانية برّا عبر أراضي اليمن والحجاز في إتجاه العراق وبلاد الشّام أو لتتابع هذه السّفن سيرها في البحر الأحمر قاصدة الموانيء المصريّة [1]، وتذكر المصادر العربيّة أنّه كانت تقام بعدن أحد الأسواق الكبرى التي يؤمّها التجّار [2] . ثمّ إنّ ذكر عدن سرعان ما تناقص خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام بسبب تراجع أهمّيتها بعد أن تحوّل مركز ثقل تجارة الشّرق نحو طريق الخليج الفارسي فلم تعد السّفن والمراكب الواصلة من الهند والصّين تسلك طريق البحر الأحمر لبعده ولكثرة أخطاره ، إضافة إلى تضاؤل التّجارة مع أوروبّا المسيحيّة التّي أصبحت منذ أن هاجمتها القبائل الجرمانيّة تعاني من تدهور إقتصادي شبه عام [3] .

غير أنّ أهمّية عدن التّجاريّة ما لبثت أن تعاظمت لتصبح منذ أواخر القرن الرّابع هجري/العاشر ميلادي أهمّ مركز للتّبادل التّجاري وللحركة الملاحيّة في منطقة المشرق الإسلامي حيث كانت بمثابة " المستودع " الرّئيسي لبضائع الشّرق وأكبر محطّة تجاريّة على طريق البحر الأحمر وذلك ما تعكسه بوضوح النّصوص التّي تردّد في كتب الجغرافيا الإسلاميّة حول هذه المدينة ذات الشّخصيّة التّجاريّة الهائلة .

فقد وصفها المقدّسي بأنّها " بلد جليل عامر آهل ، حصين خفيف ، دهليز الصّين ، وفرضة [4] اليمن وخزانة المغرب ، ومعدن التّجارات كثير القصور ، مبارك على من دخله ، مثر لمن سكنه ، مساجد حسان ، ومعايش واسعة ، وأخلاق طاهرة ونعم ظاهرة وبارك النبيّ (ص) سوق منى وعدن ، وهي في شبه صيرة الغنم قد أحاط به جبل بما يدور حول البحر ، ودار خلف الجبل لسان من البحر فلا يدخل إليه إلاّ أن يخلص ذلك اللّسان فيصل إلى الجبل ، وقد شقّ فيه طريق في الصّخر عجيب وجعل عليه باب حديد ، مددا من نحو البحر حائطا من الجبل فيه خمسة أبواب ، والجامع ناء عن الأسواق " [5] . وقال فيها الإدريسي " ... عدن مدينة صغيرة وإنّما لأنّها مرسى البحر ومنها تسافر مراكب السّند والهند والصّين ... وهي بلد

---

(1) عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص 79. صالح شهاب ، فن الملاحة عند العرب ، ص 43.

(2) ابن حبيب (محمّد) ، **كتاب المحبّر** ، حيدر آباد الدّكن ، الهند1384 هـ . ص266 . اليعقوبي (أحمد)، **تاريخ** ، دار صادر ودار بيروت للطّباعة والنشر ، بيروت ، 1379 هـ ج 1ص270 . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص 70. الأفغاني (سعيد) ، **أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام** ، الطبعة الثّانية ، دار الفكر دمشق 1960م . ص268-270 .

(3) Pirenne (H) , *Mahomet et Charlemagne* , presses Universitaires de France, Paris 1970. pp 107-136.

(4) فرضة : يقال فرضة البحر وهي محطّ السّفن وفرضة النّهر ثلمته أيّ من أين يسقى وهي المشرعة والفوهة . ابن منظور (جمال الدّين محمّد) ، **لسان العرب المحيط** ، طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق ، المؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والأنباء والنّشر ، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة ، القاهرة (د . ت) ج7 ص206 .

(5) المقدّسي ، **أحسن التّقاسيم** ، ص34 ، 85 .

تجارة "[1] . ووصفها ياقوت بأنّها " مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ... مرفأ مراكب الهند والتجّار يجتمعون إليه لأجل ذلك فإنّها بلدة تجارة " [2].

وذكر القزويني أنّها " مرفأ مراكب الهند وبلدة التّجار ومرابح الهند فلهذا يجتمع إليها الناس " [3] وأشار ابن سعيد المغربي إلى أنّ مراكب الهند والصّين قد اتّخذت من عدن مرسى لها [4] . وقال فيها أبو الفدا : " هي على ساحل البحر وهي بلدة تجارة " [5]، كما لوّح إلى شهرتها الواسعة ابن المجاور بقوله : " وتسمّى عند الفرس آخرسكين وعند الهنود سيران وهنام وتسّمى فرضة اليمن ... وتسمّى عند التجّار صيرة وحيرة " [6] . وذكرها العمري بقوله : " وباليمن عدن وهي من أعظم المراسي بها وتكاد تكون ثالثة تعزّ وزبيد في الذّكر " [7].

أمّا ابن بطّوطة فقد وصفها بأنّها " مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم والجبال تحفّ بها ولا مدخل إليها إلاّ من جانب واحد ، وهي مدينة كبيرة ... وهي مرسى أهل الهند تأتي إليها المراكب العظيمة ... وتجّار الهند ساكنون بها وتجّار مصر أيضا ، وأهل عدن ما بين تجّار وحمّالين وصيّادين للسّمك ، وللتجّار منها أموال عظيمة ، وربّما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال ، ولهم في ذلك تفاخر ومباهاة " [8]. وقال فيها الحميري بأنّها " مدينة صغيرة ، وإنّما اشتهر ذكرها لأنّها مرسى البحرين ومنها تسافر مراكب السّند والهند والصّين وإليها يجلب متاع الصّين ... وهي بلدة تجارة وهي ساحل صنعاء وبها مرفأ مراكب الصّين " [9].

ويبدو أنّ عدن قد أصبحت منذ أواخر القرن الرّابع هجري / العاشر ميلادي مضربا للأمثال في الرّبح الوفير والكسب الغزير ، فقد قال المقدسي " من أراد التّجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر " [10] مضيفا في المعنى ذاته قوله

---

(1) الإدريسي (محمّد) ، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** ، تحقيق الدّكتور إبراهيم شوكة ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد 1971م ص57 .

(2) ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 4ص89 . **المشترك وضعا والمفترق صقعا** ، غونتجن ، جامعة شريفتين 1846م ص 304.

(3) القزويني (زكرياء) ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، دار صادر بيروت 1960م . ص 101.

(4) ابن سعيد ، **كتاب الجغرافيا** ، ص102 ، 119 ، 122 .

(5) أبو الفدا ، **تقويم البلدان** ، ص92-93.

(6) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص 110-111.

(7) العمري ، **مسالك الأبصار وممالك الأمصار** ، ص 155.

(8) ابن بطّوطة ، **تحفة النّظار في غرائب الأمصار** ، ص 251.

(9) الحميري ، **الرّوض المعطار في خبر الأقطار** ، ص 408.

(10) المقدسي ، **أحسن التّقاسيم** ، ص35 .

"وعدن التي تشدّ إليها الرّحال " (1) ، أمّا ياقوت فقد وصفها بأنّها " بلدة تجارة وربح " (2) .

ويعود الإزدهار التّجاري لعدن إلى كونها المركز الرّئيسي للتّجارة البحريّة مع الهند والصّين وبلدان الشّرق الأقصى و سواحل الشّرق الإفريقي ومصر وذلك منذ أن تحوّل مركز ثقل تجارة الشّرق من طريق الخليج الفارسي إلى طريق البحر الأحمر ، لذلك كانت البضائع والسّلع الثّمينة تتجمّع فيها فتدرّ أرباحا كبيرة وقد ذكر المقدسي أنّه سمع أنّ رجلا ذهب إلى عدن بألف درهم فرجع بألف دينار وآخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة وآخرا بكندر فرجع مثله كافورا (3) .

وبدخول أرض اليمن في حوزة الأيّوبيين ستزداد أهميّة عدن التّجاريّة عن ذي قبل بفضل الإجراءات الأمنيّة والتّنظيميّة التي اتّخذها هؤلاء لضمان مزيد من العائدات الماليّة التي كانت تحصّل في شكل ضرائب موظّفة على البضائع الوافدة إلى ميناء عدن والتي كانت تعرف خلال ذلك العهد بإسم العشور (4).

* الجهود الأيوبية لتأمين تجارة عدن والتحكم فيها :

لأنّ الأيّوبيين كانوا مدركين كلّ الإدراك لأهميّة تجارة عدن ولعائداتها الماليّة الضّخمة فقد عملوا منذ حلولهم ببلاد اليمن على توفير المناخ الملائم والحماية الكافية لهذه التّجارة ولمختلف الأطراف العاملة فيها ، ساعين في الوقت ذاته إلى الإستفادة منها والتحكّم فيها عبر جملة من الإجراءات الأمنيّة والتنظيميّة المتنوّعة.

فعلى المستوى الأمني سعى ملوك بني أيّوب ورجالهم إلى التّصدي بكلّ حزم إلى ظاهرة القرصنة التي ما انفكّت تشكّل أبرز مخاطر طريق البحر الأحمر ، فرصدوا لذلك سفنا من أسطولهم سائرين في ذلك على نهج أسلافهم الفاطميّين الذّين كانت لهم المبادرة في تخصيص أسطول لحماية وتأمين الحركة التجاريّة بالبحر الأحمر (5) .

----

(1) المقدسي ، أحسن التّقاسم ، ص67 .

(2) ياقوت ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص304 .

(3) المقدسي ، المصدر السّابق، ص35 .

(4) ابن المجاور ، المستبصر ، ج1ص140 .

(5) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج3 ص 524. لبيب (صبحي) ، " التّجارة الكارميّة وتجارة مصر في العصور الوسطى ". المجلّة التّاريخية المصريّة ، مجلّد عدد ماي1952 م ص7 . القوصي (عطيّة) ، " أضواء جديدة على تجارة الكارم ". المجلّة التّاريخية المصريّة ، المجلّد الثاني والعشرون ، 1975م ص 23. فؤاد سيّد، الدّولة الفاطميّة في مصر ، ص311 . عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص 77.
Goitein (S.D)," From the Mediterranean to India" in,*Speculum* , pp 359 360.

ولمّا انتقل الملك المعظّم توران شاه إلى بلاد اليمن أخذ معه الشّواني (1) لحراسة المراكب التّجاريّة القادمة من الهند والصّين في اتجّاه عدن ويذكر ابن المجاور أنّه لم يقع تسيير الشّواني في البحر لحماية التّجار من متلصّصة البحر إلاّ في عهد الملك سيف الإسلام طغتكين فكانت الشّواني في عهده تخرج من عدن في اتجاه الهند لحماية التجّار من سطوة السرّاق (2) ، فلمّا كانت سنة 602 هـ / 1205 م انقطعت مراكب الهند بسبب أعمال القرصنة في المحيط الهندي لذلك جهّز لها الأتابك سيف الدّين سنقر الشّواني من جديد حتى بلغت قلهات[3] وأخلت اللّصوص من البحر[4] .

أمّا على المستوى الجبائي فقد استفادت التّجارة في اليمن عامّة وفي عدن بشكل خاصّ من الإجراءات التّي سنّها الأيّوبيون في هذا المضمار قصد تنشيط المبادلات التّجارية بين مختلف المراكز التجاريّة داخل العالم الإسلامي وخارجه وقد تجلّت هذه الإجراءات في السّياسة الجبائيّة لصلاح الدّين حيث اكتفى بتحصيل الأداءات الشّرعيّة وهي الزّكاة بالنّسبة للمسلمين والعشر بالنّسبة لغير المسلمين[5] . كما عمد مؤسّس الدّولة الأيّوبيّة إلى إبطال رسم المكس المضروب على الحجّاج والتجّار زمن الفاطميّين وكانت قيمته سبعة دنانير ونصف دينار من الدّنانير المصريّة تؤخذ على كلّ مسافر من عيذاب في اتجّاه مكّة عبر البحر الأحمر (6) وكان من لم يؤدّ هذا المكس يمنع من الحجّ ومن التّجارة ويعذّب بشتّى أنواع العذاب[7] . وقد عدّ إجراء صلاح الدّين من المفاخر ، التي إنبسطت لها النفّوس كما يشير إلى

----

(1) الشّواني : جمع شيني ويقال أيضا شاني أو شينيّة أو شونة وهي السّفينة الحربيّة الكبيرة وكانت تعرف أيضا بإسم " الغراب " وقد ذكر ابن مماتي أنّ هذا النّوع من السفن كان يجدف بمائة وأربعين مجدافا وكان مزوّدا بأبراج وقلاع تستخدم للدّفاع والهجوم . ابن مماتي (أسعد)، **كتاب قوانين الدّواوين** ، تحقيق عزيز سوريال عطيّة، القاهرة 1943 م . ص340 . النّخيلي (درويش) ، **السّفن الإسلاميّة على حروف المعجم** ، الإسكندرية 1974م ص78-81. فؤاد سيّد ، **الدّولة الفاطميّة في مصر** ، ص288 . عبد العزيز سالم ، **البحريّة الإسلاميّة** ، ص 132-133.

(2) ابن المجاور ، **المستبصر** ، ج1ص 141-142.

(3) قلهات : مدينة بعمان على ساحل البحر إليها ترفأ أكثر سفن الهند وقد كانت خلال العهد الأيّوبي فرضة تلك البلاد وأحسن أعمال عمان ، وقد وصفها ياقوت بأنّها عامرة ، آهلة ، ليست بالقديمة في العمارة وهي تابعة لصاحب هرمز وأهلها خوارج إباضيّة . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 4 ص 446. البغدادي ، **مراصد الإطّلاع** ، ج4 ص1119 .

(4) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص136 .

(5) القوصي ، " أضواء جديدة على تجارة الكارم " ، **المجلّة التّاريخية المصريّة** ، مجلد عدد22 .1975م ص32 . باقاسي ، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي** ، ص66-67 .

(6) ابن جبير ، **الرحلة** ، ص30-31 . الفاسي ، **شفاء الغرام** ، ج 2ص368 . ابن فهد ، **إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى** ، ج2 ص538 . باقاسي ، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي** ، ص 70.

(7) ابن جبير ، الرّحلة ، ص 30. الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ص368 . ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى ، ج 2 ص539 .

ذلك الرحّالة ابن جبير، الذّي سعد من جهته كثيرا بهذا الإجراء حتّى أنّه لم يتوان في نظم قصيدة يمدح فيها السّلطان الأيّوبي على صنيعه الحسن [1].

وإعتمادا على كتاب قوانين الدّواوين لابن مماتي يتبيّن أنّ الزّكاة والجزية هما الضّريبتان اللّتان تتمّ جبايتهما فقط من التجّار في ميناء عيذاب بعد خروجهم من عدن ، وهو ما يعني أنّ التجّار المسلمين والتجّار من أهل الذمّة القادمين من البلاد الإسلاميّة هم فقط الذّين كانوا يعملون في تجارة البحر الأحمر خلال العصر الأيّوبي ، حيث لم يكن مسموحا في ذلك الوقت لأيّ تاجر من المدن الإيطاليّة أو من الهند أو الصّين أن يبحر شمالا من عدن [2].

أمّا على المستوى التّنظيمي فقد أحكم الأيّوبيون إدارة ميناء عدن أيّما إحكام عن طريق جملة من الإجراءات والتّجهيزات الملاحيّة والجمركيّة ، التّي كانت لها آثارها الإيجابيّة على مستوى العائدات الماليّة، التّي جنتها الدّولة الأيّوبيّة من جرّاء ذلك التّنظيم المحكم الموروث في جوانب منه عن العهد الزّريعي .

ويعتبر كتاب تاريخ المستبصر لابن المجاور أهمّ مصدر يمكن إعتماده للتعرّف على النّظام الملاحي والجمركي لميناء عدن خلال العهد الأيّوبي[3] ، يليه في الأهميّة كتاب تاريخ ثغر عدن لأبي مخرمة الذّي إهتمّ هو الآخر بالجوانب التّنظيميّة التي شهدها ميناء عدن خلال المرحلة التّاريخيّة المشار إليها [4] .وقد أشار كلا الرّجلين إلى التّجهيزات الجمركيّة ، التي كان حظي بها ميناء عدن منذ العهد الزّريعي قصد تأمين الأداءات الواجبة على السّلع والبضائع الواردة إليه، حيث عمد "الدّاعي " الزّريعي إلى إقامة سور بمدخل المدينة يفصل بينها وبين البحر حتّى يتسنّى مراقبة التجّار الدّاخلين إليها وتحصيل العشور الواجبة عليهم[5] ، فمدّ سورا من حصن الخضراء إلى جبل حقّات فلمّا إهتدم أدير سور ثان من القصب [6] .

وتذكر المصادر أنّه عندما إقتسم الأخوان العبّاس والمسعود إبني المكرّم الزّريعي النّفوذ بعدن إختار العبّاس مقرّ إقامته بحصن التعكّر المشرف على مدخل المدينة من جهة البرّ في حين كان المسعود قد إستقرّ بحصن الخضراء المشرف على ميناء عدن من جهة البحر [7] .

---

(1) الفاسي ،شفاء الغرام ،ج 2ص 369.

(2) ابن مماتي ، قوانين الدّواوين ، ص327 .

(3) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر، ج1 ص138-148 . إبراهيم بشير (بشير) ، " ابن المجاور دراسة تقويميّة لكتابه " تاريخ المستبصر " ، دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ، الكتاب الأوّل ، ج 2ص41-60 .

(4) أبو مخرمة ، تاريخ تغرعدن ، ج1 ص18-31 .

(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج1 ص127 . أبو مخرمة ، المصدر نفسه ، ج1 ص 23-24.

(6) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج1 ص128 . أبو مخرمة ، المصدر نفسه ، ج1 ص 23.

(7) عمارة ، تاريخ ، ص177 . ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج1 ص 306. ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج1 ص121 . أبو مخرمة ، المصدر نفسه ، ج2 ص 119.

فلمّا إستولى الملك المعظّم توران شاه على عدن وإستناب بها عثمان الزّنجيلي أدار هذا الأخير سورا دائرا على جبل المنظر إلى آخر جبل العرّ وركّب عليه باب حقّات [1]، ثمّ أدار سورا ثانيا على جبل الخضراء يمتدّ من حصن الخضراء إلى حصن التعكّرعلى رؤوس الجبال [2] وأردفه بسور ثالث على السّاحل من لحف جبل الخضراء إلى جبل حقّات وجهّزه بستّة أبواب وهي : باب حومة وباب السّيلة وهما اللّذان يخرج منهما السّيل إذا نزل الغيث ، وباب الصّباغة ، وباب الفرضة ومنه تدخل البضائع وتخرج وباب مشرق للدّاخل والخارج، وباب حيث ويعرف بباب السرّ ولا يفتح إلاّ في حالات الطّوارئ أو لأمر هامّ [3].

ثمّ إنّ عثمان الزّنجيلي تابع جهوده بغية مزيد التحكّم في الحركة التّجاريّة بمدينة عدن فبني " الفرضة " في موضع من السّور، وهي بمثابة إدارة الجمارك وجعل لها بابين أحدهما من جهة السّاحل وتدخل منه البضائع وباب ثان يفضي إلى داخل المدينة يدخل منه التجّار والسّلع بعد خضوعها للتّراتيب الجمركيّة[4] . فلمّا كان جمادى الآخرة من سنة 625 هـ / 1227م أسّست بعدن دار الوكالة ودار الزكّاة والدّلالة، فكانت البضائع التّي لا تؤدّي العشور تؤخذ عليها الزّكاة [5] .

وقد تجاوزت جهود الأيّوبيين الرّامية إلى تأمين تجارة عدن حدود المدينة لتتعدّاها إلى عرض البحر حيث تقع مراقبة السّفن والمراكب القادمة إلى ميناء عدن من قبل عون من قبل مراقبة يعرف بإسم " النّاطور " [6] ومهمّته مراقبة هذه السّفن والتحقّق منها قبل إعلام والي المدينة بذلك، وقد فصّل ابن المجاور في الحديث عن هذه العمليّة التّنظيميّة الإستطلاعيّة [7].

ومهما يكن من أمر، فإنّ النظّام الجمركي الأيّوبي بعدن رغم كونه في الظّاهر يصبّ في مصلحة أصحاب السّلطة السّياسيّة في البلاد ، فإنّه جاء أيضا لخدمة التجّار الوافدين على ميناء عدن خلال ذلك العهد . فعبر تلك الإجراءات التي غالبا ما تكون مطوّلة ومزعجة كانت تحفظ أموال وأمتعة هؤلاء التّجار من الضّياع والإنتهاك، كما تؤمّن في الأثناء مصالح الدّولة السّاهرة على تطبيق ذلك النّظام [8].

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ج1 ص128 . أبو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج1 ص 23.

(2) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج1 ص128 . أبو مخرمة ، المصدر نفسه، ج1 ص 23.

(3) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج1 ص128 . أبو مخرمة ، المصدر نفسه ، ج1 ص 24.

(4) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج1 ص128 . أبو مخرمة ، المصدر نفسه ، ج1 ص 24.

(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج1 ص143 .

(6) النّاطور : يقال ناطر وناطور وهي كلمة ليست عربيّة محضة أخذت من كلام أهل السّواد وتطلق في الأصل على حافظ الزّرع والتّمر والكرم ، وجمع النّاطر نطّار ونطراء ونواطير والفعل النّطر والنّطارة والنطرة وهي الحفظ بالعين . ابن منظور ، لسان العرب ، ج7 ص69-70 .

(7) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1ص 138-139.

(8) كريم إبراهيم (محمّد) ، " الفعاليّات الإقتصاديّة لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسّادس الهجري ، دراسة تاريخيّة " ، المؤرّخ العربي ، عدد 35، 1988م ص174 .

وهكذا فإنّه نتيجة لكلّ الجهود والمساعي الأيّوبيّة التي سبق ذكرها كان لا بدّ للنّشاط التّجاري ببلاد اليمن أن يزدهر زمن حكم الأيّوبيين بفضل الدّور الرّيادي الذّي لعبته عدن في تجارة الشّرق الغنيّة ، لاسيما بعد أن أصبحت هذه المدينة محطّة من المحطّات الرّئيسيّة في طريق فئة تجّار الكارم ومركزا متميّزا لأنشطتهم ولمعاملاتهم طوال ذلك العهد . فما هي طبيعة هذا الصّنف من التجّارة وماهي جذورها التّاريخيّة ، وكيف إستطاعت عدن أن تمثّل نقطة جذب لتجّار الكارم و تستفيد في الأثناء من هذه التّجارة ؟

*** عدن مستودع رئيسي لتجارة الكارم :**

تجّار الكارم كما تشير إلي ذلك أوراق الجنيزة [1] هم من فئة كبار التجّار الذّين احتكروا تجارة الهند والشّرق الأقصى من التّوابل والأصباغ وما إليها من السّلع الأخرى مركّزين نشاطهم في المحيط الهندي والبحر الأحمر[2] . وقد شكّل لفظ " الكارم " أو الكارميّة " الوارد في المصادر العربيّة الكلاسيكيّة وفي أوراق الجنيزة موضوع خلاف بين العديد من الباحثين ، لاسيما فيما يتّصل بجذور هذه التّسمية وأصلها اللّغوي[3] .

----

(1) أوراق الجنيزة : هي وثائق خطّية عثر عليها في منطقة مصر القديمة ، والجنيزة كلمة عبريّة مأخوذة عن نفس الأصل الفارسي والعربي " جنازة " وهي تعني مكانا دفنت فيه أوراق مستهلكة حتى لا يدنّس إسم اللّه الذي يمكن أن يكون فيها . ربيع (حسنين محمّد) ، " وثائق الجنيزة وأهمّيتها لدراسة التّاريخ الإقتصادي لموانئ الحجاز واليمن في العصور الوسطى ، " ، **مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة** ، الرّياض 1979م . ج2 ص131-144 . فؤاد سيّد ، **الدّولة الفاطميّة في مصر** ، ص23-24 . القوصي ، " أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة " ، **المجلّة التاريخية المصريّة** ، المجلّد عدد22 . 1975م ص 17-39.

Goitein, " The Cairo Geniza as a source for the history of Muslim civilisation " , in *Studia Islamica*, Vol III (1955), pp 75-91.

(2) القوصي ، " أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة " ، **المجلّة التّاريخيّة المصريّة** ، المجلّد عدد22 . 1975م ص 17. لبيب ، " التّجارة الكارميّة وتجارة مصر في العصور الوسطى ، " **المجلّة التاريخيّة المصريّة** ، مجلد عدد 4(ماي 1952م) ص 6.

Fischel (W.J) , " The spice trade in Mamluk Egypt : a contribution to the economic history of Médieval Islam " , in *J E S H O* ,Vol I (1958) . p 164 .

(3) لمزيد من التّفاصيل حول هذا الموضوع راجع : القوصي ، " أضواء جديدة على تجارة الكارم " ، **المجلّة التاريخيّة المصريّة** ، المجلّد عدد22 . 1975م ص 17-39. لبيب ، " التّجارة الكارميّة وتجارة مصر في العصور الوسطى " **المجلّة التاريخية المصريّة** ، مجلّد عدد 4 (ماي 1952م) ص5-63. البصيلي (شاطر) ، " التّجارة الكارميّة، **المجلّة التّاريخية المصريّة**" ، مجلد13 . 1967م ص220 .

Labib (S) , art " Karimi " , *EI^2*, Vol IV, pp 666-670 .
Ashtor (E) , " The Karimi Merchants" , in *J R A S* (1956) . pp 45-56.
Ibid,*Studies on the Levantine trade in the Middle Ages,* l. Varioum, 1978.pp270-283.
Goitein, "New Light on the beginnings of the Karimi Merchants" , in *J E S H O* , vol I part II (1958) . PP 175-184 .

أمّا أقدم إشارة إلى التّجارة الكارميّة في المصادر التّاريخيّة فتعود إلى ما أورده المؤرّخ ابن أيبك الدّوادار عندما تحدّث عن تأخّر وصول التجّار وإنقطاع الكارم خلال سنة 456 هـ / 1063 م [1]، وإن لم يوجد في المصادر المعاصرة لهذه الفترة ما يؤكّد إشارة ابن أيبك الدّوادار فإنّ ما تفيد به أوراق الجنيزة حول نشاط تجّار الكارم لا تؤكّد ما أورده ابن أيبك الدّوادار فحسب وإنّما تجعلنا نرجّح وجود أقدم لهذه الفئة من التجّار عن التّاريخ المشار إليه [2] .

وقد كانت عدن[3] وعيذاب وقوص والفسطاط من أكبر مراكز التّجارة الكارميّة في العصور الوسطى ، فكانت المتاجر تأتي من عدن إلى عيذاب حيث تحصّل فيها المكوس وهي الزّكاة على التجّار المسلمين وواجب الذّمة على الذمّيين من رعايا المسلمين [4]، ومن عيذاب تحمل القوافل المتاجر عبر الصّحراء الشرقيّة إلى مدينة قوص في صعيد مصر ثمّ تحملها المراكب النّيليّة شمالا إلى الفسطاط [5].

وقد توصّل "قويتين" Goitein من خلال دراسته لنصوص الجنيزة التي تناولت تجارة عدن إلى أنّ هذه الأخيرة كانت أهمّ مركز للتّجارة الكارميّة منذ العهد الفاطميّ حيث ورد ذكرها كثيرا في وثائق الجنيزة بإعتبارها أبرز موانيء شبه الجزيرة العربيّة خلال ذلك العهد و المرسى الرّئيسي للسّفن القادمة من الشّرق الأقصى لذلك وصفت "بدهليز الصّين " [6]، كما احتوت وثائق الجنيزة على مراسلات لا حصر لها متبادلة بين التجّار الكارميّة بعدن وبين ذويهم أو شركائهم خارجها إلى جانب مراسلات أخرى كتبها أشخاص لا ينتمون إلى طائفة تجّار الكارميّة يخبرون فيها أقرباءهم أو معارفهم بأنّهم أرسلوا لهم هدايا أو بضائع مع " الكارم " أو عن خروج بعض التجّار اليهود في صحبة التجّار الكارميّة المسلمين [7].

---

(1) ابن أيبك الدّوادار ، **كنز الدّرر وجامع الغرر**، الجزء السّادس المعروف " **بالدّرة المضيّة في أخبار الدّولة الفاطميّة** ". ص380 .

(2) ربيع ، " وثائق الجنيزة وأهميّتها لدراسة التّاريخ الإقتصادي لموانيء الحجاز واليمن في العصور الوسطى " ، **مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة** ، الكتاب الأوّل ، ج 2ص 139. فؤاد سيّد ، **الدّولة الفاطميّة في مصر** ، ص308 .

(3) عن عدن وموقعها التّجاري راجع : Löfgren (O) , art " Aden ", *EI²*, Vol I, pp185-187 .

(4) خسرو ، **سفر نامة** ، ص118 . ابن مماتي ، **قوانين الدّواوين** ، ص327 .

(5) فؤاد سيّد ، **الدّولة الفاطميّة في مصر** ، ص 310.

(6) المقدسي ، **أحسن التقاسيم** ، ص34 ، 85 . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 4ص 89. ربيع ، " وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التّاريخ الإقتصادي " . **مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة** ، ج 2ص 135-136 .
Goitein, " The beginnings of the Karimi merchants ", in *J E S H O* , Vol I par II (1958) . PP178,179, 184.
Heyd (W.V) ,*Histoire du Commerce du Levant au Moye-Age*, edit, Leizio1923 . P 324 .

(7) ربيع ، " وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التّاريخ الإقتصادي " . **مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة** ، ج 2 ص136 .

وبظهور الأيّوبيين عرفت تجارة الكارم بعدن مزيدا من الحيويّة والإزدهار، كما غدا ميناء هذه الأخيرة أبرز محطّات تجّار الكارم الذّين تخصّصوا في تجارة التّوابل وسلع الشّرق الغالية التي أصبحت بدورها أهمّ تجارة مع الغرب الأوروبّي خلال ذلك العهد [1]. ويرجع الفضل في إزدياد أهميّة تجارة الكارم بعدن إلى نجاح الأيّوبيين في إحلال الأمن بمنطقة البحر الأحمر وتنظيم شؤون هذه التّجارة في الموانيء والمناطق المشرفة على هذا المنفذ البحري، الأمر الذّي أدّى إلى تمتّع هؤلاء التّجار بالأمان على أنفسهم وعلى أموالهم في جميع المراكز التّي يرتادونها وإتاحة فرص الكسب الواسع لهم [2].

وقد كانت لهذه الجماعة التّجاريّة مكانتها وشهرتها في عهد الأيّوبيين بدليل أنّ المقريزي حين يحدّثنا عن وصولهم من عدن إلى مصر في شهر ربيع الأوّل من سنة 577 هـ/ 1181م يذكرهم دون أن يعرّفنا بهم لعلمه أنّهم ليسوا في حاجة إلى تعريف[3] .

ورغم ضآلة المعلومات حول إستقرار بعض تجّار الكارم باليمن خلال العهد الأيّوبي فإنّ بعض الإشارات تكون كافية لتأكيد هذا الإفتراض ، فأبو مخرمة يذكر أنّ عبد الله بن عبد الجبّار بن عبد الله الأموي العثماني الإسكندراني المتوفّي سنة 614 هـ/ 1278 م كان تاجرا بزّازا كارميّا، وكان محدّثا بالإسكندريّة ومصر والصّعيد واليمن [4] . وهو ما يعكس الدّور الإجتماعي الذي قامت به هذه الفئة إلى جانب دورها الإقتصادي ، حيث إهتمّ رجال الكارم بدراسة علوم الدّين وخاصّة الحديث، كما كانوا يسهرون على تثقيف أبنائهم وتنشئتهم تنشئة د ينّية طيبّة. ومن يمعن النّظر في تاريخ هذه الطّائفة يلاحظ أنّهم لم يقتصروا على العمل في التّجارة فحسب ، بل كانوا أيضا أصحاب حوانيت ومنهم من يعمل أيضا بالتّدريس والقضاء إلى جانب إشتغاله بالتّجارة [5].

وفي الأثناء إستفاد الأيّوبيون من الموقع المتميّز الذّي إحتلّته عدن في طريق تجارة الكارم ، فعثمان الزّنجيلي والي عدن زمن الأيّوبيين كانت المنافع التّجاريّة كلّها راجعة إليه والذّخائر الهنديّة جميعها واصلة إليه حتّى حصل من ذلك على كنوز قارونيّة [6]. كما إستفاد أهل عدن واليمنيّون بصفة عامّة من الأنشطة المتّصلة بعبور تجارة الكارم وما يتبع ذلك من تغيير الحمولة والإقامة

---

(1) القوصي ،" أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة" ، المجلّة التّاريخية المصريّة ، المجلّد عدد22 . 1975م ص 26.

(2) لبيب ،" التّجارة الكارميّة وتجارة مصر في العصور الوسطى ،" المجلّة التّاريخية المصريّة ، ص 14.

(3) المقريزي ، السّلوك ، ج1 ص72-73 .

(4) أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص 115.

(5) Wiet (G), " Les marchands d'epices sous les Sultans Mamlouks . " in *Cahiers d'Histoire Egyptienne*, (1955) p 130.

(6) ابن جبير ، الرّحلة ، ص 148. ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج 2ص549 .

وهو ما يوفّر لهم فرصة لتنمية ثرواتهم والزّيادة في حجم مداخيلهم . أمّا عدن فضلا عن كونها مرفأ مألوفا وأساسيّا لسفن تجّار الكارم القادمة من البحر الأحمر والمحيط الهندي ، فإنّها كانت أيضا تمثّل سوقا من الأسواق الهامّة التي تسترعي إهتمام التجّار في أقاصي البلاد كما تفيد ذلك الرّسالة التي خطّها في غضون سنة 594 هـ/ 1198 م التّاجر اليهودي موسى الميموني المقيم بعدن إلى أهله بالهند ، وكان موسى المذكور قد ضمّن رسالته جردا وافيا لأسعار بعض البضائع المتداولة في أسواق عدن خلال ذلك العهد [1] .

غير أنّ هذه الفئة التّجاريّة رغم أهمّيتها تبقى كغيرها من الفئات التّجاريّة والإقتصاديّة الأخرى رهينة الإجراءات والقرارت السّياسيّة التّي ارتكزت إليها السّياسة الجبائيّة والضّرائبيّة المعتمدة من قبل الأيّوبيين . فما هي ملامح هذه السّياسة وما هي آثارها وإنعكاساتها على النّشاط التّجاري بعدن وعلى الإقتصاد اليمني عامّة طوال ذلك العهد .

ب - النّظام الضّرائبي الأيّوبي أبرز مستفيد من إزدهار الحركة التّجارية بعدن :

لقد سعى الأيّوبيون ببلاد اليمن إلى الإستفادة على أحسن وجه من الدّور المتميّز الذّي ما إنفكّت تلعبه عدن في التّجارة الشّرقيّة ، فوضعوا بها نظاما ضرائبيّا غايته تنمية مداخيل هذا البلد وحماية إقتصاده وذلك رغم بعض التّجاوزات التي أتاها بعضهم في هذا المضمار، والتّي كانت في جانب منها بدافع مطامح شخصيّة ضيّقة لم تراع في الغالب مصالح أطراف أخرى لها دورها ووزنها فيما عرفته عدن وبلاد اليمن طوال ذلك العهد من إزدهار تجاري وإقتصادي متميّزين.

وكما إستفاد تجّار عدن من جملة التّسهيلات التّي قدّمها لهم الأيّوبيون على المستوى الجبائي، فإنّهم قد عانوا في الأثناء من جور السّياسة الضّرائبيّة المجحفة التي إنتهجها بعض حكّام بني أيّوب، شأنهم في ذلك شأن بقيّة تجّار هذا البلد . وقد نقلت لنا مصادرنا المتنوّعة عديد التّجاوزات الحاصلة في هذا المجال من قبل أصحاب السّلطة السّياسيّة باليمن طوال ذلك العهد ، فعثمان الزّنجيلي والي عدن أيّام الملك المعظّم توران شاه كان موصوفا بسوء السّيرة مع التّجّار [2]. وفي أيّام الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين ألزم التجّار الوافدون على عدن بأن يدفعوا عند دخول المدينة ومغادرتها خمسة عشر دينار عن كلّ مائة دينار بحوزتهم كما تعكس ذلك رسالة التّاجر اليهودي موسى الميموني أثناء حديثه عن الإجراءات المستحدثة بعدن خلال ذلك العهد[3] .

أمّا الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل فقد إستولى على أموال العديد من التّجّار عندما عزم على مغادرة بلاد اليمن في إتجاه الدّيار المصريّة وتذكر

---

(1) Goitein, *Letters...*, pp 212-215.

(2) ابن جبير ، الرّحلة ، ص 148. ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج 2ص549 .

(3) Goitein, *op.cit* , p 24.

المصادر أنّ الملك المسعود لمّا أراد ترك اليمن في غضون سنة 626 هـ / 1228 م نادي في التجّار من أراد التوجّه إلي الشّام أو إلي مصر صحبة السّلطان فليتجهّز فجاء التجّار من الهند بالأموال والأقمشة والجواهر، فلمّا تكاملت المراكب بزبيد قال : "أكتبوا لي بضائعكم وما معكم من الأموال لأحميها من الزّكاة " فكتبوها له فصار يكتب لكلّ تاجر برأس ماله ويبعث به إلي بعض البلاد ويستولي على ماله فأجتمع التجّار وأستغاثوا وقالوا " نحن قد جئنا من بلدان شتّى وفينا من أهله بالإسكندريّة والقاهرة والشّام والرّوم ولنا عدّة سنين عن أهلنا وقد إشتقنا إليهم فخذ أموالنا وأطلقنا نروح إلي أهلنا فلم يلتفت إليهم وأخذ الجميع " (1). وعلى هذا النّهج سار نائبه الأمير نورالدّين عمر بن علي بن رسول طوال مدّة نيابته ، فأمعن في ظلم التجّار وأخذ أموالهم ومتاعهم كما يؤكّد ذلك صاحب "تاريخ المستبصر" الّذي إعتبر عصره بداية خراب عدن نتيجة سياسته الجبائيّة الظّالمة التي أتاها في حقّ تجّار هذه المدينة (2).

لكنّ هذه التّجاوزات رغم جسامتها لا يمكن لها أن تكون سوى تصرّفات ظرفيّة تزول بزوال الظّروف التّي أحاطت بها ، وبذلك فهي لم تكن قاعدة ثابتة تعتمدها الدّولة في التّعامل مع التجّار ، الّذين كانوا في المقابل قادرين على تجاوز مثل هذه الأوضاع العصيبة لإدراكهم أنّها زائلة بمرور الوقت وأنّها لا يمكن أن تعرقل أنشطتهم لتحقيق مزيد من الأرباح .

أمّا بخصوص النّظام الضّرائبي المعتمد من قبل الأيّوبيين بثغر عدن فيبدو أنّه قد راعى مصلحة مختلف الأطراف المهتمّة بالتّجارة ، رغم كونه يبدو لأوّل وهلة يصبّ في مصلحة رجال الدّولة القائمة دون غيرهم . كما أنّ هذا النّظام لم يغفل في الأثناء عن مراعاة المصلحة العامّة للبلاد وذلك من خلال إتّباع سياسة جمركيّة تهدف أوّلا وقبل كلّ شيء إلي حماية إقتصاد البلاد وإكسابه مزيدا من النّجاعة والتّوازن وذلك عبر جملة من الإجراءات الضّرائبيّة الحمائيّة .

ولتحقيق هذا الغرض إستحدثت الإدارة الأيّوبيّة بعدن جملة من الأداءات المتنوّعة والتّي كانت تعرف خلال ذلك العهد بإسم " العشور " ، كما كانت ورثت في الأثناء عن الزّريعيين بعض الأصناف الأخرى . ويعتبر "تاريخ المستبصر" أهمّ مصدر يمكن الرّجوع إليه للوقوف على ملامح النّظام الضّرائبي الأيّوبي بعدن ، ذلك أنّ صاحبه يعتبر من كبار التجّار الملاّحين العارفين بأصول التّجارة وبكلّ ما يحيط بها من قوانين وتراتيب ، وقد تمكّن في أواخر سنة 618 هـ/ 1221 م

---

(1) سبط بن الجوزي ، مرآة الزّمان ، ج8 ص 658-659. الصّفدي ، الوافي بالوفيات ، ج9 ص 316. الحنبلي ، شذرات الذّهب ، ج 5ص120 . الفاسي ، العقد الثّمين ، ج 7ص49 . ابن تغري بردي ، النّجوم الزّاهرة . ج 6ص242 .

(2) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص147 .

من زيارة عدن[1] وهو ما يجعل الأخبار التي يوردها في هذا المضمار على قد كبير من الأهمّية ، هذا فضلا عن ثراء تجربته الشّخصيّة في ميدان الضّرائب بإعتباره كان من العاملين في إدارة المكوس والأداءات ببلاده [2]، لذلك فهو يعدّ خبيرا في هذا الميدان وعارفا به أكثر من غيره . وقد قام ابن المجاور بجرد واف لأنواع السّلع الواردة إلى ميناء عدن والصّادرة منه مصنّفا إيّاها حسب نوعيّة وقيمة الضّرائب الموظّفة عليها من قبل الإدارة الأيّوبيّة ، وإعتمادا على ما أورده هذا الرّجل يمكن تصنيف هذه الضّرائب أو " العشور " إلى خمسة أصناف وهي :

I - عشور الفرضة : أستحدث بعضها منذ أيّام دولة بني زريع وقد إختلفت قيمتها حسب نوعيّة البضاعة المجلوبة ، غير أنّه في إطار حاجة البلاد المتزايدة لبعض المواد لاسيما الأساسيّة منها من جهة وإفتقارها لبعض المواد الأخرى من جهة ثانية إرتأت الإدارة الأيّوبيّة المشرفة على نظام الضّرائب بعدن إعفاء بعض المواد من دفع رسوم عشور الفرضة [3] .

II - عشور الشّواني : ينسب هذا النّوع من الضّرائب إلى صنف من المراكب الحربيّة التّي استقدمها الأيّوبيون معهم إلى بلاد اليمن فأستعملت في حماية سفن التجّار من قراصنة البحر [4] ، غير أنّه منذ عهد الملك المسعود أصبحت ضريبة الشّواني أداء ثابت يحصّل سواء أتمّت تلك الشّواني مهمّتها في عرض البحر أو مكثت راسية في ميناء عدن [5]:

III - عشور دار الوكالة : لمّا كان جمادى الأولى من سنة 625 هـ / 1227 م أسّست في عدن دار الوكالة فأصبح يؤخذ على كلّ دينار قيراط [6].

VI - عشور دار الزّكاة : أستحدثت هذه الضّريبة مع عشور دار الوكالة وكانت موظّفة على البضائع المعفاة من عشور الفرضة والتّي تتكوّن في الغالب من المواد الأساسيّة كالحنطة والأرزّ والدّقيق والزّيت والسكّر [7].

V - عشور دار الدّلالة : هي أيضا من العشور المستحدثة زمن الأيّوبيين وقيمتها نصف دينار مقابل الوظيفة التي يقوم بها " الدلاّل " كوسيط في العمليّة

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج2ص 267.

(2) إبراهيم بشير ، " أبن المجاور : دراسة تقويميّة لكتابه " تاريخ المستبصر " . دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة ، الكتاب الأوّل ، ج 2 ص 41.

(3) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1 ص 141 .

(4) المصدر نفسه ، ج 1ص 141-142.

(5) المصدر نفسه ، ج 1ص 141-142.

(6) المصدر نفسه ، ج 1ص 140-141 .

(7) المصدر نفسه. ج 1ص 143.

التّجارية بين البائع والمشتري وكمساعد للتجّار أصحاب البضائع على ترويج سلعهم [1].

كما أنّ هذه الضّرائب الأساسيّة رغم تنوّعها وكثرتها كانت في الغالب ترفق بأنواع أخرى من الأداءات الخصوصيّة وذلك حسب نوعيّة البضاعة ووجهتها وقيمتها ، حيث كان يؤخذ على العويلي من النّبيذ الخارج من عدن نصف دينار وهو لضامن دار النّبيذ[2] .

ويؤكّد ابن المجاور على ثقل النّظام الضّرائبي الأيّوبي بعدن وما يعانيه التّجار أثناء قدومهم من تنوّع الضّرائب المفروضة على بضائعهم وكثرتها حتّى أنّها تفوق في بعض الأحيان قيمة السّلع الموظّفة عليها، كما هو حال التّاجر عثمان بن عمر الآمدي الذّي قدم إلى عدن من مصر بمنّين [3] من العود ، فلمّا جاء وقت المحاسبة قوّم منّ العود بستّة دنانير يقطع منها لمال الفرضة دينار ونصف وللشّواني نصف دينار وربع ولدار الوكالة ثمانية دنانير وربع ولدار الزّكاة دينار وربع ولدار الدّلالة نصف دينار[4] ، وعلى هذا النّحو يكون مجموع المال الموظّف على المنّ الواحد من العود خمسة عشرة دينار في حين لا تتجاوز القيمة التّبادليّة لمنّ العود السّتّة دنانير .

غير أنّ إستعراض ابن المجاور لهذه الحالة لايمكن أن يخفي ما يجنيه تجّار عدن طوال العهد الأيّوبي من أموال طائلة ، حتّى أنّهم كانوا لا يعبهون بثقل تلك الضّرائب لما يحصلون عليه من عظيم الفائدة [5]. أمّا خزينة الدّولة فإنّها كانت دون شكّ تستفيد بدورها كثيرا من حصيلة الأداءات والعشور الموظّفة على البضائع الواردة إلى ميناء عدن [6] . فقد جاء في رواية لصاحب " تاريخ المستبصر " أنّ مركبا وصل إلى عدن قوّم وزن عشوره بثمانين ألف دينار وكان يرسي في كلّ عام بميناء عدن بين سبعين وثمانين مركب [7] ، فكان يرفع من عدن في كلّ عام أربع خزائن إلى حصن تعزّ ، خزانة قدوم المراكب من الهند وخزانة دخول الفوّة إلى عدن وخزانة خروج الخيل من عدن إلى الهند وخزانة سفر المراكب إلى الهند وكلّ خزانة من هذه الخزائن يكون مبلغها مائة وخمسون ألف دينار وذلك إلى حدود سنة 625 هـ / 1227 م[8] ، وعلى هذا النّحو يكون المجموع الجملي السّنوي المرفوع

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1ص 143-144.

(2) المصدر نفسه ، ج1ص 141.

(3) يذكر ابن المجاور أنّ منّ اليمن ثلثمائة وعشرون درهما وثلث وبه يباع السكّر والعسل والعود . المصدر نفسه ، ج 1ص 12 .

(4) المصدر نفسه ، ج1ص 144.

(5) العمري ، مسالك الأبصار ، ص157 .

(6) Cahen (Cl) and Serjeant (R.B), " A fiscal survey of the medieval Yemen " , in *Arabica* , Tome IV (1957) . pp28-33.

(7) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج1ص 141.

(8) المصدر نفسه ، ج1ص 144-145.

لخزانة الدّولة بتعزّ والتي تعرف خلال ذلك العهد بإسم " الخزانة السّعيدة " ستّمائة ألف دينار، حصّلت ثلاثة أرباع قيمتها من الصّادرات وهو مؤشّر إيجابي على الحالة الإقتصاديّة لبلاد اليمن طوال ذلك العهد ودليل كاف على أهمّيّة الجهود الأيّوبيّة الرّامية إلى الحؤول دون إستنزاف خيرات هذا البلد في إتجاه الخارج ومنع إغراق أسواقه بالبضائع والسّلع الأجنبيّة، عبر نظام ضرائبي مرهق ومجحف لكنّه لا يخلو من النّجاعة والفائدة العميمة لكافّة الأطراف العاملة في ميدان التّجارة .

كما أنّ تلك الإجراءات الجمركيّة، التي غالبا ما تكون مطوّلة ومزعجة إلى حدّ القرف ، لم تمنع بلاد اليمن من أن تكون منطقة من المناطق النّشيطة على خارطة المبادلات التّجاريّة العالميّة طوال ذلك العهد .

ج - إتساع جغرافية التّجارة اليمنية وتنوع موادها.

كانت بلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي ، بحكم موقعها الجغرافي وبفضل جهود الأيّوبيين السّياسيّة والتّنظيميّة السّالفة الذّكر ، عقدة لأبرز مسالك التّجارة الدّوليّة البرّيّة والبحريّة وعلى صلة وثيقة بالعديد من المراكز التّجاريّة المهمّة في العالم ، كممالك السّاحل الإفريقي الشّرقي في الجنوب الغربي ومصر في الشّمال الغربي وبلاد الحجاز من ناحية الشّمال ثمّ بلاد ما بين النّهرين في الشّمال الشّرقي وحضرموت وعمان والهند والصّين من جهة الشّرق [1] . كما اشتهرت بلاد اليمن في ذات الوقت كسوق تروّج فيها بضائع المراكز المذكورة وكمصدر لمنتوجات وسلع نادرة وثمينة لا يمكن تحصيلها في غيرها من الأقاليم .

وقد ظلّت عدن بحكم إشرافها على طريق تجارة الشّرق تلعب دورا متميّزا في صلات وعلاقات بلاد اليمن ببقيّة المراكز التّجاريّة في العالم ، حيث كانت تمثّل حلقة ربط بين العالم الهندي والصّيني من جهة والعالم المتوسّطي عبر مصر من جهة ثانية، كما كانت تصل بين منطقة الخليج الفارسي وموانيء السّواحل الشّرقيّة لإفريقيا[2] . أمّا الحواضر الدّاخليّة شأن ذمار وصنعاء وصعدة فقد كانت تلعب هي الأخرى دور المحطّات الرّئيسيّة البرّيّة في طريق القوافل التّجاريّة المتّجهة صوب الحجاز أو ناحية العراق [3].

---

(1) عبد العليم ،**الملاحة وعلوم البحار عند العرب** ، ص 15.

(2) ربيع ،" وثائق الجنيزة وأهميتها لدارسة التّاريخ الإقتصادي لموانيء الحجاز واليمن في العصور الوسطى" ، **مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة** ، الكتاب الأوّل ج 2 ص135 .

(3) الأفغاني ،**أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام** ، ص 15-16. مقبل (سيف) ، **دراسات في التاريخ اليمني** ، دار الهمداني للطّباعة والنشر ، عدن1988 م . ص96 . الزّيلعي ،**مكّة وعلاقاتها الخارجيّة** ، ص187 . الأنصاري (عبد القدّوس) ،" الجزيرة العربيّة في رحلتي أبن جبير والعبدري" ، **مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة** ، ج2 ص329-330 . باقاسي ، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي** ، ص 69.

* علاقات تجارية متميزة مع بلدان الشرق الأقصى :
الصين والهند نموذجا .

لأهل اليمن زمن حكم الأيوبيين صلات تجاريّة وثيقة مع بلاد الصّين والهند ، إذ كان لهم دور كبير في جلب وتصدير السّلع من وإلى هذه المناطق كما ألف الصّينيّون والهنود من جهتهم إرتياد موانىء اليمن وأسواقها[1] ، فتكوّنت عبر ذلك علاقات متميّزة بينهما رغم الإنقطاع والفتور الذي ينتاب هذه العلاقات في بعض الأحيان بسبب الظّروف الأمنيّة المتقلّبة على طول طريق المحيط الهندي .

- العلاقات التّجاريّة مع الصّين :

كانت بلاد اليمن ترتبط تجاريّا ببلاد الصّين عبر طريق بحريّ ينطلق من عدن في اتجاه "كولم ملي" مرورا بالشحّر وظفار[2] ، ثمّ تتّجه المراكب ناحية بحر الهركند (خليج البنغال) فإذا جاوزته سارت إلى موضع يقال له لنجبالوس ومنه إلى "كله بار" ثمّ إلى "تيومة" وهي جزيرة أمام السّاحل الشّرقي للملايو ومنها تعرّج السّفن إلى "كدرنج" الواقعة على دلتا نهر المكيونج [3]ومنها إلى جزيرة الصّنف (الهند الصّينيّة) التّي ينسب إليها العود الصّنفي[4] ومنها إلى السّواحل الصّينيّة لتصل بعد مسيرة شهر إلى مدينة خانفو (كانتون) [5] .

وهكذا كانت السّفن المتوجّهة نحو الصّين تمرّ بالجزء الجنوبي لشبه جزيرة سيلان (سرنديب) ثمّ تقوم بدورة حول شبه جزيرة الملايو لتنطلق بعد ذلك

---

(1) فتحي سلطان (طارق) " العلاقات التجاريّة بين العرب والصّين في القرون الوسطى " ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، العدد13 1401هـ/ 1981م . ص636-645 . الشّامي ، " العلاقات التجّارية بين دول الخليج وبلدان الشّرق الأقصى وأثر ذلك في بعض الجوانب الحضاريّة في العصور الوسطى " ، **المؤرّخ العربي** ، العدد12 سنة1980 م . ص104 .

(2) المهري ، **العمدة المهريّة** ، ص 111-114.

(3) الدّوري ، **تاريخ العراق الإقتصادي** ، ص147 . عبد العليم ، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب** ، ص 71 .

(4) القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج7 ص 81. عبد العليم ، **المرجع نفسه** ، ص71 . إبراهيم العسكري ، **التّجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العبّاسي** ، ص 132-133.

(5) سليمان التّاجر ، **أخبار الهند والصّين** ، ص16. ابن خرداذبة ، **المسالك والممالك** ، ص 63-66. الأصطخري ، **مسالك الممالك** ، ص34-35 . المسعودي ، **مروج الذّهب** ، ج1 ص234 ، ج 3ص6 وما بعدها . حوراني ، **العرب والملاحة في المحيط الهندي** ، ص 208 ، 209 ، 211 ، 222 . عبد العليم ، **المرجع السّابق**، ص 69-73.

إلى مياه الصّين[1] ، وقد كانت الوسيلة الوحيدة التّي تستطيع بواسطتها هذه السّفن الإبحار هي إستخدام الرّياح الموسميّة [2].

وتعدّ زيتون (تسوان- تشو) وخانفو (كانتون) والخنسا (هانغ شو) من أهمّ المراكز الصّينيّة التي لها علاقات تجاريّة وثيقة مع بلاد العرب ، فخانفو وهي ميناء مدينة كانتون الحاليّة كان بها مرفأ عظيم وأسواق للتجّار الغرباء وهي مقصد التجّار العرب والفرس طوال ذلك العهد[3] ، وتعرف خانفو " بصين الصّين " لعظمتها أمّا ابن بطّوطة فقد ذكرها بإسم "صين كلان " واصفا إيّاها بأنّها من أكبر المدن وأحسنها أسواقا وخاصّة سوق الفخّار الذّي يرفع منتوجه إلى سائر بلاد الصّين والهند واليمن[4] . أمّا زيتون المعروفة بإسم " تسو - تسونغ " فتقع قبالة جزيرة تيوان في إقليم فوكيين وقد استقرّ بها المسلمون وكانت محّطة تجاريّة مشهورة لدى التجّار الوافدين على تلك البلاد [5]وقد زارها الرّحالة ماركوبولو وذكرها بإسم " زائي تون " مشيرا إلى أهميّة مينائها بقوله " ومن المحال علينا نقل فكرة عن إنشاء التجّار وتراكم البضائع بهذا الميناء الذّي يعدّ واحدا من أعظم موانيء العالم وأشدّها سعة ويسرا " [6] ، أمّا ابن بطّوطة فقد اعتبره " من أعظم مراسي الدّنيا أو هو أعظمها " [7] وقد اشتهرت مدينة زيتون بصناعة النسيج والفخّار[8] في حين كانت مدين الخنسا أكبر مدينة رآها الرّحالة ابن بطوطة على وجه الأرض[9] وأعظم فرض الصّين التّي تنتهي إليها تجارة العرب كما يشير إلى ذلك القلقشندي[10] .

أمّا بالنسبّة للحضور الصّيني بموانيء ومدن بلاد العرب فقد أشار المسعودي إلى أنّه كان مكتّفا في " بدئ الزّمن " ثمّ سرعان ما تراجع خلال القرن الرّابع للهجرة / العاشر للميلاد حيث أصبحت سفن الصّين لا تتجاوز مدينة كله [11]،

---

(1) حوراني ، **العرب والملاحة في المحيط الهندي** ، ص 211-222. عبد العليم ، **الملاحة وعلوم البحارعند العرب** ، ص 72-73.

(2) ماركوبولو ، **رحلات ماركوبولو** ، تعريب عبد العزيز جاويد عن ترجمة أنقليزيّة لوليام مارسدن ، القاهرة 1995 م . ج3 ص20 . عبد العليم ، **الملاحة والعلوم البحار عند العرب** ، ص73 .

(3) العاني ، **عمان في العصور الإسلاميّة الأولى** ، ص 201.

(4) ابن بطّوطة ، **تحفة النظّار** ، ص 627-634. العاني ، **المرجع نفسه** ، ص201 .

(5) ابن سعيد ، **الجغرافيا** ، ص121 . القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج 3ص 482.

(6) ماركوبولو ، **الرّحلات** ، ج 2ص198-199 .

(7) ابن بطّوطة ، **المصدر نفسه** ، ص 633.

(8) **المصدر نفسه** ، ص629-633 .

(9) **المصدر نفسه** ، ص638 .

(10) القلقشندي ، **المصدر السابق** ، ج3ص481 .

(11) كله : مدينة تجاريّة واقعة قرب ملقا الفاصلة بين بحر الصّنف وبحر شلاهط .المسعودي ، **مروج الذّهب** ، ج1ص 158-159.

كما لمّح ابن سعيد المغربي إلى إنقطاع وصول الصّينيين إلى عدن مشيرا في الأثناء إلى إستئناف العلاقات بين الموانيء الجنوبيّة للجزيرة العربيّة وتجّار الصّين خلال القرن السّابع هجري / الثّالث عشر ميلادي [1].

ويؤكّد هذه الإشارة ما ورد في مدّونة الصّيني " تشاوجو - كوا" Chau Ju-Kua الذّي كان يشغل خطّة مراقب للتّجارة الخارجيّة في ميناء زيتون خلال النّصف الأوّل من القرن السّابع هجري / الثّالث عشر ميلادي . وقد تمكّن هذا الرّجل بحكم وظيفته أن يحصل على معلومات غزيرة من التجّار الصّينيين والأجانب الوافدين من الأقاليم التّي لها صلات تجاريّة ببلاده لاسيما العربيّة منها [2].

كما كان "تشاو جو-كوا " قد إستفاد كثيرا ممّا أورده قبله الرحّالة الصّيني " تشوكو - في "Chou k'u-Fei في كتابه " لنغ-واي -تاي-تا " Ling-Wai-tai-ta ، الذّي كان ألّفه حوالي سنة 573 هـ / 1178 م بعد مروره بمدينة كانتون أين كان هو الآخر قد إستقى معلومات غزيرة عن الصّلات التّجاريّة لبلاده مع الخارج [3].

ومن جملة الموانيء اليمنيّة التي أشار إليها " جوكوا" في مدوّنته ، نظرا للصّلات التّجاريّة الوثيقة التي كانت تربطها بالبلاد الصّينيّة طوال ذلك العهد، يمكن ذكر كلّ من مرباط (Ma-la-mo) والشّحر(Shi-ho)وظفار(Nu-fa) [4].

كمّا تؤكّد المصادر العربيّة الإسلاميّة من جهتها على أهميّة موانيء اليمنيّة، كمراكز تجاريّة نشيطة لتجّار الصّين وللبضائع الصّينيّة طوال القرنين السّادس والسّابع هجريين / الثّاني عشر والثّالث عشر ميلاديين . فقد كانت عدن من المراكز التّجاريّة المألوفة لدى هؤلاء التجّار، ومن الموانيء المشهورة التّي ترد إليها أمتعة ومراكب البلاد الصّينيّة طوال ذلك العهد، لذلك سمّيت بدهليز الصّين [5] . كذلك كانت زبيد سوقا لمختلف التّجارات المجلوبة من أرض الحجاز والحبشة ومصر، ومنها كانت تخرج ضروب الأفاويّة الهنديّة ومتاع الصّين [6] .

---

(1) ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص122 .

(2) Ju-Kua (Chau),*Chu-fan-chih," Descreption of the barbarian peoples"* , trs.and eds. Freiderich Hirth and W.W . Rockhill, St. Petersburg 1911 , reprint, NewYork 1966 . pp 35-36.

(3) Ibid, p 22.

(4) Ibid, pp 117-122.

(5) الإدريسي ، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، ص57 . المقدّسي ، أحسن التّقاسيم ، ص34 ، 85 . ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص102، 119 ، 122 . الحميري ، الرّوض المعطار في خبر الأقطار ، ص408 . القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 101.

(6) الحميري ، المصدر نفسه ، ص284-285 . الإدريسي ، المصدر نفسه ، ص 22 .

أمّا بخصوص البضائع والسّلع المتبادلة بين الأسواق الصّينيّة واليمنيّة فهي غزيرة ومتنوّعة ، فمن أسواق اليمن وموانئها كانت البلاد الصّينيّة تتزوّد بعديد المنتوجات كاللّبان وكان اللّبان الذّي يحصّل من جنوب بلاد العرب من أفضل أنواع البخور وفي ذلك يقول "جو-كوا" "بأنّ اللّبان الذّي يمكن الحصول عليه من مرباط والشّحر وظفار ومن المناطق الجبليّة الدّاخليّة هو أجود الأصناف[1] ، كذلك كان يرفع من بلاد اليمن المرّ الذّي كان ينتج في نواحي خليج عدن لكن المرّ المجلوب من الصّومال كان أجود [2]، ومن سقطرى وظفار يرفع دم الأخوين [3]ويجلب الزّبد وهو من أنواع المسك من جنوب الجزيرة العربيّة والحبشة[4] وكذلك العنبر الذّي اشتهر اليمنيّون وأهل عمان بإنتاجه واللّؤلؤ الذي كان يحصّل بعضه في مياه عدن والبحرين وهو أفضل أنواع اللؤلؤ على الإطلاق[5] .

كما كانت تمرّ بميناء عدن عديد المواد الإفريقيّة التي تحتاجها بلاد الصّين مثل مادّة وحيد القرن وسنّ الفيل [6]والذّبل وهو بيت السّلاحف وكان يجلب من الشّاطئ الإفريقي [7]وكذلك المرجان الذّي كان يصطاد بعضه بمنطقة المتوسّط على الشّواطئ المغربيّة والبعض الآخر منه بسواحل البحر الأحمر[8] .

وفي المقابل كانت أسواق اليمن قبلة للعديد من البضائع والسّلع الصّينيّة كالحرير الذي اختصّت الصّين بإنتاجه منذ العهود القديمة [9] إلى جانب المنسوجات القطنيّة التّي كانت باهضة الثّمن وفي ذلك يقول ابن بطّوطة : " والحرير عندهم كثير جدّا لأنّ دودة تتعلّق بالثّمار منها فلا تحتاج إلى كثير مؤونة ولذلك كثر وهو لباس الفقراء والمساكين بها . ولولا التجّار لما كانت له قيمة ويباع الثّوب الواحد من القطن عندهم بالأثواب الكثيرة من الحرير "[10] . أمّا الرحّالة البندقي ماركوبولو فقد أشار هو الآخر لأهميّة الحرير كأبرز السّلع التي تخصّصت البلاد الصّينيّة في إنتاجها وإعتمادا على ما دوّنه هذا الرّحالة أثناء زيارته لبعض المدن الصّينيّة يمكن

---

(1) Ju-Kua, *op.cit*, pp 195-197.

(2) Ibid, p 197.

(3) Ibid, pp 131, 225.

(4) Ibid, p 234.

(5) Ibid, p 229-230. القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص101 .

(6) Ibid, p 233. المسعودي ، مروج الذّهب ،ج3ص2 ، 8 .

(7) Ibid, p 238 .

(8) Ibid, p 226-227.

(9) زيادة ، الجغرافية والرّحلات عند العرب ، ص210-222 . إبراهيم العسكري ، التّجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العبّاسي ، ص 147-145. الشّامي ، " العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى" المؤرّخ العربي ، العدد 12سنة1980 م . ص106 .

(10) ابن بطوطة ، تحفة النظّار ، ص 629.

إحصاء ما يناهز الثّمانية عشر مركزا من أهمّ المراكز المتخصّصة في إنتاج وتصنيع مادّة الحرير بالصّين خلال القرن السّابع للهجرة / الثّالث عشر للميلاد (1).

كما كانت الصّين تزوّد أسواق اليمن بالعديد من المنتوجات الأخرى كالخزف الصّيني المعروف بالبورسلين والمتميّز بلونه الأبيض النّاصع ورسومه الزّرقاء اللّون حيث عثر في مناطق مختلفة من ساحل اليمن وبصفة خاصّة في جهة المخا وعدن علي قطع من الخزف الصّيني ويعود تاريخ أقدم هذه القطع إلي القرن الثّالث هجري / التّاسع ميلادي (2)، كما تمّ العثور علي قطع أخرى من البورسلين الصّيني في مدينة براقش والتي يمكن تأريخ البعض منها بفترة القرن السّابع هجري / الثالث عشر ميلادي (3). ويتحدّث ابن بطّوطة عن البورسلين الصّيني بقوله : " وهو هناك بقيمة الفخّار في بلادنا أو أرخص ثمنا ويحمل إلي الهند وسائر الأقاليم حتّي يصل إلي بلادنا بالمغرب وهو أبدع أنواع الفخّار (4) "، وقد اشتهرت مدينتا زيتون وصين كلان بإنتاجه (5).

وممّا شملته أيضا السّلع الواردة من الصّين إلي بلاد اليمن الفرند والكيمخت والفلفل والنّارجيل والدّار صيني والخولنجان وفراء النّمور والسّنجاب والقاقم والجلود المختلفة والشّمع (6)، ومن المعادن الذّهب والنّحاس إلي جانب الأسلحة وسهام الحرب وحراب صيد الأسماك وخشب الأبنوس (7).

أما المسك والعود فقد كانا أبرز السّلع المجلوبة من البلاد الصّينيّة كما يشير إلي ذلك اليعقوبي والمسعودي والحميري والقلقشندي ويعتبر هذا الأخير المسك الصّيني من أجود أصناف المسك بقوله : " وإنّما نقصت رتبته لأنّ مرعاه في الطّيب دون مرعى التبتي ولما يلحقه من عفونة هواء البحر بطول مكثه فيه . وأفضل الصّيني ما يؤتي به من خانفو (8) " . كما يعتبر العود الصّيني من أكثر أنواع العود

---

(1) ماركوبولو ، الرّحلات ، ج2 ص62 ، 89 - 96 ، 138 - 142 ، 153 - 158 ، 163 - 166 ، 195 - 196 .

(2) حامد خليفة (ربيع) ، الفنون الزّخرفيّة اليمنيّة في العصر الإسلامي ، الدّار المصريّة اللّبنانيّة ، الطبعة الأولى 1992م ص206 .

(3) المرجع نفسه ، ص 206.

(4) ابن بطوطة ، تحفة النظّار ، ص628 .

(5) ابن بطوطة ، المصدر نفسه ، ص634 . ماركوبولو ، الرّحلات ، ج2 ص199-200 .

(6) الحميري ، الرّوض المعطار ، ص 408. الشّامي ،" العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى" المؤرّخ العربي ، ص 106-107.

(7) الحميري ، المصدر نفسه ، ص 408.

(8) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 2ص 119. اليعقوبي (أحمد) ، كتاب البلدان ، ليدن 1967م . ص 365. المسعودي ، مروج الذهب ، ج 1ص 158. الحميري ، المصدر نفسه ، ص 408.

الرّائجة بأسواق اليمن إلى جانب العود الهندي وقد صنّفه القلقشندي إلى ثمانية عشر صنفا متفاوتة من حيث الجودة والقيمة [1] .

- العلاقات التّجاريــة مع الهـــنـــد :

إتّسع نطاق التّبادل التّجاري بين الهند والبلاد اليمنيّة زمن الحكم الأيّوبي حتّى غدت أسواق هذه الأخيرة مستودعا لشتّى البضائع والسّلع الهنديّة التي كانت فئة تجّار الكارم قد اختصّت في الإتجّار فيها طوال ذلك العهد ، كما ظلّت بلاد السّند والهند في الأثناء مقصد عديد المنتوجات والبضائع اليمنيّة وذلك ما تؤكّده مصادرنا الكلاسيكيّة على إختلاف أنواعها [2] .

وكما ألف التجّار اليمنيّون إرتياد المدن والأسواق الهنديّة اعتاد التّجار الهنود التردّد على موانئ ومدن اليمن ، فقد أشار ابن بطّوطة أثناء حديثه عن دولة أباد إلى طائفة من كبار التجّار الهنود الذّين يعرفون بإسم " السّاهة " ويشبهون أكارم الدّيار المصريّة [3]. كما أشار الرّحالة المغربي في مواضع أخرى من "رحلته" إلى إتّساع نطاق نشاط التجّار الهنود وإستقرار بعضهم في مدن اليمن وخصوصا في مدينة عدن [4] التي كانت إشتهرت بكونها مرسى لسفن ومراكب الهند وسوقا رابحة لأنواع السّلع والبضائع المجلوبة من هذه البلاد [5]، كما كانت زبيد هي الأخرى مجمّعا لشتّى أنواع المنتوجات والبضائع الهنديّة طوال ذلك العهد [6] .

---

(1) الحميري ، الرّوض المعطار ، ص 408. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 2ص 200. اليعقوبي ، كتاب البلدان، ص 367. إبراهيم العسكري ، التّجارة والملاحة في الخليج العربي ، ص143 .

(2) ابن بطّوطة ، تحفة النظّار ، ص251 ، 548 . ياقوت ، معجم البلدان ، ج 4ص89 . الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص 57. القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص101 . ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص102 ، 119 . أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص 92-93. ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1 ص110-111 . الحميري ، المصدر نفسه ، ص408 . القوصي ، " أضواء جديدة على تجارة الكارم " ، المجلّة التاريخية المصريّة ، ص6 . ربيع ، " وثائق الجنيزة وأهميّتها .... " مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة ، ج2 ص 135. وما بعدها .

Goitein, " From Aden to India " , in *J E S H O* , Vol XXIII part. I et II April 1980 pp 43-66.
Ibid, *Studies*..., p 353.
Daum (Werner) , " From Aden to India and Cairo : Jewish World trade in the 11th and 12 th centuries " , in *Yemen 3000 Years of Ard and Civilisation in Arabia Felix*, pp 167-173.

(3) ابن بطّوطة ، المصدر نفسه ، ص548 .

(4) المصدر نفسه ، ص 251.

(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج Iص110 . ياقوت ، معجم البلدان ، ج 4ص89 . المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص304 . الإدريسي ، المصدر نفسه ، ص57. ابن سعيد ، المصدر نفسه ، ص 102 ، 119. أبو الفدا ، المصدر نفسه ، ص92-93 . الحميري ، المصدر نفسه ، ص408 .

(6) الحميري ، المصدر نفسه ، ص284 .

أمّا بخصوص المواد والبضائع المتبادلة بين المراكز التّجارية الهنديّة وبلاد اليمن فقد تنوّعت هي الأخرى وتعدّدت بتنوّع وتعدّد منتجات البلدين ، وقد زوّدتنا في هذا الإطار كتب الجغرافيين والرّحالة المسلمين بقائمة وافية بنماذج من هذه السلع كما يبقى" تاريخ المستبصر " لابن المجاور أهمّ هذه المؤلفات لما يقدّمه لنا من قائمة مفصّلة عن أهمّ البضائع المتداولة بين البلدين طوال العهد الأيّوبي .

فقد كانت موانئ وأسواق بلاد اليمن قبلة للعديد من المنتوجات الهنديّة كالهليلج المربّى والأكرار والمخادّ والأنطاع والأرزّ والماش المخلوط والسّمسم والصّابون إلى جانب النّشم وحطب القرنفل والثّياب العرابيّة والغلمان والجواري[1]. ومن جابة وهي إحدى جزر الهند كان يجلب العود والنّرجيل والموز وقصب السكّر ومن جزيرة شلاهط وهي في بحر الهند أيضا كان يجلب الصّندل والسّنبل والكافور ومن جزيرة سيلان تجلب الجواهر وسائر العقاقير [2]، أمّا فيصور فكانت معدن الكافور الفيصوري وهو أحسن أنواعه ومن مدينة قمار كان يؤتى بالعود القماري وهو أحسن أنواع العود [3].

ومن مندورفين وهي مدينة بأرض الهند ينبت بها القنا كان يحمل الطّباشير [4] إلى سائر البلاد [5] ومن جزيرة شمطرى الكافور والزّباد الخالص المبتاع بوزن الذّهب ومن جزيرة جاوة الواقعة على خطّ الإستواء كان يجلب اللّبان الجاوي [6]، أمّا جزيرة الغور فقد كانت معدن الحديد الغوري والسّيوف الصّافية القاطعة [7]ويذكر الجاحظ " أنّ السّيف متى قلع بالهند وطبع باليمن فناهيك به "[8] .

وكان الفلفل[9] أكثر أصناف التّوابل الهنديّة رواجا لدى تجّار اليمن سواء كان ذلك لإستهلاكه بهذا البلد أو لتصديره إلى الغرب وخاصّة في إتجّاه البلاد الأوروبيّة[10] ، ويجلب الفلفل من مليبار وهي منطقة واسعة بأرض الهند تشتمل

---

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص142-143 . العمري ، **مسالك الأبصار** ، ص 159.

(2) القزويني ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، ص 82-83. ابن ماجد ، **كتاب الفوائد** ، ص 298.

(3) القزويني ،**المصدر نفسه** ، ص 124.

(4) الطّباشير : هو رماد نبات القنا ، القزويني ، **المصدر نفسه** ، ص124 .

(5) القزويني ،**المصدر نفسه** ، ص 124.

(6) ابن ماجد ،**كتاب الفوائد** ، ص 296-297.

(7) **المصدر نفسه** ، ص297 .

(8) النّويري ، **نهاية الإرب** ، ج 1ص 340.

(9) يصف القزويني شجرة الفلفل بقوله : " وهي شجرة عالية لا يزول الماء من تحتها وثمرتها عناقيد إذا ارتفعت الشّمس واشتدّ حرّها تنضمّ على عناقيدها وأوراقها وإلاّ أحرقتها الشمس قبل إدراكها وشجر الفلفل مباح إذا هبّت الرّيح سقطت عناقيدها على وجه الماء فيجمعها الناس . القزويني ،**المصدر نفسه**، ص123 .

(10) القزويني ، المصدر نفسه ، ص 123.

على مدن كثيرة بهاشجر الفلفل[1] ، إضافة إلى ما كانت توفّره جهة قاليقوط من كمّيات هائلة من هذا الصّنف المتميّز من التّوابل[2].

وفي المقابل كانت بلاد الهند تتزوّد من اليمن بالعديد من المنتوجات المتنوّعة التي تحتاجها كالخيول التّي تعتبر من أهمّ البضائع اليمنيّة الصّادرة إلى الخارج [3]ويذكر ابن بطّوطة أنّ أسرع الخيول التي كانت تحمل إلى الهند كانت تأتي من اليمن وعمان وفارس [4]، كما يشير الرّحالة البندقي ماركوبولو إلى أهمّية تجارة الخيل بين الهند وبلاد العرب ذاكرا في هذا المضمار أنّ الحصان كان يشترى بمائة مارك فضّة وكان يجلب إلى الهند من الخيل كلّ سنة خمسة آلاف لا يبقى منها بعد الحول إلا ثلثمائة أحياء وهو يعلّل ذلك بأنّ هواء بلاد الهند لا يلائم الخيل ولذلك فإنّها لا تربّى هناك وتصعب المحافظة عليها من الهلاك وهم يطعمونها الأرزّ مع اللّحم المطبوخ وإذا وقع حصان جميل على فرس كبير ببلاد الهند لم يلد إلاّ فلوا قبيح الصّورة معوج الأرجل لا يصلح للرّكوب[5] .

كما كان جميع الأدم المدبوغ في اليمن يصدّر إلى أقاصي الأرض ودانيها [6]، ويذكر الإصمعيّ أنّ أربعة ملأت الدّنيا ولا تكون إلاّ باليمن وهي الورس والكندر والخضض والعقيق[7] إلى جانب العديد من المواد الأخرى النّادرة كالعنبر واللّؤلؤ واللّبان والمرّ والفوّة[8] .

وفي الأثناء كان ميناء عدن مستودعا للعديد من المنتوجات الواردة من البلاد المغربيّة والمصريّة وسواحل الشّرق الإفريقي والتّي تنتظر صدورها إلى بلدان الشّرق الأقصى بما في ذلك الهند [9] ، غير أنّ إنفتاح التّجارة اليمنيّة على بضائع الشّرق وسلعه لا يمكن أن يقلّل من أهمّية علاقاتها على هذا المستوى ببقيّة الأقاليم الواقعة غرب المحيط الهندي وأهمّها منطقة السّاحل الشّرقي الإفريقي .

---

(1) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 123.

(2) ماركوبولو ، الرحلات ، ج 3ص69-72 . ابن بطوطة ، تحفة النّظار ، ص559 .

(3) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص141 .

(4) ابن بطوطة ، المصدر نفسه ، ص627-629 .

(5) ماركوبولو ، المصدر نفسه ، ج 3ص 91 .

(6) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1ص98 .

(7) النّويري ، نهاية الإرب ، ج 1ص 340. Ju-Kua, *op.cit* , pp 195 -197 .

(8) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 141 . القزويني ، المصدر نفسه ، ص101 .

(9) المسعودي ، مروج الذّهب ، ج3 ص2، 8 . Ibid, pp 226-227,233,238 .

* علاقات تجارية متينة مع سواحل الشرق الإفريقي :

لأنّ التّواصل الحضاري بين اليمن وبلدان الشّرق الإفريقي قديم قدم تاريخ المنطقتين[1] فإنّ التّجارة والمبادلات التّجارية كانت أبرز مظاهر هذا التّواصل ، كما أنّ وقوع منطقة الشّرق الإفريقي على الحافّة الجنوبيّة لطريق التّجارة الدّوليّة المارّ عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر قد جعلها تكون بفضل منتوجاتها النّادرة من جهة وبحكم حاجتها إلى بعض المنتوجات الأخرى من جهة ثانية أبرز الأطراف الفاعلة في هذه التّجارة وعلى صلة وثيقة ببقيّة الأقاليم عبر الموانئ اليمنيّة [2]، وهو ما جعل العلاقات التّجارية بين المنطقتين تزداد قوّة ومتانة عن ذي قبل .

ويعتبر الطّريق من بلاد اليمن إلى سواحل إفريقيا الشّرقيّة من أشهر الطّرق الملاحيّة والتّجاريّة منذ القدم وقد طرقه البحارة اليمنيّون من الأزد أكثر من غيرهم فكانوا يسافرون بمراكبهم من سيراف وعمان إلى أوّل مرافئ اليمن على سواحل بلاد العرب الجنوبيّة مرباط والشّحر ، مرورا بعدن لتواصل السّفن رحلتها جنوبا في إتجّاه مدن وبرور السّاحل الشّرقي الإفريقي شأن زيلع [3]ومقدشو[4]ومنبسة [5] وكلوه[6] ،

----

(1) لا يزال شائعا بين الأحباش أنّ بلقيس ملكة سبأ قد امتدّ حكمها إلى أثيوبيا وأنّ أحد حكّام هذه الأخيرة هو من ذرّة بلقيس . ضرار (محمّد صالح) ، **تاريخ سواكن والبحر الأحمر**، الدّار السودانيّة للكتب ، الخرطوم 1981م ص24-25 .

(2) عبد العليم ، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب** ، ص73 .

(3) زيلع : مدينة بها ميناء تقع على الضفّة الجنوبيّة لخليج عدن ضمن حدود دولة الصّومال الحاليّة وهي من أهمّ الموانيء الإفريقيّة المرتبطة بعدن وبالموانيء اليمنيّة وقد زارها ابن بطّوطة ووصفها بأنّها مدينة عظيمة ولها سوق كبيرة . ابن بطوطة، **تحفة النظّار** ، ص252-253 . فورمان (أ) ، مادّة " زيلع " **دائرة المعارف الإسلاميّة طبعة أولى** ، مجلّد عدد 4 ، ص 1266-1267.

(4) مقدشو : من مدن " السّيف الطويل " أو بلاد العجم كما يذكرها ابن ماجد وقد نزل بها ابن بطوطة قادما من مدينة زيلع بعد قضاء خمس عشرة ليلة في البحر كما أشاد بحسن إستقبال أهلها للتجّار . ابن بطوطة ، **المصدر نفسه**، ص253-257.

(5) منبسة : تقع على ساحل كينيا وقد زارها ابن بطوطة هي الأخرى ووصف مزارعها وعيش أهلها واعتبرها ابن ماجد من المراكز الميمونة لأهل البحر والتّجارة . ابن بطوطة ، **المصدر نفسه** ، ص257 . ابن ماجد ، **ثلاثة أزهار** ، ص 30.

(6) كلوة : تقع على ساحل طنزانيا الحاليّة وقد قال فيها ابن بطوطة : " مدينة عظيمة ساحليّة أكثر أهلها الزّنوج المستحكمون السّواد " ، ثمّ ما لبثت أن أصبحت منذ القرن السّادس هجري/ الثاني عشر ميلادي أهمّ مركز تجاري على السّاحل الإفريقي الشّرقي حتّى أنّها مدّت نفوذها إلى سفالة جنوبا . ابن بطوطة ، **المصدر نفسه** ، ص257-258 . ابن ماجد ، **المصدر نفسه** ، ص 44.

وزنجبار [1] والقمر (مدغشقر) [2] وصولا إلى بر سفالة [3] .

ونظرا للعلاقات التّجاريّة المتينة بين هذه الأقاليم وموانيء اليمن ومدنه فقد استوطن العديد من اليمنيّين السّاحل الإفريقي الشّرقي حتّى منطقة سفالة جنوبا وذلك منذ القرن الرّابع هجري / العاشر ميلادي كما حكم هذا السّاحل سلاطين من الشّحر واليمن وحضرموت وظلّت مملكة زنجبار بيد حكّام عرب حتّى إستيلاء الأوروبّيين على تلك المناطق [4].

وفي المقابل كانت زبيد وعدن أهمّ المراكز التّجاريّة اليمنيّة التي لها صلات تجاريّة متينة مع موانيء ومدن السّاحل الشّرقي الإفريقي ، فإلى عدن كانت تفد السّفن من الحبشة ومنها تخرج إلى ساحل إفريقيا الشّرقي وجزره [5] . في حين كانت زبيد قبلة لتجّار السّاحل الإفريقي المقابل لسواحل تهامة على وجه الخصوص وكان ميناء غلافقة مرسى سفن الحبشة الواردة بتجاراتها إلى هذه المدينة [6] كما أشار المقدّسي إلى وجود مجموعات من الأحباش بزبيد من البجّة [7] وأهل النّوبة [8] .

---

(1) زنجبار : جزيرة ورد ذكرها في رحلات ماركوبول بإسم " زنزيبار " وقد جاء في حديثه عنها : " وتزور المكان كثير من السّفن التّجاريّة وهي تبادل على ما تجلب من بضائع بأنياب الفيلة والعنبر الذّي يكثر وجوده على سواحل الجزيرة نتيجة لإمتلاء البحر بالحيتان. " كما ورد ذكر هذه الجزيرة في الأرجوزة السّفالية " لإبن ماجد ، ماركوبولو ، **الرّحلات** ، ج 1ص86 . ابن ماجد ، **المصدر نفسه** ، ص 32.

(2) القمر : تعتبر أهمّ جزر السّاحل الإفريقي الشّرقي على الإطلاق وهي مدغشقر الحاليّة ويذكرها ماركوبولو بإسم " مدغشقر الكبيرة " مشيرا إلى تنوّع ثرواتها الطبيعيّة ولحذق أهلها لفنون التّجارة والصناعة ، كما تحدّث عنها ابن المجاور في إطار علاقاتها التّجارية مع ميناء عدن . إبن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 3ص 117. ماركوبولو ، **المصدر السابق** ، ج 1ص81-82 .

(3) سفالة : اسم لمنطقة تقع بإقليم الموزمبيق قبالة جزيرة مدغشقر وقد قال فيها ابن بطّوطة نقلا عن بعض التجّار : " وذكر لي بعض التجّار أنّ مدينة سفالة على مسيرة شهر من مدينة كلوا وأنّ بين سفالة ويفوفى من بلاد اللّيمين مسيرة شهر ومن يوفى يؤتي بالتّبر إلى سفالة. " ، أمّا القزويني فقد وصفها بأنّها آخر مدينة تعرف بأرض الزّنج وأنّها معدن الذّهب كما يؤكّد ذلك كل من ابن بطّوطة وابن ماجد . ابن بطوطة ، **المصدر نفسه** ، القزويني ، **المصدر نفسه** ، ص44 . ابن ماجد ، **المصدر نفسه** ، ص 42.

(4) عبد العليم ، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، 1ص73 .

(5) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر**، ج 1 ص141 . القزويني ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، ص 103 ، 105.

(6) الحميري ، **الرّوض المعطار**، ص 284. أبو الفدا ، **تقويم البلدان** ، ص 88-89.

(7) البجّة : بضمّ أوّلها ، مجموعة قبائل بدويّة تعيش في الصّحراء الشرقيّة بين حوض النّيل وساحل البحر الأحمر من مصر إلى حدود الحبشة . ضرار ، **سواكن والبحر الأحمر** ، ص34 . عبد الواحد الشّجاع ، **اليمن في عيون الرّحالة** ، ص 185.

(8) المقدّسي ، **أحسن التقاسيم** ، ص 124.

أمّا علي مستوى السّلع والبضائع المتبادلة بين موانئ اليمن ومناطق السّاحل الإفريقي الشّرقي فقد تنوّعت بتنوع المحاصيل في كلتا المنطقتين فضلا عمّا كان يرد الموانئ اليمنيّة من مواد مختلفة من باقي الأقاليم فتزّود منطقة الساحل الشرقي لإفريقيا بما يلزمها من هذه المواد . وفي عدن وزبيد كانت تتجمع عديد المنتوجات الإفريقيّة التي يحتاجها أهل اليمن أو المجلوبة بغية إعادة تصديرها إلى أقاليم أخرى[1].

فمن الصّومال وزنجبار كان يجلب العاج الجيّد [2]ويجمع العنبر من بحر الزّنج وهذه المادّة يفرزها الحوت الذّي يعيش في المياه الدّافئة علي شواطئ إفريقيا الشّرقيّة كالصّومال وما إليها وهناك كان يجمع ويحمل إلى موانيء شبه الجزيرة العربيّة قبل أن ينقل إلى البلاد الشّرقيّة [3]. ومن رأس الحوت الذّي كان القوم يصطادونه بتلك النّواحي يستخرج دهن يستعمل في طلي السّفن وهو متداول في اليمن وفي عدن بصفة خاصّة ، كما كان العنبر يستعمل في الطّهي لكنّ إستعماله الأساسي كان في صنع العطور لدى أهل الصّين[4] .

أمّا قرن وحيد القرن فكان أجود أنواعه ما هو مجلوب من السّاحل الإفريقي الشّرقي ومن برّ الصّومال وزنجبار علي وجه الخصوص وكذلك سنّ الفيل[5]، و كان القرن الواحد منه يزن عشرة كتيّات أيّ ما يعادل ستّة كيلوغرامات أمّا سنّ الفيل فكان يزن نحو ستّين كيلوغراما[6] . كما كان يحمل من هذه المناطق الذّبل وهو بيت السّلاحف ومنه كانت تصنع الأمشاط والمرّ الذّي كان أجوده يأتي من الصّومال وكان الطّلب عليه كثيرا في البلاد الشّرقية ، لذلك كان ينقل من سواحل إفريقيا الشّرقيّة عن طريق أيدي تجّار عرب من اليمنيّين والحضارمة إمّا رأسا إلى سيلان مثلا أو إلى موانيء الجزيرة العربيّة كعدن ومرباط لينقل في مرحلة ثانية إلى بلاد الهند والصّين [7] .

وكان الحديد يجلب من برّ سفالة لتحمله السّفن عبر موانئ اليمن في إتجّاه الهند، ذلك أنّ الحديد السّفالي أجود وأطرى من الحديد الهندي فكان يستخدم

---

(1) الحميري ، الرّوض المعطار ، ص284 . القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 101. ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص 143. ياقوت ، معجم البلدان ، ج 3ص 165.

(2) Ju-Kua, op.cit, pp 127, 232 .

(3) زيادة، " الجزيرة العربيّة في أخبار المؤلّفين الصّينيين " ، مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة ، ج 2ص 38.

(4) Mirsky (J), *The Great Chinese travelers*, Chicago, 1964. p 245 .

(5) Ju-Kua, *op.cit*, . p 233 .

(6) Ibid, p 233 . Mirsky, *op.cit* ,p 239.

(7) المسعودي، مروج الذّهب، ج 2ص 4. زيادة، " الجزيرة العربيّة في أخبار المؤلّفين الصّينيين " ، مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة ، ج 2 ص 38. متز، الحضارة الإسلاميّة، ج2 ص 326-327.

في صناعة السّيوف الهنديّة[1] ، كما كانت جلود النّمور الحمر على رأس السّلع الإفريقيّة التي حملها التجّار إلى بلاد الإسلام[2] وقد اشتدّ الطّلب على تلك الجلود في سائر أقطار غرب آسيا لصناعة غطاء السّروج وفي اليمن لصناعة الأديم وتجليد الكتب القيّمة[3] .

وفي الأثناء كانت الحيوانات والمواشي المجلوبة من بلاد الزّنج تمثّل ركنا هامّا في العمليّة التّجاريّة مع الموانىء الجنوبيّة للجزيرة العربيّة ، إذ كانت الأبقار والجواميس والأغنام والماعز تجلب من الحبشة وبلاد الزّنج إلى عدن والشّحر وبلاد الأحقاف من ساحل حضرموت [4] . أمّا تجارة الرّقيق فكانت أبرز مظاهر التّجارة اليمنيّة الإفريقيّة خلال ذلك العهد [5] حيث كان أهل الحبشة يجلبون رقيقهم إلى زبيد [6]وفي عدن راجت تجارة العبيد المجلوب من بلاد الزّنج منذ عهود سابقة ويذكر أبو مخرمة أنّ أحد ولاّة عدن من بني زريع الذّين إستنابهم علي بن محمّد الصّليحي لحكمها قد رغب في سكن المدينة بدل الحصون وكان نقل الحجارة من " أبين " لا يقدر عليه إلاّ أهل القوّة والثّروة " فاشترى الوالي الزّريعي رقيقا زنوجا وجعل العبيد يقطعون له الحجارة من جبال عدن والإماء يحملنها على ظهورهنّ "[7] .

وقد ترك لنا ابن المجاور وصفا فريدا عن طريقة بيع الجواري في عدن خلال العهد الأيّوبي وهي طريقة لا تخلو من مظاهر الإستهانة والفحش بالجواري المعروضات من قبل التّاجر الخواجا [8] بحضور جموع التجّار الذّين يلقبّهم " بالفجّار " [9]، كما كان قسم وافر من هؤلاء العبيد الحبوش يعاد تصديره إلى بقيّة الأقاليم في إتّجاه العراق أين كان يستعمل لإستصلاح أراضي السّواد في الجنوب[10] أو في إتجّاه بلدان الشّرق الأقصى حيث بلغت هذه التّجارة بلاد الصين[11] .

---

(1) الإدريسي ، نزهة المشتاق، ج 1ص46 . متز ، الحضارة الإسلاميّة ، ج2 ص 430.

(2) المسعودي، المصدر السابق ، ج 2ص 4. ياقوت ، معجم البلدان ، ج3 ص 164-165.

(3) المقدّسي، أحسن التّقاسيم، ص180 ، 203 . ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج 2 ص متز ، المرجع السّابق ، ج2 ص 327.

(4) المسعودي، المصدر نفسه، ج2 ص28 . ابن المجاور، المصدر نفسه ، ج1 ص 28. متز ، المرجع نفسه، ج1ص 143

(5) Hassan (H.F), *The Arabs and the Sudan*, Khartoum University -Press 1973 . pp43-49.
Goitein, " Slaves and Slavegirls in the Cairo Geniza Records ", in *Arabica*, Tome IX , Fasc. 1, Janvier (1962) pp1-20.

(6) الحميري ، الرّوض المعطار، ص284 .

(7) أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 1ص 19-20.

(8) الخواجا : لقب فارسيّ الأصل من معانيه التّاجر وكان يطلق أحيانا على من يمتّ بصلة إلى أصل فارسيّ . الباشا ، الألقاب الإسلاميّة ، ص 279.

(9) ابن المجاور، المصدر السّابق، ج 1ص145-146 .

(10) الدّوري ، تاريخ العراق الإقتصادي ، ص62 ، 66 . إبراهيم العسكري ، التّجارة والملاحة في الخليج العربي ، ص 181.

(11) متز ، المرجع السّابق ، ج 2ص438 .

أمّا البضائع والسّلع المنقولة من موانيء اليمن في إتجاه مناطق السّاحل الإفريقي الشّرقي فهي تتكوّن خاصّة من المصنوعات سواء منها اليمنيّة كالأدم المدبوغ والسّيوف والورس والكندر والخضض والعقيق[1] أو المجلوبة من بقيّة الأقاليم كالجواري والبهارات الواردة من الهند[2] والمنسوجات القطنيّة الموشّاة المجلوبة من مناطق الخليج الفارسي ومن بلدان الشّرق الأقصى وقد إزداد إقبال أهالي شرق إفريقيا على المنتوجات القطنيّة لملاءمتها الجوّ الحارّ في بلادهم ولجودة صناعتها [3].

وتعتبر التّمور من أبرز السّلع التي نقلتها سفن ومراكب أهل اليمن والجزيرة العربيّة في إتجاه بلاد الزّنج ويقول الإدريسي في هذا الإطار أنّ الزّنج كانوا يعظّمون العرب وإذا رأوا تاجرا عربيّا " سجدوا له وعظّموا شأنه وقالوا بكلامهم هنيئا لكم يا أهل بلاد التّمر وأنّ المسافرين في بلادهم يسرقون أبناء الزّنج بالتّمر يخدعونهم به " [4]. وكما إزدهرت تجارة اليمن مع مناطق السّاحل الإفريقي الشّرقي طوال العهد الأيّوبي عرفت العلاقات التّجاريّة بين اليمن وبقيّة الأقاليم المجاورة وأهمّها مصر حركيّة كبرى بفضل الجهود الأيّوبيّة المبذولة في هذا المضمار والتي جاءت لتعزّز هذه العلاقات وتجعلها متينة ومزدهرة أكثر من السّابق .

* علاقات تجارية مزدهرة مع البلاد المصرية :

لقد أدرك الأيّوبيون أهمّية العلاقات التّجارية المصريّة اليمنيّة فعملوا على تدعيمها والإستفادة منها[5] سائرين في ذلك على خطى أسلافهم الفاطميّين الذّين كانوا من جهتهم قد جعلوا هذا الأمر ضمن أوكد مشاغلهم[6] ، لذلك كان لا بدّ أن تزدهر الصّلات التّجارية بين البلدين أكثر من ذي قبل لما توفّر لها من مناخ سياسي ملائم .

فقد كانت موانيء اليمن على صلة وثيقة بعديد المراكز التّجاريّة المصريّة طوال العهد الأيّوبي حيث كانت المتاجر تأتي من عدن وزبيد في إتّجاه عيذاب أين تحصّل فيها المكوس ومنها تحمل القوافل المتاجر عبر الصّحراء الشّرقيّة

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر، ج1 ص 98. النّويري ، نهاية الإرب ، ج1ص340 .

(2) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج1 ص 98.

(3) إبراهيم العسكري ، التّجارة والملاحة في الخليج العربي ، ص 178.

(4) الإدريسي ، نزهة المشتاق، ج 1ص 41 .

(5) مختار العبادي ، تاريخ البحريّة الإسلامية ، ص261 .
Cahen (Cl) , art " Ayyubides " , *EI*², Vol I pp 820-821 .

(6) فؤاد سيد ، الدّولة الفاطميّة في مصر ، ص 298-299.
Goitein, *A Mediterranean Society*, Vol I, p 42 .

إلى مدينة قوص في صعيد مصر لتحملها المراكب النّيليّة شمالا إلى الفسطاط [1]. وكانت عيذاب أهمّ المراكز التّجاريّة المصريّة التي لها صلات تجاريّة مزدهرة مع بلاد اليمن ،كما كانت بمثابة القاعدة الأساسيّة للتّجارة المصريّة اليمنيّة طوال ذلك العهد [2]وفي ذلك يقول الرحّالة ابن جبير : " وبين عيذاب واليمن كانت القوافل الواردة والصّادرة لا تحصى لاسيما القوافل العيذابيّة المتحمّلة لسلع الهند الواصلة إلى اليمن ثمّ من اليمن إلى عيذاب وأكثر ما شاهدناه من ذلك أحمال الفلفل فلقد خيّل إلينا لكثرته أنّه يوازي التّراب قيمة وكذلك القرفة ... وعيذاب مدينة على ساحل بحر جدّة غير مسوّرة وهي من أحفل مراسي الدّنيا بسبب أنّ مراكب الهند واليمن تحطّ فيها وتقلع منها زائد إلى مراكب الحجّاج الصّادرة والواردة ..." [3] . وإشارة منه إلى هيمنة تجّار اليمن على هذا الطريق يضيف صاحب " الرّحلة " قوله : " وبماء طريق عيذاب وقعت بين بعض جمّالي العرب اليمنيّين أصحاب طريق عيذاب وضمّانها وهم من بلي من أفخاذ قضاعة وبين بعض الأغزاز (الغزّ أو التّرك) بسبب التّزاحم على الماء " [4].

كما كانت لمدينة قوص الواقعة في الصّعيد المصري على الضفّة الشّرقية لوادي النّيل مكانة كبرى في تجارة مصر مع بلاد اليمن منذ النّصف الثّاني للقرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي لتتأكّد هذه المكانة خلال العهد الأيّوبي[5]وذلك ما يؤكّده قول ابن جبير فيها أثناء زيارته لها خلال العهد المشار إليه حيث يذكرها بأنّها مدينة " حفيلة بالأسواق متّسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصّادر والوارد من الحجّاج والتجّار اليمنيّين والهنديين وتجّار أرض الحبشة لأنّها مجتمع الجميع ومحطّ الرّحال ومجتمع الرّفاق " [6]. أمّا ياقوت فقد وصفها بأنّها : " مدينة كبيرة عظيمة واسعة وهي قصبة صعيد مصر ... وهي محطّ التجّار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة ...." [7] .

---

(1) القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج3 ص464 . المقريزي ، **الخطط**، ج1 ص202. الحميري، **الرّوض المعطار** ، ص 284.
Halm (H) , art " Misr" ,*EI*^{2}, Vol I pp166 .

(2) درّاج (أحمد) ، " عيذاب من الثغور العربيّة المندثرة ، " **المؤرّخ العربي** ، العدد7 (1978م) . ص 59.
ياقوت ، **معجم البلدان** ،ج 4ص193. القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج3 ص464-468 . المقريزي ، **الخطط**، ج1 ص202. Vol II

Heyd, *Histoire du Commerce du Levant au Moyen -Age,* Vol I p 380, p 58 .
Garcin, *Espaces, pouvoirs et ideologies de l'Egypte Médièvale*, Variorum Reprints, London1987 p 189.

(3) ابن جبير ، **الرّحلة** ، ص43 ، 45 .

(4) **المصدر نفسه** ، ص42 .

(5) فؤاد سيد ، **الدّولة الفاطميّة في مصر** ، ص 298-299. ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 4ص 469.
Garcin, *Un centre musulman de la Haute-Egypte medievale :* Qus, p 101.
Goitein, " From the Mediterranean to India ", in *Speculum* XXIX (1954) . p 193.

(6) ابن جبير ، **المصدر السابق** ، ص40 .

(7) ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج 4ص 469.

أمّا الفسطاط فكانت هي الأخرى نقطة تجمّع أجناس شتّى من التجّار ومستودعا لمختلف البضائع الواردة من الشّرق والغرب ، كما كان بها إلى جانب ذلك عدد كبير من وكلاء التجّار من مختلف الأقاليم [1] . وتؤكّد أوراق الجنيزة التي عالجها كلّ من " ڤويتين" Goitein وحسنين محمّد ربيع أهمّية العلاقات التجّاريّة بين مصر وبلاد اليمن منذ العهد الفاطمي وذلك ما تعكسه بجلاء الرّسائل والخطابات المتبادلة بين بعض التجّار اليهود إنطلاقا من عدن في إتجّاه الفسطاط وعيذاب وقوص أو العكس [2] .

أمّا على مستوى السّلع والمواد المتبادلة بين أسواق البلدين فقد عرفت بدورها إزدهارا وتنوّعا عن ذي قبل ، فمن أسواق اليمن وموانئه كانت مصر تتزوّد ببضائع الشّرق الثّمينة كالتّوابل والعطور والرّقيق والمنسوجات الحريريّة التي يعاد تسويقها إلى الغرب الأوروبّي وخاصّة في إتجّاه الجمهوريّات الإيطاليّة التي كانت تحتفظ بعلاقات تجاريّة مزدهرة مع الدّولة الأيّوبية في مصر[3] ، كما كانت تفد على الأسواق المصريّة العديد من المنتوجات التي اختصّ اليمن في إنتاجها كالعصائب والعقيق والأدم والفوّة والمرّ واللّؤلؤ والرّصاص والخيزران والعنبر والتّمور والخيول [4]وعود الجلاب [5] .

أمّا الصّادرات المصريّة إلى بلاد اليمن فقد تراوحت هي الأخرى بين ما هو مجلوب من أقاليم أخرى وبين ما هو منتج في البلاد المصريّة ، فمن البضائع المجلوبة من البلدان الأوروبيّة كانت مصر تزوّد بلاد اليمن بالخدم والجواري والغلمان والدّيباج وجلود الخزّ والفراء والصّموغ والسّيوف والأخشاب والمنسوجات فيحملها التجّار من الإسكندريّة أو دمياط على ظهور الحيوانات إلى إحدى موانىء مصر الواقعة على البحر الأحمر كعيذاب ومنها تنقل إلى موانيء اليمن ليعاد تسويق بعضها في إتجّاه بقيّة أقاليم المشرق الإسلامي أو في إتجّاه بلاد السّند والهند

---

(1) ياقوت ، معجم البلدان، ج 4ص 304. Garcin, *Un centre musulman* ...: QUS, p 100.
Goitein, " From the Mediterranean to India ", *loc.cit* . pp 192-193.

(2) ربيع ، " وثائق الجنيزة وأهمّيتها لدراسة التاريخ الإقتصادي ... " ، مصادر الجزيرة العربيّة ، ج2 ص136 .
Goitein,*Studies*...., pp 353,354,357.
Ibid, *Letters of Medieval Jews traders*, pp 212-215.

(3) ابن جبير ، المصدر نفسه ، ص63 ، 45 ، 47 . زيتون (عادل) ، " أضواء على العلاقات التّجاريّة بين السّلطنة الأيّوبيّة وجمهوريّة البندقيّة1171-1250 م "، مجلّة دراسات تاريخيّة ، العدد الثّاني ، دمشق ، جويلية 1980 م ص 134-148. درّاج ، " عيذاب ... " ، المؤرّخ العربي، ص61 .
Goitein, " From the Mediterranean to India ", *loc.cit* . pp 192-193.
Garcin, *Un centre musulman*...: QUS , p100.
Cahen," Les marchands etrangers au Caire sous les Fatimides et les Ayyoubides ", *loc.cit*, p 97.

(4) المقدّسي ، أحسن التّقاسيم، ص 97. ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص 120-121.

(5) الجلاّب : مركب بحري يشدّ خشبه بعضه البعض بدون مسامير وقد كان خشبه يجلب من الهند واليمن . ابن جبير ، المصدر نفسه ، ص47 .

والصّين[1] ، إلى جانب الرّقيق والذّهب السّوداني المجلـوب من بلاد السّودان عبـر الطريق المارّ غربي صعيد مصر في إتجّاه قوص وعيذاب لتنقل تلك السّلع في مرحلة ثانية في إتجّاه موانيء اليمن [2].

كما كانت تفد في الأثناء على الأسواق اليمنيّة العديد من المنتوجات المصريّة كالكتّان والصّوف والأكسية التّنسيّة والإسكندرانيّة [3] والأواني الزّجاجيّة والخزفيّة ، التي كانت ترد على ميناء غلافقة بكميّات وافرة منذ العهد الفاطمي [4] إلى جانب العديد من المواد الغذائيّة الأساسيّة كالحنطة والدّقيق والسكّر والأرزّ والصّابون والأسنان والقطارة وزيت الزّيتون وزيت الحارس والزّيتون المملّح وعسل النّحل وكلّ ما يتعلّق بالنقل [5].

* علاقات تجارية مستديمة وحيوية مع أقاليم شبه الجزيرة العربية :

عرفت العلاقات التّجاريّة بين بلاد اليمن وبقيّة أقاليم شبه الجزيرة العربيّة طوال العهد الأيّوبي كثيرا من الإزدهار والحيويّة حيث كان للموقع الممتاز الذي تحتلّه بلاد اليمن على طريق تجارة الشّرق الغنيّة عظيم الأثر على النشّاط التّجاري لهذا البلد داخل شبه الجزيرة العربيّة سواء كان ذلك مع بلاد الحجاز من ناحية الشّمال أو العراق وعمان والبحرين من جهة الشّمال الشّرقي أو منطقة حضرموت على الأطراف الشّرقيّة .

---

(1) زيتون ، "أضواء على العلاقات التّجاريّة بين السّلطنة الأيّوبيّة وجمهوريّة البندقيّة" ، **مجلة دراسات تاريخيّة** ، ص142-145 . درّاج ، "عيذاب ..." ، **المؤرّخ العربي**، ص61-62 . اليوزبكي (توفيق) ، **تاريخ تجارة مصر البحريّة في العصر المماليك** ، الموصل 1975م ص 94-95. الباز العريني ، **مصر في عصر الأيّوبيين** ، ص 208-209.
Cahen," Les marchands etrangers au Caire sous les Fatimides et les Ayyoubides ",*loc.cit*, p 97.
Ibid, " Douanes et commerce dans les ports Mediterrannéens de l'Egypte Médievale d'après le Minhadj d'al-Makhzumi", in *J E S H O* , Vol VII (1964). pp225-230.
Heyd, *Histoire du commerce du Levant au Moyen -Age*, Vol I, p 380. Vol II, p 58 .
Goitein, *The Mediterranean Society*, Vol I p 105.

(2) اليوزبكي ، **تاريخ تجارة مصر**، ص94 .
Ashtor, *Histoire des prix et des salaires*, pp 117-118.
Cahen, "Douanes et commerce ..." , in *J E S H O*, Vol VII (1964) . p231.
Astor (E), art " Kattan", *EI*^{2}, Vol IV p 805.

(3) حامد خليفة ، **الفنون الزّخرفية اليمنيّة** ، ص207 .
Cahen, "Douanes et commerce ..." , *loc.cit*, Vol VII(1964) . pp 228-230.

(4) ابن سعيد ، **كتاب الجغرافيا**، ص95 ، 118 ، 127 . الإدريسي ، **نزهة المشتاق** ، ص 131. ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج 6ص398 . عمرو موسي (عز الدّين) ، "طريق عبر الصّحراء اللّيبيّة من المغرب الأقصى إلى مصر في القرن السّادس هجري/ الثاني عشر ميلادي" . **مجلّة البحوث التّاريخيّة** ، العدد الأوّل ماي 1983م ص117-118 .

(5) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص 142.

وكانت بلاد الحجاز بحكم وقوعها تحت نفوذ الدّولة الأيّوبيّة أكثر أقاليم شبه الجزيرة العربيّة صلة بالتّجارة اليمنيّة طوال ذلك العهد ، لذلك تعدّدت المسالك التّجارية بين المنطقتين وتنوّعت بين طرق بحريّة وأخرى برّية . ويعتبر طريق البحر الأحمر من أبرز المسالك التّجاريّة الرّابطة بين كلّ من بلاد الحجاز وبلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي حيث كانت السّفن والمراكب تنطلق من عدن سالكة مياه البحر الأحمر في إتجّاه ثغور الحجاز الواقعة على السّاحل الشّرقي للبحر الأحمر كميناء جدّة الذي كان يعدّ فرضة مكّة المكرّمة وميناء الجار وميناء ينبع منفذي المدينة المنوّرة طوال ذلك العهد [1].

أمّا الطّرق البرّية المتحكّمة في تجارة اليمن مع بلاد الحجاز فهي ثلاثة ، طريق أولى داخليّة جبليّة تنطلق من عدن في إتجّاه مكّة عبر الجبال فتمرّ بالجند إلى ذي أشرق (النّجد الأحمر)إلى إبّ فالنّقيل (نقيل سمارة) مرورا بذمار ثمّ صنعاء في إتجّاه صعدة ومنها إلى الطّائف وصولا إلى مكّة ، وطريق ثانية متوسّطة ما بين البحر والجبال تنطلق من عدن في إتّجاه زبيد مرورا بحرض قاعدة المخلاف السّليماني ثمّ الطّائف فمكّة ،أمّا الطريق الثّالثة فهي ساحليّة محاذية للبحر[2] .

ومن أهمّ المراكز التّجاريّة بالحجاز خلال العهد الأيّوبي مكّة والمدينة والطّائف وقد ارتبطت هذه المدن بصلات تجاريّة وثيقة بالعديد من المدن اليمنيّة كعدن وزبيد وصنعاء وصعدة[3] ، حيث كانت القوافل والسّفن تنطلق من موانيء ومدن اليمن محمّلة بالسّلع اليمنيّة والحبشيّة والهنديّة والصّينيّة وتعود مزوّدة بالمنتجات الشّاميّة والعراقيّة والحجازيّة ليعاد تصدير بعضها عبر البحر [4].

---

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص50 ، 51 . ابن تغري بردي ، **النّجوم الزّاهرة** ، ج 7 ص 140. الحميري ، **الرّوض المعطار** ، ص284. ابن جبير ، **الرّحلة** ، ص30-31 . القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج 5ص258 . الأنصاري ، " الجزيرة العربيّة في رحلتي ابن جبير والعبدري"، **مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة** ، ج 2ص 327-328. عبد الغنيّ مالكي ، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتّى سقوط الخلافة العبّاسية في بغداد**، ص87-88 . السّباعي ، **تاريخ مكّة** ،ج1 ص190 . محمّد ربيع ، " وثائق الجنيزة وأهمّيتها..." **مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة** ، ج2 ص 134-136. باقاسي ، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي** ، ص61-63 . عبد العليم ، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب** ، ص 81. الزّيلعي ، **مكّة وعلاقاتها الخارجيّة** ، ص173 .وما بعدها . زكيّ ، **طرق التّجارة الدّولية ومحطّاتها**، ص138-140 .

Heyd, *Histoire du commerce* ..., Vol I p 379.

(2) زكي ، **طرق التّجارة الدوليّة** ، ص 138-140. سيف علي ، **دراسات في التاريخ اليمني** ، ص 96. باقاسي ، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي** ، ص63 . الأفغاني ، **أسواق العرب** ، ص 15-16. الزّيلعي ، **مكّة وعلاقاتها الخارجيّة** ، ص 187-188.

(3) سيف علي ، **المرجع نفسه** ، ص 96. الأفغاني ، **المرجع نفسه** ، ص 15-16. باقاسي ، **المرجع نفسه** ، ص 61 .

(4) الأفغاني ، **المرجع نفسه** ، ص 15-16.الزّيلعي . **المرجع السابق** ، ص 187 . ابن جبير ، **المصدر نفسه**، ص97 . الحميري، **المصدر نفسه**. ص 284. ابن المجاور ، **المصدر نفسه**، ج 1ص 51.

وقد إستفادت العلاقات التّجاريّة بين اليمن والحجاز من مواسم الحجّ ومن حالة الأمن التي سعى الأيّوبيون إلى إرسائها على إمتداد هاتين المنطقتين سواء كان ذلك عبر البرّ أو البحر وذلك ما يؤكّده قول الرحّالة ابن جبير : " والطريق إلى مكّة ملتقى الصّادر والوارد ممّن بلغته الدّعوة المباركة والثّمرات تجبى إليها من كلّ مكان " [1]. ويشير تقي الدّين الفاسي من جهته إلى حالة الإزدهار التّجاري بين الحجاز واليمن بفضل حالة الأمن السّائدة في أواخر العهد الأيّوبي بقوله : " وفي أيّام الملك المسعود إقسيس صاحب اليمن كثر الجلب إلى مكّة من مصر واليمن في أيّامه فرخصت الأسعار ولعظم هيبته قلّت الأشرار وأمنت الطرق والدّيار " [2].

أمّا على مستوى البضائع والسّلع المتبادلة بين اليمن وبلاد الحجاز فقد تنوّعت هي الأخرى بتنوّع منتجات البلدين فضلا عن المواد والسّلع الواردة من بقيّة الأقاليم إلى كلّ منهما والتّي كانت تأتي لتعزّز حجم التّبادل بينهما بإستمرار . فمن السّلع والمنتجات التّي كانت اليمن تزوّد بها مكّة والحجاز الذّرة والورس والتّمر والأدم واللّبان والنّيل المنسوب إلى مدينة زبيد والذّي وصف بأنّه لا نظير له [3] إلى جانب العنبر والشّروب والعبيد الحبش والخدم والبرود والعقيق [4]. و يذكر كل من إبن المجاور وإبن جبير أنّ قوما من أهل اليمن يعرفون بالسّرو كانوا يجلبون إلى مكّة نوعا من الزّبيب الأسود والأحمر في نهاية الطّيب ويجلبون معه من اللّوز كثيرا وكذلك قصب السكر[5]، كما كانت ترد عبر اليمن إلى أسواق الحجاز العديد من منتجات الهند والصّين وبلدان السّاحل الإفريقي الشّرقي كالتّوابل والبهارات والعقاقير والعبيد والجواري والعاج والصّمغ والجواهر النّفيسة كالياقوت وسائر الأحجار الكريمة[6] .

أما الصّادرات الحجازيّة نحو بلاد اليمن فلعلّها كانت نفس البضائع التي اعتادت القوافل حملها من حاصلات بلاد العرب ، كالزّيت والبلح والقرظ[7] و الصّوف والوبر والشّعر والجلد والسّمن من مكّة [8]والأدم والكروم وسائر الفواكه

----

(1) ابن جبير ، **الرّحلة** ، ص 97.

(2) الفاسي ، **شفاء الغرام** ، ج2 ص376 . أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص132 .

(3) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص89 ، 98 ، 120 . المقدّسي، **أحسن التقاسيم** ، ص 76. الزّيلعي ، **مكّة وعلاقاتها الخارجية** ، ص 187.

(4) المقدّسي ، **المصدر نفسه**، ص97 . الزّيلعي ، **المرجع نفسه** ، ص188 .

(5) ابن المجاور ، **المصدر نفسه**، ج 1ص26-27 . ابن جبير ، **المصدر نفسه** ، ص 98.

(6) ابن جبير ،**المصدر نفسه** ، ص 97. ربيع ، " البحر الأحمر في العصر الأيّوبي " ، **ندوة تاريخ البحر الأحمر** ، ص15 . زكيّ، **طرق التجارة الدوليّة** ، ص226 . باقاسي، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي** ، ص 69.

(7) القرظ : ورق شجر السّلم وهو نبات ذو شوك يدبغ بورقه وقشوره الأدم ويقال أديم مسلوم أيّ مدبوغ بالسّلم . ابن منظور ، **لسان العرب** ج2ص 193-194.

(8) باقاسي ، **المرجع السابق** ، ص 70.

والعنب والزّبيب من الطّائف[1] والتّمر الصّيحاني وحبّ البان من المدينة المنوّرة [2]. وقد تعجّب ابن جبير أثناء زيارته لمكّة من أهل السّرو اليمنيّين السّابق ذكرهم حيث كانوا لا يبيعون ما يجلبونه من الزّبيب واللّوز والسكّر والبقول والسّمن والعسل بالدّنانير أو الدّراهم وإنّما كانت عمليّة البيع تتمّ بمبادلة هذه البضائع بما يقدّمه لهم أهل مكّة بديلا لها من الخرق والعباءات والأقنعة والملاحف المتان وما يشابه ذلك ممّا يلبسه الأعراب [3]، كما كان أهل اليمن يتزوّدون أثناء إرتيادهم لأسواق الحجاز بشتّى البضائع الواردة من العراق والشّام ومصر وغيرها من البلاد الإسلاميّة [4].

ومن جهة أخرى فقد كانت لبلاد اليمن صلات تجاريّة وثيقة ببقيّة أقاليم شبه الجزيرة العربيّة إبتداء من حضرموت مرورا بعمان والبحرين وصولا إلي العراق ، وقد ارتبطت البلاد اليمنيّة بهذه المناطق عبر عديد المسالك والطّرق البرّية والبحريّة . ويعتبر الطّريق البحري المنطلق من موانيء الخليج الفارسي أبرز هذه المسالك بإعتباره أحد روافد التّجارة الدّوليّة خلال ذلك العهد ، حيث كانت رحلة سفن ومراكب أهل العراق تبدأ من الأبلّة وفي سيراف تتجمّع السّفن ثمّ تنطلق فتمرّ بموانيء عمان لتحمل بضائع أخرى أو لتتزوّد بالمؤونة ثمّ تعرّج غربا محاذية السّواحل الجنوبيّة لشبه الجزيرة العربيّة مرورا بميناء مرباط والشّحر لتكون عدن أبرز محطّاتها علي هذه الطّريق [5]. أمّا المسالك البّرية فإحداها ساحليّة تنطلق من عمان مخترقة بلاد حضرموت في إتّجاه عدن وأخرى داخليّة صحراويّة تنطلق من عدن نحو صنعاء إلي صعدة ومن هذه الأخيرة تعرّج القوافل نحو الشّرق في إتّجاه اليمامة ومنها إلي بلاد الرّافدين [6].

أمّا بخصوص السّلع والبضائع المتبادلة بين بلاد اليمن ومجموعة المراكز التّجاريّة المذكورة فإنّها كانت بدورها على درجة عالية من الأهميّة والقيمة ، فمن الشّحر كانت أسواق اليمن تتزوّد بالتّمر المقلف وهو الذي أستخرج نواه وبالسّمك المملّح [7] ومن عمان بالأدوية والعطورات بأنواعها

---

(1) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 98.

(2) المصدر نفسه، ص 107.

(3) ابن جبير ، الرّحلة ، ص 98-99.

(4) المصدر نفسه ، ص 97. الأفغاني ، أسواق العرب، ص 15-16. الزّيلعي، مكّة وعلاقاتها الخارجيّة ، ص187 .

(5) حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص218 . الحمارنة ، " دور الأبلّة في تجارة الخليج " ، المؤرّخ العربي ، ص44-45 . عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص 69-70.

(6) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 295 ، 311 . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 5 ص 57. الزّيلعي ، مكّة وعلاقاتها الخارجيّة ، ص 188.

(7) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 143.

واليـــواقــيت والأبـنوس والنّـارجـيل والصّـبــر والـحـديد والرّصـاص والبلّور والصّندل [1] ومن الـمـهـرة الكندر والـحـوت الـمـجـفّف[2] واللّبـان مـن مـرباط وظفار [3] والزّبد من قلهات بعمان واللّؤلؤ من البحرين وهو أفضل أنواع اللّؤلؤ على الإطلاق[4] . أمّا مراكب أهل العراق فقد كـانت ترد على ميناء عدن وهي محمّلة بشتّى البـضائع والمنتـوجات الثّمـينة كالمنسوجات القطنـيّة المـوشّاة والتّمـور من البصرة وكرمان والبحرين [5]، وقد كانت أغلب هذه البـضائع يعاد تسويقها في إتجّاه سواحل الشّرق الإفريقي أو في إتجاه الحجاز والبلاد المصريّة عبر موانيء اليمن ومدنه .

وفي المقابل كانت الأسواق اليمنيّة تزوّد التـجّار الوافدين عليها من بقيّة أقاليم شبه الجزيرة العربيّة بشتّى السّلع والبـضائع التـي إختصّ اليـمن في إنتـاجها كالسيّوف والورس والكندر والخضض والعقيق [6] إضافة إلى الأدم المدبوغ الذّي كان يصدر جميعه إلى العراق وخراسان وكرمان وما وراء النّهر وخوارزم[7] ، كما كان التـجّار البصريّون والسّيـرافيـون والعمـانيون يجـدون في أسواق اليـمن ضالّتـهم من مختلف السّلع والمنتوجات الواردة إلى هذا البلد من بقيّة الأقاليم والبلاد التّي تربطها صلات وعلاقات بالتّجارة اليمنيّة طوال ذلك العهد [8] .

وهكذا يمكن القول أنّ التّـجارة في اليمن خلال العهد الأيّوبي كانت على درجة عالـية من الحيويّة والإزدهاربفضل الجـهود الأيّوبيّة المبذولة في هذا المـضمار والتي أتت بدورها لتعزّز موقع بلاد اليمن المتميّز على خارطة المبـادلات التّجاريّة الدّوليّة ، حتّى غـدت عدن ذات الشّخصـيّة التّجاريّة الهائلة إلى جـانب العديد من المدن اليـمنيّة الأخـرى عقدة لأبرز المـسالك التـجّارية البـرّية والبـحريّة الرّابطة بين عـديد الأقـاليم في الشّرق والغـرب ، وهـو ما عـاد بالفـائدة العـميـمة على مـختلف الأطراف المهتمّة بالنّشاط التّجاري في هذا البلد من ساسة وتجّار كما تبيّن آنفا وعلى بقيّة الأنشطة الإقتصاديّة الأخرى التي عرفت بدورها شيئا من الإنتعاش والإزدهار كما سيتبيّن ذلك لاحقا .

---

(1) المقدّسي ، أحسن التقاسيم ، ص97 .

(2) المصدر نفسه، ص 97.

(3) زيادة ، " الجزيرة العربيّة في أخبار المؤلّفين الصّينيين " ، مصادر تاريخ الجزيرة العربيّة ، ج 2ص37 .
Ju Kua, *op.cit*, pp 195-197.

(4) زيادة، المـرجع نفـسـه ، ج 2ص37 . Ibid , pp 229-230,235.

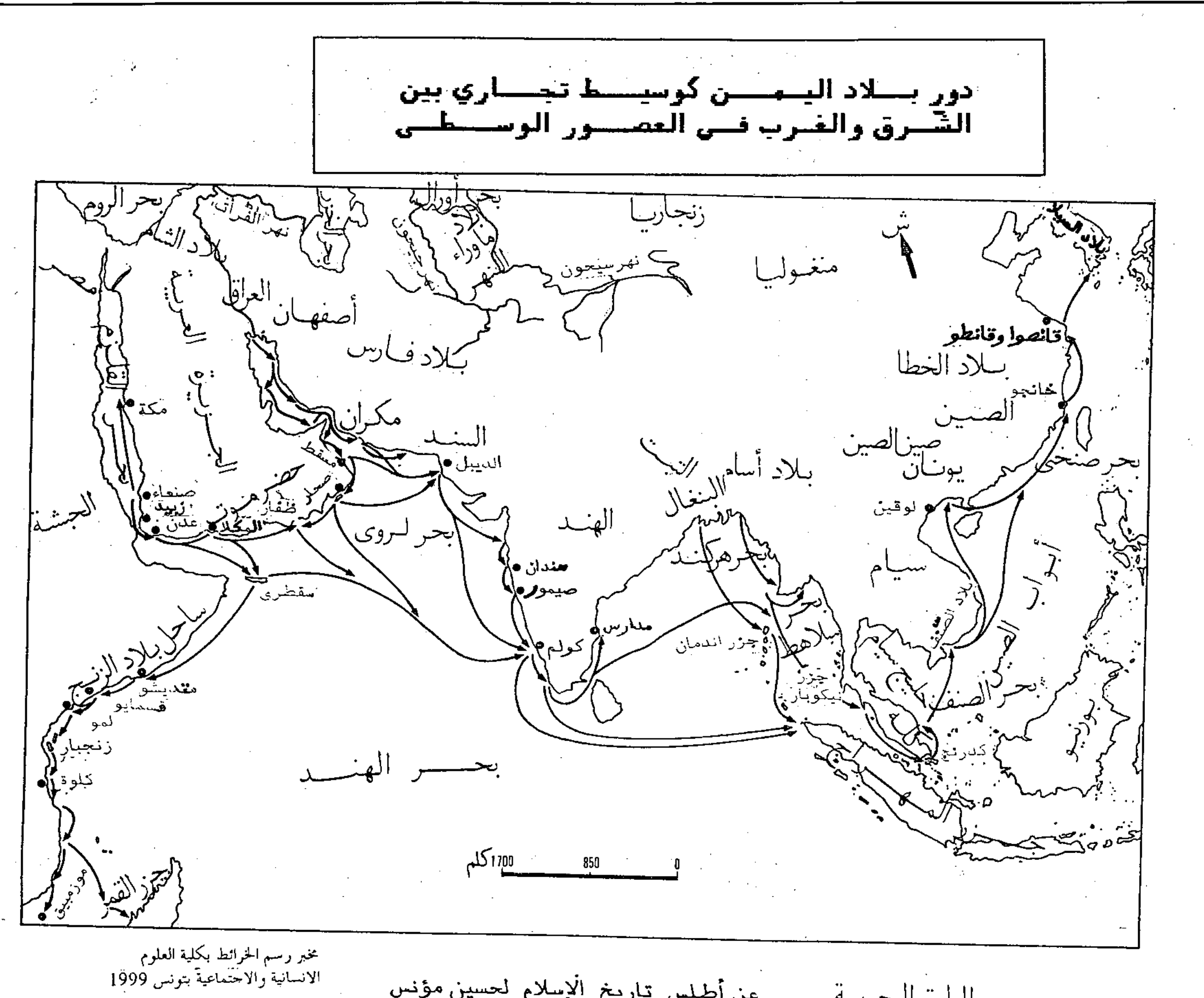
(5) الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص41 . العسكري، التّجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العبّاسي، ص 178 .

(6) النّويري، نهاية الإرب، ج 1ص 340.

(7) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 98.

(8) العسكري، المرجع السّابق، ص 173-174.

دور بلاد اليمن كوسيط تجاري بين الشرق والغرب في العصور الوسطى



مخبر رسم الخرائط بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس 1999

← الطرق البحرية

عن أطلس تاريخ الإسلام لحسين مؤنس

2 - الصّنائع والحرف ونظام المعاملات في الأسواق:

لأنّ الظّاهرة الحضريّة ببلاد اليمن هي ظاهرة قديمة قدم تاريخ هذا البلد وحضارته ، فإنّ أهل اليمن قد توصّلوا بمرور الزّمن إلى إكتساب مهارات وتقاليد إقتصادية حضريّة عريقة إنعكست في جانب كبير منها على مستوى قطاع الحرف والصّناعات اليدويّة وعلى مستوى نظام المعاملات داخل الأسواق لاسيما فيما يتّصل بوسائل التّبادل التّجاري كالنّقود والموازين والمكاييل ، وقد تدعّمت جميع هذه الميادين وتطوّرت بمجيء الأيّوبيين الّذين أولوها من جهتهم كلّ عناية وإهتمام ممّا ضمن لها في الأثناء مزيدا من الحيويّة والإزدهار .

أ- الصّنائع والحرف :

إشتهرت بلاد اليمن منذ القدم بصناعاتها وبمنتوجاتها الحرفيّة على إختلاف أنواعها ، (1) ويعود الفضل في ذلك بالأساس إلى إحتواء البلاد اليمنيّة على ثروات ضخمة من المواد الخام اللاّزمة لشتّى الصّناعات والحرف من مواد معدنيّة كالذّهب والفضّة والحديد والعقيق والجزع ، ومن منتوجات حيوانيّة كالجلود والصّوف ومن مواد نباتيّة كالخشب والورس والزّعفران والقطن وغيرها ، وقد أدّى تنوّع هذه المواد بهذا الإقليم من منطقة إلى أخرى إلى تنوّع الإنتاج الحرفي والصّناعي به.

كما كان لعامل الميراث الحضاري دوره في قيام العديد من الصّناعات ببلاد اليمن دون غيرها من الأقاليم ، فتكوّنت بذلك لأهل هذا البلد تقاليد حرفيّة وصناعيّة عريقة في شتّى الإختصاصات ، فضلا عن توفّر زاد بشري كاف من اليد العاملة بإعتباره إحدى المقوّمات الأساسيّة للأنشطة الصّناعيّة والحرفيّة على مرّ العصور .

وقد ساعد على كلّ ذلك الموقع الجغرافي الإستراتيجي لبلاد اليمن المشرف على أبرز خطوط التّجارة الدوليّة ، إضافة إلى الصّلة الوثيقة التي تربط هذا الإقليم ببقيّة مناطق شبه الجزيرة العربيّة ، وهو ما جعل البلاد اليمنيّة تكون على الدّوام عرضة للعديد من التّأثيرات الفنيّة الحرفيّة الخارجيّة ، فضلا عمّا كانت تمثّله تلك الصّلات التّجاريّة المزدهرة مع العالم الخارجي من مناسبة هامّة لتزويد أهل اليمن بما يحتاجونه من بعض المواد الخام اللاّزمة لبعض الصّناعات من ناحية ولتسويق إنتاجهم الحرفي والصّناعي وذلك من ناحية أخرى .

وبفضل الجهود الأيّوبيّة الرّامية إلى الإستفادة من مختلف الطّاقات والثّروات الإقتصاديّة التي تحتويها بلاد اليمن إزدهرت بهذه الأخيرة عديد الصّناعات والحرف ، كالصّناعات النّسيجيّة والجلديّة والصّناعات المعدنيّة والخشبيّة وغيرها من الصّناعات الأخرى .

---

(1) حامد خليفة ، الفنون الزّخرفيّة اليمنيّة في العصر الإسلامي، ص 172وما بعدها . السيّاغي (حسين أحمد) ، معالم الآثار اليمنيّة ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنيّة ، صنعاء ، 1980م ص129-125 .

* صناعـــة النسيـــج :

لقيت صناعة النّسيج في اليمن منذ العصور القديمة حظّها من الإهتمـام والتّشجيع حيث أشارت المصادر التّاريخيّة إلى أنّ ملوك اليمن القدامى قد أنشأوا دورا للنّسيج كانت تدرّ عليهم أرباحا وفيرة من المال ، كما كانت المنسوجات اليمنيّة تصدّر إلى خارج البلاد منذ القدم [1] .

ويذكر صاحب " السّيرة " أنّ الكعبة قد كسيت بمنسوجات يمنيّة فريدة من نوعها أيّام الملك الحميري " تبّع باكرب أسعد " وكان هذا الأخير قد قدم من المدينة إلى مكّة في طريقه إلى بلاد اليمن فرأى في المنام أن يكسو البيت الحرام فكساه الخصف وهو نسيج من خوص النّخيل ثمّ رأى مرّة أخرى أن يكسوه أحسن الأقمشة فكساه الوصايل [2] ، فكان "تبّع " أوّل من كسا البيت وأوصى بذلك ولاّته من بعده [3].

- نمـــاذج من منسوجات يمنيــة :

إشتهرت بلاد اليمن بالعديد من المنسوجات التّي إختصّت في إنتاجها كالبرود [4] اليمانيّة التي كانت غالية الثّمن ومتعدّدة الأشكال والألوان[5] وكانت لجودتها تصدّر إلى بقيّة أقاليم الجزيرة العربيّة وفي ذلك يقول كثيرة عزّة :

والواك بالبرد اليمانيّ وقد بدا من البين أشراط لعجلان رائح[6]

---

(1) جواد علي ، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج5 ص 261.

(2) الوصايل : جمع وصيلة وهي ثوب يماني مخطّط . حامد خليفة ، الفنون الزخوفية اليمنيّة في العصر الإسلامي ، ص155 . عزي (وفيّة) ، " نماذج من الفنون الإسلاميّة في اليمن " ، مجلّة المجلّة ، عدد71 القاهرة ديسمبر1992 م . ص 27-28.

(3) ابن هشام (عبد الملك) ، سيرة النبيّ (ص) ، بمراجعة محمّد محّي الدّين عبد الحميد ، مطبعة حجازي القاهرة 1156هـ / 1937م . ج1 ص 15.

(4) البرود : جمع برد وهو ثوب من برود العصب والوشي وذكر ابن منظور أنّ الثّوب الأبرد فيه لمع سواد وبياض يمانيّة وقيل البرد بالضمّ ثوب مخطّط والجمع أبراد وبرود . ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1ص189 .

(5) قام الباحث هادي عطيّة بإحصاء ما لا يقلّ عن إحدى عشرة نوعا من البرود اليمنيّة المشهورة وهي البركة والحلّة والخمس والخال والمرجل والمرحّل والسّحل والمشيح والمعجر والعفر والمهاصريّ. عطيّة (هادي) ، دلالة الألفاظ اليمانيّة في بعض المعجمات العربيّة ، مركز الدّراسات والبحوث اليمني ، صنعاء 1409هـ/ 1988م ص 277-282.

(6) الهجري (هارون) ، التّعليقات والنّوادر ، تحقيق حمود الحمادي ، بغداد 1968م . ج 2ص 95.

أمّا يزيد بن المهلّب فقد وصف في حضرة مسلمة بن عبد الملك بأنّه حائك كندة [1] ، وذكر صاحب السّيرة أنّ النبيّ (ص) كان قد كفّن بعد موته في برد يمانيّة [2] ، أمّا البخاري فقد روى أنّه كان يلبس في حياته بردا نجرانيّا غليظ الحاشية[3] . كما ذكرت مناديل اليمن أمام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان[4] ، في حين كان الحسين بن علي قبل مقتله يلبس سراويل محكمة النسّج من صنع اليمن [5]، وعندما بلغ عبيد اللّه بن زياد خبر مجيء الحسين بن علي إلى الكوفة أخرج ثيابا من مقطعات اليمن [6]. أمّا الشّعبي فكان يلبس عمامة حمراء من ثياب اليمن[7] ، ولبس الزبيّر بن العوّام البرد المعافري [8] ، وينسب عمر بن أبي ربيعة الثّياب إلى الجند والجروب في اليمن بقوله :

كأنّ الربع ألبس عبقريّا   من الجندي أو بزّ الجروب [9]

وقد أستعملت برود اليمن في بلاطات الأمويّين في الشّام وإنتشرت لدى أهل الحجاز[10]، فإبن سعد يروي أنّ عبد اللّه بن عمركان يلبس بردين معافريين[11] في حين كان جعفر بن علي بن الحسين بن علي قد إشترى لوالده بردا يمانيّا[12] وكان ابنه عبد اللّه يلبس بدوره بردين يمانيين[13] ، ويروي الأصفهاني أنّ المغنّية جميلة كانت تلبس برنسا طويلا وتضع على عاتقها بردة يمانيّة[14] . وكانت البرود

---

(1) الجاحظ (أبو عمرو عثمان)، **البيان والتّبيين** ، بيروت 1981م . ج 2ص 59.

(2) ابن هشام ، **سيرة النبيّ (ص)** ،ج4 ص342 . ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص 175. ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص 33.

(3) البخاري (محمّد) ، **صحيح البخاري** ، دار الدّعوة ، إسطمبول 1401هـ / 1984م ج 7ص40 .

(4) الأصفهاني (أبو الفرج) ، **كتاب الأغاني** ، تحقيق علي السّباعي ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، القاهرة 1394هـ/ 1977م . ج 21ص26 .

(5) الطّبري (أبو جعفر محمّد) ، **تاريخ الرّسل والملوك** ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، 1969م . ج 5ص 541.

(6) **المصدر نفسه** ،ج 5ص 359.

(7) إبن سعد (محمّد)، **الطّبقات الكبرى** ، دار صادر بيروت 1968م ج 6ص 252.

(8) نسبة إلى المعافر موضع باليمن أو إلى أبي حيّ من همدان أسمه معافر بن يعفر . الأصفهاني ، **المصدر السابق** ، ج 1ص 21.

(9) ابن أبي ربيعة (عمر) ، **ديوان عمر بن أبي ربيعة** ، بيروت 1971م ج1 ص 22.

(10) الأصفهاني ، **المصدر السّابق** ، ج 20 ص 106.

(11) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج 4 ص157 .

(12) **المصدر نفسه**، ج 4ص157 .

(13) ابن الجوزي ، **المنتظم**، ج 1ص419 .

(14) الأصفهاني ، **المصدر السابق** ، ج 8ص 226.

تنسج بجهات رمع والسّحول وقدم وصنعاء وشرعب [1] . وكانت الحلل اليمانيّة معروفة في شبه الجزيرة العربيّة وفي ذلك يقول ابن منظور " الحلول برود اليمن " [2]، ويروي الرّازي أنّ عمر بن الخطّاب كان قد كتب لواليه علي اليمن بعد أن كسي النّاس الحلل التّي جاءت من اليمن ليبعث بحلّتين للحسن والحسين فبعث بذلك فكساهما [3]، كما كان عمر بن أبي ربيعة يلبس حلّة موشّية يمانيّة[4] وتذكر المصادر أنّ الحسين بن علي لقي في طريقه إلى الكوفة عير قادمة من اليمن عليها الورس والحلل [5]، ويقول ابن الفقيه الهمذاني " ولأهل اليمن الحلل اليمانيّة " [6].

وكانت الحبرات تنسج في اليمن [7] وهي من الألبسة الخارجيّة للرّجال وكانت معروفة في الأقاليم الإسلاميّة الأخرى، فقد روى صاحب " السيّرة " والبخاري أنّ النبيّ كفّن في حبرة وقد أدرج فيها إدراجا وكانت أحبّ الثّياب إليه [8] ويروي الأصفهاني أنّ طويس المغنّي كان يلبس حبرة قد إرتدى بها [9]، كما لبس الشّاعر نصيب بالطّائف قميصا ورداء وحبرة يمانيّة[10] وكان عبد الرحمان بن عوف يلبس ثوب حبرة من العصب[11] . كما كانت السّرادق تصنع من الحبرة ، فقد ذكر خالد بن صفوان أنّه قدم علي هشام بن عبد الملك وقد ضرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خزّ أحمر

---

(1) البكري (أبو عبيد) ، **معجم ما أستعجم** ، القاهرة 1945م . ج 2ص374 ، ج 3ص1052 . **المسالك والمسالك ، الجزء الخاصّ بجزيرة العرب** ، تحقيق عبد اللّه غنيم ، الكويت 1397 هـ . ص27 . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج3 ص195 ، 335 . ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص33 . المقدّسي ، **أحسن التّقاسيم** ، ص97 . ابن فقيه ، **مختصر كتاب البلدان** ، ص 36. القزويني ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، ص69 . الحميري ، **الرّوض المعطار** ، ص359 ، 360 . مقبل سيف ، **دراسات في التّاريخ اليمنيّ**، ص95 . العليّ ، " الأنسجة في القرنين الأوّل والثّاني للهجرة "، **مجلّة الأبحاث** ، ج4 لسنة 14، بيروت 1961م . ص527 .

(2) ابن منظور، **لسان العرب** ، ج 11ص172 .

(3) الرّازي (أحمد) **تاريخ مدينة صنعاء**، تحقيق حسين بن عبد اللّه العمري، الطبعة الثانية ، صنعاء 1981م ص 55.

(4) الأصفهاني، **الأغاني** ، ج 1ص259 .

(5) الطّبري ، **تاريخ الرّسل والملوك** ، ج 5ص285 . ابن كثير ، **البداية والنّهاية** ، ج 8ص166 .

(6) ابن فقيه ، **المصدر السّابق**، ص36 .

(7) ابن سيدة (علي) ، **المخصّص** ، المكتب التّجاري ، بيروت (د. ت) ، ج4 ص67 ، 73 .

(8) ابن هشام ، **السّيرة** ، ج4 ص342 . البخاري ، **الصّحيح**، ج 7ص 41.

(9) الأصفهاني، **المصدر السابق**، ج 51ص154 .

(10) **المصدر نفسه**، ج 1ص363 .

(11) ابن شبّة (عمر) ، **تاريخ المدينة** ، تحقيق فهيم شلتوت ، جدّة 1393هـ . ج1 ص 115.

مثلما مرافقها "[1]وكانت الحبرات في صنعاء تنسج من القطن [2].

ومن الأنسجة اليمنيّة التي ذكرتها المصادر عصب اليمن[3] وهي أنواع من البرود كان يعصب غزلها أيّ يدرج ثمّ يصبغ ثم يحاك[4] ، وقد كانت اليمن معدن العصائب[5] و في ذلك يقول الأصمعيّ "أربعة أشياء قد ملأت الدّنيا لا تكون إلاّ باليمن الورس والكندر والخطر والعصب " [6] ومن المدن اليمنيّة التي كان يصنع فيه العصب مدينة الجند [7]، كما كانت الكعبة تكسى من عصب اليمن وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة :

والبيت ذي الأبطح العتيق ، وما جلّل من حرّ عصب ذي اليمن [8]

ويعدّ العصب من البرود الثّمينة فقد ذكر ابن رسته أنّ البرد اليماني يبلغ ثمنه خمسمائة دينارا [9].

ومن الأنسجة التّي كانت تصنع أيضا في اليمن الملاحف اليمانيّة ولم يرد ذكر الملاحف اليمانيّة في القرن الأوّل للهجرة ويرى صالح العليّ بأنّه " لا يمكن الجزم بعدم ذكرها وهل هو راجع إلى عدم وجودها آنذاك أو إلى قلّة إستعمالها أو لأسباب أخرى أدّت إلى عدم ذكرها " [10] . غير أنّه من المرجّح أن تكون هذه الأنسجة قد وجدت خلال القرن الأوّل للهجرة لإنتشار لبس الملاحف في الحجاز خلال ذلك العهد فقد لبسها علي بن الحسين ومحمّد بن الحنفيّة وجميل بثينة[11] ، ثمّ إنّ إشارة المصادر لها في القرن الثّاني للهجرة لا يعني أنّها لم تكن موجودة وظهرت فجأة بل أنّ إنتشارها ومعرفة النّاس لها لم يحدثا إلاّ بعد تصديرها إلى الأقاليم

---

(1) الأصفهاني ،**الأغاني** ، ج2 ص33 . العليّ ، " الأنسجة في القرنين الأوّل والثاني للهجرة " ، **مجلّة الأبحاث**، ص563 .

(2) البكري ، **الممالك والمسالك** ،(الجزء الخاصّ بجزيرة العرب) ، ص27 .

(3) ابن شبّة ، **تاريخ المدينة** ، ج1 ص115 . إبن أبي ربيعة ، **ديوان عمر بن أبي ربيعة** ، ج2 ص355 . ابن منظور ، **لسان العرب**، ج 2ص94 .

(4) ابن منظور ، **المصدر نفسه**، ج 2ص94 .

(5) المقدّسي ، **أحسن التّقاسيم**، ص 97.

(6) الكندر بالضمّ هو اللّبان والخطر بالكسر وهو نبات يختضب به . إبن فقيه . **المصدر السّابق**، ص36 .

(7) الأصفهاني ، **المصدر السّابق**، ج6 ص43 .

(8) ابن أبي ربيعة . **المصدر السّابق**، ج 2ص 355.

(9) ابن رسته ، **الأعلاق النّفيسة** ، ليدن 1967م . ص355 .

(10) العليّ ، " الأنسجة في القرنين الأوّل والثاني" ، **الأبحاث** ، ص572 .

(11) ابن سعد ، **الطّبقات الكبرى** ، ج 5ص114 . ابن قتيبة (عبد الله)، **الشّعر والشّعراء** ، بيروت 1401هـ/ 1981م . ص219 .

الأخرى وذلك بعد القرن الثّاني للهجرة حيث ورد ذكر الملاحف السّحولية التي كانت تصنع من القطن في قرية سحول باليمن وكانت تجلب من مدينة الجند إلى مكّة [1].

ومن الأنسجة اليمنيّة الثّمينة ثياب الوشي فقد روى المسعودي أنّ الوشي الجيّد كان يعمل في اليمن [2]ويقول الجاحظ " وخير الوشي... الذّي لا إبريسم فيه ولا ذهب وهو اليماني " [3]ويروي الأصفهاني أنّ الفرزدق كان يلبس " حلّة أفواف يمانيّة موشّاة " [4].

كما توجد أنواع أخرى متعدّدة من المنسوجات اليمنيّة المتداول إستعمالها كالبيرم وهو نوع من المنسوجات طول الواحد منها ستّة أذرع والسّباعيّات وهي أردية طول الواحد منها يبلغ ستّة أذرع في عرض أربعة أذرع وهي على صنفين نوع من الحرير الخالص ونوع آخر ممزوج بالكتّان [5]، إلى جانب الملايا وهي نوع من الفرش تصنع من المنسوجات القطنيّة والكتّانيّة وشقق الحرير وطول الشقّة عشرون ذراعا [6]والفوط وتصنع من المنسوجات القطنيّة والنّقاب وهو غشاء تستر به المرأة وجهها أو الخمار ويكون من القماش الأسود الخفيف ، فضلا عن الشّروب وهي منسوجات رقيقة تصنع من الكتّان وتدخل في لحمتها خيوط الذّهب [7].

وقد تعاظم شأن صناعة النّسيج في اليمن منذ العصر العبّاسي وضرب الصنّاع اليمنيّون بسهم وافر في صناعة الأقمشة، فغدت المنسوجات اليمنيّة تصدّر إلى الخارج لاسيما في إتّجاه البلاد المصريّة حيث كان المصريّون طوال العصر الإخشيدي يستوردون من اليمن المنسوجات التي إشتهر بإنتاجها والتي كانت تتميّز بزخارفها المؤلّفة من الخطوط المتعدّدة الألوان [8].

- المواد الخام ومواد الصّباغة المستعملة في صناعة النّسيج اليمنيّة :

عرفت اليمن أنواعا مختلفة من المواد الخام اللاّزمة لصناعة المنسوجات منها الصّوف وشعر الماعز والكتّان والقطن ، الذّي يعتبر من أهمّ المواد الخام الأساسيّة التي أستخدمت في عمل منسوجات الوصايل وذلك لقابليّته لإمتصاص

---

(1) البكري، جزيرة العرب ، ص 30.
(2) المسعودي ، مروج الذّهب ،ج2 ص 162.
(3) الجاحظ ، التبصّر بالتّجارة ، الطّبعة الثّانية ، المطبعة الرّحمانيّة ، القاهرة 1935م . ص19 .
(4) الأصفهاني ، الأغاني ،ج 9 ص 338.
(5) حامد خليفة ،الفنون الزخرفيّة اليمنيّة في العصر الإسلامي ، ص 172.
(6) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1ص 89 ، 141. حامد خليفة ،المرجع نفسه ، ص 172.
(7) ابن المجاور ،المصدر السابق ، ج 1ص89 ، 141 . حامد خليفة ،المرجع نفسه ، ص 172.
(8) كاشف (سيّدة إسماعيل) ، مصر في عصر الإخشيديين ، القاهرة 1970 م ص312 . حامد خليفة ، المرجع نفسه ، ص 157.

مواد الصّباغة [1] . وإلى جانب الخامات المحلّية اللاّزمة لصناعة النّسيج كانت اليمن تستورد خلال العهد الأيّوبي بعض الأقطان الجيّدة من الهند وخاصّة الأقمشة الخام الهندي وكان يؤخذ على الكورجة ديناران ونصف[2] ، إضافة إلى ثياب العراسنة التي كانت تصنع في دقلي بالهند وكانت من بين البضائع المعفيّة من الرّسوم[3] .

ومن الخامات الأخرى التي كانت تستورد من الخارج لصناعة النّسيج في اليمن خلال العهد الأيّوبي الكتّان وكان يؤخذ على سواس الكتّان الكبار جائز وقيراط وعلى الصّغير جائزان وفلسان [4] ، كما كانت اليمن تستورد الحرير من الشّام [5] .

وقد إستلزمت صناعة النّسيج في اليمن إستخدام طريقة الصّباغة في عمل المنسوجات ومن المعروف أنّ الأصباغ في العصور الوسطى كانت معظمها نباتيّة مستخرجة من بعض النّباتات[6] ، وقد إعتمد النسّاجون في هذا المجال على الأصباغ المحلّية أو المستوردة كالفوّة أو عروق الصبّاغين وهي مادّة أوّليّة للصّباغة تفرز اللّون الأحمر وقد كثر إستعمالها خلال العهد الأيّوبي وفي هذا الإطار يذكر ابن المجاور أنّه خلال سنة 615 هـ / 1218 م زرع الفلاّحون في جميع بلاد اليمن الفوّة وهو نوع من الأصباغ وأقلعوا عن زراعة الغلال كالحنطة والشّعير وما أن لاحظ النّاس العائد الكبير الذّي يعود عليهم من زراعة هذا النّبات زرعوه على إختلاف طبقاتهم ، فلمّا ملك الملك المسعود بلاد اليمن منع النّاس من زراعته وكان آخر العهد بزراعته سنة 624 هـ/ 1226م [7] ، أمّا في عهد الملك طغتكين فقد كان يؤخذ على البهار من الفوّة أثنا عشر دينار وكان من قبل يؤخذ عليه ديناران[8] .

ومن مواد الصّباغة المشهورة في اليمن طوال العهد الأيّوبي النّيل أو النّيلة وهي مادّة زرقاء يستعملها الصبّاغون وكان يؤخذ على القطعة منها أربعة دنانير وربع عند خروجها من ميناء عدن [9] ، كذلك كان الورس من الأصباغ المتداولة ببلاد اليمن منذ زمن سابق والورس نبات يشبه الزّعفران يعطي اللّون الأصفر وقد اشتهرت عدن ووادي الجنّات وشيعان بإنتاجه[10] ويروي الأصفهاني "أنّ جمال عمان

---

(1) حامد خليفة ، الفنون الزّخرفيّة اليمنيّة ، ص 167.

(2) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 141.

(3) حامد خليفة ، المرجع نفسه ، ص 168.

(4) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج 1ص141 .

(5) حامد خليفة ، المرجع نفسه ، ص 168.

(6) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج 2ص168 .

(7) المصدر نفسه ج 2ص175 .

(8) المصدر نفسه، ج 1ص140 .

(9) المصدر نفسه، ج 1ص140 .

(10) النّويري ، نهاية الإرب ج 1ص 340. الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص115 ، 136، 360. المقدّسي ، أحسن التّقاسيم ، ص98 . ابن منظور ، المصدر السّابق ، ج8 ص 141.

كانت تحمل الورس من اليمن إلى عمان فتصفّر "[1] ، وفي جبل المذيخرة كان ينبت الورس والزّعفران [2] ، إلى جانب مادّة " الحور الوطني " التّي كانت تزرع بوادي زبيد [3].

ومن المواد الصّباغيّة الأخرى المستعملة باليمن خلال العهد الأيّوبي توجد مادّة اللّك وهي مادّة صباغيّة حمراء كانت تصل عدن من الهند والهند الصّينية[4] . وقد ذكر ابن المجاور هذه المادّة ضمن السّلع التي توظّف عليها العشور بميناء عدن حيث كان يؤخذ على صاحبها ديناران إضافة إلى كميّة تتراوح بين ربع وثلث البضاعة[5].

كما تعرّض صاحب " تاريخ المستبصر " لمادّة الزّاج عندما ذكر أنّ أهل حضر موت كانوا يصبغون أثوابهم بهذه المادّة بقوله : " ويصبغ الثّوب بالزّاج ويرجع اللّون لا أخضر ولا أزرق إلاّ لون عجيب" [6]. إلى جانب مادّة الشبّ التّي كانت تستعمل في الصّباغة والدّباغة، وقد نال " الشّب اليماني" في هذا المجال شهرة واسعة[7] .

- أهمّ مراكز صناعة المنسوجات اليمنيّة :

إشتهرت كثير من المدن والقرى اليمنيّة بإنتاج المنسوجات وإختصت بعضها بإنتاج أنواع معيّنة حتّى صارت من أهمّ منتجاتها ، والتصق إسمها بإسم المدينة أو القرية التي تنتجها . وتعتبر عدن من أقدم المدن اليمنيّة المعروفة بمنسوجاتها الجيّدة من ثياب وأردية وريط وعمائم وكانت تصدّر أغلبها إلى سائر البلاد [8]ويروي الأصفهاني أنّ عاتكة بنت يزيد بن معاوية أهدت الحارث بن خالد المخزومي ثيابا عدنيّة[9] .

وكان الشّعبي يلبس بردا عدنيّا [10]وتذكر المصادر أنّ الإمام مالك كان يلبس الثّياب والرّيط العدنيّة الجيّدة [11]. ويبدو أنّ المنسوجات العدنيّة كانت ذات

---

(1) الأصفهاني ، الأغاني ، ج 18ص 318.

(2) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 43. ياقوت ، معجم البلدان ، ج 5ص 240.

(3) حامد خليفة ، المرجع السابق ، ص 169.

(4) Heyd, *Histoire du commerce*, T II p 624 .

(5) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر، ج1 ص 140.

(6) المصدر نفسه، ج2 ص 253.

(7) القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، سوسة. (د. ت) ص 150-151 .

(8) الحميري، الروض المعطار ، ص 360.

(9) الإصفهاني ، المصدر نفسه ، ج 3 ص102 .

(10) ابن سعد ، الطّبقات الكبرى ، ج 6ص 254.

(11) ابن قتيبة (عبد اللّه) ، المعارف ، القاهرة 1388هـ . ص498 . الذّهبي (شمس الدّين) ، تذكرة الحفّاظ ، حيدر آباد الدّكن ، الهند ، 1388 هـ . ج1 ص208 .

جودة عالية بدليل إرتفاع أسعارها، فقد كان مروان بن إبان بن عفّان يلبس رداءاعدنيّا بقيمة ألفي درهم [1]وقد عرفت المنسوجات العدنيّة في الحجاز والشّام والعراق [2] ممّا يدلّ على سعة إنتشارها وجودة صنعها .

وتبقى صنعاء من أهمّ مدن اليمن التي كانت تضمّ عددا هامّا من مناسج الطّراز الخاصّة وكانت هذه المناسج تقوم بنسج الأقمشة الخاصّة بالحكّام والملوك وحواشيهم بالإضافة إلى ما تحتاجه إليه الدّولة من خلع وأعلام وأقمشة للهدايا وكسوة للكعبة [3]، وإلى صنعاء ينسب الوشي وفي ذلك يقول الشّاعر :

وشيّ نضار صلاته بلجينـــــه   أعجب بحسن الوشي من صنعاء[4]

ومن المدن اليمنيّة المشهورة بمنسوجاتها خلال العهد الأيّوبي مدينة زبيد حيث كانت تخرج منها عديد المنسوجات وبها يقام سوق البزّ وقت القائلة بعد صلاة الظّهر[5] ، كما كان يباع بها الحرير الخام والقطن وبعض المنسوجات الأخرى كالملايا والجراب والفوط السّوسي[6] ،أمّا الأقمشة الصّادرة من هذه المدينة فقد كانت تصنع من الكتّان والقطن أو الحرير[7] .

كما إختصّت في المقابل سحول وهي بلدة تقع بين إبّ جنوبا وقفر يريم شمالا بإنتاج البرود الموشّاة وشرعب بإنتاج البرود الشّرعبيّة[8]، فضلا عن يريم ووصاب أين كـــان ينتج البزّ اليريمي والوصابي[9] وتنسب إلى جيشان باليمن الخمر السّود ويذكر ابن سعد أنّ عائشة زوجة النبيّ (ص) كانت تلبس خمارا أسودا جيشانيّا [10].

----

(1) الإصفهاني ، **الأغاني** ، ج 19ص 146-147.

(2) **المصدر نفسه** ،ج3 ص102 .ج7 ص19 .ابن قتيبة ، **المعارف** ، ص498 .ابن سعد، **المصدر السّابق** ، ج 6ص354 .الحميري ، **الرّوض المعطار** ، ص360 .

(3) الحميري ،**المصدر نفسه** ، ص 359. حامد خليفة ، **الفنون الزّخرفية اليمنيّة في العصر الإسلامي** ، ص172-173 .

(4) الحميري ،**المصدر نفسه** ، ص 360.

(5) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص88 .

(6) **المصدر نفسه** ، ج1ص 89.

(7) **المصدر نفسه**، ج1ص 89.

(8) البكري، **معجم ما استعجم**،ج2 ص374 .ج 3ص1052 . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 3ص220 ، 379 .ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن**، ص33 . المقدّسي ، **أحسن التّقاسيم** ، ص 36. ابن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان**، ص 36. حامد خليفة ،**الفنون الزّخرفيّة** ، ص 173.

(9) ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 2ص232 .

(10) ابن سعد ،**الطّبقات** ، ج 8 ص 73.

* دباغة الجلود والصناعات الجلدية:

من الصّناعات المشهورة باليمن خلال العهد الأيّوبي دباغة الجلود والصّناعات الجلديّة حيث كان الأديم أو الأدم من أهمّ صادرات اليمن طوال ذلك العهد بشهادة صاحب " تاريخ المستبصر " الذي يعرّج على ذلك بقوله : " ويدبغ الأديم في جميع أقاليم اليمن والحجاز ويبيعونه طاقات بالعدد وكذلك الحبشة وأعمالها ويسمّونه العجم أديم خوش وفي كوشك من أعمال الهند كذلك "[1] .ويضيف ابن المجاور في هذا الصّدد قوله : " قال حكيم لم يخرج من اليمن إلاّ وغد أو رائض قرد أو دابغ جلد " [2] .

غير أنّ تخصّص أهل اليمن في هذه الصّناعة قد سبق بكثير مجيء الأيّوبيين إلى هذا الإقليم كما أنّ شهرة الأدم اليمني والمنسوجات الجلديّة اليمنيّة قد ذاع صيتها منذ العصور الإسلاميّة الأولى[3] . ويستفاد من حديث خالد بن صفوان أنّ دباغة الجلود كانت من أهمّ الحرف التي زاولها أهل اليمن وفي ذلك يقول : " ماذا أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغ جلد ، أو ناسج برد ..." [4]، كما يفهم من شعر عبيد بن شريّة الذّي أورده في مقام الإفتخار بأبناء قحطان أمام الخليفة معاوية بن أبي سفيان أنّ بعض أفراد قبيلة مذحج قد زاولوا دباغة الجلود [5]وفي ذلك يقول ابن شريّة :

وجمع العشيرة في صفّنا ومذحج طرا عليها اللّيلب [6]

ولكثرة مزاولة هذه الصّناعة في منطقة حمير وصفت هذه القبيلة بكثرة الخرّازين فيها [7] ، ويرى أحمد فاروق أنّ " الدّباغة كانت العمل الوحيد لأكثر القبائل في اليمن " [8]، لكنّ هذا الرّأي يبقى في حاجة إلى مراجعة ذلك أنّ أكثر قبائل اليمن كانت قد زاولت صناعات أخرى كما اتّضح ذلك آنفا .

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 97.

(2) المصدر نفسه ، ج 1ص 97.

(3) ابن هشام ، سيرة النّبي (ص) ، ج 2ص 240.

(4) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص41 . المسعودي ، مروج الذّهب، ج 2ص183 . ياقوت ، معجم البلدان، ج 5ص448 .

(5) أخبار عبيد بن شريّة ، طبع مع كتاب التّيجان، حيدرآباد ، الهند . ص386 . نقلا عن فاروق (أحمد) ، " دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهلّ الإسلام " ، مجلّة العرب ، ج7 ج8 . الرّياض 1396هـ . ص546 .

(6) اللّيلب : جلد يخرز بعضه في بعض ويلبس على الرّؤوس .

(7) الحديثي ، أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص75 .

(8) فاروق ، " دباغة الجلود وتجارتها ... " مجلّة العرب ، ص547 .

ولقد ساعد على قيام مثل هذه الصّناعة في بلاد اليمن حسن المناخ في بعض مناطق هذا الإقليم وملاءمته للدّباغة ، إضافة إلى الموقع الجغرافي المناسب للبلاد اليمنيّة وهو ما جعل التجّار يصلون إليها دون عناء فضلا عن توفّر مختلف الحيوانات التي كانت تؤخذ منها الجلود كالإبل والبقر والغنم والماعز[1] إلى جانب مادّة القرظ التي كانت تستخدم للدّباغة في اليمن وكانت متوفّرة بكثرة حول مدينة صعدة التي يصفها الهمداني بأنّها في "متوسّط بلد القرظ "[2].

وقد إستمرّت شهرة بلاد اليمن في صناعة الجلود ودباغتها طوال العصور الوسطى حتّى أنّ مطاحن القرظ بلغت في صنعاء وحدها ثلاثة وثلاثين مطحنا خلال القرن الرّابع هجري / العاشر ميلادي [3] ويذكر ابن سعد أنّ علي بن الحسين في الحجاز كان يلبس خفّين غليظين من صنع اليمن[4] وكان بنجران وجرش أدما كثيرا [5]ومن صعدة كان يتّجهّز بالأديم لأنّ بها صناعة الأديم العديم المثال [6]. ويبدو أنّ تصدير اليمن للجلود المدبوغة قد إستمرّ خلال القرن الخامس هجري /الحادي عشر ميلادي حيث يذكر الرحّالة ناصر خسرو أنّ الجلود كانت تجلب من اليمن إلى اليمامة والأحساء[7].

وكانت اليمن خلال العهد الأيّوبي تصدّر من هذه الصّناعة ما يزيد عن حاجتها فكان الفائض من الجلود المدبوغة يحمل إلى العراق وخراسان وكرمان وما وراء النّهر وخوارزم وهجر فيتفرّق الأدم اليمني في أقاصي الأرض ودانيها على حدّ قول ابن المجاور[8] .

ومن أهمّ المدن التّي كانت قد اشتهرت بدباغة الجلود والصّناعات الجلديّة منذ العصر الجاهليّ مدينة صعدة وكان يعمل بها دباغ اليمن من الأدم

---

(1) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 168. ابن أبي ربيعة ، ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ج1 ص94 . أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص92 ، 93، 94 . ياقوت ، معجم البلدان ، ج 3ص 329. فاروق ، المقال السّابق ، ص 539.

(2) القرظ : شجر من العضاه يعرف بالسّلم ويعرف في اليمن بخرنوب الشّوك . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص249 . المظفّر الرّسولي (يوسف) ، المعتمد في الأدوية المفردة ، تحقيق مصطفى السقّا ، بيروت 1982م . ص384 ، 564 .

(3) الرّازي ، تاريخ صنعاء ، ص115 .

(4) ابن سعد ، الطّبقات ، ج5 ص 218.

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص43 . الأصطخري ، المسالك والممالك ، ص26 . المقدّسي ، أحسن التّقاسيم ، ص 98. أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص92 ، 93، 94 ، 95 .

(6) الحميري ، الرّوض المعطار ، ص361 .

(7) ناصر خسرو ، جزيرة العرب كما رآها الرحّالة ناصر خسرو ، ترجمة أحمد البدلي مجلّة كلّية الآداب ، جامعة الرّياض ، 1979 م . مجلّد 6ص40 .

(8) ابن المجاور ، المصدر السّابق ، ج1 ص98 .

والنّعال[1] ، كما عرفت صعدة بصناعة الأنطاع الحسنة والرّكاء الجيّدة [2]إلى جانب أديم الكتابة المعروف بالأديم الخولاني [3].

أمّا مدينة صنعاء فقد إشتهرت بصنع النّعال المشعّرة والأنطاع الجيّدة[4]، وتعتبر النّعال التّرخميّة المنسوبة إلى التّراخم وهم من بعض أشراف اليمن من أجود النّعال وكانت هذه الأخيرة معروفة في صنعاء وقد سمّيت بالتّرخميّة لأنّ التّراخم هم الذّين إبتدعوها [5]. كما كانت جلود البقر تجلب إلى صنعاء لدباغتها ولتصنع منها النّعال [6]وفي حضرموت كانت تدبغ الجلود و كذلك في ريدة الصّيعر التّي كانت تنسب إليها الأشلة الصّيعريّة [7]، وفي عدن تعلّم المقدّسي تجليد الكتب على طريقة أهل الشّام وكان أهل اليمن يعجبهم التّجليد الحسن ويبذلون فيه الأجرة الوافرة فكانوا يعطون الكتب للمقدّسي ليجلّدها وهو يفتخر بأنّه كان يعطى على تجليد المصحف دينارين [8].

ومن المصنوعات الجلديّة الأخرى " الأنطاع الصّت "[9] وهي التّي لا ينفذ منها الماء لمتانة صنعها ويروي الرّازي أنّ طاووس بن كيسان كان يستخدم الأنطاع للجلوس عليها [10]وكان يتّخذ الفرش النّفيسة من جلد النّمور[11] ، ويذكر الجاحظ أنّ الشّاعر أبا العتاهية أهدى للخليفة المأمون هدايا كثيرة منها نعالا سبتيّة وركاء يمانيّة[12] .

---

(1) ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 3ص 406. أبو الفدا ، **تقويم البلدان**، ص 94، 95. فرومان (أ) . مادّة " صعدة" ، **دائرة المعارف الإسلاميّة** ، الطّبعة الأولى ، مجلّد عدد 14 ص204 .

(2) الرّكاء : جمع ركوة وهو الزّق الصّغير . المقدّسي ، **أحسن التّقاسيم** ، ص86-87 ، 89 . الجاحظ ، **البيان والتّبيين**، ج4 ص 111.

(3) إبن حنبل (أحمد) ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1403هـ/ 1983م . ج4 ص 141.

(4) ابن رسته ، **الأعلاق النّفيسة** ، ص 112.

(5) الهمداني ، **الإكليل** ، تحقيق محمّد بن علي الاكوع ، بغداد1980 م ج 2ص296.

(6) الهمداني ،**صفة جزيرة العرب** ، ص 222 ، 362.

(7) الأشلة الصّيعريّة : جلد أو صوف أو شعر مطرّز يجعل على عجز البعير . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص 168.

(8) المقدّسي ، **أحسن التّقاسيم** ، ص108 ، 203 . متز ، **الحضارة الإسلاميّة** ، ص 327. حامد خليفة ، **الفنون الزّخرفية** ، ص 241.

(9) الهمداني ،**المصدر نفسه** ، ص 363.

(10) الرّازي ، **تاريخ صنعاء** ، ص345-346 .

(11) الهمداني ،**المصدر نفسه** ، ص 363.

(12) الجاحظ ، **المصدر السّابق** ، ج 4ص111 .

كمـا تصنع من الجلود السّروج والخيـام والحيـاض والأواني الجلديّة مثل العلاب [1] والقرب والعيبة والسّقا والدّلاء وغيرها ممّا تحتاجها الحياة في شبه الجزيرة العربيّة وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة :

ولا دلو إلاّ القعب كان رشاءه   إلى الماء ، نسع ، والأديم المضفر [2]

ولمّا كانت اليمن مشهورة بإنتاج العسل فمن المحتمل أنّ " الخافة " ، وهي فرو من الجلد يلبسه العسّال عند دخوله بيت النّحل ، كانت تصنع بها [3] أمّا عن الأدوات التّي كان الدبّاغون والخرّازون يستخدمونها فإنّ المصادر لا تفصّل عنها في الحديث لكن يبدو أنّ المحط وهي أداة تستعمل لصقل الأديم كانت أهمّ هذه الأدوات وكانت تصنع من الخشب وأحيانا من الحديد[4] ، أمّا المجلاة فتستخدم لتنظيف الوسخ العالق بالجلد [5]. وهناك أدوات أخرى تستخدم لأغراض مختلفة كالمنحاز والمبقر والمسرد والمفراص والمخصف[6] وقد ذكر ابن قتيبة الميجنة وهي التي يدقّ عليها الأدم من الحجرأو غيره [7].

* الصّناعات المعدنيّة :

تعدّ الصّناعات المعدنيّة من أهمّ الصّناعات القائمة باليمن خلال العهد الأيّوبي وذلك لما كان اكتسبه أهل هذا الإقليم منذ القدم من مهارات وفنون في صناعة التّعدين ، فضلا عمّا كانت تزخر به بلاد اليمن على مرّ العصور من ثروة معدنيّة قيّمة كانت دون شكّ دعامة أساسيّة لقيام مثل هذه الصّناعة وإزدهارها بهذا الجزء من بلاد العرب.

- ثروة معدنية هامّة :

إكتنزت البلاد اليمنيّة في أعماقها ثروة غزيرة ومتنوّعة من المعادن الثّمينة مثل الذّهب والفضّة والحديد والعقيق والجزع وقد كانت جميعها صالحة للصّناعة ، ففي أرض همدان كان يوجد معدن ذهب المخلفة [8]

---

(1) العلاب : جمع علبة وهي التي يحلب فيها وتعمل من جلود الإبل أمّا العيبة فهي وعاء من أدم . إبن قتيبة ، الشّعر والشّعراء ، ص219 .

(2) النّسع : السّير العريض الذي يستعمل لشدّ الرّحال على الرّواحل أمّا أديم المضفر فهو الجلد المدبوغ . ابن أبي ربيعة ، ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ج1 ص96 .

(3) ابن منظور ، لسان العرب، ج9 ص101 .

(4) فاروق ، " دباغة الجلود ... " ، مجلّة العرب ، ص 545.

(5) المرجع نفسه، ص545 .

(6) ابن سيدة ، المخصّص ، ج4 ص 100-115. فاروق ، المرجع نفسه ، ص 545.

(7) ابن قتيبة ، الشّعر والشعراء ، ص 305.

(8) الهمداني ، كتاب الجوهرتين العتيقتين ، تحقيق حمد الجاسر ، صنعاء 1985م . ص139 .

وفي منطقة خولان كان يوجد ذهب القفاعة [1]. ومن مناجم الذّهب الجيّد منجم عشم[2] ، كما اشتهرت معادن الذّهب والفضّة في جبل نقم قرب صنعاء إلى جانب أنواع متنوّعة من الأحجار الكريمة مثل الألماس الزّهري والأبيض والياقوت والجواهر والزمرّد والبلّور والزّجاج والجزع وكان ثمّة محلّ تحت حصن نقم يسمّى جرب الزّعفران يقال أنّ فيها معدن ذهب في تراب أصفر ، كما كان القطّاعون يجدون في أحجار الحبش الزمرّد الأخضر [3].

وتوجد معادن الذّهب والفضّة والأحجار الكريمة أيضا في بلاد برط[4] وفي الجوف وذمرمر وصرواح وسعوان[5]، وفي آنس معدن فضّة جيّد في بلد بني غصين وفي جبل أعسار معدن العقيق الملوّن كشبه عين البقر وكذا في ألهان ، وفي جبل ضوران معادن جمّة منها العقيق الأحمر الجيّد المسمّى بالعقيق اليماني وفي وادي مونا بموضع خربة البشارة يوجد معدن فضّة جيّد وفي جبل بني قشيب معدن العقيق وفي عتمة معدن ذهب ، وفي جبل هران شمال ذمار معادن كثيرة منها العقيق الأحمر الفاخر الأبيض والأصفر المورّد ، وفي بلد العقيق زبيد معدن الزّبرجد [6]ومن جبل شبام كان يستخرج العقيق والجزع وهي حجارة مغشّاة فإذا عملت صارت كالجوهر[7] ومن مقرى وهي قرية على مرحلة من صنعاء كان يجلب أجود أنواع العقيق ومنه يستخرج الجوهر [8].

ويعدّ معدن الرّضراض في اليمن من أشهر مناجم الفضّة في شبه الجزيرة العربيّة وقد فصّل عليه الهمداني الكلام فذكره بأنّه معدن لا نظير له[9] وكان الذّين يعملون فيه من الفرس الذين قدموا إلى اليمن زمن الجاهليّة وأيّام بي أميّة وبني العبّاس[10] وقد قال فيه البكري " الرّضراض أرض في ديار نهم من همدان وفيه معدن فضّة " [11] .

---

(1) الهمداني ، الجوهرتين ، ص139 . حامد خليفة ، الفنون الزّخرفية اليمنيّة ، ص16 .

(2) الهمداني ، المصدر نفسه، ص137 .

(3) العرشي ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، ص156 . السيّاغي ، معالم الآثار اليمنيّة، ص119 . حامد خليفة ، المرجع السّابق ، ص 16.

(4) برط : إسم يطلق على جبل واسع يقع في الشّمال الشّرقي من صنعاء على نحو مائتين واثنين وثلاثين كلم . حامد خليفة ، المرجع السّابق ، ص15 .

(5) سعوان : يقصد به عند أهل اليمن واد على مقربة من صنعاء في شمالها الشرقي على مسافة ثمانية كلم شمال جبل نقم . حامد خليفة ، المرجع السّابق ، ص 16. السيّاغي ، المرجع السّابق ، ص 119-120.

(6) السيّاغي، المرجع السّابق ، ص120-121 . حامد خليفة ، المرجع السّابق ، ص16-17 . الهمداني، الجوهرتين ، ص145-147 .

(7) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 2ص 184.

(8) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص62 .

(9) الهمداني ، المصدر نفسه، ص 151-152 .

(10) المصدر نفسه ، ج2ص 145.

(11) البكري ، معجم ما استعجم ، ج 2ص 655.

أمّا الحديد فقد كان من المواد الأساسيّة لصناعة التّعدين منذ العهد الجاهلي وقد أصبح مادّة إستراتيجيّة خلال العهد الأيّوبي حيث كان الصّراع على أشدّه بين رجالة الدّولة الأيّوبيّة وأيمّة الزّيديّة على المواضع التي يتوفّر بها هذا المعدن الثّمين [1] ولا أدّل على ذلك من أنّه خلال معاهدات الصّلح التي كانت تعقد بين الجانبين بين الفينة والأخرى كان الحديد من جملة مواد الشّروط لاسيما من جانب الأيّوبيين الذين كانوا يشترطون على رجال الزّيديّة تسليمهم كمّيات هائلة من الحديد ، ففي سنة 599 هـ/ 1203 م وأثناء إنعقاد إتفاق الصّلح بين الأتابك سيف الدّين سنقر والإمام الزّيدي عبد الله بن حمزة إشترط الأوّل على الثّاني أن يدفع له كلّ سنة مائة حمل من الحديد [2]، ونظرا لحاجة الأيّوبيين المتزايدة لهذه المادّة كانوا يلجؤون إلى إستيراد ما يكفيهم منها من الخارج [3] .

وكانت أكثر معادن الحديد توجد في منطقة حمير في جبل نقم وكانت حمير تصنع منه السّيوف اليرعيّشة [4]وأفضل سيوف اليمن ما كان من حديد نقم[5] ، غير أنّ أهمّ مناطق معادن الحديد في اليمن كانت منطقة صعدة[6] كما كان يستخرج هذا المعدن من أرض بجيلة[7] ، وذكر ابن المجاور وأبو مخرمة أنّ عدن سمّيت كذلك لأنّ بها جبل فيه معدن الحديد [8].

كما كانت تتوفّر بأرض اليمن العديد من المعادن الأخرى الهامّة كالكبريت الذّي كان يجلب من ذمار إلى سائر بلاد اليمن[9] ومن رداع ونقيل سمارة كان يؤتى بالنّحاس[10] ،أمّا عدن فقد كان بها موضع يعرف بالمملاح يجمّد فيه الملح[11] ومن جبل الشبّ كان يحصّل الشبّ اليماني [12].

----

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 121-122.

(2) **المصدر نفسه**، ص 102-103 .

(3) ابن المجاور ، **المصدر السّابق** ،ج1 ص140 .

(4) العرشي، **بلوغ المرام** ، ص 156. حامد خليفة ، **المرجع السّابق** ، ص17 . السّياغي ، **المرجع السّابق** ، ص 119.

(5) العرشي ،**المصدر نفسه**، ص156 .

(6) ابن حاتم ، **المصدر السابق** ، ص121-122. السّياغي ، **المرجع السابق** ، ص 71 ، 120. حامد خليفة ، **المرجع السابق** ، ص 18 .

(7) القزويني ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، ص 86.

(8) ابن المجاور ، **المصدر السّابق** ، ج 1ص 110. أبو مخرمة ، **ثغرعدن** ، ج 1ص 18.

(9) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 2 ص 190-191.

(10) السّياغي ، **المرجع السّابق**، ص 122. حامد خليفة ، **المرجع السّابق**، ص17 .

(11) أبو مخرمة ، **المصدر السّابق**، ج 1ص 39.

(12) القزويني ،**المصدر نفسه** ، ص 68.

- **مصنوعات متنوعة :**

لقد ترتّب عن وجود معادن غزيرة مختلفة ببلاد اليمن قيام عديد الصّناعات كالحدادة والصّياغة ومن ثمّة تنوّعت المنتوجات المعدنيّة اليمنيّة وذاع صيتها خارج حدود هذا الإقليم . فقد جاء في رواية المدائني أنّ إبراهيم بن مخرمة الكندي قال أمام الخليفة السّفاح العبّاسي بأنّه : " ليس من شيء له خطر إلاّ إليهم (أهل اليمن) ينسب من فرس رائع أو سيف قاطع أو درعة حصينة أو حلّة مصونة أو درّة مكنونة ... " [2].

فمن المعادن النّفيسة كالعقيق والجزع كان يصنع الخرز والفصوص والأواني والعقود [3]ومن أجود أنواع الجزع ، المعرق ، كان يتّخذ منه أواني لكبره وعظمه[4] وكان للجزع الظّفاري شهرة خاصّة[5] ، فقد روى الزّبيدي أنّ عائشة أمّ المؤمنين كان لها عقد من جزع ظفار[6] ويذكر الجاحظ أنّ خير العقيق اليماني الشّديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه خطوط . ومن الذّهب والفضّة كان يصنع الحلي وكان الصّاغة في اليمن يستعملون الرّمل الأحمر أثناء عملهم [7] وأهمّ منتوجاتهم الأساور والدّمالج والخلاخيل والخواتم والعقود ومن أشهر أعمالهم التّي كانوا يقومون بها تحلية السّيوف بالذّهب [8].

ومن الحديد كانت تصنع السّيوف اليمانيّة وهي من أجود أنواع السّيوف[9] ، كالسّيوف المشرفيّة والقلعيّة والأريحيّة واليرعشيّة نسبة إلى الملك شمر يرعش والسّيف المعروف بالصّمصامة المنسوب لعمرو بن معد يكرب [10] والرّماح الخطّيّة وهي أحسن أنواع الرّماح خفّة وصلابة

---

(1) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص68 .

(2) ابن فقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص39 .

(3) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص364 . ابن رستة ، الأعلاق النّفيسة ، ص112 .

(4) ابن فقيه ، المصدر السّابق، ص36 .

(5) ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ص 60. البكري ، معجم ما استعجم، ج 3ص 904.

(6) الزبيدي ، تاج العروس ، ج 20ص434 .

(7) الجاحظ ، التبصّربالتّجارة ، ص15 .

(8) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص270 . الجوهرتين ، ص 309 ، 365.

(9) الهمداني ، الجوهرتين، ص 297.

(10) المبرّد (محمّد) ، الكامل في اللّغة الأدب ، مطبعة حجازي القاهرة 1365هـ . ج 3ص82 . حامد خليفة ، الفنون الزّخرفيّة ، ص 61.

(11) شيحة (مصطفى عبد الله) ، مدخل إلى العمار والفنون الإسلاميّة في الجمهوريّة اليمنيّة ، 1987م ص 122.

وتثقيفا [1] ، إلى جانب أنواع متعدّدة من الخناجر والسّكاكين وأشهرها " الجنبيّة " والمقصود بها الخنجر أوالسكّين الكبير وسمّيت كذلك لأنّها توضع في الجنب و"الجنبيّة " يتزيّن بها الرّجال دون النّساء في اليمن وهي تعدّ إحدى مظاهر صناعة السّلاح اليدويّ التي بقيت من الصّناعات الحرفيّة في العصور الإسلاميّة الماضية [2].

كما إختصّ أهل اليمن في صناعة الدّروع السّلوقيّة[3] وفي ذلك يقول الهمداني "خربة سلوق يوجد فيها خبث الحديد ... وإليها كانت تنسب الدّروع السّلوقيّة[4] " . وقد إستفاد الحدّادون في اليمن من وجود جميع أنواع الجزع فعملوا منها ألواح وصفائح وقوائم سيوف ونصل سكاكين[5] ، ولمّا كانت معظم مناطق اليمن زراعيّة فمن المرجّح قيام بعض الصّناعات الحديديّة التي تتطلّبها الزّراعة مثل المساحي والفؤوس والمحاريث والمناجل وغيرها من الآلات التي يعتمد عليها في العمل الزّراعي .

وقد أشار ابن إيّاس من جهته إلى ما كانت شهدته صناعة التّعدين باليمن من تطوّر وشهرة خلال العهد الأيّوبي عندما ذكر أنّ أحد ملوك اليمن كان قد أهدى الملك الكامل صاحب مصر شمعدان مصنوع من نحاس [6] وقد وصفه صاحب " بدائع الزّهور " بأنّه أعجوبة وفي ذلك يقول :"... من نحاس أصفر وفيه حركة و يخرج منه عند طلوع الفجر شخص من نحاس لطيف الخلقة ، يخاطب الملك قائلا :" صبّحك الله بالخير ، قد طلع الفجر " أو صفير هذا معناه وكان الشّمعدان من صنعة الميقاتيّة ..." [7] .

* الصّناعات الخشبيــة :

ومن الصّناعات الأخرى المزدهرة باليمن خلال العهد الأيّوبي الصّناعات الخشبيّة حيث كان لتوفّر ثروة غابيّة هامّة بهذا الإقليم أثره الإيجابي على مثل هذا النّشاط الحرفي وقد بسط ابن المجاور الحديث حول المواضع

---

(1) تنسب الرّماح الخطّية إلى خطّ هجر وهي قرية من قرى اليمن تحمل إليها الرّماح من الهند وبها يقوم الصّناع بتثقيفها . القزويني ، آثار البلاد ، ص91 .

(2) شيحة ، مدخل إلى العمارة والفنون ، ص 134، 137. حامد خليفة ، الفنون الزّخرفيّة ، ص 61-62.

(3) الهمداني ،صفة جزير العرب ، ص143 . البكري ،معجم ما استعجم، ج2 ص752. ياقوت ، معجم البلدان ، ج 3ص 242.

(4) الهمداني ،المصدر نفسه ، ص143 .

(5) المصدر نفسه ، ص365 .

(6) ابن إيّاس ، بدائع الزّهور في وقائع الدّهور ، ج 1ص245 .

(7) المصدر نفسه ، ج 1ص245 .

والأماكن التي كان يقطع منها الخشب لأجل العمارات في ذلك العصر فيقول : " من معاملة ذؤال وادي نبع ووداي ريمان ووداي عرم ووادي جابية والمداراة وفي وادي زبيد سخمل والفائشي وغاية شجره الإسحل والسّيسان ..." [1]، لكنّ حاجة أهل اليمن المتزايدة لمثل هذه المادّة والنّقص الحاصل في بعض أنواع الخشب وخاصّة منها المعدّة لصناعة السّفن[2] جعل المزاولين لهذه الصّناعة يلجؤون إلى إستيرادها من الهند وجزر المحيط الهندي [3].

ومن الخشب كان يصنع الأثاث المنزلي كالأطباق والأقداح والأبواب والنّوافذ وغيرها كالأطباق الحرازيّة التي كانت تعمل في بلدة حرازة [4]والأقداح الجيشانيّة التّي كانت تعمل في جيشان [5]ويبدو أنّ هذه الأقداح كانت تعمل من نبات يسمّى الشقب[6] ، كما كانت تصنع الرّحال التي توضع على ظهر البعير المعدّ للرّكوب وكانت تغطى بالأقمشة اليمانيّة المنقوشة [7]وفي ذلك يقول الشّاعر :

ومنقوشة نقش الدّنانير عوليت   على عجل فوق العتاق العياهم[8]

كما كانت تصنع أيضا أدوات القتال كالرّماح والسّهام والنّبال والأقواس من أخشاب الأشجار التي كانت تنبت في اليمن كالتألب والشّوحط والنبع حيث كانت تصنع الأقواس في بلاد مران من خولان الذّين " كان فيهم أكثر صنعة خولان " وإليهم تنسب الأقواس المرانية[9] ، كما تصنع في اليمن الرّماح والأسنّة اليزنيّة[10] والرّماح السّمهريّة والشّرعبيّة والشّراعيّة [11] وقد إشتهرت صعدة بالسّهام الجياد وإليها تنسب النّصال الصّاعديّة[12] .

---

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص 63.

(2) Heyd, *Histoire du commerce*, TII p p 23-24.

(3) لومبارد (موريس) ، **الجغرافيا التاريخيّة للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى** ، تعريب عبد الرّحمام حميدة ، دمشق 1979م . ص229 .

(4) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص209 . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 2ص234 .

(5) ياقوت ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص200 .

(6) آل ياسين (محمّد حسن) ، **معجم النّبات والزّراعة** ، بغداد1406 هـ/1986 م . ج 1ص83 .

(7) أبو عبيدة (معمّر) ، **كتاب النّقائض** ، طبعة ليدن بريل سنة 1908-1909م . ج2 ص 756 .

(8) قوله " ومنقوشة " يعني رحالا تعمل باليمن ينقشونها ويحسنون عملها وقوله " فوق العتاق العياهم " يعني ضخام الإبل . أبو عبيدة ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص 756.

(9) الهمداني، **الإكليل** ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع ، القاهرة 1383هـ. ج1 ص325.

(10) نسبة إلى ذي يزن وهومن ملوك حمير. الهمداني ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص239 . البكري ، **معجم ما أستعجم**، ج4 ص394 .

(11) الهمداني ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص 341.

(12) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص98 . البكري ، **معجم ما أستعجم**، ج 3ص832 .

وقد أستعمل الخشب أيضا في تجهيز المنشآت الدّينية خلال العهد الأيّوبي وطوال العصر الإسلامي ، حيث صنعت منه المنابر والمقاصير والدّكك وكراسي المصاحف والأسياج والأحجبة والمشربيّات والأفاريز والمحارب الخشبيّة المتنقّلة والتّوابيت[1]. ولا يزال منبر جامع الجند الذّي يرجع تاريخه إلى سنة 588 هـ / 1202 م ، كما تشير إلى ذلك الكتابة المحفورة على أحد جوانبه[2] ، وتابوت الإمام الزّيدي عبد الله بن حمزة المتوقّي خلال سنة 614 هـ/ 1217 م [3] ، خير شاهد على ما عرفته الصّناعة الخشبيّة ببلاد اليمن من تطوّر وإزدهار كبيرين طوال العهد الأيّوبي .

* صناعات أخرى :

من الصّناعات الأخرى المنتشرة في اليمن طوال العصور الوسطى صناعة العطور، وقد إشتهرت اليمن بوجود الكاذي وهو نوع من الطّيب النّفيس الذّي لا مثيل له [4]. ويروي إبن سعد أنّ عبد الله بن أبي ربيعة كان يبعث بعطر إلى المدينة ليبيعه فيها [5] ، ويورد المرزوقي عن عدن قوله : " وطيب الخلق جميعا بها يعبّأ ولم يكن أحد يحسن صنعه من غير العرب ، حتّى أنّ تجّار البحر لترجع بالطّيب المعمول تفخر به في السّند والهند وترتحل به تجّار البرّ إلى فارس والرّوم وأنّ بالنّاس على ذلك اليوم ما يحسن اليوم عمله إلاّ أهل الإسلام بعدن " [6]ومن المحتمل أنّ هذه الصّناعة كانت رائجة بسبب كثرة العنبر في سواحل عدن [7].

كما إشتهرت أيضا بلاد اليمن بصناعة الفخّار[8] والزّجاج[9] فتنوّعت منتوجاتها من الأواني كالأكواب والقدور والقلال ، التي كان يوضع فيها الماء للشّرب في صنعاء[10]. وقد تمّ العثور على بعض اللّقى الزّجاجيّة في منطقة السّوق بمدينة براقش خلال سنة 1989 م ، وهي عبارة عن قطع زجاج معظمها مكسور تشكّل بعض أجزاء من أواني وقنينات وكؤوس ويتميّز بعضها برقّة جدرانه الشّديدة والبعض الآخر بسمك جدرانه، مثلا على ذلك قطعة كانت تشكّل في الأصل جزءا من

---

(1) شيحة ،مدخل إلى العمارة والفنون، ص 139.

(2) شيحة ، المرجع نفسه ، ص147 . حامد خليفة ، الفنون الزّخرفيّة ، ص81-84 .

(3) حامد خليفة ، المرجع نفسه ، ص 98.

(4) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 363. ابن المجاور ، المصدر السابق ، ج1 ص 81.

(5) ابن سعد ، الطّبقات ، ج8 ص300 .

(6) المرزوقي (أبو علي) ، الأزمنة والأمكنة ، حيدر آباد الدكن ، 1332هـ . ج 2ص 164.

(7) المقدّسي ، أحسن التقاسيم ، ص97 . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص32 . مقبل سيف ، دراسات في التّاريخ اليمني ، ص95 .

(8) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص355 . شيحة ، المرجع السّابق ، ص 111.

(9) حامد خليفة ، المرجع نفسه ، ص 215-216. شيحة ، المرجع السّابق ، ص 117.

(10) الرّازي ، تاريخ صنعاء ، ص 202.

كأس زجاجي يبلغ إتساع قطر فوهته 7 صم و يتميّز زجاجه باللّون الأزرق الفاتح ولهذا الكأس حافّة بارزة ويمكن إرجاعها إلى فترة القرن السّادس هجري / الثاني عشر ميلاد [1] .

كما تمّ العثور في موقع" Kawd am-Sailah " في سهل عدن على كميّات من الزّجاج على السّطح تشتمل على قطع من الزّجاج الأخضر اللّون وبعض المواد المتكلّسة أو شبه المصهورة يصنع منها الزّجاج إلى جانب بعض الأفران وهو ما يبرهن على وجود صناعة محليّة للزّجاج في تلك المنطقة[2]. ويذكر ابن المجاور أنّ اللّخبة بلدة حول عدن كان ينقل منها الآجر والزّجاج إلى عدن [3] ، أمّا قرية الدّمينة الواقعة في منتصف الطّريق بين تعزّ و زبيد فقد كان يعمل بها الخزف [4].

وتعمل الآنية أيضا في اليمن من الأحجار كحجر الهيصمي الذّي يشبه الرّخام إلاّ أنّه أشدّ بياضا منه [5] ، كما إعتمد أهل اليمن مادّة الجصّ كثيرا في بناءاتهم وذلك ما تعكسه بجلاء الثّروة الضّخمة من الزّخارف الجصيّة الكتابيّة والنّباتيّة والهندسيّة التي تزخر بها المساجد والمدارس والأضرحة اليمنيّة المختلفة[6] .

ويستخدم الجصّ عادة في كسو جدران العمائر من الدّاخل أو الخارج لتغطية قوالب الطّوب أو أحجار البناء وإكسابها شكلا منسجما وتطلق لفظة الجصّاص على الذّي يتخّذ الجصّ ويعمل فيه وقد جرت العادة أن تكون أتاتين الجصّ خارج المدن [7] ، أمّا الرّخام فرغم إزدهار صناعته فقد ظلّ إستعماله حكرا على الطّبقة الحاكمة في اليمن وفي ذلك يقول ابن فضل اللّه العمري : " وإنّ لأهل اليمن سيادات منها الدّيارات الجليلة والمباني الأنيقة إلاّ الرّخام ودهان الذّهب واللاّزرود فإنّ هذا من خواصّ السّلطان لا يشاركه فيها مشارك من الرّعايا ولا من الأعيان وإنّما فرش دورهم بالخافقي وما يجري مجراه " [8] .

ولمّا كانت اليمن إقليما زراعيّا فمن المرجّح أن تكون قد قامت بها بعض الصّناعات المعتمدة على الإنتاج الزّراعي كعمل الأقفاص والحصر من سعف النّخل حيث ورد ذكر الخوّاص الذّي يعمل الخوص في صنعاء [9] ، كما ترتّب عن

---

(1) حامد خليفة ، الفنون الزّخرفية ، ص216 .

Porter (V)," The Art of the Rasulids", in *Yemen 3000 years of Art and Civilistation*, p 236.

(2) Ibid, p 236.

(3) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص 148.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ص 233.

(5) الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ص 363.

(6) حامد خليفة ، المرجع نفسه ، ص177 .

(7) المرجع نفسه ، ص178 .

(8) العمري ، مسالك الأبصار ، ص55 .

(9) الرّازي ، تاريخ صنعاء ، ص304 . آل ياسين ، معجم النّبات ، ج 1ص 82.

وجود العسل بكثرة بهذا الجزء من بلاد العرب إنتشار صناعة الشّهد الحضوري الجامد الذّي يقطع بالسّكاكين وقد إشتهرت هذه الصّناعة بهذا الإقليم منذ العهد الجاهلي [1] ويصف الهمداني صناعة الشّهد فيقول : " وصفة عمله أن يحرق في الشمس ويصير في عقود قصب اليراع وأقيمت تلك القصة أياما في بيت بارد حتّى يعود إلى جموده ، ثمّ ختمت أفواه القصب بالقصّة ، وحمل ، فإذا أريد تقديمه على الموائد ضرب بالقصّة الأرض فأنفلت عن قصبة عسل قائمة فقطعت بالسّكاكين " [2] ومن سكّر العشر الذّي ينبت في اليمن كانت تصنع قطع من السكّر على شكل قوالب [3].

تلك هي أهمّ الصّناعات والحرف القائمة باليمن خلال العهد الأيّوبي وهو ما يدلّ على أنّ بلاد اليمن قد شاركت الأمصار الإسلاميّة الأخرى النّشاط الحرفي الصّناعي وكانت صناعاتها ذات جودة وقيمة وكان بعضها يصدّر إلى الأقاليم الأخرى حتّى صارت له شهرة كبيرة كالأنسجة اليمانيّة والسّيوف والأدم ، أمّا عن الصّنّاع الذّين زاولوا هذه المهن فإنّ المصادر التي بين أيدينا لا تعطينا صورة واضحة عن تنظيم عملهم وأحوالهم المعيشيّة وعلاقاتهم ومشاكلهم ، لكن من المرجّح أنّ هذه الصّناعات المزدهرة في إقليم اليمن كانت منظّمة في إطار أسواق مختصّة حيث تتجمّع كلّ فئة من الحرفيّين في موضع ما من المدينة حسب طبيعة حرفتهم لمزاولة نشاطهم الصّناعي والتّجاري على حدّ السّواء.

ب - الأسواق والمعاملات التّجاريّة :

* الأسواق :

بدأت الإشارة إلى ما يمكن تسميته بنظام الأسواق المختصّة خلال القرن الثّالث للهجرة /التّاسع للميلاد حيث أصبحت المدينة الإسلاميّة منذ ذلك العهد مقسّمة طبوغرافيّا حسب جملة من الأنشطة الحرفيّة المتنوّعة[4] .

ويرى" ماسّينيون" Massignon أنّ المدينة الإسلاميّة بنيت في الأساس على فكرة " السّوق " التّي أدّت إلى نشوؤ ما يمكن أن نطلق عليه إسم " الرّابطات الحرفيّة " [5]، أمّا " قويتين" Goitein فإنّه يؤكّد من جهته أنّ " السّوق " هو الشيء الجديد في مدينة الشّرق الأدنى والعصور الوسطى فهو في رأيه ظاهرة جديدة تماما وفريدة من النّاحية الطّبوغرافيّة والإقتصاديّة والإجتماعيّة[6] .

---

(1) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص358 . الإكليل، ج2 ص268 .

(2) الهمداني ، صفة الجزيرة العرب ، ص358 .

(3) المصدر نفسه ، ص360 .

(4) لويس ، " النّقابات الإسلاميّة " ، مجلة الرّسالة ، ص 696.

Massignon (L) , art " Sinf ", *EI* 2 , Vol IV , p 455.

(5) Ibid, Vol IV, p 455.

(6) Goitein, *A Meditteranean Society*, Vol IV, p 3.

وتعدّ ظاهرة الأسواق باليمن من المظاهر الإقتصاديّة العريقة بهذا الإقليم حيث كانت تقوم بها أربعة أسواق من جملة عشرة أسواق مشهورة كانت تلتئم بجزيرة العرب خلال العهد الجاهلي[1] ، وهذه الأسواق هي سوق عدن وكانت تقوم في أوّل يوم شهر من رمضان ومنها كان يحمل الطّيب إلى سائر الآفاق وسوق صنعاء وكانت تقوم في النّصف من شهر رمضان وسوق الشّحر ، شحر مهرة ، وكانت تقام في النّصف من شعبان ثمّ سوق الرّابية بحضر موت وكانت تقام في النّصف من ذي القعدة ولم يكن يوصل إليها إلاّ بخفارة وكانت كندة تخفر فيها[2] ، كما كانت تقام بعض الأسواق الأخرى على مختلف الطّرق التّجارية المارّة بأرض اليمن كسوق نجران وسوق الجند الواقعتين على طريق الحجاز[3] .

وقد تنوّعت الأسواق باليمن بتنوّع منتوجاتها وسلعها فكانت هناك أسواق تلتئم بصفة دوريّة كلّ أسبوع وتعرف بأسواق الوعد وكانت مناسبة تعرض فيها مختلف البضائع والمنتوجات الفلاحيّة والصّناعيّة للمنطقة التي تقوم فيها تلك السّوق كما هو حال مدينة زبيد[4] وفي ذلك يقول ابن فضل الله العمري : " ... وليس باليمن أسواق دائمة إنّما بها يوم من الجمعة تجلب فيها الأجلاب ويخرج أرباب الصّناعات والبضائع ببضائعهم على إختلافها وتقام في ذلك اليوم الأسواق ويباع ويشترى فمن أعوزه شيء في وسط الجمعة لا يكاد يجده إلاّ المأكل فإنّها دائمة كغيرها من البلاد ... " [5].

لكن إشارة العمري السّابقة تنفي وجود أسواق دائمة ببلاد اليمن وهو ما يتعارض مع أورده المقدّسي خلال القرن الرّابع هجري / العاشر ميلادي عندما وصف زبيد بأنّها كانت أعمر من مكّة وأكبر وأرفق رغم ضيق أسواقها وإرتفاع أسعارها [6].

كما عرفت اليمن في المقابل ظاهرة التخصّص في الأسواق حتّى أصبح لكلّ حرفة سوق خاصّة بها ، فقد أشار ابن المجاور الذي زار بلاد اليمن خلال العهد الأيّوبي إلى سوق البزّ التي كانت تقام في زبيد أثناء القائلة وكانت تعرض فيها أصناف من الأقمشة والثّياب المنسوجة في المدينة[7] ، كما كانت صنعاء في الأثناء مكانا تتجمّع فيه شتّى الأسواق المتخصّصة كما يشير إلى ذلك صاحب " قانون صنعاء" كسوق البزّ وسوق الحضرمي وكانت تباع بها الملابس الحضرميّة وسوق الفضّة

---

(1) اليعقوبي ، تاريخ ، ج 1ص270 . ابن حبيب ، المحبّر ، ص266 .

(2) ابن حبيب ، المصدر نفسه ، ص266 . اليعقوبي ، المصدر نفسه، ج 1ص270 . الشّجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، ص 88.

(3) الشّجاع ، المرجع نفسه ، ص88 . الأفغاني ، أسواق العرب ، ص 235-238.

(4) الخزرجي ، العقود اللّؤلؤية ، ج 2ص 168.

(5) العمري ، مسالك الأبصار ، ص 156.

(5) المقدّسي ، أحسن التقاسيم. ص 84-85.

(6) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 88-89.

وســوق العطر وســوق الحــرير وأكــثـــر بضـاعـــتـــه تـســتـــورد من الـشّـــام وسوق الحبّ أو الحـبـوب وسـوق الملح وسـوق الزّبيب وسـوق الحنّة وسـوق الغنم وســوق الحطب وســوق الـبـقــر والـبـهـائـــــــم وسـوق الجـمــال وسـوق الخـيل والبـــغـــال وســـوق العلف ،أمّــا أصــحـــاب المـــهـن والأعـــمـــال الحـــرفـــيّـــة فقد كـانوا بدورهـم كثرة كالحمّـالين والسقّائين والخبّازين والـحدّادين والبيطريين والنجّارين والنحّاسين [1].

ولم تكـن هذه الأســواق المتـخـصّـصـة حكرا علي المـسلمـين وعلي العـرب فـقـد كـانت توجـد بأسواق صنعـاء جـمـاعـات حـرفـيّـة غـيـر إسـلامـيّـة وغير عربيّـة كالهنود واليهود [2]، وفي هذا الصّدد يشير كلّ من "شيفيتيال " Shivitiel و" قويتين "Goitein إلي مهارة بعـض يهــود اليمـــن في العديد مــن الصّناعــات وتخصّصهم في شتّي الحرف والمهن اليدويّة [3].

وقد إعتنـي الأيّوبيـون في اليـمن بـالأنشطة الإقـتـصـاديّة داخل المـدن وهيّؤوا لهـا جـمـيع الظّروف الملائـمـة وفي هذا السّيـاق أشادت مـختلف المـصـادر بمـا أتاه والي عدن عـثمان الزّنجيلي أيّام الملك المعظّم توران شاه عندمـا بني الأسواق والدّكـاكـين والـقـيـصـاريّات وهي عـبـارة عن مـجـمّـع تجـاري ضـخـم يضمّ عـددا من الدّكاكين المسقوفة [4] ، كمـا بني الملك المعزّ إسمـاعيل بن طغتكين بنيـانا جميعـها دكاكين بـالبـاب والقفل وللعطّارين قيـصاريّة جديدة ثمّ لمّا كـان عهد الملك المسعود يوسف أعـاد بنـاءها المـعـتـمـد رضيّ الدّين مـحـمّـد بن علي التّكريتي [5] ، أمّـا ابن المجاور فـإنّه يشير من جهته إلي وجود أسواق مختصّة بعدن كسوق الخزف وسوق الخضر والجواري والرّطب واللّحم وجميع الدّواب [6].

---

(1) حامد خليفة ، الفنون الزّخرفيّة ، ص 171.
Serjeant (R.B) and Ismaïl al-Akwa, " The Statue of San'a (Qanun San'a) , in *SAN'A an Arabian Islamic City*, p 181 .

(2) السّياغي (حسين) " قانون صنعاء " دراسات يمنيّة ، عدد ، صنعاء 1982م . ص 126-158.
Ibid, p181.

(3) Goitein, *A Mediterranean Society* , Vol I p 93.
Serjeant and Ismaïl al-Akwa, " The Statues of San'a", *loc. cit* , p 181 .

(4) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 130. أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 1ص 48. كريم إبراهيم ، " الفعاليّات الإقتصاديّة لميناء عدن خلال القرنين الخامس والسّادس هجري " المؤرّخ العربي ، ص 179.

(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1ص 130. أبو مخرمة ، المصدر نفسه ، ج 1ص 48. كريم إبراهيم ، " الإنجازات العمرانيّة لنائبي بني أيوب في عدن عثمان بن علي الزّنجيلي والمعتمد التّكريتي " ، التّراث ، عدن 1992م . عدد5 ص 27-37.

(6) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1ص 132. 148 .

وكما سهر ملوك بني أيّوب باليمن على إقامة الأسواق وتجهيزها بما يلزم حرصا منهم على توفير أسباب الرّاحة والأمن لمختلف الشّرائح والفئات الإقتصاديّة العاملة بها عملوا في المقابل على تنظيم المعاملات بها وتوفير الوسائل والأدوات التي من شأنها أن تيسّر كلّ عمليّات التّبادل التّجاري داخل الأسواق طوال ذلك العهد .

* المعاملات التّجاريّة . نظامها ووسائلها :

- نظام المعاملات :

أشرف الحكّام باليمن منذ القدم على تنظيم الأسواق وإحاطة المعاملات بها بجملة من التّراتيب والقوانين التي تضبطها ، فقد جاء في نقش على مسلّة عثر عليها في أطلال مدينة تمنع عاصمة قتبان نصّ قانون ينظّم أحكام التّجارة في سوق هذه المدينة والمناطق المجاورة لها [1].

وبظهور الإسلام سهر على تطبيق هذه القوانين مجموعة من الموظّفين لعلّ أهمّهم المحتسب أو "صاحب السّوق "ومهمّته مراقبة وسائل التّبادل التّجاري بالأسواق من عملة ومكاييل وموازين ومراقبة الغشّ والتّدليس في المعيشة وغيرها وفي المكاييل والموازين والبحث عن المنكرات والتّعزير والتّأديب على قدرها[2] ، وقد وجدت هذه الوظيفة في أسواق اليمن خلال العهد الأيّوبي كما يؤكّد ذلك أبو مخرمة عندما يشير إلى تجاوزات صاحب السّوق بمدينة الكدراء في أيّام الملك سيف الإسلام طغتكين [3].

ولضمان واردات ماليّة قارّة من هذه الأسواق إلتجأت الدّولة الأيّوبيّة باليمن إلى نظام التقبّل أو الضّمان وهو نظام مالي غير شرعي أشبه بنظام الإلتزام يتعهّد بموجبه الضّامن أن يدفع إلى الدّولة سنويّا مبلغا إتّفاقيّا عن قيمة الضّرائب أو المكوس المفروضة على الجهة أو العمل الذّي تضمّنه مقدّما وعادة ما يكون هذا المبلغ أدنى من العائد الذّي سيحصّله الضّامن من هذه الجهة [4] . وتعود أقدم إشارة إلى هذا النّظام في اليمن إلى ما أورده ابن حوقل عن وجود نظام التقبّل بزبيد خلال القرن الرّابع هجري / العاشرميلادي[5] ، وقد تواصل

---

(1) عبد الله (يوسف محمّد) ، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره ، بيروت1990 م . ص 239.

(2) ابن خلدون، المقدّمة ، دار الجيل بيروت (د. ت) ص 249. الماورديّ (أبو الحسن علي) ، الأحكام السّلطانيّة والولايات الدّينيّة ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1410هـ/ 1990م . ص 391.

Cahen (Cl) et Talbi (M) , art " Hisba ", *EI*², pp503-505.

(3) أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص134 .

(4) الماوردي ، الأحكام السّلطانيّة ، ص 302-303.

Cahen (Cl) , art " Bayt al-Mal ", *EI*², p1178.

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 32.

العمل بنظام الضّمان زمن الأيّوبيين حيث أشار أبو مخرمة إلى مساوئ هذا النّظام المجحف عندما نقل لنا صورة تعكس سوء معاملة " المتقبّل " أو الضّامن " بسوق الكدراء لرجل من أهل سهام إلى حدّ تعنيفه[1] ، وهو ما جعل الملك سيف الإسلام طغتكين يتدخّل بنفسه لإنصاف هذا الرّجل من ظلم "صاحب السّوق" أو " الضّامن " فقام بإستدعاء والي المدينة والضّامن والمشتكي فلمّا إجتمعوا أمر بشنق الضّامن في السّوق وفصل الوالي عن تلك الجهة وولّى غيره وقال : " يظلم مثل هذا عندكم ولا تنصفوه وتكلّفوه الوصول إلى أبوابنا وهو لا يقدر والله لئن أتاني أحد شاكيا لأشنقنّ الوالي فلم يمدّ أحد يده إلى ظلم أحد بعدها " [2]. أمّا ابن المجاور فقد أشار من جهته إلى تعميم نظام التقبّل في أواخر العهد الأيّوبي على يد الأمير الرّسولي نور الدّين عمر بن علي بن رسول وذلك خلال سنة 625هـ/ 1227 م حتّى أنّه لم يبق شيء يدور عليه إسم أوحرف إلاّ وقد رجع فيه ضمان ما خلا الماء والسّمك [3].

- وسائل التّعامل التّجاري :

المقصود بوسائل التّعامل التّجاري الأدوات المعتمدة في الأسواق لضبط المعاملات التّجاريّة بين النّاس ، وهي تتمثّل أساسا في المكاييل والموازين والمقاييس وتعرف في المصادر الكلاسيكيّة بالمثمّنات، إلى جانب النّقود أو المسكوكات التّي تعرف بالأثمان [4].

I - الموازين والمكاييل والمقاييس :

يعتبر إبن المجاور أهمّ مصدر يمكن الرّجوع إليه لمعرفة معاليم ووحدات الوزن والكيل والقيس المتداولة في الأسواق اليمنيّة طوال العهد الأيّوبي لاسيما وأنّ صاحب " تاريخ المستبصر " يعدّ شاهد عيان فيما ينقله من أخبار في هذا المضمار. فأمّا معايير الوزن فتتمثّل خاصّة في البهار وهو أكبرها وتعادل قيمته ثلثمائة رطل بغدادي[5]، ويحدّد البهار وزنا بالقبّان فتوزن به شتّى البضائع كالفوة والطّباشير والقطن والفلفل[6] . كما يوجد أيضا معيار الفراسلة وهي من الأوزان لكنّها أقلّ قيمة من البهار بما يساوي عشرين رطلا ، وكانت تستعمل في عدن لوزن القرنفل والزّعفران والكافور[7] ،أمّا الرّطل فيبدو أنّه كان متداولا في تجارة

---

(1) أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص 134.

(2) المصدر نفسه، ج 2ص 135.

(3) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1 ص144-148 .

(4) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 3ص440-446 . الماوردي ، الأحكام السّلطانيّة ، ص275-277 .

(5) صالح شهاب ، "عدن فرضة اليمن ". ص 125.

(6) ابن المجاور ، المصدر السّابق ، ج 1ص140-141 .

(7) ابن المجاور ، المصدر السّابق، ج1 ص 140.

التّفصيل أكثر من تجارة الجملة لإنخفاض قيمته مقارنة بالبهار والفراسلة كما تبيّن ذلك آنفا .

كما توجد أيضا أنواع أخرى من وحدات الكيل وأهمّها المدّ والمنّ والزّبدي والسّنجة ، فالمدّ وهو أكبر المكاييل كان يزيد على حمل الجمل الضّخم بما يعادل ألفين وثمانية وأربعين رطلا [1] . أمّا المنّ فقيمته تعادل الرّطل وزنا [2] وقيمته نقدا تختلف من بضاعة إلى أخرى ، حيث كان يقدّر من الحبوب بمائتين وأربعين درهما " [3] ومن الحرير بمائتين وستّين درهما ومن اللّحم بأربعمائة درهم " . كذلك حال الزّبدي الذّي كان غير ثابت القيمة من بضاعة إلى أخرى ومن وقت إلى آخر وفي ذلك يقول ابن المجاور : " ويتعاملون زبدي الجند بخمسة عشر إلى مدّة ستة أشهر وقت الغلال [4] " ، وكانت قيمته وزنا تعادل الثّمانية أرطال في تعزّ وأربعة أضعاف ذلك في زبيد على حدّ قول الخزرجي [5]. هذا إضافة إلى وجود مكاييل أخرى محلّية لم تكن لها أهمّيّة المكاييل المذكورة آنفا وفي هذا الإطار يمكن ذكر السّنجة وقد ذكرها ابن المجاور دون تحديد قيمتها شأنها في ذلك شأن القفعة [6]، أمّا الجفنة فهي مكيال لبيع السّمن تبلغ قيمته في زبيد خمسة أمنان [7].

وإلى جانب الموازين والمكاييل توجد وحدات قيس لتقدير الأطوال والمساحات وأهمّها الذّراع نسبة إلى ذراع اليد الممتدّة ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى [8] ، كما توجد أيضا القصبة ويبلغ طولها أربعة أذرع [9].

وقد أستحدثت بعض الوحدات الأخرى التّي إعتمدت الذّراع أو العدّ كأساس لها كالبردة التّي تبلغ ثمانية أذرع بذراع اليد ، وشقّة الحرير التي يبلغ طولها عشرون ذراعا بذراع الحديد ، والسّباعيّة وقياسها سبعة أذرع طولا وأربعة أذرع عرضا، والبيرم طوله ستّة أذرع ، والكورجة تضمّ عشرون قطعة من الثّياب ، في حين يعادل الحمل مائة وإثنتين وعشرين بردة [10] . أمّا المساحات الكبيرة

---

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص89 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص390 . الشّجاع ، **اليمن في عيون الرّحالة** ، ص 177.

(2) الشرباصي (أحمد) ، **المعجم الإقتصادي الإسلامي** ، بيروت 1981م ص443-444 .

(3) ابن المجاور ، **المصدر السابق** ، ج1 ص 89.

(4) **المصدر نفسه** ، ج1 ص 59.

(5) الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1ص 136.

(6) ابن المجاور ، **المصدر السابق** ، ج1 ص 89 ، 140.

(7) **المصدر نفسه** ، ج1 ص 89.

(8) ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج8 ص93 .

(9) ابن المجاور ، **المصدر السابق** ، ج1 ص 145.

(10) **المصدر نفسه** ، ج1 ص 89.

فتقاس بالمعاد وهو في عرف اليمنيّين ثمانون قصبة، أيّ ما يعادل فدّانا مصريّا تقريبا [1].

II - المسكوكات . الدّينار الذّهبي والدّرهم الفضّي والفلس النّحاسي أهمّ النّقود الأيّوبية باليمن :

لمّا قامت الدّولة الأيّوبيّة باليمن كان الدّينار الملكي الموروث عن الصّليحيين هو العملة الأساسيّة المتداولة بأسواق هذا البلد على إختلاف أقاليمه[2]، ويعود تاريخ أقدم دينار ذهبي ضرب ببلاد اليمن خلال العصور الإسلاميّة إلى سنة 221 هـ/ 836 م ، وكان قد ضرب بصنعاء بإسم الخليفة العبّاسي المعتصم [3].

وبقيام الدّولة الصّليحيّة على يد الدّاعي علي بن محمّد الصّليحي ضرب هذا الأخير الدّنانير بإسمه ، كما يتّضح ذلك من القطعة المضروبة بزبيد بتاريخ سنة 445هـ/1053 م [4]. فلمّا آل الأمر من بعده لإبنه المكرّم أحمد الصّليحي ضرب دينارا جديدا بصنعاء سمّاه " الملكي " وذلك في غضون سنة 477 هـ/ 1084 م ، كما يشير إلى ذلك عمارة اليمني[5] .

وقد تواصل العمل بالدّينار الملكي بعدن طوال العهد الزّريعي وكانت قيمته تعادل أربعة دراهم وكلّ درهم يساوي ثلاثة جوز وكل جائز يعادل ثمانية فلوس وكلّ فلس يعادل أربع درّس[6] ، في حين كان الدّينار المصري يساوي أربعة دنانير ونصف ملكي [7] .

---

(1) ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص 36. قرّة العيون ، ج 1ص 232.

(2) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 138 ، 145.

Smith, art " Sulayhides " , *EI*^{2}, Vol IX, p 851.

(3) العش (محمّد أبو الفرج) ، " المسكوكات في الحضارة العربيّة الإسلاميّة " ، المؤتمر التّاسع للآثار في البلاد العربيّة ، صنعاء سنة 1980 م طبع بتونس سنة1985 م . ص 210.

Bikhazi (R.J),"Coins of al-Yaman 132-569 A.H", in *al-Abhath*, vol XXIII/ dec1970.p 27.

Lavoix(R) , *Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale de Paris* , Paris 1883 . p 228.

(4) العش ، " المسكوكات العربيّة " ، المؤتمر التّاسع للآثار ، ص212 .

Lowich (N.M) ," Some unpublished dinars of the Sulayhids and Zurayids" , in *Numimatic Chronicle*, Vol IV n°7 (1964) . pp261-270.

Arley-Doran(Robert E.) , " Examples of Islamic Coinage from Yemen", in *Yemen 3000 years of Art and Civilisation,* p 201.

Casanova, " Dinars inedits du Yemen" , in *Revue Numismatique* (1894) pp201-205.

(5) عمارة ، تاريخ ، ص135 . ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص145 .

(6) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1ص12 ، 80 ، 89 ، 145 .

(7) المصدر نفسه ، ج 1ص145 . Smith, art " Sulayhides " , *EI*^{2}, Vol IX, p 851.

وعندما نجح الأيّوبيون في الإستيلاء على بلاد اليمن أبقوا على الدّينار الملكي ولم يحدثوا أيّ تغيير على قيمته[1] ، فكان أوّل دينار ضرب باليمن في العصر الأيّوبي يعود تاريخه إلى سنة 573 هـ/ 1177 م ، وقد ضرب بعدن بإسم الملك المعظّم توران شاه . فلمّا توفّي هذا الأخير في غضون سنة 576 هـ/ 1180 م ضرب الدّينار بعدن خلال السّنة نفسها بإسم أخيه السّلطان صلاح الدّين صاحب مصر إلى جانب ذكر إسم الخليفة العبّاسي النّاصر لدين الله أحمد، وهو ما يعكس الصّلة الوثيقة بين الحكم الأيّوبي في اليمن والسّلطنة الأيّوبيّة في مصر من جهة والسّلطنة الأيّوبيّة والخلافة العبّاسيّة من جهة ثانية ، وذلك لما كانت تمثّله هذه الأخيرة من مرجعيّة تستند إليها الأولى وتستمدّ منها شرعيّتها لبسط نفوذها على جزء هامّ من البلاد الإسلاميّة طوال ذلك العهد .

وما أن آل الأمر إلى الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين حتّى أصبح الدّينار يضرب بإسمه ، كما تعكس ذلك القطعتان اللّتان نشرهما " بالوق " Balog والمؤرّختان بسنتي 580هـ / 1182 م و 583 هـ / 1185 م، وكانتا قد ضربتا بعدن بإسم الملك المذكور [2]. لكنّه منذ ولاية الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين ، وفي إطار سعي الدّولة الأيّوبيّة باليمن إلى توحيد العملة بهذا الإقليم عكس الفترات السّابقة، حيث كانت كلّ منطقة منه تتعامل بعملتها الخاصّة [3] ، أصبح الدّرهم الفضّي غالبا على المعاملات الماليّة والتّجاريّة ببلاد اليمن[4] .

وتتّضح معرفتنا بخصوص الدّرهم الأيّوبي باليمن من خلال المجموعة التي نشرها كلّ من "مايلز" Miles و "بالوق" Balog ، والتّي تعدّ واحدا وثمانين قطعة منها 35 ضربت بزبيد و 19 بعدن و 17 بتعزّ و8 بصنعاء وواحدة بريدة وواحدة بالدّملوة[5] ، وقد حملت هذه الدّراهم أسماء سلاطين وملوك بني أيّوب في مصر واليمن إلى جانب إسم الخليفة العبّاسي [6] . وكان أوّل درهم ضرب بإسم الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين بتعزّ خلال سنة 594 هـ / 1198 م

---

(1) Balog (P) , *The coinage of the Ayyubids* , Royal Numismatic Society, Special Publication n°12, London 1980 . p 283 .

(2) Ibid , p 284.

(3) Lowick (N) ," The Mint of San"à : A Historical Outline " , in *SAN'A an Arabian Islamic City , p 305.*

(4) Ibid , p 305.

(5) Miles (G.C), " The Ayyubid dynasty of the Yemen and their coinage ", in *Numismatic Chronicle*(1939) . pp 62-97 .

(6) Balog,*op.cit*, pp 284-305.
Lowick, *loc.cit*, p 305.
Lavoix , *Catalogue des monnaies musulmanes*, pp 271-272.
Miles, *loc.cit*, pp 62-97.
Balog,*op.cit*, pp 284-305.
Lowick , *loc.cit*, p 305.
Balog," Dirhems Ayoubites inedits du Yemen, in *Bulletin de l'Institut Egyptien* 36 (1953-54), pp 347-355

في حين أرّخ آخر درهم ضرب خلال العهد المشار إليه بسنة 627هـ/ 1129 م وقد حمل إسم الملك الكامل صاحب مصر أمّا مكان الضّرب فهو عدن [1].

غير أنّه في إطار المنافسة وسعيا منه إلى الإستقلال عن النّظام النّقدي الأيّوبي الموروث عن العهد العبّاسي ضرب الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة الزّيدي خلال سنة 601 هـ / 1204م الدّراهم المنصوريّة ووزن كلّ درهم نصف قفلة وبعضها ثمن قفلة [2]، وكان التّعامل قبل ذلك بالضّربة العبّاسيّة . لكنّ هذه المحاولة سرعان ما أظهرت فشلها وإمتنع النّاس عن التّعامل بضربة الإمام، لأنّ الضّربة العبّاسيّة كانت أرجح وزنا [3].

وليس من المستبعد أن يكون الإستعمال المكثّف للدّرهم الفضّي على حساب الدّينار الذّهبي باليمن خلال العهد الأيّوبي يتنزّل في إطار مشروع توحيد العملة بكافّة الممالك الأيّوبيّة إعتمادا على الدّرهم ، الذّي أصبح متداولا في الأثناء بكثافة في كلّ من مصر والشّام والحجاز [4]. ولعلّ ما يؤكّد أكثر هذا الإفتراض هو قول ابن المجاور : " لمّا رجعت الدّولة لآل أيّوب ضربوا الدّراهم ويقال أوّل من ضرب هذا الدّرهم الكبير بها المعزّ إسماعيل بن طغتكين في اليمن . وأوّل من ضرب الدّراهم الكبار بمكّة الملك المسعود يوسف بن محمّد على قوانين اليمن " [5]. كما أشار تقيّ الدّين المقريزي من جهته إلى الإعتماد المكثّف على الدّرهم الفضّي بمختلف الممالك الأيّوبيّة بقوله : " وراجت هذه الدّراهم في بقيّة دولة بني أيّوب ... حتّى حلّ الذّهب بالنّسبة لها وصارت المبيعات الجليلة تباع وتقيّم بها وإليها تنسب عامّة أثمان المبيعات وقيم الأعمال " [6] .

وحتّى يكتسب الدّرهم الفضّي ببلاد اليمن مزيدا من المصداقيّة والثّقة لدى المتعاملين ، بعد أن أصبح العملة الأساسيّة للمعاملات بهذا الإقليم [7] ، إرتأت الدّولة الأيّوبيّة مراجعة وزنه. فبعد أن كان في عهد ولاة بني العبّاس يزن أربعة قراريط وحبّة أصبح منذ عهد المعزّ إسماعيل بن طغتكين يساوي ثلاثة عشر قيراطا [8].

---

(1) Balog, *The Coinage of Ayyubids*, pp 284-305.
Miles, *loc.cit*, p 62.

(2) ذكر الخزرجي أنّ القفلة تساوي 1/10 الأوقيّة بالختم المصري . الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج2 ص306 .

(3) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 388-389.

(4) المقريزي ، **إغاثة الأمّة** ، ص65-66 . **النّقود الإسلاميّة** ، نشرة القاهرة ، 1914م ص 15. القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج4 ص275-276 . باقاسي ، **بلاد الحجاز في العصر الأيوبي** ، ص76 . اليوزبكي، **تاريخ تجارة مصر البحريّة في العصر المماليكي** ، ص 100.
Lowick, " The Mint of San'a...", *loc.cit*, p 305.

(5) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** .ج 1ص 12.

(6) المقريزي ، **إغاثة الأمّة** ، ص 66.

(7) Lowick, *loc.cit*, p 305.

(8) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** .ج 1ص 89.

كما كانت الفلوس [1] النّحاسيّة من جملة النّقود التّي سكّها الأيّوبيون باليمن وهي معدّة للمبيعات الصّغيرة التّي تقلّ من أن تباع بدرهم أو جزء منه ، وكانت الفلوس لا يشرى بها شيء من الأمور الجليلة وإنّما هي لنفقات البيوع وما يحتاج إليه من الخضر والبقول [2] . وقد ذكر إبن المجاور الفلس كعملة متداولة باليمن خلال العهد الأيّوبي حيث تعادل قيمته 1/96 دينارا و 1/24 درهما و 1/8 جائزا وبيضتين وأربعة دروس[3] . كما إحتفظت لنا المجموعة التي نشرها "بالوق "Balog بثلاثة قطع من الفلوس النّحاسيّة الأيوبيّة المضروبة في اليمن ، حيث ضربت الأولى سنة 595 هـ / 1199 م بإسم الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين ولم تحمل مكان الضّرب [4]، وضربت الثّانية بإسم الملك المسعود يوسف دون ذكر تاريخ الضّرب ولا مكانه[5] ، في حين كانت القطعة الثّالثة قد ضربت بزبيد بإسم الملك الكامل صاحب مصر وذلك في غضون سنة 620 هـ / 1219 م [6].

أمّا بخصوص ضرب العملة باليمن خلال العهد الأيّوبي فيبدو أنّه لم يكن عملا حكرا على الدّولة ، فقد أشار ابن المجاور إلى ضمان دار الضّرب الذّي تبلغ قيمته ثلاثة عشر ألف دينار يدفعها الضّامن لخزينة الدّولة [7]مقابل إعتراف هذه الأخيرة بالنّقود التي يصدرها ذلك الضّامن من دار ضرب هي على ملكه [8].

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت العملة ببلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي محلّ عناية من قبل رجال الدّولة الأيّوبيّة ، الذّين لم يبخلوا على تطويرها و العناية بها فأكسبوها مزيدا من المصداقيّة وجعلوها أكثر ملاءمة للمعاملات النّقدية ببقيّة الأقاليم الخاضعة لنفوذهم في كلّ من الحجاز ومصر والشّام ، وذلك إعتمادا على الدّرهم الفضّي الذّي غدا خلال ذلك العهد الوحدة النّقدية الأساسيّة في اليمن و في غيره من البلاد المنضوية تحت حكم بني أيّوب . وكما إزدهرت جميع الأنشطة الإقتصاديّة الحضريّة ببلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي ، بفضل الإصلاحات التّي أدخلها الأيّوبيون على النّظام النّقدي بهذا البلد ، نشطت في المقابل داخل المجال الرّيفي مختلف الأعمال الفلاحيّة التّي كانت تمثّل طوال ذلك العهد القاعدة الأساسيّة التي ترتكز إليها البنية الإقتصاديّة بهذا الإقليم .

---

(1) الفلوس : جمع فلس وهو لفظ يونانيّ الأصل ما لبث أن عرّب وقد إقتبسه اليونان بدورهم عن اللّفظ الآتيني Follis .

(2) المقريزي ، إغاثة الأمّة ، ص70 .

(3) ابن المجاور ، المصدر السّابق ، ج1 ص 89.

(4) Balog, *The Coinage of the Ayyubids* , p 286 .

(5) Ibid, p 303.

(6) Ibid, p 305.

(7) ابن المجاور ، المصدر السّابق ، ج1 ص 90.

(8) العمري ، اليمن في عيون الرحّالة ، ص 161.

* نماذج من نقود أيوبية مضروبة باليمن

أ - دينار الملك المعظم توران شاه:

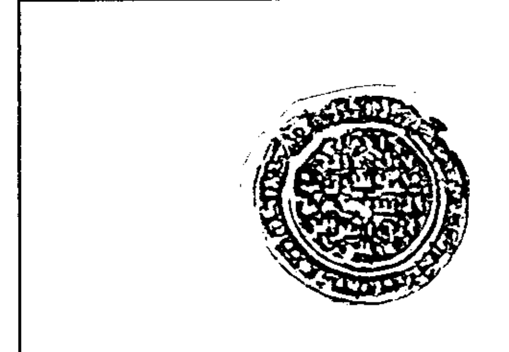
المعدن: ذهب
مكان الضرب: عدن
تاريخ الضرب: 573هـ/1177م
الخط: كوفيّ

الوسط :

الملك المعظّم	الإمام
ملك اليمن	لا إله إلاّ الله
شمس الدّولة	محمّد رسول الله
توران شاه	المستضيء بأمر
أيّوب	الله أمير المؤ
	منين

المدار:

محمّد رسول الله أرسله بالهدى ودين	بسم الله ضرب هذا الدّينار بعدن سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

ب - درهم الملك الناصر أيوب بن طغتكين :

المعـــدن : فضّــة

الخـــط : كوفيّ

مكــان الضرب : الدّملوة

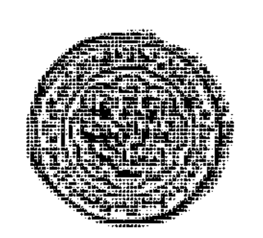
تــاريخ الضرب : 600هـ / 1023م

الوســـط :

صر الإمام النا لدين الله أحمد أمير المؤمنـــين	لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه

المـــدار :

الملك العادل أبو بكر و الملك النّاصر أبو المظفر أيوب بن طغتكين	بسم الله الرحمن الرّحيم ضرب هذا الدّرهم بالدّملوة سنة ستمائة





ج -فلس الملك المعز إسماعيل بن طغتكين:

المعدن: نحاس

الخط: كوفيّ

مكان الضرب: غير معروف

تاريخ الضرب: سنة 595 هـ / 1199 م

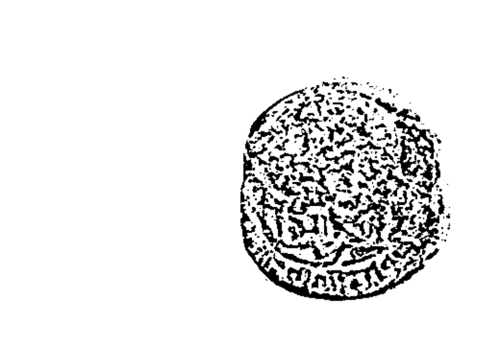
الوسط:

صر الإمام النا لدين الله أحمد أمير المؤ منين	لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه

المدار:

الملك المعزّ نصير الدّنيا والدّين إسماعيل بن طغتكين	... سنة خمس وتسعين وخمسمائة





(*) أخذت هذه النّماذج لبعض القطع النّقديّة الأيوبيّة المضروبة باليمن عن :
Balog, *The Coinage of the Ayyubids*, pp 282-334.

3 - النّشاط الفلاحي :

يعدّ النّشاط الفلاحي ببلاد اليمن زمن الأيّوبيين من الميادين الحيويّة والأساسيّة في الحياة الإقتصاديّة بهذا الإقليم، حيث كان لتوفّر جملة من الظّروف الطّبيعيّة الملائمة لمختلف الأنشطة الفلاحيّة من زراعة وتربية ماشية عظيم الأثر فيما عاشه هذا القطاع الإقتصادي الهام طوال ذلك العهد من إنتعاش وإزدهار جليّين . هذا فضلا عن تلك الخبرات والمهارات التي حصلت لأهل اليمن في هذا المجال ، والتّي كانت قد تدعّمت في الأثناء بعناية وإهتمام رجال الدّولة الأيّوبيّة، الذّين وجدوا في العائدات الماليّة الهامّة المتأتّية من الميدان الفلاحي خير سبيل لسدّ حاجتهم المتزايدة إلى المال .

أ- دعائم الفلاحة اليمنية خلال العهد الأيوبي والعوامل المؤثرة فيها :

* إطار طبيعي ملائم :

إنّ المتأمّل في جغرافيّة بلاد اليمن يلحظ لأوّل وهلة خصوصيّة هذا الإقليم الطبيعيّة ، وذلك لما كان إحتوى عليه من عناصر تضاريسيّة ومناخيّة متميّزة إستفادت منها مختلف الأنشطة الفلاحيّة رغم صعوبة تطويعها . ذلك أنّ غلبة الجبال والأودية على البنية التّضاريسيّة لبلاد اليمن مقارنة بالمناطق السّهليّة المنبسطة ، التي بقيت حكرا على الشّريط السّاحلي وعلى بعض المناطق الدّاخليّة [1] ، إضافة إلى درجة الحرارة المرتفعة في بعض المناطق الأخرى، لم تكن جميعها لتقلّل من أهميّة هذا الإقليم كفضاء ملائم للإستغلال الفلاحي . وذلك ما يعكسه بوضوح قول صاحب " مسالك الأبصار" : واليمن جميعه كثير الأمطار ولا تنشأ به السّحب ويمطر المطر من وقت الزّوال إلى أخريات النّهار ، هذا وقت إمطارها في الغالب وأكثر مطره في أخريات الرّبيع إلى وسط الصّيف وهو إلى الحرّ أميل وبها الأنهار الجارية والمروج الفيح والأشجار المتكاثفة ..." [2] .

وتنقسم بلاد اليمن إلى عدّة أقاليم فلاحيّة مختلفة ومتفاوتة الأهميّة ، وذلك تبعا للظّروف الطّبيعيّة المتباينة من إقليم إلى آخر . فمنطقة تهامة تعتبر من أخصب الأراضي المرويّة ببلاد اليمن على الإطلاق لإحتواء أوديتها على مادّة الطّمي ، الذّي تجلبه السّيول بكثرة. كما أنّ درجة الحرارة المرتفعة ونسبة الرّطوبة العالية ، التي إختصّت بها هذه المنطقة من أرض اليمن قد ساعدت على سرعة نموّ المزروعات والمحاصيل بها ، وهو ما جعل الحصول على أربعة مواسم من الزّرع في السّنة الواحدة الممطرة أمرا ممكنا [5] .

---

(1) ترسيسي ، اليمن وحضارة العرب ، ص117-137 . عنان ، تاريخ حضارة اليمن القديم ، ص 10-14.
سعيد شكري ، " جغرافية اليمن في القرن الأوّل للهجرة السّابع للميلاد " دراسات تاريخية "، ص205-214 .

(2) العمري ، مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، ص 154.

(3) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 154. ترسيسي ، المرجع السّابق ، ص 151.

وقد أمعنت المصادر الجغرافيّة والتاريخيّة في التنويه بالمزايا الفلاحيّة لمناطق إقليم تهامة، فقد وصف المقدّسي زبيد بأنّها " قصبة تهامة بلد جليل مفيد لمن دخله مبارك على من سكنه آبارها حلوة وحولها قرى ومزارع "[1] . أمّا صاحب "الرّوض المعطار" فقد قال فيها " ليس في اليمن بعد صنعاء أكبر من زبيد ولا أغنى أهلا ولا أكثر خيرا منها وهي واسعة البساتين كثيرة المياه " [2]. ووصفها أبو الفدا بأنّها" قصبة التّهائم في مستو من الأرض عن البحر أقلّ من يوم وماؤها آبار ولها نخيل كثير " [3]. وذكرها صاحب "تاريخ المستبصر" بقوله : " وزبيد على ذروة جبل مشرف على تهامة ينظر إلى الأرض تحته شبه زمرّدة خضراء مع جري السّواقي والأنهر لأنّها كان يقال بها ستّمائة ألف عين وقيل ستّين ألف عين وقيل ستّة آلاف عين والأصحّ ستّمائة عين ويقال ستّين عينا سائحة على وجه الأرض كلّها عذب فرات ومن نداوة الأرض رجعت الأرض مخضرّة دائما ذات رياض وأشجار ووحش ... " [4] . وقال فيها ابن فضل الله العمري : " أمّا زبيد فإنّها شديدة الحرّ لا يبرد ماؤها ولا هواؤها وهي أوسع رقعة وأكثر بناء ولها نهر جار بظاهرها " [5].

وتعدّ أودية تهامة من أكثر المناطق خصوبة وقد أشار ابن المجاور إلى رخائها بقوله : " وبمنطقة ذؤال وادي نبع ووادي ريمان ووادي عرم ووادي جابية والمدارة وفي وادي زبيد سخمل والفائشي وغاية شجره الإسحل والسّيسان ... وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة . وأمّا فشال ففيه نحو ثمان مائة قرية ما يزرع أهلها إلاّ على المطر الدّخن والذّرة وزرع الشيخ محمّد بن معيبد بها الحنطة وطلع سنة ثلث وعشرين وستّمائة وزرع أولاد أخيه العجل ومعيبد الأرزّ ... وإلى وادي رمع نصف فرسخ وهو وادي عظيم" [6] .

كما تتميّز أودية التّهائم من أرض اليمن بضيقها وعمقها وعندما تتجمّع مع بعضها تنحدر إمّا نحو الغرب في إتّجاه البحر الأحمر أو جنوبا لتصبّ في بحر العرب بين عدن وباب المندب، أو لتتّجه ناحية الشّرق فيما يعرف بنجد اليمن [7]. ومن أبرز الأودية التي تنحدر في إتّجاه البحر الأحمر وادي مور وهو من أكبر وديان اليمن ومنبعه من الجبال الواقعة جنوب صعدة وتنصّب فيه عدّة فروع من جبال حاشد وجبال حجّة وجبال حجّور والشّرف ، ثمّ يمرّ من مدينة اللّحيّة ليصبّ في البحر الأحمر[8]. وقد وصفه ابن الحائك

----

(1) المقدّسي ، **احسن التّقاسيم** ، ص 84.

(2) الحميري ، **الرّوض المعطار** ، ص284 .

(3) أبو الفدا ، **تقويم البلدان** ، ص 88-89.

(4) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص64 .

(5) العمري ، **مسالك الابصار** ، ص152 .

(6) ابن المجاور ، **المصدر السابق** ، ج1 ص 63.

(7) الحديثي ، **أهل اليمن في صدر الإسلام** ، ص 38.

(8) عنان ، **تاريخ حضارة اليمن القديم** ، ص13 . الحديثي ، **المرجع نفسه** ، ص 38. ترسيسي، **المرجع السّابق**، ص151 .

الهمداني بأنّه " ميزاب اليمن الأعظم " [1]. يليه في الأهميّة وادي مأتى ووادي زبيد [2]وبه تتجمّع مياه أودية السّحول وبلد الكلاع[3] ، وقد قال فيه ابن الدّيبع الشّيباني : " ووادي زبيد المبارك المشهور المخصوص بالبركة لدعاء النبيّ (ص) فيه بالبركة وبركته ظاهرة مشهورة ليس في اليمن واد أبرك منه ..." [4]. وهناك أودية أخرى منها وادي نخلة ووادي رمع ووادي جيزان ووادي حرض وغيرها لكنّها تبقى دون الأولى غزارة رغم أهمّيتها هي الأخرى [5] ، وتتخلّل هذه الأودية سلسلة جبال السّراة [6] الشّامخة بعيونها الدّافقة ومياهها الجارية [7].

أمّا الأودية التي تجري إلى الجنوب وتصبّ في بحر العرب بين المندب ولحج ، فهي من الغرب وادي أتحم وهو من أودية السّكاسك ويصبّ عند موضعي العارة والعميرة شرقي المندب ، ووادي لحج الذّي يأخذ مياهه من أودية كثيرة تجري في القسم الأسفل من الهضبة الوسطى في المنطقة المعروفة بالمعافر أين تلتقي مجاري كثيرة من الوديان الصّغيرة فتكوّن أودية أكبر تلتقي مع بعضها هي الأخرى لتكوّن واديا كبيرا مثل وادي مسايل ووادي غيول ووادي الجنّات ، وهي أودية دائمة الجريان تلتقي في رأس لحج فتشكّل مجرى مائيّا كبيرا وواسعا ينحدر نحو البحر حيث يصبّ قرب عدن وإلى الشرق من هذه الأخيرة تصبّ أودية بنا وأبين التي تنحدر من أرض عين [8].

وتمتاز هذه النّواحي بوديانها الواسعة وأمطارها الصّيفيّة وجودة مناخها[9] ، فقد وصف العمري تعزّ بأنّها بلد كثير الماء بارد الهواء كثير الفاكهة [10]. وذكر ابن المجاور أنّ أعمال تعزّ تسمّى حيّز الأخضر لكثرة عشبها وأميائها وخضرتها و غالب مياهها من جبل صبر[11] . أمّا المذيخرة وهي قرية حصينة قرب عدن فقد وصفها القزويني بأنّ بها عين عظيمة وفيها مزارع ومياه كثيرة [12].

---

(1) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص134 .

(2) المصدر نفسه ، ص134 .

(3) عنان ، تاريخ حضارة اليمن القديم ، ص 14.

(4) ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص34 .

(5) ترسيسي، اليمن وحضارة العرب، ص123 . عنان ، المرجع السابق، ص14 .

(6) قال ياقوت السّرو ما ارتفع عن مجرى السّيل وانحدر عن غلظ الجبل . ياقوت ، معجم البلدان ، ج3 ص245.

(7) القزويني ، آثار البلاد ، ص88-89 . العمري ، مسالك الأبصار ، ص165 .

(8) الحديثي ، أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص 39.

(9) ترسيسي ، اليمن وحضارة العرب ، ص 153.

(10) العمري ، مسالك الابصار ، ص152 .

(11) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 2ص 156.

(12) المصدر نفسه ، ج2ص152 .

ومن الأقاليم الفلاحيّة المهمّة أيضا ببلاد اليمن جهة نجد اليمن وقصبتها مدينة صنعاء التّي عرفت منذ القدم برخائها وبوفرة منتوجاتها الفلاحيّة بفضل ما حازته من ظروف طبيعيّة ملائمة . فقد وصفها المقدّسي بقوله : " وصنعاء قصبة نجد اليمن وهي أجلّ من زبيد وأعمر وهي بلد رحب كثير الفواكه ... طيّبة الهواء " وقال فيها ياقوت " صنعاء من أعظم مدن اليمن تشبه دمشق لكثرة مياها وأشجارها .. وهي معتدلة الهواء تتقارب فيها ساعات الشّتاء والصّيف. " ، أمّا ابن المجاور فقد أشاد بحسن هوائها الملائم لجميع الغراسات بقوله :"وأهوية صنعاء باردة تشبه أهوية خراسان وهواها مناسب جميع الغراسات والمنتوجات لا يضرّ شيئا منها " [1].

وقال فيها العمري : " وصنعاء قاعدة ملك اليمن في قديم الزّمان وأوقاتها كلّها مناسبة علي الإعتدال لذيذة الهواء كثيرة الفواكه تقع بها الأمطار " [2]. ووصف ابن بطّوطة نزول المطر بصنعاء فقال : " والمطر ينزل بصنعاء أيّام القيظ ويكون أكثر نزوله بعد الظّهر فالمسافرون لا يستعجلون عند الزّوال لئلاّ يصيبهم المطر[3] ". وقد أكّد هذا المعنى صاحب " الرّوض المعطار " عندما قال : " وصنعاء لا تمطر إلاّ في حزيران وفي تموز وآب وبعض أيلول ولا تمطر إلاّ بعد الزّوال في أغلب الأمر يلقي الرّجل الرّجل نصف النّهار والسّماء مصحية ليس فيها طخرية فيقول عجّل قبل أن تصبّ السّماء لأنّهم قد علموا أنّه لا بدّ من المطر في ذلك الوقت " [4] .

وتعدّ المنطقة التي تسكنها همدان فيما بين صنعاء وصعدة أهمّ هذه المناطق بإعتبار أنّ تضاريسها تبدو أقلّ تعقيدا من الجهات الواقعة جنوب صنعاء كما هي أكثر إنبساطا وإتّساعا لأنّها إمتداد للهضبة الوسطى، لذلك كانت أوديتها قليلة وغير عميقة وهي تنحدر سواء تجاه الغرب نحو البحر الأحمر أوفي إتّجاه الشّرق نحو منطقة الجوف[5] . وقد إشتهرت عديد المناطق من أرض همدان بالعمل الزّراعي مثل هنوم وحقل البون وريدة وأثافت وجبل تخلي ووديانه [6]، إلى جانب إنشغال كثير من أهلها بتربية الماشية وخاصّة منها الإبل [7].

أمّا جهات صعدة وبلاد خولان فإنّ أرضها محدودة الإرتفاع والأمطار بها قليلة، لكنّ ذلك لم يمنع من إشتهارها كمنطقة زراعيّة وخاصّة على أطراف وادي علاف[8] . فقد وصفت صعدة بأنّها خصبة

----

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج2 ص 185.

(2) العمري ، **مسالك الابصار** ، ص 165.

(3) ابن بطّوطة ، **الرّحلة** ، ص194 .

(4) الحميري ، **الرّوض المعطار** ، ص360 .

(5) الحديثي ، **أهل اليمن في صدر الإسلام**، ص46 . ترسيسي ، **بلاد سبا** ، ص 444.

(6) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** . ص 16 ، 193 ، 194 .

(7) المصدر نفسه ، ص 85 ، 100 ، 201.

(8) المصدر نفسه ، ص 113.

عامرة [1] كما كانت أرض خيوان قد إشتملت على قرى ومزارع ومياه كثيرة [2]. وقد مثّلت الزّراعة بنواحي صعدة طوال العهد الأيّوبي دعامة إقتصاديّة أساسيّة ارتكزت إليها القوّة الزّيديّة ومنها كانت تتأتّى أغلب مواردها الماليّة ،وفي هذا الإطار تشير أغلب المصادر التّي تناولت النّزاع الأيّوبي الزّيدي ببلاد اليمن إلى أساليب التّدمير والتّخريب التّي إنتهجها الأيّوبيون والتّي كانت قد استهدفت بدرجة أولى الزّروع والمحاصيل بتلك النّواحي بغية التّضييق على رجال الزّيديّة وذلك من خلال الإضرار بالقاعدة الإقتصاديّة التي ترتكز إليها دولتهم [3] .

ومن المناطق الفلاحيّة الأخرى الهامّة بجهة اليمن الأعلى منطقة نجران الواقعة في المنخفض الشرّقي لسلسلة جبال السّراة ، وهي منطقة يخترقها وادي نجران بفروعه المتعدّدة . ورغم أنّ المعلومات تبدو ضئيلة بخصوص الإمكانات المائيّة لهذه المنطقة، فإنّ تعاطي النّشاط الزّراعي بها يدلّ على توفّر المياه في أنحائها حيث أشارت معاهدة النبيّ (ص) مع أهل نجران إلى أنظمة ريّ معتمدة بهذه النّاحية من بلاد اليمن [4] .

أمّا منطقة حضرموت فهي واسعة وتضاريسها تبدو أقلّ وعورة من منطقة الهضاب العليا فضلا عن إحتوائها لعديد الأودية والعيون بسبب نسبة الأمطار الهامّة النّازلة بها [5] ، لذلك قامت بنواحيها عديد الأنشطة الفلاحيّة كالزّراعة وتربية الماشية بأنواعها وذلك في كلّ من جبل شبام وأودية العبر ودوعن ومثوب ووادي قوب [6]. وقد سعى الأيّوبيون جاهدين إلى بسط نفوذهم على هذه النّاحية من بلاد العرب الجنوبيّة لأهميّة عائداتها الماليّة المتأتّية في جانب وافر منها من الأعمال الفلاحيّة ، حيث تشير المصادر في هذا الصّدد إلى أنّ والي عدن عثمان الزّنجيلي قد إستولى في غضون سنة 576 هـ/ 1180 م على جهات كثيرة بحضر موت ثمّ عاد وقد ترك بها نوّابا عنه يبعثون إليه بخراجها في كلّ سنة [7].

----

(1) المقدّسي،أحسن التقاسيم ، ص 87. أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص94-95 . ياقوت ، معجم البلدان ، ج 3 ص461

(2) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص94-95 .

(3) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثّمن ، ص 127-128. ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج 1ص 387 .

(4) حميد الله (محمّد) ، مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النّبوي والخلافة الرّاشدة ، دار النّفائس ، بيروت 1985م ص111 .

(5) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 2ص 252-258. ياقوت ، معجم البلدان ، ج 2ص311 . الحديثي ، أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص 50.

(6) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص85 ، 86 ، 97، 100 ، 201 . الإكليل ، ج 1ص193 . ياقوت، معجم البلدان ، ج 3ص226 .أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص 96-97. القزويني ، آثار البلاد ، ص 68.

(7) ابن حاتم ، المصدر السّابق، ص23 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص 163. ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص 327. البكري ، تاريخ حضرموت السيّاسي ، ج 1ص81 .

وكما إستفادت الفلاحة في بلاد اليمن من مجموعة الظّروف الطّبيعيّة الملائمة وجدت في الخبرات والمعارف الفلاحيّة الغزيرة والواسعة ، التّي حصّلها أهل هذا الإقليم عبر الزّمن خير دعامة لها طوال العهد الأيّوبي .

* خبرات ومعارف فلاحية واسعة :

يعتبر الإنسان اليمني أكبر دعائم الفلاحة بهذا الإقليم منذ القدم ، فهو علاوة على ما يبذله من طاقة جسديّة لا تنضب وإقباله على العمل بتفاني ، فإنّ نشاطه الذّهني في هذا المجال قد كان بلا حدود ، حيث دفعته الحاجة إلى تطوير إمكانيّاته في الميدان الفلاحي إلى الإبتكار والخلق ، وهو ما أدّى بمرور الزّمن إلى تحصيل شتّى الخبرات والمعارف الفلاحيّة، التي شكّلت في المقابل ركيزة من ركائز الفلاحة اليمنيّة خلال العهد الأيّوبي وطوال العصور الإسلاميّة عامّة.

وقد أجاد أهل اليمن منذ القدم تقنيات الزّراعة والرّي فطوّعوا الظّروف الطّبيعيّة، التّي إختصّ بها هذا الإقليم وما يتلاءم ومتطلّبات هذا النّشاط الإقتصادي الحيوي [1]. ففي الجبال والمرتفعات بني اليمنيّون الجلول والمدرّجات بمهارة عظيمة للمحافظة على التّربة وعلى زراعتها [2]. غير أنّ تعدّد الوديان الواسعة التّي غالبا ما تتخلّل هذه المرتفعات الجبليّة جعل عمليّة توجيه مياه الأمطار إليها أو حجز السّيول لريّها تشكّل أبرز الصّعوبات ، التي واجهها المزارع اليمني من القدم. ولولا بناء الحواجز في الوديان وإعادة بناء تلك المدرّجات بإستمرار لما أمكن المحافظة على التّربة الصّالحة للزّراعة بتلك الأماكن وتحوّلت في المقابل تلك الجبال المزروعة إلى صخور جرداء[3] .

كما كان لتساقط الأمطار في فصل الصّيف فقط بكثير من بلاد اليمن ما حمل سكّانها على الإهتمام بها وتنظيم خزنها للإستفادة منها طوال السّنة وهو ما أدّى إلى نشوؤ نظام ريّ دقيق بواسطة السّدود، التّي اشتهرت بها بلاد اليمن منذ القدم شأن سدّ مأرب وسدّ بيت كلاب في أرض همدان وسدّ العرم الّذي بني على وادي أذنة بالقرب من مدينة مأرب ويعود تاريخ إنشائه إلى القرن الثّامن قبل الميلاد وقد ظلّ قائما حتّى القرن السّادس ميلادي[4] ، كما تشير المصادر إلى سدّ الخانق الّذيكان بناه والي سيف بن ذي يزن الحميري نوال بن عتيك بصعدة [5] .

وفي الجهات القليلة الأمطار حفر الأهالي الآبار والصّهاريج ، كما هو حال عدن التّي أشار ابن المجاور إلى كثرة الآبار بها سواء منها المالحة أو

---

(1) تريسيسي ، اليمن وحضارة العرب ، ص153 .

(2) المرجع نفسه ، ص153 .

(3) المرجع نفسه ، ص153 .

(4) الهمداني ، الإكليل، ج 8ص43-47 ، 115. ياقوت ، معجم البلدان ، ج 5ص 41-45. الحديثي ، أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص 40. Daghfous, *Le Yaman Islamique*, TII p 49.

(5) الهمداني ،الإكليل ،ج 8ص115.

الحلوة وقد نشطت عمليّة حفر الآبار بهذه الجهة زمن الأيّوبيين لقلّة مائها و لتوفّر الإمكانيّات اللاّزمة لذلك ويعدّد صاحب " تاريخ المستبصر" الآبار المحفورة بعدن ونواحيها خلال ذلك العهد بقوله : " ... وبئر الأفيلة وحفرت سنة عشرين وستّمائة ...، بئر أحمد بن المسيّب حفرت سنة أربع عشرة وستمائة ، وبئر العقلاني حفرت سنة خمس عشرة وستمائة ... وبئر عقيب وتسمّى بئر الكلاب ... جدّد عمارتها أحمد العشيري سنة إثنتين وستّمائة ، وبئر الجديدة حفرت سنة إحدى وعشرين وستّمائة وبئر السلاّمي حفرت سنة سبع عشر وستّمائة ، والآبار التّي بطريق اللّخبة بئر السمّاكين على الطّريق في قرب المسجد حفرت سنة ستّ عشرة وستّمائة ، وبئر الموحّدين في أوّل شط اللّخبة وبئر أصحاب العمارة حفرت سنة أربع عشرة وستّمائة لأجل ضرب اللّبن ، وبئر الشيخ علي بن عبيد في وسط اللّخبة حفرت سنة عشر وستّمائة " [1] . ويضيف ابن المجاور في هذا الصّدد قوله : " حدّثني محمّد بن زنكل بن الحسن الكرماني عن رجل من أهل عدن قال : حدثني عبد الله بن محمّد الإسحاقي الدّاعي أنّ بداخل عدن مائة وثمانون بئرا حلوة "[2] .

ولإيصال مياه السّدود والأودية إلى المزارع بنيت الأقنية ولا تزال نماذج من هذه المنشآت ماثلة إلى الوقت الحاضر وكذلك الحال بالنّسبة للصّهاريج أو الكرف وقد جاء في "صفة جزيرة العرب " وصف لإحدى هذه الآثار الواقعة قرب قلعة خدد في جبل حبيش من أعمال إبّ وفي ذلك يقول ابن الحائك : " ... وقلعة خدد فيها قصر عظيم يقصر عنه الوصف ، والقلعة بطريقين على باب كلّ طريق ماؤه فطريق القلعة من جنوبها عليه كريف يسمّى الوفيت منقور في الصّفا الأسود وعمقه في الأرض خمسون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا والطّول خمسون ذراعا محجوز على جوانبه جدار يمنع السّقوط فيه . والماء الثّاني من شمال الحصن على باب الحصن الثّاني في جوبة من صفا كالبئر مطويّ بالبلاط ودرج ينزل إليه من رأس الحصن بالسّرج في اللّيل والنّهار على مسيرة ساعة حتّى يؤتى إلى الماء ولا يعلم من يكون على البئر من فوق ... " [3].

أمّا صاحب " بغية المستفيد " فقد أشار إلى الإنجاز الهندسي الجبّار الذي أتاه القاضي الرّشيد أبو الحسين الغسّاني المتوفّي سنة 563 هـ / 1168 م ، عندما أجرى عينا لمدينة زبيد تأتي من شرقيّها تحت الأرض حتّى تقرب من المدينة لتظهر فتسقي جميع البساتين التّي من حولها [4]. كما أشار ابن المجاور من جهته إلى إستخدام أهل زبيد للطّواحين الهوائيّة لرفع الماء وهو ما يعكس تطوّر تقنيات الريّ بهذه النّاحية من بلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي ، حيث ذكر صاحب " تاريخ المستبصر " وجود طاحونين أمام الباب الغربي لمدينة زبيد [5].

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 132-134.

(2) المصدر نفسه ، ج1 ص132 .

(3) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 148.

(4) ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص35 .

(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1ص 64 ، 85 .

وكما أحسن اليمنيّون التحكّم في الموارد المائيّة التي بحوزتهم عبر إنشاء السّدود وإقامة الطّواحين الهوائيّة والأقنية والصّهاريج وحفر الآبار والعيون خبروا في المقابل أسرار المناخ وتبدّل الفصول وعلاقة كلّ ذلك بنشاطهم الفلاحي فتكوّنت لهم عبر الزّمن في هذا المجال معارف جمّة أوردت بعضها المؤلّفات التي إهتمّت بهذا الموضوع . فعلاوة عن المعلومات الواردة في " صفة جزيرة العرب " عمّا إختصّت بلاد اليمن بإنتاجه من حيوان وزرع ونبات[1] يشير أبو الحسن الهمداني إلى تأليفه لكتابين فلاحيين وهما كتاب " الإبل " وكتاب " الأرض والحيلة" [2].كما ينسب إلى الهمداني أيضا تأليف كتاب " زيج الهمداني " وهو مجموعة جدوال فلكيّة إعتمد عليها أهل اليمن في تقويم فصول السّنة والشّهور[3] . وينسب للمسمّى بحر التّعامي وهو من أعيان القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي نظم قصيدة بائيّة في الشّهور والكروم ومايصلح لفصول السّنة والأغذية [4] . أمّا نشوان الحميري المعاصر للأيّوبيين فقد نسبت إليه هو الآخر أرجوزة في معرفة الشّهور الرّوميّة[5] .

وقد أورد ابن المجاور من جهته نماذج من قواعد مناخيّة و فلكيّة لها صلة بالنّشاط الفلاحي والتّي من المرجّح أن يكون قد إستقاها من بلاد اليمن أثناء زيارته لها خلال العهد الأيّوبي ، وفي ذلك يقول صاحب " تاريخ المستبصر ": " إذا رأيت الهلال في الماء يضرب إلى الحمرة فإنّه يدلّ على هبوب الرّيح ، فإذا رأيت في وسطه سواد دلّ على الغيث. وإذا رأيت الشّمس تغرب وعليها وحولها قطع من السّحاب يدّل على المطر . وإذا رأيت الشّمس سحابا متفرّقا دلّ على الغيث . وإذ كان الهلال ابن ليلتين أو ثلاثة فإن رأيت في قرني الهلال أو كأنّه مظلما ملطّخا بدم دلّ على الشّتاء وكثرة المطر " [6].

ويضيف صاحب " تاريخ المستبصر " قوله في علاقة الكواكب والبروج بالمياه والرّياح والنّبات والحيوان : " الحمل والميزان النّيران المشعلة ، الجوزاء رياح طيّبة ورياح الجنوب ، والسّرطان المياه العذبة والأمطار الكثيرة الحركة وما ينزل من السّماء ، الأسد النّيران التي تدخن في الكوانين وعلم الهوى والنّيران التّي في الأحجار ، السّنبلة كل ما جارى ، الميزان الرّياح التي تلقح الأشجار بهبوبها وتسمن الثمار وتدلّ على طيبة الجوّ، والعقرب المياه الجارية التّي ينزل إليها بالمراقي مثل الصّهاريج والسّيول والقرب وما يعجن من الطّين، والقوس الأنهار

---

(1) الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص 247 ، 317-320.

(2) أشار الهمداني إلى كتابيه المذكورين في مقدّمة كتابه " الجوهرتين " حيث يقول أنّه ألّف كتابا في الحيوان وآخر في الأرض . الجوهرتين ، ص 25.

(3) الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ص483 .

(4) الحبشي ، المرجع نفسه، ص483 .

Varisco (D.M) , *Medieval Agriculture and Islamic Science*, University of Washington Press, Seattle and London 1994 . p 10.

(5) الحبشي ، المرجع نفسه، ص483 . Ibid , p10.

(6) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج2 ص159-160 .

والنّيران الغريزيّة في أبدان الحيوانات ، الدّلو المياه الجارية والبحار والرّياح والعواصف المؤثّرة قلع الأشجار مفسدة للنّبات ، الحوت المياه الرّاكدة والبحريات ويدلّ على الأشجار المعتدلة الطّول "[1] . وسوف تظهر بأكثر جلاء هذه الخبرات والمعارف الموروثة في جانب منها عن العهد الأيّوبي في تلك المؤلّفات القيّمة التّي ألّفها ملوك الأسرة الرّسوليّة في مواضيع شتّى لها صلة بالميدان الفلاحي ، وقد وفّق الباحث" فاريسكو "Varisco في معالجة هذه المؤلّفات النّادرة وتبيان فوائدها ومزاياها [2].

كما عني أهل اليمن بتطوير مزروعاتهم بأن جلبوا بذورا ونباتات جديدة من أقاليم أخرى شأن النّاخوذة عمر الآمدي الذّي حفر بقرية رباك بالغرب من عدن بركا وزرع بها خلال سنة 625 هـ / 1227 م شجر الشكّيّ البركي وهو شجر يخرج من بدن الشّجر بخلاف جميع الأشجار[3] . غير أنّ الإقبال المتزايد من قبل اليمنيين على تطوير العمل الفلاحي طوال العهد الأيّوبي ، سواء كان ذلك عبر المنشآت الفلاحيّة أو عبر المعارف والخبرات الغزيرة التّي بحوزتهم، لا يمكن أن يقلّل من مساهمة الدّولة الأيّوبيّة في هذا الميدان ومن إهتمامها المتزايد بمختلف الأنشطة الفلاحيّة بهذا الجزء من بلاد العرب .

* إهتمام متزايد من قبل الدّولة بالقطاع الفلاحي :

عني رجال الدّولة الأيّوبيّة في اليمن بالميدان الفلاحي وأولوه كثيرا من الرّعاية والإهتمام بتوفير الإمكانيّات اللاّزمة لتطويره وسنّ القوانين والأوامر بغية ضمان مزيد من العائدات الماليّة لفائدتهم .

ويعتبر الملك سيف الإسلام طغتكين أكثر ملوك بني أيّوب باليمن عناية بالنّشاط الفلاحي حيث صرف كثيرا من إهتمامه لإحياء الأراضي الموات وإستخراج الأنهار والعيون ومدّ الأقنية وغراسة البساتين الواسعة بأصناف الأشجارفي عديد الجهات من أرض اليمن [4]. فبالقرب من مدينة المنصورة أحيا الملك سيف الإسلام طغتكين وادي حنوة وكان سكنى للوحوش ثمّ أحيا وادي المدارة

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص160-161

(2) المظفّرالرّسولي ، المعتمد في الأدوية، ص558-572 . الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ص 552-557. فؤاد سيّد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، ص 131-132.
Serjeant (R.B), " The cultuvation of cereals in Medieval Yemen" , in*Arabian Studies* (1974), pp 25-27.
Varisco (D.M) , *Medieval Agriculture and Islamic Science*, pp 41-60.Ibid, " Medicine and the Herbal in Medieval Yemen" , in *Yemen 3000 years of Art and civilisation,* pp 312-321.
Ibid, " Rasulid Agriculture and the Almanac Tradition, in *Yemen 3000 years of Art and Civilisation* , pp 309-311.
Ibid, " A Royal Crop Register from Rasulid Yemen " , in *J E S H O* , VOL XXXIV, Part . I (1991) . PP 1-22.

(3) ابن المجاور ، المصدر نفسه ،ج2 ص105 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 2 ص173 ، 237 .

(4) ابن الحسين ، غاية الاماني ، ج 1ص 336.

والقاعدة [1]، كما أجرى سيف الإسلام العيون في جبل صبر ونواحيه وغرس غراسات نقلت بأمره من ديار مصر [2].

ولمّا استولى الملك طغتكين على حصن الدّملوة غرس حوله بستانا يسمّى الجنان ويقال أيضا الجنّات فيه من جميع الفواكه[3] ، كما عمد إلى شراء ماء تعزّ النّازل من جبل صبر من أصحابه بعشرة آلاف دينار وسبّله [4]. وفي قرية رباك أقام والي عدن الأمير ناصر الدّين بن فاروت بستانا حسنا وغرس به شتّى الغراسات وأنواع الفواكه[5] ، كما حفر الأمير ابن فاروت بهذه الجهة عديد الآبار[6] .

وبدافع تنمية مداخيل خزينة الدّولة من القطاع الفلاحي عمد الأيّوبيون في اليمن إلى إتّخاذ جملة من الإجراءات الجبائيّة والقرارات التي لم تراع في أغلبها مصالح بقيّة الأطراف الإجتماعيّة العاملة في هذا المجال الإقتصادي الحيوي ، وفي هذا الإطار تجمع العديد من المصادر على أنّ الملك سيف الإسلام طغتكين كان أوّل من جار على أهل النّخل بوادي زبيد [7] حيث " أوصى بالعدل على أهل الحرث والظّلم على أهل النّخل " [8]فرفع الأداء الموظّف على هذا النّوع من الغراسات حتّى بلغ خراج نخل زبيد لوحده في عهده مائة وثلاثون ألف دينار وما يأخذونه نقدا بل تمرا [9] ، وقد علّل الملك طغتكين إجراءه هذا بقوله : " إنّ الفلاّح يحرث ويسقي ويبذر ويحصد ويعزق ويذري في الهوى ويجد مشقّة عظيمة فالواجب أن يرفق بهم ، وأصحاب النّخل فإنّهم يجنون الثّمرة من العام إلى العام بلا عناء ولا تعب " [10].

فكان من جرّاء هذا القرار الذّي إتّخذه الملك سيف الإسلام طغتكين أن ساءت أحوال أصحاب النّخل حتّى أجبر بعضهم على ترك أملاكهم وفضّلوا الهرب ، فكان كلّ من هرب منهم أخذ نخله صفيّا لبيت المال [11]ويذكر ابن المجاور أنّ سيف الإسلام كان قد بنى مدينة المنصورة ليخزن فيها جميع غلال الجبال [12].

----

(1) أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص 103.

(2) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص 39.

(3) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج2 ص 154.

(4) سبّله : أي جعل له سبلا وجمعها سبيل . ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص 159.

(5) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 20. ج2 ص 237. ابن المجاور، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 105.

(6) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 20. ج2 ص 237. ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1ص 105.

(7) أبن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص75 . ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 80 ، 90 . أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص 103.

(8) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1 ص 80 .

(9) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 80 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص75 .

(10) ابن المجاور ، **المصدر نفسه**، ج 1ص 80 .

(11) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 80 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ص75 .

(12) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص 167 .

وقد تواصل الجور على أهل النّخل طوال بقيّة العهد الأيّوبي حيث أمر الأتابك سيف الدّين سنقر عمّاله بالحيف عليهم وظلمهم [1] ، فلمّا إستغاثوا به ممّا جرى عليهم من حيف العمّال أشار عليهم بأن يبيعوه كلّ نخلة بدرهم [2] .

كما عمد الملك المسعود من جهته خلال سنة 624 هـ / 1226م إلى مصادرة جميع محاصيل الفوّة ولم يخلّ لأحد وزن وقيّة[3] وسببه أنّه منذ سنة 615 هـ / 1218 م أقبل أهل اليمن على زراعة هذا النّبات إقبالا شديدا لغلاء سعره فزرعته كلّ الفئات حتّى الخدم والجواري والنّساء والمشائخ وذوي اليسار[4] ، فلمّا ملك الملك المسعود إستولى عليها جميعها .

ولم تقتصر السّياسة المجحفة التي إنتهجها الأيّوبيون في الميدان الفلاحي على المزروعات فحسب لتتعدّاها إلى ملكيّة الأرض حيث عزم الملك سيف الإسلام طغتكين في أخريات حياته على شراء كافّة الأراضي ببلاد اليمن لتصبح ملكا للدّيوان وشرع في تنفيذ هذا القرار بأن " ندب المثمّنين إلى سائر البلاد وأمرهم أن يثمّنوا البلاد بأسرها فيكون كلّ من أراد حرث شيء منها وصل إلى الدّيوان وإستأجر منهم كما هو في الدّيار المصريّة فشقّ ذلك على أهل اليمن غاية المشقّة فإجتمع جماعة من الصّالحين فدخلوا مسجدا وأقاموا ثلاثة أيّام يصومون النّهار ويقومون اللّيل، فلمّا كان في اليوم الثّالث أو الرّابع خرج أحدهم وقت السّحر ونادى : " يا سلطان السّماء أكف المسلمين سلطان الأرض " ... فلمّا كان وقت الظّهر من ذلك اليوم وهو يوم الأربعاء 26 شوّال من سنة 593 هـ / 1197 م توفّي سيف الإسلام وكان المثمّنون قد شرعوا في تثمين الأراضي فلمّا توفّي بطل ذلك كله " [5]. وفي هذا الصّدد تجمع عديد الرّوايات على أنّ موت الملك طغتكين ما كان إلاّ نتيجة لمكيدة دبّرها له بعض الأهالي بأن سقوه سمّا للتخلّص من القرار الجائر الذّي إستصدره في حقّهم [5].

وفي المقابل فقد أدرك الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين خطورة وجسامة الصّنيع الذّي أقدم عليه أبوه عندما أراد جعل جميع الأراضي ملكا للدّولة ، فبادر من جهته غداة تسلّمه لمقاليد الحكم بردّ الأراضي المثمّنة لأصحابها وعدل عن ذلك القرار[6] ، لما كان لاقاه من معارضة شديدة لدى الأهالي .

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 91 .

(2) المصدر نفسه ، ج 1ص 91 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2ص 175 .

(4) المصدر نفسه ، ج 2ص 175 .

(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص 166 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2ص136 .

(6) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص 166 . ابن الدّيبع ، المصدر نفسه ، ج1ص399 . ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج 1ص340 . الوصابي ، تاريخ وصاب ، ص111 . الكبسي ، اللّطائف السنيّة ، ورقة16 أ .

(7) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 2ص167 .

ولأنّ جملة التّجاوزات التّي أتاها بعض رجال الدّولة الأيّوبيّة في الميدان الفلاحي هي في الغالب تجاوزات محدودة في الزّمن ، فإنّه لا يمكن لها بأيّ حال من الأحوال أن تعرقل حالة الإنتعاش والإزدهار التي كانت قد عرفتها الفلاحة اليمنيّة طوال ذلك العهد والتي إنعكست في جانب كبير منها في تنوّع ووفرة المحاصيل الفلاحيّة بهذا الإقليم كما سيتبيّن ذلك .

ب - إنتاج فلاحي غزير ومتنوّع :

لقد كان من نتائج الظّروف الملائمة التي حظيت بها الفلاحة في بلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي أن تنوّعت محاصيلها سواء منها الزّراعيّة أو الحيوانيّة حتّى تخطّى نطاق رواجها حدود البلاد وأسواقها وغدا الطّلب عليها متزايدا في الدّاخل والخارج لندرتها ولجودتها .

* المحاصيل الزّراعية :

إشتهرت بلاد اليمن منذ القدم بوفرة محاصيلها الزّراعيّة وبتنوّعها حتّى غدت موضع إهتمام الجغرافيين والرحّالة على مرّ الأزمنة والأوقات ، فأمعنوا في وصف محاسنها وذكر مزاياها بشكل لا يخلو في الغالب من معاني الإعجاب والإنبهار. فقد سمّيت اليمن بالخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها [1] ، وتحدّث ابن الفقيه الهمذاني عن الأشياء التّي ملأت الدّنيا ولا تكون إلاّ بهذا البلد وهي الورس والخطر والكندر والعصب [2] ، مضيفا قوله في هذا الصّدد : " وباليمن من أنواع الخصب وغرائب الثّمار وطرائف الشّجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأكاسرة والقياصرة " [3]. وروى صاحب " معجم البلدان " " أنّ زياد بن عبيد الله الحارثي خال السّفاح اجتمع بإبن هبيرة الفزاري فقال هذا الأخير لزياد : فمن الرّجل ؟ فقال : من اليمن فقال : أخبرني عنها . فقال : " أمّا جبالها فكروم وورس وسهولها برّ وشعير وذرة " [4]. وقال فيها القزويني " اليمن بلاد واسعة من عمان إلى نجران تسمّى الخضراء لكثرة أشجارها وزروعها تزرع في السّنة أربع مرّات ويحصد كلّ زرع في ستّين يوما وتحمل أشجارهم في السّنة مرّتين " [5].كما زخرت المؤلّفات الفلاحيّة العائدة إلى العهد الرّسولي بمعلومات قيّمة وغزيرة عن أنواع متعدّدة من المزروعات اليمنيّة ، التّي تمتدّ جذورها إلى ما قبل العهد الأيّوبي [6].

---

(1) ياقوت ، معجم البلدان ، ج5 ص 511. ترميسي ، اليمن وحضارة العرب ، ص 141.

(2) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص36 .

(3) المصدر نفسه ، ص 34.

(4) ياقوت ، المصدر نفسه ، ج5 ص 512.

(5) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 65.

(6) Serjeant, " The cultuvation of cereals..." , *loc.cit* , pp34-35 .
Varisco, *Medieval Agriculture*, pp 41-60.
Ibid, " A Royal crop register Rasulid Yemen" , *loc.cit.*, pp 1-22.
Ibid, " Rasulid Agriculture and the Almanac Tradition", in *Yemen 3000 years of Art and Civilisation*, pp309-311.

وتعدّ الحبوب من أكثر المحاصيل النّباتيّة ، التي أقبل الفلاّح اليمني على زراعتها طوال العهد الأيّوبي بالمناطق الممطرة في كلّ من البلاد التّهامية والبلاد العليا . أمّا منطقة تهامة الممتدّة من حرض شمالا إلي أحور جنوبا على ساحل بحرالعرب فقد إختصّت في زراعة الذّرة البيضاء وتسمّي " حبّ " عند أهل اليمن وهي تشكّل أساس الطّعام عندهم لذلك عرفت أيضا بإسم "الطّعام" ومنها يصنع دقيق الخبز [1]. وقد تحدّث الهمداني عن خزن محاصيل الذّرة بنواحي تهامة بقوله : " يسع المدفن منها خمسة آلاف قفيز إلي ما أقلّ ويسدّ عليها حتّي ربّما بنت على السّداد الشّجر العري وتقيم العمر ولاتنفخش "[2]. كما كانت تزرع أصناف أخرى من الذّرة بالمناطق الجبليّة على السّفوح وفي الأودية والقيعان التي تتخلّل سلاسل الجبال في جهات اليمن الأعلى ، وذلك كلّما توفّرت التّربة الخصبة وكميّات المياه اللاّزمة لمثل هذه الزّراعات [3].

ومن أصناف الحبوب الأخرى التّي زرعها أهل اليمن طوال العهد الأيّوبي الدّخن [4]وقد أشار ابن المجاور إلي تداول زراعته بنواحي زبيد خلال ذلك العهد[5]، ويزرع الدّخن في المناطق الحارّة ذات المياه الوافرة بكلّ من تهامة والبلاد العليا وفي هذا الصّدد يشير ابن الحائك الهمداني إلي زراعة هذا النّبات في كلّ من مأرب والجوف وبيحان حيث كان المزارعون يبذرون البذور في بركة مملوؤة من مياه السّيل وتسمّي " الجربة " وفي ذلك يقول صاحب " صفة جزيرة العرب " : " ... فإذا إمتلأ نفّ فيها لطّهف والدّخن فنضب الماء ثار نبته فلا يحمّ الجربة في شهر وأيّام حتّى تصرم ..." [6]. كما زرع اليمنيّون الطّهف وهو حبّ من فصيلة الدّخن لكنّه أصغر حجما كما يشير إلي ذلك الهمداني وتختلف زراعته عن زراعة الدّخن فهو لا يستوجب كميّات كبيرة من الماء كما أنّ محصوله يجني بعد مدّة لا تتجاوز السّتين يوما[7] .

وإلي جانب الذّرة والدّخن والطّهف إهتمّ المزارع اليمني طوال العهد الأيّوبي بزراعة الحنطة والشّعير والأرزّ[8] والعلس[9] ، وقد أشار ابن المجاور إلي

----

(1) ترسيسي، اليمن وحضارة العرب ، ص 154.
Serjeant, " The cultuvation of cereals..." , *loc.cit* , pp45-54 .
Varisco, " The production of Sorghum (Durah) in Highland Yemen", *loc.cit,* pp53-88.
Ibid, " Rasulid Agcriculture and the Almana Tradition" *loc.cit*, pp 309-311.
Ibid, *Medieval Agriculture and Islamic Science* , p 42 .

(2) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 214.

(3) Varisco, " The production of Sorghum...", *loc.cit,* pp53-88.
Serjeant, " The cultuvation of cereals..." , *loc.cit* , pp45-53 .

(4) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص63 .
Varisco, " The production of Sorghum...", *loc.cit,* p 59.
Serjeant, " The cultuvation of cereals..." , *loc.cit* , pp 51-53 .

(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1ص63 .

(6) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 216.

(7) Serjeant, " The cultuvation of cereals..." , *loc.cit* , p 57 .

(8) ابن المجاور ، المصدر السّابق، ج1 ص63 .

(9) القزويني ، آثار البلاد ، ص 69.

البادرة المتميّزة التي أتاها أهل وداي فشال بنواحي زبيد عندما قاموا خلال سنتي 623 - 624 هـ / 1225 - 1226 م بزراعة الحنطة والشّعير والأرزّ وكانوا قبل ذلك مقتصرين على زراعة الدّخن والذّرة [1] . وروي أنّ مخلاف مسور من خواصّه العجيبة أنّ البرّ والشّعير والذّرة يبقى بها مدّة طويلة لا يتغيّر، وذكر أنّ أهل هذه البلاد إدّخروا الحنطة فرأوها بعد ثلاثين سنة ولم يتغيّر منها [2]. كما يشير القزويني إلى إنفراد أهل اليمن بزراعة العلس و"هو نوع من الحنطة حبّتان منه في كمام لا يوجد إلاّ باليمن وهو طعام أهل صنعاء"[3] ، ومنه يصنع الخبز لكنّه يبقى دون القمح نكهة[4].

وكما أقبل الفلاّح اليمني على زراعة الحبوب بإعتبارها مادّة أساسيّة للغذاء عني أيضا في الأثناء بإنتاج الغلال والفواكه لما فيها من منفعة غذائيّة لا غنى عنها فضلا عمّا كانت توفّره في المقابل من عائدات ماليّة هامّة لأصحابها . وقد إشتهرت بلاد اليمن منذ القدم بوفرة وتنوّع محاصيلها من الفواكه والغلال كما تجمع على ذلك عديد المصادر [5]، فلمّا كان زمن حكم بني أيّوب إزدهرت هذه الزراعات بتشجيع من رجال الدّولة الذّين ولعوا بإقامة البساتين والجنان في نواحي كثيرة من أرض اليمن [6]. ويعود تنوّع هذه الزّراعات إلى تعدّد أنواع المناخ بهذا الإقليم الذّي كان يختلف وفقا لدرجة الإرتفاع عن سطح البحر ومدى جفاف ونوع التّربة ، إذ يمكن القول أنّ جميع أنواع الغلال والفواكه التّي تنمو في المناطق الحارّة والمناطق المعتدلة كانت متداولة زراعتها بأرض اليمن[7] ، كالتفّاح والمشمش والخوخ والإنجاص والسّفرجل والعنب والتّين والكمثري[8] ، إلى جانب التّوت والموز والبطّيخ الأخضر والأصفر والليمون والأترج[9] والتّمور بأنواعها[10] .

ففي المرتفعات من السّراة إلى صنعاء تكثر زراعة التّفاح والإجّاص والخوخ واللّوز والسّفرجل والعنب والكمثري [11]، وفي الوديان الوسطى من زبيد إلى

---

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص63

(2) القزويني ، **آثار البلاد** ، ص 69.

(3) **المصدر نفسه** ، ص 216.

(4) Serjeant, " The cultuvation of cereals..." , *loc.cit* , p 57 .

(5) ابن رستة، **الأعلاق النّفيسة** ، ص114 . المقدّسي ، **أحسن التّقاسيم** ، ص84–88 . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤية** ، ج1 ص22 .

(6) ابن المجاور، **المصدر السّابق**، ج 1ص 105ج2 ص154. أبو مخرمة ، **ثغر عدن**، ج1ص 20. ج2 ص 237.

(7) ترسيسي ، **بلاد سبا** ، ص483 .

(8) ابن المجاور ، **المصدر السّابق** ، ج 2ص 185. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ،ج2 ص 237.

(9) العمري ، **مسالك الأبصار** ، ص152 . ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص62 .

(10) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص78–79 . ترسيسي ، **المرجع نفسه** ، ص483 .

(11) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص 185. القزويني ، **آثار البلاد** ، ص69 . ابن جبير ، **الرّحلة** ، 110–111.

تعزّ تزرع أنواع الحمضيّات والرمّان والموز والتّين والبطّيخ وقصب السكّر [1]. أمّا التمّور فقد كانت تزرع بالمناطق المنخفضة والجاقّة بجهات تهامة ويشير ابن المجاور إلى الإقبال المكثّف لأهل زبيد على زراعة النّخل خلال العهد الأيّوبي بقوله : " فكثر النّخل وأصنافه حماري وصفاري وخضاري كلّها ذات ألوان مختلفة " [2]. كما أشار صاحب " تاريخ المستبصر " إلى المداخيل الماليّة الهامّة التي جناها الأيّوبيون من نخل زبيد ، حيث بلغ مال النّخل خلال سنة 624 هـ / 1226 م مائة وعشرة آلاف دينار نقدا غير ما حمل إلى الخزانة [3].

غير أنّ قرار التّرفيع في الرّسوم الجبائيّة المفروضة على أهل النّخل منذ عهد الملك سيف الإسلام طغتكين جعل إنتاج التّمور بهذا البلد يتراجع عن ذي قبل ، وذلك بعد أن هجر المزارعون أملاكهم بسبب عجزهم عن تسديد ما عليهم من ضرائب لخزينة الدّولة [4].

وإلى جانب الفواكه زرع أهل اليمن أنواعا عديدة من الخضروات والبقول [5] كاللّوبياء والكرّاث والفجل، الّذي كان يباع بصنعاء مشقّقا إلى أربع بأمر من والي المدينة حتّى لا تستعمله النّساء لأغراض أخرى[6] .

ولم يقتصر الفلاّح اليمني على زراعة المحاصيل الغذائيّة بل تعدّاها إلى زراعات موجّهة في الغالب إلى أغراض صناعيّة كالورس والفوّة ، اللّذين كثرت زراعتهما بالمناطق الجبليّة[7] ، والقطن والحنّاء بنواحي تهامة [8]. إلى جانب النّباتات العطريّة كالورد والنّرجس والياسمين وزهر الكاذي وزهر النّانج والرّيحان والفلّ الأبيض وزهر اللّينوفر وسائر المشمومات بكلّ من تعزّ وصنعاء وزبيد على وجه الخصوص[9].

ومن الزّراعات الموجّهة للأعمال الصّناعيّة أيضا عني أهل اليمن بزراعة السّمسم أو الجلجلان، وهو نبات يغرز زيتا يستعمل لصناعة الصّابون كما

---

(1) القزويني ، آثار البلاد ، ص88-89 . العمري ، مسالك الأبصار ، ص152 .ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج 1ص 62. ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص34 .

(2) ابن المجاور ،المصدر نفسه ، ج 1ص78-79 .

(3) المصدر نفسه، ج 1ص80 .

(4) المصدر نفسه، ج 1ص78-79 .

(5) المصدر نفسه ، ج 1ص80 .

(6) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص186 . ابن جبير ، الرّحلة ، ص 110.

(7) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص 144-145. القزويني ، آثار البلاد ، ص61 ،69 .

(8) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص 233.حامد خليفة ، الفنون الزّخرفيّة اليمنيّة ، ص 168.

(9) ابن المجاور ، المصدر السّابق ، ج 2ص 185. ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص34 . العمري ، مسالك الأبصار ، ص152 .

يستعمل لأغراض غذائيّة وطبيّة[1] ، وتكثر زراعته بالجهات الحارّة في نواحي زبيد وبالمناطق المنخفضة من البلاد العليا [2] . وقد أشار ابن المجاور إلى إحتكار أهل زبيد لمادّة السّمسم طوال العهد الأيّوبي [3].

كما إهتمّ اليمنيّون في الأثناء بالعديد من النّباتات الطبّية كالزّنجبيل والقرنفل بنواحي زبيد [4] والمرّ والصّبر ودم الأخوين بجزيرة سقطرى جنوب عدن [5] واللّبان أو الكندر الّذي إشتهرت بإنتاجه نواحي عديدة من منطقة حضرموت مثل ظفار ومرباط والشّحر ومهرة [6] . وقد أشار القزويني إلى كثرة إنتاج مادّة اللّبان بنواحي ظفار فقال فيها : " بها اللّبان الذّي لا يوجد في الدّنيا إلاّ في جبالها وأنّه غلّة سلطانها وأنّه من شجر ينبت في تلك المواضع مسيرة ثلاثة أيّام في مثلها فيأتيها أهل ظفار ويجرحون أشجارها بالسكّين فيسيل منها اللّبان فيجمعونه ويحملونه إلى ظفار فيأخذ السّلطان قسطه ويعطيهم الباقي "[7] . أمّا ابن المجاور فقد وصفها بأنّها معدن اللّبان [8] .

وكما أقبل الفلاّح اليمني بتفاني طوال العهد الأيّوبي على النّشاط الزّراعي بإعتباره من الميادين الإقتصاديّة الحيويّة التي لا غنى عنها ، إعتني في الأثناء بالإنتاج الحيواني على إختلاف أنواعه لما فيه هو الآخر من فوائد غذائيّة شتّى ومنافع إقتصاديّة جمّة .

* الإنتاج الحيواني:

إشتهرت بلاد اليمن على مرّ العصور بغزارة منتوجها الحيواني وتنوّعه ويعود ذلك في الأساس إلى ما حازته هذه المنطقة من جنوب بلاد العرب من ظروف طبيعيّة ملائمة ساهمت في تنمية منتوجها الحيواني ، الذّي تنوّع بدوره بتنوّع الحاجات الحياتيّة للإنسان اليمني .

----

(1) القزويني ، آثار البلاد ، ص69 . العمري ، مسالك الأبصار، ص154. القلقشندي ، صبح الأعشى، ج5 ص 16. ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص 88. Varisco, *Medieval Agriculture* ..., p52.

(2) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1ص88.
Serjeant," The cultuvation of cereals", *loc.cit* , p 58.

(3) المصدر نفسه ، ج 1ص88.

(4) المصدر نفسه ، ج 1ص88.
Varisco, " Medicine and the Herbal in Medieval Yemen " , *loc.cit*, p 312-321 .

(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص266. ياقوت ، معجم البلدان، ج 3ص256-257 . ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص102 . القزويني ، آثار البلاد ، ص82-83 . ترسيسي ، بلاد سبا ، ص 556.

(6) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص260. الإصطخري، المسالك والممالك ، ص 14. أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص98-101 . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج5 ص 15. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص147 . القزويني ، المصدر نفسه ، ص61 .

(7) القزويني ، المصدر نفسه، ص61 .

(8) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 2ص260.

ويعدّ قطاع تربية الماشية من الميادين الإقتصاديّة الحيويّة التي زاولها أهل اليمن منذ القدم ، بعد أن كانوا قد توصّلوا إلى تدجين أنواع متعدّدة من الحيوانات كالإبل والخيل والحمير والبقر والماعز وشتّى أصناف الطّيور، وفي ذلك يقول صاحب "مسالك الأبصار" : وباليمن الخيل العراب الفائقة والبغال نوعان سروجيّة للرّكوب وحبشيّة للأحمال وبها الجمال والحمير وأنواع الدّواب من البقروالغنم والطّير والأوزّ والدّجاج والحمام " [1].

وقد كان لإزدهار الزّراعة باليمن طوال العهد الأيّوبي الأثر الإيجابي على تربية الماشية ، التي وجدت في ذلك ما يكفيها من المراعي والعلف ، فضلا عمّا كانت توفّره الثّروة الغابيّة الهامّة بالمناطق الرّطبة والممطرة [2] من مخزون غذائي إضافي للثّروة الحيوانيّة بهذا الإقليم طوال العهد المشار إليه [3]. ومن المواد التي إستعملها اليمنيّون لتغذية حيواناتهم النّباتات الغضّة . كاللّبد والحندوق والفصفصة ومختلف أنواع الحبوب من قمح وشعير وعدس وذرة [4]. إلى جانب أنواع متعدّدة من النّباتات الجافّة شأن حبوب الشّعير والذّرة والأرزّ والتي كانت تستخدم جميعها كغذاء للخيل والإبل والفيلة [5].

غير أنّ إرتباط المواد العلفيّة ذات الأصل النّباتي بالظّروف المناخيّة المتغيّرة بهذا الجزء من بلاد العرب جعل سكّانه يعملون على إستنباط أنواع علفيّة أخرى لتأمين غذاء قطعانهم من الماشية مثل الحليب واللّبن والسّمن ، الذّي كان يقدّم للخيول حتّى تسمن ويشتدّ عودها وتصبح قويّة وخفيفة السّير [6]. والسّمك المجفّف الذي كان يستعمل في جهات حضرموت كعلف للإبل والغنم [7] وقد أشار الإدريسي إلى كثرة تداوله لدى أهل مهرة بقوله : " وجملة دوابّهم التّي في بلادهم تعلف السّمك المعروف بالورق يصاد في ذلك البحر من بلاد عمان وهو حوت صغير جدّا يصاد ويشمّس وتعلف به الدّواب والإبل ..." [8] . ويضيف ابن بطّوطة قوله في هذا المعنى : " ... ومن العجائب أنّ دوابّهم أنّما علفها من هذا السّردين وكذلك غنمهم ولم أرى ذلك في

----

(1) العمري، مسلك الأبصار ، ص150. القلقشندي ، صبح الأعشى، ج 5ص 16.

(2) لقد أشار ابن المجاور في أكثر من موضع من أثره إلى الثّروة الغابيّة الهامّة التي إحتوت عليها أودية تهامة طوال العهد الأيّوبي . ابن المجاور ، المستبصر ، ج 1ص 63.

(3) جمال (آغا شاهر) ، " الأقاليم الطّبيعيّة في اليمن " ، دراسات يمنيّة ، عدد 10صنعاء 1982م . ص26 ، 28 ، 35-37.

(4) المجاهد الرّسولي ، الأقوال الكافية والفصول الشّافية في الخيل ، تحقيق يحي وهيب الجبوري ، بيروت 1987م ص 244 ، 253. المظفّر الرّسولي ، المعتمد في الأدوية، ص364 ، 559 ، 570 .
Serjeant," The cultuvation of cereals",*loc.cit* , pp56-57.

(5) المجاهد الرّسولي ،الأقوال الكافية ، ص244 . ماركوبولو ، الرّحلات ، ج 3ص91 .

(6) المصدر نفسه، ص 193 ، 243 ، 259،252 .

(7) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 44. الحميري ، الرّوض المعطار ، ص 338-339.

(8) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص 39.

سواها ظفار ..." [1]. وقد فسّر الرحّالة " ماركوبولو " إلتجاء أهل الشحر من أرض حضرموت إلى إستعمال السّمك المجفّف كغذاء لحيواناتهم بقوله : " ... ونظرا لأنّ البلاد أصبحت بسبب شدّة الحرّ تكاد تحترق بالرّمضاء ، ومن ثمّ لا يشاهد بها أيّ نوع من النّبات فإنّهم يعوّدون ماشيتهم وأبقارهم وأغنامهم وخيولهم على الإغتذاء بالسّمك المجفّف الذّي تتناوله تلك السّائمة بغير مضض... " [2].

ومن الحيوانات التّي أجاد اليمنيّون تربيتها منذ القدم الخيول [3] لذلك غدت بلاد اليمن مضربا للأمثال في إنتاج الجياد العربيّة الأصيلة ، التّي كانت تصدّر إلى أقاصي البلاد لجودتها ولسرعتها الفائقة[4] . وقد إنتشرت تربية الخيول في المناطق المنبسطة والمرتفعة من بلاد اليمن وهي مناطق تساعد الجياد الأصيلة على خفّة الحركة والرّشاقة ، وربّما كان هذا النّوع من الخيول هو الوحيد الذّي يتحمّل قلّة " الأكسجين" الذّي يتناقص مع الإرتفاعات ، لذلك كانت القيعان والسّهول الجبليّة مصدرا للخيول الأصيلة التي تفاخرت بأصولها العربيّة المصادر الصّينيّة [5].

وكان الكحيلان اليمني على ما ترويه المصادر من أكثر الجياد العربيّة الأصيلة رواجا وشهرة لدى الملوك وسادات الأقوام في مختلف أنحاء الأرض وكانت أثمانه باهضة[6] . كما كان لأهميّة هذا النّوع من الخيول أن إحتفظ لها المختصّون بتربيتها بسجلاّت تحفظ نسبها ويحرّرون شهادات بذلك[7] ، وقد برع أهل اليمن في الإلمام بكلّ ما يتّصل بحياة الجياد والخيول فبرز منهم خبراء لهم قدرة فائقة على تعريب العراب منها وتهجين الهواجن وتصنيف العتاق حسب ألوانها وشياتها ودوائرها وسماتها[8] ، كما إعتنوا بأنسالها وخبروا أمراضها وأسرار علاجها . وقد نقلت لنا عديد المؤلّفات التي إهتمّت بالخيول معلومات قيّمة عن هذه الخبرات كتلك الواردة في " كتاب الخيل " لإبن الكلبي الذّي يعدّ من أقدم المؤلّفات التي إختصّت بهذا الموضوع[9] . ونظرا لما كانت تمثّله الخيول باليمن طوال العهد الأيّوبي من مادّة إستراتيجيّة فقد عملت الدّولة الأيّوبيّة على الحدّ من إستنزافها إلى الخارج بأن وظّفت على خروجها رسوما مرتفعة كما يشير إلى ذلك ابن المجاور ، حيث كان يؤخذ على الحصان إذا دخل البلد خمسون دينارا وإذا غادرها سبعون دينارا [10].

---

(1) ابن بطوّطة ، **الرّحلة** ، ص259 .

(2) ماركوبولو، **الرّحلات** ، ج 2ص 94.

(3) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص 141. المجاهد الرّسولي ،**الأقوال الكافية** ، ص104-105 . ابن بطوّطة ، **المصدر نفسه**، ص627-629 . ماركوبولو ، **الرّحلات** ، ج 3 ص91 .

(4) ابن بطوّطة ، **المصدر نفسه** ، ص627-629 .

(5) ترسيسي ، **بلاد سبا**، ص 356.

(6) **المرجع نفسه**، ص356 .

(7) **المرجع نفسه**، ص356 .

(8) المجاهد الرّسولي ، **المصدر نفسه** ، ص 160، 361-362 .

(9) **المصدر نفسه** ، ص17-24 .

(10) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 141.

وكما إعتني أهل اليمن بالخيول الجياد العتاق أقبلوا على تربية أصناف أخرى أقلّ قيمة معدّة أساسا لتصريف شؤون حياتهم اليوميّة وحمل أسفارهم ، ومن هذه الأنواع الهجين وهو من أب عربي وأمّه من صنف البراذين ، والمقرف من أمّ عربيّة وأبوه من البراذين ، والكودن أو البرذون وهو من صنف البغال ، والسّاقط أبواه من الجياد لكنّه دنيّ ، والخارجي أبواه دنيّان ساقطان وهو عتيق جواد ، والشّهري وهو ما بين المقرف والبرذون [1].

وإلى جانب الخيل بأصنافها الجيّدة والدنيّة إهتمّ اليمنيّون بتربية أصناف أخرى من الحيوانات التي بدت ضروريّة ولازمة في حلّهم وترحالهم ، شأن الإبل التي كانت بمثابة وسيلة النّقل الأساسيّة طوال ذلك العهد ، فضلا عمّا كانت توفّره هذه الحيوانات الصّبورة والقويّة من مواد نافعة لحياة سكّان هذا الإقليم من ألبان ولحوم ووبر وجلود وفواضل تستعمل كمادّة للوقود إلى جانب الحطب [2]. وقد أشارت عديد الدّراسات إلى الدّور الهامّ الذّي لعبه الجمل في حياة العرب بصفة عامّة وأهل اليمن بصفة خاصّة لمدّة تربو على ثلاثة آلاف سنة[3] ، كما أكّد المختصّون على قدرة الجمل العربي على تحمّل العطش لفترة تناهز خمسة وعشرين يوما في الشّتاء وخمسة أيّام في عزّ الصّيف [4].

ومن المناطق التّي إشتهرت بتربية الإبل بأرض اليمن منذ العهود الإسلاميّة الأولى بلاد مهرة وإليها تنسب الإبل المهريّة وقد وصفها ابن حوقل بأنّها من أفضل الإبل في السّير وحسن الرّياضة وهي في نظره من أحسن النّجب [5]، كما تحدّث المسعودي عن ذكاء وفطنة الإبل المهريّة المستعملة لدى أهل الشّحر لإلتقاط العنبر على سواحل البحر [6]. أمّا صاحب " صفة جزيرة العرب " فقد أشار إلى الأصناف المتعدّدة من الإبل التّي إختصّ أهل اليمن في تربيتها بقوله : " وباليمن من كرام الإبل الأرحبيّة لأرحب بن الدعّام من همدان والمهريّة العيديّة تنسب إلى العيد قبيلة من مهرة والصّدفيّة والجرميّة والدّاعريّة تنسب إلى داعر من بلحارث والمجيديّة ومنها الإبل المهريّة المعنبرة " [7].

وقد تواصلت شهرة بلاد مهرة في تربية الإبل طوال العهد الأيّوبي وذلك ما يؤكّده قول أبي الفدا : " وبلاد مهرة ليس بها نخيل ولا زرع وإنّما أموال أهلها الإبل ... وينسب إليها النّجب المفضّلة ... وذكر في الصّحاح أنّ الإبل المهريّة منسوبة إلى مهرة بن حيدان ... [8] ". أمّا ياقوت فقد أشار إلى النّوق الجرشيّة التّي كانت

----

(1) المجاهد الرّسولي ،الأقوال الكافية ، ص160 ، 361-362 .

(2) المظفّر الرّسولي ، المعتمد في الأدوية ،ص72-73 . ترسيسي ، بلاد سبا ، ص 337.

(3) ترسيسي ، المرجع نفسه ، ص 337.

(4) المرجع نفسه ، ص 337.

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص44 .

(6) المسعودي ، مروج الذّهب، ج 1ص170-171 .

(7) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 320.

(8) أبو الفدا، تقويم البلدان ، ص 101.

تستخدم لإستخراج المياه من الآبار العميقة حتّى غدت مضربا للأمثال فيقال : " دموعي تحدّر كتحدّر ماء البئر عن دلو تسقي بها ناقة جرشيّة " [1].

غير أنّ أهميّة الخيول والإبل في حياة أهل اليمن لم تكن لتنسيهم أنواعا أخرى متعدّدة من الحيوانات الدّاجنة كالأبقار والأغنام والماعز والنّحل إلى جانب أصناف شتّى من الدّواجن والطّيور[2] ، وذلك لما كانت توفّره هذه الحيوانات الأليفة من قيمة غذائيّة لا غنى عنها [3]. فقد أشار ابن المجاور إلى قطعان الماعز والغنم الواصلة من الحبشة إلى أرض اليمن عبر ميناء عدن [4]، كما تحدّث صاحب " مسالك الأبصار " عن كثافة القطيع بجهة السّراة من أرض اليمن بقوله : " ولأهل السّراة ماشية أعوزتها الزّرائب وضاقت بها الحضائر " [5] ، أمّا ابن جبير فقد وصف قبائل السّرو بأنّهم أهل أنعام ومواشي منوّها بفضلهم على أهل مكّة لما كانوا يجلبونه إليهم من ميرة وأطعمة أغلبها ذات أصل حيواني كالعسل والسّمن وضروب الأدم [6].

وقد تركّزت تربية الأبقار والأغنام بجهات تهامة[7] لتوفّر المادّة العلفيّة بهذه المنطقة من أرض اليمن ولإنشغال سكّان هذه النّواحي بالزّراعة لاسيما الجاهدة منها وهو ما جعل إهتمامهم بهذا النّوع من الحيوانات يبدو أمرا مؤكّدا ، حيث كانوا يستفيدون من فواضلها كأسمدة لإخصاب التّربة، في حين كانت الأبقار والثّيران الفتيّة تستخدم لجرّ أدوات الحراثة .

وكما إستفاد أهل اليمن من الحيوانات الدّاجنة التّي إعتنوا بتربيتها داخل حضائر وإصطبلات أعدّت للغرض إنتفعوا أيضا بما جادت به الطّبيعة من أنواع متعدّدة من الحيوانات البرّية، التّي كانت توفّر غذاء إضافيّا لسكّان هذا الإقليم كالنّعام والفهود والظّباء والأيايل المتواجدة بكثرة بنواحي مأرب[8] والحمر الوحشيّة بجهات زبيد وأبين[9] ، إلى جانب بعض الأصناف الأخرى التّي كانت تستعمل للتّسلية وللتّرفيه كالقردة التي إشتهرت بها بلاد اليمن منذ عهود سابقة [10].

---

(1) ياقوت، **معجم البلدان** ، ج 2ص 147.

(2) العمري ، **مسالك الأبصار** ، ص 154. القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج 5 ص 16.

(3) المظفّر الرّسولي ، **المعتمد في الأدوية** ، ص 452-453.

(4) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص 143.

(5) العمري ، **المصدر نفسه** ، ص 165. القلقشندي ، **المصدر نفسه** ، ج 5 ص 16.

(6) ابن جبير ، **الرّحلة** ، ص110-111 .

(7) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص127 . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 2 ص 220.

(8) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص 199.

(9) الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج ص132 ، 223-224 ، 233 .

(10) ابن الفقيه ، **مختصر كتاب البلدان** ، ص41 . المسعودي ، **مروج الذّهب** ، ج 2 ص183 . ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 5ص448 . ابن حوقل ، **صورة الأرض**، ص45 . ابن المجاور ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 97.

كما إستفاد أهل اليمن في الأثناء من إشراف بلادهم على مجالين بحريّين هامّين وهما البحر الأحمر من جهة الغرب وبحر العرب من ناحية الجنوب ، فحصلت لهم بفضل ذلك عديد المنافع الغذائيّة والإقتصاديّة تمثّلت في جانب كبير منها في الثّروة السّمكيّة الهامّة، التي كانت تجود بها سواحل بلاد اليمن إلى جانب بعض المنتجات البحريّة الأخرى شأن العنبر، الذّي كان من السّلع الثّمينة الرّائجة طوال ذلك العهد .

ويعدّ الكسب في البحر من التّقاليد العريقة التي إشتهر بها أهل اليمن منذ القدم[1] ، فقد وصف ابن المجاور أهل عدن الأوائل بأنّهم كانوا صيّادين في البحر[2]وذكرهم ابن بطّوطة بأنّهم كانوا ما بين تجّار وحمّالين وصيّادين للسّمك [3]. كما أشار صاحب " تاريخ المستبصر " إلى كمّيات السّمك الوافرة الّتي كان يحصل عليها أهل غلافقة من أعماق البحر الأحمر فيزوّدون بها أسواق مدينة زبيد [4].

وقد تنوّعت أسماك البحر الأحمر إلى أنواع عديدة منها السّمك العربي وضيراك ورعيد والمراوح والفار والقرش والبياض والمخنف والفرا والسّفيّة والطّويلة وكان لحمها يباع بالميزان لأجل الدّواء [5]والصّبايا والمرح[6]، كما أنّه لأهميّة السّمك الوارد إلى مدينة زبيد كمادّة تجاريّة رائجة خصّص له بها سوق يعرف " بسوق السّمك " وضمانه كلّ يوم ثلاثة عشر دينارا ملكيّة [7].

ولم يقتصر إنتاج السّمك على سواحل البحر الأحمر فحسب بل كانت كذلك جهات مهرة وظفار والشّحر بنواحي حضرموت على أطراف بحر العرب [8]، فالسّمك المجفّف كان يرد إلى عدن من الشّحر[9] . ويذكر ابن المجاور أنّ الأسماك المجفّفة والمملّحة إذا كانت برأس أخذ عليها الأداء وإن كانت بلارأس لم يؤخذ عليها[10] . ويصف الرّحّالة ماركوبولو أهل الشّحر بأنّهم " صيّادو أسماك مهرة ، يصيدون التّونة بمقادير ضخمة " [11]. أمّا ابن بطّوطة فقد أشار من جهته إلى كمّيات السّمك الوافرة بأسواق ظفار بقوله : " والسّوق خارج المدينة بربض يعرف بالجرجاء ،

----

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص 116.

(2) المصدر نفسه ، ج1 ص 116.

(3) ابن بطّوطة ، تحفة النظّار ، ص251 .

(4) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج2 ص 243.

(5) المصدر نفسه، ج2 ص 243.

(6) المصدر نفسه، ج2 ص 243.

(7) المصدر نفسه، ج2 ص 243.

(8) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج2 ص 266. ماركوبولو ، الرّحلات، ج3 ص94 . ابن بطّوطة ، المصدر نفسه، ، ص259 .

(9) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج2 ص 143.

(10) المصدر نفسه، ج2 ص 243.

(11) ماركوبولو ، المصدر نفسه،ج3 ص94 .

وهي من أقذر الأسواق ، وأشدّها نتنا ، وأكثرها ذبابا لكثرة ما يباع بها من الثّمرات والسّمك "[1].

وفضلا عمّا كانت توفّره منتجات البحر المتنوّعة من مادّة غذائيّة هامّة وأساسيّة لأهل اليمن كان هؤلاء قد تمكّنوا في الأثناء من تحصيل أرباح وفيرة من جرّاء تلك المواد الثّمينة المستخلصة من أسماك البحر، شأن شحم سمك القرش الذّي كان يستخدم لطلي السّفن حتّى يمنع تسرّب المياه إليها[2] ، واللّؤلؤ الذّي كان يحصّل بكثرة في خليج عدن على حدّ إشارة ابن المجاور[3]. هذا إلى جانب مادّة العنبر التّي كانت متواجدة بكثرة على السّواحل الجنوبيّة لبلاد اليمن وتشير المصادر في هذا المعنى إلى طريقة تحصيل هذه المادّة الثّمينة من أحشاء الحيتان ، حيث كان سكّان السّواحل يأخذون بحراب شائكة يرشقونها في جسم الحوت رشقا قويّا ثابتا بحيث لا يمكن نزعها، ثمّ يثبّت في هذه الحراب الحديديّة حبل طويل في آخره "شمندورة " بقصد معرفة المكان الذّي توجد به السّمكة متى ماتت فيسحبونها إلى الشّاطئ ويشرعون في إستخراج العنبر من بطنها ، كما يحصلون في الأثناء من رأسها على كمّيات وافرة من الزّيت العنبري [4].

وهكذا يمكن القول أنّ الفلاحة ببلاد اليمن بفضل ما توفّر لها من ظروف طبيعيّة ملائمة وطاقات بشريّة كافية قد حافظت طوال العهد الأيّوبي على أهمّيتها كقطاع حيوي وإستراتيجي في البنية الإقتصاديّة لهذا البلد ، وذلك لما كان يوفّره الإنتاج الفلاحي في الغالب من مادّة غذائيّة أساسيّة لا غنى عنها لحياة سكّان هذا الإقليم فضلا عن تلك العائدات الماليّة الهامّة المتأتّية من هذا القطاع والتي كانت بدورها تساهم في تنشيط الحياة الإقتصاديّة ببلاد اليمن طوال ذلك العهد ، شأنها في ذلك شأن بقيّة المجالات الإقتصاديّة الأخرى التّي سبق ذكرها .

خاتمة :

إنّ المتأمّل في الحياة الإقتصاديّة ببلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي يقف دون شكّ على حالة من الإنتعاش العام كانت قد شملت مختلف الميادين والأنشطة الإقتصاديّة بهذا البلد ، وإن كانت بدرجات متفاوتة وذلك حسب طبيعة كلّ نشاط وخصائص كلّ قطاع . ولا شكّ أنّ ذلك يعود إلى عدّة عوامل أوّلها الخصوصيّات الجغرافيّة والطّبيعيّة التي حازتها بلاد اليمن ، حيث كانت بحكم موقعها الإستراتيجي المشرف على الطّريق التّجاريّة الرّابطة بين منطقتي الشّرق والغرب مركزا تجاريّا نشيطا على خارطة المبادلات التّجاريّة الدّوليّة طوال ذلك العهد . في حين مثّلت الظّروف الطّبيعيّة الملائمة لمختلف الأنشطة الإقتصاديّة بهذا البلد خير حافز للإنسان

---

(1) ابن بطّوطة ، تحفة النظّار ، ص251 .

(2) ابن جبير ، الرّحلة، ص70 . عبد العزيز سالم ، البحريّة الإسلاميّة، ص 139.

(3) ماركوبولو ، الرّحلات، ج3 ص94 .

(4) ابن بطّوطة ، المصدر نفسه ، ص259 .

اليمني المزوّد منذ القدم بكثير من المهارات والخبرات وفي شتّى الأعمال والصّناعات لتطوير إمكانيّاته الإقتصاديّة، لاسيما في المجالين الحرفي والفلاحي اللّذين كانا قد إستفادا كثيرا من الحركيّة التّجاريّة لبلاد اليمن طوال الحكم الأيّوبي .

وفضلا عن كلّ ذلك فقد كانت لحالة الأمن والإستقرار التّي عرفتها بلاد اليمن مع مجيءالأيّوبيين آثارها الإيجابيّة على الأوضاع الإقتصاديّة بهذا الإقليم ، إضافة إلى سياسة الإنشاء والتّعمير المنتهجة من قبل رجال الدّولة الأيّوبيّة والتي كانت بدورها تشكّل أبرز مقوّمات الإنتعاشة الإقتصاديّة التّي شهدتها بلاد اليمن طوال تلك المرحلة المتميّزة من تاريخها .

الفصل الثاني : المظاهر الإجتمـــاعية والثقافـية والعمـــرانية

تمهيـــد :

لأنّ رياح التطوّر التي هبّت على بلاد اليـمن زمن حكم بني أيّوب كانت في الغالب قد مسّت مختلف مناحي الحضارة ومظاهرها ، فإنّ آثارها قد بدت جليّة وواضحة لاسيما فيما يتّصل بالجوانب الإجتماعيّة والثّقافيّة والعمرانيّة التي لم تكن هي الأخرى بمنأى عن تلك التحوّلات، التي شهدتها البلاد اليمنيّة طوال تلك الحقبة المتميّزة من تاريخها .

1 - البناء الإجتماعي ومظاهر الحياة الإجتماعية.

أ- بنـــاء المجتمـــع :

لقد بدا المجتمع اليمني طوال العهد الأيّوبي في كثير من ملامحه كغيره من المجتمعات العربيّة الإسلاميّة الوسيطة مجتمعا فئويّا جامد البنيان محكوما إلى حدّ كبير بثنائيّة الخاصّة والعامّة حيث تتحدّد وضعيّة الفرد بداخله حسب الفئة الإجتماعيّة التي ينتمي إليها الفرد نفسه ، وذلك رغم ما كان تميّز به هذا المجتمع في الأثناء من تواصل وإستمرار جليّين لعديد الصّيغ والمفاهيم الإجتماعيّة القديمة المستوحاة من النّمط القبلي ، كما سيتّضح ذلك من خلال إستعراضنا لمختلف الفئات المكوّنة لبنية هذا المجتمع.

* فئات الخاصّـــــة :

في إطار الحديث عن فئات الخاصّة بالمجتمع اليمني طوال العهد الأيّوبي يمكن التّمييز بين ثلاثة مستويات إجتماعيّة متباينة، وذلك حسب بعدها أو قربها من أصحاب السّلطة السّياسيّة في المجتمع بإعتبارهم الفئة المستحوذة على وسائل الحكم والنّفوذ بهذا البلد . وتبعا لذلك تتوزّع فئات الخاصّة كالآتي :

- الأيوبيون، أفراد الأسرة الحاكمة :

هم ممّن إنحدروا من نسل أيّوب بن شاذي بن مروان الكردي وممّن إستقرّوا ببلاد اليمن منذ حملة الملك المعظّم توران شاه في غضون سنة 569 هـ / 1174 م ، وقد إستأثر أفراد هذه الأسرة بسدّة الحكم وحالوا بكلّ ما أوتوا من قوّة ونفوذ على أن تظلّ مقاليد السّلطة العليا في الدّولة بين أيديهم فحازوا بذلك مختلف الإمتيازات الإجتماعيّة من سلطة وجاه ومال .

ولمّا كان الأيّوبيون أكرادا من أصول غير عربيّة فقد ظلّوا رغم إسلامهم عاجزين عن الإندماج مع أهالي البلاد لاسيما من العرب، الذّين أطلقوا عليهم ألقابا عديدة كالغزّ والأكراد لتمييزهم كعناصر دخيلة [1] ، فكانوا بمثابة الغرباء لإنعدام رابطة الدّم والجنس مع سكّان البلاد الأصليين . كما لم تشعر الأسرة الأيّوبيّة بهذا البلد في كثير من الأحيان بروح التّجاوب مع الأهالي ، لذلك ظلّت العلاقة بين الجماعتين علاقة عموديّة محكومة في الغالب بمنطق القوّة والسّيف [2].

- المماليك، أتباع الأسرة الحاكمة :

رغم أنّ نظام الرقّ كان نظاما معترفا به في الإسلام منذ ظهوره إلاّ أنّ المماليك لم يعلو لهم شأن ولم يظهر لهم أثر في المجتمع والدّولة الإسلاميين إلاّ خلال العهد العبّاسي ، حيث كان المعتصم أوّل خليفة عبّاسي يعتمد إعتمادا مكثّفا على المماليك الأتراك بعد أن كان ضاق ذرعا بنفوذ العناصر الفارسيّة [3]. فكان من جرّاء ذلك أن بدأ نفوذ هذه العناصر المملوكة الجديدة يتغلغل في كافّة الولايات التّابعة للخلافة العبّاسيّة ومن بينها مصر التي صار جندها وولاّتها من المماليك الأتراك أو من نسلهم [4] .

ولمّا قامت الدّولة الأيّوبيّة عمل صلاح الدّين على جلب الأتراك إلى مصر وبذل الأموال الكثيرة في شرائهم بغية تعزيز جيشه، كما سعى في المقابل إلى التخلّص من العناصر المصريّة والأرمن والزّنوج وذلك لما كان إمتاز به

----

(1) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص 10. وما بعدها . التكريتي ، " الأيّوبيون في اليمن " ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص143. Chelhod (J) , *L'Arabie du Sud : la societé yemenite de l'Hégire aux ideologies modernes*, éditions G.P Maisonneuve et Larose, Paris 1984. pp259-260.

(2) التكريتي، **المرجع نفسه** ، ص 143. Ibid, p 260.

(3) السّيوطي (جلال الدّين) **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد ، منشورات المكتبة التّجارية بمصر ، 1389هـ / 1969م . ص 335. عبد المنعم (حمدي) ، **دراسات في تاريخ الأيّوبيين والمماليك** ، دار المعرفة الجامعيّة ، القاهرة 1996م . ص 153. أيّوب ، **التّاريخ العبّاسي** ، ص 94.

(4) عبد المنعم ، **المرجع نفسه** ، ص 153.

الأتراك من شجاعة وقوّة بدنيّة فضلا عن جمال الصّورة [1]، فكانت منهم تتكوّن حلقته [2] و خيرة عسكره . وتذكر المصادر أنّه أثناء إستعداد الملك المعظّم توران شاه للتوجّه ناحية بلاد اليمن وذلك خلال سنة 569 هـ / 1173 م عمد أخوه السّلطان صلاح الدّين إلي تزويده بألف فارس من طليعة جيشه [3]، فكان من جرّاء ذلك أن تحوّلت عديد العناصر المملوكة إلي بلاذ العرب الجنوبيّة فكانوا يؤلّفون بدورهم حلقة تحيط بملوك بني أيّوب وبسدّة الحكم بهذا الإقليم ، حيث كان لكلّ ملك مماليكه المحيطين به فيتّخذ منهم أتابكه وأستاذ داره وخادمه وذلك حسب موهبة كلّ منهم ومقدرته [4] .

وقد عاش مماليك بني أيّوب في اليمن ضمن الفئة الحاكمة فكانوا بذلك منفصلين عمّن حولهم من سكّان البلاد وظلّوا محتفظين بطابعهم الإجتماعي ولم يختلطوا بالأهالي إلاّ فيما ندر . وفي المقابل كان هؤلاء المماليك في الغالب شديدي التمسّك بأسيادهم حيث كانوا يخلصون لهم في السرّاء والضرّاء ، كما كانوا رهن إشارتهم يوجّهونهم كيفما شاؤوا لتحقيق مآربهم [5] .

كما حظي مماليك بني أيّوب في اليمن بعناية كبيرة من قبل أسيادهم فبوّؤوهم المناصب العليا في الدّولة جاعلين منهم أصحاب الأمر والنّهي في كثير من الأمور المتّصلة بتسيير شؤون الحكم ، وفي هذا الصّدد يمكن ذكر كلّ من الأتابك سيف الدّين سنقر والواليين عثمان الزّنجيلي وياقوت التعزّي والأميرين شمس الخواصّ وهلدري وأسماء أخرى من مماليك الأمير الكردي وردشار الذّي يصفه صاحب " السّمط " بأنّه لم يكن له نظير ، وقد بلغ عدد مماليكه مئتين وستّين مملوكا [6].

---

(1) الباز العريني ، **مصر في عصر الأيّوبيين** ، ص 259.

(2) ورد ذكر الحلقة بإعتبارها مصطلحا عسكريّا لأوّل مرّة خلال حملة الملك المعظّم توران شاه إلى بلاد اليمن وذلك في غضون سنة 569هـ/ 1173م ، ثمّ تكرّر ذكر اللّفظ أثناء حصار صلاح الدّين لعكّا خلال سنة 587هـ/ 1191م . على أنّ المصادر لا تشير إلى تاريخ إنشاء هذه الفئة من العسكر لذلك ساد الإختلاف بخصوص تفسير هذا المصطلح من النّاحية الفنّية ، ففي حين يرى " كاترمير " Quatremere أنّ هذا الإسم قد أتّخذ للدّلالة على فئة من الجند كانت تحيط بالسّلطان وتؤلّف حرسه الخاصّ وهو الرّأي الأرجح فإنّ " بولياك " Poliak يخالف هذا الرّأي ويرى أنّ اللّفظ مستمدّ من الخطط الحربيّة الخاصّة التّي إعتادت الأقوام التّركيّة إستخدامها حيث يجري تطويق العدّو وحصره داخل حلقة . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج 1ص217 . المقريزي ، **السّلوك** ، ج 1 ص 184. الباز العريني ، **المرجع السّابق** ، ص 258-259.

Ayalon , " The Structure of the Mamluk Army ", in *Bulletin of the School of Oriental and Africain Studies*, pp 448-449.

(3) أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج1 ص217 . المقريزي ، **السّلوك**، ج 1ص184 .

(4) عبد المنعم ، **دراسات في تاريخ الأيّوبيين والمماليك** ، ص 155-156.

(5) **المرجع نفسه**، ص 155.

(6) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن**، ص146-150 .

- الفقهاء والعلماء ورجالات الأقوام:

لقيت هذه الفئات هي الأخرى نصيبها من الحظوة والمكانة المرموقة في السلّم الإجتماعي ببلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي ، وذلك بسبب سياسة المحاباة التّي سلكها ملوك بني أيّوب تجاه هذه العناصر الإجتماعيّة بغية إحتوائها نظرا لما كان لها من نفوذ مادّي ومعنوي على بقيّة شرائح المجتمع . ذلك أنّ شعور الأيّوبيين بأنّهم غرباء عن البلاد وعن أهلها جعلهم يكونون بحاجة ماسّة إلى دعامة إجتماعيّة قويّة يستندون إليها ويستعينون بها لبسط سلطانهم على بقيّة الفئات الإجتماعيّة الأخرى .

فقد روي عن الملك سيف الإسلام طغتكين أنّه كان يجلّ العلماء والفقهاء وذوي المعارف(1) ، كما كان ملوك بني أيّوب يظهرون كثيرا من التّبجيل والتّعظيم تجاه وجوه القبائل البارزة خلال ذلك العهد شأن ملوك بني حاتم زعماء همدان والأشراف السّليمانيين أصحاب المخلاف السّليماني وغيرهم من الرّجالات ذوي الجاه والنّفوذ. فالملك سيف الإسلام طغتكين كان قد أظهر كثيرا من المداراة والمحاباة إزاء كلّ من السّلطان علي بن حاتم وإبنه عمرو بن علي بن حاتم بأن أطلق لهما أملاكهما أينما كانت وعفا عنهما رغم ما كانا أظهراه في المقابل من تعنّت واضح ومعارضة شديدة للحضور الأيّوبي بهذا الجزء من بلاد العرب(2) . أمّا الأتابك سيف الدّين سنقر فقد أبدى من جهته هو الآخر كثيرا من الحلم تجاه المؤيّد بن قاسم السّليماني عندما أتي به وهو مقيّد في الأغلال بعد أن كان وقع في الأسر إثر تواطئه مع الأشراف الزّيديّة في حربهم للأيّوبيين ، فكان أن قابله الأتابك بكثير من الإكرام والتّعظيم بأن أفاض عليه من الخلع والهدايا (3).

* فئات العامّة :

غالبا ما أطلق عليهم إسم العوام أو العامّة وهم يتألّفون من أجناس شتّي وطوائف دينيّة مختلفة ويتوزّعون عادة علي مختلف الأنشطة الإقتصاديّة في المدن والقرى والبوادي، فكانوا بذلك يشكّلون السّواد الأعظم من سكّان بلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي.

- سكان المدن من التجار وأصحاب الحرف :

ضمّت مدن اليمن إلى جانب إحتوائها لأغلب فئات الخاصّة قسما كبيرا من السكّان المنتمين إلى شرائح العامّة من تجّار وأصحاب حرف من دبّاغين وصاغة ونجّارين وكنّاسين وحلاّقين وبنّائين وقطّارين وضرّابين و كيّالين

---

(1) ابن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص223 ، 224، 225-226 .

(2) ابن حاتم ، السّمط الغالي الثّمن ، ص36-38 . أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج2 ص 134. ابن الدّيبع ، قرّة العيون ، ج 1ص 394. ابن عبد المجيد ، بهجة الزّمن ، ص 79. ابن الحسين ، غاية الأماني ،ج 1ص334 . الكبسي ، اللّطائف السنّية ، ورقة 15ب .

(3) ابن حاتم ، المصدر نفسه، ص142 .

وخبّازين وسقّائين [1] وغيرهم ممّن إمتهنوا عديد المهن اليدويّة الجليلة منها والدّنيا [2].

وقد كانت جميع هذه الفئات الإجتماعيّة تحيا حياة مدنيّة حضريّة راقية مقارنة بسكّان البوادي حيث توفّرت لديهم كثير من مظاهر الإستقرار والرّاحة في العيش إلى جانب وجود العديد من المؤسّسات الإجتماعيّة والإقتصاديّة التّي كانت تقوم على خدمتهم كالمدارس والحمّامات والأسواق [3].

ويعتبر التّجّار أكثر فئات العامّة بروزا وحظوة فعرفوا ببياض العامّة بسبب الأرباح الوفيرة التي كانوا يحصلون عليها من العمل التّجاري وفي ذلك يقول العمري : " وللتّجار عندهم وضع جليل ، لأنّ غالب متحصّلات اليمن منهم وبسببهم كما قدّمنا ذكره " [4]. كما كان للتجّار منزلة خاصّة لدى حكّام وسلاطين بني أيّوب لمؤازرتهم لهم في الأوقات الصّعبة وفي هذا الإطار يشير المقريزي إلى إستجابة تجّار الكارم لقرار صلاح الدّين عندما إلتجأ في غضون سنة 577 هـ / 1181 م إلى تحصيل زكاة أربع سنين دفعة واحدة من هؤلاء التجّار لمواجهة الصّليبيين، الذين كانوا قد هاجموا عيذاب والبحر الأحمر خلال ذلك العهد [5].

غير أنّه في المقابل لا بدّ من الإشارة إلى مظاهر الجور والعسف التّي عاناها التجّار ببلاد اليمن من قبل رجال الدّولة الأيّوبيّة ملوكا وولاّة وفي عديد المناسبات حيث كانت بضائعهم وأموالهم عرضة للإستيلاء والمصادرة في كثير من الأحيان [6].

أمّا أصحاب المهن اليدويّة فقد كانوا يعيشون في شكل طوائف حرفيّة موزّعين على أسواق مختصّة مجمّعة تعرف خلال ذلك العهد بإسم القيصاريّات[7]، خاضعين كغيرهم من الباعة إلى سلطة

---

(1) عبد الواحد الشّجاع ، **اليمن في عيون الرّحالة** ، ص186-187 . حامد خليفة ، **الفنون الزّخرفيّة اليمنيّة** ، ص 171.

Serjeant and Ismaïl al-Akwa, " The Statue of San'a (Qanun San'a) " , in *SAN'A an Arabian Islamic City*, p 181 .

(2) عبد الواحد الشّجاع ، **المرجع نفسه** ، ص187 .

(3) عبد الواحد الشّجاع ، **المرجع نفسه** ، ص187 . الأكوع ، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، ص7 .

(4) العمري ، **مسالك الأبصار وممالك الأمصار** ، ص 161.

(5) المقريزي ، **السّلوك** ، ج1 ص 73-74.

(6) إبن جبير ، **الرّحلة** ، ص1482 . ابن فهد ، **إتحاف الورى** ، ج2 ص 549. سبط ابن الجوزي ، **مرآة الزّمان**، ج 8ص658-659 . الصّفدي ، **الوافي بالوفيات** ، ج 9ص316 . الحنبلي ، **شذرات الذهب** ، ج 5 ص120 . الفاسي ، **العقد الثمين**، ج7 ص 316. ابن تغري بردي ، **النّجوم الزّاهرة** ، ج6 ص 242. ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص147-148 . صالح شهاب ، **عدن فرضة اليمن** ، ص 170-171.

(7) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص 130. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج1 ص48 . كريم إبراهيم ، " الإنجازات العمرانيّة لبني أيّوب في عدن ... " ، **مجلّة التّراث** ، ص27-37 .

المحتسب الذي كان يعزى إليه تنظيم السّلوك الإجتماعي داخل هذه الأسواق[1].

وبالتمعّن في الإنتماءات العرقيّة والدّينيّة لفئة التجّار وأصحاب الحرف في اليمن طوال العهد الأيّوبي يلاحظ أنّها لم تكن تتشكّل من عناصر عربيّة وإسلاميّة فحسب وإنّما كانت تضمّ شتّى الطّوائف الدّينيّة والعرقيّة كاليهود والفرس والزّنوج والهنود والرّوم وغيرهم من الأقلّيات التّي استقرّت ببلاد اليمن عبر الزّمن[2]. ويسوق لنا ابن المجاور في هذا الإطار نموذجا حيّا عن مختلف العناصر السّكانيّة المقيمة بمدينة عدن خلال العهد الأيّوبي فيقول : " وغالب سكّان البلد عرب مجمّعة من الإسكندريّة ومصر والرّيف والعجم والفرس وحضارم ومقادشة وجباليّة وأهل ذبحان وزيالع ... وغالب أهلها حبوش وبرابر "[3].

ويعتبر اليهود أكبر هذه الطّوائف وأكثرها نفوذا في المجتمع اليمني منذ القدم[4] وقد توزّعوا في المدن الرّئيسيّة مثل عدن وصنعاء بين تجّار وحرفيّين كما تؤكّد ذلك أوراق الجنيزة التي عالجها " قويتين " Goitein حيث أشارت تلك الوثائق إلى إستقرار عائلات يهوديّة مشتغلة بالتّجارة بمدينة عدن[5]، كما أشار الباحث نفسه في موضع آخر إلى مهارة بعض يهود اليمن في العديد من الصّناعات وتخصّصهم في كثير من الأعمال والمهن[6].

----

(1) ابن خلدون، **المقدّمة**، ص249. الماوردي، **الأحكام السّلطانيّة**، ص 391. أبو مخرمة، **ثغر عدن**، ج 2ص 134.
Cahen et Talbi, art " Hisba", *EI²*, pp 503-505.

(2) المقدّسي، **أحسن التّقاسيم**، ص 84-85. ابن المجاور، **المصدر نفسه**، ج 2ص247. سبط بان الجوزي، **مرآة الزمان**، ج 8ص 658-659. الصّفدي، **الوافي بالوفيات**، ج 9ص316. الحنبلي، **شذرات الذّهب**، ج 5ص120. الفاسي، **العقد الثّمين**، ج7 ص49. ابن تغري بردي، **النّجوم الزّاهرة**، ج6 ص 242. عبد الواحد الشّجاع، **اليمن في عيون الرّحالة**، ص 186. العمري، **الأمراء العبيد والمماليك في اليمن**، ص26 وما بعدها. عبد اللّطيف الحديثي، **أهل اليمن في صدر الإسلام**، ص26. أبو مخرمة، **ثغر عدن**، ج 1ص 9-10.
Goitein, *Juifs et arbes*, collection " Aleph", les editions de minuit, paris 1957. p 69 .

(3) ابن المجاور، **المصدر نفسه**، ج1 ص 134.

(4) إبراهيم عبده (علي) وقاسميّة (خيريّة)، **يهود البلاد العربيّة**، بيروت1971 م. ص 135-141. العقيلي (محمّد رشيد)، **اليهود في شبه الجزيرة العربيّة**، عمان 1980م. ص73 وما بعدها.
Goitein, " The Jews of Yemen", in *Religion in the Middle East three religions in concord and conflict, Judaism and Christianity* Cambridge University, 1979. Vol I pp226-235 .
Klein-Franke(Aviva)," The Jews of Yemen", in *Yemen 3000 years of Art and Civilisation* p 265.

(5) Goitein, *Letters...*, pp212-215.

(6) Ibid, *A Méditerranean Society*, Vol I p 93
Ibid , " Evolution des communautés Juives dans la cité musulmane entre le VIII et le IX siècle", in *Etudes Méditerraneennes* (1957) Vol I p66-93.

وإعتمادا على مصادر يهوديّة قام بنشرها الباحث " شيفتيال " Shivitiel يلاحظ أنّ بعض العناصر اليهوديّة في صنعاء كانت متخصّصة في شتّى الأعمال والمهن الحرفيّة والتّجاريّة، إذ يوجد منهم البنّاء والقطّار (بائع العطر) والضرّاب (ضارب العملة) والدبّاغ والفرّان والحدّاد والحجّام والحلاّق والحمّال والجلاّب والكيّال (بائع القمح) والخبّاز [1] .

ويعيش اليهود في اليمن في شكل طوائف ومجموعات داخل أحياء أو قرى أمّا منعزلة أو قريبة من قرى وأحياء جيرانهم المسلمين ، كما كانت لهم في الغالب أحياء خاصّة بهم لعلّ أشهرها الحيّ المعروف بإسم "قاع اليهود " بمدينة صنعاء [2] .

أمّا على المستوى القانوني فقد ظلّ وضع اليهود في اليمن محدّدا حسب ما جاء في الشّريعة الإسلاميّةكما ظلّ وضعهم كأهل ذمّة قائما دون أن يطرأ عليه أيّ تغيير ، فمقابل ما كانوا يدفعونه من ضرائب للدّولة كانوا يتمتّعون بإمتيازات الأقليّات التي تشمل حماية الأرواح والممتلكات مع قدر كبير من الإستقلال الذّاتي في إدارة شؤون الطّائفة الدّاخليّة ، التي كانت تحت إشراف " رئيس " [3] . وفي هذا الصّدد تشير بعض الوثائق التي نشرها " ڤويتين " Goitein إلى أنّ اليهودي مضمون بن داود المقيم بعدن كان رئيسا لطائفة يهود هذه المدينة زمن ولاية الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين [4]، كما أشارت الوثيقة نفسها إلى سياسة التّضييق التي إنتهجها الملك المعزّ تجاه يهود عدن لحملهم على إعتناق الإسلام [5] فكان من جرّاء ذلك أن أعلن رئيس يهود هذه المدينة المدعو مضمون بن داود إسلامه في يوم الأربعاء أوّل ذي القعدة من سنة 594 هـ / 1198 م [6].

غير أنّه في المقابل لا بدّ من الإشارة إلى أنّ سياسة التّضييق والإكراه التي إنتهجها الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين تجاه يهود عدن لم تكن قاعدة ثابتة متّبعة من قبل الدّولة الأيّوبيّة في اليمن تجاه هذه الطّائفة الدّينيّة ، ذلك أنّه ما أن توفّي الملك المذكور حتّى عادت حياة يهود عدن إلى طبيعتها بعيدا عن كلّ مضايقة أو ضغوط مهما كان نوعها كما تشير إلى ذلك رسالة رئيس يهود عدن مضمون بن

----

(1) Serjeant and Ismaïl al-Akwa, " The Statue of San'a...", *loc.cit* , p181.

(2) إبراهيم عبدة ، يهود البلاد العربيّة ، ص 139.

(3) المرجع نفسه، ص 140.

(4) Goitein, *Letters of Medieval Jewish traders* ..., p 212-216.

(5) Ibid, p 213.

(6) Ibid, p 213.

داود والتّي كان قد بعث بها إلى أبرهام الميموني رئيس يهود مصر وذلك في غضون سنة 598 هـ / 1202 م [1].

- سكان القرى والبوادي :

هم يشكّلون السّواد الأعظم من السكّان وتنتشر مواطنهم في جميع أنحاء البلاد سهولها وجبالها وأوديتها فانقسموا لذلك بين مشتغلين بالزّراعة في شكل جماعات مستقرّة بعديد القرى وبين مزاولين للرّعي والصّيد وقد إنتشر هؤلاء في البوادي والأرياف المحيطة بالقرى والمدن[2] . وتتركّز أغلب المستوطنات الزّراعيّة في الهضبة الوسطى أو ما يعرف بالسّراة وخاصّة في قسميها الأوسط والأسفل وفي حضرموت[3] وبصفة متميّزة بإقليم تهامة أين تكاثرت مستوطنات زراعة النّخيل حول مدينة زبيد[4] حيث أحصى ابن المجاور ما يناهز الثّمانية مائة قرية زراعيّة بنواحي وادي فشال من أرض تهامة[5] ، لتتراجع هذه النّسبة في إتّجاه البلاد العليا في الجهات المجاورة لصنعاء من ناحية الشّمال [6].

وقد عاني سكّان القرى في اليمن طوال العهد الأيّوبي من جور سياسة الدّولة الأيّوبيّة في الميدان الزّراعي ، فكما ألزم أصحاب النّخل في عهد الملك سيف الإسلام طغتكين على دفع رسوم مرتفعة للدّولة حتّى أضطرّ كثير منهم إلى ترك أملاكهم التّي أصبحت في المقابل صفيّا لبيت المال [7] أجبروا زمن ولاية الأتابك سيف الدّين سنقر إلى بيع النّخلة بدرهم [8]بسبب مظاهر الحيف والظّلم التّي سلكها إزاءهم عمّال بني أيّوب [9].

أمّا أهل البوادي فقد كانوا أيضا يشكّلون قطاعا هامّا من سكّان البلاد طوال العهد الأيّوبي كما كانوا يتألّفون من عشائر وبطون مختلفة إمتدّت

----

(1) Goitein, *Letters of Medieval Jewish traders* ..., p 216.

(2) يفرّق ابن المجاور في بعض حديثه بين أهل القرى المستقرّين وأهل البوادي بقوله :" إنّ جميع أعمال الجبال وجميع أهل البوادي والبدو وتهامة ونجد ..." . ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر**، ج2 ص 229.

(3) عبد اللّطيف الحديثي ، **أهل اليمن في صدر الإسلام** ، ص70 .

(4) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص64 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص 34. عبد الواحد الشّجاع ، **اليمن في عيون الرحّالة**، ص165-167 .

(5) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص63 .

(6) عبد اللّطيف الحديثي ، **المرجع السّابق** ، ص70 .

(7) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص80 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ص 34. 75.

(8) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص91 .

(9) **المصدر نفسه** ، ج 1ص91 .

مضاربهم في السّهوب والمفاوز والجبال من الجنوب إلى الشّمال ومن الشّرق إلى الغرب مؤلّفين في كثير من الأحيان حزاما يحيط بالقرى والمدن في عديد الجهات من هذا الإقليم . وقد أنف هؤلاء البدو حياة الإستقرار ولم يمتهنوا الزّراعة إلاّ في حدود ضيّقة وزاولوا في المقابل الرّعي والصّيد في المفاوز والبراري معتمدين بالأساس على تربية الماشية، فتغذّوا بمنتجاتها وباعوا الفائض منها في المدن والقرى والأسواق الموسميّة وفي هذا الصّدد يشير الرحّالة ابن جبير إلى قبائل السّرو اليمنيّين الذّين يصفهم بأنّهم أهل جبال حصينة تعرف بالسّراة وهم قبائل شتّى كبجيلة وسواها [1] وكانوا يفدون على مكّة معتمرين فيبيعون ما يجلبونه معهم من سمن وعسل وغيره من منتوجات أهل البادية ويعدّ لهم أهل مكّة في المقابل ما يحتاجه الأعراب من الألبسة والأقنعة والملاحف المتان [2]، كما كان سكّان بلاد مهرة من البدو الذّين لا ينتجون نخلا ولا زرعا وإنّما تتأتّى غالب أموالهم من تربية الإبل [3] وكانت بلاد مهرة نائية البوادي على حدّ تعبير أبي الفدا [4].

ب - مظاهر الحياة الإجتماعية :

تتمثّل هذه المظاهر أساسا في مجموع السّلوكات الإجتماعيّة التّي رصدتها لنا كتب الجغرافيا والرّحلة على وجه الخصوص والتّي كانت تعكس في جوهرها صفات وطباع قسم هامّ من سكّان بلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي . ويبقى " تاريخ المستبصر" لصاحبه ابن المجاور أهمّ مصدر يمكن الرّجوع إليه في هذا المضمار للوقوف على مختلف أشكال العيش، التّي كانت غالبة على سكّان هذا الإقليم والتّي كانت في جانب كبير منها تعكس نماذج من عادات وتقاليد توارثها أهل اليمن منذ عهود سابقة.

وقد وقّفت مصادرنا على قلّتها في مدّنا بصور زاخرة ومثيرة عن ظواهر إجتماعيّة متنوّعة ومتميّزة من حياة سكّان بلاد العرب الجنوبيّة ، وتتمثّل هذه الظّواهر أساسا في الإحتفالات التي كانت تقام في المواسم والأعياد وفي الأطعمة والأزياء ومظاهر الزّينة وغيرها من فنون وأشكال العيش السّائدة بهذا الإقليم طوال العهد الأيّوبي.

* الإحتفالات :

لأهل اليمن عادات وتقاليد إحتفاليّة متعدّدة في مختلف المناسبات والمواسم ، ويعدّ الإحتفال بموسم النّخيل بنواحي زبيد من أهمّ هذه المناسبات وأكثرها ذكرا كما يشير إلى ذلك جموع الرحّالة الذّين زاروا بلاد اليمن خلال

---

(1) ابن جبير ، الرحلة ، ص 110.

(2) المصدر نفسه ، ص 110-111، 142.

(3) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص101 .

(4) المصدر نفسه، ص 101 .

العصور الوسطى[1]. وقد كان لإبن المجاور الذّي زار بلاد اليمن في أواخر العهد الأيّوبي السّبق في الحديث عن هذه العادة التّي اختصّ بها سكّان إقليم تهامة دون غيرهم فأفرد لها وصفا لا يخلو من معاني الطّرافة والإثارة وفي ذلك يقول : " فإذا فرغ النّخل خرج الصّغار مع الكبار ، والأخيار مع الفجّار بالطّبل والزّمر بعد ما يلبسوا جملا عدّة تامّة من الأجراص [2]والقلاقل [3]ويشدّ في رقبته المقانع [4]والحلي ، ويركب كل أربعة من النّاس على جمل وناس منهم على الشّقاذف [5]يمشون إلى مسجد مشرف على ساحل البحر . والموضع موضع مبارك فيه وطئة ناقة معاذ بن جبل وإثر كلكلها[6] لمّا رجع من اليمن إلى الحجاز بعد وفاة النبيّ صلعم عبرعلى هذه البلاد والسّواحل ويسمّى هذا الموضع الفازة أعني الذّي يتبحّرون فيه . وينزل فيه النّساء والرّجال في البحر خليط مليط وهم في شرب ولعب ورقص وقصف وزائد وناقص . وما يخرج إلى هذه الأماكن إلاّ في كلّ أسبوع يومين يوم الإثنين ويوم الخميس وإذا رجعوا من هنالك دخلوا البلد رأسا واحدا " [7].

كما تعرّض ابن بطّوطة من جهته لهذه العادة الإحتفاليّة التي يسمّيها بالسّبوت بقوله : " ولأهل هذه المدينة سبوت النّخل المشهورة وذلك أنّهم يخرجون في أيّام البسر والرّطب [8] في كلّ سبت إلى حدائق النّخل ، ولا يبقى في المدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء ، ويخرج أهل الطّرب ، وأهل الأسواق لبيع الفواكه والحلاوات ، ويخرج النّساء ممتطيات الجمال في المحامل "[9] .

أمّا المقدّسي فقد أشار من جهته إلى عادة الإحتفال بمقدم شهر رمضان والعيدين في عدن وما يصحب ذلك من دقّ للدّبادب [10]والطّبول وضرب للفرقيعات[11]

---

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 1ص79 . ابن بطّوطة ، **الرّحلة** ، ص 165. عبد الواحد الشّجاع ، **اليمن في عيون الرّحالة** ، ص189-190 . العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج 1ص 188-191 .

(2) الأجراص : لعلّها الأخراص أو الأجراس . عبد الواحد الشّجاع ، **المرجع نفسه** ، ص190 .

(3) القلاقل : لعلّها الجلاجل . **المرجع نفسه** ، ص 190.

(4) المقانع : هي المعانق لأنّها توضع في العنق . **المرجع نفسه** ، ص 190.

(5) الشّقاذف : ربّما المقصود بها الدّواب المستخدمة لحمل الأدوات المستعملة في البيوت والتي تسمّى في كثير من بلاد اليمن بالشّقاذف . **المرجع نفسه**، ص 190.

(6) كلكلها : أيّ صدرها حين بركت . **المرجع نفسه** ، ص 190.

(7) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص80-81 .

(8) لثمرة النّخيل أطوار ولكلّ طور منها إسم يميّزه ، فأوّلها طلع ثم خلال بالفتح ثم بسر بضمّ الباء ثم رطب ثمّ تمر . الرّازي (محمّد) ، **مختار الصّحاح** ، مطبعة مؤسّسة علوم القرآن ومكتبة النّوري ، دمشق1978 م ص51 . عبد الواحد الشّجاع ، **اليمن في عيون الرّحالة** ، ص191 .

(9) ابن بطّوطة ،**الرّحلة** ، ص165 .

(10) الدّبادب : نوع من الطّبول ومفردها دبدب . عبد الواحد الشّجاع ، **المرجع نفسه** ، ص 194-195.

(11) الفرقيعات : لعلّها نوع من المواد المتفجّرة التّي تحدث صوتا .

كإشعار بحلول هذه المناسبات[1] . ويصف صاحب " أحسن التّقاسيم " الإحتفالات التي ترافق حلول شهر رمضان في مدينة عدن فيقول : " ويزيّنون بعدن السّطوح قبل رمضان بيومين ، ويضربون عليها الدّبادب فإذا دخل رمضان إجتمع رفق يدورون عند السّحر يقرأون القصائدإلى آخر اللّيل ، فإذا قرب العيد جبوا الناس ويتّخذون في النّيروز قبابا يدورون بها على المباشرين ومعهم الطّبول ، فيجمعون مالا جزيلا " [2] .

ومن الظّواهر الإجتماعيّة الإحتفاليّة لدى أهل اليمن ظاهرة الزّواج ، وهي مناسبة لها عاداتها المختلفة سواء في المهر أو الطّرح أو الزّواج بالأباعد [3] . وأوّل خطوة في الزّواج هي إختيار الزّوجة وفي زبيد زواج الأباعد مرغوب فيه كما يشير إلى ذلك ابن بطّوطة [4] ، كما أنّه من مقدّمات الزّواج إحتجاب البنات عن الأنظار قبل إتمام عقد النّكاح وهذه عادة سارية في القرى الواقعة شمال مدينة زبيد[5] ، فإذا تمّ الإتّفاق على المهر ظهرت البنت بطبل وزمر على رؤوس الأشهاد فتقام الضّيافات ويتقدّم النّاس للتّسليم والطّرح وقد علّل أهل هذه النّاحية من البلاد التّهاميّة عادة إحتجاب البنت بالخوف من إنحرافها " فتخرج عن الطّريق إلى غير الطّريق " [6] .

أمّا في نواحي ذمار فإنّه إذا خطب أحدهم بنتا قال لوليّ أمرها : " أريد أشاهد جمال كريمتك فيقوله وليّها : أقدم إلى السّوق الفلانيّ فإنّها تتوعّد به شاهدها في بيعها وشراها وجمالها ، فيتقدّم الخطيب إلى السّوق فيقعد على قارعة الطّريق فتقبل خطيبته وعلى ظهرها كارة وعلى قدر شيلها تحطّ في السّوق فتبيع ما معها وتشتري حوائجها ... فإذا أعجب الرّجل حالها وجمالها وشيلها وبيعها وشراها وقوّة صبرها على شيل الثّقيل فعند ذلك يملك بها ويدخل عليها وتبقى على شغلها ذلك إلى الممات " [7] .

وتحدّث ابن المجاور عن عادة المهر لدى أهل زبيد فذكر أنّ نساء أهل هذه البلاد يأخذن من أزواجهنّ المهر وأخذ المهر عندهم عيب عظيم [8] وكلّ إمرأة تأخذ المهر من زوجها يسمّونها مفروكة أي أنّ زوجها أعطاها مهرها

----

(1) المقدّسي ، أحسن التقاسيم ، ص 100.

(2) المصدر نفسه ، ص 100.

(3) عبد الواحد الشّجاع ، اليمن في عيون الرحّالة ، ص192 . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السّليماني ، ج1 ص 187.

(4) ابن بطّوطة ، الرّحلة ، ص 165.

(5) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج2 ص 239.

(6) المصدر نفسه، ج2 ص239 .

(7) المصدر نفسه ، ج2 ص191-192 .

(8) المصدر نفسه، ج1 ص85 .

وفركها أي طلّقها [1] ، والزّوج إذا أراد الخلاص من زوجته لعدم رغبته فيها أعطاها مهرها وكذلك الزّوجة إذا غضبت من زوجها لزواجه من غيرها مثلا تجمع حولها نساء الحيّ فتعلن فركه أيّ طلاقه بأن تهب له المهر وتخرج من البيت قبل أن يعطيها هو مهرها وهذا الإجراء من جانبها لايكون عيبا ولا يلحق المرأة بسببه العار بل تظلّ محترمة عند الرّجال غير مهجورة فيتقدّم إليها الرّاغبون في الزّواج [2] .

وتتخلّل حفلات الزّواج والختان والولادة في زبيد وفي بقيّة مدن اليمن عادة الطّرح وهي كلمة تفيد معنى الإلقاء و تتمثّل في تقديم هديّة لأهل الحفل ويعتبر الطّرح دينا لدى من تلقّاه وعليه أن يعيده في مناسبة مماثلة فيطرح مثل الذّي حصل عليه أو أكثر [3] . ويمارس الطّرح في مجتمع النّساء بصورة أوسع حتّى أنّه يؤدّي في بعض الأحيان إلى إفساد المرأة لأنّها قد تضطرّ لإرجاع ما عليها من دين إلى التكفّف [4] ، فإذا ما حصلت على شيء سارعت بدفع ما عليها من دين [5] .

ويصف ابن المجاور بعض عادات الزّواج السّائدة بجهة تهامة من أرض اليمن فيقول : " إنّ جميع أعمال الجبال وجميع أهل البوادي والبدو وتهامة ونجد يزوّجون بناتهم ولم يورثون البنت شيئا بل إذا كانت البنت بكرا تجهز وتزوّج من مال أبيها ، وإن كانت البنت ذات عيال فقد استراحت عواذلي من عتابي ، وكلّ إمرأة يقلّ أهلها وعشيرتها يقلّ خطّابها . فإذا عجزت عن مقاساة نعمها وأموالها ومواليها تركب هودج عالي وتساق نعمها إلى سوق في وعدة ويقوم لها مناد ينادي عليها : ألا من يطلب عروسا وذودا ؟ فإن كانت راجعا ينادي عليها : ألا ومن يطلب تحتح ودوب ، والتحتح هي المرأة الثيّب والدوب مالها ونعمها من ... وأمانات . فكلّ من رغب فيها وفي مالها تزوّج بها فإذ أبوها أو أخوها أو ابن عمّها أو بعض قرابتها يقول للرّجل : تزوّج بها ياوجه العرب ، وإذا قلّ رغبتك فيها فأنت وكيلها في زواجها زوّجها من شئت ... وإذا دخلت المرأة على بعلها تجيء كلّ إمرأتين من جيرانها يهنّئانها بإتمام سرورها وتأتي معها بجراب ملآن دقيق سميد أو سويق أو زبيب . وحينئذ يحصل للمرأة نحو مائة ظرف ملآن تنفقها مدّة أيّام وأشهر ، وإذا كان لإحدى النّسوة الذّين حضروا العرس عرس ردّت لهم المرأة الجراب ملآن مثل ما كان ، وهذه عوائدهم " [6] .

----

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص 85.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ص86 .

(3) عبد الواحد الشّجاع ، اليمن في عيون الرحّالة، ص 194.

(4) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج 1ص86 .

(5) المصدر نفسه ، ج 1ص 86.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ص229-231 .

* **الملابس والأزياء ومظاهر الزينة :**

كانت الملابس والأزياء ومظاهر الزّينة تختلف في بلاد اليمن من إقليم إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى ، فقد وصف المقدّسي ملابس أهل عدن بقوله : " وأهل هذا الإقليم أصحاب قناعة ونحافة يتقوّتون باليسير من الطّعام ويتجوّزون بالخفيف من الثّياب "(1) ، أمّا أهل المخا فقد كانوا يعيبون على من يرتدي إزارا أو رداءا وإنّما عادتهم أن يلبسوا ثوابا واحدا جزء منه إزارا والجزء الآخر يلتفّ به بمثابة الرّداء (2)، كما كان أهل صعدة يكثرون من لبس الحرير والقطن لأنّ البلاد ظاهرها حارّ بالمرّة وباطنها حار ليّن(3) .

ويشير ابن المجاور من جهته إلى عادات أهل حضرموت في اللّباس فيقول : " ولبس رجالهم الأزرق مكشّفين الرّؤوس حفاة ولبس نسائهم الفتوحيّ ، يصبغ الثّوب بالزاج ويرجع اللّون لا أخضر ولا أزرق إلاّ لون عجيب " (4). أمّا في البوادي فاللّباس السّائد هو المئزر والمدرعة وقطعة خام يعتمّ بها على الرأس ، كما يلبس أهل هذه النّواحي غطاء على الرّأس من الخوص يسمّى " القبع " (5)، وفي شمال تهامة اللّباس العام المئزر والصّديريّة إلى جانب العمامة التّي توضع على الكوفيّة كغطاء للرّأس وتعمل من الخيزران أو القماش ، كما كان يتردّى بعضهم إضافة إلى كلّ ذلك برداء يسمّى اللّحاف (6).

أمّا فيما يتعلّق بمظاهر الزّينة فقد كانت النّساء بمختلف بلاد اليمن تتحلّى بالحليّ الثّمينة وقد نظم بعضهم في ذلك أبياتا تتضمّن هذا المعنى فقال :

يا بدر تم طلعا ونور فجر سطعا
وياقضيبا ناعما على كثيب مرعا
وياغزالا مرّبي عصرا يجرّ الخلعا
محجّلا مد ملجا محرّقا مملجعا
مشيّعا مظرّفا مطوّقا مقنّعا(7)

----

(1) المقدّسي ، أحسن التقاسيم ، ص 100. عبد الواحد الشجاع، اليمن في عيون الرحّالة ، ص121 .

(2) المقدّسي ،المصدر نفسه، ص 99-100. عبد الواحد الشجاع، المرجع نفسه، ص121 .

(3) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج2 ص 206.

(4) المصدر نفسه ، ج1 ص 253.

(5) قبع : بضمّ القاف المثنّاة وسكون الباء الموحّدة التحتيّة وسكون العين المهملة وهو قطعة من الخام المصبوغ يعتمّ به على الشّعر . العقيلي ، من تاريخ المخلاف السّليماني ، ج 1ص 195.

(6) العقيلي ، المرجع نفسه ، ج 1ص 191.

(7) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج1 ص 191 . العقيلي ، المرجع نفسه ،ج 1ص136 .

وأثناء حفلات الزّفاف يتحلّى العروسان بالزّينة المتداولة لديهما [1] ، أمّا نساء منطقة حضرموت فمن عادتهم في التجمّل ضفر ضفائر في أوسط الرّأس تشبه الهدهد ويسمّونها الطّرطر [2] .

ويصف صاحب "تاريخ المستبصر" بعض مظاهر الزّينة السّائدة في نواحي تهامة خلال العهد الأيّوبي بقوله : " وأهلها سمر كحل كواسج ضعاف التّركيب محلّقين الرّؤوس ... ونساؤهم خلقات وهنّ رخوات التّكك وفي كلامهم كثر غنج وهذا دليل على أنّ شهوة نسائهم أغلب من شهوة رجالهم ، فلذلك يستعملون الطّيب لأنّه يهيج الباه"[3] .

وقد إتّفق أغلب الرحّالة الّذين زاروا بلاد اليمن في حقب مختلفة على نظافة ملابس أهل هذا الإقليم وإهتمامهم بمظاهر الزّينة في أزيائهم ومنازلهم وأسواقهم وحمّاماتهم [4] ، فضلا عمّا كانوا عرفوا به في الأثناء من ظرف وحسن خلق[5] . فالمقدّسي الّذي زار بلاد اليمن خلال النّصف الثّاني من القرن الرّابع هجري/ العاشر ميلادي يقول فيها : " وأهلها لهم أدنى ظرف " [6]. لكنّ ابن المجاور يقسم يمينا ألاّ يوجد هذا الظّرف في كافّة بلاد اليمن بقوله : " والله الرّحمان الرّحيم ما رأيت في جميع اليمن سهلها وجبلها وجها حسنا يعتمد عليه النّظر ولا فيهم ظرافة ولا لطافة ولا ملاحة ولا حلاوة إلاّ إسم بلا جسم ، ما ترى إلاّ عجائز سوء خبيثات الأبدان قليلات الأدب ذوات آراب وسخين اللّسان قذرين الأكل ...[7] " . ثمّ يأتي الرحّالة ابن بطّوطة فيؤكّد رأي المقدّسي عندما يصف أهل زبيد بلطافة الشّمائل وحسن الأخلاق والصّور ، مفنّدا من خلال ذلك الصّفات السيّئة الّتي وصف بها ابن المجاور أهل اليمن [8].

أمّا ملابس اليهود المقيمين بأرض اليمن فإنّها كانت لا تختلف كثيرا عن غيرهم من سكّان البلاد وخاصّة في المناطق القرويّة ، حيث لا تميّزهم غير السّوالف الّتي تنزل على جانبي الرّأس أو الطّاقيّة . أمّا في المدن فكان اليهودي يرتدي قميصا طويلا ذا لون رمادي أو بنّي ويضع فوق رأسه طاقيّة سوداء أو حمراء

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص 86.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ص253 .

(3) المصدر نفسه ، ج1 ص85 .

(4) المقدّسي، أحسن التّقاسيم، ص84-85 . ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج1 ص70 . ج 2 ص246 . ابن بطّوطة ، تحفة النظّار ، ص 165.

(5) المقدّسي، المصدر نفسه، ص 85 . ابن بطّوطة ، المصدر نفسه، ص165-166.

(6) المقدّسي، المصدر نفسه، ص 85 .

(7) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج1 ص86-87 .

(8) ابن بطّوطة ، المصدر نفسه، ص165-166. عبد الواحد الشّجاع، اليمن في عيون الرحّالة ، ص188 .

وعلى جانبي الرّأس ذؤابتان من الشّعر ويضع على كتفه حراما أسودا ، وفي يوم السّبت فقط يلبسون بدلا منه حراما أبيض ذا حاقّة سوداء [1].

وتلبس الفتيات اليهوديّات ملابس بألوان متعدّدة وعلى رؤوسهنّ طواقي قمعيّة الشّكل مشغولة بالخرز أو بأسلاك الفضّة ، وتلبس المرأة جلبابا ذا لون رماديّ غامق وهي لا تعرف الحجاب[2] . كما كان يهود صنعاء يمتازون بحبّهم للسّرور والغناء واللّعب على بعض الآلات الموسيقيّة وقد سمح لهم بصنع الخمر وشربه ولكن حرّم عليهم من ناحية بيعه للمسلمين [3].

* **الأطعمة :**

إختصّ أهل اليمن بأصناف شتّى من الأطعمة وبجملة من العادات والسّلوكات المميّزة في إعداد الطّعام وتناوله ، فقد وصف المقدّسي أهل عدن بأنّهم أهل قناعة يتقوّتون باليسير من الطّعام[4] . أمّا أهل زبيد فقد إعتبرهم ابن المجاور كثيري الميل إلى الأكل والشّراب وأنّ لا حديث لهم سوى عن الأكل ، وفي ذلك يقول صاحب "تاريخ المستبصر" : وليس لهم حديث سوى الأكل ، يقول زيد لعمرو : ما تصبّحت اليوم ؟ يقول : فطير دخن وقطيب ، أو : ملتح وسليط ويقول مضر لجعفر : ما تعوّقت ؟ يقول : رغيف خبز برّ بفلس وقطعة حلاوة بأربعة فلوس ، فصار المبلغ ستّة فلوس ! ويقول خالد لزيد : إنّي أكلت اليوم أكلة تكفيني ثلاثة أيّام فطير وحليب وقند شرقي وترفت إلى أن شبعت" [5].

ولأنّ لذّة الطّعام عند بعض أهل زبيد لا تضاهيها أيّ لذّة أخرى فقد أنشد الشّاعر في ذلك يقول :

قلت يوما لرئـم ذات إعجـاب   وذات صدر رحيب ذات أكعـاب
خذي الثّريد إذا ما جئت مقبلة نحوي   ولا تأخذي مسكا وأطيـاب
واستعملي من فطير الدّخن مع لبن   وصابحيني به صبحا على البـاب
فإنّ قلبي إلى حبّ الفطـير صبـا   وليس قلبي إلى حبّ النّسا صابي[6]

وبالرّغم من ميل أهل زبيد إلى الأكل فإنّهم كانوا لا يتكلّفون كثيرا في طريقة إعدادهم للطّعام ، حيث كانوا يصنعون الخبز في منازلهم من الدّخن والذّرة اللّذين كانا يمثّلان أساس الغذاء في بلاد اليمن منذ عهود سابقة[7] . ولأنّ

---

(1) فخري (أحمد) ، اليمن ماضيها وحاضرها، القاهرة 1957م ص34-38 .

(2) المرجع نفسه، ص 38.

(3) إبراهيم عبدة وقاسميّة ، يهود البلاد العربيّة ، ص 139-140. فخري ، المرجع نفسه ، ص38 .

(4) المقدّسي، أحسن التّقاسيم، ص95-96 .

(5) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص 86-87.

(6) المصدر نفسه، ج1 ص87 .

(7) المقدّسي، المصدر نفسه، ص85 . ابن المجاور، المصدر نفسه ، ج1 ص86 . عبد الواحد الشجّاع، اليمن في عيون الرحّالة ، ص188 .

طعام أهل هذا الإقليم كان يقوم في الغالب على الحبوب، فقد كانوا يخزنون ما يكفيهم من الدّخن والذّرة في مدافن أرضيّة من موسم إلى آخر [1].

كما كان أهل زبيد يستخدمون أنواعا متعدّدة من الطّعام المستخلصة من الدّخن والذّرة وفي ذلك يقول ابن المجاور: " ومأكولهم الدّخن والذّرة ويعمل منه الخفوش[2] والكبان [3] واللحوح [4] والفطير ، يأكلوه باللّبن والسّمك ويسمّونه الملتخ "[5] . كما كانوا أيضا يعدّون أنواعا كثيرة من الحلويات منها القند والحلاوة ولهم من مشتقّات الحليب اللّبن والقطيب والجبن وكثيرا ما يتداولونه في وجباتهم[6] .

أمّا اللّحوم فيبدو أنّ إستعمالها لدى أهل زبيد كان لا يضاهي إستعمال السّمك الذّي كان غالبا على طعامهم[7] ، شأنهم في ذلك شأن أهل حضرموت الذّين إشتهروا بأكل السّمك الصّغير الحجم مع اللّبن الشّبيه بالخردل في لونه[8] .

ويعدّ طبيخ الملوخيّة الوجبة الغالبة على موائد أهل تهامة [9]، كما كانوا كثيرا ما يستخدمون السّليط وهو زيد السّمسم كآدام لهم مخلوط بأنواع الخبز [10]. أمّا الغلال والفواكه فهي تكاد تكون دائمة الحضور في وجبات سكّان هذه النّاحية من بلاد اليمن، وفي ذلك يقول صاحب تاريخ المستبصر : "وفواكههم البطّيخ والموز والعنب ، والبطّيخ يسمّونه البرطيخ ، والقثّاء والخيار . ويأكلون بطّيخ الدّباء [11]مشويّ في التنّور وينادى عليه : دبّاء حب حب كثير الماء قليل الحبّ " [12].

كما يشير ابن المجاور من جهته إلى إنتشار ظاهرة شرب النّبيذ في كثير من البلاد اليمنيّة شأن عدن وزبيد وصنعاء وفي ذلك يقول: " كان ينقل ماء بئر زعفران إلى سائر بلاد اليمن ... لأنّ سيف الدّين أتابك سنقر مولى الملك المعزّ

---

(1) عبد الواحد الشّجاع، **اليمن في عيون الرحّالة** ، ص188 .

(2) الخفوش : يرى عبد الواحد الشّجاع أنّ الإسم الصّحيح هو الشّفوت في لغة أهل اليمن . **المرجع نفسه** ، ص 188.

(3) الكبان : نوع من الخبز يصنع بطريقة معيّنة تجعله مستساغ الأكل دون أدام . **المرجع نفسه** ، ص189.

(4) اللّحوح : نوع من الطّعام يعمل من الخبز المصنوع من الذّرة . **المرجع نفسه**، ص 188.

(5) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص 86.

(6) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 86. عبد الواحد الشّجاع ، **المرجع نفسه** ، ص 189.

(7) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 86. عبد الواحد الشّجاع ، **المرجع نفسه** ، ص 189.

(8) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص 253.

(9) **المصدر نفسه** ، ج1 ص 86.

(10) عبد الواحد الشّجاع، **المرجع نفسه** ، ص189 .

(11) الدّباء : هو القرع أو اليقطين . عبد الواحد الشّجاع، **المرجع نفسه** ، ص189 .

(12) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 87.

إسماعيل بن طغتكين شرب عند المعتمد محمّد بن علي التّكريتي نبيذا أعجبه طعمه فقال له : ممّ عملت هذا النّبيذ ؟ قال : من ماء زعفران . إذا أفلت في هذا الماء داذيّ وترك في الشّمس يرجع نبيذا كما ولا يحتاج إلى عسل ولا إلى شي أي وضعة ، فمن الحين كان ينقل له هذا الماء إلى الجند وتعزّ وصنعاء وزبيد يعملون منه نبيذا ..." [1].

2 - الحياة الثّقافيّة :

عرفت الحياة الثّقافيّة ببلاد اليمن زمن الأيّوبيين كثيرا من الحركيّة والنّشاط وذلك بفضل ما عرفته ضروب المعرفة بهذا البلد من تقدّم مطّرد بتوفّر جمهور عريض من العلماء والفقهاء وذوي المعارف[2]. كما عدّ إنشاء المدارس[3] بهذا الإقليم بتشجيع من رجال الدّولة الأيّوبيّة من المنجزات العظيمة الّتي حقّقت أهدافا علميّة وتربويّة جليلة ، مساهمة بذلك بنصيب وافر في إنجاح السّياسة الثّقافيّة الّتي رسمها الأيّوبيون بهذا البلد والّتي كانت من أوكد مشاغلها تكريس المذهب السّنّي ومحاربة الفكر الشّيعي ، كما هو الحال في بلاد الشّام وفي الدّيار المصريّة[4] .

أ - إزدهار العلوم الدّينية واللّغوية:

لعلماء وفقهاء اليمن طوال العهد الأيّوبي دور كبير فيما عرفته الحياة الفكريّة والعلميّة بهذا البلد من إزدهار وثراء وذلك بفضل ما قدّموه من إنتاج فكري غزير ومتنوّع شمل مختلف ضروب المعرفة ، فكان منهم علماء التّفسير والحديث والأدب واللّغة[5]. ويعود الفضل في قيام حركة فكريّة وعلميّة مزدهرة ببلاد اليمن

----

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص 131.

(2) شاهين (عبد الرّحمان محمّد) ، " من جهود علماء اليمن في علوم العربيّة " المناهل الصّافية " للعلاّمة لطف الله بن الغيّاث " القرن الحادي عشر الهجري " ، **مجلّة كليّة الآداب بصنعاء** ، العدد الثّاني ، ذو القعدة 1399هـ /أكتوبر 1979م ص317 .

(3) المراد بها المدارس المسجديّة الّتي تجمع بين المدرسة وبين المسجد في مكان واحد وتلحق بها بعض الغرف أو الحجر (جمع حجرة وتسمّى أيضا الخلوة) وهي معدّة لإقامة المدرّسين والطّلبة الّذين لا بيوت لهم في ذلك البلد ، أمّا المدرسة بمعنى المسجد فهي أقدم من ذلك . لمزيد من التّفاصيل في هذا المعنى أنظر : شلبي (أحمد) ، **تاريخ التّربية الإسلاميّة** ، الطّبعة الثّانية ، القاهرة 1960م . ص34 وما بعدها . الأكوع ، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، ص 7.
Pedersen (J), art " Masdjid", EI[2], Vol VI, pp629-664.
Hilenbrand (R), art " Madrasa ", Vol V, pp1119-1144.

(4) شلبي ، **تاريخ التّربيّة الإسلاميّة** ، ص 97-98. البازالعريني ، **مصر في عصر الأيّوبيين** ، ص220-223 . رشيد (ناظم) ، " التّعليم في ظلّ الدّولتين الزّنكيّة والأيّوبيّة في الشّام" ، **مجلة آداب الرّافدين** ، العدد العاشر سنة 1979م . ص273-277 . أمين (حسن) ، " المدارس الإسلاميّة في العهد العبّاسي وأثرها في تطوير التّعليم" ، **المؤرّخ العربي**، العدد السّادس ، 1978م ص 5-12.

(5) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص214 وما بعدها . شاهين ، " من جهود علماء اليمن ..." **مجلّة كلّية الآداب بصنعاء** ، ص 317-335.

طوال العصر الأيّوبي بالأساس إلى تحمّس ملوك بني أيّوب المتزايد إلى كلّ إنتاج فكري وإقبالهم الكبير على ضروب المعرفة بتشجيعهم لأهل العلم والثّقافة ، فما من أمير أو ملك منهم إلاّ وإجتمع حوله صفوة من أهل العلم والأدب حتّى كانوا يتفاخرون فيما بينهم بتقريب العلماء والأدباء وتأليف الكتب بأسمائهم [1].

ويعدّ صلاح الدّين من أبرز ملوك الأسرة الأيّوبيّة الذّين اهتمّوا بالمعرفة وبأهلها وكان ممّن يرون الأدب وفضله ويؤثرون العلم وأهله [2]، فكان أن أقبل خاصّته من أهل المعرفة والفكر على التّأليف والتّصنيف فألّف له قاضيه ابن شدّاد كتابا جمع فيه كلّ آداب الحرب وكلّ آية قرآنيّة وردت فيه وكلّ حديث شريف روي في فضله وكان صلاح الدّين كثيرا ما يطالعه حتّى أخذه منه ولده الملك الأفضل[3] .

كما كان صلاح الدّين يجيز المؤلّفين والعلماء بسخاء ولم يكن يعطي الجائزة إعتباطا وإنّما كان ينظر فيها فإذا لم يتوسّم بها نفعا نبذها[4] ، وقد ألّف له شيث بن إبراهيم بن محمّد المعروف بإبن الحاج القناوي النّحوي اللّغوي كتاب " ذهن الواعي في إصلاح الرعيّة والرّاعي " [5] . وألّف له أبو الفضائل عبد الرّحمان بن عبد اللّه بن نصر كتاب " المنهج المسلوك في سياسة الملوك "ورتّبه على عشرين بابا قائلا في مقدّمته : " كان المولى الملك النّاصر صلاح الدّين ... ممّن يرى الأدب وفضله ، ويؤثر العلم وأهله جمعت له هذاالكتاب ، وهو يحتوي على طرائف من الحكمة و ... من الأدب وأصول من السّياسة ، وتدبير الرعيّة ، ومعرفة المملكة وقواعد التّدبير ، وقسمة الفيء والغنيمة ... وما يلزم الجيش من حقوق الجهاد ، ونبّهت فيه على الشّيم الكريمة ... " [6] .

ويذكر ياقوت أنّ أسعد بن مماتي كان قد ألّف كتابا في سيرة صلاح الدّين[7] وأهداه أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي كتابا في التّجنيس سمّاه " أنيس الجليس والتّأنيس " [8]، كما كان صلاح الدّين شغوفا

---

(1) رشيد (ناظم) ، " النّشاط العلمي والأدبي في عهد الأسرة الأيّوبيّة " ، **مجلّة آداب الرّافدين** ، العدد الثّامن 1397هـ/ 1977م . ص 445. شلبي ، **تاريخ التّربية الإسلاميّة** ، ص 98. **موسوعة التّاريخ الإسلامي**، ج 5 ص 192 .

(2) أحمد بدوي (أحمد) ، **الحياة الأدبيّة في عصر الحروب الصّليبيّة** ، مطبعة النّهضة ،القاهرة 1952م . ص 317.

(3) إبن شدّاد ، **النّوادر السّلطانيّة** ، ص17 . أبو شامة ، **الرّوضتين** ، ج2 ص 221.

(4) رشيد ، " النّشاط العلمي والأدبي في عهد الأسرة الأيّوبيّة ." **مجلّة آداب الرّافدين** ، ص 446.

(5) الصّفدي ، **نكت الهيمان** ، المطبعة الجماليّة ، القاهرة 1911م . ص 169. ياقوت ، **معجم الأدباء** ، تحقيق مرجليوث، المطبعة الهنديّة ، القاهرة 1923م . ج 4ص 264.

(6) نقلا عن **الحياة الأدبيّة في عصر الحروب الصّليبيّة** ، ص317 .

(7) ياقوت ، **معجم الأدباء** ،ج2 ص 250.

(8) **المصدر نفسه**، ج5 ص 131 .

بديوان أسامة بن منقذ وفي ذلك يقول العماد الأصفهاني : " شاهدت عضد الدّولة أبا الفوارس مرهفا ، وهو لشغفه به يفضّله على جميع الدّواوين " [1].

وكان لأخوة صلاح الدّين وذرّيتهم ممّن حكموا بلاد اليمن شغف كبير بالمعارف وولع متزايد بأشكال الثّقافة وفنونها ، فأحبّوا رجال العلم والأدب وقرّبوهم منهم بأن عقدوا لهم المجالس وإستأنسوا بأحاديثهم ومناقشاتهم [2]. فالملك المعظّم توران شاه كان قد إصطفى خاصّته من أهل العلم والأدب شأن الشّاعر عمارة اليمني الذّي كانت له به صداقة متميّزة [3]، كما كان أبو الميمون المبارك بن منقذ والي زبيد أيّام الملك المعظّم توران شاه من الذّين يجيدون قول الشّعر محبّا للشّعراء [4].

أمّا الملك سيف الإسلام طغتكين فقد وصفه أبو مخرمة بأنّه كان : " أديبا لبيبا عاقلا أريبا ... فقيها له مقروءات ومسموعات بحيث أخذ عنه القاضي أحمد بن علي العرشاني موّطأ مالك ..." [5]. وذكر الزّبيدي بأنّه كان قد قدم مصروسمع بالإسكندريّة من الحافظ السّلفي [6]. أمّا ابن سمرة فقد روى بأنّه كان يجلّ الفقهاء والعلماء وأصحاب المعارف [7].

كما كان ملوك بني أيّوب أثناء قدومهم لبلاد اليمن غالبا ما يصطحبون معهم صفوة العلماء وخيرة الفقهاء ويستضيفون القادمين إليهم من الأدباء والشعراء فيكرمونهم ويجلّونهم ويخصّصون لهم الأعطيات والأرزاق ، التّي تجاوزت في عهد صلاح الدّين مئتي ألف دينار وربّما كانت ثلاثمئة ألف دينار [8].

ويذكر أبو مخرمة أنّ قاضي قضاة اليمن المسمّى أثير الدّين أبو عبد الله ذو الرّئاستين [9] كان قد قدم اليمن صحبة السّلطان سيف الإسلام طغتكين لعلمه وأمانته وعمره يومئذ إثنان وسبعون سنة، وقد ذكر أنّه سمع الحديث والقراءات

----

(1) أبو شامة، **الرّوضتين**، ج 1ص 678.

(2) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص 223 ، 224 ، 225-226 .

(3) أبو شامة، **المصدر نفسه**، ج 1ص 551. المقريزي ، **السّلوك** ، ج 1ص 52-53.

(4) العماد الأصفهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء الشّام ، ج 1ص 223.

(5) أبومخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ج2 ص 133 ، 135.

(6) الزّبيدي، **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيّوب** ، ص 57.

(7) ابن سمرة ، **المصدر نفسه** ، ص 223 ، 224 ، 225-226 .

(8) أبو شامة، **المصدر نفسه**، ج 2ص 138.

(9) هو القاضي أثير الدّين أبو عبد الله ذو الرّئاستين بن الشّيخ ثقة الملك أبي الفضل محمّد بن ذي الرّئاستين محمّد بن بنان بضمّ الموحّدة بعدها نونان بينهما ألف . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص 109 .

عن الشهّاب وهو ابن ثلاث سنين [1]. ثمّ إنّ القاضي أثير الدّين مـــا لبث أن جلس بجامع عدن يفقّه النّاس ويحّدثهم ، فأخذ عنه الفقيه إبراهيم بن أحمد بن عبد الله القاضي وسمع منه القراءات جماعة من فقهاء عدن كان من جملتهم الفقيه ابن سمرة الجعدي [2]. وتذكر المصادر أنّ القاضي الأثير كان قد أدرك رئاسة في اليمن وحالا من الدّنيا لعلمه وفضله إلى أن غضب عليه السّلطان سيف الإسلام طغتكين فخاصمه وثلبه ونسبه إلى الخيانة وانتقصه عندئذ إرتحل القاضي الأثير إلى الحجاز وكتب إلى سيف الإسلام رسالة جاء في مطلعها :

وما أنا إلا المسك ضاع وعندكم   يضيع وعند الأكرمين يضوع[3]

أمّا الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين فقد كان كثير الشّغف بالشّعراء جوادا عليهم [4]حتّى قيل أنّه كان يمنع الجند أرزاقهم ويصرفها للشّعراء [5]. كما كان الملك المسعود يوسف بن الكامل قد اصطحب أثناء قدومه من مصر إلى بلاد اليمن القاضي الرّشيد ذا النّون بن محمّد بن ذي النّون المصري الإخميميّ وكان من أعيان الزّمان وفضلاء الأعيان، وقد وليّ عدن مرارا عديدة فحسنت سيرته وإشتهرت فضيلته وغدت حضرته موردا للعلماء ومقصدا للفضلاء ، يشبه الصّاحب ابن عبّاد في عصره مقصودا من كلّ الآفاق يرده الواردون من الشّام والعراق [6]حتّى كان يقال في شأنه : " إنّ زمانا سمح بالرّشيد لسخيّ جدّا " [7]. كما كان من مآثر القاضي الرّشيد ذي النّون المصري أنّه وليّ الوزارة للمنصور عمر بن علي بن رسول وأنشأ المدرسة الرّشيديّة بتعزّ وجدّد مسجدا عندها وأوقف في المدرسة كتبا كثيرة مشتملة على كثير من العلوم المعقولة والمنقولة [8].

وقد حفل العصر الأيّوبي في اليمن بعدد ليس قليل من العلماء والفقهاء وأهل الأدب الّذين ساهموا بقسط وافر في إثراء الإنتاج الفكري والثّقافي بهذا البلد وفي شتّى الإختصاصات والمعارف ، وذلك ما نلمسه بوضوح فيما نقلته لنا تراجم كلّ من إبن سمرة الجعدي في كتابه " طبقات فقهاء اليمن " وأبي عبد الله أبي مخرمة في مؤلّفه " تاريخ ثغر عدن" الذّي تضمّن هو الآخر جردا وافيا لتراجم علماء هذا البلد على إمتداد حقب زمنيّة مختلفة [9].

---

(1) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص230 . أبو مخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ج2 ص109 .

(2) ابن سمرة ، **المصدر نفسه** ، ص230 . أبو مخرمة ، **المصدر نفسه**، ج2 ص109 .

(3) ابن سمرة ، **المصدر نفسه** ، ص230 . أبو مخرمة ، **المصدر نفسه**، ج2 ص109 .

(4) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه**، ج 2ص 52.

(5) **المصدر نفسه** ج 2ص 52.

(6) **المصدر نفسه**، ج 2ص 52. الأكوع ، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، ص 34.

(7) **المصدر نفسه** ، ج2 ص109 .

(8) **المصدر نفسه**، ج 2ص 109-110.

(9) **المصدر نفسه**، ج2 ص33 وما بعدها.

ورغم أنّ أهل اليمن كانوا قد ضربوا بسهم وافر في مجال العلم والمعرفة منذ عهود سابقة فإنّ العصر الأيّوبي قد شهد بروز العديد من مشاهير العلماء وفي شتّى ضروب المعرفة ، فكان أن عمل ملوك بني أيّوب على إكرامهم وإجلالهم بأن خصّوهم بأعلى المراتب والمناصب في الدّولة وفي هذا الصّدد يذكر الخزرجي أنّ أبا الحسين أحمد بن منير الملقّب بمهذّب الملك عين الزّمان كان شاعرا مشهورا له ديوان شعر وكان قد عهد إليه الملك سيف الإسلام طغتكين بولاية عدن [1].

كما كان الفقيه القاضي عمران بن يحي بن علي بن الأشعوب قد ولّي قضاء المعافر في أيّام الملك المعظّم توران شاه ، فلمّا كان عهد الملك سيف الإسلام طغتكين خلفه الفقيه القاضي أبو إسحاق بن أبي الأعزّ وذلك في غضون سنة 580 هـ / 1184 م [2]. أمّا الفقيه القاضي أحمد بن عبد الله محمّد بن أبي سالم القريظي فقد كان تولّى قضاء عدن حتّى سنة 581 هـ / 1185 م وذلك منذ أيّام الدّاعي محمّد بن سبأ الزّريعي[4] . في حين كان الفقيه محمّد بن علي بن عمر بن أبي قرّة قد ولّي قاضيا على أبين حتّى سنة 580 هـ / 1184 م ، ثمّ خلفه ابن سمرة الجعدي صاحب " طبقات فقهاء اليمن " وكانا زميلين في الدّراسة [3].

وخلال سنة 580 هـ/ 1184 م ولّي قضاء عدن الفقيه عمر بن محمّد الكثيبي ، فلمّا كان ربيع الأوّل من سنة 583 هـ / 1187 م تولّى قضاء الجند من قبل الملك سيف الإسلام طغتكين الفقيه عيسى بن علي بن المسلم بعد أن كان قد استعفى عن هذا المنصب الفقيه ضياء الدّين أحمد بن محمّد بن موسى بن الحسين العمراني [3].

وفي ذي جبلة إنتهت الرّياسة في القضاء للفقيه القاضي الأجلّ أحمد بن علي بن أبي بكر بن حمير بن فضيل الهمداني[4] . وفي زبيد كان القضاء بين يدي الفقيه محمّد بن عبد الله بن محمّد بن أبي عقامة التّغلبي، ثمّ أخوه أبو بكر بن عبد الله قبل أن يؤول الأمر للمسمّى عبد الله بن محمّد بن عبد الله التّغلبي وذلك في أيّام الملك سيف الإسلام طغتكين[5] .

----

(1) أبو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج2 ص48 .

(2) ابن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص 229-230.

(3) المصدر نفسه ، ص 223-224.

(4) المصدر نفسه، ص224.

(5) المصدر نفسه، ص236.

(6) المصدر نفسه، ص236.

(7) المصدر نفسه، ص241.

وقد نبغ جميع هؤلاء الفقهاء وغيرهم من علماء اليمن طوال العهد الأيّوبي في شتّى العلوم الدّينيّة واللّغويّة كالحديث وعلوم القرآن واللّغة ، فابن سمرة الجعدي يذكر أنّ قاضي عدن الفقيه أحمد بن عبد الله بن محمّد بن أبي سالم القريظي كانت لديه معرفة تامّة في اللّغة العربيّة ، كما كان حافظا مجوّدا في الحديث وقد توفّي سنة 584 هـ / 5118 م وكان قد وّلي قضاء عدن أربعين سنة وذلك إلى حدود سنة 581 هـ / 1185 م [1].

ومن أهل لحج إشتهر القاضي الأجلّ محمّد بن سعيد القريظي بالتّصنيف الجيّد ومن تصانيفه المليحة " المستصفي في سنن المصطفى (ص)" و " مختصر الإحياء " وقد توفّي سنة 576 هـ / 1180 م وكان زاهدا ورعا عالما مجتهدا [2]، وفي إتحم نبه في الفقه كلّ من القاضي أبي بكر بن أبي الفتح بن أبي السّهل والفقيه سُمَير[3].

ومن أهل الصّلو ذاع صيت الفقيه أسعد بن محمّد وكان فقيها بارعا في العربيّة يدرّس في منزله وقد توفّي خلال سنة 576 هـ / 1180 م أو نحوها[4] ، كما علا شأن كلّ من الفقيهين الأخوين محمّد بن عبد الملك بن محمّد بن أبي الفلاح المتوفّي بعد سنة 570 هـ/ 1174 م وأحمد بن عبد الملك بن محمّد بن أبي الفلاح وكان هذا الأخير قد خلف أخاه في مجلسه بصلو بعد وفاته[5] .

أمّا زبيد فقد ذكر المقدّسي أنّ " بها علماء وأدباء " [6] كما فصّل عليها في الكلام صاحب " بغية المستفيد " فوصفها بأنّها : " بلاد العلم والعلماء والفقه والفقهاء والدّين والصّلاح والخير والفلاح ولم تعلم مدينة من مدائن اليمن المعمورات ومساكنها المشهورات ظهر فيها ما ظهر في مدينة زبيد من العلم والعلماء والإثبات هذا مع قلّة كفاية أهلها وأرزاقهم الدّقيقة فهم أهل سعادة في الدّارين حقيقة وهي أمّ قرى اليمن ومحّط رحال العلماء في كل فنّ " [7].

وقد ظلّت مدينة زبيد طوال العهد الأيّوبي الأوّل قبلة لجمهور غفير من العلماء الشّافعيّة ، فلمّا كان عهد الأتابك سيف الدّين سنقر أخرج الفقهاء الشّافعيّة منها وظلّت حكرا على أصحاب المذهب الحنفي[8] .

----

(1) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص 225.

(2) **المصدر نفسه**، ص225-226.

(3) **المصدر نفسه** ، ص 226.

(4) **المصدر نفسه**، ص 226.

(5) **المصدر نفسه** ، ص 226.

(6) **المصدر نفسه**، ص226.

(7) المقدّسي ، **أحسن التّقاسيم** ، ص 84.

(8) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص 81.

وبمدينة زبيد ذاع صيت عديد العلماء والفقهاء شأن الفقيه نجم الدّين عمر بن عاصم الكناني وإليه تنسب المدرسة العاصميّة بزبيد وكان يدرّس فيها الفقه[1] ، والقاضي عيّاش بن محمّد المخزومي وكان قد أخذ عن البشري ومحمّد وعلي ابني عيسى بن همدان وهؤلاء جميعا كانوا يدرّسون بمسجد الأشاعر ويرشدون الطّالب ويفقّهون السّائل [2] . أمّا الفقيه حسن بن أبي بكر الشّيباني فقد كان أوحد عصره وكان قد عرض عليه الملك المعظّم توران شاه قضاء زبيد فكره ذلك ثمّ عرضه عليه القاضي الأثير أيّام سيف الإسلام فاعتذر إليه وقال له : " قد عرضه عليّ من وصل إلينا قبلك " وأشار عليه بتولية القاضي عبد الله بن محمّد بن أبي عقامة التّغلبي[3] وكان هذا الأخير قد تفقّه بفقهاء زبيد وأخذ عنهم فحصلت له معرفة في الحديث والتّفسير ، وفضائل بني عقامة مشهورة وفيهم يقول ابن سمرة : " وهم الّذين نصر الله بهم مذهب الإمام الشّافعي في تهامة " [4].

كما كانت مدينة صنعاء منارة من منارات العلم والمعرفة منذ العهود السّابقة لحكم بني أيّوب حيث قال فيها وفي مشايخها صاحب " أحسن التّقاسيم " : " لم أر بجميع اليمن مثلهم هيبة وعقلا وبهاء " [5] . وقد أكّد هذا المعنى ابن المجاور بقوله : " وغاية إشتغال أهل صنعاء وأعمالها في معرفة الجواهر وعلم الكيمياء وعلم النّحو والنّجوم والمنطق والفلسفة والهيئة وحساب الضّرب والجمّل وفيهم قوم يدّعون الحكمة وفصل الخطاب "[6] .

أمّا جهة حضر موت فقد وصف المقدّسي أهلها بأنّ لهم في العلم والخير رغبة [7] ، وقد ظلّت هذه المنطقة طوال العهد الأيّوبي ذائعة الصّيت بشهرة علمائها وكان كثير منهم قد لقوا الموت بسبب مواقفهم المناهضة للحكم الأيّوبي شأن علماء تريم الّذين قتلوا على يد والي عدن عثمان الزّنجيلي في غضون سنة 577 هـ / 1181 م، وذلك لما كانوا أظهروه من تحريض لآل راشد الحضرميّين وحثّهم على الثّورة وخلع الطاعة [8]. وفي سنة 613 هـ / 1215 م قتل السّلطان عبد الله بن راشد بن أبي قحطان صاحب حضرموت، وكان نبيها عادلا وله مشاركة في علم الحديث كما كانت له صحبة بجماعة من أهل العلم والزّهد [9]. وتعود شهرة

---

(1) الزّبيدي ، **تاج العروس** ، ج8 ص 287.

(2) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص245 .

(3) **المصدر نفسه**، ص 246-247 .

(4) **المصدر نفسه** ، ص 241 .

(5) المقدّسي ، **أحسن التّقاسيم** ، ص 86.

(6) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 2ص192 .

(7) المقدّسي ، **المصدر نفسه** ، ص 87.

(8) أبومخرمة ، **ثغر عدن** ،ج 2 ص163 . البكري ، **تاريخ حضرموت السّياسي**،ج 1ص 83.

(9) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص 405. العلوي ، **تاريخ حضرموت**،ج2 ص 411.

السّلطان عبد الله بن راشد لعلمه وفقهه وأدبه، فقد روي أنّه قرأ صحيح البخاري على الفقيه محمّد بن أحمد بن أبي النّعمان الهجراني فيما بين سنتي 580-585 هـ / 1184 - 1189 م وجمع الأحاديث على أبي الضّيف وآل المقدّسي وابن عساكر سنة 588 هـ / 1192 م [1] .

أمّا أبو زنيج وأبوجحوش وأبوكدر قاضي تريم فقد تميّزوا عن غيرهم من فقهاء حضرموت بأنّهم جمعوا بين القراءات السّبع والفقه ، كما كان الفقيه أبو بكير الحضرمي من مشاهير الفقهاء بهذه الجهة من بلاد العرب طوال العهد الأيّوبي الأوّل وقد وصفه ابن سمرة بأنّ له سمت وهيبة[2] . وكان أبو بكير المذكور كثير التردّد على عدن فأخذ عنه النّاس القراءات " وتفسير الواحدي " وكتاب " النّجم" [3]، وذلك قبل أن يقتل بتريم صحبة الفقيه أبو كدر وجمع من فقهاء حضرموت على يد والي عدن عثمان الزّنجيلي [4] .

كما كان لمرباط فقيهها ومفتيها المسمّى محمّد بن علي القلعي وكانت له مصنّفات حسنة منها " قواعد المهذّب " [5]، وفي أحور سطع نجم الفقيه محمّد بن منصور وكان فقيها مجوّدا في علم الفرائض والحساب وإماما في الحديث[6] . كما ضمّت أبين جمع غفير من مشاهير الفقهاء والعلماء والقضاة شأن الفقيه نعيم بن عبد الله العشاريّ وقد سمّي كذلك لأنّه كان يحفظ عشرة علوم إضافة إلى معرفته بتأويل الرّؤيا [7]. كذلك كان القاضي علي بن عمر بن عبد العزيز بن أبي قرّة حافظا في علم التّفسير واعظا على المنابر عارفا بتأويل الرّؤيا، وقد توفّي في حدود سنة 570 هـ/ 1174 م[8] فخلفه ابنه محمّد بن علي بن عمر بن أبي قرّة ثمّ ما لبث أن توفّي هو الآخر في أيّام الملك سيف الإسلام طغتكين في ذي القعدة من سنة 579 هـ / 1183 م بجهة خنفر [9].

ومن أهل جبا ذاع صيت الفقيه أبو بكر بن يحي بن إسحاق وكان قد تفقّه على يد علي بن أبي بكر بن سالم القريظيّ ثمّ دخل زبيد فاضلا من مكّة فروى

---

(1) العلوي ، تاريخ حضرموت، ج2 ص 411.

(2) إبن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص220 .

(3) المصدر نفسه ، ص 221.

(4) المصدر نفسه ، ص 221.

(5) المصدر نفسه، ص 220.

(6) المصدر نفسه ، ص 220.

(7) المصدر نفسه، ص 222.

(8) المصدر نفسه ، ص 222.

(9) المصدر نفسه ، ص 223.

عن الفقيه عيّاش بن أحمد المخزومي وأخذ عنه وذلك في غضون سنة 581 هـ/ 1185 م [1].

وبقرية من قرى العوادر وفي غضون سنة 547 هـ / 1152 م ولد الفقيه عمر بن علي بن سمرة الجعدي صاحب " طبقات فقهاء اليمن " ونشأ بها فتعلّم القرآن على يد جماعة منهم الفقيه مسعود بن حسّان ابن حرب الجعدي والفقيه أصواب بن التّهامي والأديب سعيد بن عمرو بن موسى الجرادي وعلى يديه حفظ ابن سمرة القرآن عن ظهر قلب وختمه[2] ، ثمّ درس الفقه على يد جماعة من الشّيوخ الأجلاّء أوّلهم الفقيه علي بن أحمد المقيم ببادية الجند[3] .

وفي مكّة إشتهر العديد من فقهاء اليمن وعلمائها مثل الفقيه محمّد بن مفلح العجيبي والفقيه الزّاهد عبد الله بن مقبل العجيبي وهما من الطريّة وهي قرية من أبين إلى جانب الفقيه الفاضل محمّد بن إسماعيل بن أبي الصّيف اليمني ، فلمّا كان مستهلّ صفر من سنة 582هـ / 1186 م توفّي الفقيه الزّاهد عبد الله بن مقبل العجيبي بمكّة [4].

وبالتمعّن في تراجم كلّ من إبن سمرة الجعدي وأبي مخرمة يلاحظ أنّها إحتوت على قائمة وافية بأسماء مشاهير من أصل يمني نبغوا في شتّى العلوم والفنون، وساهموا بتصانيفهم ومعارفهم في الحركيّة الثّقافيّة التي عرفتها بلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي . وفيما يلي إستعراض لتراجم أبرز الأعلام الّتي تميّزت بنشاطها الفكري و الثّقافي طوال ذلك العصر :

+ الشّيخ القاضي العلاّمة أبو الطيّب طاهر بن الإمام يحي بن أبي الخير بن سالم بن أسعد العمراني : ولد في ذي الحجّة من سنة 518 هـ / 1124 م وتفقّه بأبيه الإمام يحي، ثمّ إرتحل إلى مكّة هربا من فتنة ابن مهدي الحميري فأقام بها سبع سنين يجالس العلماء ويحادثهم فروى عن كبار المحدّثين في الحرم كالشيخ الإمام أبي علي الحسين بن علي بن الحسن الأنصاري والشّيخ الإمام الميانشي والعسقلاّني ومقرئ الحرمين الشّريفين أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم بن أبي مشيرح الحضرمي[5] ، ثمّ عاد إلى اليمن في غضون سنة566 هـ / 1170 م فناظر الفقيه الحنفيّ محمّد بن أبي بكر المدحوم بين يدي عبد النّبي بن علي بن مهدي مرارا وإستظهر عليه ثمّ ولّي قضاء ذي جبلة وأعمالها من جهة عبد النّبي من سنة 567 هـ/1171م إلى بعض أيّام الملك المعظّم شمس الدّولة توران شاه بن أيّوب [6].

----

(1) إبن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص232 .

(2) المصدر نفسه ، ص3 .

(3) المصدر نفسه ، ص3 .

(4) المصدر نفسه ، ص247 .

(5) المصدر نفسه ، ص187 .

(6) المصدر نفسه ، ص188 .

وقد إشتهرّ العلاّمة أبو الطّيب العمراني بالتّصانيف الجيّدة المليحة منها : " مقاصد اللّمع " و " كسر قناة القدريّة " و " مناقب الإمامين " و " معونة الطّلاب بفقه معاني كلم الشّهاب " ، فجمع بذلك بين علم القراءات والحديث والفقه وعلمالكلام [1].

+ الفقيه عبد الله بن عمر التّباعي : درس على الإمام يحي بن أبي الخير العمراني وعليه تفقّه أناس كثير وذلك قبل أن يتوفّى في غضون سنة 594 هـ/ 1198 م [2].

+ الفقيه الزّاهد علي بن أبي بكر بن سالم التّباعي : هو شيخ الفقيه عمر بن علي بن سمرة الجعدي وقد ولد في شعبان من سنة 536 هـ/ 1141 م وتوفّي في جمادى الأولى من سنة 576 هـ/ 1179 م [3].

+ الفقيه الأجلّ سيف السّنة زين الحنبليّة أحمد بن محمّد بن عبد الله بن مسعود بن سالم البريهي السّكسي الكندي : سكن في إبّ وأفضت إليه الرّياسة فيها وكان قد جمع بين الزّهد والورع والعلم والحديث ، ثمّ إرتحل إلى مكّة وسمع فيها صحيح مسلم سنة 580 هـ / 1184 م ورجع إلى مدينة إبّ ثمّ نزل الجند وإجتمع إليه الأصحاب من ظبا وذي أشرق والشّعبانيّة وأعمال الجند فأسمعهم إيّاه وذلك في غضون سنة 581 هـ / 1185 م [4].

+ الفقيه الزّاهد أبو السّعود بن خيران : هو من شيوخ عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، ولد سنة 518 هـ / 1124 م وجمع بين الفقه والقراءات وأجاز ابن سمرة في " الملخّص في الجدل " وأخذ عن الإمام يحي " المعتمد في الخلاف " و" غريب أبي عبيد " و"الخوافي في اللّغة " وتفقّه بعبد الله بن يحي الصّعبي [5].

+ الفقيه محمّد بن عمر بن محمّد العمراني : ولد سنة 525 هـ / 1131 م وتوفّي سنة 572 هـ / 1176 م وكان ورعا زاهدا شاعرا [6].

+ الفقيه سليمان بن عبد الله بن السّرّي : ولد سنة 532 هـ / 1138 م وجمع بين القراءات والفقه والزّهد [7].

----

(1) ابن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص188 .

(2) المصدر نفسه، ص180-190 .

(3) المصدر نفسه، ص190 .

(4) المصدر نفسه، ص190 .

(5) المصدر نفسه، ص192 .

(6) المصدر نفسه، ص192-193 .

(7) المصدر نفسه ، ص197 .

+ الفقيه القاضي عبد الله بن محمد بن الزّوقري : ولد سنة 541 هـ/ 1146 م ثمّ مات في ربيع الأوّل من سنة 583 هـ/ 1187 م وكان قد إشتهر بالفتوى والتّدريس [1].

+ الفقيه القاضي محمّد بن جرير : أخذ عن الإمام يحي العمراني " الصقّار " و " العروض " و "النظّام " ومات في غضون سنة 570 هـ / 1174 م[2] .

+ الفقيه المقرئ علي بن أبي بكر بن داود القرنطيّ : أصله من لحج ، سكن زبيد ومات بها سنة 580 هـ / 1184 م وكان قد إشتهر بالفتوى والتّدريس وصحب الإمام يحي بن أبي الخير العمراني [3].

+ الفقيه القاضي منصور بن إبراهيم الموصلي : عيّنه الوالي عثمان الزّنجيلي قاضيا على لحج ثمّ رتّبه الملك المعظّم توران شاه نائبا على عدن وأعمالها من سنة 570 هـ / 1174 م إلى سنة 579هـ / 1183م وكان قد إشتهر بالفتوى والتّدريس وصحب الإمام يحي بن أبي الخير العمراني [4] .

+ الفقيه الشيّخ الزّاهد أبو بكر بن سالم بن عبد الله : هو من جلّة الشيّوخ ، الفقهاء الزّاهدين ، تفقّه في بداية أمره على الفقيه مقبل بن محمّد بن زهير الخلفي ثمّ على الفقيه عبد الله بن عبد الرزّاق وأخذ عن أبيه سالم وتوفّي لعشرين ليلة خلت من ذي القعدة من سنة 571 هـ / 1175 م في بلدة ذي أشرق [5].

+ الفقيه فضل بن أسعد بن حمير المليكي : ولد في شهر صفر من سنة 522 هـ / 1128 م وأخذ عن الفقيه محمّد بن سالم بن زيد بن إسحاق الأصبحي ودرّس في الملحمة زمن حكم بني أيّوب وكان فقيها مجوّدا عارفا ، لذلك إرتحل إليه الأصحاب رغبة في علمه [6].

+ الفقيه منصور بن علي بن عبد الله بن إسماعيل بن مسكين : ولد في صفر من سنة 529 هـ / 1135 م وهو ربيب الفقيه أحمد بن أبي أحمد التّباعي وبه تفقّه وعنه أخذ ، كان قد إشتهر هو الآخر بالتّدريس [7].

----

(1) ابن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص199 .

(2) المصدر نفسه، ص203 .

(3) المصدر نفسه ، ص203 .

(4) المصدر نفسه ، ص204 .

(5) المصدر نفسه ، ص211 .

(6) المصدر نفسه ، ص214 .

(7) المصدر نفسه ، ص214 .

+ الفقيه مسعود بن علي بن مسعود العنسي : ولد سنة 548 هـ / 1153 م بالمحلّة من بلاد السّحول وتفقّه عن الفقيه أحمد بن أسعد بن الكلالي والشّيخ علي بن أبي بكر بن سالم بن عبد اللّه ، كما إشتهر بالتّدريس والتّصنيف وله مصنّف في أصول الفقه سمّاه " كتاب الأمثال " [1].

+ الفقيه يحي بن أبي بكر بن أبي اليقظان : كان يدرّس في المسجد الصغير بذي السّفال وقد تفقّه به جماعة منهم الفقيه عبد اللّه بن زيد بن مهدي العريقي وأحمد بن مقبل ، ثمّ ما لبث أن توفّي في غضون سنة 579هـ / 1183م بذي السّفال [2].

+ الفقيه الفاضل علي بن عبّاس بن عيسى بن مفلح المليكي : أصله من إبّ ، سكن عدن فسمع فيها الحديث على الشّيخ القاضي أحمد بن عبد الله القريظي وتفقّه به وبغيره وكان حافظا ورعا زاهدا ، ثمّ عرض عليه قضاء عدن فأعرض وخرج هاربا إلى الخبث أين توفّي في شهر ربيع من سنة 580هـ / 1184م . وكان الفقيه المليكي ذا كتب كثيرة ومال وفير فأوصي إلى الشّيخ الموفّق يحي بن يوسف السّليماني بذلك ، وقد روى عنه بعض الفقهاء كتبا في الحديث والتّفسير وإليه ينسب مختصر مليح في الفرائض [3].

+ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله القريظي : توفّي حوالي العشرين الأولي من المائة السّابعة وكان فقيها نبيها بارعا محقّقا، قرأ الفقه على أبيه وغيره وأخذ عن القاضي الأثير وعن الإمام محمّد بن سعيد بن معن وعنه أخذ الشّريف أبو الجديد والفقيه حسين العديني وغيرهما ولم تزل خطابة عدن بأيدي ذرّيته حتّى إنقرضوا لبعض وسبعمائة[4] .

+ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن إدريس بن الحسن الأزدي : أصيل بلدة المهجم وعلي يديه تعلّم الفقيه إسماعيل بن محمّد الحضرمي القرآن الكريم وكان في أثناء تعليمه له يقرأ الفقه ، ثمّ ما لبث أن قدم عدن فأدرك بها القاضي إبراهيم بن أحمد القريظي فأخذ عنه كتاب " المستصفي " كما أخذ مصنّفه وأخذ عن الإمام الصّنعاني جميع مرويّاته وعنه أخذ أحمد بن علي الحرازي ، وكان فقيها ماهرا عارفا مشتغلا بالفقه إلى أن توفّي لبعض و650 هـ / 1252 م [5].

+ الفقيه أحمد بن عبد اللّه بن محمّد بن أبي سالم القريظي الشّافعي : أخذ عن القاضي أبي بكر الجندي وعن المقيبعي وغيرهما، وعنه أخذ الفقيه عمر بن

----

(1) إبن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص216 .

(2) المصدر نفسه ، ص218 .

(3) المصدر نفسه ، ص219 .

(4) أبومخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص33-34 .

(5) المصدر نفسه ، ج 2ص34 .

علي بن سمرة الجعدي والإمام بطال الرّكبي وغيرهما ، وكان فقيها محدّثا لغويّا ، متفنّنا ، جامعا لأسباب الفضائل ، تولّي قضاء عدن طيلة أربعين سنة وتوفّي بها سنة 584 هـ / 1188 م [1].

+ الفقيه أبو العبّاس أحمد بن محمد بن عيسى الحرازيّ : كان فقيها فاضلا محقّقا ، عارفا بالأصول والفروع ، غلب عليه علم الكلام وإشتهر به حتّي غدت له فيه مصنّفات جيّدة علي مذهب الأشعري وكان غالب قراءته علي البيلقاني بعدن كما أخذ عنه طريق التصوّف ، وعنه أخذ جماعة من أهل زبيد وتعزّ حتّي توفّي في غضون سنة 689 هـ / 1290 م[2] .

+ الفقيه أحمد بن مقبل بن عثمان العلهيّ : ولد سنة 556 هـ/ 1161 م بقرية عرج بنواحي ذي أشرق وتفقّه بالإمام سيف السّنة وبزيد بن عبد الله الزّبراني وبه تفقّه عمر بن الحدّاد وأحمد بن محمّد الشّكيل وولداه . وكان العلهيّ فقيها محقّقا مدقّقا وكتابه الجامع يدلّ علي ذلك وهو نحو أربعة مجلّدات ، كما ينسب إليه تصنيف كتابي " الإيضاح في أصول الفقه " و " شرح المشكل في اللّمع " فضلا عن تولّيه لقضاء عدن وذلك قبل أن يستقرّ بموطنه الأصلي بذي أشرق أين توفّي في شعبان من سنة 630 هـ / 1232 م [3].

ب - تطوّر التّعليم بإنشاء المدارس :

يعدّ إنشاء المدارس ببلاد اليمن من المآثر الحضاريّة الجليلة التي أتاها الأيّوبيون بهذا الجزء من البلاد الإسلاميّة وإن كان ذلك بدافع توجيه عقول النّاس إلي التّفكير السّنّي ومحاربة الفكر الشّيعي ، كما هو الحال في بلاد الشّام وفي البلاد المصريّة[4] . ذلك أنّ السّياسة التّعليميّة التّي إنتهجها الأيّوبيون كانت سياسة تتطلّبها واقعيّة الظّروف السّياسيّة العامّة في ذلك الوقت، لذلك لا بدّ وأن يكون الهدف من هذه السّياسة خدمة نفوذ هذه الأسرة بدرجة أولي [5].

---

(1) أبومخرمة ، ثغر عدن ، ج 2ص35 .

(2) المصدر نفسه ، ج 2ص46-47 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2ص47 .

(4) الأكوع ، المدارس الإسلاميّة في اليمن ، ص7 . معروف (ناجي) ، نشأة المدارس المستقلّة في الإسلام ، مطبعة الأزهر ، بغداد 1358هـ / 1966م . ص 5وما بعدها .

(5) شميساني (حسن) . مدارس دمشق في العصر الأيّوبي ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت 1983م ص261 وما بعدها .

وإذا كان إنشاء المدارس قد بدأ في كثير من البلاد الإسلاميّة مع منتصف القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي ، كما هو الحال في بلاد العراق وخراسان وما وراء النّهر[1] ، فإنّ ظهورها في بلاد اليمن لم يكن إلاّ مع الأيّوبيين وذلك حينما شرع الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين بن أيّوب في بناء أوّل مدرسة له بزبيد في غضون سنة 594 هـ / 1198 م سمّاها المدرسة السّيفيّة نسبة إلى أبيه الملك الإسلام طغتكين [2].

ثمّ إستمرّت المدارس ببلاد اليمن منذ ذلك الحين في الإنتشار حتّى أنّ ما من ملك من ملوك الأسرة الأيّوبيّة إلاّ وقد بني له مدرسة أو أكثر و أوقف عليها كرائم أمواله وخزائن كتبه الزّاخرة بنفائس المصنّفات ونوادرها. كما سار على هذا النّهج الأبناء و الأمراء والوزراء والنّساء والموالي ، حتّى كان بناء المدارس وتشييدها سمة من سمات ذلك العصر ومظهرا بارزا من مظاهر تلك الحقبة المتميّزة من تاريخ هذا البلد [3] .

ويبدو أنّ ظهور المدارس كمراكز للتّعليم ونشر للمعرفة قد جاء مواكبة لحالة التطوّر ، التي ما انفكّت تعرفها العلوم والمعارف في كثير من البلاد الإسلاميّة، بحيث لم تعد مراكز التّعليم التّقليديّة كالمساجد ودور الشّيوخ والكتاتيب قادرة بمفردها على إستيعاب حلقات التّدريس المتزايدة [4].

كما أنّ المساجد بحكم وظيفتها الرّئيسيّة المتمثّلة في إقامة الصّلاة والتعبّد لم تعد تتلاءم ومناهج التّعليم المستحدثة والتّي كانت تقوم في الغالب على كثير من الجدل والحوار، وهو ما تسبّب في المقابل في إزعاج روّاد المساجد المتعبّدين وحال دون إتمامهم لواجباتهم الدّينيّة على الوجه الأكمل [5]. ولمّا كانت المهمّة الأولى للمسجد هي العبادة بحيث لا يجوز تجاوزها ، أو تجاهلها أوجب العمل على إيجاد مكان بديل ليترك للمسجد سكينته وجلاله [6].

كما ساعد على ظهور المدرسة وجود جماعة من النّاس شغلوا بالتّعليم معظم وقتهم ، وحاولوا أن يرتزقوا بإستهان حرف بسيطة كانوا يقومون بها مع

----

(1) المقريزي ، الخطط ، ج4 ص192 . معروف ، نشأة المدارس المستقلّة في الإسلام، ص 6. باقاسي ، بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي، ص 104.

(2) ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص 76. ابن عبد المجيد ، بهجة الزّمن ، ص80 . الزّبيدي ، ترويح القلوب ، ص 58. ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج 2ص524 . ابن حاتم ، السّمط الغالي الثّمن، ص43 . الخزرجي ، العقود اللّؤلؤيّة ، ج 1ص 29.

(3) شلبي ، تاريخ التّربية الإسلاميّة ، ص 99.

(4) شلبي ، المرجع نفسه ، ص 95. معروف ، المرجع السّابق ، ص 3 وما بعدها .

(5) شلبي ، المرجع نفسه ، ص 95. شميساني ، مدارس دمشق في العصر الأيّوبي ، ص 10.

(6) شلبي ، المرجع نفسه ، ص 96.

التّدريس ولـكنّهم فشلوا في الحصول على مستوى مناسب من العيش ، لذلك لم يكن بدّا من إنشاء المدارس لتضمن لهم جرايات تقوم بحاجتهم [1].

وتتميّز المدرسة عمّا سبقها من مؤسّسات تعليميّة بعدّة خصائص إنفردت بها مثل الإيوان وهو عبارة عن قاعة كبيرة معدّة لإلقاء الدّروس ، إلى جانب وجود مساكن للمدرّسين والطّلبة المنتسبين لتلك المدرسة، وإحتوائها على مرافق أخرى كالمطبخ وغرفة الأكل والحمّام وما شابه ذلك [2].

وقد أسّس هذه المدارس ملوك الأسرة الأيّوبيّة وأمراؤهم وولاّتهم وأزواجهم وبناتهم وأخواتهم من الأميرات والخواتين وعلماؤهم وقضاتهم وموسوروهم وتجّارهم ، وأوقفوا عليها جميعا أوقافا من الأموال والضّياع والبساتين والحوانيت ، حتّى أصبح كثير من أرض اليمن أوقافا مبثوثة لتلك المدارس [3].

* نماذج من مدارس أيوبية أنشأت باليمن :

تركّز إنشاء المدارس ببلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي بالجهات السّفلى من هذا الإقليم مثل تعزّ والجند وذي جبلة وزبيد ، كما إمتدّ حضور هذه المنشآت العلميّة إلى مكّة شمالا [4]. بينما لا توجد مدرسة واحدة في اليمن الأعلى ذلك لأنّ نفوذ الأيّوبيين بهذه الجهة كان يعتريه كثير من المدّ والجزر بسبب المعارضة الزّيديّة المتصاعدة . وليس معنى هذا أنّ اليمن الأعلى كان خاليا من مراكز التّعليم ، إذ ظلّت المساجد ودور الشّيوخ والفقهاء والكتاتيب تقوم بدور لا يقلّ عن دور المدارس بهذه النّاحية من بلاد اليمن [5] .

ومن أشهر المدارس التّي أنشأت ببلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي يمكن ذكر كلّ من :

+ مدرسة السّاتي : موضعها بقرية السّاتي من عزلة بني سيف العالي من أعمال يريم ، كان قد إبتناها محمّد بن أحمد بن هندوة السّيفي المرادي وكان من أعيان بني سيف . و من جملة من درّس بهذه المدرسة الشّيخ الحسن بن علي بن مرزوق بن حسن بن علي العامري وكان فقيها عارفا فاضلا، تفقّه في زبيد بالإمام علي بن قاسم الحكمي فقيه زبيد وعنه أخذ جماعة من ذرّية الهيثم وغيرهم من أهل

---

(1) شلبي ، تاريخ التّربية الإسلاميّة ، ص 95-96. شميساني ، مدارس دمشق في العصر الأيّوبي ، ص17 .

(2) شميساني ، المرجع نفسه ، ص17 .

(3) الأكوع ، المدارس الإسلاميّة في اليمن ، ص15 .

(4) أبو شامة، الرّوضتين ، ج 2ص26 . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزّمان ، ج 8ص 235. ابن تغري بردي ، النّجوم الزّاهرة ، ج 1ص 91.

(5) الأكوع ، المرجع نفسه ، ص15 .

هذه النّاحية . ويذكر الجندي أنّ الفقيه الحسن العامري كان موجودا بمدرسة السّاتي إلى حدود سنة 632 هـ/ 1234م[1] .

+ المدرسة الأشرقيّة : توجد بمغربة تعزّ ، وقد بناها المسمّى جمال الدّين ياقوت الجمالي لمّا كان واليا في حصن تعزّ أيّام الملك سيف الإسلام طغتكين. وتنسب المدرسة الأشرقيّة إلى أبي العبّاس أحمد بن علي بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن سالم الأصغر اليزيدي، ثمّ الشّعبي نسبا والأشرقي بلدا نسبة إلى ذي أشرق . وقد قال فيه الجندي : " وإليه تنسب المدرسة الأشرقيّة في مدينة تعزّ وكان اليزيدي فقيها مشهورا مباركا صالحا تفقّه بالإمام إسماعيل بن محمّد الحضرمي وبه تفقّه محمّد بن عبّاس وكان يقول "أعطوا العلم كلّكم يعطكم بعضه فإن أعطيتموه بعضكم لم تظفروا منه بشيء". وكان اليزيدي قد توفّي وهو على تدريس المدرسة الأشرقيّة في أواخر المائة السّابعة [2].

+ المدرسة الياقوتيّة : توجد في ذي السّفال وقد أنشأها جمال الدّين ياقوت الجمالي السّابق الذّكر أيّام الملك سيف الإسلام طغتكين [3].

+ المدرسة المجيريّة : موضعها في غرب مدينة تعزّ شمال قرية المحاريب كان قد إبتناها مجير الدّين كافور التّقوي لمّا كان في خدمة الملك سيف الإسلام طغتكين . وكان التّقوي شغوفا بالقراءة محبّا للعلماء حسن الظنّ بهم ، كما كان من المشتغلين بحفظ الحديث حيث روى عنه جماعة من الفقهاء وبه سمّي الحول[4] المعروف بحول مجير الدّين الواقع بسوق البقر شمال المحاريب [5]. أمّا وفاته فقد كانت في تعزّ أين كان قد قبر بفناء المدرسة المذكورة في تاريخ غير معلوم [6].

ومن مشاهير الشّيوخ الذين درّسوا بالمدرسة المجيريّة الفقيه يعقوب بن محمّد فقيه قرية عطا وكان قد تفقّه بعلي بن محمّد الخلّي وغيره ، وكان قد قدم إلى تعزّ وأقام في المجيريّة فتفقّه به عبد الرّحمان بن أبي بكر التعزّي [7].

+ مدرسة الميلين : توجد في زبيد، وكان قد بناها الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين في غضون سنة 594 هـ / 1198 م وكانت تسمّى المعزّية أو

---

(1) الأكوع ، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، ص7 ، 16 .

(2) الجندي ، **السّلوك** ، لوحة 224. **العطايا السّنية** ، ورقة 27. **طراز أعلام الزّمن** ، ورقة176 . عن الأكوع ، **المرجع نفسه**، ص17 .

(3) الأكوع ، **المرجع نفسه**، ص17 .

(4) الحول : هو الجريب ولعلّ تسميته حولا لتحوّله من مالك إلى آخر. الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص17 .

(5) الأكوع ، **المرجع نفسه**، ص17 .

(6) الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص17 . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤية** ، ج1 ص74 .

(7) الأكوع ، **المرجع نفسه**، ص18 .

مدرسة المعزّ ،ثمّ جدّد بناءها الملك المسعود يوسف بن الكامل . ويذكر إبن عبد المجيد أنّ الأتابك سيف الدّين سنقر لمّا آل له الأمر بعد وفاة الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين أمر بإغلاق مدرسة الميلين وأخرج منها فقهاء الشّافعيّة، ثمّ استولى على وقفها وبني مدرسة كبيرة تعرف بمدرسة ابن دحمان ، وقيل إنّه جعل وقفها على مقام أبي حنيفة في مكّة [1]. وكان المعزّ على حدّ قول الخزرجي أوّل من أسّس المدارس في اليمن [2].

+ المدرسة السّيفيّة : توجد بحصن تعزّ ، وكانت في الأصل دارا لسيف الدّين سنقر الأتابك ثمّ اشتراها منه الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين وحوّلها إلى مدرسة قبل أن ينقل إليها رفاة والده سيف الإسلام طغتكين من مدينة المنصورة أين كان دفن أوّل مرّة [3]. ثمّ إنّ الملك المعزّ ما لبث أن أوقف على تربة أبيه بالمدرسة السّيفيّة وادي الضّباب وجعل عليها سبعة من القرّاء يدرّسون له [4].

+ المدرسة الفاتنيّة : توجد بمدينة ذي جبلة ، وقد ابتناها فاتن بن عبد الله المعزّي وكان خادما حبشيّا من موالي الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين . وقد عرف عن فاتن المعزّي أنّه كان متعلّقا بأذيال العلم وصحبة أهله ، فكان أن صحب فقهاء بني جديل بسهفنة وابتنى عندهم مسجدا حسنا ووقف عليه وقفا جيّدا يقوم بكفاية إمام ومؤذّن وقيّم ومعلّم وعشرة أيتام يتعلّمون القرآن ، كما كان من مآثره أيضا بناء مسجدين أحدهما في المسانيف[5] وآخر في طرف مدينة جبلة من جهة ذي عقيب [6] .

+ مدرسة المسانيف : توجد بقرية المسانيف في الشّمال الغربي من ذي جبلة في منتصف الطريق بينها وبين ذي عقيب، وقد إبتناها فاتن بن عبد الله المعزّي السّابق الذّكر ، ويشير الأكوع إلى أنّ القرية

---

(1) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص80 . ابن الدّيبع، **بغية المستفيد** ، ص 76. **قرّة العيون** ، ج1 ص 400-403. الزّبيدي ، **ترويح القلوب** ، ص 58. ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص43 ، 80 . الذّهبي ، **شذرات الذّهب** ، ج 4ص334 . **العبر في خبر من غبر** ، ج 4ص 301. الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 3ص 494. اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج2 ص 524. ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج2 ص524 . الأكوع ، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، ص18 .

(2) الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1ص29 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص 76. الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص 19.

(3) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص 76. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص 104.

(4) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص 76. **قرّة العيون** ، ج1 ص 400. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2 ص 104. الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص 20.

(5) المسانيف : موضع يقع بين ذي جبلة وذي عقيب وبعض المؤرّخين يذكر مسجد المسانيف بأنّه مدرسة . الأكوع ، **المرجع نفسه**، ص22 .

(6) على حدّ قول الأكوع يوجد مسجد معروف بإسم مسجد العقد في طرف مدينة جبلة من جهة الشّمال في قرية الصّفا التّي كان يقيم بها اليهود . الأكوع ، **المرجع نفسه**، ص22 .

والمدرسة المذكورتين قد خربتا وبنيت في المكان مدرسة حديثة للأطفال[1] .

ومن أشهر الشيّوخ الذّين درّسوا بمدرسة المسانيف خلال العهد الأيّوبي الفقيه أبو محمّد عبيد بن أحمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود بن عليّان بن هشام التّرخمي ، وكان فقيها نبيها عارفا محقّقا ، أخذ العلم عن جماعة منهم أبي بكر بن ناصر وتوفّي في قرية السّهولة [2]ليلة الإثنين الموافق لثمان بقين من صفر لسنة 694 هـ/ 1294م [3].

+ مدارس بني غليس : توجد بمخلاف بني شعيب وهي ثلاث مدارس ، إحداها مدرسة الميديرّ في ظفران والثّانية مدرسة الأحجور والثّالثة لم يذكر مكانها[4] . وقد بنى هذه المدارس الشّيخ علي بن محمّد غليس العريقي المتوفّي لبضع عشرة وستّمائة وقال الحبيشي سنة 596 هـ / 1200م وقيل أيضا سنة 597 هـ/ 1201 م ، وكان يسكن هو وأخوه عمر بن محمّد غليس في قرية الهجر بالقرب من جبل العنين [5].

وكان علي بن محمّد المذكور فقيها فاضلا كثير التردّد على مكّة كما زار بلاد الشّام والعراق . ومن مآثره أيضا بناء ثلاثة مدارس في منطقة وصاب وقد أوقف عليها من ماله ومن مال أخيه عمر وأجلب لها كتبا كثيرة وأوقفها عليها وفي ذلك يقول الجندي : " رأيت منها [أيّ الكتب] الشّامل كاملا عند المقري محمّد بن يوسف [6]" . وقال الحبيشي في كتابه " الإعتبار " في ذكره لمدرسة المدير : " بناها سنة 592 هـ/ 1196 م وقيل سنة 594 هـ / 1198م وقد جعل النّظر في المدرسة إلى الفقيه أحمد بن علي بن محمّد بن يزيد من قرية أعدان وكان عالما صالحا" [7]، وقال عند ذكر وقفها: "وقفها على متعلّم القرآن ودارس الفقه " [8]. كما كان للمدارس الثّلاثة أوقاف على إطعام الطّعام [9].

+ المدرسة الأتابكيّة بتعزّ : توجد في قرية ذي هزيم المعروفة الآن بهزيم الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة تعزّ ، ولم يبق من هذه المدرسة إلاّ

---

(1) الأكوع ، المدارس الإسلاميّة في اليمن ، ص22.

(2) السّهولة : قرية تقع في عزلة صاير من ناحية حبيش من أعمال إبّ. الأكوع ، المرجع نفسه، ص22 .

(3) المرجع نفسه، ص22 .

(4) المرجع نفسه، ص23 .

(5) المرجع نفسه، ص23-24 .

(6) المرجع نفسه، ص23 .

(7) المرجع نفسه، ص23 .

(8) المرجع نفسه، ص23 .

(9) المرجع نفسه، ص23 .

آثارها ، وقد ابتناها الأمير سيف الدّين سنقر الأتابك وبها دفن لمّا توفّي في جمادى الآخر من سنة 608 هـ / 1211م [1] .

+ المدرسة الأتابكيّة في أبين : ومن مآثر الأتابك سيف الدّين سنقر أيضا بناؤه المدرسة الأتابكيّة في أبين كما بني فيها جامعا [2].

+ المدرسة الدّحمانيّة : توجد بزبيد وهي أيضا من مآثر الأتابك سيف الدّين سنقر وقد أنشأها للفقيه محمّد بن إبراهيم بن دحمان فنسبت إليه وجعلت لتدريس مذهب أبي حنيفة [3]. ويذكر ابن الدّيبع هذه المدرسة بقوله : " وبنى الأتابك مدرسة كبيرة بزبيد عقد فيها أواوين وهي تعرف الآن بمدرسة ابن دحمان وتقع غربي الدّار الكبير " [4].

وكان الفقيه ابن دحمان فقيها صالحا خيّرا عارفا بالفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وكان الأتابك سيف الدّين سنقر لا ينقطع عن زيارته بهذه المدرسة إذا نزل زبيد ، وهو أوّل من درّس بهذه المدرسة كما توارث أعقابه التّدريس فيها [5].

+المدرسة العاصميّة : توجد هي الأخرى بزبيد وقد أنشأها الأتابك سيف الدّين سقر للفقيه عمر بن عاصم بن عيسى التّغلبي فنسبت إليه وجعلت لتدريس فقه الإمام الشّافعي [6] .

+ مدرسة ميكائيل : توجد بالجند، وقد ابتناها أبو محمّد ميكائيل بن أبي بكر بن محمّد الموصلي التّركماني في أواخر الدّولة الأيّوبيّة ، وكان قدم اليمن صحبة الملك المسعود يوسف بن الكامل فولاّه الجند[7] . ثمّ إنّ ميكائيل ما لبث أن

----

(1) إبن حاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص147 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص77 . **قرّة العيون** ، ج 1 ص408 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص 81. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص 52. الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة 18ب .

(2) الأكوع ، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، ص22.

(3) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص81. ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص76 . **قرّة العيون** ، ج1 ص409 . الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص 27.

(4) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص76 .

(5) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص76 . **قرّة العيون** ، ج 1ص 409 . ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص81 . الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص 27. الزّبيدي ، **تاج العروس** ، مادّة " دحم " ج 8ص 287.

(6) الزّبيدي ، **تاج العروس** ، مادّة " **دحم** " ج 8ص287 . الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص 27. الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1ص239 .

(7) الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص 35.

أوقف على مدرسته المذكورة وقفا جيّدا وكتبا كثيرة. كما قام بالتّدريس بها لعدّة سنين وكان من كبراء الغزّ وأعيانهم، مخالطا لأهل العلم مشاركا فيه [1].

+ المدرسة العومانيّة : يقال لها مدرسة عومان وتقع في الشّمال الغربي من مدينة جبلة[2]، وهي من إنشاء الحرّة لؤلؤة زوجة الأمير علي بن رسول وكانت من النّساء المذكورات بفعل الخيرات [3]. وكان قد عهد أمر التّدريس بهذه المدرسة إلى الفقهاء بني الشّهابي ثمّ ما لبث أن نزعها منهم القضاة بنو عمران، فلمّا وليّ بنو محمّد بن عمر أعادوها إليهم [4].

+ مدرسة الشّيخ أبو عمران موسى العراقي : توجد بذي مرجّي غربي السّدف من معشار [5] حصن نعمان من وصاب العالي، كان قد إبتناها أبو عمران الشّيخ موسى بن عبد الله العراقي المتوفّي سنة 622 هـ / 1224 م وأوقف عليها أراضي حسنة للمدّرسين والطّلبة[6]. ثمّ ما لبث أن جعل نظرها إلى الفقهاء بني الفتح وأشهرهم الفقيه محمّد بن علي المتوفّي في آخر يوم من شهر محرّم لسنة 629 هـ/ 1231 م وكان أغزر هذا الحيّ علما وأكثر أهله كتبا أخذ عليه النّاس التّفسير والحديث والفقه والنّحو واللّغة والفرائض وغير ذلك [7].

+ مدرسة إبن بطّال : كانت تقع في قرية ذي يعمد من أعمال الدّملوة، وقد أنشأها أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن سليمان بن بطّال الرّكبي[8] المتوفّي لبعض ثلاث وستّمائة، ويطلق عليه أحيانا إسم بطّال الرّكبي[9]. وكان ابن بطّال المذكور من أبرز العلماء المحقّقين العارفين بالفقه والتّفسير والحديث واللّغة والأصول والشّعر[10]، أخذ الفقه عن عبد الله بن محمّد الزّورقي ثمّ إرتحل إلى مكّة

---

(1) الأكوع، **المدارس الإسلاميّة في اليمن**، ص56.

(2) **المرجع نفسه**، ص 35-36.

(3) **المرجع نفسه**، ص 57.

(4) **المرجع نفسه**، ص 57.

(5) المعشار : مجموعة من القرى وهو أقلّ من العزلة والعزلة أقلّ من المخلاف. الأكوع، **المرجع نفسه**، ص67.

(6) **المرجع نفسه**، ص 67-68.

(7) **المرجع نفسه**، ص 68.

(8) نسبة إلى قبيلة كبيرة يقال لها الرّكب تقطن في مواضع متفرّقة من اليمن، بعضها سكن في الجبال المطلّة على زبيد وبعضها في الجبال المشرفة على حيس والبعض الآخر منها في الدّملوة. الأكوع، **المرجع نفسه**، ص93.

(9) **المرجع نفسه**، ص 93.

(10) الخزرجي، **العقود اللّؤلؤيّة**، ج1 ص 391. أبو مخرمة، **ثغر عدن**، ج2 ص 200. الأكوع، **المرجع نفسه**، ص 93.

فأقام بها أربعة عشر عاما يحادث العلماء والفقهاء الوافدين إليها ويأخذ عنهم ولمّا عاد إلى بلده ذي يعمد بني بها مدرسته المذكورة و أوقف عليها كتبه وجملة من أرضه، فقصده النّاس من أنحاء اليمن و كان يقوم بالمنقطع من الطّلبة[1] .

ومن جملة من درّس بمدرسة إبن بطّال الإمام أبو الفضائل الحسن بن محمّد الصّغاني[2] ، وكان إماما كبيرا متضلّعا في علوم النّحو واللّغة والحديث والفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة ، قدم إلى اليمن مرارا وأقام في عدن ثمّ في ذي يعمد فأخذ عنه ابن بطّال كما أخذ عنه أولاده وغيرهم [3].

+ مدرسة بني سنقر : توجد بإبّ ولا يعرف تاريخ بنائها ولا بانيها ، ويحتمل أن تكون من إنشاء أحد أولاد الأتابك سيف الدّين سنقر . وتوجد في إبّ مدرستان أحدهما السّنقريّة العليا وهي التي تعرف بالحبّاني وتدعى اليوم بالمخلّطة بعد أن جمعت بالمدرسة التي كانت خاصّة بالنّساء ، والمدرسة السّنقريّة السّفلى وهي معروفة اليوم بمدرسة الصّامت [4].

و من أشهر من درّس بمدرسة بني سنقر الفقيه أبو محمّد القاسم بن علي بن موسى الروّاني [5] الجبرتي[6] ، وهو من الذّين تفقّهوا بالإمام إسماعيل بن محمّد الحضرمي والإمام أحمد بن موسى بن عجيل . وكان الفقيه القاسم الجبرتي قد وفد على زبيد فأخذ عن محمّد بن علي الحضرمي وطلع إبّ فدرّس بمدرسة بني سنقر فإنتفع النّاس بعلمه إنتفاعا عظيما لا سيما أهل إبّ [7].

كما كان الفقيه الجبرتي قد إصطحب جماعة من الفقهاء منهم الكاشغري والقاضي محمّد بن يحي وساروا جميعا إلى الفقيه عبد الله بن يحي بن أحمد بن أبي اللّيث الهمداني صاحب " سماع البيان " بقرية المقلح في بعدان فأخذوا عنه، وكان آخر سماعهم " للبيان" عليه في 28 جمادى الأولى من سنة 608 هـ/ 1211 م [8].

---

(1) الفاسي ، **العقد الثّمين** ، ج 3ص376 . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج1 ص 391. أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص200 . الأكوع ، **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، ص93.

(2) نسبة إلى صغانيان وهي كورة عظيمة ببلاد ما وراء النّهر . الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص94 .

(3) الفاسي ، **المصدر نفسه** ، ج 3ص376 . الزّبيدي ، **تاج العروس** ، مادّة "عمد" ج2 ص431-432 . الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص94 .

(4) الأكوع ، **المرجع نفسه**، ص109.

(5) نسبة إلى بني روّان وهي قبيلة كبيرة تحطّ رحالها بين بلاد الجبرت وبلاد مقديّشوه . الأكوع ، **المرجع نفسه**، ص109.

(6) **المرجع نفسه**، ص109.

(7) **المرجع نفسه**، ص110.

(8) **المرجع نفسه**، ص110.

+ مدرسة عبد الله بن العبّاس الحجّاجي : توجد في مدينة الجند وتدعى أيضا المدرسة العبّاسيّة وكان قد إبتناها أبو محمّد عبد الله بن العبّاس بن علي بن المبارك الحجّاجي الشّاكري الهمداني غير أنّه قصر في وقفها [1]. وكان أبو محمّد عبد الله الحجّاجي ، المتوفّي لبعض وسبعين وستّمائة ، من أعيان النّاس له مشاركة في العلم حتّى أنّه أخذ من كلّ فنّ بنصيب وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه لذلك قيل أنّ خزانته جمعت أكثر من خمسة آلاف كتاب [2] . كما كان الفقيه الحجّاجي من الذّين أخذوا عن القاسم بن علي الحريري مقاماته وعن إسحاق الطّبري والعماد الإسكندراني وغيرهم ، ثمّ ما لبث أن ولّي كتابة الجيش من قبل الملك المسعود يوسف بن الكامل كما ولّي ديوان النّظر مدّة بعدن [3].

وقد تعدّت جهود الدّولة الأيّوبيّة في إنشاء المدارس حدود أرض اليمن ، فكان أن أسّس والي عدن المدعو عثمان بن علي الزّنجيلي في غضون سنة 579هـ/ 1183 م مدرسة للحنفيّة بمكّة وجعلها مقتصرة على تدريس الفقه الحنبلي والتّفسير[4] .

* نظام التّعليم :

كانت المدارس ببلاد اليمن تعني بتدريس العديد من العلوم والمعارف لاسيما الدّينيّة واللّغويّة منها ، كالفقه والفرائض والنّحو والصّرف والمعاني والبيان وأصول الفقه وأصول الدّين والتّفسير وعلم القراءات والحديث وعلومه، إلى جانب علوم اللّغة والعروض والقوافي [5]. غير أنّ ذلك لم يمنع من تدريس ألوان أخرى من المعرفة كالطبّ والصّيدلة والكحالة والهندسة والفلك والتّاريخ والجغرافية [6].

كما كان لكلّ مذهب مدارسه الخاصّة به ، فمدرسة الميلين بزبيد كانت قبل وفاة الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين تعني بتدريس فقه الإمام الشّافعي، وبمجيء الأتابك سيف الدّين سنقر أخرج الفقهاء الشّافعيّة منها وغدت حكرا على الحنفيّة [7] .

---

(1) الأفضل الرّسولي ، العطايا السنّية ، ورقة66 . عن الأكوع، المدارس الإسلاميّة في اليمن، ص132 .

(2) الأكوع ، المرجع نفسه ، ص132.

(3) المرجع نفسه ، ص132 .

(4) أبوشامة ، الرّوضتين ، ج 2ص26 . ابن تغري بردي ، النّجوم الزّاهرة ،ج 1ص91 . سبط بن الجوزي ، مرآة الزّمان ، ج 8ص 235.

(5) الأكوع ، المرجع نفسه ، ص9. رشيد ، "التّعليم في ظلّ الدّولتين الزّنكيّة والأيّوبيّة" ، مجلّة آداب الرّافدين ، ص275 .

(6) رشيد ،المرجع نفسه، ص275 .

(7) ابن الدّيبع ، بغية المستفيد، ص 76.

وكانت الكتب المعتمدة لتدريس المذهب الشّافعي تتمثّل خاصّة في " التّنبيه " والمهذّب " لأبي إسحاق الشّيرازي وشروحهما [1] و " الوسيط " و " الوجيز " للغزالي و " الحاوي " للقزويني و " مختصر الإرشاد " لإسماعيل بن أبي بكر المقوى و " المنهاج " للنّووي و " معين أهل التّقوى " لعلي بن أحمد الأصبحي و " البيان" ليحي بن أبي الخير العمراني [2].

وفي الحديث كان يعتمد على الأمّهات الستّ ، وفي آيات الأحكام على " تيسير البيان " لمحمّد بن علي الموزعي ، كما يتمّ الرّجوع في علم الفرائض إلى كتاب " الكافي " لإسحاق بن يوسف الصّردفي وشروحه [3] وقبله كان يعتمد على " كفاية المهّدي" لمحمّد بن يحي بن سراقة العامري وكتاب أبي بقيّة محمّد بن أحمد الفرضي [4].

وفي أصول الفقه كان يعتمد على كتاب " اللّمع " لأبي إسحاق الشّيرازي وشروحه و " جمع الجوامع " للسّبكي وشروحه ، إلى جانب إعتماد " المختصر في علم النّحو " لإبن عبّاد، كما كان يعوّل في اللّغة على " نظام الغريب " لعيسى بن إبراهيم الوحاظي [5] .

في حين كانت المراجع المعتمدة لتدريس فقه الحنفيّة تتمثّل أساسا في كتاب " الجوهرة المنيرة " و " مختصر " القدوري وشرحه لأبي بكر الحدّاد [6].

أمّا تدريس فقه المذهب الزّيدي فكان يقوم هو الآخر على مجموعة هامّة من المراجع مثل " اللّمع " للأمير علي بن الحسين وشروحه و" التّذكرة الفاخرة " للحسن بن محمّد النّحوي وشروحهما . كما كان يعتمد أيضا على "بيان " ابن مظفّر و" البحر الزخّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار " للإمام المهدي أحمد بن يحي المرتضى [7].

وفي الحديث كان المرجع " شفاء الأوام " للأمير الحسين بن بدر الدّين ، وفي آيات الأحكام يعوّل على كتاب " الثّمرات اليانعة " للفقيه يوسف بن أحمد بن عثمان [8]. وفي علم الفرائض يعتمد على كتاب " الفائض للعصيفري وشرحه للنّاظري، وفي أصول الفقه يعوّل على كتاب المنتهى لإبن الحاجب . وفي أصول

---

(1) الأكوع، المدارس الإسلاميّة في اليمن ، ص9 .

(2) المرجع نفسه، ص9.

(3) المرجع نفسه ، ص9-10.

(4) المرجع نفسه ، ص10.

(5) المرجع نفسه ، ص10.

(6) المرجع بنفسه ، ص11.

(7) المرجع نفسه ، ص10.

(8) المرجع نفسه ، ص10.

الدّين يعتمد على قراءة " العقد الثّمين في معرفة ربّ العالمين " للأمير الحسين، إلى جانب كتاب " مصباح العلوم في معرفة الحيّ القيّوم " لأحمد بن الرصّاص ، وفي المنطق كان يعوّل على كتاب إيساغوجي وعلى "التّهذيب" لسعد الدّين التّفتازاني وشرحه لليزيدي [1].

أمّا فصول الدّراسة وأوقاتها فهي تبدأ من كلّ عام في غرّة محرّم وتنتهي في آخر جمادى الآخرة ويختلف العام الدّراسي من الشّمال إلى الجنوب . ففي الجزء الشّمالي كان يتمّ تدريس الفرائض الزّيديّة طوال شهر رجب [2]، أمّا في زبيد وفي جهات اليمن الأسفل فإنّ شهر رجب يكون مخصّصا لقراءة الأمّهات السّتّ وخاصّة منها " صحيح " البخاري [3]. ثمّ تتوقّف الدّراسة في كامل بلاد اليمن في شهري شعبان ورمضان إلى آخر أيّام عيد الفطر ، وفي الخامس من شوّال يستأنف العام الدّراسي حتّى نهاية شهر ذي القعدة وتسمّى هذه الفترة بدراسة بين العيدين [4].

أمّا طريقة التّدريس فقد كانت تقوم على نظام الحلقة وهي أن يجلس الشّيخ المدرّس في غرفة الدّرس على كرسي أو مكان مرتفع وسط حلقة من الطلاّب يلتفّون حوله ، فيلقي درسه شفاها أو من كتاب بين يديه وقد يكون الكتاب من وضعه أو من وضع غيره، ثمّ يناقش طلبته في موضوع الكتاب ويقف عندما يستشكل فيشرح لهم[5] . وهذا الأسلوب هو المحبّذ لدى الزيديّة بحيث يقرأ الشّيخ الدّرس ثمّ يشرحه للطّلبة وهم يستمعون إليه، ثمّ يسألهم خلال الشّرح هل ظهر المعنى فإذا سأله سائل منهم أعاد الشّرح موضّحا لما خفي منه[6] ، وفي اليوم التّالي يطلب الشّيخ من طلاّبه ملخّص الدّرس السّابق ويسمّي هذا التّلخيص " الضّابط " [7].

وعند الشّافعيّة يكلّف الشّيخ الطّالب بالقراءة بصوت مسموع ، ثمّ يأخذ في شرح الدّرس للطلاّب وإيضاح ما خفي من معانيه [8]. وهذه الطّريقة على حدّ رأي أهلها أكثر نفعا للمتلقّين، لأنّها تساعدهم على تقويم ألسنتهم بالنّحو حتّى لا يلحنوا في كلامهم [9].

---

(1) االأكوع، المدارس الإسلاميّة في اليمن ، ص10 .

(2) المرجع نفسه، ص11.

Serjeant, " The Mosques of San'a ; The Yemeni Islamic Setting ", *in SAN'A an Arabian Islamic City*, p 316.

(3) االأكوع، المرجع نفسه ، ص11.

Ibid, p 316.

(4) المرجع نفسه ، ص11.

Ibid, p 316.

(5) رشيد ، التّعليم في ظلّ الدّولتين الزنكيّة والأيّوبيّة" ، مجلّة آداب الرّافدين ، ص 281.

(6) الأكوع ، المرجع نفسه ، ص11.

(7) المرجع نفسه ، ص11.

(8) المرجع نفسه ، ص11.

(9) المرجع نفسه ، ص11.

أمّا بخصوص هيئات التّدريس فقد كان يتمّ إختيارها من بين أوسع العلماء معرفة وثقافة وأكثرهم فضلا وورعا[1] ، وفي ذلك يقول أبو حامد الغزالي : " يجب أن يكون المعلّم عاملا بعلمه ، فلا يكذّب قوله فعله ، ومثل المعلّم المرشد من المسترشدين مثل النّقش من الطّين ، والظلّ من العود ، فكيف ينقش الطّين بما لا نقش فيه ، ومتى إستوى الظلّ والعود أعوج " [2].

ويختصّ كلّ واحد من هؤلاء العلماء المنتدبين للتّدريس بتدريس مادّة أو أكثر [3]تحت إشراف ناظر مكلّف بمكتوب رسمي من السّلطان ويكون عادة من أقدم المدرّسين ومن الذين بلغوا مرتبة كبيرة من النّضج الفكري والقدرة العالية في مجال التّأليف والتّصنيف[4] .

وقد خصّصت لهؤلاء العلماء المدرّسين رواتب كافية من الأوقاف التّي حبّست على تلك المدارس[5] ، حيث أشار صلاح الدّين في كتاب له بعث به إلى القاضي الفاضل إلى النّعيم والرّفاه التّي خصّ بها العلماء في أيّامه وفي ذلك يقول : " وما يجب أن يعلم المولى أن أرزاق أرباب العمائم في دولته إقطاعا وراتبا يتجاوز مائتي ألف دينار بشهادة الله ، وربّما كانت ثلاثمائة " [6].

ج - إنتشار حركات التصوّف :

لم تكن بلاد اليمن بمنأى عن التيّارات الفكريّة والمذهبيّة التّي شملت منطقة الشّرق الإسلامي زمن دولة بني أيّوب ، بما في ذلك المذهب الصّوفي الذّي إنتشر في بلاد العرب الجنوبيّة طوال ذلك العصر . ولا غرابة أن ينتعش التصوّف ببلاد اليمن زمن حكم بني أيّوب ، ذلك أنّ مبادئ هذا المذهب الدّيني لا تتعارض ونظريّة الحكم لدى دولة سنيّة تقوم على الفصل بين الدّين والسّياسة كدولة الأيّوبيين [7].

----

(1) الغزالي (أبو حامد) آداب المتعلّمين ورسائل آخرى في التّربية الإسلاميّة ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت1967 م . ص104 .

(2) المصدر نفسه، ص104.

(3) رشيد ، التّعليم في ظلّ الدّولتين الزّنكيّة والأيّوبيّة" ، مجلّة آداب الرّافدين ، ص 281.

(4) المرجع نفسه، ص279-280.

(5) الأكوع، المرجع نفسه، ص11 . شلبي ، المرجع نفسه ، ص 195ومابعدها.

(6) كرد علي (محمّد)، خطط الشّام ، مطبعة الشرقي، دمشق 1927م . ج 4ص 39. رشيد ، المرجع السّابق ، ص 285.

(7) العقيلي ، من تاريخ المخلاف السّليماني ، ج1 ص 185.

والملاحظ أنّ للتصوّف ببلاد اليمن جذور قديمة تعود إلى القرون الإسلاميّة الأولي حيث كان للصّوفيّة بهذا البلد شأن منذ العهد الأموي ، فقد جاء على لسان الرّازي أنّ عامل بني أميّة على صنعاء محمّد بن يوسف الثّقفي أراد أن يستميل إلي جانبه الزّاهد طاووس بن كيسان ، فبعث إليه بهديّة قدرها سبعمائة دينار وقال للرّسول : " إن أخذها منك فإنّي سأحسن إليك ، فخرج الرّسول حتّي قدم على طاووس وهو بالجند فقال : " يا أبا عبد الرّحمان نفقة بعثها إليك الأمير " . فقال : " مالي بها حاجة " . فداراه على أخذها فأبى حتّي غافل طاووس فرمى بها إلي كوّة في بيته وذهب إلي الأمير وقال له أنّ طاووس أخذها [1].

كما روي عن الزّاهد طاووس المذكور أنّه كان يعيد صلاته كلما صلّى خلف الأمير أيّوب أحد أمراء صنعاء من قبل الأمويّين ، فلمّا إرتحل إلى مكّة قيل له أنّ أحد الأمراء قدم إليها وأنّ من فضله وإحسانه كذا وكذا فهلاّ قدمت عليه ؟ فقال لهم : " مالي به من حاجة ". فقالوا : " ما تخافه " ؟ فقال :"ليس الأمر كما تظنّون " [2].

ورغم معاني الجفاء والسّخط التّي أبداها جموع الزهّاد والمتصوّفة باليمن تجاه رجال الدّولة الأمويّة إلاّ أنّ هذه الأخيرة لم تتعرّض لأحد منهم بأذى لأنّهم كانوا منصرفين إلى الزّهد والتعبّد. ومثل ذلك ما يروى عن أحدهم أنّه لمّا قدم الحجّاج بن يوسف الثّقفي إلى مكّة سمع ملبّيا يلبّي حول البيت رافعا صوته بالتّلبية فقال : عليّ بالرّجل . فأتي به ، فقال الحجّاج : ممّن الرّجل ؟ قال من المسلمين . فقال : ليس عن هذا سألتك . قال : عمّ سألت ؟ قال سألتك عن البلد . قال : من أهل اليمن فقال له كيف تركت محمّد بن يوسف ـ يعني أخاه ـ قال : " تركته عظيما ، جسيما ، لباسا ، ركابا ، خراجا ولاجا . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : عمّ سألت . قال سألتك عن سيرته . قال : تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق " . فقال الحجّاج : " ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانته مني " . فقال الرّجل : " أتراه بمكانته منك أعزّ منّي بمكاني من الله تبارك وتعالى وأنا وافد إلى بيته " فسكت الحجّاج ولم يحسن جوابا وإنصرف الرّجل من غير إذن [3].

ومن عبّاد اليمن وزهّادها خلال القرنين الأوّلين للهجرة الإخباري وهب بن منبّه ، الذّي كان من كبار التّابعين حيث أدرك جماعة من الصّحابة ورحل إلى مكّة فتلقّى هناك شهرة واسعة[4] لكثرة زهده وتعبّده ، حيث روي عنه أنّه صلّى الصّبح بوضوء العشاء عشرين سنة ومن أقواله : " الإيمان عريان ولباسه التّقوى وزينته الحياء " [5] .

----

(1) الرّازي ، **تاريخ صنعاء** ، ص320 . الحبشي (عبد الله) ، **الصّوفيّة والفقهاء في اليمن** ، صنعاء 1932هـ/ 1976م . ص 41.

(2) الرّازي ، **المصدر نفسه**، ص324 .

(3) العقيلي ، **التصّوف في تهامة** ، ص 19. الحبشي ، **المرجع نفسه** ، ص42 .

(4) الرّازي ، **المصدر نفسه**، ص320 . الحبشي ، **المرجع نفسه** ، ص11 .

(5) الرّازي ، **المصدر نفسه**، ص367 . الحبشي ، **المرجع نفسه** ، ص12 .

ويورد صاحب " تاريخ صنعاء " أسماء جماعة من زهّاد اليمن كانوا قد عاشوا خلال القرنين الثّاني والثّالث هجريين / الثّامن والتّاسع ميلاديين من أشهرهم محمّد بن بسطام الصّنعاني ، وكان زاهدا يعمل الخوص ويفطر على قرص شعير مخلوط بالرّماد فيأكل بعضه ويتصدّق بالباقي [1].

وبظهور الدّويلات الشّيعيّة المستقلّة بعد أن تراجع نفوذ الدّولة العبّاسيّة بجنوب بلاد العرب كاد التصوّف أن يختفي ببلاد اليمن[2] ، ذلك أنّ هذه الكيانات السّياسيّة النّاشئة لم تكن تولي التصوّف أيّ أهميّة تذكر . غير أنّ ذلك لم يمنع بعض أهل هذا الإقليم من أن يجعلوا من صبغة التصوّف ذريعة يتذرّعون بها للقيام ببعض الثّورات السّياسيّة ، وقد إكتشف أبو العلاء المعرّي هذه الظّاهرة في ثورات اليمن خلال القرن الرّابع هجري /العاشر ميلادي فقال : " كلّهم يزعم أنّه القائم المنتظر فلا يعدم جباية من مال يصل به إلى خسيس الآمال "[3] . ويضيف صاحب " رسالة الغفران" قوله في هذا المعنى : " مازال اليمن منذ كان معدنا للمتكسّبين بالتدّين والمحتالين على السحت بالتزيّن "[4] .

وبحلول القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي تطالعنا عدّة أسماء من أعلام التصوّف أكثرهم من الجهات التّهاميّة شأن الصّوفي الجليل أبو محمّد بن الكميت ، الذّي كانت الدّنيا تأتيه من غير قصد وهو مطرح لها ومتخلّ عنها ولا يأكل إلاّ مع أصحابه في المسجد [5].

فلمّا كان النّصف الأوّل من القرن السّادس هجري / الثّاني عشر ميلادي ظهر بقرية العنبرة من سواحل زبيد أحد القائمين بطريقة الصّوفيّة المسمّى علي بن مهدي الرّعيني الحميري ، معلنا الثّورة على دولة آل نجاح الحبشيّة . وقد وصفه عمارة اليمني بأنّه كان " قائما بالوعظ والتّفسير وطريقة الصّوفيّة أتمّ قيام وكان يتحدّث بشيء من أحوال المستقبلات ..." [6]. ورغم أنّ مؤرّخي الصّوفيّة لا يدرجون ابن مهدي في عداد فئة المتصوّفة بتعلّة أنّه لم يقم بأيّ عمل يؤكّد ميله إلى

----

(1) الرّازي ، **تاريخ صنعاء** ، ص304 .

(2) الحبشي ، **الصّوفيّة والفقهاء في اليمن** ، ص 43.

(3) المعرّي (أبو العلاء) ، **رسالة الغفران** ، ص303 . نقلا عن الحبشي ، **المرجع نفسه** ، ص43 .

(4) المعرّي ، **المصدر نفسه** ، ص 303. نقلا عن الحبشي ، **المرجع نفسه** ، ص43 .

(5) عمارة ، **تاريخ** ، ص 229. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن**، ص72 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1 ص 360. الوصابي ، **تاريخ وصاب** ، ص 105. ياقوت ، **معجم البلدان**، ج4 ص 181 .

Smith , art " Mahdides", *EI*^{2}, Vol V pp 1235-1236.

(5) الحبشي ، **المرجع نفسه**، ص 12.

(6) عمارة ، **المصدر نفسه**، ص 229.

أصحاب هذا المذهب [1]، فإنّه لا يستبعد أن يكون هذا الرّجل من جملة الثّوار الذّين إتّخذوا من التصوّف لبوسا يتستّرون به للقيام بثورات سياسيّة وتحقيق مطامح في هذا المنحى [2].

كما برزت خلال هذه المرحلة عديد الأسماء من أعلام التصوّف جمعت بين الفقه والتصوّف ومن هؤلاء زيد بن عبد الله اليافعي المتوفّي سنة 514هـ/ 1120م [3]وعبد الله بن يزيد القسيمي المتوفّي سنة 526 هـ/ 1131م [4]، وعمرو بن عبد الله السرّي المتوفّي سنة 550 هـ/ 1155م [5] ، والصّوفي الكبير أبو العبّاس أحمد بن أبي الخير الصّياد وكان في بداية أمره رجلا من جملة عوام مدينة زبيد فبينما هو نائم في بعض الأوقات إذ أتاه آت فقال : " قم يا صيّاد فصلّ " ومنذ ذلك الحين أخذ يترقّى في درجات التصوّف حتّى توفّي في غضون سنة579 هـ/1184م [6].

وبمجيء الأيّوبيين إنتعشت حركة التصّوف ببلاد اليمن ، لاسيما بالجهات التّهاميّة أين كانت الطّرق الصّوفيّة الوافدة من الخارج قد إنطبعت بطابع محلي متّخذة لها زعامات روحيّة من بين القبائل ، حتّى أصبحت لها شيء من النّفوذ والسّلطة الزّمنيّة على أهالي تلك النّواحي[7] .

وقد عملت الدّولة الأيّوبيّة في اليمن في بداية عهدها كغيرها من الدّول السنّيّة الأخرى على تشجيع التصوّف لمحاربة التشيّع الذّي لا يزال يمثّل أبرز التيّارات الفكريّة والدّينيّة بهذا البلد ، فكان أن إعتنى ملوك بني أيّوب بزعماء هذا المذهب بأن أعفوهم من دفع الضّرائب موقّرين لأتباعهم الأمن وعدم التعرّض لأنشطتهم [8]. كما كان الملك سليمان بن سعد الدّين شاهنشاه خامس ملوك بني أيّوب باليمن قد أظهر في بداية أمره الزّهد والتصوّف ولبس لباس الفقراء حتّى عرف بالصّوفي ، فلمّا كان موسم الحّج لسنة611 هـ/ 1214 م قدم إلى مكّة حاجّا مع جماعة في زيّ الصّوفيّة [9].

----

(1) الحبشي ، **الصّوفيّة والفقهاء في اليمن** ، ص 304 .

(2) **المرجع نفسه**، ص 43.

(3) الفاسي ، **العقد الثّمين** ، ج 4ص 480. الحبشي ، **المرجع نفسه**، ص 13.

(4) الحبشي ، **المرجع نفسه**، ص 13.

(5) **المرجع نفسه**، ص 13.

(6) اليافعي، **مرآة الجنان** ، ج 4ص358 .

(7) العقيلي ، **من تاريخ المخلاف السّليماني** ، ج 1ص185 .

(8) **المرجع نفسه**، ج 1ص 185.

(9) ابن واصل ، **مفرّج الكروب** ، ج3 ص138 . ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص158 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص78 . **قرّة العيون** ، ج1 ص411 . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص82 . الكبسي ، **اللّطائف السنّيّة** ، ورقة19 أ . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج1 ص30 . ابن أيبك الدّوادار ، **كنز الدّرر**، ج7 ص177 . أبو الفدا ، **تاريخ** ، ج3 ص 102. أبو شامة ، **ذيل الرّوضتين** ، ص86 . ابن الحسين، **غاية الأماني**، ج1 ص 40.

وفي هذا الجوّ السّياسي الملائم نبغ باليمن جماعة من الصّوفيّة الذّين كان لهم الأثر الجيّد في إظهار التصوّف والتّعريف به من بين سائر المذاهب الفكريّة والدّينيّة الأخرى . ويعدّ الشّيخ الصّوفي عيسى بن إقبال الهتّار المتوفّي سنة 606هـ/ 1209 م من أبرز أعلام الصّوفيّة الذين عرفتهم بلاد اليمن زمن حكم بني أيّوب ، وذلك لما كان عرف به من مقامات وكرامات كثيرة إلى جانب جهوده القيّمة في ميدان الإصلاح الإجتماعي [1].

أمّا الصّوفي إبراهيم بن علي الفضلي فقد إشتغل في أوّل أمره بطلب العلم ، ثمّ ما لبث أن تحوّل إلى التصوّف فكانت له كرامات وأقوال في التّهذيب وعلى يده نبغ الصّوفي الكبير الشّيخ أحمد الصيّاد المتوفّي سنة 613هـ/1216 م[2] . ومن آل الحكمي ذاع صيت الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر الحكمي المتوفّي سنة 617هـ / 1220م والملقّب بصاحب عواجه[3] ، وكان قد رافقه في تصوّفه الشّيخ محمّد بن حسين البجلي فعرفا معا بصاحبي عواجه [4].

وفي عدن كانت مشيخة الصّوفيّة بين يدي الشّيخ جوهر بن عبد الله المتوفّي سنة 626 هـ/ 1228م[5] ، وكان عبدا عتيقا إشتهر بكراماته وحبّه للفقراء [6]. أمّا الشيخ أبو الغيث بن جميل الملقّب بشمس الشمّوس فيروى أنّ أصله من الموالي وكان قد خرج مع رفقة له لقطع الطّريق فعهد إليه أن يراقب قافلة قادمة فسمع هاتفا يقول له : " يا صاحب العين عليك العين " فوقع هذا الكلام في نفسه وكفّ عن قطع الطّريق ، ثمّ إلتحق بالشّيخ علي بن أفلح فأخذ عنه التصّوف ، وظلّ على هذا المذهب إلى أن توفّي في غضون سنة651هـ/ 1252م [7].

وكان الشّيخ أبو الغيث بن جميل من متصوّفة اليمن الذّين تعاطوا فلسفة ابن عربي الصّوفيّة ، كما كانت كتاباته قد أخذت طابع المدرسة الفلسفيّة سواء كان متأثّرا فيها بإبن عربي المعاصر له أو بأسلافه من الإشراقيين أمثال الحلاّج والسّهروردي [8].

----

(1) الحبشي ، **الصّوفيّة والفقهاء في اليمن** ، ص 14 .

(2) **المرجع نفسه**، ص14 .

(3) **المرجع نفسه**، ص14 .

(4) **المرجع نفسه**، ص14.

(5) اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4 ص347 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص 73.

(6) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص71-73 .

(7) اليافعي، **المصدر نفسه**، ج4 ص136 . الخزرجي، **العقود اللؤلؤيّة**، ج 1ص 107.

(8) هو أبو عمر حفص عبد الله بن محمّد البكري الملقّب بشهاب الدّين السّهروردي المتوفّي سنة 632هـ/ 1236م ببغداد ، كان فقيها شافعيّا وشيخا صالحا ورعا كثير الإجتهاد في العبادة . ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج 3 ص 446-447. الحبشي ، **المرجع نفسه**، ص72 .

ومن الذّين يدخلون أيضا في زمرة مدرسة إبن عربي من متصوّفة اليمن خلال العهد الأيّوبي الشّيخ أحمد بن علوان المتوفّي سنة 655 هـ/ 1256 م ، وكان من كبار مشاهير الصّوفية في هذا البلد له مصنّفات كثيرة وديوان شعر[1] ، كما تنسب إليه تصانيف هي مزيج من الوعظ الصّوفي وبعض الأفكار الفلسفيّة وهو ما جعل "ماسّينيون " "Massignon" يعتبره من جملة أتباع الحلاّج [2].

وبفضل الشّيخين إبن أبي الغيث وإبن علوان المذكورين قامت مدرسة الفلسفة الصّوفية في اليمن ، إلاّ أنّ قرب هذين الرّجلين من عصر ابن عربي لم يجعلهما يستفيدا من تصانيفه بل كان ذلك من خلال المشرب الذّوقي الذّي تميّزت به تعاليم هذه المدرسة، والذّي كان قد سار عليه أسلافهم في دعواهم في الحبّ والقرب وغيرهما من إشارات الصّوفيّة [3]. وهكذا كان لإنتشار فلسفة الشّيخ الصّوفي ذي الأصل اليمني محي الدّين إبن عربي[4] ببلاد اليمن الأثر الكبير في إزدهار مذهب التصوّف بهذا الإقليم طوال العهد الأيّوبي [5].

ورغم أنّ الشّيخ ابن عربي كان قد زار بقاعا عديدة من المعمورة دون أن يعرّج على بلاد اليمن التّي كانت آنذاك تحت الحكم الأيّوبي ، فإنّ ذلك لم يمنع تعاليمه الصّوفيّة من أن تنتشر بهذا البلد عبر جموع العلماء والفقهاء اليمنيّين الذّين كان قد إلتقي بهم في رحلاته وتنقّلاته ، شأن المحدّث اليمني الشّهير محمّد بن إسماعيل بن أبي الصّيف المتوفّي سنة 609هـ/ 1212م ، وقد ذكر ابن عربي إجتماعه بالفقيه إبن أبي الصّيف في مؤلّفه " الفتوحات المكيّة " وهو اليمني الوحيد الذّي صرّح بإسمه في أثره [6].

كما شهد القرن السّابع هجري / الثّالث عشر ميلادي تبلور تعاليم المدرسة الإشراقيّة[7] عند صوفيّة اليمن ، الذّين من المرجّح أن يكونوا قد تأثّروا في

---

(1) اليافعي، **مرآة الجنان**، ج4 ص257 . الخزرجي، **العقود اللؤلؤيّة**، ج 1ص 160. العقيلي ، **التصوّف في تهامة**، ص 69. الحبشي ، **الصّوفيّة والفقهاء في اليمن** ، ص 15 ، 72.

(2) الحبشي ، **المرجع نفسه**، ص72 .

(3) **المرجع نفسه**، ص73 .

(4) هو محمّد بن علي بن محمّد بن أحمد بن عبد اللّه الطّائي الحاتمي الأندلسي المرسي . الفاسي ، **العقد الثّمين** ، ج2 ص 16. الزّركلي ، **الأعلام** ،ج3 ص 237.

(5) الحبشي ، **المرجع نفسه**، ص 69 .

(6) إبن عربي (محمّد) ، **الفتوحات المكيّة** ، طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى ، القاهرة (د. ت) ج1 ص 757.

(7) المدرسة الإشراقيّة : هي عبارة عن مذهب فلسفي يقول بقدم الحكمة ولدنيّتها المشرقيّة ، ويعتبر إفلاطون المؤسّس الأوّل لهذه المدرسة ورئيسها ، أمّا السّهروردي فيعود له الفضل في تجديد وإحياء هذه الفلسفة خلال النّصف الثّاني من القرن السّادس هجري/ الثّاني عشر ميلادي . كوربان (هنري) **تاريخ الفلسفة الإسلاميّة منذ الينابيع حتّى وفاة إبن رشد** ، ترجمة نصير مروّة وحسن قبيسي ومراجعة وتقديم الإمام موسى الصّدر والأمير عارف تامر ، عويدات للنّشر والطّباعة ، بيروت 1998م . ص 309-314.

ذلك بالمصادر الّتي أخذ عنها إبن عربي نفسه ، ذلك أنّ أفكار الحلاّج ومن سار على طريقته كانت هي الأخرى قد راجت ببلاد اليمن منذ عهد سابق [1] .

وقد كانت زبيد مصدر ذلك الرّواج الكبير لنشاط الصّوفيّة من أنصار إبن عربي وبعض تلامذته ، وأغلب الظنّ أنّ إنتشار تعاليم ابن عربي في منطقة تهامة عامّة وفي مدينة زبيد بصفة خاصّة لا يعود إلى أهميّة متصوّفيها بقدر ما يعود إلى رجال الصّوفيّة القاديمن إليها من أقاليم أخرى [2]. كما أنّ أغلب الّذين عرفتهم بلاد اليمن من المتصوّفة كانوا قد عاشوا في تهامة، حيث كانت هذه المنطقة محبّبة لهم لما كانوا وجدوه فيها من أمن وهدوء مؤثرين العزلة والعبادة في سواحلها بعيدا عن ضجيج الحياة والقلاقل ، وقد كان أحد المتصوّفة المسمّى الشّيخ أحمد الصيّاد يثني كثيرا على السّواحل ويرى أنّها مورد عباد اللّه الصّالحين[3] .

كما كانت حضر موت من الأقاليم الّتي نشط بها التصّوف طوال العهد الأيّوبي ، حتّى أن بعضهم يرجع أوّل بادرة للتصّوف في هذه المنطقة إلى الشّيخ محمّد بن علي الشّهير بالفقيه المقدّم والمتوفّي سنة 653هـ/ 1254 م [4]. وقد روي أنّ أهل حضرموت كانوا منصرفين إلى العلوم الفقهيّة وجمع الأحاديث النبويّة ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصّوفيّة ولا يكشف إصطلاحاتها، فأظهر الفقيه المقدّم تعاليمها ونشر أصولها فأخذ عنه الكثير وتخرّج على يديه جمع كبير من الصّوفيّة ، أمثال الشّيخ عبد اللّه بن محمد باعباد المتوفّي سنة 687هـ/ 1286م وعبد اللّه بن إبراهيم باقشير وسعيد بن عمر بالحاف وسعد بن عبد اللّه أكدر وغيرهم [5].

وقد شهد عصر الفقيه محمّد بن علي المقدّم نشاطا كبيرا في التصوّف بجهة حضرموت ، حتّى أنّ أحد صوفيّة المغرب الشّيخ أبو مدين المغربي لم يتوان في إرسال مندوب من قبله إلى حضر موت لينشر الطّريقة المغربيّة في تلك الأصقاع وهو دليل على أهمّيّة هذه المنطقة ومكانتها في نظر متصوّفة العالم الإسلامي خلال ذلك العهد[6] .

أمّا في الجهات الجبليّة العليا فقد كان التصوّف من النّدرة وذلك لأنّ أغلب المذاهب المنتشرة بهذه النّواحي لا ترحّب بالتصّوف على إعتبار أنّه دخيل على الإسلام [7]. وكان المذهب الزّيدي الغالب على البلاد العليا بما عرف به من نظرة عقلانيّة " تحرّريّة " قد أدان الصّوفيّة في كثير من شطحاتها المتنافية وكثير من تعاليم

----

(1) الحبشي ، الصّوفيّة والفقهاء في اليمن، ص70 .

(2) الحبشي ، المرجع نفسه، ص 76 .

(3) المرجع نفسه، ص21 .

(4) المرجع نفسه، ص21 .

(5) المرجع نفسه، ص23-24 .

(6) المرجع نفسه، ص21 .

(7) المرجع نفسه، ص21 .

الدّين الحنيف ، وهو في ذلك يتّفق مع المذهب الحنبلي الذّي لا يرحّب هو الآخر بالتصوّف لمثل هذه الإعتبارات [1] .

غير أنّ ما تجدر الإشارة إليه هو أنّ العلاقة بين الدّولة الأيّوبيّة ورجال الصّوفيّة باليمن سرعان ما ساءت وشابها كثير من التوتّر عندما أصبح المتصوّفة كغيرهم من أهالي البلاد يعبّرون عن سخطهم إزاء أخطاء السّياسة الأيّوبيّة ، التّي أصبحت موضع شكّ وريبة عند هؤلاء [2] . فقد ذكر أبو مخرمة أنّه لمّا عزم الملك سيف الإسلام طغتكين على جعل أرض اليمن كلّها ملكا للدّيوان " إجتمع جماعة من الصّالحين وإتفق رأيهم على أنّهم يدخلون مسجدا ولا يخرجون منه حتّى تنقضي الحاجة فدخلوا مسجدا وأقاموا فيه ثلاثة أيّام يصومون النّهار ويقومون اللّيل ، فلمّا كان في اليوم الثّالث أو الرّابع خرج أحدهم - ويقال أنّه الشّيخ دحمل - وقت السّحر ونادى بصوت عال يا سلطان السّماء أكف المسلمين سلطان الأرض " [3] .

وبحلول سنة 620 هـ / 1223 م أعلن مرغم بن سيف الحميري الصّوفي الثّورة على الأيّوبيين بجهة الحقل من بلاد زبيد [4] ، وكان مرغم المذكور قد أظهر كثيرا من الصّلاح والزّهد والورع لكسب مزيد من الأنصار وزعم أنّه يدعو إلى إمام حقّ وأنّه منصورحمير، الذّي سيخرج كنوزهم ويناصر المهدي الذّي سيخرج في آخر الزّمان [5] .

ثمّ إنّ مرغم الصّوفي ما فتئ أمره يتعاظم ويستفحل حتّى أصبحت حركته مصدر قلق للأيّوبيين، الذّين عملوا من جهتهم بكلّ جدّيّة على محاصرتها والقضاء عليها خشية أن تتحوّل إلى خطر داهم يهدّد حضورهم بهذا الإقليم [6] .

كما كان من نتيجة ثورة مرغم الصّوفي أن أظهر رجال الدّولة الأيّوبيّة في اليمن كثيرا من القلق والرّيبة إزاء المتصوّفة وناصبوهم العداء، فقد جاء في رواية للجندي أنّ الملك المسعود كان قد كره الصّوفيّة بعد عودته إلى اليمن وعاقب من لبس المرقّعات وتشبّه بهذه الفرقة حتّى قيل أنّه خرج يوما من الجند يريد الصّيد فرأى الشّيخ فرج النّوبي وعليه لباس الصّوفيّة فغضب وقال : " هذا يخالف أمري " ، ثمّ أشار إلى صاحب الفيل أن يطلقه عليه [7].

----

(1) الحبشي ، **الصّوفيّة والفقهاء في اليمن**، ص23 .

(2) الحبشي ، **المرجع نفسه**، ص 45 .

(3) أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص136 .

(4) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص 417. ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص178 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1ص 411. ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص 85.

(5) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 417. ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص178 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص 411. ابن عبد المجيد ، **المصدر نفسه** ، ص 86.

(6) ابن حاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 178. الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1ص34 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ج 1ص 417. ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 411.

(7) الحبشي ، **المرجع السابق**، ص44 .

د - ظهور مذهب الأشعري :

عندما خرج الأيّوبيون من مصر في إتّجاه بلاد اليمن وذلك في غضون سنة 569هـ/ 1173م أخذوا معهم مذهب الأشعري[1] ، فكان أن مال إليه أكثر شافعيّة اليمن في حين تمسّك البعض الآخر منهم بمذهب الحنابلة [2] .

والمذهب الأشعري نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري مؤسّس مدرسة الفقه السنّي [3]، ويقال لأتباعه الأشعريّة أو الأشاعرة [4]. وتعود جذور هذا المذهب إلى أوائل القرن الرّابع هجري / العاشر ميلادي وذلك عندما إنتهت رئاسة أهل السنّة والجماعة في علم الكلام إلى رجلين أحدهما حنفيّ وهو أبو منصور محمد بن محمّد بن محمود الماتريدي المتوفّي بسمرقند في غضون سنة323 هـ/ 934 م ، والآخر شافعي وهو أبو الحسن الأشعري المتوفّي في بغداد خلال سنة 324هـ/935 م[5] .

وكان أبو الحسن الأشعري في أوّل أمره معتزليّا من الذّين تخرّجوا على يد الإمام أبي هاشم الجبائيّ شيخ المعتزلة البصريّين [6]، كما كان بإمكانه أن يخلف الإمام الجبائي لو لم يترك الإعتزال ويتّجه إلى أهل السّنة وذلك نحو سنة 300هـ/ 913م بعد أن ظلّ على مذهب الإعتزال ما يناهز الأربعين سنة[7] .

ثمّ إنّ الأشعري إتّخذ لنفسه موقفا وسطا بين موقف المعتزلة العقلي المتطرّف وموقف أهل السّلف من المحدّثين المتطرّفين [8]، كما رأى الأخذ بقول أصحاب الحديث وأهل السنّة [9]،

---

(1) فؤاد سيّد ، **تاريخ المذاهب الدّينيّة في بلاد اليمن** ، ص 73.

Montgomery Watt (W) , art " Ash'arriya" , *EI*[2], Vol I, p 823.

(2) فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص 73.

(3) محمّد موسى (جلال) ، **نشأة الأشعريّة وتطوّرها** ، دار الكتاب اللّبناني ، بيروت1975 م . ص165 وما بعدها . فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص 73.

Montgomery Watt (W) , art " Ash'arriya" , *loc.cit*, Vol I, p 823.

(4) محمّد موسى، **المرجع نفسه**، ص 165. فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص 73.

(5) طا شكبرى زادة (عصام الدّين) ، **مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة** ، حيدر آباد الدّكن ، الهند 1356هـ . ج 2 ص 21-22.

(6) البلخي (أبو القاسم عبد الله) ، **فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة** ، تحقيق فؤاد سيّد ، تونس 1974م ص304-308 .

Gardet (I) , art " Al-Djubba'i", *EI*[2], vol II, pp 584-585.

(7) الأشعري ، **مقالات الإسلاميين** ، ص 297.

(8) فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص 74.

Montgomery Watt (W) , art " Ash'ari" , *loc.cit* , Vol I, p716.

(9) الأشعري ، **المصدر نفسه** ، ص 297. فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص 74.

مصرّحا في مقدّمة كتابه " الإبانة عن أصول السنّة والدّيانة " بتوجّهه السنّي وقوله بقول الإمام أحمد بن حنبل وأنّه مخالف لمن يخالفه [1].

وقد لاقى مذهب الأشعري طوال القرنين الخامس والسّادس هجريين / الحادي عشر والثّاني عشر ميلاديين إنتشارا كبيرا وحلّ محلّ آراء المعتزلة التّي أخذت في التّراجع [2]، كما تمكّن في الأثناء من أن يجد له مكانة في المدارس المشهورة طوال ذلك العهد بفضل دعم السّلاجقة الذّين أرادوا التصدّي لمذهب الشّيعة الفاطميّين بكلّ من مصر وبلاد الشّام[3] . وقد قام بالدّعوة لهذا المذهب جماعة من العلماء المشهورين، شأن أبي إسحاق الشّيرازي وأبي بكر الباقلاّني وإمام الحرمين المسمّى الجويني وحجّة الإسلام أبي حامد الغزالي وغيرهم [4].

وما أن دخل مذهب الأشعري إلى بلاد اليمن حتّى إختلف الشّافعيّة فيما بينهم ، فمنهم من قال قول الإمام أحمد بن حنبل في العقائد كقول إنّ المتشابهات تمرّ من غير تأويل مع إعتقاد بأنّ الله ليس كمثله شيء [5] وقد إحتجّ هؤلاء بقراءة قوله تعالى : " وما يعلم تأويله إلاّ الله" [6]وفي نظرهم أنّ القراءة هي المقروء [7]، ومنهم من إتّبع مذهب الأشعري وقال بقوله [8].

ولعلّ ما يؤكّد هذا الإختلاف الواقع داخل صفّ الشّافعيّة هو تلك المناظرة، التّي قامت بين قاضي الزّيديّة جعفر بن أحمد بن عبد السّلام المعتزلي [9]وأحد تلاميذ الفقيه يحي العمراني صاحب كتاب" البيان " المسمّى علي بن عبد الله بن يحي بن عيسى اليرمي ، وكان هذا الأخير هو وشيخه من الشّافعيّة في الفروع [10] وفي

----

(1) الأشعري ،**الإبانة عن أصول السنّة والدّيانة**، القاهرة 1348هـ ص 8-9.

(2) محمّد موسى ، **نشأة الأشعريّة وتطوّرها** ، ص 169. فؤاد سيّد ، المذاهب الدّينيّة في اليمن ، ص74.

(3) فؤاد سيّد ، المرجع نفسه ، ص 75.

(4) **المرجع نفسه** ، ص 75.

(5) **المرجع نفسه** ، ص 75.

(6) الآية السّابعة من سورة آل عمران.

(7) إبن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص177 .

(8) فؤاد سيّد ،**المرجع نفسه** ، ص 75.

(9) **المرجع نفسه** ، ص 75.

(10) الفروع : هي موضوع علم الفقه وهو علم يبحث في الأحكام الشرعيّة الفرعيّة العمليّة من حيث إستنباطها من الأدلّة التّفصيليّة (القرآن والسنّة) وهو يعنى أساسا بالعبادات والمعاملات . الشّهرستاني ،**الملل والنّحل** ، ص28. طا شكبرى زادة ، **مفتاح السّعادة** ، ج 2 ص 53 ، 62. حاجّي خليفة، **كشف الظّنون** ، ص 110 ، 1280.

الأصول [1] على مذهب الحنابلة [2]. ويذكر ابن سمرة أنّ هذه المناظرة تمّت بحصن شواحط بمدينة إبّ باليمن الأسفل في غضون سنة 554هـ/ 1159م [3]، وقد أفحش خلالها اليرمي في القول على القاضي جعفر وتسفّه عليه [4]. فلمّا عاد القاضي جعفر أملى رسالة سمّاها " الدّامغ للباطل من مذاهب الحنابل " [5]وتعرف أيضا " بالدّامغة للحنابلة " وأجاب عليه يحي العمراني بكتاب إشتمل على الرّدّ على الأشعريّة والمعتزلة سمّاه " الإنتصار في الرّدّ على القدريّة الأشرار " [6]، فكان أن فرح الفقهاء الشّافعيّة بكتاب " الإنتصار" وإنتسخوه [7].

ورغم ما كان لاقاه من معارضة شديدة فقد إستطاع مذهب الأشعري أن ينتشر في بعض أرجاء اليمن ويلقي قبولا لدى النّاس رغم تكفير الحنابلة لأصحابه[8]. وقد صنّف بعض فقهاء اليمن خلال القرن السّابع هجري / الثّالث عشر ميلادي على مذهب الأشعري مثل الفقيه أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عيسى الحرازي، وهو فقيه عارف بالأصول والفروع و علم الكلام وكان قد أخذ عنه جماعة من أهل زبيد وتعزّ وتوفّي في سنة 689هـ/ 1289م [9].

ثمّ تعدّدت المناظرات بين الأشاعرة والمعتزلة ببلاد اليمن فكان المعتزلة يلزمون الأشاعرة بالجبر ولا يلتزمونه [10]، حتّي أنّ الفقيه الحنبلي يحي العمراني قد إختلف مع إبنه طاهر المعروف بأبي الطيّب لأنّه كان أشعريّا كما كان طاهر يكفّر والده يحي لأنّه حنبلي ثمّ تاب طاهر عن مذهب الأشاعرة وعاد إليه بعد وفاة أبيه[11].

---

(1) الأصول : هي علم إستنباط الأحكام الشّرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها اليقينيّة، وهو موضوع علم الكلام ويعرف أيضا بمعرفة الباري والتّوحيد. الشّهرستاني، **الملل و النّحل**، ص28. طاشكبرى زادة، **مصباح السّعادة**، ج2 ص 53 ، 62.

(2) ابن سمرة، **طبقات فقهاء اليمن**، ص 180. فؤاد سيّد، **المذاهب الدّينيّة في اليمن**، ص75-76.

(3) ابن سمرة، **المصدر نفسه**، ص180.

(4) فؤاد سيّد، **المرجع نفسه**، ص76.

(5) توجد منه نسخة في مكتبة برلين تحت رقم : Berlin 10283, Glaz.58.

(6) منه نسختان في دار الكتب المصريّة، الأولى برقم 818علم كلام والثّانية برقم 835 علم كلام، ونسخة ثالثة في مكتبة بانكبور بالهند. فؤاد سيّد، **المرجع نفسه**، ص 76.

(7) فؤاد سيّد، **المرجع نفسه**، ص 76. عبد الله عارف (أحمد)، **مقدّمة في دراسة الإتّجاهات الفكريّة والسّياسيّة في اليمن فيما بين القرن الثّالث والخامس هجري**، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنشر والتّوزيع، بيروت 1991 م. ص52-57.

(8) فؤاد سيّد، **المرجع نفسه**، ص76.

(9) أبو مخرمة، **ثغر عدن**، ج 2 ص 46-47.

(10) فؤاد سيّد، **المرجع نفسه**، ص76.

(11) فؤاد سيّد، **المرجع نفسه**، ص 74. عبد الله عارف، **المرجع نفسه**، ص 68.

وكانت مراجع أهل السنّة في فتواهم ومناظراتهم في ذلك الوقت تتمثّل أساسا في كتب أبي إسحاق الشيرازي أحد أتباع مذهب الأشعري وكتاب " البيان " للفقيه العمراني ، إلى جانب مصنّفات حجّة الإسلام أبي حامد الغزالي التّي تعدّ أوّل كتب أشعريّة كانت قد دخلت بلاد اليمن [1].

ويعدّ أبو حامد الغزالي أحد الأعمدة التّي قام عليها مذهب الأشاعرة ، كما كان بفضل جهوده أن أصبحت تعاليم الأشعريّة تلاقي قبولا لدى أهل السنّة [2]. وقد صنّف الغزالي عدّة مؤلّفات في فقه الشّافعيّة ، كما تردّد في بعض المؤلّفات اليمنيّة القول بأنّ الإمام الغزالي كان قد صرّح بالتشيّع في كتابه " سرّ العالمين " ، الذّي كشف فيه أيضا عن ميله لكلام المعتزلة في الأفعال [3].

كما يعتبر الغزالي الشّخص الوحيد الذّي خصّه الفقيه اليمني يحي العمراني بالنقّد في كتابه " الإنتصار " وخاصّة نقده لما جاء في كتابه " الإقتصاد في الإعتقاد " في حديثه عن الكلام النّفسي ، معلّقا في هذا الصّدد أنّ الغزالي ألزم الأشعريّة وأصحاب الحديث إلزامات صحيحة وأجاب عنها إجابات فاسدة [4].

وبخصوص تطوّر المذاهب الدّينيّة ببلاد اليمن حتّى مقدم الأيّوبيين يلاحظ أنّ أهل السنّة كانوا حتّى ظهور مذهب الشّافعيّة يتفقّهون بفقهاء مكّة والمدينة، وكانت لديهم مصنّفات مشهورة يقرؤونها ويتدارسونها فيما بينهم [5]. ثمّ لمّا ظهر مذهب الشّافعي لقي رواجا بينهم وإنتشر مع المائة الرّابعة وظلّ هو الإتّجاه السّائد في جهات اليمن الأسفل ، أمّا اليمن الأعلى ومركزه مدينة صعدة فقد غلب عليه المذهب الزّيدي الهادوي ، علما وأنّ الزّيديّة كانوا يأخذون في الفروع بمذهب أبي حنيفة [6].

وهكذا كان إرتباط اليمن الأسفل بعلماء وفقهاء الحجازمتينا بينما إرتبط اليمن الأعلى بمدارس العراق الفقهيّة، ولعلّ ذلك ما أدّى بالقاضي جعفر بن عبد السّلام إلى الإرتحال إلى العراق في أواسط القرن السّادس هجري / الثّاني عشر ميلادي لمعرفة المذاهب السّائدة به حتّى تتسنّى له مناظرة الفرقة المطرفيّة الزّيديّة [7].

----

(1) الجندي ، **السّلوك** ، لوحة 95. نقلا عن فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص 77. عبد اللّه عارف ، **المرجع السّابق** ، ص 68.

(2) جار اللّه (زهدي) ، **المعتزلة** ، القاهرة 1974م . ص 255. عبد اللّه عارف ،**المرجع نفسه** ، ص 68.

(3) فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص 77.

(4) عبد اللّه عارف ، **المرجع نفسه** ، ص 68.

(5) فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص 77.

(6) عبد اللّه عارف ، **المرجع نفسه** ، ص 6-10.

(7) فؤاد سيّد ، **المرجع نفسه** ، ص 74.

كما يلاحظ أيضا في هذا المضمار أنّه كان قد ساد في بلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي نقيضان من المذاهب في وقت واحد ، ففي اليمن الأسفل مال الشّافعيّة في الأصول إلى مذهب الأشعري ، بينما أخذ بعضهم بمذهب الحنابلة [1]. أمّا في اليمن الأعلى فقد إنتشر مذهب المعتزلة ولقي قبولا في أوساط الزّيديّة، فكانوا زيديّة حنفيّة في الفروع ومعتزلة في العقيدة [2].

ثمّ إنّ الأشاعرة أرادوا أن يعودوا إلى الخطوة الأولى، التي خطاها المعتزلة عندما إستخدموا العقل في الدّفاع عمّا جاء به النّقل وإعتقدوا في مرحلة ثانية بأسبقيّة العقل وأفضليّته علي النّقل [3]. وقد أعاد الأشاعرة تنظيم علم الكلام علي قاعدة أنّ النّقل هو الأساس وأنّ العقل خادم للنّقل ووسيلة لإثباته والبرهان على صحّته[4]. وهكذا لم يجد أصحاب مذهب الأشعري سبيلا إلى التخلّص من أثر المعتزلة ومن أن يصدروا في هذا المنحى أحكاما توافق أهل السنّة ولا تبعد كثيرا عن أقوال المعتزلة [5].

3 - المظاهر العمرانيّة :

شهدت الظّاهرة العمرانيّة ببلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي كثيرا من الحيويّة والإزدهار بفضل سياسة الإنشاء والتّعمير ، التّي سلكها رجال الدّولة الأيّوبيّة بهذا البلد . فكان أن تعدّدت وتنوعّت المنشآت المعماريّة تبعا لأغراضها الدّينيّة والمدنيّة والعسكريّة ، مساهمة من خلال ذلك في إثراء المخزون الحضاري اليمني .

أ - المنشآت الدّينية :

تعدّ الجوامع والمساجد ببلاد اليمن من أبرز العمائر الدّينيّة التّي لقيت حظّها من العناية والإهتمام من قبل رجال الدّولة الأيّوبيّة ، الذّين كانت جهودهم قد تراوحت بين صيانة العتيق وإنشاء الجديد منها ، شأن الجامع الكبير والجبّانة أو مصلّى العيدين بصنعاء وجامع الجند والجامع الكبير ومسجد المناخ بزبيد والجامع الكبير بذمار وجامع ظفار وجامع المغربة بتعزّ وجامع نحتفر بأبين ، وغير ذلك من الجوامع والمساجد التّي أنشأت أو جدّدت خلال ذلك العهد .

----

(1) فؤاد سيّد ، تاريخ المذاهب الدّينيّة في بلاد اليمن ، ص79.

(2) جار الله (زهدي) ، المعتزلة ، ص 256.

(3) المرجع نفسه ، ص 256.

(4) المرجع نفسه، ص 256.

(5) المرجع نفسه ، ص 258.

* تجديد عمارة الجامع الكبير بصنعاء وتجهيزه :

يعتبر هذا الجامع من أقدم الجوامع التّي بنيت في اليمن عامّة وبصنعاء بصفة خاصّة ، وهو يقع في مدينة صنعاء القديمة في المنطقة المعروفة بسوق الملح [1]. وجامع صنعاء من المساجد العتيقة التّي بنيت خلال العهد النّبوي ، إذ تجمع المصادر على تأسيسه في حياة النبيّ (ص) عندما بعث بالصّحابي وبر بن يحنس الأنصاري واليا على صنعاء سنة 6هـ/ 627م وأمره ببناء هذا المسجد [2] . وتشير رواية أخرى إلى أنّ مؤسّسه هو الصّحابي فروة بن مسيك المرادي [3]، أمّا الرّواية الثّالثة فتنسبه إلى إبّان بن سعيد بن العاص[4] وقيل غير ذلك[5] .

وكان من الطّبيعي أن تكون عمارة هذا الجامع في بدايتها بسيطة حيث كانت لا تتعدّى مساحته المربّعة الشّكل 12م وهي مقسّمة إلى ثلاثة ظلاّت بواسطة إثني عشرة عمودا منها المنقورة والمسمورة [6]. وكان يوجد بالرّواق الشّمالي المحراب الأصلي الذي لم يبق منه غير طاقيّته ، كما يبدو أنّه لم يكن لهذا الجامع سوى باب واحد يقع في النّاحية الجنوبيّة منه [7] .

وقد تعرّض جامع صنعاء منذ بنائه إلى مراحل مستمرّة من التّجديد والتّعمير خلال العصور الإسلاميّة المتلاحقة ، من ذلك العمارة الكبيرة التّي حظي بها في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك زمن ولاية أيّوب بن يحي الثّقفي، وقد شملت هذه العمارة الهامّة توسيع الجامع في الإتّجاه الشّمالي من ناحية قبلته الأولى إلى موضع قبلته اليوم [8] .

----

(1) الرّازي ، **تاريخ مدينة صنعاء** ، ص73,75,81,140-141 . أحمد حسن (سامي) ، " ملامح أثريّة من الجامع الكبير بصنعاء، " **مجلّة كليّة الآداب بصنعاء** ، العدد الثّاني ، ذو القعدة 1399هـ/ أكتوبر 1979م . ص 359. رجب محمّد (غازي) ، " الجامع الكبير في صنعاء : دراسة تاريخيّة أثريّة " ، **مجلّة كليّة الآداب بجامعة بغداد** ، عدد28 سنة 1980 م ص277 .

(2) الرّازي ، **المصدر نفسه** ، ص75 . أحمد حسن ، **المرجع نفسه** . ص 359. رجب محمّد، **المرجع نفسه**، ص277 . عبد اللّه شيحة ، **مدخل إلى العمارة والفنون الإسلاميّة في الجمهوريّة اليمنيّة** ، ص 23-30.

(3) الرّازي ، **المصدر نفسه** ، ص77 .

(4) الرّازي ، **المصدر نفسه** ، ص76 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج 1ص 65.

(5) الرّازي ، **المصدر نفسه** ، ص76 . الثّور، **هذه هي اليمن** ، ص 255.

(6) المنقورة والمسمورة من الأعمدة القديمة الباقية في الجامع ضمن أعمدة الرّواق الجنوبي، والمنقورة هي العمود السّادس من ناحية الجدار الشّرقي حيث المساحة الأولى للجامع ، أمّا المسمورة فهي العمود التّاسع من ناحية الجدار الشّرقي . عبد اللّه شيحة ، **المرجع السّابق** ، ص30 .

(7) أحمد حسن ، **المرجع نفسه** ، ص359 . عبد اللّهّ شيحة ، **المرجع نفسه**، ص 29-30.

(8) الرّازي ، **المصدر نفسه** ، ص85 . عبد اللّهّ شيحة ، **المرجع نفسه**، ص 30.

Serjeant and Lewock, " The Architectural History and Description of San'a' Mosques , *in SAN'A' an Arabian Islamic City* , p 322 .

وفي أوائل العصر العبّاسي بعث أبو العبّاس السفّاح بعمّه دواد بن علي واليا على اليمن والحجاز فإستعمل داود على أعمال اليمن عمر بن عبد الحميد بن عبد الرّحمان بن زيد بن الخطّاب العدوي ، فكان أوّل من وصل اليمن نائبا لبني العبّاس وأوّل من أحدث الأبواب لجامع صنعاء [1]. وكانت أحجار هذه الأبواب قد نقلت من بعض المنشآت القديمة المجاورة للجامع منها المدخل الذّي يقع على يمين المحراب والذّي كان قد نقل من أبواب قصر غمدان وبه صفائح من الفولاذ متقنة الصّنع من ضمنها لوحان مكتوبان بخطّ المسند [2]. كما تبعت هذه العمارة إضافة أخرى أجريت في غضون سنة 136هـ/ 754م ، وذلك ما يؤكّده النّص المكتوب بالخطّ الكوفي على لوح حجري مثبت على جدار مكتبة الجامع من جهة المئذنة الشّرقيّة ، وقد قام بهذه العمارة الأمير علي بن الرّبيع بأمر من الخليفة العبّاسي المهدي [3].

فلمّا كانت سنة 265هـ/ 878م قام الأمير محمّد بن يعفر الحميري بإحداث عمارة كبيرة بهذا الجامع بأن جعل له سقوفا في شكل مصندقات[4] من خشب السّاج في غاية الدقّة والإبداع ، وهي تشبه إلى حدّ كبير تلك المصندقات الخشبيّة التّي لا تزال باقية إلى اليوم في جامع مدينة شبام المنسوب إلى أسرة آل يعفر [5].

ورغم أنّ بعض المؤرّخين اليمنيّين ينسبون عمارة الرّواق الشّرقي من جامع صنعاء إلى الملكة الحرّة السّيدة بنت أحمد الصّليحي التّي قامت في غضون سنة 525هـ/1130-1131م بتجديد عمارة هذا الجامع [6]، فإنّ الأرجح أنّ عمارة هذا الرّواق ومعظم السّقوف الخشبيّة الموجودة بالجامع تعود إلى القرن الرّابع هجري/ العاشر ميلادي ، وذلك نظرا للتّشابه الكبير بينها وبين مثيلاتها في جامع

----

(1) الرّازي ، **تاريخ مدينة صنعاء** ، ص86-87 . ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص 18. ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص128 . الحجري (محمّد) ، **مساجد صنعاء** ، بيروت 1398هـ ص28 . العقيلي ، **المخلاف السّليماني** ، ج 1ص68 .

(2) الحجري، **المرجع نفسه** ، ص25 .

(3) ابن الدّيبع ، **قرّة العيون**، ج 1 ص121-122 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ، ج 1ص129 . رجب محمّد ، " الجامع الكبير في صنعاء دراسة أثريّة تاريخيّة " ، **مجلّة كليّة الآداب ببغداد** ، ص 278. عبد الله شيحة ، **مدخل إلى العمارة والفنون الإسلاميّة** ، ص 31.

(4) المصندقات : هي شكل من أشكال الزّخرفة الخشبيّة التّي تحدث في السّقوف وهي تتكوّن من عوارض خشبيّة سميكة متقاطعة ومؤلّفة من مساحات صغيرة مربّعة الشّكل ،و تكون عادة غنيّة بالزّخارف النّباتيّة والهندسيّة . عبد الله شيحة ، **مدخل إلى العمارة** ، ص143 .

(5) الرّازي ، **المصدر نفسه** ، ص86 . ابن الحسين ، **المصدر نفسه**،ج1 ص163 . عبد الله شيحة ، **المرجع نفسه** ، ص 31.

(6) ابن الحسين ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص163 . الأكوع (إسماعيل) ، " تقرير الجمهوريّة العربيّة اليمنيّة الإسلاميّة في اليمن" ، **الآثار الإسلاميّة في الوطن العربي ، المؤتمر التّاسع للآثار في البلاد العربيّة** ، صنعاء 1980م ، طبع بتونس سنة 1985م . هامش رقم 1ص 390. الحجري ، مساجد صنعاء، ص 27.

شبام كوكبان التي تعود بدورها إلى الفترة المشار إليها . كما أنّ الكتابات الأثريّة الباقية على جدران الجامع يمكن نسبة الكثير منها إلى الفترة السّابقة للعهد الصّليحي [1].

ثمّ لمّا كان العهد الأيّوبي أمر الأمير علم الدّين وردشار الكردي بعمارة مئذنتي الجامع الواقعتين في الجهة الجنوبيّة منه ، حيث تقع الأولى في النّاحية الشرقيّة والثّانية في النّاحية الغربيّة [2]. ويبدو أنّ هاتين المنارتين كانتا موجودتين زمن اليعفريين لأنّ إسم إبراهيم بن يعفر وسنة 265 هـ محفوران في الإزار الخشبي داخل المجنبة الغربيّة بأعلى الواجهة الشّماليّة لقاعدة المئذنة الغربيّة[3] ، كما أنّ العرشاني عندما يتحدّث عن عمارة هاتين المنارتين زمن الأيّوبيين يشير إلى قدم عمارتهما رغم أنّه لا يورد تاريخ الإنشاء[4] .

- تجديد عمارة المئذنة الشرقية :

نقل لنا العرشاني الذّي كان قد عاصر عمليّة تجديد عمارة المئذنة الشرقيّة لجامع صنعاء زمن ولاية الأمير علم الدّين وردشار ملابسات وأطوار هذه العمليّة فقال : " ثمّ إنّ الأمير - أمدّه الله تعالى بالتّوفيق -أمر بعمارة هذه المنارة ، فجهّز لها البنّائين والجعلاء وحمّالة تحمل الجصّ من المحاجر ، مع أموال بذلها وسلمها ، أشتري بها جصّ محمول إلى المسجد ، وحضر الأمير - أعزّه الله تعالى - عمارتها ، أكثر زمان عمارتها لا يغيب عنها إلاّ إذا توجّه إلى غزوة يغزوها ، حتّى إذا وصلت العمارة إلى موضع الدرابزين[5] فأمر بعمل الدرابزين فيها ، فعمل من ألواح جيّدة حسنة مزوّقة ، وسمّرت بالمسامير الحديد البليغة الغليظة . وجعل الدرابزين بنفسه من السّاج ، وسمّر بالمسامير ، وأحكمت صنعته ولم يعلم قطّ منذ الإسلام أنّه كان في صنعاء منارة لها درابزين ، ولا في مخلاف جعفر ولا في جميع الجبال من بلاد اليمن ، حتى أحدث في صنعاء منارة بأمر هذا الأمير - أعلى الله ذكره -.

ولم يكن أحد من صنّاع صنعاء عمل قبلها منارة بدرابزين ولا شاهدها ، وهم الذّين عملوه برأي الأمير وترتيبه لهم ، لأنّه قد شاهد - لا شكّ - في الشّام جنسها ، وهو حسن الرّأي ، متّسع العقل ، كامل في جميع الأمور" [6] .

---

(1) عبد الله شيحة ، مدخل إلى العمارة ، ص 32. الأكوع ، الآثار الإسلاميّة في الوطن العربي ، المؤتمر التّاسع للآثار في البلاد العربيّة ، ص 390.

(2) العرشاني (سرّي) ، كتاب الإختصاص المعروف بذيل تاريخ صنعاء ، تحقيق حسين بن عبد اللة العمري ، صنعاء 1981م . ص 519.

(3) رجب محمّد ، " الجامع الكبير في صنعاء : دراسة تاريخيّة أثريّة " ، مجلّة كليّة الأداب ببغداد ، ص 282. Serjeant and Lewock, " The Architectural History and Description of San'a' Mosques" ,in *SAN'A' an Arabian Islamic City* , p 324 .

(4) العرشاني ، المصدر نفسه، ص 519-523.

(5) الدرابزين : هي الشرّفة أو الحوض . عبد الله شيحة ، المرجع نفسه ، ص 35.

(6) العرشاني ، المصدر نفسه، ص 520-521.

ويصف العرشاني عمليّة البناء فيقول : " ثمّ بنيت المنارة من الدرابزين إلى موضع القبّة مثمّنة ، وعمل تحت القبّة موضع بالسكارج الخضر، ثمّ عملت القبّة صنعة محكمة ، وعمل في رأسها ثلاث جوزات من نحاس ، ورأسها هلال من نحاس وألصق إلى القبّة وجصّص أسفله وأحكم . فلقد أخبرني من عاين منارات الشّام أنّه لم يعمل فيه مثلها إلاّ ربّما في دمشق أو منارة الإسكندريّة فأخبرني أنّه قيل : إنّ هذه أحسن من منارة دمشق ، والله أعلم"[2] .

ثمّ يتابع صاحب " الإختصار " وصفه للمرحلة النّهائيّة من عمليّة تجديد المنارة الشّرقيّة لجامع صنعاء بقوله : " وكتب في أحجار إسم هذا الأمير الكبير - أجزل الله ثوابه وجعل الجنّة مآبه - وأنّه هو الذّي أمر بعملها ، وتاريخ إنتهاء عملها ، ونزّل الحجر في شرقي المنارة [3] ومن جملة البناء . وكان الفراغ من عمارتها يوم الثّلاثاء السّابع من صفر سنة ثلاث وستّمائة ، وعمل جمهورها وأكثرها بأمر هذا الموفق ، أدام الله توفيقه ، ولم يكن عمل بأمر غيره إلاّ الشّيء اليسير من أسفلها ، فكان هو المحصور بثوابها ، والمبادر إلى إكتساب الحسنات فقبلها الله تعالى منه وضاعفها " [4] .

وقد إستغرقت عمارة هذه المئذنة سنة كاملة حيث إنطلقت أشغال التّجديد في منتصف شهر ذي الحجّة من سنة 602هـ/ 1206م لتنتهي في السّابع من صفر من سنة 603هـ/ 7-1206م [5]. ولا يزال النصّ التّأسيسي الذّي أشار إليه العرشاني قائما في جدار المنارة ، وهو مكتوب بالخطّ النّسخي ومتكوّن من تسعة أسطر منها سطران غير واضحين كما يشير إلى ذلك المثال الآتي [6] :

1 -... عمارة هـ[ـذه]
2 -المنارة الأمير الأجـ[ـل]
3 -الكبير الأعز المختارملـ[ـك]
4 -الأكراد مصطفى أمـ[. . .]
5 -[...] ومير (؟) علم الدّين ور[د]
6 -[شـ]ـار بن سامي الشاكانـ[ـي]
7 -أنفق عليها من ماله لو [...]
8 -. . .
9 -. . .

----

(1) العرشاني، **كتاب الإختصاص** . ص 520-521.

(2) المصدر نفسه، ص521.

(3) لا يزال الحجر المنصوب في جدار المنارة المذكورة موجودا إلى اليوم . الحجري ، **مساجد صنعاء** ، ص28 . عبد الله شيحة ، **مدخل إلى العمارة** ، ص35 .

(4) العرشاني، المصدر نفسه، ص521.

(5) المصدر نفسه، ص519، 521.

(6) Serjeant and Lewock, " The Architectural History and Description of San'a' Mosques", *loc.cit,* p 324 .

- تجديد عمارة المئذنة الغربية :

كانت المئذنة الغربيّة لجامع صنعاء قد إنتقضت هي الأخرى وتغيّر أسفلها إلى سقف المسجد [1]، لذلك أمر الأميرعلم الدّين وردشار في غضون سنة 602هـ/ 1206م بنقضها من أساسها إلى علوّها ليعيد عمارتها [2].

ويصف العرشاني من جهته عمليّة تجديد المنارة الغربيّة في أيّام الأمير وردشار بقوله : " وفي خلال هذه المدّة نقضت المنارة الغربيّة إلى غاية أسفلها ، ثمّ عمل أساسها على الصّحيح من الأرض ، وجعل فيها أحجارا متجاورة صحنا وفيه النّورة والجصّ طبقة طبقة حتّى أحكم -ثمّ بنيت بالأحجارقليلا ، ثمّ أطلع بناؤها بالآجر والجصّ ، وفرغ بعض عمارتها إلى قريب من السّقف من خلال المدّة اليسيرة المقدّم تاريخها وإنّما ينجز ذلك لكثرة إنفاق الأموال ونهضة هذا الأمير الموفّق ... ثمّ لم تزل العمارة متّصلة غير منقطعة في هذه المنارة الغربيّة بالآجر والجصّ الجديد حتّى بلغت حدّ الدرابزين . ثمّ عمل درابزينها صنعة محكمة أكثره بالسّاج حتّى أحكم وأتقن ، وعمل باقيها مسدّسا ، وركّبت قبّتها وباقي صنعتها على أحسن صنعة وأتقنها ، وأحكم بناء وأحسنه ، وركب في رأسها على صورة السّفينة من نحاس ، وعمل له عمود من حديد " [3].

والمئذنة الغربيّة تشبه إلى حدّ كبير المئذنة الشّرقيّة وهي تتكوّن من قاعدة مربّعة يبلغ محيطها 4,25 م وإرتفاعها حوالي 5م ، ويقوم عليها بدن مستدير يبلغ إرتفاعه 23 م من مستوى الأرض ، يعلوه حوض أو شرفة ، ثمّ بدن قصير من ستّة أضلاع به فتحات نوافذ صغيرة معقودة تفتح في كلّ إتّجاه ، وتتوّج المئذنة بقبّة صغيرة [4].

فلمّا كان يوم الإثنين لستّ عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من سنة 603هـ / 1207 م إكتملت عمارة المنارة المذكورة ، عندئذ أمر الأمير وردشار أن يكتب إسمه وتاريخ البناء [5]على حجر من مرمر ويدخل في الجهة الشّرقيّة منها

---

(1) العرشاني، كتاب الإختصاص ، . ص 520-521.

(2) العرشاني ،المصدر نفسه، ص521. عبد الله شيحة ، مدخل إلى العمارة ، ص35 .

(3) العرشاني ،المصدر نفسه، ص521-522.

(4) عبد اللّه شيحة ، المرجع نفسه ، ص35-36 .

(5) العرشاني ،المصدر نفسه، ص521-522.

فيكون من جملة البناء ، وقد جاء هذا النصّ التأسيسي متكوّنا من 21 سطرا كتبت بالخطّ النّسخي كما يعكس ذلك المثال الآتي [1] :

1 - ...
2 - [الـ]ـمسجد الجامع بصنعا أمر ببنائـ[ـه]
3 - رسول اللّه صلى الله عليه
4 - قبل مسجد الجند وأعيدت عما
5 - رة هذه المنارة الغربية من
6 - أساسها إلى علوها بأمر
7 - الأمير الكبير الأعز المختار ملك
8 - الأكراد مصطفى ...
9 - علم الدّين وردشار بن سامي
10 - الشاكاني أنفق عليها من
11 - ماله في سنة ثلاث وستمائة
12 - بعد أن كملت عمارة الجبانة
13 - مصلى العيدين في مقدم صنعا
14 - ومصلى العيدين وضع على عهد
15 - النبي صلى الله عليه وأعيدت
16 - عمارته من أساسها إلى علوها
17 - وأحتفرت البئر التي فيه وعمرت
18 - هي وضيعتها عمارة أخرى
19 - بأمر الأمير علم الدين ورد
20 - شار أنفق عليه من ماله ووقف
21 - الضيعة والبئر على مصالح الجبانة

- بناء المطاهر والبركة :

كان سرّي بن فضيل العرشاني صاحب كتاب " الإختصاص " قد ولّي في أيّام الأمير وردشار قضاء صنعاء[2] فأخذ على عاتقه بناء مطاهر وبركة بجامعها، وكان مبتدأ بنائه لذلك في شهر شعبان من سنة 606هـ/ 1209م [3].

وذكر العرشاني أنّ الأمير وردشار قد أعانه على ذلك بأن أمر بحفر البئر وعمل منها المجاري إلى مطاهر الجامع من ماله لا من مال المسجد[4]، في حين

----

(1) Serjeant and Lewock, " The Architectural History and Description of San'a' Mosques", *loc.cit,* p 324 .

(2) العرشاني، الإختصاص ، ص 458.

(3) المصدر نفسه، ص458.

(4) المصدر نفسه، ص458-459، 509.

كانت عمارة المطاهرمن وقف المسجد الذّي بشاهرة [1]. فلمّا كان جمادي الآخرة من سنة 607هـ/ 1209م إكتمل بناء المطاهر وأحدثت البركة ، وعمل الدكانان اللّذان بين البئر والبركة ، وبني ذلك كلّه بناء حسنا [2].

* إعادة بناء الجبانة المعروفة بمصلى العيدين:

الجبّانة أو مصلّى العيدين هي عبارة عن فضاء مفتوح يحيط به سور وتقع خارج أسوار المدينة من الجهة الشّماليّة ، وهي مخصّصة لإقامة صلاة العيدين كما يشير إلي ذلك إسمها [3] . وتعود جذور تأسيس هذا الفضاء الدّيني إلي زمن النّبيّ (ص) ، حيث ذكر الرّازي أنّ الصّحابي فروة بن مسيك المرادي كان قد أمر بعد إنشائه لمسجد صنعاء أهل هذه الأخيرة أنّ يتّخذوا لعيدهم مصلّى فوقع رأيهم على موضع الجبّانة[4] ، وكانت في الماضي معسكرا للحبشة وتعرف بجبّانة بني جريش وهم قوم من خراسان [5].

ويضيف صاحب " تاريخ صنعاء " في هذا المعنى أنّ موضع الجبّانة كان في أيّام الوالي فروة بن مسيك المرادي ملكا لرجل يدعى أبا حمال فطلب إليه فروة أن يبتاعها منه فقال له الرّجل : " هي للّه تعالي ولرسوله " ووهبها إليه [6]. ثمّ إنّ فروة خرج بالنّاس ليصليّ بهم في الجبّانة وهي يومئذ حرث ، فصلّى بهم فيها وأسّسها مصلّى وقال : " أما إنّ هذه أوّل جبّانة وضعت في اليمن لعيد المسلمين على عهد رسول الله صلّى الله عليه وعلي آله وسلّم " [7].

وكانت الجبّانة في أوّل عهدها محاطة بحائط مربّع يخترقه باب واحد من جهة جدار القبلة والدّور شارعة عن يمين وشمال باسقة في الهواء [8]، فإذا كان يوم العيد أمر الأهالي خدمهم رشّها بالماء وفرشها بحصر السّامان ، ثمّ تطرح فيها الأطياب من العود الرّطب والماورد والكافور ، ويبخّرون الموضع كلّه مع المصلّي من صلاة الفجر إلي إنصراف الإمام والنّاس من صلاة العيد [9].

---

(1) العرشاني، كتاب الإختصاص ، ص 459.

(2) المصدر نفسه، ص509-510.

(3) الرّازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص90 . العرشاني ، المصدر نفسه، ص502.
Lewcock (R) , " The Medieval Architecture of Yemen", in *Yemen 3000 years of Art and Civilisation* , pp 297-298.

(4) العرشاني ، المصدر نفسه، ص502.

(5) الرّازي ، المصدر نفسه، ص91 . العرشاني ، المصدر نفسه، ص502.

(6) الرّازي ، المصدر نفسه، ص90 . العرشاني ، المصدر نفسه، ص502.

(7) العرشاني ، المصدر نفسه، ص502.

(8) الرّازي ، المصدر نفسه، ص91 . العرشاني ، المصدر نفسه، ص502.

(9) الرّازي ، المصدر نفسه، ص91 . العرشاني ، المصدر نفسه، ص502.

وقد حظيت الجبّانة خلال العصور الإسلاميّة المتلاحقة بعمليّة تعهّد متتالية كان أوّلها في أيّام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في الوقت الذّي جدّد فيه جامع صنعاء [1]، ثمّ جدّدت مرّة ثانية خلال سنة 280هـ/ 893-894م ومرّة ثالثة سنة 407هـ/ 1015-1016م [2]. ويبدو أنّ الجبّانة قد هجرت منذ ذلك الحين وفقدت وظيفتها التّاريخيّة بسبب الإهمال ، وفي ذلك يقول صاحب " الإختصار " : " فخربت الدّور وأندرس ذكر الجبّانة وأنطمس ذكر فضلها في مدّة لأحوال عرضت من ظهور المبتدعين الرّافضين لأصحاب سيّد المرسلين ... ثمّ إنّه إعتمد بعض ولاّة البلد هجرها وطمسها وإيثار الصّلاة في غيرها ... " [3]

فلمّا كان العهد الأيّوبي رأى الأمير الكردي علم الدّين وردشار والي صنعاء أن يعيد للجبّانة دورها التّاريخي فصلّى فيها عيد الفطر لسنة 602هـ/ 1206م [4]، ثمّ أمر في اليوم الثّاني من شهر شوّال من السّنة المذكورة بنقض ما تبقّى من عمارتها وإعادة بنائها من الأساس على نفقته [5].

ويصف العرشاني عمليّة تجديد عمارة الجبّانة خلال العهد الأيّوبي فيقول : " وكان قد دوّر من جهة يمانية بحجارة جدارا يكون طوله ذراعا فنقض الجميع منبره وغيره ، وزيد في طوله من شرقيّه عشرون ذراعا ، وأحدث الجدار اليماني كلّه من أساسه وإشتغلت عمارته أيّاما متوالية لا يفتر فيها، وإنفاق الأموال الكثيرة من جهة حلّ أنفقه من يده نقدا ، وغير ذلك ما يوجب الثّواب . وإستقلّ هذا الأمير الرّكوب إلى المصلّى في كلّ يوم لا ينقطع ولا يفتر قائما وقاعدا ، وفي بعض الأوقات يضرب خيامه فيها ويباشر العمارة بنفسه ويرتّبها ، ويقترح على البنّاء هذا التّرتيب الذي فيها" [6].

وممّا كان أحدثه الأمير وردشار في عمارة الجبّانة عمله لجدرانها في نهاية العرض وبنائه لمقصورة بإسم النّساء للصّلاة في النّاحية الشّرقيّة من المصلّى [7]، ثمّ عمل المنبر وقبّته في غاية الإحكام والإتقان وأمر بوضع خشبتين مثقوبتين على جانبي المنبر وبني عليهما وجعلا برسم الرّمحين اللذّين فيهما العلمان [8].

---

(1) Lewock, Serjeant et Smith, " The Smaller Mosques of San'a'", *loc.cit*, p 351 .

(2) Ibid, p 351.

(3) العرشاني، كتاب الإختصاص ، ص 459.

(4) المصدر نفسه، ص504.

(5) المصدر نفسه، ص504.

(6) المصدر نفسه، ص504-505.

(7) المصدر نفسه، ص505.

(8) المصدر نفسه، ص505.

ويتابع العرشاني وصفه لعمارة الجبّانة زمن حكم بني أيّوب فيقول : " وجعلت جدرانها الثّلاثة العدنيّة والشّرقيّة والغربيّة مسنّمة كلّها مقضّضة . وجعل باب المصلّي الصّغير الذّي قصر بإسم النّساء إلى جهة الشّرق ، تدخل إليه النّساء من حيث لا يراهنّ الرّجال ولا يطّلع عليهنّ فيه أحد في الجبّانة الكبيرة مصلّى الرّجال . وحذّي المنبر بحايط من شرقيّة ويمانيّه وغربيّة ثمّ من خلفه من قبليّه . وجصّص وأتقن جصاصه ، وأحكم قضاضه ، وكلّ ما عمل فيه من عمل فهو بحضور هذا الأمير الأغرّ الأجلّ الكبير علم الدّين وردسار ابن بيامي ... وأنفق عليه غير الجعالات الرّاتبة مالا كثيرا هبة منه على سبيل الجائزة للبناة والجعلاء والمقضّضين، ولكلّ من عمل به عملا ، كساهم الثّياب الجيّدة على سبيل الخلع في عرفهم .

ونقش محراب الجبّانة بالجصّ أيّاما نقشا حسنا جيّدا متقنا ، وكتب فيه آيات من القرآن الكريم وإسم النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلم - والصّلاة عليه فيه ، والترضّي عن أصحابه أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - والترضي على سائر أصحابه ، وإسم فروة بن مسيك المرادي ، وأنّه هو الذّي أحدث عمارتها ووضعتها على عهد النبيّ - صلّى الله عليه وسلم - وإسم هذا الأمير علم الدّين وردسار ونسبه ، أجزل الله ثوابه وضاعف حسناته ، وكتب في حجرين نقشا في أيسر المحراب في الجدار وقضّض حواليها ، وجصّص إسم الله - تعالى - وإسم النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - والصّلاة عليه ... وكتب في حجرين نقشا في أيسر المحراب في الجدار وقضض حواليها... والحجران أحدهما مرمر ، والثّاني رخام .

وجصّص وقضّض جميع جدرانها ظاهرا وباطنا حتّى صارت تنظر إلى أبعد منها من عظم بياضها وحسنها [1]... وأمر بفضّة ، عملت طلعتين كبيرتين وكتب فيهما آيات من القرآن الكريم وإسمه ، ووقفهما على المنبرين الشّريفين الكريمين ، منبر الجبّانة المقدّم ذكرها، ومنبر المسجد الجامع بصنعاء ... " [2] . وسعيا منه إلى توفير قدر كاف من المياه لروّاد الجبّانة عمل في غربيّها حوضا ، ثمّ أقام السّواقي في جدارها اليماني وفي جدارها الغربي لكي تنقل الماء الجاري من البئر [3] .

فلمّا فرغ من بنائها وقضاضها وتجصيصها وإتقانها وإحكامها ، أمر الأمير وردشار أعوانه بحمل البطحاء على ظهور الجمال إلى المصلّى فحملت إليه [4] ، وهو قاعد في المصلّى لا يبرح ولا ينفكّ من طلوع الفجر مع من يحضر معه من حاشيته ووزرائه وحلقته وأجناده ورعيّته ، وكان كمال عمارة الجبّانة في اليوم التّاسع من شهر ذي الحجّة من سنة 602 هـ/ 1206 م [5].

----

(1) العرشاني، كتاب الإختصاص ، ص 505-507.

(2) المصدر نفسه، ص84.

(3) المصدر نفسه، ص505.

(4) المصدر نفسه، ص507.

(5) المصدر نفسه، ص507.

* تجديد عمارة جامع الجند :

يعتبر جامع الجند من المساجد الأولي التي أنشأت في اليمن خلال العهد النبوي وذلك حين بعث النبيّ (ص) بالصّحابي معاذ بن جبل سنة 6 هـ/ 628م إلى اليمن ليعلّم أهلها القرآن ، فلّما بلغ الجند أقام بها مسجدا حيث بركت ناقته [1] .

ومسجد الجند العتيق شأنه شأن الجامع الكبير بصنعاء لم يبق من عمارته الأولي سوى المساحة الصّغيرة ، التّي كان عليها المسجد حين أسّس أوّل مرّة وقد أدخلت ضمن المساحة الحاليّة للمسجد [2]. ومع ذلك فإنّ المصادر لا تلقي الضّوء علي مراحل التّجديد أو الإضافات التّي حدثت في عمارة هذا المسجد خلال القرون الأولي للهجرة ، بإستثناء العمارة التّي أحدثها الحسين بن سلامة القائم بدولة بني زياد عندما قام سنة 402هـ /1011م بتجديد بنائه [3].

ويذكر ابن المجاور أنّه خلال العهد الصّليحي قام الأمير المفضّل بن أبي البركات الحميري في غضون سنة 480هـ/ 1087م بتجديد مسجد الجند بأن بناه بالحجر المنقوش واللبن المربّع [4]، فلمّا كانت سنة 558هـ/ 1062م إستولى مهدي بن علي الحميري صاحب زبيد على مدينة الجند فأعمل في أهلها القتل وقام بإحراق مسجدها [5].

وبدخول بلاد اليمن في حوزة الأيّوبيين سيشهد مسجد الجند عمارة هامّة في أيّام الملك سيف الإسلام طغتكين ، الذّي كان قد أمر برفع سقفه بالآجر والجصّ بعد أن ذهّبه[6]. ثمّ لمّا كانت سنة 603 هـ/ 1206م عمله الملك النّاصر أيّوب بن طغتكين بالذّهب واللاّزرود [7] حتّى كان يقال لجمال عمارته " خذ من جامع تعزّ المنبر ومن جامع الجند السّقف " [8]. أمّا صاحب " بغية المستفيد " فإنّه ينسب بناء الصّفّين والجناحين ومؤخّر المسجد إلى الأتابك سيف الدّين سنقر [9].

---

(1) الرّازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص515 . عبد الله شيحة ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلاميّة ، ص36-37.

(2) الرّازي ، **المصدر نفسه**، ، ص515 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص65 .

(3) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 2ص165 .

(4) **المصدر نفسه**، ، ج 2ص165 .

(5) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص 66. **قرّة العيون** ، ج1 ص366 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1 ص 315. الكبسي ، **اللّطائف السنّية** ، ورقة 14 أ .

(6) ابن المجاور ، **المصدر نفسه**، ، ج 2ص165 .

(7) **المصدر نفسه**، ج 2ص166 .

(8) **المصدر نفسه**، ، ج 2ص166 .

(9) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص 77.

كما تبعت هذه العمارات المتتالية إعادة تجديد الأروقة الثّلاثة الشّرقيّة والغربيّة والجنوبيّة للمسجد بأمر من الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل ، وذلك في غضون سنة 626هـ/ 1228م رغم تعذّر المال في ذلك الوقت [1].

*** تجديد عمارة الجامع الكبير بزبيد وبناء مسجد المناخ :**

يعدّ الجامع الكبير بزبيد من الآثار الإسلاميّة البارزة التي احتفظت بها بلاد اليمن طوال عهود طويلة ، أمّا جذور تأسيسه فتعود إلى فترة ما قبل القرن الثّالث هجري / التّاسع ميلادي وربّما إلى القرن الأوّل للهجرة / السّابع للميلاد [2] . لكنّ هذا المسجد لم يتّخذ أهميّة تذكر كمسجد جامع إلاّ في عصر الدّولة الزّياديّة حين جدّده القائد الحسين بن سلامة سنة 391هـ/ 1001م [3]، ثمّ ما لبث أن تعرّض للهدم على يد مهدي بن علي بن مهدي الحميري وظلّ خرابا ما يزيد عن الخمسة عشر سنة [4].

وبدخول الأيّوبيين إلى بلاد اليمن أمر الأمير المبارك بن كامل بن منقذ الكناني بتجديد عمارته في أيّام الملك المعظّم توران شاه [5]، فلمّا كانت سنة 582هـ/ 1186م قام الملك سيف الإسلام طغتكين بتعهّد بعض أجزائه بأن أعاد بناء الجناحين الشّرقي والغربي منه إلى جانب المؤخّر والمنارة [6].

كما كان من المآثر العمرانيّة المنسوبة إلى الأمير المبارك بن كامل بن منقذ الكناني أثناء ولايته على مدينة زبيد أيّام الملك المعظّم توران شاه بناؤه لمسجد بهذه المدينة يعرف بمسجد المناخ [7].

---

(1) عبد الله شيحة ، **مدخل إلى العمارة والفنون الإسلاميّة** ، ص36-37.

(2) **المرجع نفسه** ، ص46.

(3) ابن الدّيبع ، **بغية المستفيد** ، ص70 . عبد الله شيحة ، **المرجع نفسه** ، ص 46. الأكوع ، " تقرير الجمهوريّة العربيّة اليمنيّة عن الآثار الإسلاميّة ووضعها في الزّمن الحاضر " ، **المؤتمر التّاسع للآثار في البلاد العربيّة** ، ص 392.

(4) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ص70 .

(5) **المصدر نفسه**، ص70 .

(6) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ص70 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج2 ص103 .

(7) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ص70 .

* **تجديد عمارة الجامع الكبير بذمار :**

يقع الجامع الكبير بذمار في وسط المدينة تقريبا وهو مبني بحجر الحبش الأسود والجصّ [1]، في حين أستخدم الطّابوق في بناء المئذنة[2] . أمّا تاريخ إنشائه فيعود على حدّ رواية الرّازي إلى العهد النّبوي حيث تردّد أنّه بني بعد الجامع الكبير بصنعاء بأربعين يوما وقبل بناء جامع الجند [3]، وقيل أيضا في أيّام الخليفة الأوّل أبي بكر الصدّيق [4].

وتخطيط الجامع الحالي يبدو معقّدا إلى درجة كبيرة وذلك نظرا للإضافات والتّجديدات المتكرّرة والمتتالية التّي أدخلت عليه ، إضافة إلى إختلاف الطّرز المتباينة به من حيث عناصرها المعماريّة وتفاصيلها الزّخرفيّة [5] .

أمّا بخصوص التّجديدات والإضافات التي شهدها هذا الجامع منذ تأسيسه إلى زمن الأيّوبيين فإنّ أهمّها تلك التي تنسب إلى أحد رجالات الزّيديّة ، الذّي من المرجّح أن يكون القاسم بن الحسين الزّيدي وهو من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان قد تولّى مقاليد الحكم في صنعاء وذمار في أيّام الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العيّاني فيما بين سنتي 389هـ/ 999م - 393 هـ/ 1003م [6].

ويعزى إلى هذا الزّيدي بناء الرّواق الشّمالي وهو رواق القبلة الحالي في المسجد ، وأغلب الظنّ أنّ هذه العمارة قد وقعت فعلا نظرا لبقاء بعض الحشوات الخشبيّة على جانبي المنبر الحالي والتي يعود أسلوب الزّخارف فيها إلى طراز الزّخرفة الخشبيّة السّائدة خلال القرن الرّبع هجري/ العاشر ميلادي . وبإستيلاء الأيّوبيين على مدينة ذمار في غضون سنة 583هـ/ 1187م، أمر الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بتجديد عمارة جامعها [7].

* **بناء جامع ظفار ذي بين :**

رغم أنّ هذا الجامع ليس من إنشاء الأيّوبيين إلاّ أنّ تاريخ تأسيسه يعود إلى فترة حكم هذه الأسرة ، وهو ينسب إلى الإمام المنصور بالله عبد الله بن

---

(1) عبد الله شيحة ، **مدخل إلى العمارة والفنون الإسلاميّة** ، ص52.

(2) **المرجع نفسه** ، ص52 .

(3) الرّازي ، **تاريخ صنعاء** ، ص89 .

(4) حسين السيّاغي ، **معالم الآثار اليمنيّة** ، ص83 .

(5) عبد الله شيحة ، **المرجع نفسه**، ص52.

(6) المحلّي ، **الحدائق الورديّة** ، ورقة30 ب . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزّمن** ، ص 49. ابن الحسين ، **غاية الأماني**، ج1 ص 228.

(7) عبد الله شيحة ، **المرجع نفسه** ، ص53.

حمزة الزّيدي الذي أمر ببنائه حين شرع في تأسيس مدينة ظفار التّي كان قد إتّخذ منها معقلا له وذلك في يوم الإثنين الموافق لعشرين من شوّال من سنة600 هـ/ 1204م [1].

ورغم أنّ هذا الجامع هو صغير من حيث حجمه فإنّه يتميّز بطابع خاص من ناحية طراز البناء الذّبني عليه والذّي يبدو لا نظير له في عمائر اليمن كافّة [2]. فجدرانه تبدو وقد زخرفت بزخارف جصّية أنيقة ومتناسقة وسقفه الخشبي متكوّن من مربّعا مختلفة الأشكال ، وحول السّق كتابة بالخطّ الكوفي علي الأخشاب ، أمّا في صحن الجامع من الجهة الغربيّة فيوجد إيوان كلّه مزخرف ومكتوب بالخطّ الكوفي كما توجد كتابات مماثلة فوق العقود المثلّثة الأضلاع[3] .

وفي صحن المسجد توجد قبّتان إحدهاما فيها ضريح الإمام عبد اللّه بن حمزة المتوفّى سنة 614هـ/ 1217 م [4]والثّانية فيها ضريحا إبنيه محمّد بن عبد اللّه بن حمزة وداود بن عبد اللّه بن حمزة [5].

ويعتبر تابوت الإمام عبد اللّه بن حمزة الذّي لا يزال موجدوا إلى اليوم من التّراكيب الخشبيّة، التي تعود جذورها إلى العهد الأيّوبي حيث يمكن إرجاعه إلى الفترة الممتدّة بين 600هـ / 1203م . وسنة 614هـ/ 1217م[6] .

ويتوسط هذا التّابوت المقام في فناء المسجد بحيث تواجه أجنابه الطّويلة جدار المحراب والجدار الجنوبي المقابل[7] ، أمّا تكوينه فيتّسم بالبساطة ، وهو أقرب إلى شكل الصّندوق الخشبي حيث ربطت أجزاؤه بروابط معدنيّة تنتهي أطرافها بشكل ورقة نباتيّة ثلاثيّة الفصوص ومثبّتة بواسطة مسامير مكوبجة [8].

----

(1) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ،ج 1ص385 . الأكوع ، "تقرير الجمهوريّة العربيّة اليمنيّة" **المؤتمر التّاسع للآثار** ، ص393 .

(2) الأكوع، **المرجع نفسه** ، ص393 .

(3) **المرجع نفسه** ، ص393 .

(4) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص172 . الكبسي ، **اللّطائف السنّيّة** ، ورقة 19ب . ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص83 . الخزرجي ، **العقود اللّؤلؤيّة** ، ج 1ص32 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون** ، ج1 ص 414-415. ابن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج 1ص407 . الأكوع ، **المرجع نفسه** ، ص 393

(5) الأكوع، **المرجع نفسه** ، ص393 .

(6) حامد خليفة ، **الفنون الزّخرفيّة اليمنيّة** ، ص 98-101.

(7) **المرجع نفسه** ، ص98 .

(8) **المرجع نفسه** ، ص98 .

والتّابوت غنيّ بالزّخارف الكتابيّة المتمثّلة في الخطّ الكوفي المورّق والمزّهر والذّي عملت حروفه وأشكاله بالحفر البارز ، وهي تغطّي الجوانب الأربعة للتّابوت حيث ينقسم كلّ جانب منه إلي قسمين ، وتتمثّل هذه الكتابات في بعض الآيات القرآنيّة التّي تبشّر بنعيم الجنّة[1] .

أمّا تابوت الأمير عزالدّين محمّد بن الإمام المتوفّي سنة 623هـ/ 1226م فقد وضع بطريقة تشبه وضعة تابوت أبيه عبد اللّه بن حمزة [2]، وهو يتوسّط مربّع القبّة الواقعة في الرّكن الجنوبي الشّرقي لفناء المسجد [3]. والتّابوتان متشابهان إلي حدّ كبير في الشّكل وإن تميّز تابوت الأمير عزالدّين بوجود أربعة رمّانات في أركانه الأربعة [4].

وتزيّن جوانب تابوت الأمير عزالدّين بن الإمام كتابات بالخطّ الكوفي المورّق والمزهّر، غير أنّها تبدو أكثر تطوّرا من تلك التي تعلو تابوت والده[5] ، وتتمثّل هذه الكتابات في بعض الآيات والأدعية [6].

* بناء جامع المغربة وجامع نحتفر بأبين:

أورد صاحب " بغية المستفيد " أنّ من بين المآثر التّي تنسب إلي الأتابك سيف الدّين سنقر بناؤه لجامع بقرية المغربة الواقعة في الجنوب الشّرقي من مدينة تعزّ [7]، كما ينسب إليه أيضا تأسيس جامع نحتفر الذّي بأرض أبين[8] .

ب - المنشـآت العسكرية :

لأنّ السّياسة الأيّوبيّة الدّاخليّة في بلاد اليمن كانت قائمة في جانب كبير منها علي توفير شروط الأمن والإستقرار بمختلف أشكاله ومظاهره ، فإنّ أصحابها قد سعوا جاهدين إلي تجسيد هذه الإستراتيجيّة عبر سياسة غلب عليها الطّابع العسكري ، كما تعكس ذلك عديد المنشآت التي أقاموها بجهات مختلفة من هذا الإقليم لغايات دفاعيّة وأمنيّة بدرجة أولي شأن الأسوار والقلاع

----

(1) حامد خليفة ، الفنون الزّخرفيّة اليمنيّة ، ص 98.

(2) المرجع نفسه ، ص101 .

(3) المرجع نفسه ، ص101 .

(4) المرجع نفسه ، ص101 .

(5) المرجع نفسه ، ص101 .

(6) المرجع نفسه ، ص101 .

(7) ابن الدّيبع ، بغية المستفيد ، ص77 .

(8) المصدر نفسه ، ص77 .

والحصون وغيرها من التّحصينات ، التي حظيت بإهتمام الأسرة الأيّوبيّة طوال ذلك العهد .

* إعادة بناء سور مدينة عدن :

كانت مدينة عدن بحكم موقعها المشرف علي البحر بمثابة الثّغر الذي يصل بلاد اليمن بالعالم الخارجي لاسيما علي المستوى التّجاري ، لذلك برز دورها وتعاظم مع مرور الوقت حتّى غدت قبلة لتجّار المعمورة . وأمام تزايد الأهمّيّة التّجاريّة والإستراتيجيّة لمدينة عدن سعى حكّام اليمن جاهدين إلى تحصينها حتّى يتسنّى لهم تأمين العائدات الماليّة النّاجمة عن الحركة التّجاريّة بهذه المدينة ، وذلك بإقامة سور يحيط بها من جهة البحر [1].

وتذكر المصادر أنّ الدّاعي الزّريعي كان أوّل من أمر بإقامة سور حول المدينة ليمنع كلّ عمليّة تسرّب إلى داخلها من جهة البحر ، متعلّلا في ذلك بالمحاولة التي أقدم عليها بعض تجّار أهل المغرب عندما أراد تهريب بعض التّحف إلى داخل المدينة وإخفائها عن الحاكم [2].

ويذكر كلّ من إبن المجاور وأبي مخرمة أنّ الدّاعي الزّريعي أمر بأن يمدّ سور من الحصن الأخضر إلي جبل حقّات فأدير سور ضعيف ما لبث أن إرتدم وإهتدم بمرور الوقت لدوام موج البحر عليه ، فلمّا خرب أدير عليه سور ثاني من القصب المشبّك[3] .

وقد ظلّ سور عدن على تلك الحال حتّى مجيء الأيّوبيين الذّين تفطّنوا لأهمّيته كأداة من أدوات التحكّم في العمليّة التّجاريّة بمدينة عدن ، فكان أن سارع الوالي عثمان الزّنجيلي بإعادة بنائه بالحجر والجصّ دائرا على جبل المنظر إلى آخر جبل العرّ وجعل له بابا ، ثمّ بني سورا ثانيا على جبل الخضراء مبتدئا به من حصن الخضراء إلي حصن التّعكر على رؤوس الجبال ، كما أضاف سورا ثالثا على السّاحل من لحف جبل الخضراء إلى جبل حقّات وجعل له ستّة أبواب هي : باب حومة وباب السّيلة وهما بابان يخرج منهما السّيل إذا نزل الغيث بعدن ، وباب الفرضة ومنه تدخل البضائع وتخرج ، وباب مشرف وهو للداخل

---

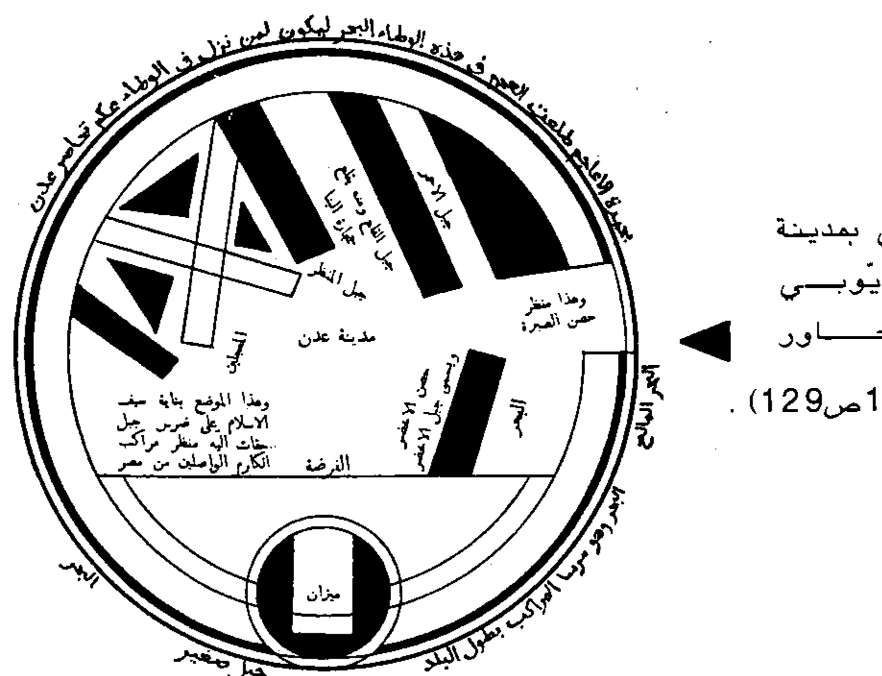
(1) أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج1 ص 22-24. ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص 137-138. عبد الواحد الشّجاع ، **اليمن في عيون الرحّالة** ، ص123 .

Löfgren (o), art "Aden" , *EI*², Vol I , pp 185-187 .

(2) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 22-23. ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 137-138.

(3) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 128. أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 23.

والخارج ، وباب حيق وقد ظلّ مغلقا طوال العهد الأيّوبي كما يشير إلى ذلك صاحب " تاريخ المستبصر " [1].



الوضع العمراني بمدينة عدن خلال العهد الأيّوبي كما أورده إبن المجاور (تاريخ المستبصر، ج1ص129).

* إضافة سور حول مدينة زبيد :

يذكر إبن المجاور أنّ أوّل من بنى سورا حول مدينة زبيد هو القائد الحسين بن سلامة القائم بدولة بني زياد[2] ، ثمّ لمّا آل حكم التّهائم لبني نجاح الأحباش أدار عليها أخو الوزير أبو منصور بالله الفاتكي سورا ثانيا وذلك في بضع وعشرين وخمسمائة [3]، كما أدير حولها سور ثالث في أيّام حكم بني مهدي بعد سقوط دولة آل نجاح الحبشيّة [4].

ومجيء الأيّوبيين بني حول مدينة زبيد سور رابع بالطّين واللّبن في غضون سنة 589هـ/ 1193م بأمر من الملك سيف الإسلام طغتكين ، ثمّ ركّبت على السّور أربعة أبواب هي : باب غلافقة وينفذ إلى غلافقة في إتّجاه الغرب ، وباب سهام و ينفذ إلى ناحية سهام شمالا ، وباب الشبارق ويتّجه نحو حصن قوارير في الشّرق ، وباب القرتب و ينفذ إلى الجبل في ناحية الجنوب [5].

---

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ،ج1 ص 128 . ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص 23.

(2) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 73 . أبو مخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ج1 ص 35.

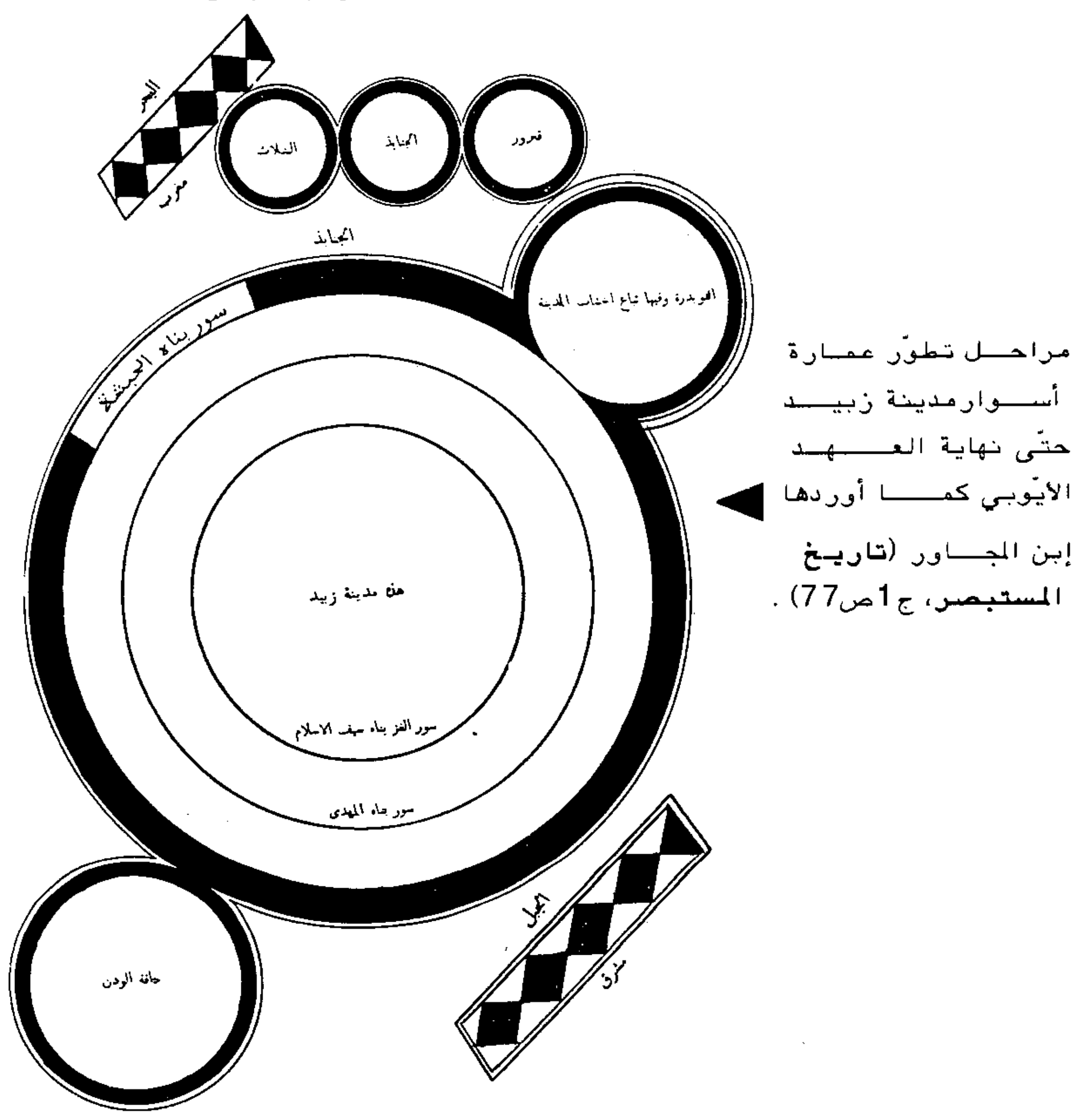
(3) ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ص 35.

(4) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص 74 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ص 35.

(5) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص 74 . ابن الدّيبع ، **المصدر نفسه**، ص 35.

وكان عرض السّور الذّي بناه سيف الإسلام طغتكين حول مدينة زبيد يبلغ عشرة أذرع ، تتخلّله مائة وتسعة أبراج بين كلّ برج وبرج ثمانون ذراع ويدخل في كلّ برج عشرون ذراع ، إلاّ برج واحد فإنّه قد بلغ مائة ذراع كما يشير إلى ذلك إبن المجاور[1] .

ثمّ إنّ سيف الإسلام أراد أن يدير حول زبيد سورا آخر ذا طول وسعة ويجعل الفضاء بين السّورين مسكنا لجنده [2]، ويذكر صاحب " تاريخ المستبصر " أنّ سيف الإسلام كان قد بنى السّور حقيقة فلمّا فرغ منه مات ولم يتّم مراده [3].



مراحل تطوّر عمارة أسوار مدينة زبيد حتّى نهاية العهد الأيّوبي كما أوردها إبن المجاور (**تاريخ المستبصر**، ج1ص77) .

---

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ،ج1 ص 74. ابن الديّبع ، **بغية المستفيد**، ص 36.

(2) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ،ج1 ص 74.

(3) **المصدر نفسه** ،ج1 ص 74.

* بناء سور حول مدينة الجند :

ذكر إبن المجاور أنّ الملك سيف الإسلام طغتكين كان قد قام بالعديد من العمارات بمدينة الجند من جملتها إنشائه لسور يحيط بهذه المدينة أسفله مبني بالحجر والجصّ وأعلاه طين ولبن ، وكان ذلك في غضون سنة 593 هـ/ 1197م [1]. ثمّ إنّ سيف الإسلام جعل للسّورخمسة أبواب هي : باب المنصورة ، وباب الحديد وقد أعاد بناءه الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل ، وباب الأقطع ، وباب السرّ وينفذ إلى بستان السّلطان[2] .

* إعادة بناء سور مدينة صنعاء :

كانت مدينة صنعاء منذ القدم بمثابة الجبهة التّي تركّز حولها صراع أغلب القوى السّياسيّة المتواجدة بجنوب بلاد العرب ، وذلك لما كانت تحتلّه هذه المدينة من موقع إستراتيجي متميّز لوجودها في منطقة متوسّطة من البلاد تسمح لأصحابها بمراقبة بقيّة النّواحي وفي كلّ الإتّجاهات . لذلك كان أمر تحصينها وإحكام منعتها من أكبر المسائل التّي شغلت إهتمام حكّامها منذ القدم ، إذ ينسب أوّل سور أقيم حول مدينة صنعاء إلى الملك الحميري " شعرا وتر " الذّي سعى إلى تحصينها بسور تخلّلته مجموعة أبراج[3] . ثمّ إنّ الملك الحميري ما لبث أن جعل للمدينة أبوابا متسترّة بالأبراج على طريق ملتوية ، بشكل يتعذّر الدّخول والخروج بدون علم الحارس لاسيما خلال أيّام الحرب [4].

وخلال العصور الإسلاميّة تتالت عمليّات تجديد سور صنعاء حتّى أنّه ما من أمير أو والي حكم بهذه المدينة إلاّ وتعرّض لعمارة سورها بالتعهّد والصّيانة[5] ، من ذلك عمارة الملك علي بن محمّد الصّليحي الذّي بنى سورها بالحجر والجصّ وركّب عليه سبعة أبواب وهي : باب غمدان وينفذ في إتّجاه الجنوب ، وباب دمشق وينفذ إلى مكّة ، وباب الشّيخة ويتّجه صوب محلّة الشّيخة ، وباب فندق الأعلى يدخل من السّيل ، وباب خندق الأسفل يخرج منه السّيل ، وباب النّصر ينفذ إلى جبل نقم وبراش ، وباب شرعة ينفذ إلى بستان السرّ[6]. فلمّا كان العهد الأيّوبي أمر الملك سيف الإسلام طغتكين بإقامة سور حول مدينة صنعاء بعد أن أخرب سورها القديم [7].

---

(1) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج2 ص 164.

(2) **المصدر نفسه**، ج2 ص 164.

(3) أحمد السيّاغي ، **معالم الآثار اليمنيّة** ، ص 10.

(4) **المرجع نفسه** ، ص 10.

(5) **المرجع نفسه** ، ص 10.

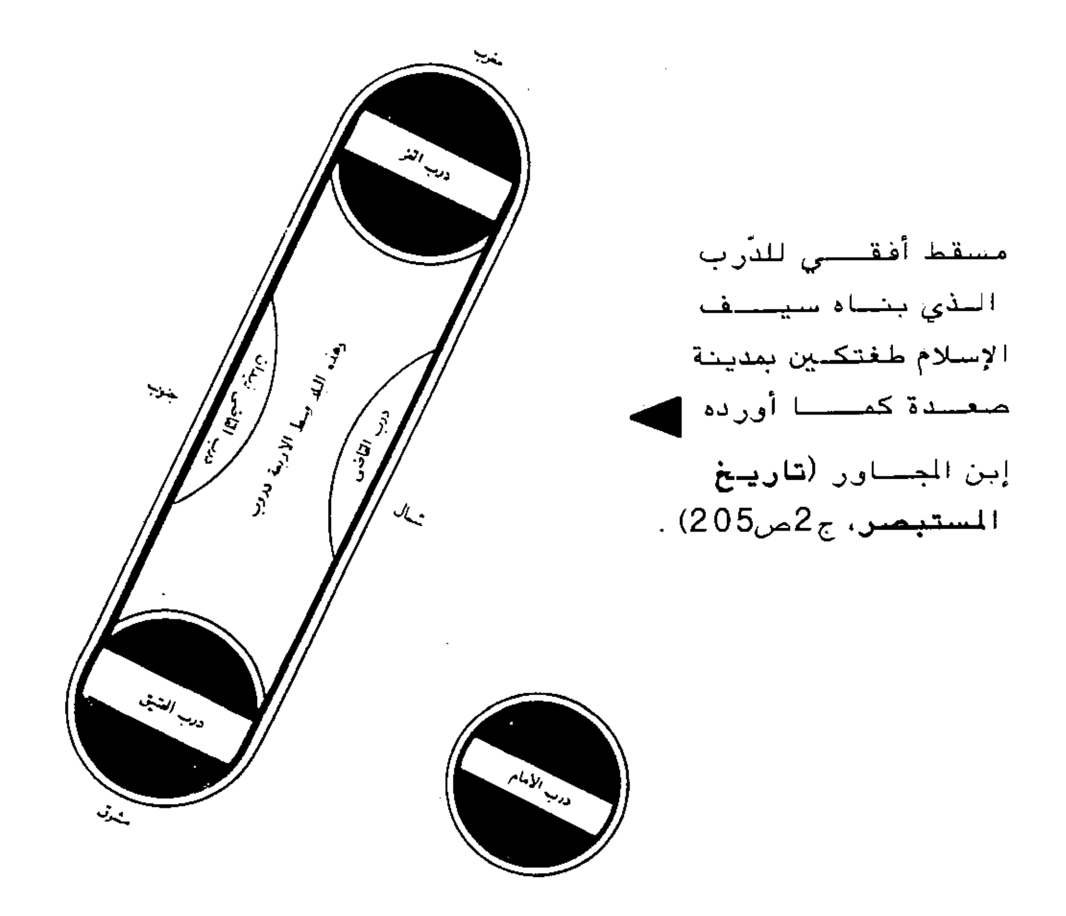
(6) ابن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج2 ص 164.

(7) ابن عبد المجيد ، **بهجة الزمن** ، ص79 . ابن الدّيبع ، **قرّة العيون**، ج 1ص 395. **بغية المستفيد** ، ص 75.

* بناء درب الغز بمدينة صعدة :

لمّا كانت سنة 586هـ/ 1190م تمكّن الملك سيف الإسلام طغتكين من دخول مدينة صعدة بعد أن غلب عليها رجال الزّيديّة [1] ، وأثناء إقامته بها أمر ببناء درب في الجهة الغربيّة منها ليكون سكنى للحامية التي كان قد تركها بهذه المدينة قبل رحيله عنها [2].

وهذا الدّرب الذّي عرف بدرب الغز نسبة إلى أصحابه الأيّوبيين، الذّين كان قد غلب عليهم إسم الغز عند أهل اليمن ، هو عبارة عن بناء دائري في شكل قلعة صغيرة تقع في أطراف المدينة كما يعكس ذلك المثال الذّي أورده إبن المجاورعند إستعراضه للوضع العمراني بمدينة صعدة خلال ذلك العهد [3].



مسقط أفقي للدّرب الذي بناه سيف الإسلام طغتكين بمدينة صعدة كما أورده إبن المجاور (**تاريخ المستبصر**، ج2ص205) .

----

(1) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج 1 ص 335. إبن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص 36. الكبسي ، **اللّطائف السّنيّة** ، ورقة15 ب .

(2) ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج2 ص 204.

(3) **المصدر نفسه** ، ج2 ص 204-205.

* إعادة بناء حصن الدملوة :

يذكر إبن المجاور أنّ الملك سيف الإسلام طغتكين لمّا إشترى حصن الدّملوة من مولى دعاة بني زريع المسمّى أحمد الصّلوي هدمه وأعاد بناءه ثانية[1] ، ثمّ جعل عليه سورا له ستّة أبواب من جملتها باب الذّراع وباب نبهان وباب الأسد وباب الغزال [2]. فلمّا كان عهد الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل أدير حول الحصن سور ثان ، وذلك في غضون سنة 614هـ/ 1217م [3].

* بناء قلعة تعز وحصون أخرى :

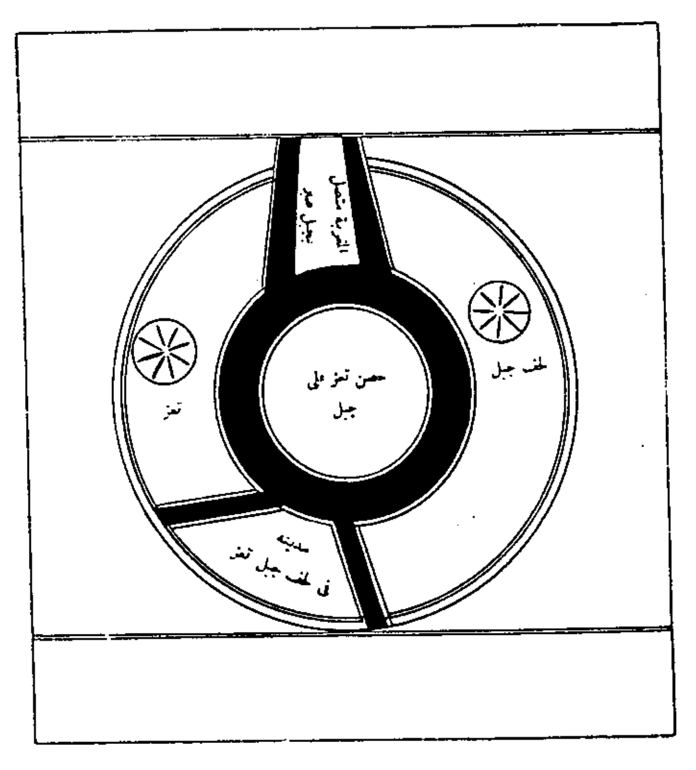
لمّا نجح الملك المعظّم توران شاه في إخضاع كثير من بلاد اليمن إلى مشيئته إتّخذ من مدينة زبيد قاعدة لملكه ، لكنّه سرعان ما إستوخمها وسار في الجبال ومعه الأطبّاء يتخيّر مكانا صحيح الهواء حتّى وقع إختياره على تعزّ فإختطّ بها مدينة لتكون مقرّه [4].

ويصف إبن المجاور بناء حصن تعزّ فيقول : " حصن بني على طريق جبأ يسمّى الجبل الأخضر ذو مكنة بالجصّ والحجر بأبواب وأسوار وثيقة عامرة وليس في جميع اليمن أسعد منه حصنا لأنّه سرير الملك وحصن الملوك ... ورأيت في المنام أنّ قائلا يقول لي : إنّ حصن تعزّ يسمّى تلّ الذّهب أوقال : جبل الذّهب . فتأمّلت قوله فوجدته حقّا لأنّ أموال جميع اليمن مكنوزة به . وقال حكيم : إنّه قلعة وضع بين مدينتين إحداهما المغربة والثّانية في لحف جبل صبر ... " [5] .

أمّا إبن الدّيبع فيذكر أنّ معظم عمارة حصن تعز كانت من عمل الملك سيف الإسلام طغتكين [6]، الذّي ينسب إليه أيضا بناء حصن التّعكر وحصن حبّ وحصن خدد وعدّة حصون أخرى أنشأت ببلاد اليمن طوال ذلك العهد [7].

---

(1) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج2 ص 154.
(2) المصدر نفسه ، ج2 ص 154.
(3) المصدر نفسه، ج2 ص 154.
(4) ابن خلدون ، تاريخ ، ج 5ص287 .
(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج2 ص 156.
(6) ابن الديّبع ، قرّة العيون، ص 395.
(7) ابن الديّبع ، بغية المستفيد، ص 74. قرّة العيون ، ج1 ص 395.



مسقط أفقـــي لحصن تعز خـــلال العهـــد الأيّوبي كمـــا أورده ◄ إبن المجـــاور (تاريـخ المستبصر، ج2ص157) .

ج - المنشآت المدنية :

لاقت المنشآت العـمرانيّة المدنيّة بـبلاد اليمـن زمن حكم بني أيّوب كـثـيرا مـن العناية والإهتـمـام من قـبل رجـال هذه الأسـرة، الذّين لم تـشـغلهم إهتـمامـاتهم السّياسيّة والـعسكريّة عن المساهمـة بقسط وافر في النّهضة العمـرانيّة والحضريّة ، التي عـرفتـها بلاد اليمن طوال تلك المرحلة المتـميّزة من تاريـخـها . فإلى جانب إختطاط المدن وتعميرها شغف الأيّوبيون في بلاد اليمن بإقامة القصور والدّور الفخمة ، كـما حـرصـوا في الأثناء على أن تظلّ المدينة مـتـوفّرة على جـميع المؤسّسات الإجتماعيّة اللاّزمـة لكل عـمران مـدني راق شـأن الحـمّامـات والخانات وغـيـرهـا من المنشآت التي لها مضمون إجتماعي .

* إختطاط مدينة المنصورة :

تذكر المصادر أنّ سيف الإسلام طغتـكين لمّا رتّب قواعد ملكه وإستقام له الأمـر بـبـلاد اليمن إبتـنى لنفسه مـدينة شـمال حصن الجند سـمّاها المنصورة [1] ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة من سنة 592 هـ / 1196 م [2].

---

(1) ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج5 ص245 . البغدادي ، **مراصد الإطلاع** ،ج3 ص132 . ابن حـاتم ، **السّمط الغالي الثمن** ، ص39 . ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص336 . أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج 2ص135 . اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج3 ص 476 . سبط ابن الجوزي ، **مرآة الزّمان** ، ج8 ص 453. الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ورقة 15ب و16أ .

(2) إبن حـاتم ، **المصدر نفسه** ، ص 39. إبن الحسين ، **المصدر نفسه**، ج 1ص 336. أبو مخرمة ، **المصدر نفسه**، ج2 ص 135. الكبسي ، **المصدر نفسه** ، ورقة16أ .

* بنـاء قـرية لخبـة :

هي قرية تقع بظاهر عـدن أبين وضواحيـها كـان قـد بناها الأمير أبو عمرو عثمـان الزّنجيلي ومنها كان ينقل الآجر والزّجاج إلى عدن ، وكـانت قرية عامرة بها دكاكين ومعاصر سكنها جماعة من العرب كقبائل الأهدوب والعقارب [1].

* بناء الدّور والقصور :

أقبل الأيّوبيون بكثير من الشّغف على إقامة الدّور والقصور الفخمة في نواحي شتّى من بلاد اليمن ، ففي عدن كـان الملك سيف الإسلام طغتكين قد بنى دار السّعادة الواقعة مقابل الفرضة [2] . وكانت عدن تعرف عند السّوقة بدار السّعادة نسبة إلي هذه الدّار لشهرتها على حدّ قول إبن المجاور[3] . أمّا أبو مخرمة فيذكر أنّ دار السّعادة كانت في القديم ملكا لبني الخطباء ، وهم قوم تجّار من مصر كانوا قد سكنوا عدن ، ثمّ صارت لسيف الإسلام طغتكين فأعاد بناءها وكانت مثلثة الشّكل عجيبة البناء حتّى قيل أنّه لمّا فرغ الباني من بنائها خاف السّلطان أن يبني لغيره مثلها فأمر بقطع يده فقال الباني إن ذهبت يديّ فأنا أشير لهم بصفة البناء ، فأمر السّلطان بسمل عينيه [4]. كما ينسب أيضا إلى الملك سيف الإسلام طغتكين بناؤه لقصر عظيم بمدينة المنصورة وكانت قاعدة ملكه خلال ذلك العهد [5].

أمّا الملك المعزّ إسماعيل بن طغتكين فقد نسب إليه تجديد عمارة دار المنظر الواقعة على جبل حقّات المشرف على عدن ، وهي دار قديمة كانت في الماضي سكنى لسلاطين بني زريع [6].

وبمدينة صنعاء تعدّدت وتنوّعت دور وقصور ملوك بني أيّوب ورجالات دولتهم ، حيث كـان بها للملك سيف الإسلام طغتكين قصر يعرف بدار السّلطان [7] . ويذكر إبن الحسين الصّنعاني أنّ الملك طغتكين كان قد أمر بهدم المشاهد المنصوبة على قبور رؤساء همدان في مقبرة صنعاء وعمّر بها قصره المذكور [8].

---

(1) أبو مخرمة ، **ثغر عدن** ، ج1 ص 21-22.

(2) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 11. إبن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج1 ص 110.

(3) إبن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج1 ص 110.

(4) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 11.

(5) **المصدر نفسه**، ج2 ص 103.

(6) ابن المجاور ، **المصدر نفسه**، ج1 ص 111. أبو مخرمة ، **المصدر نفسه**، ج 1ص12 .

(7) ابن حاتم ، **السّمط الغالي الثّمن** ، ص38 .

(8) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص335 .

أمّا الأمير الكردي علم الدّين وردشار فقد عمد إلى بناء دار في بستان الملك سيف الإسلام طغتكين الواقع في الجانب الغربي من صنعاء ، ثمّ ما لبث أن نقل إليها أمواله وذخائره وإتّخذ منها مسكنا طيلة ولايته على هذه الجهة من أرض اليمن [1].

* بناء الحمامات والخانات:

إعتنى رجال الدّولة الأيّوبيّة في اليمن بإنشاء الحمّامات والخانات داخل المدن ، وذلك نظرا لأهمّية هذه العمائر كمؤسّسات إجتماعيّة وإقتصاديّة لها لها وزنها داخل النّسيج العمراني المدني الإسلامي.

فقد إنتشرت الحمّامات في معظم مدن هذا الإقليم بتشجيع من رجال الدّولة الأيّوبيّة ملوكا وأمراء ، ففي مدينة عدن أين كان النموّ السكّاني في تزايد مطّرد خلال ذلك العهد كان لا بدّ من توفيرمزيد من هذه المؤسّسات إستجابة للتطوّر الدّيموغرافي الحاصل بها [2] . وفي ذلك يقول صاحب " تاريخ المستبصر " : " فلمّا كثر الخلق بعدن بنوا بها الحمّامات وبني الحمّام عند حبس الدّم فسيل فغسل الأرض سنة إثنتين وعشرين وستّمائة ..." [3]. ومن أشهر الحمّامات التي بنيت بعدن خلال ذلك العهد حمّام المعتمد محمّد بن علي التّكريتي والي عدن في أيّام الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل [4].

ورغم إزدهار ظاهرة إنشاء الحمّامات بمدينة عدن طوال العهد الأيّوبي فإنّ العناية بمثل هذه المؤسّسات الإجتماعيّة المدنيّة تعدّ من التّقاليد الحضريّة العريقة التي تميّز بها أهل هذه المدينة منذ القدم ، فإبن المجاور يذكر أنّه كان قد " ظهر عند حبس الدّم بقرب جبل حقّات حمّام كبير عظيم ذو طول وعرض وقد كانت علت عليه الأرض من بناء العجم " [5].

و في صنعاء كان الأمير الكردي علم الدّين وردشار قد بنى حمّاما في بستان الملك سيف الإسلام طغتكين وأجرى إليه الماء من غيل البرمكي [6] ، وكان الخندق الذّي يدخل منه السّيل مشبّكا بشبابيك مقفلة فإذا جاء المطر رفعت تلك الشّبابيك [7]. ويذكر صاحب " غاية الأماني " أنّ السّيل الجاري نحو الحمّام دفع دفعة

---

(1) ابن الحسين ، غاية الأماني ، ج1 ص387 .

(2) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج1 ص 130. أبو مخرمة ، ثغر عدن ، ج 1ص37 .

(3) ابن المجاور ، المصدر نفسه، ج1 ص 117-118. أبو مخرمة ، المصدر نفسه، ج 1ص37 .

(4) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج1 ص 120. أبو مخرمة ، المصدر نفسه، ج 1ص37 و ج2 ص 223.

(5) ابن المجاور ، المصدر نفسه ، ج1 ص 120.

(6) ابن الحسين ، المصدر نفسه ، ج1 ص387 .

(7) المصدر نفسه، ج1 ص 387.

واحد ذات مرّة فأخرب دار الأمير وردشار وذهب بجميع ما فيها ، وكان وردشار حينها في الحمّام فدخل عليه السّيل من باب الحمّام ففرّ بنفسه[1] . كما كان الملك سيف الإسلام طغتكين قد أنشأ هو الآخر حمّاما بمدينة المنصورة ، التي كان إختطّها لتكون قاعدة لملكه من دون بقيّة المدن [2] .

أمّا الخانات فتعدّ من المنشآت الإقتصاديّة الهامّة التي واكبت إزدهار حركة التّجارة ببلاد اليمن زمن حكم بني أيّوب ، لذلك كانت في الغالب تقام في المدن والمراكز الحضريّة المستقطبة لحركة السّفن والقوافل التّجاريّة العابرة وذلك قصد توفير أسباب الرّاحة والأمن لجموع التجّار[3] .

وقد إنتشرت هذه الخانات خاصّة في المدن المرفئيّة شأن عدن المطلّة على بحر العرب وغلافقة [4]المشرفة على البحر الأحمر ، فكانت بذلك محطّ رحال أصحاب التّجارات الوافدين إليها من الشّرق أو من الغرب [6] . ومن أشهر الخانات التّي كانت قد أقيمت ببلاد اليمن طوال العهد الأيّوبي الخان الذّي أنشأه الأمير أبو عمرو عثمان الزّنجيلي بمدينة عدن وكان قد جعله وقفا على المسجد الذّي بها [7].

خاتمة :

لقد حظيت بلاد اليمن تحت حكم بني أيّوب بنهضة حضاريّة شاملة أو تكاد بفضل جهود هذه الأسرة ، التّي سعت بكلّ ما أوتيت من إمكانيّات وطاقات إلى توفير أسباب ذلك التطّور الحضاري المتعدّد الجوانب والمناحي . فإلى جانب المناخ السّياسي الملائم والإنتعاشة الإقتصاديّة الهامّة التي إستفاد منها هذا الإقليم، عرف المجتمع اليمني طوال هذه المرحلة المتميّزة من تاريخه شيئا من الدّيناميّة بدخول عناصر إجتماعيّة جديدة ضمن تركيبته، في حين كانت مظاهر الإختلاف والتنوّع التي تخلّلته على مستوى البنية السّلوكيّة والعادات الإجتماعيّة عاكسة في جانب وافر منها لدرجة الثّراء الثّقافي العالية والمخزون الحضاري الغزير، اللّذين بدا عليهما أهل اليمن طوال ذلك العهد .

----

(1) ابن الحسين ، **غاية الأماني** ، ج1 ص387 .

(2) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه**، ج 2ص103 .

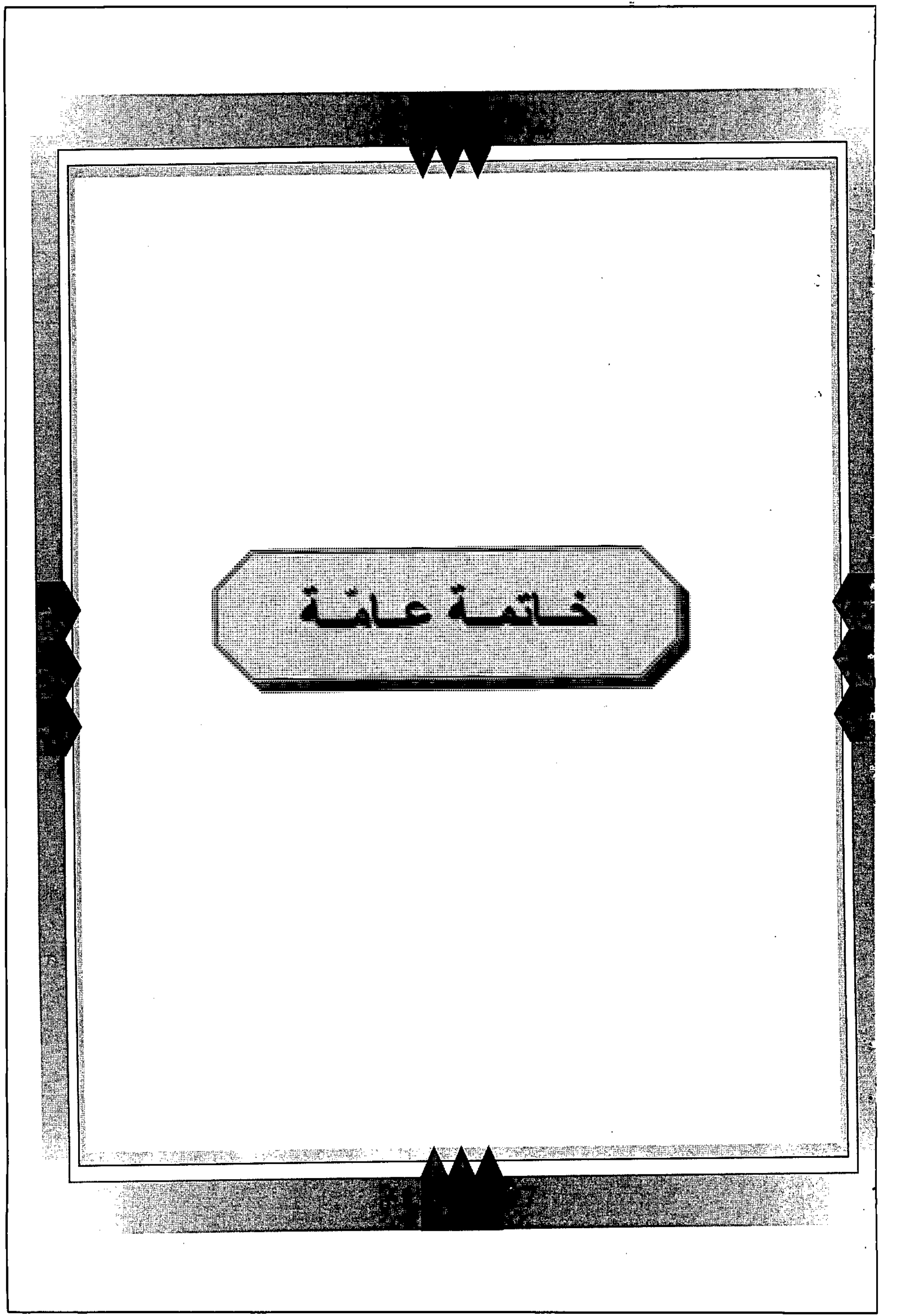
(3) Attiya, *Crusade, Commerce and Culture*, p 188.

(4) غلافقة : بلدة على ساحل البحر الأحمر ترفأ بها السّفن المتوجّهة نحو زبيد ، وقد عرفت بمرسى زبيد وفرضة الكارم الواصلين من مصر ، و موقعها مقابل مدينة زبيد من جهة البحر بمسافة خمسة عشر ميل . الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص 68 ، 258. ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج 4ص253 . ابن المجاور ، **تاريخ المستبصر** ، ج 2ص243 .

(5) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص163 . إبن المجاور ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص243 . نعيم زكي ، **طرق التّجارة الدّوليّة ومحطّاتها** ، ص 294. Attiya, *op.cit* , p 188 .

(6) أبو مخرمة ، **المصدر نفسه** ، ج 2ص163 .

أمّا على المستوى الثّقافي فقد كان للسّياسة الأيّوبيّة المنتهجة في هذا المضمار ، والتي كان من أوكد مشاغلها تكريس المذهب السنّي ومحاربة الفكر الشّيعي ، عظيم الأثر فيما عرفته بلاد اليمن خلال ذلك العهد من حركيّة علميّة وفكريّة متعدّدة الجوانب والمظاهر . كما كان لسياسة الإنشاء والتّعمير المتّبعة من قبل رجال دولة بني أيّوب آثارها الإيجابيّة الواضحة على النّاحية العمرانيّة بهذا البلد ، التي لاقت بدورها كثيرا من الحيويّة والإزدهار كما يعكس ذلك الرّصيد المعماري الغزير والمتنوّع ، الذي تعود جذوره إلى تلك الحقبة التّاريخيّة الهامّة من التّاريخ الإسلامي الوسيط .



خاتمة عامّة

لقد شكّل العهد الأيّوبي ببلاد اليمن ، رغــم محدوديّته في الزّمن ، حقبة من الحقبات التّاريخيّة البارزة والمتميّزة في تاريخ هذا البلد . فإلى جانب التطوّرات السّياسيّة الهامّة التّي عاشها هذا الإقليم بدخوله في حوزة أسرة أجنبيّة مسلمة من أصل غير عربي ، فإنّ هذه المرحلة قد شهدت في الأثناء عديد التحوّلات العميقة على الصّعيدين الإقتصادي والحضاري ، لتكون بذلك بمثابة المنعرج الحاسم في تاريخ هذه المنطقة من جنوب بلاد العرب وأساسا لتطوّرات حضاريّة أكبر سيعكس معانيها بأكثر جلاء التّاريخ اللاّحق .

فعلى المستوى السّياسي كانت مطامح الأسرة الأيّوبيّة في توطيد نفوذها وتدعيم موقعها داخل الخارطة الجغراسياسيّة للعالم الإسلامي قد إستفادت كثيرا من حالة التشتّت السّياسي والإختلاف المذهبي ، التي كانت عمّت بلاد اليمن منذ أن تراجع بها نفوذ الدّولة الصّليحيّة مع أواخر القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي وتحوّلها منذ ذلك الحين إلى مسرح للنّزاع و التّنافس بين العديد من الكيانات السّياسيّة والمذهبيّة ، التي كانت قد غلبت على أهدافها المطامح الآنيّة والنّزعة الإستقلاليّة الضيّقة ، بعيدا عن كلّ تصوّر إستراتيجي شامل يأخذ بعين الإعتبار المصير السّياسي الموحّد لهذا البلد .

ولأنّ الرّوابط بين البلاد اليمنيّة والبلاد المصريّة هي متينة ووثيقة منذ عهود خلت ، فقد كان من المنتظر أن تلقى تلك التطوّرات السّياسيّة الخطيرة بجنوب بلاد العرب صدى كبيرا في نفوس رجال الأسرة الأيّوبيّة في مصر بزعامة صلاح الدّين الأيّوبي ، الذّي كان لا يزال إلى حدّ تلك المرحلة منشغلا عظيم الإنشغال بتوفير الشّروط الموضوعيّة اللاّزمة لتأمين مشروعه السّياسي النّاشيء ، لا سيما على الصّعيدين الإقتصادي والإستراتيجي . هذا التوجّه الخطير والمصيري في آن واحد ترجمت عنه بكلّ جلاء ووضوح تلك الخطوة السّياسيّة الحاسمة، التي أقدم عليها صلاح الدّين غداة توليّه لسدّة الحكم بمصر عندما أوعز لأخيه الأكبر توران شاه بالإستيلاء على بلاد اليمن ذات الطّاقات الإقتصاديّة الهائلة والموقع الجغرافي المتميّز لإشرافها على البحر الأحمر، أحد المنافذ البحريّة الهامّة التي تتوسّط العالم الإسلامي ، فضلا عمّا كانت تمثّله هذه الرّقعة من بلاد العرب من إمتداد إستراتيجي لأرض مصر منذ عهود سابقة .

غير أنّه رغم الحماسة الشّديدة والإصرار المتزايد اللّذين أظهرتهما الأسرة الأيّوبيّة من أجل إحكام قبضتها على بلاد اليمن ، فإنّ تحقيق هذا المطمح لم يكن بالأمر الهيّن ولا بالعمل باليسير . فإلى جانب هيمنة الهياكل القبليّة والتّناقضات السّياسيّة والمذهبيّة داخل هذا الإقليم ، والتي كانت في جملتها متنافية مع فكرة النّظام السّياسي المركزي ، فإنّ ما بدا عليه الحكم الأيّوبي من مواطن ضعف عديدة غداة إنتصابه بهذا الجزء من بلاد العرب قد جعلته يضاعف من متاعب رجالاته ويحكم على سلطانهم بالزّوال المبكّر ، بسبب الأزمات السّياسيّة الحادّة التي كان قد عاشها على مستوى هياكله الفاعلة ممّا إنعكس سلبا على حضوره ، الذي كان بوسعه أن يكون أكثر أثر ووطأة لو لم يعوزه الإستقرار السّياسي والمؤسّساتي في كثير من الأحيان .

لكنّه في المقابل لا بدّ من الإقرار بأهمّية جهود الأيّوبيين في توثيق العلاقات السّياسيّة والمؤسّساتيّة بين النّظام القائم في بلاد اليمن والحكم المركزي في مصر ، فضلا عمّا كانت عرفته أكثر مناطق هذا الإقليم طوال ذلك العهد من عودة إلى حضيرة الخلافة العبّاسيّة السنّية، بعد إنضوائها تحت لواء نظام سياسي مركزي موحّد بزعامة الأسرة الأيّوبيّة ، التي نجحت رغم كلّ الصّعوبات التي إعترضتها في القضاء على أغلب الكيانات السّياسيّة والمذهبيّة المستقلّة بهذا البلد وإن ظلّت الحركة الزّيديّة خلافا لبقيّة الكيانات السّياسيّة الأخرى رافعة للواء المعارضة والتحدّي في وجه سلطان بني أيّوب ، الذّي عجز من جهته عن إقصائها لتتمكّن هذه الحركة في الأثناء من إحتلال موقع بارز وفعّال في الخارطة السّياسيّة لبلاد اليمن طوال ذلك العهد .

أمّا على المستوى الإقتصادي فقد كان للحضور الأيّوبي ببلاد اليمن أثره الجليّ فيما عرفه هذا البلد من إنتعاشة إقتصاديّة شاملة أو تكاد، بفضل السّياسة التّنظيميّة المحكمة، التي إنتهجها رجال الدولة الأيّوبيّة قصد تنشيط القاعدة الإقتصاديّة لبلاد اليمن والإستفادة منها على أحسن وجه . فكان أن إزدهرت الحركة التّجاريّة الخارجيّة منها والدّاخليّة بهذا الإقليم ، بعد أن تدعّم موقعه من تجارة الشّرق الغنيّة التي كانت عدن تمثّل أبرز محطّاتها طوال ذلك العهد. وهو ما إنعكس إيجابا على وسائل التّبادل التّجاري من عملة وموازين ومكاييل، التي كانت عرفت بدورها كثيرا من التطوّر والتّنظيم بفضل جهود الأيّوبيين السّاعية إلى ملاءمة النظّام التّجاري والنّقدي ببلاد اليمن وتطوّر التّنظيمات التّجاريّة والماليّة الحاصلة في غيرها من البلاد الإسلاميّة شأن مصر وبلاد الشّام والحجاز التّي كانت خاضعة بدورها إلى النّفوذ الأيّوبي .

كما كان لحالة الإنتعاش التّجاري الواضحة ببلاد اليمن زمن حكم بني أيّوب آثارها الإيجابيّة فيما شهده ميدان الحرف والصّنائع بهذا الإقليم من حيويّة وإزدهار جليّين بإتّساع شبكة الأسواق في الدّاخل والخارج ، إضافة إلى ما كانت حظيت به هذه الأنشطة الإقتصاديّة الهامّة من ظروف عديدة ملائمة كوجود رصيد كاف من المهارات والطّاقات البشريّة المتخصّصة و توفّر مخزون هائل من المواد الخام الأوّليّة اللاّزمة لمختلف الأنشطة الصّناعيّة والحرفيّة .

ولأنّ كل نهضة إقتصاديّة في أيّ بلاد ما وفي أيّ عصر من العصور لا بدّ أن تأخذ بعين الإعتبار أهمّية الأنشطة الفلاحيّة، بإعتبارها القاعدة الإقتصاديّة الأساسيّة التي ترتكز إليها البنية الإقتصاديّة عامّة ، فقد عاشت الفلاحة اليمنيّة طوال العهد الأيّوبي كثيرا من الإزدهار والحيويّة بفضل ما توفّر لها من ظروف طبيعيّة ملائمة وطاقات بشريّة كافية .إضافة إلى جهود رجال الدّولة الأيّوبيّة الذين وإن كانت تنظيماتهم قد أتت في بعض الأحيان غير مستجيبة لتطلّعات الفلاّح اليمني ومتعارضة مع طموحاته ، فإنّ سياستهم في هذا المجال لم تخلو من مظاهر الإنشاء والتّعمير بغية الإستفادة من العائدات الفلاحيّة الهامّة التي يوفّرها هذا الإقليم .

لذلك كان لا بدّ أن يتنامى الإنتاج الزّراعي ويتنوّع بما توفّر له من مناخ مطير وتربة غنيّة ، لاسيما بالجهات السّهليّة السّاحليّة وفي القيعان والأودية التي تتخلّل السّلاسل الجبليّة الممتدّة . إلى جانب وجود رصيد كاف من التّجهيزات لتوريد الطّاقة المائيّة والتحكّم فيها، شأن الخزّانات والآبار والسّدود والعيون والأقنية . وهو ما عاد في الأثناء بالفائدة على الثّروة الحيوانيّة بهذا البلد ، حيث تنامى القطيع وتنوّع بتوفّر المادّة العلفيّة الكافية والعناية اللاّزمة . في حين كان إشراف بلاد اليمن على واجهتين بحريّتين هامّتين ، بحر العرب من ناحية الجنوب والبحر الأحمر من جهة الغرب ، كافيا لجعل هذا الإقليم يحظى دون غيره من أقاليم شبه الجزيرة العربيّة بثروة سمكيّة هامّة عزّزت إنتاجه الفلاحي وزادت من نجاعته في البنية الإقتصاديّة عامّة.

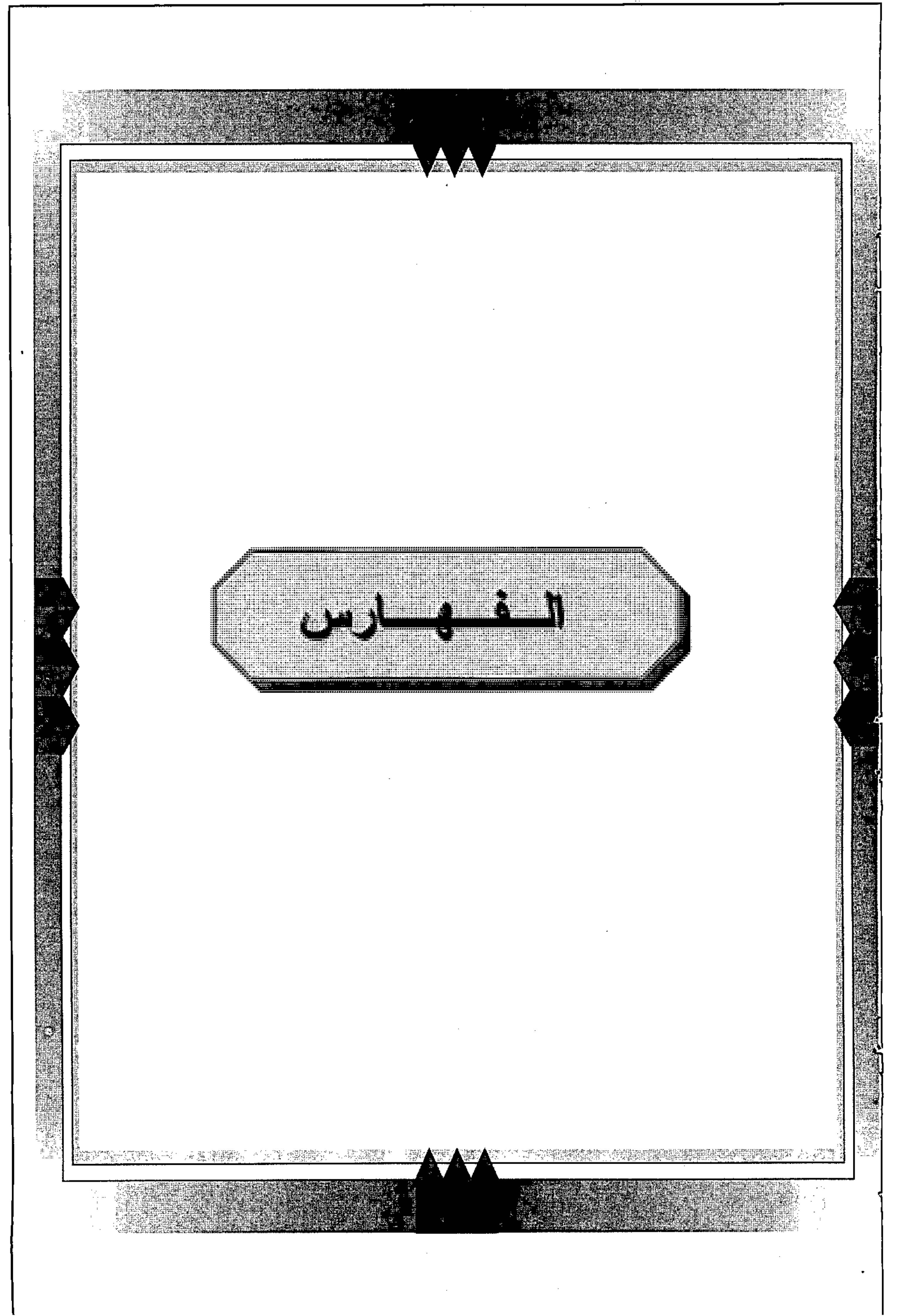
أمّا على المستوى الحضاري فقد كان للحضور الأيّوبي ببلاد اليمن أثره البليغ فيما عرفته عديد الظّواهر الإجتماعيّة والثّقافيّة والعمرانيّة بهذا البلد من تطوّر وديناميّة ، وذلك لما كان توفّر لها من مناخ سياسي وإقتصادي ملائم فضلا عن توجّهات السّياسة الأيّوبيّة في هذا المضمار ، والتي كانت في جانب كبير منها متضمّنة لمشروع حضاري متعدّد الأبعاد والمناحي .

فبدخول البلاد اليمنيّة تحت الحكم الأيّوبي شهدت الحياة الإجتماعيّة بها شيئا من الدّيناميّة بإنضمام عناصر إجتماعيّة جديدة لتركيبة المجتمع اليمني ، وقد تمثّلت هذه العناصر أساسا في أفراد الأسرة الأيّوبيّة ومن حولهم من العناصر المملوكة التي كانت رافقتهم إلى هذا الإقليم على إمتداد ذلك العصر . غير أنّ هذا الإنضمام لم يكن شرطا كافيا لتحقيق الإندماج اللاّزم بين بقيّة فئات المجتمع لا سيما من العرب ، ليظلّ الأيّوبيون ومن والاهم من المماليك في عزلة من أمرهم تعوزهم رابطة الدّم والجنس إزاء سكّان البلاد الأصليين .

أمّا على مستوى البنى السّلوكيّة وأشكال الحياة الإجتماعيّة فقد بدا أهل اليمن طوال العهد الأيّوبي على درجة عالية من الثّراء الثّقافي الإجتماعي ، كما تعكس ذلك أنماط العيش المتنوّعة والمختلفة، والتي كانت تترجم في جوهرها عن العمق التّاريخي للمخزون الثّقافي اليمني، الذّي ما أنفكّ يتدعّم خلال ذلك العهد بالإنفتاح الواسع لهذا البلد على التّأثيرات الحضاريّة الخارجيّة .

وفي الأثناء كانت الحياة الثّقافيّة قد سايرت بدورها موجة التطوّر التّي كانت شهدتها بلاد اليمن طوال ذلك العصر بتوجيه من السّياسة الأيّوبيّة، التي كانت من أوكد إستراتيجيّاتها العمل على تكريس الفكر السّني ومحاربة المذاهب الشّيعيّة بهذا البلد . لذلك إزدهرت مختلف العلوم لاسيما اللّغويّة والدّينيّة منها بفضل تطوّر نظام التّعليم، بعد الإنتشار الواسع لظاهرة المدارس بهذا الإقليم ، في حين كانت الحياة العقليّة قد تدعّمت في الأثناء بظهور العديد من التيّارات الفكريّة والفلسفيّة الهامّة ، شأن حركات التصوّف ومذهب الأشعري ، وغير ذلك من الأنماط الفكريّة والمذهبيّة التي لاقت رواجا وقبولا ببلاد اليمن طوال ذلك العهد .

وأخيرا ، كانت سياسة الإنشاء والتّعمير التي دأب عليها رجال الدّولة الأيّوبيّة بهذا الإقليم خير حافز لما عاشته الظّاهرة العمرانيّة ببلاد اليمن طوال تلك المرحلة المتميّزة من تاريخها من حيويّة وإزدهار ظاهرين ، كما يعكس ذلك الرّصيد المعماري الغزير والمتنوّع الذّي تعود جذوره إلى ذلك العصر ، والذّي جاء في جانب كبير منه عاكسا للبعد الحضاري الشّمولي الذّي تضمّنته السّياسة الأيّوبيّة بهذا الجزء من بلاد العرب .


الفهارس

فهــرس المصــادر والمــراجــع

I - الــمــصــــادر

أ - المصادر المخطوطة :

إبن أحمد (عزّ الدّين محمّد) كان موجودا بعد سنة 849هـ / 1446م

1 - **كتاب التّرجمان المفتّح لكمائم البستان الجامع لأسماء جماهير الصّحابة والتّابعين والأئمّة السّابقين** ، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم Glas.28.

الآمدي (خضر) ت سنة 937هـ / 1531 م

2 - **نزهة النّاظر وراحة الخاطر في جمع التّواريخ من كتاب غاية المطلوب في تاريخ بني أيّوب** ، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم Mixt.355.

إبن البارزي (أبو محمّد عبد الرّحيم الحموي) ت سنة 683هـ / 1284 م

3 - **كتاب مداولة الأيّام ومماثلة الأحلام في علم التّاريخ** ، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم A.F 406 .

إبن حمزة (الإمام عبد الله) ت سنة 614هـ / 1217 م

4 - **الدّعوة السّريعة العامّة** ، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم Glas. 118.

5 - **الأجوبة الكافية بالأدلّة الشّافية عمّا سأل عنه الشّريف الفاضل نورالدّين الحسن بن يحي بن عبد الله بن سليمان بن الهادي إلى الحقّ الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة** ، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم Glas.119.

الكبسي (محمّد بن إسماعيل الصّنعاني) ت سنة 1308هـ / 1890 م

6 - **اللّطائف السنّية في أخبار الممالك اليمنيّة**، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم 96 .Glas .

المحلّي (حسام الدّين حميد) ت بعد سنة 652 هـ / 1254 م

7 - **الحدائق الورديّة في مناقب أئمّة الزّيديّة** ، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم 116 .Glas .

إبن يوسف (إسحاق) ت بعد سنة 1184هـ / 1770م

8 - **الحدائق في أخبار ذوي السّوابق من آل الرّسول** ، مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنيّة بفينّا تحت رقم 14 .Glas.

ب - المصادر المطبوعة :

إبن أبي ربيعة (عمر) ت سنة 93 هـ / 712 م

1 - **ديوان عمر بن أبي ربيعة** ، بيروت 1971م .

إبن الأثير (عزّالدّين) ت سنة 632 هـ / 1233 م

2 - **التّاريخ الباهر في الدّولة الأتابكيّة** ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة 1963 م .

3 - **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ودار بيروت للنشر ، بيرورت 1965 - 1967 م .

الإدريسي (محمّد) ت سنة 560 هـ / 1166 م

4 - **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** ،" جزيرة العرب " ، تحقيق إبراهيم شوكة ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد 1971م .

الأشـرف الرّسولي (ممهّد الدّين) ت سنة 696 هـ / 1296 م

5 - **طـرفة الأصحاب في معرفة الأنساب** ، تحقيـق ك .و. ستـرستين ، مطبعة الترقّي ، دمشق 1949 م .

الأشعري (أبو الحسن علي) ت سنة 324 هـ / 936 م

6 - **مـقـالات الإسلاميين وإختلاف المصلّين** ، تحقيق هلموت ريتر ، الطّبعة الثالثة، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن ، ألمانيا 1980 م .
7 - **الإبانة عن أصول السنّة والدّيانة** ، القاهرة 1348هـ .

الأصفهاني (أبو الفرج علي) ت سنة 357 هـ / 967 م

8 - **كتاب الأغاني** ، تحقيق علي السّباعي ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، القاهرة 1394 هـ / 1974 م .

الأصفهاني (عماد الدّين) ت 597 هـ / 1206 م

9 - **خريدة القصر وجريدة العصر** ، قسم شعراء الشّام ، تحقيق شكري فيصل ، المطبعة الهاشميّة ، دمشق 1955 م .
10 - **الفتح القسّي في الفتح القدسي** ، تحقيق محمّد محمود ، الدّارالقوميّة للطّباعة والنشر ، القاهرة 1965 م .

الإصطخري (أبو إسحاق الفارسي) ت سنة 340 هـ / 951 م

11 - **المسالك والممالك** ، طبعة الأوفسيت ، دار المثنّى ، بغداد (د. ت).

الأهدل (بدر الدّين الحسين) ت سنة 855 هـ / 1451 م

12 - نخب من " **تحفة الزّمن في تاريخ سادات اليمن** " منشورة مع " **تاريخ ثغرعدن**" لأبي مخرمة ، الطّبعة الثانيّة ، مطبعة مدبولي القاهرة 1991 م.

إبن إيّاس (محمّد) ت سنة 930 هـ / 1524 م

13 - **بدائع الزّهور في وقائع الدّهور** ، تحقيق محمّد مصطفى ، القاهـرة 1975 م .

إبن أيبك الدّوادار (عبد اللّه) ت بعد سنة 736 هـ / 1335 م

14 - **الدرّة المضيّة في أخبار الدّولة الفاطميّة** ، الجزء السّادس من كنز الدّرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجّد ، المعهد الألماني للآثار ، القاهرة 1961 م .

15 - **الدرّ المطوب في أخبار بني أيّوب** ، الجزء السّابع من كنز الدّرر وجامع الغرر ، تحقيق سعيد عبد الفتّاح عاشور، المعهد الألماني للآثار القاهرة 1972 م .

الأيّوبي (تقيّ الدّين عمر) ت سنة 617 هـ/ 1220 م

16 - **مضمار الحقائق وسرّ الخلائق** ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة (د.ت) .

البخاري (محمّد) ت سنة 256 هـ / 869 م

17 - **صحيح البخاري** ، دار الدّعوة ، أسطمبول ، 1401هـ/ 1981م .

البكري (أبو عبيد) ت سنة 487 هـ / 1080 م

18 - **معجم ما أستعجم** ، القاهرة 1945م .

19 - **الممالك والمسالك** ، الجزء الخاصّ بجزيرة العرب ، تحقيق عبد اللّه غنيم ، الكويت 1397هـ .

البغدادي (صفيّ الدّين) ت سنة 739 هـ / 1340 م

20 - **مراصد الإطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، دارالجيل بيروت 1992 م .

البدليسي (الأميرشرف خان) كان موجودا حتّى سنة 1005هـ/1596 م

21 - **الشّرفنامه في تاريخ الدّول والإمارات الكرديّة** ،(مؤلّف باللّغة الفارسيّة) نقله إلى العربيّة وعلّق عليه ملا جميل بندي الرّوژبياني وقام بطبعه عبد العزيز الدبّاس بمساعدة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة النجاح بغداد 1372 هـ/ 1953 م .

إبن بطّوطة (محمّد) ت بعد سنة 770 هـ/ 1369 م

22 - **تحفة النظّارفي غرائب الأمصاروعجائب الأسفار**، دارصادر بيرورت 1964م .

البلاذري (أحمد) ت سنة 279 هـ / 892 م

23 - **فتوح البلدان** ، تحقيق عبد اللّه أنيس الطبّاع وعمر أنيس الطبّاع منشورات مؤسّسة المعارف ، بيروت1987 م .

البلخي (أبو القاسم عبد اللّه) ت سنة 319 هـ / 931 م

24 - **فضل الإعتزال والمعتزلة** ، تحقيق فؤاد سيّد ، الدّار التّونسيّة للنشّر ، تونس 1974 م .

التجّيبي (القاسم) ت سنة 730هـ/1329 م

25 - **مستفاد الرّحلة والإغتراب** ، مطبعة الشّركة التّونسيّة لفنون الرّسم ، تونس 1395هـ / 1975م .

إبن تغري بردي (جمال الدّين) ت سنة 874 هـ / 1469 م

26 - **النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، تحقيق محمّد حسين شمس الدّين ، دار الكتب العلميّة بيروت 1992 م .

الجاحظ (أبو عمرو عثمان) ت سنة 255 هـ / 868 م

27 - **البيـــان والتّبييــن** ، بيروت 1968م .
28 - **التبـصّر بالتّجــارة** ، الطّبعة الثانية و المطبعة الرحمانية القاهرة 1935م .

إبن جبير (محمّد) ت سنة 614 هـ/ 1217 م

29 - **تذكرة بالأخبار عن إتّفاقات الأسفار** ، 1388هـ/ 1964 م .

الجزيري (عبد القادر الأنصاري) ت حوالي سنة 977 هـ/ 1569 م

30 - **الدّررالفـرائــد المنظّمــة في أخـبــار الحــاج وطريــق مكّــة المـعــظّمــة** ، القاهرة 1384 هـ .

الجندي (بهاء الدّين محمّد) ت سنة 732 هـ / 1332 م

31 - **أخبار القرامطة باليمن** ، قطعة من كتاب السّلوك أعاد نشرها حسن سليمـــان محمود مع كتاب " **تاريخ اليمن** " لعمارة اليمني ، القاهرة 1957.
32 - نخب من كتاب " **السّلوك في طبقات العلماء والملــوك** "، أعــاد نشرهـــا لوفــفــرين مع كــتـــاب " **تاريخ ثغــر عــدن** " لأبي مـــخــرمـــة ، الطّبــعـــة الثــانيــة مكتبة مدبولي القاهرة ، 1991 م .

إبن الجوزيّ (أبو الفرج عبد الرّحمان) ت سنة 597 هـ / 1201 م

33 - **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، الطّبــعـــة الأولى ، مطبــعـــة دائرة المــعـــارف العثمانيّة ، حيدرآباد الدّكن ، 1359م .

إبن حاتم (محمّد اليامي) كان موجودا حتّى سنة 702 هـ / 1302 م

34 - **السّــمط الغــالي الثّــمن في أخبــارالملوك من الغــزّ بــاليــمن** ، تحــقــيق ج.ركس . سميث كمبردج 1974 م .

حاجي خليفة (مصطفى) ت سنة 1017 هـ / 1611 م

35 - **كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون** ،دار الفكر، دمشق 1402هـ/ 1982م .

إبن حبيب (محمّد) ت سنة 245 هـ / 859-860 م

36 - **كتاب المحبّر**، مطبعة دائرة المعارف العثمانيّة ، حيدر آباد الدّكن، 1384هـ/ 1942م .

إبن الحسين (يحي) ت سنة 1100 هـ / 1688 م

37 - **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** ، تحقيق سعيد عبد الفتّاح عاشور ومراجعة محمّد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي للطّباعة و النشر، القاهرة 1968 م .

الحميري (محمّد) ت سنة 727 هـ / 1327 م

38 - **الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عبّاس ،مكتبة لبنان ، بيروت 1975 م .

إبن حنبل (الإمام أحمد) ت سنة 241 هـ / 855 م

39 - **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1403هـ/ 1983م .

الحنبلي (أحمد بن إبراهيم) ت سنة 876 هـ / 1472 م

40 - **شفاء القلوب في أخبار بني أيّوب**، تحقيق ناظم رشيد ، مطبعة دار الحريّة ، بغداد 1978 م .

الحنبلي (عبد الحيّ) ت سنة 1089 هـ / 1678 م

41 - **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب** ، المكتب التّجاري للطّباعة والنشر، بيروت (د .ت) .

إبن حوقل (محمّد) ت بعد سنة 366 هـ / 977 م

42 - **صورة الأرض** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (د . ت) .

إبن خرداذبة (عبيد اللّه) ت سنة 300 هـ / 912 م

43 - **المسالك والممالك** ، طبعة ديغويه ، بريل ليدن1889م.

الخزرجي (موفّق الدّين) ت سنة 812 هـ / 1410 م

44 - **العقود اللّؤلؤيّة في تاريخ الدّولة الرّسوليّة** ، تحقيق محمّد بسيوني عسل ، مركز الدّراسات والبحوث اليمني بصنعاء ، نشر دار الآداب بيروت 1983م .

45 - **اليمن في عهد الولاّة** ، الفصول الخمسة الأولى من الباب الرّابع من الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام ، تحقيق راضي دغفوس، **الكرّاسات التّونسية** 1979 م .

خسرو (ناصر) ت سنة 488 هـ / 1081 م

46 - **سفر نامة : رحلة إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربيّة في القرن الخامس للهجرة** ، ترجمة يحي خشّاب ، بيروت 1970م .

47 - **جزيرة العرب كما رآها ناصر خسرو** ، ترجمة أحمد البدلي ، مجلّة كلّية الآداب مجلّد 6 جامعة الرّياض ، 1979م .

إبن خلدون (عبد الرّحمان) ت سنة 808 هـ/ 1406 م

48 - **كتاب العبر والمتبدأ و الخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر** ، دار إحياء التّراث العربي بيروت 1971 م.

إبن خلكان (شمس الدّين) ت سنة 681 هـ / 1282 م

49 - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان** ، تحقيق إحسان عبّاس ، دار صادر بيروت 1972 م .

إبن دقماق (إبراهيم) ت سنة 809 هـ / 1406 م

50 - **الجوهر الثّمين في سير الملوك والخلفاء والسّلاطين** ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة 1983 م .

الدّيار البكري (حسين) ت سنة 966 هـ / 1558 م - 1559 م .

51 - **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس** ، مؤسّسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت (د.ت) .

إبن الدّيبع (عبد الرّحمان) ت سنة 944 هـ / 1537 م

52 - **قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون** ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحوالي ، المطبعة السّلفيّة ، القاهرة 1977م .

53 - **بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** ، تحقيق عبد الله الحبشي ، مركز الدّراسات اليمنيّة ، صنعاء 1979م .

الذّهبي (شمس الدّين) ت سنة 748 هـ / 1347 م

54 - **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق صلاح الدّين المنجد ، الكويت 1963 م .

55 - **دول الإسلام** ، تحقيق فهيم شلتوت ومحمّد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، القاهرة 1974 م .

56 - **تذكرة الحفّاظ** ، حيدر آباد الدّكن ، الهند 1388هـ .

الرّازي (أحمد) ت سنة 460 هـ / 1068 م

57 - **تاريخ مدينة صنعاء** ، تحقيق حسين بن عبد اللّه العمري ، الطّبعة الثانية ، صنعاء 1981 م .

إبن رسته (أبو علي أحمد) ت حوالي سنة 332 هـ / 943 م

58 - **كتاب الأعلاق النّفيسة** ، طبعة بريل ليدن 1967م .

الزّبيدي (محمّد المرتضى) ت سنة 1205 هـ / 1790 م

59 - **ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيّوب** ، تحقيق صلاح الدّين المنجّد ، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة ، دمشق 1969 م .

60 - **تاج العروس من جواهر القاموس** ، المطبعة الخيريّة ، القاهرة 1307هـ .

سبط ابن الجوزيّ (أبو المظفّر يوسف) ت سنة 654 هـ / 1256 م

61 - **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** ، حيدر آباد الدّكن، الهند 1337 هـ- 1339 هـ .

السّبكي (تاج الدّين) ت سنة 771 هـ / 1369 م

62 - **طبقات الشافعيّة الكبرى** ، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطّناحي ، دار إحياء الكتب العربيّة ، القاهرة 1963 - 1976 م .

السجلاّت المستنصريّة

63 - **سجلاّت وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر باللّه أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه إلى دعاة اليمن** ، تحقيق عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1954 م .

إبن سعد (محمّد) ت سنة 230 هـ / 844 م

64 - **الطّبقات الكبرى** ، دار صادر ، بيروت 1968م .

إبن سعيد (أبو الحسن علي المغربي) ت سنة 685 هـ / 1286 م

65 - **كتاب الجغرافيا** ، تحقيق إسماعيل العربي ، بيروت 1970م .

إبن سمرة (عمــر) ت سنة 586 هـ / 1190 م

66 - **طبقات فقهاء اليمن** ، تحقيق فؤاد سيّد ، القاهرة 1957 م .

إبن سيدة (علي) ت سنة 458 هـ / 1031 م

67 - **المخصّص** ، المكتب التّجاري ، بيروت (د.ت).

السّيوطي (جلال الدّين) ت سنة 911 هـ / 1505 م

68 - **حسن المحاضـرة في تاريخ مصر والقاهــرة** ، تحقيــق مــحمّد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1967 م .

إبن شاكر (محمد الكتبيّ) ت سنة 764 هـ / 1362 م

69 - **فـوات الوفـيــات والذّيل عليـهــا** ، تحـقــيق إحــســان عــبّــاس ، دار صــادر، بيــروت 1973 - 1974 م.

أبو شامة (شهاب الدّين المقدسي) ت سنة 665 هـ / 1267 م

70 - **الرّوضتين في أخبار الدّولتين** ، تحقيق محمّد حلمــي محمّد أحمــد ، المــؤسسة المصرية العامّة ، القاهرة 1962 م .

71 - **ذيل الرّوضــتين**، تحقيق عزّت العطّار الحسيني ، دار الجيل بيروت 1974 م .

إبن شــاهيــن (غــرس الدّين خليل) ت سنة 873 هـ / 1467 م.

72 - **زبدة كشف الممالك وبيان الطّرق والمسالك** ، تحقيق بال رافيس ، باريس 1891 م .

إبن شبّة (عمر) ت سنة 262هـ / 876 م

73 - **تاريخ المدينة** ، تحقيق فهيم شلتوت ، جدّة 1393هـ .

إبن شدّاد (بهاء الدّين) ت سنة 632 هـ / 1239 م

74 - **النّوادر السّلطانيّة والمحاسن اليوسفيّة** ، تقديم محمّد درويش ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق 1979 م .

إبن شدّاد (عز الدّين) ت سنة 684 هـ / 1281 م

75 - **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة** ، تحقيق سامي الدّهان ، المعهد الفرنسي للدّراسات العربيّة ، دمشق 1962 م .

الشّهرستاني (محمد) ت سنة 548 هـ / 1153 م

76 - **الملل والنّحل** ، تحقيق الشيخ أحمد فهمي محمّد ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة 1948 م .

الصّفدي (صلاح الدين) ت سنة 764 هـ/ 1363 م

77 - **الوافي بالوفيات** ، تحقيق هلموت ريتر، دار النشر فرانز شتايز بفسبادن ، ألمانيا 1962 م .

78 - **نكت الهيمان** ، المطبعة الجماليّة ، القاهرة 1911م .

طا شكبرى زادة (أحمد)   ت سنة 968 هـ / 1561 م

79 - **مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم**، مراجعة وتحقيق كامل بكري وعبد الوهّاب أبي النّور ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة 1968م .

الطّبري (أبو جعفر محمّد) ت سنة 310 هـ / 922 م

80 - **تاريخ الرّسل والملوك** ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة 1968م

إبن ظافر (جمال الدّين) ت سنة 612 هـ / 1215 م

81 - **أخبار الدّول المنقطعة** ، تقديم أندريه فرّيه، المعهد العلمي الفرنسّي للآثار الشرقية ، القاهرة 1972 م .

إبن العبري (غريغوريوس) 688 هـ / 1286 م

82 - **تاريخ مختصر الدّول** ، المطبعة الكاثوليكيّة ، بيروت 1958 م .

العبدري (محمّد) من أعلام القرن السّابع هجري /الثّالث عشرميلادي

83 - **رحلة العبدري** ، تحقيق محمّد الفاسي ، الرّباط 1968 م .

إبن عبد المجيد (عبد الباقي اليماني) ت سنة 743 هـ/ 1343 م

84 - **بهجة الزّمن في تاريخ اليمن** ، تحقيق مصطفى حجازي ، دار الكلمة صنعاء 1985 م .

أبو عبيدة (معمّر بن المثنّى) ت سنة 207 هـ / 821 م

85 - **كتاب نقائض جرير والفرزدق**، طبعة ليدن بريل سنة 1908 - 1909 م .

إبن عربي (محيّ الدّين محمّد) ت سنة 638 هـ / 1240م

86 - **الفتوحات المكيّة** ، طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى ، القاهرة (د . ت)

العرشاني (سرّي) ت سنة 626 هـ/ 1229 م

87 - **كتاب " الإختصاص " المعروف بذيل تاريخ مدينة صنعاء** ، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ، صنعاء 1981 م .

العرشي (حسين بن أحمد) ت سنة 1329 هـ / 1911 م

88 - **بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام** ، تحقيق ونشر الأب أنستاس الكرملي ، القاهرة 1939م .

العلوي (محمّد) توفّي خلال القرن الرّابع هجري / العاشر ميلادي

89 - **سيرة الإمام الهادي إلى الحقّ** ، تحقيق سهيل زكّار ، دار الفكر للطّباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1981 م .

عمارة اليمني (نجم الدّين) ت سنة 569 هـ / 1174 م

90 - **تاريخ اليمن** ، تحقيق علي الأكوع الحوالي ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة القاهرة 1976 م .

91 - **النكت العصريّة في أخبار الوزراء المصريّة** ، تحقيق هرتويغ درنبرغ ، شالون بفرنسا 1897 م .

عماد الدّين (إدريس) ت سنة 872 هـ / 1467 م

92 - **عيون الأخبار وفنون الآثار** ، تحقيق مصطفى غالب ، دار الأندلس بيروت 1984 م .

العمري (شهاب الدّين) ت سنة 749 هـ/ 1349 م

93 - **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، تحقيق أيمن فؤاد سيّد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة 1985م .

94 - **التّعريف بالمصطلح الشّريف** ، القاهرة 1312 هـ .

العيني (بدر الدّين) ت سنة 855 هـ/ 1451 م

95 - **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** ، تحقيق محمّد محمّد أمين ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، القاهرة 1987م .

الغزالي (أبو حامد محمّد) ت سنة 501 هـ/ 1111 م

96 - آداب **المتعلّمين ورسائل أخرى في التّربية الإسلاميّة** ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ، بيروت1967 م .

الفاسي (تقّي الدّين) ت سنة 832 هـ / 1429 م

97 - **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ، تحقيق عمر عبد السّلام التّدمري ، دار الكتاب العربي بيروت 1985 م .

98 - **العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين** ، تحقيق فؤاد سيّد ، مطبعة السّنة المحمّديّة ، القاهرة 1964 م .

إبن الفراك (محمّد) ت سنة 807 م / 1405 م

99 - **تاريخ الدّول والملوك** ، تحقيق حسن محمد الشمّاع ، مطبعة حدّاد ، البصرة 1967 م .

أبو الفدا (الملك المؤيّد إسماعيل) ت سنة 732 هـ / 1331 م

100 - **المختصر في تاريخ البشر** ، المطبعة الحسينيّة ، القاهرة 1323 هـ .
101 - **كتاب تقويم البلدان** ، تحقيـــــق والبارون ماك كوكين ديسلان ، دار الطّباعة السّلطانيّة باريس 1840 م .

إبن الفقيه (أحمد الهمذاني) عاش خلال القرن الثالث هجري / العاشر ميلادي

102 - **مختصر كتاب البلدان** ، نشر ديغويه، بريل ليدن 1885م .

إبن فهد (النّجم عمر) ت سنة 885 هـ / 1480 م

103 - **إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى** ، سفنكس للطّباعة ، القاهرة 1983 م .

إبن قاضي شهبة (بدر الدّين) ت سنة 874هـ / 1470 م

104 - **الكواكب الدرّية في السّيرة النّورية** ، تحقيق محمود زايد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت 1971 م .

إبن قتيبة (عبد الله الدّينوري) ت سنة 276 هـ / 889 م

105 - **الشّعر والشّعراء** ، بيروت 1401هـ/ 1981م .
106 - **المعـــــارف** ، القاهرة 1388هـ .

القرماني (أبو العبّاس أحمد) ت سنة 1019 هـ / 1610 م

107 - **أخبار الدّول وآثار الأول** ، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد ، الطّبعة الأولى ، دار عالم الكتب ، بيروت 1992 .

القزويني (زكرياء) ت سنة 682 هـ / 1283 م

108 - **آثار البلاد وأخبار العباد** ، دار صادر بيروت 1960 م .
109 - **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات** ، سوسة (د . ت) .

إبن القلانسي (حمزة) ت سنة 555 هـ / 1160 م

110 - **ذيل تاريخ دمشق** ، تحقيق آمدروز ، بيروت 1980 م .

القلقشندي (شهاب الدين) ت سنة 821 هـ / 1418 م

111 - **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، طبعة دار الكتب المصريّة ، القاهرة 1912 - 1938 .

إبن كثير (عماد الدّين) ت سنة 744هـ / 1372 م

112 - **البداية والنّهاية في التاريخ** ، مطبعة السعادة ، القاهرة (د . ت) .

إبن ماجد (شهاب الدّين) من أعلام القرن التّاسع هجري / الخامس عشر ميلادي

113 - **كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد** ، تحقيق إبراهيم خوري وعزّة حسن ، مطبوعات معجم اللّغة العربيّة ، دمشق 1971 م .

المجاهد الرّسولي (السّلطان علي بن داود) ت 764 هـ / 1363 م .

114 - **الأقوال الكافية والفصول الشّافية في الخيل** ، تحقيق يحي وهيب الجبوري ، بيروت 1987م .

إبن المجاور (جمال الدّين) ت سنة 630هـ / 1232 م

115 - **تاريخ المستبصر** ، تصحيح وضبط أوسكار لوفغرين ، ليدن 1951 م .

أبو مخرمة (عبد اللّه) ت سنة 947 هـ / 1540 م

116 - **تاريخ ثغر عدن** ، الطّبعة الثانية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة سنة 1991 م .

الماوردي (أبو الحسن علي) ت سنة 450 هـ / 1058 م

117 - **الأحكام السّلطانيّة والولايات الدّينيّة** ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1410 هـ/ 1990م .

118 - **حاوية الإختصار في أصول علم البحار** ، تحقيق إبراهيم خوري ،
Bulletin d'Etudes Orientales, TXXIV, Damas, (1971) pp 249-383 .

119 - **ثلاث أزهار في معرفة البحار**، تحقيق ونشر تيودور شوموفسكي ، ترجمة وتعليق محمّد منير مرسي ، القاهرة 1989 م .

ماركوبولو ت سنة 725 هـ / 1324 م

120 - **رحلات ماركوبولو** ، ج1 - 3 ، تعريب عبد العزيز جاويد عن ترجمة أنقليزيّة لوليم مارسدن ، القاهرة 1995 - 1996 م .

المسعودي (أبو الحسن علي) ت سنة 346 هـ / 1295 م

121 - **مروج الذّهب ومعادن الجوهر** ، مراجعة وتعليق محمّد محيّ الدّين عبد الحميد ، دار للطّبع والنشر ، القاهرة 195 م .

المبرّد (محمّد) ت سنة 285 هـ / 898 م

122 - **الكامل في اللّغة والأدب** ، مطبعة حجازي القاهرة 1365هـ .

المقريزي (تقيّ الدّين) ت سنة 845 هـ / 1441 م

123 - **إتّعاظ الحنفا بأخبار الأيّمة الفاطميّين الخلفا** ، الجزء الأوّل تحقيق جمال الدّين الشيّال والجزءان الثاني والثالث تحقيق محمد حلمي محمّد أحمد ، القاهرة 1948 م ، 1973 م .

124 - **الذّهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك** ، تحقيق جمال الدّين الشيّال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة 1955 م .

125 - **المقفّى الكبير**، تحقيق محمّد اليعلاوي ، دارالغرب الإسلامي ، بيروت 1991م.

126 - **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار** ، مطبعة بولاق ، 1270 هـ .

127 - **السّلوك لمعرفة دول الملوك** ، الجزءان الأوّل والثّاني ، تحقيق محمّد مصطفى زيادة ، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر ، القاهرة 1956 م .

128 - **النقّود الإسلاميّة** ، نشر القاهرة 1914 م .

المظفّر الرّسولي (يوسف) ت سنة 694 هـ / 1295 م

129 - **المعتمد في الأدوية** ، تحقيق مصطفى السقّا ، بيروت1982 م .

المقدّسي (محمّد) ت بعد سنة 377 هـ / 987 م

130 - **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم** ، الطّبعة الثالثة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1991 م .

المرزوقي (أبو علي الإصفهاني) كان موجودا حتّى سنة 453 هـ / 1061 م

131 - **كتاب الأزمنة والأمكنة** ، حيدر آباد الدكن ، الهند 1332هـ .

إبن مماتي (أسعد) ت سنة 606هـ / 1209 م

132 - **كتاب قوانين الدّواوين** ، حقّقه عزيز سوريال عطيّة ، الجمعيّة الملكيّة الزّراعيّة ، القاهرة 1943 م .

إبن منظور (جمال الدّين محمّد) ت سنة 711 هـ / 1311 م

133 - **لسان العرب** ، طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق ، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والأنباء والنشر ، الدّار المصريّة للتأليف والترجمة القاهرة (د . ت) .

منوفي (عبد المعطي) ت سنة 1060 هـ / 1650 م

134 - **أخبار الأول فيمن تصرّف في مصر من أرباب الدّول** ، المطبعة اليمنيّة القاهرة 1310هـ .

المهري (سليمان) ت سنة 917 هـ / 1511 م

135 - **العمدة المهريّة في ضبط العلوم البحريّة** ، تحقيق إبراهيم خوري ، دمشق 1970م .

136 - **المنهاج الفاخر في علم البحر الزّاخر**، تحقيق إبراهيم خوري ، دمشق 1970م .

إبن ميسّر (محمّد) ت سنة 677 هـ / 1278 م

137 - **المنتقى من أخبار مصر** ، حقّقه وكتب مقدّمته وحواشيه أيمن فؤاد سيّد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيّة ، القاهرة 1981م .

النّويري (شهاب الدّين) ت سنة 733 هـ / 1333 م

138 - **نهاية الإرب في فنون الأدب** ، حقّقه ووضع حواشيه الدّكتور محمّد محمّد أمين والدّكتور محمّد حلمي محمّد أحمد ، القاهرة 1992م .

إبن هشام (عبد الملك) ت سنة 218هـ/ 812 م

139 - **سيرة النبيّ (ص)** ، مراجعة محمّد محّي الدّين عبد الحميد ، مطبعة حجازي القاهرة 1356 هـ / 1937 م .

الهجري (هارون) ت سنة 313هـ/ 925 م

140 - **التّعليقات والنّوادر** ، تحقيق حمود الحمادي ، بغداد 1981م .

الهمداني (حسن) ت بعد سنة 360هـ/ 970 م

141 - **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحوالي تحت إشراف حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرّياض 1974 م .

142 - **الإكليل** ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع ، ج2 بغداد1980 م . د ج 1 القاهر1383 هـ .

143 - **الجوهرتين العتيقتين** ، تحقيق حمد الجاسر ، صنعاء 1985م .

إبن واصل (جمال الدّين محمّد) ت سنة 697 هـ / 1298 م

144 - **مفرّج الكروب في أخبار بني أيّوب**، ج 1 - 3 تحقيق جمال الدّين الشيّال ، مطبعة جامعة فؤاد ، الطّبعة الأولى ، القاهرة 1953-1960 م ج 4 تحقيق حسنين محمّد ربيع ، دار الكتب القاهرة 1972 م .

إبن الوردي (عز الدّين عمر) ت سنة 749 هـ / 1348 م

145 - **تتمّة المختصر في أخبار البشر**، تحقيق أحمد رفعت البدراوي ، الطّبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت 1970 م .

الوصابي (وجيه الدّين عبد الرّحمان) ت سنة 782 هـ / 1380 م .

146 - **تاريخ وصاب، المسمّى الإعتبار في التّواريخ والآثار** ، تحقيق عبد الله محمّد الحبشي ، الطّبعة الأولى ، مركز الدّراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1979 م .

اليافعي (عبد الله) ت سنة 768 هـ / 1366 م

147 - **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزّمان**، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 1970 م .

ياقوت (الحموي) ت سنة 626 هـ / 1229 م

148 - **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلميّة ، الطّبعة الأولى، بيروت 1990 م .

149 - **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، غونتجن ، جامعة شريفتين 1846 م .

اليعقوبي (أحمد) ت سنة 292 هـ / 905 م

150 - **تاريخ اليعقوبي** ، دار صادر ودار بيروت للطّباعة والنّشر ، بيروت 1379هـ.

151 - **كتاب البلدان** ، ليدن 1967م .

JU-KUA (Chau) VIIème siècle de l'Hégire / XIIIème siècle après J.C .

152 - **Chu-fan-chih , " Descreption of the barbarian peoples "**, trs. and eds. Freiderich Hirth and W.W Rockhill, St. Petersburg 1911, reprint New York 1966 .

II - المراجع

أ - المراجع باللغة العربية :

إبراهيم (الحاج مصطفى)

1 - "بين التاريخ الجغرافي والجغرافيا التاريخية للوطن العربي" ، **مجلة دراسات تاريخية** ، العدد الثاني، دمشق جويلية 1980 م .

أحمد بدوي (أحمد)

2 - **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** ، مطبعة النهضة ، القاهرة 1952م .

أحمد حسن (سامي)

3 - ملامح أثرية من الجامع الكبير بصنعاء" **مجلة كلية الآداب بصنعاء** ، العدد الثاني ، ذو القعدة 1399 هـ / أكتوبر 1979 م

أحمد (أمين حسين)

4 - **الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1983 م .

آشتور (إلياهو)

5 - **التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى** ، ترجمة عبد الهادي عبله ومراجعة أحمد غسان سبانو ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق 1985 م .

آزاد (علي)

6 - "بعض الأسس النظريّة للصّناعات الحربيّة في العهد الأيّوبي والمملوكي"، مجلّة دراسات تاريخيّة عدد 29-30 جوان 1988 م .

الأفغاني (سعيد)

7 - **أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام** ، الطبعة الثانية ، دار الفكر دمشق 1960م .

الأكوع (إسماعيل)

8 - **المدارس الإسلاميّة في اليمن** ، دار الفكر دمشق 1980 م .
9 - " لمحة تاريخيّة عن صنعاء "، **المؤتمر التّاسع للآثار في البلاد العربيّة المنعقد بصنعاء سنة 1980 م** ، طبع بتونس سنة 1985.
10 - " تقرير الجمهوريّة العربيّة اليمنيّة الإسلاميّة في اليمن " ، **المؤتمر التّاسع للآثار** ، صنعاء 1980 م .

أمين (أحمد)

11 - **ضحى الإسلام** ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة سنة 1943 م .

أمين (محمّد)

12 - **صلاح الدّين الأيّوبي بين العبّاسيين والفاطميّين والصّليبيين** ، طبعة أولى ، دار الجديد بيروت 1995 م .

أمين (حسن)

13 - " المدارس الإسلاميّة في العهد العبّاسي وأثرها في تطوير التّعليم " ، **المؤرّخ العربي** ، العدد السّادس ، 1978 م .

الأنصـــاري (عبد الرّحمان الطيّب)

14 - " أثر الفنون العـربيّـة قـبل الإسـلام في الفنّ الإسـلامي " ، **المـؤتمـر التـاسع للآثار في البـلاد العـربيّـة المنعـقـد بصنعـاء سنة 1980 م** ، طبع بتونس سنة 1985 م .

الأنصــــاري (عبد القدّوس)

15 - " الجـزيرة العـربيّـة في رحلتـي ابن جـبيـر والعـبـدريّ "، **دراسات تاريخ الجـزيرة العـربيّـة** ، الكتـاب الأوّل ، الجـزء الثـاني ، جـامعـة الرّياض سنة 1979 م .

البـــاشــــا (حـــسـن)

16 - **الألقـاب الإسـلامـيّـة في التّـاريـخ والوثـائق والآثـار** ، الدار الفـنيّـة القاهرة 1989 م .

بـــاقـــاسي (عائشة)

17 - **بلاد الحـجـاز في العـصـر الأيّوبي** ، الطبـعـة الأولى دار مكّة المكّرمـة للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1980 .

بشيـــــر (بشير إبراهيم)

18 - " ابن المـجـاور : دراسـة تقـويمـيّـة لكتـابه المـسـتبـصـر" ، **دراسات تاريخ الجـزيرة العـربيّـة** ، الكتـاب الأوّل ، الجـزء الثـاني جـامعـة الرّياض سنة 1979م .

البصيلي (شـاطـر)

19 - " التّجارة الكارميّة " ، **المجلة التّاريخية المصرية**، مجلّد 13 (1967 م) .

بكـــــــري (صلاح)

20 - **تاريخ حضرمـوت السّيـاسي** ، الطبـعـة الثـانيـة ، مكتبـة البـابليّ القـاهـــرة سنة 1935 م .

تــــامـــر (عارف)

21 - **أروى بنت اليمن** ، مؤسّسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1986 م .

ترسيسي (عدنان)

22 - **اليمن وحضارة العرب** ، دار مكتبة الحياة بيروت 1969 م .

23 - **بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى** ، بيروت 1990م .

تكريتي (محمود ياسين)

24 - " الأيّوبيـــون في اليـمـن "، **مـجلّة آداب الرّافـدين** ، كليّـــة الآداب بجـامـعـــة الموصل، العدد الثّاني عشر 1400 هـ / 1980 م .

تــــوفــــيق (عمر كمال)

25 - **الدّيبلوماسيّة الإسلاميّة** ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندريّة 1986 م .

الــــــثّور (عبد اللّه)

26 - **هذه هي اليمن** ، مطبعة الإستقلال ، القاهرة 1979 م

جـــــــار اللّه (زهـــدي)

27 - **المعتزلــة** ، القاهرة 1974 م .

الحبشـــــي (محمد عبد الله)

28 - **مراجع تاريخ اليمن** ، منشورات وزارة الثّقافة ، دمشق 1972 م .

29 - **مصادر الفكـر الإسلامي فـي اليمــن** ، مركز الدّراسات اليمنيّة ، صنعاء 1980 م .

30 - **الصّوفيّة والفقهاء فـي اليمن** ، مكتبة الجيل الجديد صنعاء 1976 م .

31 - **حياة الأدب اليمنيّ في عصر بني رسول** ، منشورات دار الشّهباء ، لندن .(د.ت) .

حـــــتّـي (فيلـيب)

32 - **مطوّل تاريخ العــرب** ، دار الكشّــاف للنّشــر والطبــاعـــة والتــوزيع ، بيـــروت سنة 1951 .

الحجـــــــري (محمّـــد)

33 - **مساجد صنعـــاء** ، بيروت 1398 هـ .

الحديثي (نزار عبد اللّطيف)

34 - **أهل اليمن في صدرالإسلام** ، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر (د.ت).

حســـــن (حسين إبراهيم)

35 - " الصّراع حـول السّيطرة على البحـر الأحـمـر : العـلاقـات اليـمنيّـة المصـريّة في عـصـر سـلاطين المـمــاليك ". **النّدوة العلمـيّـة حـول اليـمـن عـبـر التـاريخ** ، عدن سنة 1989 م .

حســـين (حمدي عبد المنعم)

36 - **دراســات فـي تاريخ الأيّوبيــين والمـمــاليك** ، دار المـعــرفــة الجـامـعـيّــة ، الإسكندريّة سنة 1996 م .

حســـــن (علي ابراهيم)

37 - **مـصـر من الـفـتـح الـعـربي إلى الـفـتـح الـعـثـمـاني** ،مكتـبـة النّهـضـة المصريّة ، الطّبعة الخامسة ، القاهرة سنة 1964 م .

الحضــــرمي (عبد الرحمان)

38 - "زبيـد وآثارها الإسـلامـيّـة وأوضـاعـهـا الرّاهنة" ،**المـؤتمـر التّـاسع للآثار في البـلاد الـعـربيّـة المنعـقـد سنة 1980 م بصنعـاء** ،طبع بتـونس سنة 1985م .

حميد الله (محمّــــــد)

39 - **مـجـمـوعـة الوثـائق السّيـاسـيّـة للعـهـد النّبـوي والخـلافـة الرّاشـدة** ، دار النّفائس بيروت 1985 م .

حوراني (فضل)

40 - **الـعـرب والـمـلاحـة في الـمـحـيـط الـهـندي في الـعـصـور الـقـديـمـة وأوائل القـرون الوسطى** ،ترجـمـة إلي العـربيّـة الدّكـتـور يعـقـوب بكر ، القـاهرة 1958 م .

الخـــربوطلي (علي حسني)

41 - **مـصـر الـعـربيّـة الإسـلاميّـة** ، مكتبـة الأنجلـو المـصـريّة ، القـاهـرة سنة 1963 م .

خليفـــــة (ربيع حامـد)

42 - **الفنون الزّخـرفـيـة الـيـمنيّـة في الـعـصـر الإسـلامي** ، الطبـعـة الأولى ، الدّارالمصريّة اللبنانية ، القاهرة سنة 1992 م .

خليل (فؤاد)

43 - **الإقطاع الشّرقي** ، الطبعة الأولى ، دار المنتخب العربي، بيروت سنة 1996م.

خوري (إبراهيم)

44 - " العرب والصّين ، علاقات ودّية وتبادل سفارات " ، **التّراث العربي** ، عدد 24 دمشق 1986 .

دريد (عبد القادر)

45 - **سياسة صلاح الدّين في الشّام والجزيرة** ، مطبعة الإرشاد ، بغداد سنة 1976 .

دغفوس (راضي)

46 - "مصادر تاريخ اليمن في العهد الإسلامي" ، **الكرّاسات التونسيّة** ، عدد 113-114 سنة 1980 م .

47 - "ابن الدّيبع مؤرّخ اليمن وزبيد "، **مجلّة حوليّات الجامعة التونسيّة** ، عدد 18 سنة 1980 م .

48 - "الدّولة الزياديّة بزبيد "، **الكرّاسات التّونسيّة** ، عدد 113-114 مجلد عدد 28 الثلاثي الثالث والرّابع سنة 1980 م .

الدّوري (عبد العزيز)

49 - **التّاريخ الإقتصادي للعراق في القرن الرّابع هجري** ، دار المشرق بيروت 1974م .

50 - **دراسات في العصور العبّاسيّة المتأخّرة** ، مطبعة السّريان ، بغداد 1945م .

ربيـــــع (حسنين محمّد)

51 - "وثائق الجنيـزة وأهمّـيتـهـا لدراسـة التّـاريخ الإقـتـصـاديّ "، **دراسـات تاريخ الجزيرة العربيّة** ، الكتاب الأوّل الجزء الثاني ، جامعة الرّياض 1979م .

52 - "البـحـر الأحـمـر في العـصـر الأيّوبي" ، **ندوة تاريخ البـحـر الأحـمـر بجـامـعـة عين شمس** ، القاهرة 1979 م

رجـــب (غــازي محمّد)

53 - "الجـامع الكبـيـر في صنعــاء : دراسـة تاريخـيّـة أثرّية" ، **مـجلة كلـيـة الآداب بجامعة بغداد عدد 28** سنة 1980 م .

رشيـد (نـــاظم)

54 - " النّشـــاط العلمي والأدبي في عـــهـــد الأســـرة الأيّوبيّـــة "، **مـــجلة آداب الرّافـدين** ، كلّيـة الآداب بجـامـعـــــة المـوصل ، العـــــدد الثـامـــــن 1397 هـ/ 1977 م .

55 - "التّـعليم فــــي ظلّ الدّولتـين الزّنكيّـة والأيّوبيّـة في الشّـام "، **مـجلة آداب الرّافدين**، كليّة الآداب بجامعة الموصل ، العدد العاشر 1979 م .

رنسيمــــــان (ستيفن)

56 - **تاريخ الحـروب الصّلـيـبـيّـة** ،ترجـمـة الدّكـتـور السـيّـد البـاز العـريني ، الطّبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت 1992 م .

ريـــــــاض (زاهـــر)

57 - "دولة حبـشيّـة في اليـمن" ،**المجلة التّاريخـيّـة المصريّة** ، المـجلّد الثـامن ، سنـــة 1959 م .

الزّركلـــــي (خير الدّين)

58 - **كتاب الأعـــلام** ، الطّبعة الثانية ، مطبعة كرستاتوماس ، القاهرة 1992 م .

زكـــــيّ (عبد الرّحمان)

59 - " العمارة العسكريّة في العصور الوسطى"، **المجلّة التّاريخية المصريّة** ، المجلّد السّابع سنة 1958 م .

زمبـــــاور (إدوارد)

60 - **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التّاريخ الإسلامي** ، مطبعة جامعة فؤاد الأوّل ، القاهرة 1951 م .

زيـــــادة (نقولا)

61 - "الجزيرة العربيّة في أخبار المؤلّفين الصّينيين"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة** ، الكتاب الأوّل ، الجزء الثاني ، جامعة الرّياض 1979 م.

62 - "تطوّر الطّرق البحريّة والتّجارية بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي"، **مجلّة دراسات الخليج والجزيرة العربيّة** ، عدد 4 السّنة الأولى 1975 م .

زيتـــــون (عـــادل)

63 - " أضواء على العلاقات التّجاريّة بين السّلطنة الأيّوبيّة وجمهوريّة البندقيّة "، **مجلّة دراسات تاريخيّة** ، عدد 2 ، دمشق 1980 م .

زيـــــدان (جرجي)

64 - **تاريخ آداب اللّغة العربيّة** ، بمراجعة شوقي ضيف، دار الهلال القاهرة (د.ت) .

الزّيلعـــــــي (أحمد عمــــر)

65 - **مكّـة وعـلاقـاتهـا الـخـارجـيّــة (301-487 هـ)** ، الطبـعــة الأولى ، نشـر عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرّياض 1401 هـ/1981 م .

السّبـــــــاعي (أحمد)

66 - **تاريخ مكّــة** ، الطّبـعــة الرابعــة ، دار مكّة للطّبــاعــة والنّشــر والتــوزيع ، مكّة المكرّمة 1979 م .

ســــــــرور (جمــال الدّين)

67 - **سياسة الفاطميّين الخارجيّة** ، دار الفكر العربي القاهرة 1972 م.

سعـــــــداوي (نظير حسّان)

68 - **جـيش مـصـر في أيّام صـلاح الدّين** ، الطّبـعــة الثــانيــة ، مكتـبــة النهـضــة المصريّة ، القاهرة 1959 م .

سعيـــــــد (أحمد سليمان)

69 - **تاريخ الـدّول الإسـلامـيـة ومـعـجم الأسـر الـحـاكـمـة** ، دار المـعــارف ، القــاهرة 1972م .

ســـــلاّم (محمّد زغـــلـــول)

70 - **الأدب في العصر الأيّوبي** ، دار المعارف بمصر، القاهرة 1968 م .

سليمـــــان محمـــود (حسن)

71 - **تاريـخ الـيـمـن الـسـيّـاسي في الـعـصـر الإسـلامي** ، الطّبـعــة الأولى بغــداد سنة 1969 م.

السيّاغـــــي (حسين أحمـــد)

72 - **معـالم الآثار اليـمنيّـة** ، مـركـز الدّراسـات والأبحـاث اليـمنيّـة ، صنعـاء 1980م .

73 - " قانون صنعاء " **دراسات يمنيّة** " عدد 10 ، صنعاء1982 م .

شاكر حسين (خليــل)

74 - " تطلّع صلاح الدّين الأيّوبي نحو بلاد اليمن " ، بحث مقدّم إلى **النّدوة العلميّة حول اليمن عبر التّاريخ** ، عدن 23-25 سبتمبر1989 م . ص47-64 .

الشّامــــي (أحمـــد)

75 - العـلاقـات التّـجـاريّة بين دول الخليج وبلدان الشـرق الأقـصى وأثـر ذلك في بعض الجـوانب الحـضـاريّة في العـصـور الوسطى " **المـؤرخ العـربي** ، العدد 12 ، 1980 م

الشّامــــي (فضيلــة)

76 - **تاريخ الفرقة الزّيديّة** ، مطبعة النّجف الأشرف ، بغداد 1974 م .

شاهين (عبد الرّحمان محمّد)

77 - " من جهود علماء اليمن في علوم العـربيّة " **مجلّة كلّية الآداب بصنعاء** ، العـدد الثّاني ، ذن القعدة 1399 هـ / أكتوبر 1979 م .

الشّجـــــاع (عبد الرّحمان)

78 - **اليـمن في عـيـون الرحّـالة** ، الطبـعــة الأولى ، دار الفكر المـعـاصـر ، بيـروت 1993 م .

شـــــرف الدّين (أحمـــــد حسين)

79 - **اليمن عبر التاريخ** ، الطبعـة الثانية ، القاهرة 1964 م .

شكري (محمّد سعيد)

80 - " جـغـرافـيّـة اليـمـن في القــرن الأوّل للهـجـرة / السّــابع للمـيــلاد " ، **دراسـات تاريخيّة** ، السّنة السّابعة العددان 21 و 22 أذار - جزيران 1986م .

شلبـــــي (أحمـــد)

81 - **تاريخ التّـربيــة الإسـلامـيّـة** ، الطبـعــة الثــانيّــة ، مكتـبـة الأنجلو المـصـريّة القاهرة 1960 م .

الشّماخـــــي (عبد اللّه)

82 - **اليــمـن الإنســان والحـضـارة** ، الدّار الحــديثـة للطّبــاعــة والنّشــر ، القــاهرة 1972 م .

شميســـــاني (حسين)

83 - **مـدارس دمـشق في العـهـد الأيّوبي** ، الطبـــعـــة الأولى ، منشـــورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1983 م .

شهـــاب (حسن صالح)

84 - **فنّ المـلاحـة عند العـرب** ، مـركـز الدّراسـات والبـحـوث اليـمنيّ بصنعـاء ، دارالعودة بيروت 1982 م .

الشّهـــــــــابي (قتيبة)

85 - **مــعــجـــم ألقــاب أرباب السّلطان في الدّول الإســلامــيّــة من العــصــر الرّاشــدي حـــتّى بـدايات الـقــرن الـعــشــرين** ، منشــورات وزارة الثــقــافــة في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة ، دمشق 1995 م .

86 - **المراكب العربيّة تاريخها وأنواعها** ، الكويت1987 م .

الشّهـــــاري (محمّد علي)

87 - "مــقـــاربـة عــامّــة لقـضـيّــة الوحـــــدة اليـمنيّــة عـبــر المــاضي والحــاضــر والمستقبل" ، **النّدوة العلميّة حول اليمن عبرالتّاريخ** ، عدن1989 م .

الشـــيّال (جمـال الدّين)

88 - **تاريخ مصر الإسلاميّة** ، دار المعارف القاهرة ، 1967 م .

89 - **مـجـموعـة الوثائق الـفـاطـميّـة** ، الجـمـعـيّـة المـصـريّة للدّراسـات التّاريـخـيّـة ، 1958 م .

شيحة (مصطفى عبد اللّه)

90 - **مــدخل إلى الـعــمـــارة والفنون الإســلامـيّـــة في الـجــمــهــوريّة الـيــمنيّــة**، القاهرة 1987م .

صــــــالح أمــــين (محمّد)

91 - دولــة الخوارج فــــي اليمــــــن : بنو مهـدي في زبيـد ، **المجلّة التّاريخية المصريّة** ، عدد 25 سنة 1978م .

92 - " بنو مـــعن ثمّ آل زريع في عـــدن " ، **المـؤرخ في الـعــربي** ، الـعـــدد الخــامس عشر1980 م .

ضـــــــرار (محمّد صالـــح)

93 - **تاريخ سـواكن والبـحـر الأحــمـر** ، الطبـعــة الأولى ، الدّار السّــودانيــة للكتب الخرطوم 1401هـ / 1981م .

عـــــــاشور (سعيد عبد الفتّاح)

94 - **مـصـر والشّـام في عـصـر الأيّوبيـيـن والمـمـاليك** ، دار النّهـضـة العـربيّـة ، القاهرة 1972 م .

95 - " شخـصيّـة الدّولة الفـاطميّـة في الحـركـة الصّليبـيّـة " ، **المـجلّة التّـاريخـيّـة المصريّة** ، المجلّد السّادس عشر ، 1969 م .

العـــــاني (عبد الرّحمان)

96 - **عـمـان في العـصـور الإسـلامـيّــة الأولى** ، دار الحـرّية للطّبـاعــة ، بغـداد 1977م .

عبــــد العـــال أحمد (محمّد)

97 - "دراســة حــول أقــوال المــؤرّخــين عن أســبــاب الفــتح الأيّوبي لبـلاد اليـمـن" ، **مجلّة معهد المخطوطات العربيّة** ، مجلّد عدد 13 ، ج 2 نوفمبر1967م .

عبــــد العليــــم (أنور)

98 - **المـلاحـة وعلوم البـحـار عند العـرب** ، سلسلة عـالم المـعـرفـة عـدد 13 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1979 م .

عبــــد اللّطيف (حمزة)

99 - **الحـركــة الفكريّة في مــصــر في العــصــرين الأيّوبي والمــملوكي** ، الطّبعة الأولى دار الفكر العربي (د. ت) .

عبد اللّه عارف (أحمد)

100 - **مقدّمة في دراسة الإتّجاهات الفكريّة والسّياسيّة في اليمن فيما بين القرن الثّالث والخامس هجري** ، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع ، بيروت 1991 م .

عبد اللّه (يوسف محمّد)

101 - **أوراق في تاريخ اليمن وآثاره** ، 1990 م .

العريني (السّيد الباز)

102 - **مصر في عصر الأيّوبيين** ، إدارة الثقافة العامة بوزارة التربيّة والتعليم القاهرة 1960م

عزي (وفيّة)

103 - نماذج من الفنون الإسلاميّة في اليمن" ، مجلّة **المجلّة**، عدد 71 القاهرة ديسمبر 1962م .

العسكري (سليمان)

104 - **التّجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العبّاسي** ، مطبعة المدني القاهرة 1972م .

العش (محمّد أبو الفرج)

105 - "المسكوكات في الحضارة العربيّة الإسلاميّة"، **المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربيّة المنعقد بصنعاء سنة 1980 م** ، طبع بتونس سنة 1985 م.

عطيّـــة (هـــادي)

106 - **دلالة الألفـاظ اليـمـانيّـة في بعض المـعـجـمـات العـربيّـة**، مـركـز الدّاراسات والبحوث اليمني ، صنعاء 1409هـ /1988م .

علـي (جـواد)

107 - **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، بغداد ،1953 م .

العلـــــــوي (صالح)

108 - **تاريخ حضر موت** ، الطّبعة الأولى ، مكتبة الإرشاد جدّة 1968 م .

علــــــي (السّيد علي)

109 - **العـلاقـات الإقـتـصـاديّة بين المـسلمـين والصّليـبـيـين** ، الطّبـعـة الأولى، عين للدّراسات والبحوث القاهرة 1996م .

العـلي (صـالح)

110 - **التّنظيـمـات الإجـتـمـاعـيّـة والإقـتـصـاديّة في البـصـرة القـرن الأوّل للهجرة** ، دار الطّليعة ، بيروت 1969م .

111 - الأنســجــة في القــرنين الأوّل والثّــاني للهــجــرة " ، مــجلّة **الأبحـــاث** ، ج 4 السّنــة 14 ، بيروت1961 م .

عمــــر موسى (عز الدّين)

112 - "طريق عـبـر الصّـحـراء اللّيـبـيّـة من المـغـرب الأقـصى إلى مـصـر في القـرن السّـادس هجـري/ الثـاني عـشـر مـيـلادي" ، **مـجلّة البـحـوث التـاريـخـيّـة** عـدد 1 ماي 1983 م .

العقيـــــلي (محمّد بن أحمد)

113 - **من تاريخ المخلاف السّليماني**، مطابع الرّياض، سنة 1958 م .

عمـــــــران (محمود سعيد)

114 - **تاريخ الحـروب الصّليـبيّـة (1095-1291 م)**، دار النّهـضـة العربيّة، بيروت 1990 م.

العـــــمري (حسين)

115 - **الأمـراء العبيـد والممـاليك في اليـمن**، الطّبعـة الأولى، دار الفكـر المعاصـر بيروت 1989 م.

عنـــان (زيد)

116 - "حضارة اليمن القديم إمتداد للحضارات القديمة"، **المؤتمر التّاسع للآثار في البلاد العربيّة المنعقد بصنعاء سنة 1980 م**، طبع بتونس سنة 1985 .

غنيـــم (أسمنت)

117 - **الدّولة الأيّوبيّة والصّليبيّون**، دار المعـرفة الجامعيّة، الإسكندريّة 1990 م .

فتحي سلطان (طارق)

118 - العلاقات التّجاريّة بين العرب والصّين في القرون والوسطى (مبحث مستلّ من رسالة الماجستير)، **مجلّة آداب الرّافدين**، كليّة الآداب بجامعة الموصل، العدد الثالث عشر 1401 هـ / 1981 م .

فاروق (أحمد)

119 - " دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهلّ الإسلام " **مجلّة العرب** ، ج 7، ج 8، الرّياض 1396 هـ .

فخري (أحمد)

120 - " اليمن "، **المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربيّة بفاس 8-18 نوفمبر 1959م** ، طبع بالقاهرة سنة 1961 م .

121 - **اليمن ماضيها وحاضرها** ، القاهرة 1957 م .

فضل حسن (يوسف)

122 - "الصّراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتّى القرن الثّامن عشر"، **مجلّة الدّارة العدد الثّالث** ، الرّياض 1403هـ / 1983 م .

فؤاد سيّد (أيمن)

123 - **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي**، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيّة ، القاهرة 1974 م .

124 - **تاريخ المذاهب الدّينيّة في بلاد اليمن حتّى نهاية القرن السادس هجري / الثاني عشر ميلادي** ، الطبعة الأولى ، الدّار المصريّة اللّبنانيّة ، القاهرة 1982 م .

125 - **الدّولة الفاطميّة في مصر : تفسير جديد** ، الطّبعة الأولى ، الدّار المصريّة اللبنانيّة ، القاهرة 1991 م .

القوصي (عطيّة)

126 - " أضواء جديدة على تجارة الكارم " ، **المجلّة التاريخيّة المصريّة** ، المجلّد عدد 22 سنة 1975 م .

127 - **تجارة الخليج العربي بين المدّ والجزر في القرنين الثاني والثالث هجريين** ، الكويت سنة 1980 م .

كاشف (سيّدة إسماعيل)

128 - **صلاح الدّين الأيّوبي**، الطّبعة الأولى ، دار عالم الكتب بيروت 1986 م .

129 - **مصر في عصر الإخشيديين** ، القاهرة 1970م .

كارل (بروكلمان)

130 - **تاريخ الشّعوب الإسلاميّة** ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، الطّبعة الرّابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت 1965 م .

كامل (محمود)

131 - **اليمن شماله وجنوبه وعلاقاته الدّوليّة** ، دار بيروت للطّباعة والنشر ، بيروت 1968 م .

كاهن (كلود)

132 - **تاريخ العرب والشّعوب الإسلاميّة** ، ترجمة بدر الدّين القاسم ، الطّبعة الثانية ، دار الحقيقة بيروت 1977 م .

133 - **الشّرق والغرب زمن الحروب الصليبيّة** ، ترجمة أحمد الشيخ ، الطّبعة الأولى ، سينا للنّشر القاهرة 1995 م .

كحالة (عمر رضا)

134 - **معجم المؤلّفين** ، تراجم مصنّفي الكتب العربيّة ، نشر مكتبة المثنّى ودار إحياء التّراث العربي ، بيروت .د . ت .

135 - **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ، دار العلم للملايين ، بيروت 1968م .

كرد علي (محمّد)

136 - **خطط الشّـام** ، مطبعة الشرّقي ، دمشق 1927 م .

كوربان (هنري)

137 - **تاريخ الفلسفة الإسلاميّة منذ الينابيع حتّى وفاة إبن رشد** ، ترجمة نصير مروّة وحسن قبيسي ومراجعة وتقديم الإمام موسى الصّدر والأمير عارف تامر ، وعويدات للنّشر والطّباعة ، بيروت 1998 م .

لبيب (صبحي)

138 - " التّجارة الكارميّة وتجارة مصر في العصور الوسطى "، **المجلّة التاريخيّة المصريّة** ، المجلّد عدد 4، القاهرة 1952 م .

لومبارد (موريس)

139 - **الجغرافيا التّاريخيّة للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة** ، تعريب عبد الرّحمان حميدة ، دمشق 1979م .

ماجد (عبد المنعم)

140 - **ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر** ، دار المعارف ، القاهرة 1968م.

ماضي (محمد عبد الله)

141 - "دولة اليمن الزّيديّة ، نشأتها ، تطوّرها ، علاقاتها"، **المجلّة التّاريخية المصريّة** ، المجلّد الثالث ، عدد 1 ، سنة 1950م.

مـــــالكي (سليمان عبد الغنيّ)

142 - **بلاد الحـجـاز منذ بداية عـهـد الأشـراف حـتّى نهـاية الخـلافـة العبّاسيّة في بغداد** ، الرّياض سنة 1950م.

محـــــرّم (أحمـــد)

143 - "عـملة عـبّاسـيّـة في اليـمن" ، **المـؤتمر التّـاسع للآثار في البـلاد العـربيّة المنعقد بصنعاء سنة 1980م** ، طبع بتونس سنة 1985 م .

محـــــمّد (مـــــاهر حمادة)

144 - **الـوثائـق الـسـيّـاسـيّـة والإداريّة للعـهـود الفـاطمـيّـة والأتابكيّـة والأيوبيّـة** ، الطبـعـة الأولى ، مـؤسّـسـة الرّسـالة ، بيـروت 1980 م .

المـشنـــي (أحمد بن محمد)

145 - "إمـارة سليـمـان بن طرف الحكمي (373-447 هـ) على ضـوء الرّوايات التّـاريخـيّـة" ، **مـجلّة العـرب** ، ج 11، 12 ، السّنة 31 ، الرّياض الجماديان من سنـة 1417 هـ / سبتمبر - أكتوبر سنة 1996 م .

مصطـــفى (شاكر)

146 - **التّـاريخ العـربي والمـؤرّخـون** ، (الجـزء الرابع) الطّبـعـة الأولى ، دارالعلم للملايين ، بيروت 1993 م .

محمّد موسى (جلال)

147 - **نشأة الأشعريّة وتطوّرها** ، دار الكتاب اللّبناني ، بيروت1975 م .

مصطفـــــى (غالب)

148 - **أعلام الإسماعيليّة** ، منشورات دار اليقظة العربيّة للتأليف والترجمة ، بيروت 1964 م .

149 - **تاريخ الإسماعيليّة** ، دار اليقظة العربيّة للتّأليف والنّشـــر ، دمشق ، 1953 م .

معـــــروف (ناجي)

150 - **نشأة المدارس المستقلّة في الإسلام** ، مطبعة الأزهر ، بغداد 1966 م.

مقبـــــل (سيف)

151 - **وحدة اليمن تاريخيّا**، الطبعة الأولى ، دار الحقائق للطّباعة والنّشر عدن 1987 م.

152 - **دراسات في التّاريخ اليمني** ، دار الهمداني للطّباعة والنّشر ، عدن 1988 م .

مقبـــــل (فهمي)

153 - **الفاطميّون والصّليبيّون** ، الدّار الجامعيّة للطّباعة والنّشر ، بيروت (د . ت).

المنـــوني (محمّد)

154 - الجزيرة العربيّة في الجغرافيات والرّحلات المغربيّة وما إليها ، **دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة** ، الكتاب الأوّل الجزء الثاني ، جامعة الرّياض سنة 1979م .

مورتيــــــل (ريتشارد)

155 - **الأحـوال السّـيـاسـيّــة والإقـتــصـاديّة بـمكّة في العـهـد الـمـلوكي**، نشــر عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، الرّياض 1985 م.

مؤنــــــس (حسيـــــن)

156 - **أطلس تاريخ الإسلام**، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1987م.

النّخيلي (درويش)

157 - **السّفن الإسلاميّة على حروف المعجم**، الإسكندريّة 1974م.

النّدوي (السيّد أبو ظافر)

158 - "أسطول كجرات"، **مجلّة ثقافة الهند**، دلهي أكتبور 1965 م.

نــــــدوي (محمّد إسماعيل)

159 - **تاريخ الصّــلات بين الهند والبــلاد العــربيّــة**، دار الفــتح للطّبــاعــة والنشر، بيروت (د. ت).

الهــــمــــــداني (حسيـــــن)

160 - **الصّليـحـيّـون والدّعـوة الفـاطـمـيّـة في اليـمن**، مكتبـة مـصـر، القــاهرة 1955 م.

آل ياسين (محمّد حسن)

161 - **معجم النّبات والزّراعة**، بغداد 1406هـ/ 1986م.

يـــــوســــــف (جوزيم نسيم)

162 - **الوحـــدة وحـــركـــات اليـــقظة العـــربيّـــة إبّان العـــدوان الصّليـــبي** ،
مؤسّسة شباب الجامعة للطّباعة والنشر والتّوزيع ، الإسكندريّة 1988م .

اليوزبكي (توفيق)

163 - **تاريخ تجارة مصر في العصر المماليكي** ، الموصل 1975م .

ب - المــــراجع باللغات الأجنبية :

'ANKAWI (A)

1 - " The Pilgrimage to Mecca in Mamluk Times" , in **Arabian Studies** 1 (1974).

ARENDONCK (C.Van)

2 - **Les débuts de l'Imamat Zaïdite au Yemen** , Traduction Française par Jacques Ryckmans , Leïden 1960.

ASHTOR (E)

3 - **East West Trade in the Médieval Méditerranean** , L- Varioum 1986.
4 - **Histoire des prix et des salaires dans l'Orient Médieval** , P. Supen, 1969.
5 - **Studies on the Levantine Trade in the Middle Ages** , L. Varioum 1978.
6 - " The Karimi Merchants", in **Journal of the Royal Asiatic Society,** (1956).

ATIYA (A.S)

7 - **Crusade , Commerce and Culture** , Bloomington : Indiana Univ- press London 1962 .

AYALON (D)

8 - "Studies on the Structure of the Mamluk Army", in **Bulletin of the School of Oriental and African Studies** (1954) .

BALOG (P)

9 - "Dinars of al - Malik Shams al - Dawlah Turanshah and al-Aziz Tughtegin", in **American Numismatic Society Museum Notes** 9 , (1960) .
10 - " Dirhmes ayoubites inedits du Yémen" , in **Bulletin de l'Institut Egyptien** , 36 (1953 -54).
11 - **The Coinage of the Ayyubids**; Royal Numismatic Society , Special publication n°12 London 1980 .
12 - " The Ayyubid Glass Jetons and their Use" , in **J.E.S.H.O**, Vol IX (1966).

BATES (L. M)

13 -" The Function of Fatimid and Ayyubid Glass Weights ", in **J.E.S.H.O,** Vol XXIV part.1 (1981) .

BIKHAZI (R.J)

14 - " Coins of al-Yaman 132-569 A.H" , al - **Abhâth,** vol XXIII / dec. 1970.

BOSWORTH (L.E)

15 - **The Islamic Dynasties** , Edinburgh Univ-press 1967.

CAHEN (Cl)

16 - **Orient et Occident au Temps des Croisades,** Aubier Montaigne Paris 1983.
17 - **Les Peuples Musulmans dans l'Histoire Médievale** , P: I.F , Damas 1977.
18 - **Introduction à l'Histoire du Monde Musulman Médieval VII-XV siècle,** Maisonneuve paris 1982.
19 - " Douanes et Commerce dans les ports Méditerranéens de l'Etypte Médievale" , in **J.E.S.H.O**; Vol VII (1964) .
20 - " A Fiscal Survey of the Médieval Yemen" , in **Arabica** , T IV (1957) .
21 - " Un recit inedit du Vizirat de Dirgham" , in **Annales Islamologiques du Caire,** n° VIII , le Caire 1969 .

CANARD (M)

22 - " L'imperialisme des Fatimides et leur propagande " , in **A I E O** ((1974) . Vol VI pp 56-193 .

CASANOVA (P)

23 - " Dinars inédits du Yemen" , in **Revue Numismatique** (1894) .
24 - " Les derniers Fatimides ", in **Mémoires de la Mission Archeologique Française du Caire** , Vol VI (1893) .

CATTENOZ (H.G)

25 - **Table de concordance des ères chretienne et hégirienne,** Edit . Casablanca 1954.

CHELHOD (J)

26 - **L'Arabie du Sud : Histoire et Civilisation** , T I **le Peuple Yemenite et ses Racines .** Edit . G.P. Maisonneuve et Larose, paris 1984.
27 - " Introduction à l'Histoire sociale et urbaine de Zabid " , in **Arabica,** T xxv / n°1 1978.

COMBE (E)

28 - **Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe** , Institut Français d'études orientales Paris 1937 .

COUSSONNET (N)

29 - " Les assises du pouvoir Zaydite au XIII siècle ", in **Revue du Monde Musulman et de la Mediterranée** n° 67 (1994) .

DAGHFOUS (R)

30 - **le Yaman Islamique des Origines Jusqu'à l'Avenement des Dynasties Autonomes** , Université de Tunis I, 1995.

31 - " Une Dynastie Yemenite Autonome : les YUFURIDES ", in **Cahiers de Tunisie** T xxx N°119-120, Tunis 1982 .

32 - " Le Yaman dans Ies écrits des voyageurs d'Hérodote à l'anthropologie moderne", in **Cahiers de Tunisie,** n° 145 -148 , T xxx VIII .

33 - " Pour une chronologie de l'Histoire du Yemen a l'époque musulmane, in **AWRAQ,** n° 3 Madrid 1980.

DAUM (M)

34 - " From Aden to India and Cairo : Jewish World trade in the 11th and 12th Centuries , in **Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix,** edited by Werner Daum . I S B N . AUSTRIA 1988 .

EHRENKREUTZ (A.S)

35 - " Saladin's coup d'état in Egypt ", in **Medieval and Middle Eastern Studies** in honor of Aziz Suryal Atiya, edited by Sami A.Hanna, Leiden 1972 .

ELISSEEFF (N)

36 - **Nuraddin : Un Grand Prince Musulman de Syrie au Temps des Croisades ,** Damas 1967 .

37 - **l'Orient Musulman au Moyen - Age**, p. Colin 1979 .

38 - **Encyclopedie de l'Islam** , Nouvelle Edition, Leïden - Brill 1960-1993 .

FISCHEL (W.J)

39 - " The Spice Trade in Mamluk Egypt : A Contribution to the Economic History of Médieval Islam " , in **J.E.S.H.O1** (1958).

FLUGEL (G)

40 - **Arabishen , Persischen Und Turkischen Handschriften der Kaiserlich-Königlichen Hofbibliothek Zu Wien**, Wien 1865 .

FREEMAN (G.S)

41 - **The East African Coast,** Oxford Clarendon press, 1962 .

GABRIELI (F)

42 - **Chroniques arabes des croisades**, traduit de l'italien par Viviana Pâques Seconde édition, Sindbad Paris 1977.

GARCIN (J. Cl)

43 - **Un Centre Musulman de la Haute -Egypte Médievale : QUS.** thèse pour le Doctorat d'Etat es-lettres et Sciences Humaines presentée à l'Université de Paris I (panthéon-sorbonne) , paris 1974 .
44 - **Espaces, pouvoirs et ideologies de l'Egypte Médievale** , varioum reprints, London 1987 .

GAURY (G.DE)

45 - **Rulers of Mecca**, (First published) London 1951.

GIBB (H.A.R)

46 - **A History of the Crusades** , Vol Il London 1969 .
47 - " The Armies of Saladin", in **Cahiers d'Histoire Egyptienne,** n°3 Vol IV, le Caire 1951.

GOITEIN (S.D)

48 - **Studies in Islamic History and Institutions** , Leïden - Brill 1968.
49 - " The Cairo Geniza as source for the history of Muslim civilisation ", in **Studia Islamica** , Vol III, (1955) .
50 - " From Aden to India" , in **J.E.S.H.O,** Vol XXIII . part I et II 1980 .
51 - " New Light on the beginingns of the Karim Merchants" , in **J.E.S.H.O,** Vol I. part 2 1958 .
52 - **Letters of Medieval Jewisch Traders,** princeton University- press, 1973.
53 - " Slaves and Slave Girls in the Cairo Geniza records", in **Arabica** n° IX 1962 .
54 - **A Mediterranean Society : Economic Foundations,** vol I , California - press 1967 .
55 - " The Exchange Rate of Gold and Silver Money in Fatimid and Ayyubid Times", in **J.E.S.H.O** Vol 8 part I 1965 .
56 - " The Jews of Yemen ", in **Religion in the Middle East** , Cambridge 1969 .
57 - " Lettres and Documents on the India Trade in Médieval Times", in **Islamic culture**, 37 (1963) .

GROUSSET (R)

58 - **Croisades,** Presses Universitaires de France, Paris 1944.

GRÜNERT (N)

59 - **Kurzer Katalog der Glaserischen Sammlung arabisher Handschriften aus dem Jemen in Oesterreichishe National Bibliothek Zu Wien**, Wien 1994 .

HAMDANI (A)

60 - " The Tayyibi-Fatimid Community of the Yaman at the Time of the Ayyubid Conquest of Southern Arabia", in **Arabian Studies,** Vol VII (1985) .

HAMADANI (H)

61 -" Lettres of al-Mustansir bi'llah", in **Bulletin of the School of Oriental and African Studies,** Vol VII (1933 -35).

HASSAN (Y . F)

62 - **The Arabs and the Sudan from the Seventh to Early Sixteenth Century,** Khartum . K.U.P . 1973 .

HEYD (W. V)

63 - **Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age,** edit Leizig : O. Harrosowitz, 1923 .

HISTORIENS ORIENTAUX

64 - **Recueil des Historiens des croisades, Historiens Orientaux,** Publié par les soins de l'Academie des inscriptions et Belles-lettres, TI , Imprimerie Nationale, Paris 1872.

HOURANI (G.F)

65 - **Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times,** Beirut 1963 .

HUMPHREYS (R.S)

66 - **From Saladin to the Mongols,** State University - press of New york , 1977 .

ISMA' IL (A) and SERJEANT (R. B)

67 - " The Statue of San'a' ", in **SAN'A an Arabian Islamic City,** London 1983 .

JANA (S. H)

68 - " Basic Chronology for a History of the Yemen", in **M.E.J** Vol 17 n° I et II , 1963 .

KAMMERER (A)

69 - **La Mer Rouge, l'Abyssinie et l'Arabie depuis l'antiquité jusqu'au XV siècle,** le Caire 1929 -1935

KLEIN- FRANDE (A)

70 - " The Jews of Yemen " , in **Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix**, edited by Werner Daum . ISBN . AUSTRIA 1988 .

LANE - POOLE (S)

71 - **Muhammadan Dynasties,** New york : Ungas reprint 1965 .
72 - **Saladin ,** london 1898.
73 - **A History of Egypt in the Middle Ages,** London 1901 .

LAVOIX (H)

74 - **Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale de Paris,** Paris 1883 .

LEWCOCK (R)

75 - " The architectural History and description of San'a' Mosques", in **SAN'A an Arabian Islamic City ,** London 1983 .
76 - " The Medieval Architecture of Yemen , in **Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix .** edited by Werner Daum, I S B N AUSTRIA 1988 .

LEWIS (B)

77 - " The Fatimids and the route to the India " , in **Revue de la Faculté des Sciences Economiques de l'Université d'Istanbul** , XI (1949-50) pp 50-54 .

LOWICK (N)

78 - " The Mint of San'a : A Historical Outline", in **SAN'A an Arabian Islamic City ,** London 1983 .
79 - " The Médieval Architecture of Yemen, " in **Yemen 3000 years of Art and Civilisation,** Austria 1988 .

LYONS (U)

80 - **Ayyubids, Mamluks and Crusaders,** Cambridge : Heffer, 1971 .

MANSOURI (M.T)

81 - " Salah ad-Dine et le Royaume Latin de Jerusalem (1169 -1187)", in **ORIENTE E OCCIDENTE TRA MEDIOEVO ED ETÀ MODERNA studi in onore di GEO pastarino a cura di LAURA BALLETTO**, GLAUCO BRIGATI GENOVA 1997 .

MADELUNG (W)

82 -" Islam in Yemen ", in **Yemen 3000 years of Art and Civilisation,** Austria 1988 .

MILES (G. C)

83 - " The Ayyubid dynasty of the Yemen and their coinage", in **Numismatic Chronicle,** 1939.

MIRSKY (J)

84 - **The Great Chinese Travelers**, Chicago 1964 .

MIQUEL (A)

85 - **La geographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du 11ème siècle**, Paris 1975 .

MORTEL (R.T)

86 - " Taxation in the amirate of Mecca during the médieval period", in **Bulletin of the School of Oriental and African Studies** , Vol LVIII part I (1995) .

PEARSON (J.D)

87 - **Index Islamicus,** Vols 1-3 , Cambridge Hiffer 1958 - 1967 , Vol 4 London 1972 .

PIRENNE (H)

88 - **Mahomet et Charlemagne,** presses universitaires de France, Paris 1970 .

PIRENNE (J)

89 - **Le Royaume Sud-arab de Qataban et sa datation,** Louvain 1961 .

PORTER (V)

90 - " The Art of the Rasulids " , in **Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix**, AUSTRIA 1988 .

RABIE (H)

91 - **The Financial System of Egypt (1169 - 1341 A.D**), Oxford University - press, London 1972 .

RHODOKAMAKIS (N)

92 - " Die sarkophaginschirift von Gizen , in **Zeitschrift für semitistik**, Vol II (1924) .

ROBERT (E.Darely-doran)

93 - " Examples of Islamic Coinage from yemen " in **Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix.** edited by Werner Daum . ISBN.Austria 1988.

RODINSON (M)

94 - **La Fascination de l'Islam,** Librairie François Maspéro, Paris 1980 .

AL-SAMMAN (T) and MAZAL (O)

95 - **Die Arabische Welt und Europa Ausstellung der Handschriften-und Inkunabelsammlung der Österreichischen National Bibliothek Handbuch und Katalog,** Austria 1988 .

SCHLUMBERGER (G)

96 - **Compagnes du Roi Amaury I de Jérusalem en Egypte au XII siècle,** Paris 1906 .

SERJEANT (R. B)

97 - " The Cultuvation of Céreals in Médieval Yemen ", in **Arabian Studies,** Vol I (1974) .
98 - The Market, Business life, Occupations, the Legality and Sale of Stimulants, in **SAN'A an Arabian Islamic- City,** London 1983 .
99 - " The Mosques of San'a, the Yemen Islamic Setting ", in **SAN'A an Arabian Islamic City** , London 1983 .

SIMKIN (C.G.F)

100 - **The Traditional Trade of Asia,** London 1968 .

SMITH (G. Rex)

101 - " The Ayyubids and Rasulids, the Transfer of Power in 7 th / 13 th Century in the Yemen ", in **Islamic Culture**, 43 no.3 (1969)
102 - **The Ayyubids and Early Rasulids in the Yemen,** Cambridge 1974 .
103 - " IBN HATIM'S KITAB AL-SIMT and its place in Medieval Yemenite Historiography", in **Majallat Dirasat Tarikh al-Jazira al-Arabia,** Vol I part 2 , Riadh 1979 .
104 - " The Early an Medieval History of San'a", in **SAN'A an Arabian Islamic City,** London 1983 .
105 - " The yemenite Settlement of THA'BAT : Historical, Numismatic and Epigraphic Notes" , in **Arabian Studies**, Vol I (1974) .
106 - " The Smaller Mosques of San'a" , in **SAN'A an Arabian Islamic City** , London 1983 .
107 - " The political history of the Islamic Yemen dawn to the first Turkish invasion (1-945/622-1538) , in **Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix.** Edited by Werner Daum . I S B N . AUSTRIA 1988 .

SCHNEIDER (M)

108 - " Les inscriptions arabes de l'ensemble architectural de Zafàr Di- Bin au Yemen du Nord , comptes rendus de l'Academie des inscriptions et Belles- Lettres (Juillet-Octobre 1979)" , in **Journal Asiatic** 273 (1985) .

SOURDEL (D)

109 - **L'Islam Médieval** , presses universitaires de France, Paris 1979 .

TRAINI (R)

110 - **Sources Biographiques des Zaidites au Yemen (122-1200 A.H)** , C.N.R.S Paris 1977 .

VARISCO (D.Martin)

111 - **Medieval Agriculture and Islamic Science, The Almanac of a Yemeni Sultan**, University of Washington Press, Seattle and London 1994 .

112 - " Rasulid Agriculture and the Almanac traditon " , in **Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix,** Edited by Werner Daum I S B N . AUSTRIA 1988.

113 - " The production of Sorghum (dhurah) in highland Yemen, in **Arabian Studies,** VII (1985) .

WEIT (G)

114 - **Précis de l'Histoire d'Egypte : L'Egypte Musulmane de la Conquète Arabe à la Conquète Ottomane .** I.F.A.O , le Caire 1932 .

115 - **L'Egypte Arabe** dans " **Histoire de la Nation Egyptienne** ", publié sous la direction de G. Hanotaux T IV , Paris 1937 .

فهـــرس الأعـــلام

أ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س



ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

م

ي

فهـــرس الأمــاكن

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س



ص

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل



ن

هـ

و

ي

فهـرس المـواضيـع

الباب الثّالث : الحياة الإقتصادية ومظاهر الحضارة في اليمن خلال العهد الأيّوبي

الفهـــارس